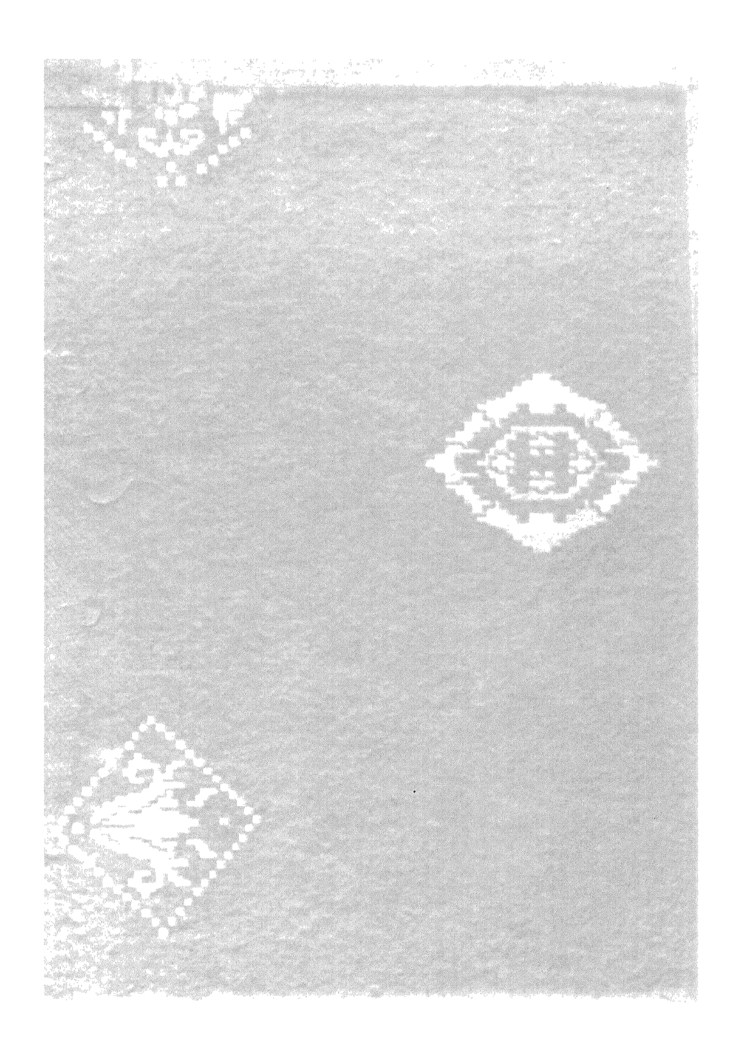
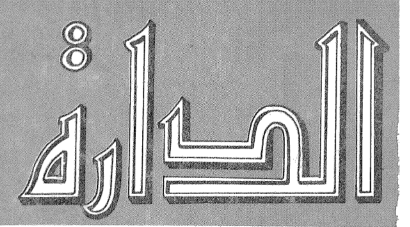




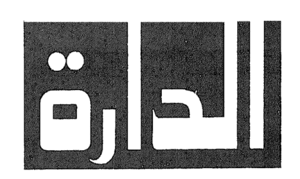






مجلة ربع سنوية تصدر عن دارة الملك عبد العزيز
العدد الاول · السنة الخامسة ربيع الثانى ١٣٩٩ هـ - مارس ١٩٧٩ م

من محتويات العدد



مجلة ربع سنوية تصدر عن دارة الملك عبد العزيز
تعنى بتراث وفكر المملكة والجزيرة العربية
والعالم العربي والاسلامي مماله صلة بالجزيرة العربية

العدد الأول ربيع ثاني ١٣٩٩هـ
السنة الخامسة مارس ١٩٧٩م

الريـاض
المملكة العربية السعودية
ص.ب ٢٩٤٥
تلفون ٣٨٦٤٦



بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد

● قيمة العدد في الداخل ريالان والاشتراك السنوي خمسة عشر ريالا وفي البلاد العربية ما يعادل خمسين قرشا سعوديا للعدد أو ما يعادل خمسة عشر ريالا للسنة . في جمهورية مصر العربية خمسة وعشرون قرشا . في خارج البلاد العربية دولار للعدد الواحد وستة دولارات للسنة .

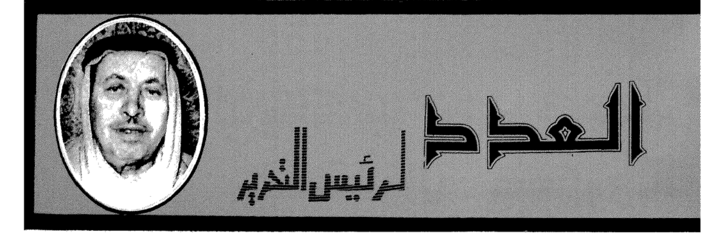


ترسل الاشتراكات باسم امين عام الدارة اما المقالات والبحوث فترسل باسم رئيس التحرير الرياض ص.ب ٢٩٤٥ ترتيب المواضيع داخل العدد يخضع لاسباب فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب .
آراء الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة .

افتتاحية

لا اريدها الا كلمه شاكرة ٠٠ أتوجه بالشكر الى الله على توفيقه ٠٠ ثم هو الشكر لكل الذين ساهموا فى هذا النجاح للمجلة ٠٠ أن هذا هو العدد الأول من السنة الخامسة ـ اضعه بين يدى القارىء سواء من اصحاب التخصيص ، أو بين الذين يحتويهم الاطلاع على مجلة متخصصة ـ وكم أود أن اجد بين القارئين ملاحظة على ما ينشر ٠٠ اكثر من حبى على تلقى الثناء ٠

فالتسديد هو فيما يلاحظه القارىء كبير عندى كالتسديد بالثناء كلاهما يشد الازر فالحب للناس احسبه مقايضه استحلت بها حب القارئين ليس لشخص وانما للثقافة ٠٠ للتراث ٠٠ للمستقبل ٠٠ فليس بالكثير على هذا البلد ٠٠ ٠٠ كان اول الفجر من تاريخه اقرأ ٠٠ أن تكون بين يدى ابنائه الصحيفة والمجلة وأن يقتنى الكتاب فأمتكم التى كانت أمية اصبحت



بالاسلام الامة القارئة ٠٠فلفظة قرأتها مشتق من القراءة ٠٠ لا كما ادعى بعضهم انها لفظة حبشية ، وتاريخكم حفيل بالذين قرأوا الحضارات وترجموها ومثلوها ٠٠ فأخرجوا الانموذج الحضارى منها ٠٠ حتى أصبحت أمة الاسلام باللسان العربى باعثة الحضارة الوسيط ٠٠ فحضارتكم ٠٠ حضارة الامة الوسط هى التى جمعت القديم فصنعت الدنيا كلها الحضارة الحديث ٠ فلولا الصفر والمعادلات الجبرية لماكانت الفيزيا والكيميا ، ولما كان الصعود الى الفضاء٠٠

هكذا انتم ، وهكذا نسير بهذه المجلة ولعلها ان امتد لها عمر أن تتطور الى جامعة ثقافية علمية ٠

والله ولى التوفيق

محمد حسين زيدان

النزاع التركي - المصري على وتدخل الحكومة

دراسة تحليلية للخلاف الذى نشب حول احقية امتلاك هذا الجـــزء الشمالى الغربى من شبه الجزيرة العربية على ضوء الوثائق البريطانية العثمانية

للدكتور صالح محمد العمرو
رئيس قسم التاريخ - اداب الرياض

شمال الحجاز وسيناء البريطانية (١٨٨٤-١٩٠٦)

قبل ان ندخل في تفاصيل موضوعنا هذا لا بد من اعطاء فكرة ولو موجزة عن الظروف التي مهدت لحاكم مصر محمد علي باشا-التابع للدولة العثمانية اسميا - للاستيلاء على الحجاز • ذلك الاستيلاء الذي اعطى احفاده صبغة شبه شرعية للدخول في منازعات مع الدولة العثمانية حول امتلاك منطقة شمال الحجاز وسيناء •

كما هو معروف ان الحجاز دخل طواعيته في سنة ١٥١٧ تحت حكم الدولة العثمانية ، وذلك عندما ارسل الشريف بركات ابنه ابونمي الى مصر ومعه مفاتيح الكعبة ليسلمها للسلطان العثماني سليم الاول، كرمز لخضوع والده ، وان الحجاز اصبح جزءا من الدولة العثمانية•

لقد اكتفى سليم من بركات بالاعتراف الاسمي للسيادة العثمانية وذكر اسمه في خطب الجمعة والاعياد • ومنذ ذلك الحين وحتى بداية القرن التاسع عشر والسلطة الحقيقية تتركز بيد الاشراف . ولم يحـاول الاتراك - الذين كانوا فيما يبدوا قانعين بهذا الوضع او غير مكترثين لما كان يحدث في الحجاز - ان يقضوا على الشرافة ويحكموا الحجاز حكما مباشرا •

ولكن في بداية القرن التاسع عشر طرأت احداث جديدة على منطقة الحجاز جعلت السلطان محمود الثانى (١٨٠٨ ـ ١٨٣٩) يتدخل في شئونها ، هذه الاحداث هى استيلاء السعوديين على الحجاز في الفترة مابين ١٨٠٢ ـ ١٨١١ م ·

لم يكن هذا الحدث بالشيء الهين على سلطان كان يعلق أهمية كبرى على حيازته للاماكن المقدسة والادعاء بكونه حـــامى الحرمين الشريفين · وبما أنه لم يكن باستطاعته أن يسير جيشا عثمانيا لاسترداد الحجاز، ذلك بسبب ضعف الدولة العثمانية انداك وكثرة مشاكلها الداخلية والخارجية لهذا التفت الى ولاة المناطق العربية القريبة من الحجاز ليحققوا له هذا الهدف · وبما أن ولاة العراق والشام قد سبق وأن فشلوا حتى فى صد السعوديين عن اراضيهم ، لذلك لم يكن أمام السلطان الا اختيار واحد وهو وهو أن يجرب حظه مع والى مصر محمد على الذى كان انداك قد استطاع أن يثبت مركزه فى مصر بعد أن قضى على خصومه ·

استجاب محمد على لطلب السلطان واستطاع فى غضون خمس سنوات ١٨١١ ـ ١٨١٥ م ان يستولى على الحجاز ولكنه بدلا من ان يعيده للدولـــة العثمانية ـ كما هو المفروض ـ ابقاه لنفسه·كان محمد على يدركمدىضعف الدولة العثمانية وكان يحلم باقامة امبراطورية عظيمة على حسابها ، لذلك لم يكتف بالاستيلاء على الحجاز واجزاء كبيرة من الجزيرة العربية بل وجه جهوده وامكانياته للقضاء على الدولة العثمانية · وقد استطاع جيشه الذى كان تحت قيادة ابنه ابراهيم أن يستولى على الشام وأن يلحق هزيمة منكرة بالجيش العثمانى فى نصيبين سنة ١٨٣٩م · وكان باستطاعة ابراهيم باشا أن يستولى على العاصمة العثمانية بعد أن صار الطريق أمام جيوشه مفتوحا بعد نصيبين لولا وقوف الدول الاوروبية خاصة انجلترا والنمسا فى وجهه واجباره فى سنة ١٨٤٠م على الانسحاب من جميع الاراضى التى احتلها بما فى ذلك الحجاز ·

حقيقة أن محمد على سحب جيوشه وممثليه من المدن الحجازية الكبيرة ولكنه ابقى على الحاميات المصرية فى موانىء الوجه والمويلح وضبا والعقبة فى شمال الحجاز · هذه الموانىء الصغيرة لم يكن لها اية اهمية تجارية أو استراتيجية ولكنها كانت تمتلك ميزة خاصة وهى كونها تقع فى طريق الحج المصرى · وفى الغالب انه لولا هذه الميزة لما فكر محمد على بابقائها تحـت حكمه ·

كان الاتراك يعرفون انذاك أن بقاء هذه الموانىء تحت الحكم المصرى غير شرعى وانه يتعارض مع الفقرة الملحقة لماهدة لندن سنة ١٨٤٠م حول انسحاب المصريين من جميع الاملاك العثمانية ، ولكنهم على رغم ذلك لم يثيروا هذا الموضوع لعدم اهميته بالنسبة لهم ٠

أما المصريون الذين حصلوا على مركزهم هذا عن طريق الامر الواقع لا عن طريق الاتفاق فقد استمروا فى ادارتهم لهذه الاماكن وارسال الجنود لها (١) لحماية حجاجهم المارين بهذه الاماكن حتى عام ١٨٨٧ م ٠

لم يحاول الاتراك حتى عام ١٨٨٤ أن يتدخلوا فى شئون هذه الموانىء او يعطوها أية أهمية ، وحتى سلاطينهم فى مراسيم تنصيبهم لخديوات مصر كانوا يتعمدون تجاهل اثارة موضوع هذه الاماكن ٠ ولكن فى أواخر هذه السنة بدأت الامور تأخذ مجرا اخر ، وذلك عندما اتضح لوالى الحجاز القدير عثمان نورى باشا ١٨٨٢ ـ ١٨٨٦ أن المصريين يحاولون تمكين مركزهم فى هذه الاماكن عن طريق بناء قلاع جديدة فى بلدة الوجه اخر هذه الموانىء من ناحية الجنوب ٠

حالما تأكد عثمان نورى باشا مما يجرى فى الوجه أبرق الى الصدر الاعظم يخبره بذلك ، وفى نفس الوقت ارسل مذكرة الى استانبول يشرح فيها الوضع ، ويؤكد أن المصريين ليس لهم أى حق فى أن يكونوا هناك ، وأنهم أنما تركوا فقط يديرون هذه الاماكن لانها تشكل نقطة وصل فى طريق حجاجهم الى الاماكن المقدسة ، كما أوضح أن حدود ولاية الحجاز فى السابق تمتد حتى خليج العقبة ٠ وختم الوالى مذكرته باقتراحه انه يجب أن تعين حدود الحجاز بشكل لا يسمح لاية دولة اجنبية قد تحتل مصر فى المستقبل (٢) ان تدعى الحق فى التدخل فى شئون الحجاز (٣) ٠

بعد اجتماع وزارى فى استانبول قرر الباب العالى باتفاق مع الخديوى (٤) ارسال قوة عثمانية صغيرة من الحجاز لاحتلال الوجه (٥) ٠ ومع أن العثمانيين لم يقوموا فى الحال بارسال هذه القوة الا أنه يبدو أن استرداد هذه الموانىء بات من الامور البديهية بالنسبة للسلطان وحكومته ٠

والسؤال الذى يتبادر الى الذهن هنا هو : هل كان نشاط المصريين فى الوجه هو السبب فى عزم الاتراك على استرداد هذه الاماكن ؟ أو انهم انما اتخذوا من هذا النشاط حجة لتدخلهم ؟ ٠

لا شك أن الاتراك كانوا عازمين عى استرداد هذه الاماكن وانهم انما

اتخذوا من نشاط المصريين هناك مبررا لتنفيذ ما عزموا عليه وذلك لعدة اسباب : ـ

١ ـ أن فتح قناة السويس فى عام ١٨٦٩ اعطى اهمية خاصة للمنطقة مما جعل الدولة العثمانية تحاول احكام قبضتها ليس فقط على الحجاز وانما على اماكن اخرى غيرها فى غرب الجزيرة العربية مثل اليمن وعسير ٠

٢ ـ ان فتح قناة السويس ادى الى استغناء الحجاج المصريين عن المرور فى هذه الاماكن ، واذا فمن البديهى أن تعود ملكية هذه الاماكن الى اصحابها الشرعيين ٠

٣ ـ أن مجرد حصول الاتراك على ارض مدين التى تقع فيها هذه الموانىء ستوفر عليهم الاضطرار الى المرور عبر القناة ، وما يترتب عليه من رسوم ، وما ينتج عنه من احراج، اذ كيف يدفعون رسوما لبلد يعتبرونه جزءا من امبراطوريتهم (٦) ٠

٤ ـ أن الاتراك قد يتسامحون أو يغضون النظر عن ترك هذه الاماكن تدار بواسطة حكومة ضعيفة كالخديوية ، ولكن مادام الامر قد تغير واصبحت مصر نفسها تدار بواسطة الحكومة البريطانية منذ سنة ١٨٨٢ ، فلا بد من المطالبة بهذه الاماكن ، لانهم ان اهملوها فستعتبرها الحكومة البريطانية جزءا من الاراضى المصرية ، وبهذا تقترب مناطق النفوذ البريطانى كثيرا من الاماكن المقدسة ، التى يعتبرها السلطان عبد الحميد فى اكثر من وجه أعظم أهمية من أية منطقة فى الامبراطورية ٠

بعد ثلاث سنوات مما حصل فى سنة ١٨٨٤ م ارسل الاتراك قوة تركية من الحجاز تقدر بمائتى جندى ليحتلوا الوجه ، ثم اتبعوا هذه الخطوة بارسال قائمقام وموظفين ليديروا شئونها (٧) وقد دخلت القوة التركية الوجه بدون مقاومة من الحامية المصرية التى لم تنسحب فى الحال من الميناء ٠ ويبدو ان بقاءها هذا كان راجعا الى رغبة البريطانيين ، لا عن تغيير فى سياسة الخديوى الذى كان قد وافق فيما قبل على تسليم الوجه للاتراك ٠٠

أنه من دواعي السخرية أن يقف البريطانيون في صف خديوى مصر ويحاولون اقناعه بالاحتفاظ بهذه الاماكن بعد أن وقفوا في الماضي ضد جده محمد على واجبروه على الانسحاب من جميع الاراضي التي احتلها من من الدولة العثمانية عدا هذه الاماكن التي لو كان لها اية قيمة انـذاك ما سمحوا له البقاء فيها • لقد وقفوا الان ضد الدولة العثمانية التي كانوا قد وقفوا في صفها في الماضي وانقذوها من انهيار محقق على يد محمد على• ولكن على أية حال لم يكن تصرف البريطانيين في كلتا الحالتين نابعا من حبهم لهذا أو لذاك وانما كانوا يتصرفون طبقا لمصالحهم الخاصة • ففي الماضي كان في سيطرة محمد على القوى على شاطىء البحر الاحمر وقضائه على الدولة العثمانية خطرا اكيدا يهدد مصالحهم الخاصة في المنطقة وطريق مواصلتهم للهند ، بينما قد اصبحوا حكام مصر الفعليين بعد عام ١٨٨٢ فمن مصلحتهم ان تشمل الاراضي المصرية جميع المناطق القريبة من القناة•

حالما احتل الاتراك الوجه ارسل القنصل العام البريطاني في مصر سير افيلن بيرنج الذى صار اسمه فيما بعد لورد كرومر ، برقية الى حكومته يخبرهم فيها بما حدث ويشير الى أن الاتراك ليس لهم الحق بامتلاك الوجه • ولكنه يخبرهم فيها بما حدث مشيرا الى أن الاتراك ليس لهم الحق بامتلاك الوجه ولكنه في نفس الوقت يقترح انسحاب معظم الحامية المصرية ، اذ لم يعد لها أهمية كبرى هناك بعد أن صار الحجاج المصريون يسافرون الى الاماكن المقدسة عن طريق البحر بعد فتح قناة السويس (٨) •

لقد بني اللورد كرمور نظريته على أن الاتراك ليس لهم الحق في استرداد هذه الاماكن على اساس المرسوم السلطاني لتولية الخديوى سنة ١٨٧٩ م (٨) • ولكن من الحقيقة ان الاساس الذى بنى اللورد كرمور نظريته عليه كان واهيا ، ولا شك انه يعلم ذلك ولكنه في محاولته لاثبات دعواه اشبه بالغريق الذى قد يتشبث بأى شيء في سبيل النجاة فالفرمان هذا لم يعين هذه الاماكن ضمن الاملاك المصرية ، وكلما ذكره هو أن حدود الخديوية المصرية تشتمل على حدودها السابقة وما ضم اليها من أراض • ولم يكن يقصد في الفقرة الاخيرة من الفرمان مناطق شمال الحجاز ، اذ انه لم يحدث ابدا أن ضمت للاملاك المصرية ، وانما يشير الى اراضي

السودان واريتريا التى كان قد تنازل عنها السلطان للخديوى (١٠) ·

ولكن على الرغم من اقتراح كرمور انه من الاحسن ابقاء بعض افراد الحامية المصرية فى الوجه وموافقة حكومته على ذلك ، فان الحامية المصرية انسحبت جميعها تاركة الاتراك سادة المكان حتى الحرب العالمية الاولى ·

لم ينته الخلاف بين الاتراك والمصريين حول منطقة شمال الحجاز بمجرد استيلاء الاتراك على الوجه ، بل أن هذا الاستيلاء كان فى الحقيقة دافعا لهم ، ليطالبوا باستعادة بقية الموانىء شمال الوجه (قبا والمويلح والعقبة) · وكما ان بعث القضية أساسا جاء فى السابق عن طريق ولاية الحجاز ، فان اثارة الموضوع ثانية أيضا جاء عن طريق نفس الولاية · ففى سنة ١٨٩١ م وبعد اربع سنوات فقط من استيلاء العثمانيين على الوجه ارسل والى الحجاز مذكرة الى حكومته يخبرهم فيها انه حصل على معلومات من قائمقام الوجه عن طريق محافظ المدينة ، تفيد بأن المصريين يقومون بتقوية حصونهم فى موانىء المويلح وضبا والعقبة · وختم الوالى مذكرته بقوله : « اننا ننتظر موافقتكم ليقوم محافظ المدينة باتخاذ الخطوات اللازمة لاسترداد هذه الاماكن وطرد المصريين من هناك » (١١) ·

كان السلطان عبد الحميد فى هذه الفترة بالذات قد صمم على استعادة منطقة شمال الوجه مهما كلفه الامر ، والسبب فى ذلك هو ماوصله من معلومات عن أن مجموعة من اليهود يحاولون أن يؤسسوا مستعمرات يهودية فى هذه المنطقة ككل ، وفى منطقة العقبة بصفة خاصة · بل أن الاخبار وصلته بأن هؤلاء اليهود وصلوا فعلا للمنطقة ، وانهم استطاعوا الحصول على بعض الاراضى وبدأوا يهيئون لتأسيس القرى والمدن (١٢)·

لم تكن هذه المعلومات مجرد اشاعة بل انها كانت صحيحة ، والذى قام بالفكرة ومحاولة تنفيذها هو أحد يهود المانيا البارزين وهذا ما أثبته لورد كرمور ايضا عندما ذكر ان مجموعة من اليهود يسعون لانشاء مستعمرة على الشاطىء الشرقى لخليج العقبة (١٣) · وبسبب خشية السلطان عبد الحميد من استقرار اليهود فى جزء من ممتلكاته ، قام سرا بطلب تسليم موانىء المويلح وضبا كخطوة اولية من الخديوى · ولا يستبعد أن يكون

السلطان قد صارح حاكم مصر بتخوفه من اليهود وخطرهم على البــلاد الاسلامية ٠ ولكن قبل أن تصل موافقة الخديوى أو عدمها بتسليم هذه الاماكن ، وصلت هناك فى أوائل سنة ١٨٩٢ قوة تركية من المدينة ،وطلب قائدها من قائد الحاميات المصرية تسليمه هذه الاماكن ، فرفض الاخيــر الطلب قائلا انه لا يقبل الاوامر الا من القاهرة ٠ وعندما علمت الحكومة المصرية بذلك خشيت من نشوب نزاع بين القوتين ، فأرسلت الى المويلح وضبا كتيبة صغيرة مكونة من خمسة وعشرين جنديا تحت قيادة ضابط انجليزى ، اعطى الاوامر بأن يحول دون نشوب نزاع أو مشاكل بيــن القوتين المصرية والتركية (١٤) ٠ ولقد تضايق السلطان كثيرا لوصول هذه الكتيبة ، خاصة انها وضعت تحت قيادة رجل اجنبى تقف دولته حجر

عثرة فى سبيل استعادته لهذه الاماكن ٠ لذلك أوصى صدره الاعظم بأن يطلب من المصريين أن يضعوا حدا لهذا الوضع ، وذلك بسحب قواتهم من هناك وبدون تأخير ، واشعارهم بأن ارسال قوة بدون اذن مسبق مـــن السلطان أمر لن يكون مقبولا ابدا من الدولة العثمانية ، وانه يجب على مصر والولايات المحيطة بمنطقة النزاع ان يتجنبوا القيام بمثل هذه الاعمال غير المشروعة ، أو تكرار مثل هذه الحادثة ٠ كذلك أوصاه بأن يكون مستعدا للدفاع عن موقف الدولة العثمانية الحازم بخصوص هذه الاماكن ، في حالة اثارة السفير البريطانى فى استانبول لهذا الموضوع (١٥) ٠

لقد ادعت الحكومة العثمانية انه لم يكن لها علم مسبق بارسال قوة من المدينة لاحتلال هذه الاماكن ، وأن هذا كان راجعا الى تصرف والى الحجاز ، ولذلك امرت قوتها بالانسحاب الى المدينة (١٦) ٠

ولكن على الرغم من سحب القوة التركية ، فقد استمر السلطـــان وحكومته يطالبون بشدة باعادة ملكية هذه الاماكن اليهم ٠ ففى فبراير ١٨٩٢ ارسلت الحكومة التركية برقية الى الخديوى جاء فيها أن المصريين انما سمح لهم فقط بادارة المويلح وضبا والعقبة كامتياز من السلطان لهم عندما كان محمل الحج المصرى يسافر عن طريق البر ، اما وقد تغير الوضع بعد فتح القناة حيث صار الحجاج يسافرون للاماكن المقدسة عن طريقها ، فقد انتهت ضرورة ابقاء هذه الاماكن تحت الادارة المصرية ، ولذلك فان الباب العالى يطالب باعادة ضمها الى الامبراطورية العثمانية ٠ لقد اشارت

البرقية الى زيادة أهمية شواطىء البحر الاحمر والمناطق المطلة عليـــه لمواصلات الدولة بعد فتح القناة واكدت أن منطقة النزاع (ضبا والمويلح والعقبة) لم تدخل ابدا فى حدود مصر التــى اعطيت لجده محمد على . وختمت البرقية برجاء الدولة العثمانية ان يعطى الخديوى لممثليه الاوامر الضرورية بأن يسلموا هذه الموانىء الثلاثة للموظفين الذين سيعينون لهذا الغرض من ولاية الحجاز (١٧) .

حالما وصلت البرقية للخديوى واطلع عليها القنصل العام البريطانى كرومر أوصاه الاخير بأن يجيب الدولة العثمانية بـ « انه لا مانع من تسليم هذه الاماكن للدولة العثمانية على شرط ان تتخلى الدولة عن سينـــاء للخديوى » (١٨) .

لقد اضطر الاتراك وهم يعرفون أن الخديوى ليس له سلطة حقيقية، وأن السلطة بيد الانجليز ، الى الدخول فى مفاوضات مع الاخرين على أمل الوصول الى تسوية للمشكلة . ولذلك فان سفيرهم فى الندن (رستم باشا) قام بمحاولتين لدى وزارة الخارجية البريطانية من أجل تصفية النزاع جاءت المحاولة الاولى فى الرابع من فبراير ١٨٩٢ عندما اتصل رستم بمستر فين W.fane احد موظفى وزارةالخارجية البريطانية . ففىالاجتماع الذى عقد بينهما ، شرح رستم شرعية الادعاءات التركية بامتلاك ضبـــا والمويلح والعقبة . ثم احتج على ارسال الكتيبة المصرية تحت قيادة الضباط الانجليز قائلا أن المصريين قد سمح لهم فى الماضى بارسال جنود غيـــر نظاميين فقط (باشى بازوك) ، ولذلك فانه يجب أن ينسحبوا مع الحاميات المصرية من هذه الاماكن (١٩) .

كان وصول الكتيبة المصرية فى الحقيقة الداعى لان يصرح الصدر الاعظم بأن الحكومة المصرية تخطط لتوسيع اراضيها على حساب ولايـــة الحجاز « أن المصريين لم يفكروا فى الانسحاب من العقبة بل انهم يقترحون اعادة احتلال نقاط معينة على الساحل الحجازى » . وختم الصدر الاعظم قوله بأن دولته ستقاوم مثل هذه الخطوة بالقوة اذا لزم الامر (٢٠) .

اما المحاولة الثانية فقد جاءت عندما اتصل السفير رستم بوزير

الخارجية البريطانية ساليزبرى Salisbury فى حوالى الخامس من فبراير ١٨٩٢ م . فقد تكلم رستم مع وزير الخارجية عن الاساس الذى تبنى حكومته مطالبتها لهذه الاماكن عليه ، وأكد أن الحدود المعينة على الخارطة التى ارفقت بالمرسوم السلطانى المؤرخ فى الاول من يونيه ١٨٤١ والموجودة الان فى القاهرة ، تبين أن حدود مصر هى ما وراء الخط المستقيم الواصل بين العريش ومدينة السويس (١٢) . لقد ابدى وزير الخارجية البريطانى استعداده للدخول فى مفاوضات حول الموضوع ، وحول ما اذا كان يجب أن تكون الحدود التركية تبدأ من العقبة أو من السويس (٢٢) .

بعد هذه المقابلة ارسل وزير الخارجية البريطانى برقية الى كرومر يسأله عن رأيه فى الموضوع وبحثه على تزويده بنسخة من خارطة عام ١٨٤١ م اذا كانت لا تزال موجودة : « سأكون سعيدا اذا ما اخبرت عن ما اذا كانت نقطة الحدود بين مصر والدولة العثمانية هى العريش-السويس وزودت بنسخة من الخريطة المذكورة ان امكن العثور عليها . اضافة على ذلك طلب الوزير كرومر أن يخبره عن الملابسات التى أدت الى ضم سيناء والشاطىء الشرقى للبحر الاحمر حتى الوجه لمصر وعلى اية اساس (٢٣).

حالما استلم كرومر برقية ساليزبرى فيالسادس من فبراير اجابةببرقية ذكر فيها قائلا ان الخارطة الملحقة لفرمان سنة ١٨٤١ لم توجد واعطى رأيه حول الموضوع قائلا « انه ليس هناك ادنى شك في ان الخارطات العادية المطبوعة منذ مدة طويلة تضع جزيرة سينا وارض مدين داخل الحدود المصرية » «اننى الفت نظر سيادتكم الى الاسطر الختامية من الفقرة الثانية من الفرمان الصادر في عام ١٨٧٩ م ، وانه ليس هناك مجال للنزاع في ان الاراضى المذكورة اعلاه داخلة في املاك معالى الخديوى حتى قبل فرمان ١٨٧٩ م بمدة طويلة » .

وفي ختام برقيته قال كرومر أنه لا يعتقد بأن من المصلحة السماح للباب العالى بان يمد حدوده حتى السويس ، وان المفاوضات هى افضل طريقة للوصول الى تسوية مع الاتراك بخصوص الحدود الشرقية لمصر » .(٢٤)

لقد كانت الدولة العثمانية في الحقيقة تمتلك نسخة من خارطة سنة ١٨٤١م وقد وافق الصدر الاعظم في بادىء الامر على ان يسلمها للحكومة البريطانية ، ولكنه غير رأيه وانكر وجودها بناء على امر من السلطان عبد الحميد . والسبب في ذلك انه اكتشف ان هذه الخارطة تتعارض مع فقرات من اتفاقية لاحقة ، هى اتفاقية قناة السويس مما قد يجعلها تساعد على خلق مصاعب جديدة للدولة وتضر بالدعوى التركية بدلا من ان تفيدها (٢٥) .

في التاسع من فبراير ١٨٩٢ م ارسل كرومر برقية ثانية مؤيدا فيها اراءه السابقة وموضحا انه من المستحيل العثور على نسخة من خارطة ١٨٤١م ، اذ أنه قيل أن محمد على قد احرقها عندما استلمها ، سخطا على الدولة التى حرمته من المكاسب التى احرزها على حساب الدولة العثمانية . لقد اعترف كرومر ان منطقة الحدود المختلف عليها وهى العريش والسويس كانت تشكل جزءا من باشوية عكا التى لم تعط ابدا لمحمد على ، ولكنه قال ان المصريين لم ينسحبوا على ما يظهر من سيناء او ارض مدين (٢٦) .

رغم ذلك استجاب الخديوى في العاشر من فبراير فجأة لطلب الاتراك وامر حاميته في كل من ضبا والمويلح بالانسحاب الفورى . اما بخصوص العقبة فلم يسحب جنوده منها بل كان يرى أنه يجب أن تدخل الاطراف المعنية اولا في مفاوضات من اجل الوصول الى حل لمشكلتها (٢٧) .

ويبدو ان ابقاء الخديوى على ميناء العقبة لم يكن راجعا الى اهمية بالنسبة للموانىء الاخرى ، وانما لكى يساعد على ذلك على تعيين الحدود بين الاتراك والمصريين ، اذا أن هذا الميناء هو اقصى الموانىء التى كان يطالب بها الاتراك من ناحية الشمال .

في حوالى الحادى عشر من فبراير ارسل الممثل العثمانى في مصر مختار باشا برقية الى حكومته يشير عليها بان تتخلى عن اية مطالبات بجزيرة سيناء . فأجابه الباب العالى بانه لا يمانع من ان تكون الحدود الى رأس خليج العقبة داخل الحدود التركية (٢٨) .

لقد ضايق الاتراك كثيرا تأخر المصريين في تسليم العقبة ولذلك فانهم صاروا يفكرون في الاستيلاء على هذا الميناء بالقوة . بهذه الطريقة كانوا يأملون على حد قول كرومر ان يواجهوا الحكومة المصرية بالامر الواقع . وقد سمع كرومر بنية الاتراك هذه لذلك اقترح ارسال السفينة الحربية البريطانية التى كانت انذاك راسية فى مدينة السويس الى العقبة، واعطائها التعليمات بأن تساعد الحامية المصرية هناك فى عدم تسليم الحصن حتى تتسلم الاوامر بذلك من القاهرة (٢٩) . رغم ذلك فأن هذه السفينة لم ترسل على مايبدو للعقبة لان الاتراك لم يضطروا الى محاولة اخذ العقبة بالقوة لوصول الطرفان الى تسوية للمشكلة . كانت هذه التسوية تتضمن تسليم العقبة للاتراك مقابل موافقة السلطان على ان تدار سيناء بواسطة الخديوى « تماما كما كانت تدار بواسطة الخديويه ايام والد الخديوى وجده » (٣٠) .

بعد هذه التسوية كتب الخديوى للحكومة التركية معبرا عن شكره وطاعته للسلطان ومعلنا انسحاب جيوشه من العقبة (٣١) . وقد تم انسحاب الحامية المصرية التى تتكون من ضابط وعشرة جنود في الثالث عشر من ابريل ١٨٩٢ الى مكان يسمى (مونابى) على الشاطىء الغربى من خليج العقبة (٣٢) . وبناء على التسوية الجديدة فأن الحكومة المصرية ستدير منطقة سيناء التى تقع غرب خط اصطلاحى يمتد في الشمال من نقطة شرقى العريش مباشراة الى رأس خليج العقبة جنوبا (٣٣) .

لقد بدا انذاك ان النزاع الاقليمى الذى عكر صفو العلاقات التركية المصرية طيلة الثمان سنوات الماضية او ما يقاربها يوشك على نهايته . ذلك ان الاتراك قد حصلوا على ما كانوا يهدفون اليه منذ سنين عدة ، وهو اخراج المصريين من شمال الحجاز ، كما ان المصريين كانوا بدورهم على مايبدو مقتنعين بأن يحصلوا في الاخير على شىء يشبه الحدود الثابتة مع الاتراك ولاول مرة فى تاريخهم بعد أيام محمد على .

هذه الاتفاقية رغم ذلك لم تدم فى الحقيقة اكثر من عشر سنوات . ففى سنة ١٩٠٣ دخل فجأة عامل جديد ، وهو بناء الخط الحديدى الحجازى ، ليثير النزاع من جديد وبصورة اشد حول مسألة الحدود بين

البلدين ٠ كان لاثارة هذا الموضوع من جديد دلالة خاصة ، اذ أنــــه اعطى الاتراك القناعة بأن عليهم فى هذه المرة الا يقفوا عند حد معين في طلباتهم حتى يصلوا الى الحدود القديمة لولاية الحجاز ، اى حتى يدخلوا العريش وجزء كبير من سيناء تحت سيطرتهم (٣٤) ٠

لقد سبق أن أعلن الاتراك فى سنة ١٨٩٢ أن منطقة نفوذهم تشمل معظم سيناء وحتى بلدتى السويس والعريش ، ولكنهم انذاك اختاروا ان يركزوا جهودهم للحصول على الاماكن الاكثر قربا وحساسيــة ، والاهم استراتيجية بالنسبة للاماكن المقدسة ، تاركين موضـــوع سيناء والسويس والعريش الى مناسبة اخرى (٣٥) ٠ وحتى السلطان نفسه في مرسومــه الصادر في سنة ١٨٩٢ بين ان الحدود المصرية تقع غرب السويس والعريش، الا انه تراجع عن ذلك عندما احتجت بريطانيا على هذا التحديد وقبل خط العقبة_العريش ٠ ولكن عندما اثيرت مسألة الحدود ثانية صار هذا المرسوم الاساس لخلافات سنة ١٩٠٣ ٠

لقد اخذ النزاع الجديد صبغة جديدة عما كان عليه فى السابق،ففى هذه المرة اخذت الحكومة البريطانية علنا على عاتقها الدفاع عن ممتلكات الخديوى والحاكم الاسمى لمصر ، بدلا من الاكتفاء بتدبير الامور خلــــف الستار باسم الخديوى (٣٧) ٠

ان الشعور بعدم الثقة والذى صار يزداد لدى الحكومة البريطانية تجاه السلطان **عبد الحميد** منذ أواخر القرن التاسع عشر كان سببه ربط الاخير نفسه بعلاقات ودية مع الالمان من جهة وعزمه على مد خط حديد الى الاماكن المقدسةمارا بالعقبة ، مع مسح للمنطقة ما بين العقبة والعريش من جهة أخرى ٠ ان مثل هذا الخط ، فى نظر بعض المسئولين البريطانيين ، سيكون له مضار كبيرة على المصالح البريطانية على رأسها انه سيسهل عملية نقل الجيوش مما قد يشجع الاتراك علىغزو مصر ٠ فمثلانجد أن الكولونيل مانسل **Maunsell** الملحق العسكرى البريطانى فى استانبول يعتقد بأن الدوافع وراء هذا الخط هى استراتيجية بحتة ولا دخل للدين فيها ، وانها لن تمتد الا الى العقبة (٣٨) ٠ ولكن مستر مانسل رغم ما يراه من أهمية لهذا الخط بالنسبة للاتراك ، وانه لو نفذ سيساعد الاتراك فعلا على

حشد جيوشهم فى العقبة والعريش ، اذا ارادوا الهجوم على الاراضىالمصرية الا انه مقتنع بعدم اهميته الاستراتيجية اذا كان الهدف هو الاعتداء عن طريق هذه الاماكن لوقوع العقبة دوما تحت رحمة الاسطول البريطانى في البحر الاحمر ، وكون العريش مكشوف للعمليات البحرية من البحـــر الابيض · ويستنتج مانسل ان الاتراك ما قاموا بمسح الطريق من العريش الى العقبة الا لاثارة مسألة الحدود مع مصر لمعرفة نقاط الحدود الاكيدة· وقد ذكر مانسل أن كرومر فى خطابه رقم ٤١ المؤرخ فى ١٨ مارس ١٩٠٢ اكد على أن آخرنقطة للحدود المصرية فى سيناء من ناحية الجنوب هـــى العقبة ، ولكن دون أن يوضح ما اذا كان الحصن والقرية داخلان فى هذا التحديد · وكان رأى مانسل حول هذه النقطة بأ الحل هو مد خـــط الحدود المصرية على هذه الاماكن حتى لو لم يذكر ذلك كرومر ، ما دام أنه يبدو أن ليس للاتراك أى تواجد هناك (٣٩) ·

لقد تجاهل مانسل فى نظرى عمدا كون الاتراك لهم فى الحقيقة ادارة وحامية هناك تحت رئاسة قائمقام ، وذلك من أجل أن تستسهل دولته أمر مد حدود مصر لتشملها ، فلا يتصور أن رجلا عسكريا كان يعيش فى قلب الدولة العثمانية ومهتم بهذه المشكلة يجهل وضع بلدة تدار من قبل الاتراك لعدة سنوات ·

اما مستر م·فيندلى (القنصل البريطانى فى الاسكندرية) فقد أعطى رأيه فى هذا الموضوع متفقا مع مانسل فى بعض النقاط ومختلفا معه فى البعض الاخر · ففى كتاب ارسله لوزير خارجيته اكد أن العقبة تعتبر منذ الثالث عشر من ابريل سنة ١٨٩٢ منطقة تركية ، على عكس العريشـــ الواقعة داخل الحدود المصرية · وفى نظره ان الخط الحديدى المزمع بناؤه له جوانب ايجابية وجوانب سلبية بالنسبة لمصالح دولته · ففى الجانب السلبى يرى أن الاتراك سوف يعزفون عن المرور فى قناة السويس وبالتالى فأنهم سيوفرون على انفسهم دفع رسوم المرور لمصر · واما الايجابى فهـــو يرى أن الاتراك سيضطرون الى بناء محجر صحى خاص بهم فى العقبة أو في أى مكان آخر مما سيكون له اثر على تخفيف الضغط عن المحجر الصحى المصرى فى الطور ، وبالتالى الحد من المصاريف التى كانت تصرف عليه ·

وقد وافق فيندلى رأى مانسل فى أن للخط اهدافا استراتيجية ، ولكنه

يبدى شكوكه فى أن يكون للاتراك نية فى الاعتداء على ارض مصرية بسبب قسوة الطبيعة فى سيناء وصعوبة تسيير جيش عبر صحاريها الوعرة الخطرة ، وكون مينائى العقبة والعريش مكشوفين للعمليات الحربية • وهو يرى أنه ليس هناك مشكلة فيما لو أرادت حكومته الحاق العقبة بالارض المصرية كما يقترح مانسل ، ولكن فى هذا ارتكاب خطيئة ازاحة جار لحد جاره • ولذلك فهو ينصح بعدم القيام بمثل هذه الخطوة (٤٠) •

ولو أن هذا الموضوع انتهى كما بدأ بدون حدوث صراع أو حتى مباحثات مع الاتراك ، فقد بدا من الواضح ان المشكلة ستظهر أن عاجلا أم اجلا مرة اخرى • وهذا هو ما حدث بالفعل ، اذ انه بعد سنتين فقط ظهرت مشكلة الحدود ولكن بصورة اكثر خطورة من ذى قبل حيث كادت أن تجر بريطانيا وتركيا الى الحرب • وعلى عكس ما كان يحدث فى السابق/ان بريطانيا فى هذه المرة هى التى بعثت مشكلة الحدود • كانت بريطانيا تريد مبررا لاثارة المشكلة ، لذلك فقد وجدت فى مسألة الامن فى سيناء ضالتها فارسلت موفدا من قبلها الى قرية النخل ليزودها بمعلومات عن وضع الامن هناك • وقد اعطته قوة صغيرة لتكون تحت تصرفه وامرته بأن يبنى دار حكومة ومسجدا وقلاعا فى ذلك المكان • تلت هذه الخطوة وبعد مدة قصيرة تعيين هذا الموفد رسميا قائدا ومفتشا لسيناء • ولو أن هذا العمل يبدو من ظاهره عمل ادارى بحت ، هدف منه تنظيم وضع المنطقة وايجاد نوع من الرقابة على تصرفات البدو هناك ، الا أن الحكومة التركية شككت في نوايا البريطانيين واعتقدت ان هدفهم من ذلك التدخل فى مشروع الخط الحديدى الحجازى (٤١) •

لم ينته الامر عند هذا الحد بل ازداد سوءا عندما أوعزت بريطانيا لموفدها بأ يقوم ببناء مركز بريطانى على مشارف العقبة • وقد حاول المفتش البريطانى تنفيذ امر حكومته هذا ولكن قائد العقبة التركى رشدى باشا منعه من ذلك واعاده من حيث اتى • عندئذ اخبر المفتش حكومته بما حدث فأرسلت تطلب من السلطان أن يوافق على تعيين لجنة مشتركة لتحديد الحدود بين سيناء وولاية سوريا ، فلم يأبه السلطان لهذا الطلب (٤٢) • أما الصدر الاعظم فقد اصدر بيانا بمناسبة طلب البريطانيين هذا ، وذلك فى التاسع من يناير ١٩٠ اكد فيه انه ليس هناك من داع الى تعيين مثل

تلك اللجنة لان مصر ليست بلدا أجنبيا وانما هى جزء من الدولـــة العثمانية • ولم يكتف الصدر الاعظم بذلك بل انه اوعز الى حاكم العقبة التركى بمنعهم من بناء مركز قرب العقبة وان حدث وتمكنوا من بنائه على حين غرة فان عليه أن يقوم بهدمه • ولدعم موقفه هذا اقترح الصـــدر الاعظم بان تؤخذ الاستعدادات اللازمة للدفاع عن المنطقة • وذلك بارسال قوات اضافية للعقبة وارسال سفن حربية للدفاع عن شواطئها • وقـــد أوكلت المهمة للجيش الخامس التركى (٤٣) •

وبما أن السلطان قد تجاهل طلب تحديد الحدود ، فقد ارسلـــت الحكومة البريطانية سفينة تحمل قوة صغيرة تحت قيادة براملى بـــــاى قائد ومفتش سيناء واعطته الاوامر لانزال هذه القوة في مكان يسمى طابا ، قرب العقبة • وقد نجحت هذه القوة فى ذلك رغم محاولة قائد العقبة التركى منعها من ذلك (٤٤) • ويبدو أن الدافع وراء هذه الخطوة هو اما خوف البريطانيين من أن الاتراك ينوون مد فرع لخط الحديد الحجازى يصل الى غربى العقبة وربمـــا حتى السويس ، أو الى كونهم يريدون ان يضعوا نهاية لاى ادعاءات تركية فى الاراضى المصرية •

لقد أرادوا باتخاذهم لهذه الخطوة أن يبنوا للاتراك ـ الذين أوضحوا أن لهم ايضا اهتماما كالبريطانيين فى قناة السويس نظرا لممتلكاتهم على البحر الاحمر (٤٥) ـ انهم عازمون فى هذه المرة على عدم التنازل عن أى شبر من الاراضى المصرية ، وانهم لن يقبلوا أى تعديل على اتفاقية سنـــة ١٨٩٢ •

حالما نزلت هذه القوة الصغيرة فى طابا ارسل الصدر الاعظم الى الخديوى برقية يشتكى فيها من هذا التصرف • فاستجاب الخديوى لذلك بأمره على هذه القوة بالانسحاب الى جزيرة فرعون القريبية • ولكـــن رغم استجابته لتشكى الصدر الاعظم الا أن رده عليه كان يتضمن تأكيده على أن طابا كانت منذ مدة طويلة تدار بواسطة السلطات المصرية ، كمـــا اشار الى أن برقية سنة ١٨٩٢ قد أثبتت ابقاء الامر على ماكان عليه بالنسبة لسيناء • وبالمقابل قام مختار باشا ممثل السلطان في مصر بتقديم تقرير الى الحكومة المصرية أكد فيه على أن خط الحدود من الغرب كان يقع على السويس

ـ العريش ، وورد فيه ماقيل في اكثر من مناسبة من أن مصر هى في الحقيقة جزء من الدولة العثمانية ولذلك لا داعى لتعيين حدود بينهما (٤٦) ٠

عندما قرأ الخديوى الذى كان يميل الى الاتراك والذى كان يراسلهم سرا عكس مراسلاته الرسمية لهم (٤٧) هذا التقرير أرسل خطابا سريا للصدر الاعظم عبر فيه عن ميله لدعوى الاتراك ، وبين فيه أن أمـــر تحليل الفرمان يقع في يد الجهة التى اصدرته ٠ وكان رأيه ان اى بلد يترك احد مناطقه تدار بواسطة بلد اخر له الحق فيإستعادتهامتى شاء اذا مارغب في ذلك ، ولمح الى انه لولا الوجود البريطانى في مصر لجعل الاتراك يأخذون ما يريدون ٠ وقد اقترح بان يرسل له الباب العالى برقية يحدد فيهـــا حسب رأيه المنطقة التى يجب ان تدخل ضمن حدود الحجاز في نفس الذى يعين فيه النقاط التى يجب ان تقف عندها الحدود المصرية ٠ واقترح ان تكون هذه على شكل اوامر تبدو وكأنها قطيعة ، وأن يلتفتوا الى اجابته بالرفض (٤٨) ٠

بعد انسحاب المصريين من طابا احتلها الاتراك ، هذه الخطوة التى كانت كفيلة بان تجعل اللورد كرومر ـ الذى ازعجه الحماس الدينى في مصر للاتجاه الاسلامى الذى كان ينادى به السلطان عبد الحميد ـ يصرح بأنها محاولة مقصودة من جانب الاتراك لكى يمدوا حدودهم الى القنـــاة (٤٩) ٠

في اوائل سنة ١٩٠٦ طلب السلطان عبد الحميد انسحاب الجيوش المصرية من بعض النقاط في جزيرة سيناء على اساس ان تحل محلها الجيوش التركية ٠ ولم يقتصر الامر عند هذا الحد وانما طالب ايضا بانسحـــاب المصريين من جزيرة تيران ، المكان الوحيد المناسب لرسو السفن في خليج العقبة ٠ وكان رد فعل بريطانيا حول هذه المطالب هو ما ذكره السير ادوارد جراى وزير الخارجية البريطانية من أن « مسألة الحق لهذه الاماكن اعتمدت على الاستعمال الطويل لها ، وما اثبتته برقية الصدر الاعظم المـؤرخة في الثامن من ابريل سنة ١٨٩٢ التى يفهم منها انها تعطى الخديوى الحق في ادارة سيناء بنفس الطريقة التى كانت تدار عليها بواسطة ابيه وجده »٠ وقال « ان فعل الاتراك هذا انما هو اخلال دونما سبب لهذه الاتفاقية التى

دامت لعدت سنين » (٥٠) • وقد اشار جراى الى أن اللورد كرومر رأى في مطالب الترك هذه ومحاولتهم مد حدودهم الى القناة هدف واحد ، وهو مد خط حديد يصل الى حافة القناة ، يكون له كبير الاثر على تهديد سلامة مصر وحرية العبور في القناة • اضافة على ذلك فأن تنفيذ رغبة الاتراك سيؤدى الى تقسيم سيناء وجعل خليج العقبة ـ المناسب لقوارب الطوربيد ، والواقع على مسافة مناسبة لضرب الخطوط البريطانية الى الهند ـ في يد الاتراك • ولو تحقق ذلك لاصبحت الحدود التركية لا تبعد اكثر من مائة ميل فقط من قناة السويس ، وعلى مقربة من بلدة النخيل الاستراتيجية ، ولا انتقلت السيادة على قبائل كانت منذ القدم تحت الحكم المصرى الى الحكومة التركية (٥١) •

لذا اقترحت الحكومة البريطانية تكوين لجنة مشتركة لتحديد الحدود ، ولكن الاتراك رفضوا ذلك • واقترح الخديوى على الحكومة التركية اتخاذ برقية سنة ١٨٩٢ اساسا للتسوية ، لقد كان يرى الخديوى ان خط الحدود يجب ان يمتد من رفح الى نقطة على ساحل البحر الاحمر ، تبعد ثلاثة اميال غرب العقبة • ولكن الصدر الاعظم لم يوافق ايضا على اقتراح الخديوى ، واشار الى أن خليج العقبة وجزيرة سيناء يقعان خارج المنطقة التى عينها المرسوم السلطانى ضمن اراضى مصر ، وان برقية سنة ١٨٩٢ انما كانت تخص الجانب الغربى فقط من جزيرة سيناء • هذا بالاضافة الى ان ايضاح او تفسير تلك البرقية انما هو من اختصاص الحكومة التركية قائلا « ان صيغة رد الحكومة التركية غير طبيعى ، لا من حيث نغمتها التى لا تريـــــد تسوية ، ولا من حيث حذفها العبارات المجاملة المعتادة » (٥٣) •

وقد ذكر ايضا أن كرمور توصل من رد الصدر الاعظم الى استنتاج أن السلطان وحده الذى يمتلك الصلاحيات المطلقة فى تفسير برقية سنة ١٨٩٢ ، وعلى حسب الشيء الذى يناسب هواه • ان أقل ما يمكن أن يقال عن ذلك الرد ان السلطان يدعى ملكية جميع الشاطىء الغربى لخليج العقبة وجزء كبير من سيناء (٥٤) •

على اية حال ، فى الحادى عشر من ابريل سنة ١٩٠٦ قام احمدشفيق باشا (٥٥) وهو احد الضباط المصريين الكبار ـ برفقة والدة الخديوى فى

زيارة الى استانبول وقد اعطى التعليمات لكى يشرح وجهة نظر الخديوى بالنسبة لمشكلة الحدود · واثناء اقامته هناك قابل السفير البريطانى الذى اخبره بانه طلب من الحكومة التركية سحب قوتها من طابا كخطوة أولى لحل المشكلة ، ولكن رد الاخرين كانت محاولتهم ايضا احتلال جزيـــرة فرعون ، تلك المحاولة التى فشلت بسبب احتلال المصريين لها قبلهم ، بالاضافة الى وجود سفينة حربية بريطانية هناك · كذلك فهم الباشا من السفير أن الحكومة البريطانية مصرة على انسحاب الاتراك من طابا اذ انه في نظر السفير لو تسامحت بريطانيا هذه المرة لتدخل الاتراك في المستقبل فى كل شىء (٥٦) ·ولكن الاتراك بدلا من الانسحاب من طابا ـ كما كان يتوقع ويرغب البريطانيون ـ قاموا بخطوة جديدة ساهمت فى تعكيـــر علاقات الطرفين وكانت من أهم الاسباب التى عجلت بحل مشكلة الحدود التى دامت لعدة سنين · هذه الخطوة هى احتلالهم لمدينة رفح على البحر الابيض المتوسط وازالتهم لعلامات الحدود هناك · كان رد فعل بريطانيا هو ارسالها لسفينة حربية الى رفح تحت قيادة ويموث

ويصحبه أحد كبار الموظفين المصريين · عندما وصل الاثنان هناك فى ٢٨ ابريل سنة ١٩٠٦ أرسل ويموث احتجاجا الى قائد القوة التركية طالبا منه فيه أن يعيد علامات الحدود على ما كانت عليه فى السابق وان يتقيـــد بالحدود القديمة (٥٧) ·

لقد توصلت الحكومة البريطانية الى الاستنتاج بأن المسألة ليســت مسألة ادخال بعض التعديلات على الحدود ، وانما هى السماح للاتراك بوضع يمكنهم من تهديد مصر وحرية العبور فى القناة · وكان رأى جراى بأن الاتراك لم يحركوا هذا الموضوع الا لاحد امرين المناورة ليردوا رد فعل الطرف الاخر ، وانما يبيتون شرا لمصر · لذلك فهو يرى انه لا بد مـــن توجيه انذار لهم يوقفهم عند حدهم · وقد كتب فى هذا الصدد يقول : « أنه من الواضح أن عبد الحميد يريد انذارا ، اننى لا استطيع أن اتخيل لماذا حرك هذا الموضوع اصلا ، الا اذا كان ذلك نابعا من طبيعة الاتراك الذين يوجدون المشاكل فقط من اجل المناورات التى عادة تتلو ذلك ·فاذا لم يكن فى نية عبد الحميد الاعتداء الحقيقى على مصر ، فلماذا يثير أساسا المشاكل حول سيناء التى لا تساوى كل هذا الامر · اما اذا كان ينوى

الاعتداء ، فلا بد أنه يعرف اننا سناخذ الامر بالجدية الذى تسحقه وانه سيضطر الى الاذعان فى النهاية ··· أما عن السبب فى كون عبد الحميد يريد انذارا ، فهذا شيء يصعب التنبؤ به ، ولكن بما أنه من الواضح يريده فلا بد من طرقه به » (٥٨) ·

لذلك ارسلت الحكومة البريطانية انذارا سلمه السفير البريطانى فى استانبول الى الصدر الاعظم ، قالت فيه انه ان لم تذعن تركيا للمطالب البريطانية المرفقة فى خلال عشرة ايام فان الموقف سيصبح فى منتهى الخطورة · هذه المطالب هى انسحاب الاتراك من طابا ورفع واعادة علامات الحدود الى وضعها السابق (٥٩) · ولكى يضع البريطانيون ضغطا اضافيا

على الاتراك قاموا بالتهديد بأنهم سيوسعون قاعدة طلباتهم ، بحيث تشمل مسائل مثل ابعاد الممثل التركى عن مصر والسماح لمصر بطبع عملتهابنفسها (٦٠) · حالما اصدر البريطانيون انذارهم قاموا بارسال سفينة حربية الى خليج العقبة ليظهروا جديتهم فى الامر كما قاموا بتحريك اسطولهم في البحر المتوسط نحو الشرق وبدأوا الاستعداد لاتخاذ الخطوات اللازمة بعد انتهاء مدة الانذار (٦١) لقد راى الاتراك بعد تردد دام لعدة ايام ان لافائدة من رفض الانذار البريطانى · كانوا يعلمون جيدا ان الدول الخارجية راضية عن العمل البريطانى ، ولذلك فليس هناك اى امل في الحصول على مساعدة خارجية · لهذا وقبل انتهاء مدة الانذار مباشرة اذعن السلطان عبد الحميد للمطالب البريطانية · تلى ذلك ارسالالحكومة التركية مذكرة الى السفير البريطانى متضمنة عدة نقاط هى : انها لاتعارض ماجاء في برقية ٨ ابريل سنة ١٨٩٢ ، وانها توافق على تعيين لجنة مشتركة لتعيين الحدود على أساس الابقاء على الوضع الراهن ، كما ورد فى تلك البرقية ، وأن يمتد خط الحدود بشكل مستقيم نسبيا من رفح الى نقطة لا تقل عنثلاثة أميال غرب العقبة · وكانت نتيجة هذه التغيرات هو تثبيت الجانبين لخط الحدود الذى عين في سنة ١٨٩٢ (٦٢) · وقد كتب جراى عن هذاالموضوع « لقد ذكر بان خط الحدود المقترحمنجانب الحكومتين البريطانية والمصرية هو ان يكون على خط مستقيم نسبيا من مكان يسمى رفح الى قرب العقبة· ومثل هذا الخط في الحقيقة ليس فيه تحيزضد الاتراك او اضرار بمصالحهم · انه من الصعب تحديد موقف عبد الحميد المتشدد حول هذا الموضوع ·

لقد كانت يافا فى منأى عن أى نقطة من الحدود ولم تفكر مصر مطلقــا بادعائها او حلمت في مثل ذلك . ولو اثيرت يافا فعلا في مسألة الحدودلكان بمثابة اعتداء واضح على تركيا . اننى لا استطيع الجزم بأن عبد الحميد حقيقة اختلط عليه الامر بين رفح ويافا ، ولكن ليس من المستبعد ان يكون قد حصل مثل هذا الالتباس في العقلية السلطانية ، وان المشكلة التـــى دامت عدة شهور كان بالامكان حلها لو عقدت محادثات استعملت فيها خارطة ... وعلى اية حال فان عبد الحميد قد لايؤمن في الخرائط ولو قدمت اليه لاعتقد انها ما صممت ورسمت اساسا الا من اجل الخديعة » (٦٢) .

ان الحقيقة التى لا غبار عليها تؤكد ان المصادر التركية لم تظهر مطلقا مثل هذا الالتباس بين رفح ويافا ، بل أنها دائما توضح موقع رفح بما تذكره من انها قرب العريش . لذلك فان السلطان عبد الحميد لميلتبس عليه الامر كما رأى وزير الخارجية البريطانى ولو حصل له مثل ذلك فعلا لكان بالامكان تصحيحه من احد اعضاء حكومته . اضافة الى ذلك ، فـــان الاتراك كانوا يستعملوان الاحرف العربية التى لا تبين اى تقارب لا في اللفظ ولا في الكتابة بين الكلمتين . واخيرا فانه كما مر بنا فان اهتمام عبد الحميد لم يكن مركزا على رفح فقط وانما كان في الحقيقة مركزا على مناطق اخرى في جزيرة سيناء مثل طابا وخليج العقبة والسويس .

بعد هذا الحادثة لم يعد الاتراك يثقون بالخديوى ونظامه الذى اصبح اداة طيعة فى يد البريطانيين . أما المصريون فانهم رغم ذلك استمروا يبعثون بالاموال الى الاراضى المقدسة والداخلة تحت الحكم العثمانى . كما استمروا في توزيع الطعام في البيوت التي وضعوها لفقراء الحجاج والمقيمين في مكة والمدينة على طول العام ، هذا اضافة على ما يرسلونه من القمح الـــذى ياتى عن طريق الاوقاف . ولم يعارض الاتراك في استمرار ارسال هذه الاشياء ، ولكن عندما وعد الخديوى بتزويد جدة بالماء مرارا في ٢٦ يناير ١٩١٠ أن يحول وعده الى عمل بارساله لاحد المهندسين الالمان الذين كانوا يعملون عنده في مصر لينفذ الخطة ، ارتاب الاتراك من نوايا الخديوى وحالوا دون نجاح المهمة (٦٤) لم تكن نظرة عدم الثقة مقصورة على الاتراك تجاه البريطانيين وانما كان الاخيرون ايضا يبادلونهم نفس الشعور ويعتقدون ان للاتراك مخططات معينة في الاراضى المصرية . وقد بلغ هذا الشك أوجه

عندما كونت الحكومةالبريطانية في سنة١٩١٣لجنة من الدفاع الملكى ليدرس امكانية قيام الاتراك بهجوم على مصر • وقد توصلت هذه المجنــة الى ان الاتراك ليسوافي مركز يمكنهم من القيام بعمليات هجوميةفيالمستقبل القريب وذلك بسبب انشغالهم فى الحرب ضد الاحلاف البلقانية (٦٥) •

ان المخاوف البريطانية هذه من تركيا وجدت ما يبررها بعد مــــدة وجيزة عندما انضمت تركيا الى المانيا ضد بريطانيا فى الحرب العالميــــة الاولى وقامت بحملتها الشهيرة ضد مصر عن طريق شبه جزيرة سيناء •

دكتور صالح محمد العمرو

رئيس قسم التاريخ بكلية الاداب

جامعة الرياض

التعليقات والحواشي والمصادر

١ ـ هؤلاء الجنود كانوا غير نظاميين ويطلق عليهم باشى بازوق ٠

٢ ـ يشير بذلك الى الحكومة البريطانية التى احتلت مصر فى عام ١٨٨٢ ٠

٣ ـ باشبكانلك ارشيفى (ارشيف رئاسة الوزراء التركيـــة فى استانبول) مصر اراده دفترى (بعد الان سنرمز الى كلمات مصر اراده دفتـــرى بالاحرف م٠أ٠د٠) من حاكم الحجاز الى الصدر الاعظم ٠ رقم ١٢٤٥ ١٠ ربيع الاول ١٣٠٣ ، ٦ ديسمبر ١٨٨٥ ٠

٤ ـ خديوى كلمة فارسية على ما يبدو تعنى نائب الملك او السلطان ٠ وقد صار يلقب بها حكام مصر من احفاد محمد على منذ تولية الخديوى اسماعيل على ما يبدو وحتى تحول الخديوية الى ملكية ٠

٥ ـ باشبكانلك ارشيفى م٠أ٠د٠ (سكرتير السلطان ٠ رقم ١٢٤٨ ٢٥ ربيع الاخر ٠ ١٩ يناير ١٨٨٥ م ٠

٦ ـ انظر F. O. 78/54,_2. Cromer to Lansdowne. No. 85, Cairo , 30 June, 1903. P. 153.

٧ ـ انظر F. O. 195 1610 . Jage to white. No. 5 Jidda, 23 Feb. 1888. F. O. 78/5260, Foriegn office, 13 Jan. , 1892 (Boundaries between Turke and Egypt in Asia 1892 - 1902) .

٨ ـ انظر 0F. O. 78/5260. F. O. 13 Jan. , 1892 (Boundaries.) OP. Cit.

٩ ـ هذه المراسيم اعتاد السلاطين على اصدارها فى حالة تولى خديـــوى جديد ، وذلك اعترافا به واشارة الى أن مصر لا تزال من ضمـــن الممتلكات العثمانية ٠

١٠ـ انظر F. Ol 78/5260. Baring to Salisbury. No. 72 Cairo, 6, Feb. , 1892. Cromer, Modern Egypt, London. 1911, P. 667.

١١ـ باشبكانلك ارشيفى ٠م٠أ٠د (من والى الحجاز ٠ رقم ١٤٢٨ ، ٢ ربيع الاول ١٣٠٩هـ ، ديسمبر ١٨٩١م ٠

١٢ـ المصدر السابق ٠ ١٤٥١ ٠ رجب ١٣٠٩ يناير ٢٨ ، ١٨٩٢م ٠

١٣ـ انظر Cromer, OP. Cit, P. 668.

١٤ـ انظر F. O. 78/5250. No. 59, Cairo Feb. , 9, 1892 ,

١٥ـ باشبكانلك ارشيفى م٠أ٠د٠ رقم ١٤٢٦ ، ٢٨ ربيع الاخر ١٣٠٩هـ نوفمبر ١٩ ، ١٨٩١ م ٠

١٦ـ انه لمن المشكوك فيه الا يكون لدى السلطان وحكومته علم بارسال هذه القوة ٠ والشيء الاكيد ان الوالى كان قد طلب موافقة حكومته على قيام محافظ المدينة باسترداد هذه الاماكن ، ولم اجد فى الوثائق التركية ما يثبت انهم رفضوا طلبه ٠ والظاهر انهم انما عزو ذلك الى تصرف الوالى ليخرجوا انفسهم من الموقف المحرج ، فالقاء اللوم على والى مقاطعة اسهل من القائه على دولة ٠

١٧ـ انظر F. O. 78/5260. Inclosure No. 3. in Baring's Despatch No. 73 , Feb. , 12, 1892,

١٨ـ انظر F. O. 78/5260. Baring to. Salisbury. No. 81. Beb ,

١٩ـ انظر F.O. 78/5260. Draft. M. Fane. No. 34, Cairo Feb, 11, 1892. P. 62,

٢٠ـ انظر F. O. 78/5260. Fane to Solisbury. No. 22. Secret, 18 Feb., 1892.

لم اجد ما يؤيد ادعاء الصدر الاعظم أن المصريين اقترحوا أو فكروا في احتلال بعض النقاط على ساحل الحجاز ٠

٢١ـ انظر F. O. 78/5260 . Salisburg to Baring No. 70. Feb. 5,

٢٢ـ انظر OP. Cit. No. 78. Feb. ,8 1892,

٢٣ـ انظر OP. Cit. No. _0. Feb. 5, 1892.

٢٤ـ انظر OP. Cit. No. 72, Feb. , 6 1892.

٢٥ـ باشبكانلك ارشيفى ٠ م٠أ٠د٠ رقم ١٤٦١ ، ١٦ رجب ١٣٠٩ هـ ٣ فبراير ١٨٩٢ م ٠

٢٦ـ انظر

9, 1892.

كانت وجهة نظر المستر فين وهو احد موظفى الخارجيـــة البريطانية البارزين ان سيناء لا تستحق من يتشبث بها ، ولكن وزير الخارجية لم يوافقه على ذلك ويرى أن من الحكمة أن يبقيهـــا الخديوى تحت حكمه لاعلى اساس فرمان أو مرسوم السلطان وانما على اسس اخرى ٠ ولو أن ساليزبرى لم يوضح ما هذه الاســـس الاخرى ، الا انه يقصد من ذلك اثبات الامر الواقع أى كون سيناء تدار بواسطة الحكومة المصرية منذ مدة طويلة ٠ انظر

F. O. 78/5260 . Salisbury to. Baring No. 109. Feb. 18, 1892,

٢٧ـ انظر F.O. 78/5260. Baring to Salisbury . Cairo

باشبكانلك ارشفى ٠ م٠أ٠د٠ رقم ١٤٥٦ رجـــب ١٣٠٩ هـ ، ١٠ فبراير ١٨٩٢ ٠

١ـ انظر F. O. 78/5260. Baring to Salisbury. No. 19. Feb. 11, 1892

٢٩ـ انظر OP. Cit. No. 87. March, 1892.

لم اجد فى الوثائق التركية ما يثبت ان الاتراك كانوا يفكرون فى احتلال العقبة بالقوة ٠

٣٠ـ انظر F. O. 78/5260. Inclosure No. 3, in no . 225, From the Grand vizier to , the Khedive. March26, 1892.

وايضا Baring to Salisbury . No. 65. April, 10, 1892.

٣١ـ انظر F. O. 78/5260. Baring to. Solisbury . No. 65 OP Cit

٣٢ـ انظر F. O. 78/5260. M. Findly to. Lansdowne. No. 101, Confidintial. Alexandria. Sept. 18, 1930.

٣٣ـ انظر F. O. 78/5260. Baring to Tigrane pasha. Cairo. April, 13 1892.

٣٤ـ باشبكانلك ارشيفى ٠م٠١٠د٠٥ رقم ١٤٢٠ ، ٢٦ ربيع الاخر ١٣٠٩ **١٧ نوفمبر ١٨٩١** ٠

٣٥ـ المصدر السابق ٠ رقم ١٤٥٤ ، ١١ رجب ١٣٠٣ هـ ٠ ٢٩ يناير ١٨٩٢ م

٣٦ـ انظر Cromer. OP. Cit. P. 668

٣٧ـ عند اصدار مرسوم سنة ١٨٩٢ وضع فيه مبـــدأ جديد وهو أنه لا يجوز ادخال اى تغيير على علاقة السلطان بالخديوى المالوفة دون رضى حكومة صاحبة الجلالة ٠ انظر P.669 المصدر السابق Cromer.

٣٩ـ صحيح انه كانت هناك دوافع استراتيجية وراء بناء الخط الحديدى الحجازى ولكنه ليس بصحيح ان الهدف من مده هو أن يصل الـــى العقبة فقط ، فكما هو معروف انه وصل حتى المدينة المنورة ٠

٣٩ــ انظر
F. O. 78/5452 Memorandum . By LT. Col. . R. Maunsell, military attche at Constantinopie. Incl. 2 in No. 1 July 9, 1903.

٤٠ــ انظر
F. O. 78/5452. Findly to Lansdowne, No. 101, Elexandria conf. Sept. 18 1903.

٤١ــ انظر
A. Ward and Goach, eds., Cambridge History of British Fori policy, Vol. 3, Cambridge, 1923 P. 379.

٤٢ــ احمد شفيق باشا . مذكراتى فى نصف قرن . جزء ٢ . القاهرة . ١٩٣٦ ص ٧٧ .

٤٣ــ باشبكانلك ارشيفى . دوسيه تصنيفى . انجلترا . عقبة . كويت . نواحى تسع بعد ذلك ســـــأكتفى بالمختصرات (د.ت.أ.ع.ك.ن.ت) . الصدر الاعظم . رقم ٧٧ فى ٢٧ ذى الحجة ١٣٢٣ يناير ٩ ، ١٩٠٦ .)

٤٤ــ احمد شفيق باشا . المصدر السابق . ص ٧٧ .

٤٥ــ باشبكانلك ارشيفى (د.ت.أ.ع.ك.ن.ت.) المصدر السابق .

٤٦ــ انظر احمد شفيق باشا . المصدر السابق . ص ٧٨ ــ ص ٨٢ .

٤٧ــ المصدر السابق .

٤٨ــ المصدر السابق . ص ٨٣٠ وما بعدها . هذا الموقف الودى مـــن الخديوى تجاه الاتراك قاد مختار باشا لان يرسل برقية الى حكومتـــه معلنا فيها أن مشكلة سينا قد انتهت ، لان الخديوى ذكر بانه لـــن

يعمل ضد اوامر السلطان ۰ ولكن الصدر الاعظم الذى كان اكثر اتزانا وادرى بالامور من مختار باشا بأهميـــة الموقف ، اوضح أن المشكلة ليست في الاساس ناتجة عن الخديوى وانما وجدت بســـبب بريطانيا ۰ وقد أمر مختار بأن يتابع الامر بجدية حتى يتم التوصل حل حقيقى ۰ انظر باشبكـــانلك ارشيفى (د۰ت۰أ۰ع۰ك۰ن۰ت) الصدر الاعظم ۰ الباب العالى ۰ مكتب الصدر الاعظم ۰ رقم ٧٧ ، ٦ ربيع الاول ، ١٣٢٤ (١٧ ابريل ١٠٩٦) ۰

٤٩ـ انظر

Ward & Goach (eds.) Cambridge History. OP. Cit, P. 379.

٥٠ـ انظر

Edward Grey, Twenty-five years 1892-1916, Vol. 1, London 1925, P-123.

٥١ـ انظر

Grey, OP Cit, P-124.

٥٢ـ المصدر السابق ۰ ايضا انظـــر باشبكانلك ارشيفى (د۰ت۰أ۰ع۰ السابق) المجلس الخاص ۰ رق، ٧٧ ، ٢٨ صفر ١٣٢٤ ، ٩ ابريل ١٩٠٦ ۰

٥٣ـ انظر

Grey, OP. Cit.

٥٤ـ المصدر السابق ۰

Grey, OP. Cit. P. 125 F.

٥٥ـ مؤلف كتاب مذكراتى فى نصف قرن السابق ذكره ۰

٥٦ـ احمد شفيق باشا ۰ المصدر السابق ۰ ص ٨٦ ۰

٥٧ـ المصدر السابق · ص ٨٧ وما بعدها ·

٥٨ـ انظر

Grey, OP. Cit, P. 126 F,

انني لا اعتقد بأن الاتراك انما حركوا المسألة فقط من اجل المناورة أو انهم ينوون الاعتداء على مصر ، لانهم كما مر بنا كانوا يحاولون (ونجحوا الى حد كبير)منذ مدة طويلة في استرداد ما يعتقدون بأنها ممتلكاتهم الشرعية ·

٥٩ـ احمد شفيق باشا · المصدر السابق ص ٨٨ ·

٦٠ـ باشبكانلك ارشيفى (د·ت·١·ع·ك· · السابق) رقم ٧٧ · ربيع الاول ١٩ ، ١٣٢٤ ابريل ٣٠ ، ١٩٠٦ ·

٦١ـ انظر .

Grey, OP. Cit P. 126.

٦٢ـ المصدر السابق · وايضا باشبكانلك ارشيف (د·ت·١·ع· السابق)، رقم ٧٧ ١٧ ربيع الاول ١٣٢٤ ، ٢٤ ابريل ١٩٠٦ ·

٦٣ـ انظر

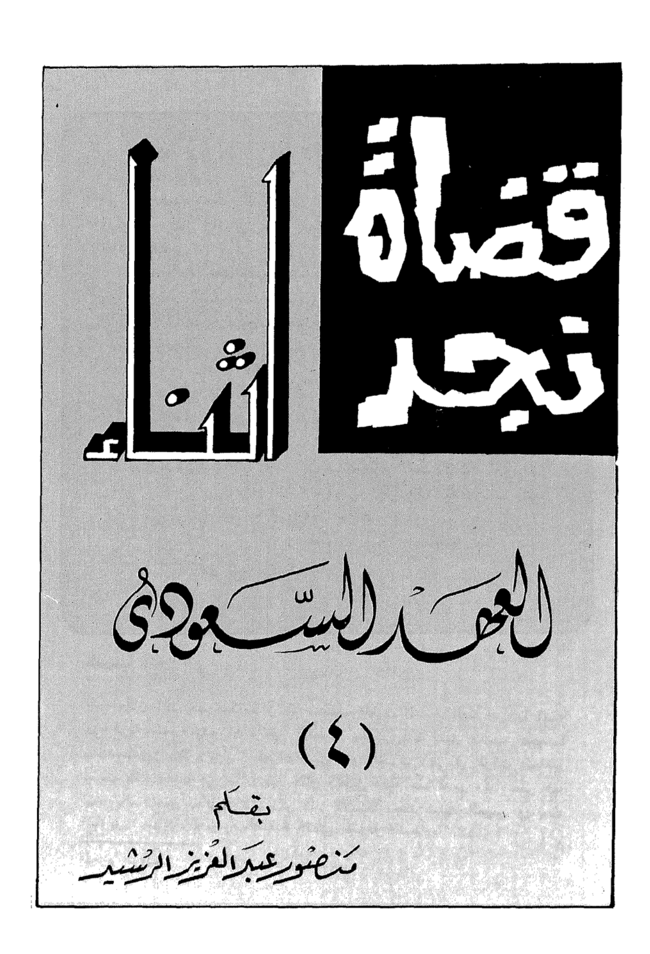
٦٤ـ انظر

F. O. 195/2350 Abdur Rahman, A report about Pilgrimage for the year 1909-1910, Jidda, May 1, 1910.

Monahan to towther . Jid. No. 22. May 10, 1910.

٦٥ـ انظر

F. O, Copy, scret, 116/Colonies/305/M. O. I. War Office. London, S. W. (WARD to the under-Secretary of state for foreign Affairs. Feb 27, 1913.)


قضاة نجد
أثناء
العهد السعودي
(٤)
بقلم
منصور عبد العزيز الرشيد

تناولنا فيما سبق تعريف القضاء وحالته في نجد قبل قيام الدعوة الاصلاحية وصفته بين الحاضر والبادية واشهر القضـاة النجديين مرتبين حسب البلدان التي تولوا القضاء فيها في القرن التاسع والعاشر والحادى عشر والثانى عشر الهجرى مع التطرق للرحلات العلميـة خارج الجزيرة العربية واشهر العلماء النجديين الذين قاموا بهذه الرحلات ، والمذهب الفقهى السائد لدى علماء نجد في تلك العصور ودعوتهم الى التوحيد مع تناول بعض الوثائق القضائية ، ثم عرفنا الفقة وتدرجه والمؤلفات الفقهية التى وضعها علماء نجد واشهر المؤلفـات التى كتبها العلمـاء قدامى ومحدثين عن رائد الدعوة الاصلاحية ، واخيرا تحدثنا عن بلدة العنة التى تعتبر الوطن الاول لرائد الدعوة والتى كان يقطنها في تلك العصور بيتان لهما السيادة والشرف والذين هم ال معمر الذين أمراء العيينة وال مشرف والذين هم بيت العلم فيها ، وتحدثنـا عن هذين البيتين ، وانتهى البحث الى دراسة مختصرة عن حيـاة رائد الدعوة الاصـلاحية محمد بن عبد الوهاب قبل انتقاله الى الدرعية ، ومن هذا المنطلق سنتحدث فيهذا البحث عن الدرعية لتى ختم فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب بقية حياته وأشهر امرائها وحالتها العملية والقضائية قبل وصول الشيخ محمد بن عبد الوهاب اليها .

الدرعية :

كان اسم الدرعية يطلق في منتصف القرن التاسع الهجرى وما قبله على قرية صغيرة تقع في نواحى القطيف جنوب بلدة بقيق وتبعد عنهـا مسيرة عشرين ميلا وغرب الظهران بميل نحو الجنوب وهى في الوقت الحاضر ليست بلدا وانما هى مكان فيه اثار ونخيل وفيه ماء قديم وقد حفر فيه بئرا بآلة الحفر الحديثة كما ذكر ذلك الاستاذ محمد الفهد العيسى في بحثه الطويل (مدينة الدرعية القاعدة الاولى للدولة السعودية الاولى) .. (١)

الجزء الرابع :

وكان يقطن هذه القرية فرع من عشيرة يقال لهم الدروع ينتمون الى بنى حنيفةوكان رئيس هذا الفرع في منتصف القرن التاسع الهجرى هو مانع ربيعة بن مريد جد ال سعود الاعلى كما اوضح ذلك الشيخ محمد ابن عمر الفاخرى في تاريخه وتابعه على هذا الشيخ عثمان بن عبد الله بن بشير في عنوان المجد والشيخ محمد بن ابراهيم بن عيسى في تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ..

وكان بنو حنيفه يقطنون اليمامه التى تعاقب العديد من الامـراء والولاة على امارتها (٢) وكان من بين ولاة اليمامة الذين تعاقبوا عليها على بن درع الذى كان يمتلك حجر اليمامة (الرياض حاليا) والجزعة (٣) القريبة من الرياض وتمتد املاكه مساحة تزيد عن خمسـة عشر ميلا بحيث تشمل الغبراء التى اطلق عليها فيما بعد اسم الدرعية والمليبد وغصيبة القريتين الواقعتين في اعلا الدرعية (٤) وما جاور هذه البلدان وكانت هذه البقاع كثيرة الخصب وافرة المياه مكتظة بالمزارع كثيرة السكان وكانت القرى تنتشر في شتى بقاعه .

وكان بين مانع المريدى جد ال سعود وصاحب درعية القطيف وبين على بن درع رئيس حجر اليمامة (٥) وامير الدروع من بنى حنيفة مراسلة ومكاتبة وذلك لما بين دروع اليمامة ودروع القطيف من صلة النسـب والقربى فكلاهما ينتمى الى بنى حنيفة بن لجيم بن صعبة بن على بن بكر ابن وائل بن قاسط بن أفضى بن دعمى بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان .

ويذكر مقبل الذكير ان صلة القربى والرحم التى كانت بينهمـا جعلت على بن درع رئيس حجر اليمامة يزور مانع بن ربيعة في بلدتـه الدرعية الواقعة بقرب القطيف فلما قدم وعرف رقة احواله وشحها حسن له الارتحال الى اليمامة وطلب منه رد الزيارة والقدوم عليه والاستيطان عنده وفي جواره فقبل مانع بن ربيعة هذه الدعوة ولباها وربما كان سبب ذلك ضيق ذات اليد وقلة العيشة في ناحية ثم اعقب ذلك بأن هاجر باولاده ورجاله من القطيف في منتصف القرن التاسع الهجرى سنة ٨٥٠ ه وأتى الى ابن عمه على بن درع في حجر اليمامة .

فأقطعه مرتفعا في نواحى ملكه يعتبر من خير الامكنة سعة وخصبا وصلاحا للاستيطان يشتمل على قريتين (الغصيبة والمليبد) المعروفين قرب الدرعية حاليا والتى تقع على بعد ثلاثة عشر ميلا من الرياض بالجانب الغربى من وادى حنيفة وموقع الدرعية يقع في مكان من الوادى ينفرش وتتقابل معه من الغرب ومن الشمال أودية يتكون بينها مرتفعات من الطمى الذى تجرفه السيول فيكون في جوانب الوادى مرتفعات صالحة للزراعة ويشاهد المرء اثار الحدائق والمزارع والقرى الدائرة كثيرا بقرب الدرعية وبين مواقع نخيلها فى الوقت الحاضر ٠

ـ وقد استوطن مانع بن ربيعة المريدى هذا المكان بعد ان أقطعه اياه على بن درع أمير حجر اليمامة هو وأولاده ونسائه وأصحابه بعد ان شيد فيه مساكن من الطين والحجارة وهكذا زالت بلدية الدرعية من القطيف بعد ان هجرها اهلها ، ولكنها بعثت وجددت في ارض اليمامة في نجد حيث بنى مانع وابناؤه بلدة جديدة اطلق عليها اسم الدرعية على اسم بلدته الاولى منزلا متواضعا يطلق عليه اسم غبراء فوق عرقه وقبل العمارية (٦) والذى يوجد اعلاه واد ٠٠ يدعى شعيب غبراء في مفيضه بوادى العرض نخيل كثيرة واثار مساكن قديمة ويقرب هذا الوادى تقع محلة من محلات الدرعية تسمى الان العودة ثم بعد ذلك أصبحت الدرعية أعظم بلدان نجد وقاعة مملكة كبيرة ومنطلق دعوة اصلاحية وعنوان تاريخ مجيد ٠ ومن هنا نعلم ان اسم الدرعية لم يطلق على البلدة الابعد استيطان مانع بن ربيعة وبقيه فيها وفي المليبيد وغصيبه ٠

ـ وقال الشيخ عثمان بن عبد الله بن بشر في عنوان المجد في تاريخ نجد يفصل هذه الحادثة (وفيها قدم ربيعة بن مانع من بلدهم القديمة المسماه بالدرعية عند القطيف قدم منها على بن درع صاحب حجر والجزعة المعروفين قرب الرياض وكان من عشيرته فأعطاه ابن درع المليبد وغصيبه المعروفين في الدرعية فنزلها وعمرها واتسع بالعمارة والغرس في نواحيها وزاد عمارتها ذريته من بعده وجيرانهم وذكر ان مانع المذكور كان مسكنه بلد الدروع من نواحي القطيف ثم انه تراسل هو ورئيس دروع حجر اليمامة بنوعم دروع القطيف لما بينهم من المراحمة فاستخرج مانعا من القطيف فاتى اليه في حجر وأعطاه المليبيد وغصبية المذكورتين وهما من

نواحى ملكهم فاستقر فيها هو وبنوه وما فوق غصيبة لآل يزيد الى دون الجبيلة الى الابكين الجبلين المعروفين الى موضع حريملا لحسن بن طوق جد ال طوق معمر ...) الخ .

ومن هذا البحث يتضح ان ال يزيد الحنيفيين الذين منهم ال دغيثر في الوقت الحاضر كانوا يملكون الاراضى والدساكر الكامنة على حــدود المليبيد وغصيبه (٧) وكان حسن بن طوق بن معمر من العناقر من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم يملك الاراضى الشاسعة التى تسمى الوصيل وحدودها من سمحة والجبيلة الى (الابكين) الجبلين المعروفين في تلك الناحية الى موضع حريملا وكان في الجهة الجنوبية الشرقية وهى اسفل وادى حنيفه ال درع ابنا عم مانع واصحاب حجر والجزعة .

البيت السعودى :

لقد ثبت في مدارج انساب العرب أن البيت السعودى المالك في المملكة العربية السعودية انحدار من صلب (ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان) والتى انتشرت في شرقى الجزيرة العربية ، فقسم منها استوطن العرض ، عرض بنى حنيفة وقسم اخر انتشر فيما يعرف قديما باسم البحرين وحاليا باسم الاحساء والمنطقة الشرقية وكانت الصلة قوية ومتعمقة بين قبائل ربيعة الساكنة في شرق البلاد ووسطها كعادة القبائل العربية وقد كثر بنو ربيعة وانتشروا وصاروا يتوسعون في البلاد على مدار العصور والاعوام وذكر المؤرخون ان ربيعة انجب ضبيعة واسد واكلب فاما ضبيعة فوالده احمس والذى ينتهى اليه الشاعر المشهور واسمه زهير بن عباس والحارث ومن ذريته بنانه رهط ثابت بن اسلم البنانى ويقال لربيعة الاضجم لانه كان مائل الانف ....

وأما أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان (٨) فقد انحدر من ذريته كل من القبائل التالية :

أ ـ بنو حنيفة بن لجيم بن صعب بن بكر بن وائل بن قاسط بــن أفصى بن دعمى بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان (٩) الذين تحضروا واستقروا فى بلادهم المعروفة فى جبل العارض فــى

الوادى المعروف بهم الواقع غرب الرياض المعروف الان باسم الباطن ومـا حوله من اودية واكبر مدنهم حجر التى قامت الرياض على انقاضها •وتمتد بلاد بنى حنيفة من الشمال الى ملهم وقران أو مايعرف حاليا باسم الشعيب وقراه وتخالطهم فى بلادهم من أسفل واديهم من منفوحة الى اقليم الخرج بطون من بكر وائل ويجاورهم من الجنوب والجنوب الغربى.بطون من قيس عيلان ومن جهات اخرى بطون من بنى تميم من بنى سعد وغيرهم فكل الذين يستوطنون وادى حنيفة من ربيعة ما عدا من خالطهم فدخل فيهم وأصبح يعد منهم ويضاف الى ذلك ان قبيلة عنزة التى سكنت وادى حنيفة قبل بنى حنيفة انفسهم حالفتهم فيما بعد وصاهرتهم وجاورتهم وكان قسم منها وقسم من قيس بن ثعلبة ابناء عم بنى حنيفة كانوا يسكنون فى الاماكن الواقعة بقرب الدرعية وكان على بن درع السابق الذكر هو رئيس بنى حنيفة فـى منتصف القرن التاسع الهجرى •

ب ـ بنوقيس بن ثعلبة الذين منهم الاعشى صاحب منفوحة وقـد استوطنوا مجاورين لبنى عمهم بنو حنيفة ممتد بن على ضفاف وادى العرض حتى اقليم الخرج حيث انتشروا في قراه ومدنه ومنهم الحارث بن عباد الذى اسر المهلهل يوم فضة وهو لايعرفه وخلى سبيله •

ج ـ بنى شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكاية بن على بن بكر بن وائل ابن قاسط بن أفضى بن دعمى بن جديلة بن اسد بن ربيعة ومنهم بنوسدوس اهل بلدتى سدوس وخزوى المعروفين باليمامة ومن بنى شيبان المشهورين بالجود والكرم معن بن زائده ويزيد بن مزيد وخالد بن يزيد وغيرهم •

د ـ بنو غبراء والذين كانوا يقطنون بلدة غبيراء وهى قرية فوق عرقة وتحت العمارية ويفهم من كلام المتقدمين انها كانت على درجة من القوة عندما غزا الجيش الاسلامى اليمامة فاننا نجدها من بين القرى التى لم تدخل في صلح خالد بن الوليد رضى الله عنه عندما صالح اهل الوادى كما اوضح ذلك ياقوت الحموى في معجم البلدان ولم يبق من هذه البلدة اليوم سوى اسم واديها غبيرا بقرب مدينة الدرعية في مفيضة بوادى العرض نخيل كثيرة واثار مساكن قديمة •

هـ — بنو يشكر وهم يقطنون في القديم بلدة ملهم ومنهم الحـارث ابن حلزه الشاعر المشهور ٠

و — بنو قراره اهل بلدة القرينة وما حولها والتى تقع بقرب بلدة حريملا ٠

ز — بنو عجل ٠٠ وقد انتشرت في ضواحى البصرة ولكل فرع من هذه الفروع بطون متعددة وكلها تنتمى الى قبيلة بكر بن وائل بن قاسط ابن أفضى بن دعمى بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ٠ وبكر هى اشهر القبائل العدنانية التى كانت تسكن تهامة الحجاز ثم انتقلت الى عالية نجد ثم فرقتها الحروب فـانتقلت الى العراق واطراف الشام واستوطن قسم منهم الاحساء وتوابعه وتوغل فروع منها في العراق والشام وبلاد فارس الى حدود الجزيرة الفراتنه حيث لاتزال تلك الناحية التى استوطنوها تعرف بديار بكر وقد تحضر قسم كبير منهم قبل الاسلام وبكر هو الابن الرابع لوائل بن قاسط الذى انجب اربعة ابناء هم بكر وتغلب وعنز وعمرو وقد تفرع منهم قبائل بطول عددها فهؤلاء هم بنـــو وائل ومن بنى اسد ايضا بنو عبد القيس بن أفضى بن دعمى بن جديلة بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان الذين كانوا يقطنون هجر والبحرين فربيعة بجميع فروعها كانت تغطى المنطقة الشرقية فى الجزيرة الغربية واليمامة وما جاورها من الاصقاع والبقاع (١١) وعلى كل فآل سعود من قبيلة المردة الذين ينتمون الى بنى حنيفة بن لجيم بن صعب بن على بن بكر ابن قاسط بن افصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد ابن عدنان على ما رجحه قدماء مؤرخى نجد كالشيخ الفاخرى والشيـــخ عثمان بن بشر فى عنوان المجد والشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى (١٢) وقد توالى على امارة الدرعية عدد من الامراء أشهرهم :

١) مانع بن ربيعة المريدى ٠٠ وهو مؤسس الدرعية وأول رئيس لها ولا يذكر لنا الشيخ عثمان بن عبد الله بن بشر فى عنوان المجد وابراهيم بن صالح بن عيسى فى تاريخ بعض الحوادث الواقعة فى نجد ومحمد بن عمر الفاخرى في تاريخه شيئا عن اخبار هذا الامير سوى انه كان رئيس الدروع في القطيف وانه اول مـن بنى وغرس في الارض المسماء غبراء قديما

والدرعية حديثا وتقول لادى بلنت في رحلتها (ان الامير مانع كان ملكا على الاجساء والقطيف وقطر وعمان في القرن الخامس عشر للميلاد) ٠٠ الخ ويقول امين الريحانى في تاريخ نجد الحديث (ومن كبار اجداد مقرن الاولين الامير مانع الذى بسط سيادته على الاحساء والقطيف وقطر وهو جد الموانعة الاسرة المعروفة في نجد ومؤسس الدرعية ولكن ملكه الذى تجاوز حدود نجد لم يدم طويلا) الخ ويقول الاستاذ سليمان بن صالح ال دخيل الدوسرى النجدى في مجلة لغة العرب البغدادية (ان مانعا هو الذى وضع اساس الدرعية وبناها وجدد بناء الاحســـاء والقطيف وقطر وعمان وهو اول من بنى القلاع المنيعة والحصون المكينه والاسور الشامخة وكان مستقلا بالامارة من سنة ٨٥٠ هـ /١٤٤٦ م ومن ذريته المنانعــة الموجودون اليوم وهم اسرة كبيرة شريفة متفرقة في كثير من الديار العربية وغيرها) ٠٠ الخ وهذه الاقوال الثلاثة كلها بعيدة عن الصوب للاسبــاب التالية :

اولا ـ ان مرجعهم الوحيد الذى استصدروا منه الخبر هو كتاب «مثير الوجد في معرفة انساب ملوك نجد» الذى يحوى نسب الاسرة السعودية الذى ألفه راشد بن على بن عبد الله بن محمد بن سليمان بن جريش المتوفي حوالى سنة ١٢٩٨ هـ وهذا المؤلف كثير الاخطاء ومؤلفه بعيد عن المصادر لانه كا ن غالب اقامته خارج الجزيرة العربية ٠

ثانيا ـ انه من المعروف ان امراء الاحساء في القرن التاسع هم ابناء زامل بن جبر بن حسن بن ناصر العقيلي الجبرى وكان اولهم سيف الذى قضى على اخر ولاة بنى جروان حين رام قتله واستولى على البلاد ولما مات خلفه اخوه أجود بن زامل المولود سنة ٨٢١هـ في الاحساء ودام في الامارة الى ان توفى ثم خلفه ابنه محمد ثم مقرن فوقع بينه وبين اخوته شقاق أدى بهم الى التفرق والضعف وزوال الملك على يدى آل حميد في سنة ألف من الهجرة (١٣) وعلى كل كان لايوجد لمانع المريدى تاريخ فى الامارة وبذلك تتهافت هذه الروايات فلم يكن قط أميرا على الاحساء فضلا عن عمان وقطر أما آل مانع فهم اسرة تميمية تقطن الاحساء ولا تربطها صلة قرابة بمانع المريدى امير الدرعية وقد ذكر سليمان الدخيل ان مانع المريدى أميــــر الدرعية توفى سنة ٨٥٨ هـ الموافق ١٤٥٤م ٠

٢) ربيعة بن مانع المريدى .. الذى خلف أباه في امارة الدرعيــة حوالى سنة ٨٥٨ هـ والذى أمسك بزمام الامارة وكان حسن السيرة جسورا مقداما حصل على شهرة بالغة في تلك الاصقاع وكثر انصاره ومريديه من كل مكان فأراد فيما يبدوا توسعة الدرعية باستيلائه على جانب من اراضى جيرانه آل يزيد الذين كانوا يملكون اراضى الوصل والنعمية المجاورتين لبلدة الدرعية فدافعوه وقاتلهم ولم يذكر المؤرخون سبب قتاله لهم ودام في الامارة حتى احتال عليه ابنه موسى واراد قتله لاسباب لا نعلمها ولكنه لم يصب منه مقتلا وقد جرحه جروحا كثيرة فهرب ربيعة الى بلدة العيينة وكان أميرها محمد بن حسن بن طوق فاجاره واكرمه لاجل معروف سابق له عليه ويقول سليمان الدخيل (أن ربيعة اخضع الاحساء والقطيف وقطر) وهذا الزعم لا أساس له من الصحة وكانت وفاته فى العيينة لدى اميرها ابـــن معمر ....

٣) موسى بن ربيعة بن مانع المريدى ولى امارة الدرعية اثناء حيـــاة والده حيث ظهر واشتد ساعده وحصل على مجد وشهرة أكثر من ابيه حيث تزعم عشيرته وكثر جيرانه من الموانعة وغيرهم كما أوضح ذلك عثمان بن عبدالله بن بشير فى كتابه عنوان المجد فى تاريخ نجد حيث قال ما نصه : (ثم بعد ذلك ظهر ابنه موسى وصار له شهرة اعظم من أبيه وكثر جيرانه من الموانعة وغيرهم واستولى على الملك فى حياة والده واحتال على قتل ابيه فجرحه جرحات كثيرة ... الخ)

ثم أن الامير موسى بن ربيعة جمع عددا من انصاره ومؤيديه من قومه من المردة والموانعة وهاجم بهم جيرانه آل يزيد من النعمية والوصل وقتل منهم فى ذات صباح اكثر من ثمانين رجلا ثم استولى على منازلهم ودمرهم واجلاهم عن اراضيهم ثم تشتت قبيلة آل يزيد ولم يقم لهم بعدها قائمـة حيث ضرب بهذه الوقعة المثل فى نجد حيث قيل (صبحهم مثل صبـــاح الموانعة لآل يزيد) وكانت النتيجة الطبيعية لهذه المعركة الظافرة القضاء على شوكة جيرانه وضم أملاكهم الى الدرعية وربما كان شدة التزاحم بين آل يزيد وأهل الدرعية على عيون الماء فى وادى حنيفة هو سبب الحرب وقد استنجد موسى فى حربه لآل يزيد بأمير العيينة فأنجده واستمر موسى اميرا على الدرعية حتى توفى ولم أر أحدا من المؤرخين ذكر سنة وفاته ...

٤) ابراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدى الذى خلف اباه في امارة الدرعية وهو الذى يقول عنه سليمان الدخيل فى مجلة لغة العرب (أن الامير ابراهيم كان فى عهد العباسيين اميرا قائما بنفسه صاحب الامر والنهى فى جزيرة العرب) ولم نظفر بنص آخر يؤيد هذا الزعم ٠ وابراهيم هو الجد الذى يجتمع فيه آل مقرن أهل الدرعية وابناء عمهم الذين تفرعوا عنهم وصاروا يدعون بألقاب غير لقب ال مقرن ومنهم أهل ضرماء وأهل بلدة الكباش حيث أنجب ذرية كثيرة العدد ولم ينجب منهم سوى أولاده الاربعة عبد الرحمن وعبد الله وسيف ومرخان حيث تفرقت ذريته من هؤلاء وتشعبت وصار كل واحد منهم جد لعائلة كبيرة وفيما يلى توضيح ذلك ٠

١ ـ عبد الرحمن بن ابراهيم بن موسى الذى انتقل من الدرعية بأولاده واستوطن بلده ضرماء وجو ونواحيهما في حوالى القرن العاشر الهجرى ثم استوطنها ذريته من بعده وهم المعروفون بذلك الوقت بآل عبد الرحمن ويدعون بالشيوخ وذلك لانهم نازعوا امراء ضرماء السابقين والذين كان يقال لهم آل سيف حيث تولى امارة ضرماء عدد من آل عبد الرحمن واشهرهم :

ـ محمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن موسى امير بلدة ضرماء والذى قتل سنة ١٠٩٦ هـ وربما ان الذى قتله آل سيف بسبب منازعته لهم على الامارة ٠

ـ ابراهيم بن محمد بن عبد الرحمن الذى تولى امارة ضرماء بعد وفاة ابيه ودام فيها اميرا الى ان قتله آل سيف السيايرة هو هيدان وسلطان في سنة ١١٦٤ هـ وذلك اثناء ولاية الامام محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية الاولى ٠

ـ عبد الله بن عبد الرحمن المريدى الذى تولى امارة ضرمى بعد قتل ابراهيم مدة من الزمن لم يحددها المؤرخون ولكنه لم يدم طويلا ٠

ـ محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الذى تولى امارة ضرمى بعد ابيه وكان من اعماله انه قتل آلسيف سنة ١١٦٧هولايزال لعبد الرحمن ذرية موجودة في بلدة ضرماء الى الوقت الحاضر ٠

ب ـ سيف بن ابراهيم بن موسى جد آل يحى اهل بلدة ابا الكباش المعروف بقرب الدرعية وليس لهم ذكر في التاريخ (١٤) ٠

ج ـ عبد الله بن ابراهيم بن موسى الذى من ذرية كل من :

ـ آل وطيب ٠

ـ آل حسين الذين منهم محمد بن عبد الله بن حسين بالاحساء ٠

ـ آل عيسى ٠

د ـ مرخان بن ابراهيم بن موسى وهو جد آل مقرن جميعا آل سعود وأبناء عمهم وهو الذى تعاقب اولاده على استلام امارة الدرعية ويعنيها أمره في هذا التاريخ اذا ليس للثلاثة الاخرين وذريتهم شأن في هذا الموضوع ٠

ه ـ مرخان بن ابراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدى الذى تولى امارة الدرعية في اول القرن الحادى عشر الهجرى وبعد وفاة ابيه وفي زمنه تطورت الدرعية وازداد عدد سكانها حتى فكر قسم من ابناء ابراهيم بالهجرة الى اماكن اخرى اوسع بينما آثر الاخرون البقاء وكان من الذين احبوا البقاء واختاروه مرخان حيث اصر على الاحتفاظ بملك الاباء والاجداد وتابعه علىذلك أخوه عبدالله أما عبد الرحمن وسيففضلا الانفصال عن أخويهما وذهبا باولادهما ومن معهما الى ضرمى وابا الكباش ويظهر أن هجرة الاخوين ساعدت على تثبيت امارة مرخان حيث انحصرت امارة الدرعية في ذريته دون اخوته ويقول عبد الله فليبى في تاريخ نجد انهجرة اخوى مرخان كانت مشروطه بتنازلهما عن حقوقهما وحقوق ذريتهما في امارة الدرعية ، وهذا الزعم ربما كان باطلا لان اخا مرخان الرابع عبد الله لم يهاجر ومع ذلك لم يكن له او لأولاده اى نصيب في امارة الدرعية وأفضل تعليل لانحصار الامارة في ذرية مرخان هو كثرة اولاده وقوتهم واشتغالهم بالغزوات والامور بينهما انصرف اخرون عن ذلك زمنا حتى سقط حقهم وتنوسى لتقادم العهد كما أنه لا اساس لما ذكره صلاح الدين مختار في كتابه تاريخ المملكة العربية السعودية حيث قال مانصه

(وكان الامير مرخان رحل مع عشيرته وهم بطن من عنزه أهم العشائر العربية واكثرها عددا واعظمها ثراء وارهبها بطشا الى الجهات المدينة المنورة فقطن بين خبيرا وتيماء ومدائن صالح والعلا وانجب أربعة أبناء الاول محمد والثاني مقرن والثالث زيد والرابع ربيعة فرحلوا الى نجد حسب تقاليد وعادات العشائر الكبيرة وطلبا للمرعى وبعد اقامتهم فيها مدة من الزمن اختاروا عيشة الحضارة على عيشة البداوة وسكنوا في قرية عرقة على بعد ساعة من الدرعية ولم يكن في نجد من يضارع الاخوين محمد ومقرن فهما وذكاء ورجولة وكرما وتمسكا باداب الدين وحبا لاهله فتمكنا من التسلط على قلوب السكان الذين اجمعوا على محبتهما واعلاء شانهما وولوا أكبرهم سنا الامير محمد زمام الحكم فيهم غير أن المنية عاجلته فأنتهى الحكم بعده الى اخيه مقرن واختار الدرعية عاصمة له وذلك من سنة ١٠٠ هـ ١٦٨٢ م ٠٠٠) الخ وعلى كل فقد كانت ولاية مرخان في بداية القرن الحادى عشر الهجرى ولا نعلم كم مدة استقامته ولا شيئا عن الحالة في عهده غير ان الحالة العامة في نجد لايجد المؤرخ مايسجله عدى حوادث القتال التى تقع دائما على كل بلد فيما بينهم على السلطة او للانتقام كما يقع بينهم وبين من جاورهم من مدن وقرى ومرخان هو الذى يجمع اسرتى آل وطيان وآل مقرن وامارة الدرعية انحصرت في عقبه من ولديه ٠

أ ـ ربيعة بن مرخان والد وطيان

ب ـ مقرن بن مرخان وكانت وفاته في حدود سنة ١٠٣٠ هـ

٦ ـ مقرن بن مرخان بن ابراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدى الجد الاكبر للاسرة السعودية المالكة ومؤسس الدولة السعودية الاولى ، تولى امارة الدرعية بعد وفاة ابيه مرخان بن ابراهيم وذلك بعد الثلاثين والالف من الهجرة النبوية وهناك عدد من الاراء في ولايته للدرعية

اولا ـ انه اختار الدرعية عاصمة له سنة ١١٠٠ هـ الموافق سنة ١٦٨٢ م وولى الامير بعده اخوه الاكبر ربيعة وهذا ما ذكره صلاح مختار صاحب كتاب تاريخ المملكة العربية السعودية في كتابه وهذا خطا من اساسه ٠

ثانيا ـ انه لما توفى مرخان بن ابراهيم تامر من الدرعية ابنه ربيعة أو ابناه مرخان وربيعة مشتركين وحجا معا سنة ١٠٣٩ هـ ١٦٣٠م وهذا ما يراه خير الدين الزركلى ٠

ثالثا ـ انه بعد وفاة مرخان بن ابراهيم تامر في الدرعية ابنه مقرنا وتامر في غصيبه المجاورة للدرعية ابنه ربيعة وهذا رأى الشيخ مقبل بن عبد العزيز الذكير وعلى كل امارة مقرن كانت بعد وفاة ابيه ويؤيد ذلك ما ذكره الشيخ عثمان بن عبد الله بن بشير فى كتابه عنوان المجد فى تاريخ نجد حيث قال مانصه (في سابقة سنة ١٠٣٩ هـ حج مقرن وربيعة أمير الدرعية ابناء مرخان بن ابراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع) ٠٠٠ الخ وقد أنجب مقرن اربعة ابناء هم :

أ ـ عياف بن مقرن جد آل عياف والذى اشتهر من ذريته :

ـ حمد بن عبد الله بن عياف الذى عينه الامام فيصل بن تركى سنة ١٢٥٠ هـ اميرا على وادى الدواسر ثم بعد ذلك صارا أميرا على بلدة عرقه وله ذكر في حوادث سنة ١٢٥٧ هـ ٠

ـ مشارى آل عياف الذى اشتهر ابنه عبد العزيز بن مشارى الذى صار اميرا فى مقاطعة سدير للامام فيصل بن تركى سنة ١٢٦٢ هـ ودام فيها خمس سنوات ثم جعل أميرا فى وادى الدواسر سنة ١٢٦٢ هـ وبقى فيها أربع سنوات ثم عاد الى امارة مقاطعة سدير وأخوه حسن بن مشارى الذى صاراميرا في الافلاج سنة ١٢٦٢ هـ ٠

ـ سعود آل عياف ولم يبق من آل عياف في العهد الحاضر الا ابناء محمد بن عبد العزيز آل عياف الذى توفي في مدينة الرياض سنة ١٣٨٩ هـ بعد ان خلف ثلاثة ابناء هم عبد العزيز من كبار موظفى الحرس الوطنى وعبد العزيز ومشارى ولكل واحد من هؤلاء الثلاثة ابناء واحفاد امابقية عياف فقد انقرضوا ٠

ب ـ مرخان بن مقرن بن مرخان الذى قتله ابن عمه وطيان بن ربيعة ابن مرخان سنة ١٠٦٥ هـ ثم هرب وطيان من نجد وجلا الى الزبير كما

اوضح ذلك الشيخ عثمان بن عبد الله بن بشر في عنوان المجد في تاريخ نجد في صفحة ١٠ و ١٥ و١٩٠ من الجزء الثانى الا انه في سوابقه سنة ١٠٦٥ هـ ذكر ان اسم الذى قتله وطيان هو مرخان بن ربيعة ولا نعلم ما الاصح ..

جـ ـ عبد الله بن مقرن بن مرخان والذى انجب ابنين هما :

ـ ناصر بن عبد الله بن مقرن الذى ينتمى اليه آل ناصر والذين لهم ذكر في حوادث حصار ابراهيم باشا للدرعية سنة ١٢٣٢ هـ وهؤلاء يغلب على الظن انهم قد انقرضوا وهم غير آل ناصر المناقر الذين يقطنون ثرمداء والذين لهم ذكر في تاريخ نجد .

ـ مقرن بن عبد الله بن مقرن الذى له ذكر فى حوادث الدرعية سنة ١١٣٩ هـ .

د ـ محمد بن مقرن بن مرخان الذى توفي بالدرعية سنة ١١٠٦ هـ بعد ان انجب ابنين هما مقرن وسعود .

٧) ربيعة بن مرخان بن ابراهيم بن مانع المريدى تولى امارة بلدة غصيبة فى الوقت الذى تولى فيه أخوه مقرن امارة بلدة الدرعية كما هو استنتاج الشيخ مقبل بن عبد العزيز الذكير فى تاريخه كما ان احد المؤرخين استنتج بأنه هو الذى خلف أباه فى امارة الدرعية لكونه هو الاكبر سنا وكانت قاعدة السن كالسنة المتبعة فى تنصيب أمراء نجد وشيوخها فهو الابن الاكبر لمرخان وعلى كل فلا نعلم عن ربيعة وأخيه مقرن شيئا عن تاريخ ولايتهما للدرعية وغصيبة ولا تاريخ وفاتهما ولا الحوادث التى حصلت فى عهديهما الا انهما قد حجا فى سنة ١٠٣٩ هـ وربيعة هو جد قبيلة آل وطبان رؤساء بلد الزبير وقد عرفت ذريته باسم ابنه وطبان ويقال لهم آل وطبان وقد انجب وطبان أربعة عشر ولدا عدى البنات ولا يذكر لنا الشيخ عثمان بن عبد الله بن بشر صاحب عنوان المجد فى تاريخ نجد ولا غيره من مؤرخى نجد القدامى اسماء أمراء الدرعية بعد مقرن وربيعة ولا من تولى بعدهما تاركا فراغا كبيرا بين ربيعة بن مرخان ومحمد بن مسعود ولكننا نستطيع سداد هذه الثغرة بما نستخرجه من النقول التى يوردها

الشيخ عثمان بن بشر في اماكن مختلفة من كنابه سابقه ومما كتبه أخرون مع أننا ملزون بالقول أن الفترة التى تمتد بين ربيعة ومحمد المذكورين ماتزال غامضة فى نظرنا ومعلوماتنا عنها قابلة للشك ٠

٨) مرخان بن مقرن بن مرخان بن ابراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدى تولى امارة الدرعية بعد أبيه مقرن ويرى بعض المؤرخين أنه وليها بعد عمه ربيعة وعلى كل فقد حاول الاستيلاء على بلدة غصيبة بعد وفاة واليها عمه ربيعة فكان هذا سببا فى منازعة كل من وطبان بن ربيعة بن مرخان ومرخان بن مقرن بن مرخان والتى انتهت بقتل وطبان عمه مرخان سنة ١٠٦٥ هـ الموافق ١٦٥٥ م واسترجاعه غصيبة مرة اخرى وهذا الخبر يعتبر مؤيدا لما ذهب اليه الشيخ مقبل بن عبد العزيز الذكير من أن ربيعة استقل بامارة غصيبة وحاول استرجاعها مرخان بعد وفاة ربيعة الا أن وطبان ابن ربيعة استعادها زمنا ثم هرب الى الزبير ومرخان هو الذى ذكره عثمان ابن عبدالله بن بشر فى عنوان المجد فى تاريخ نجد حيث قال ما نصــــه (وفى سنة خمس وستين والف قتل مرخان بن ربيعة فقتله وطبان واستولى على غصيبة المعروفة بالدرعية) ٠٠٠ الخ

٩) وطبان بن ربيعة بن مرخان بن ابراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدى تولى امارة غصيبة المجاورة للدرعية بعد أن استعادتها من ابن عمه مرخان بن مقرن بن مرخان الذى حاول استعادتها من آل ربيعة وضمها الى امارة الدرعية بعد ان تم انفصالها بتولى ربيعة بن مرخان لامارتها الا أن وطبان بن ربيعة لم يمكنه من ذلك٠حيث قتله سنة ١٠٦٥هـ/١٦٥٥ م واستعاد غصيبة وتولى امارتها (١٥) وقيل أن أبناء ربيعة لم يرضوا عن ولاية مرخان وعدوه مغتصبا لان كبير ابناء ربيعة كان أحق منه بخلافـة ربيعة وقاموا على مرخان وقتلوه ثم بعد ذلك حدثت قلاقل حيث حاول وطبان الاستيلاء على الدرعية بعد أن قتل اميرها مرخان الا أنه هرب من نجد وجلا الى الزبير وقد أنجب وطبان عددا من الذكور قيل انهم اربعة عشر ولدا وأشهرهم :

أ ــ ادريس بن وطبان بن ربيعة الذى تولى امارة الدرعية مدة مـن الزمن حتى قتل سنة ١١٠٧هـ وهو جد آل ادريس وقد خلفه فى امـــارة الدرعية سلطان بن محمد العيسى ٠

ب ـ ابراهيم بن وطبان بن ربيعة وهو الذى قتل شقيقه امير غصيبة مرخان بن وطبان سنة ١١٠١هـ غدرا ولكن الله لم يمهله حيث قتل على يد أمير الرياض يحى بن سلامة آل زرعة سنة ١١٠٦هـ ٠

جـ ـ احمد بن وطبان بن ربيعة ٠٠ وهو الذى قتل سنة ١٠٨٤ هـ هو وامير الدرعية ناصر بن محمد كما جاء ذلك فى عنوان المجد فى تاريخ نجد٠

د ـ ثاقب بن وطبان بن ربيعة ٠٠ الذى انجب عددا من الابنـــــاء أشهرهم ابنه ابراهيم بن ثاقب/بن وطبانالذى صار اميرا لبلد الزبيروبعد وفاته ولى امارة الزبير ابنه محمد بن ابراهيم ثاقب بن وطبان وقتل سنة ١٢٥٢هـ بعد امارة دامت اكثر من عشر سنوات (١٦) ٠

هـ ـ ربيعة بن وطبان بن ربيعة والد كل من :

ـ موسى بن ربيعة بن وطبان الذى تأمر فى الدرعية ودام فيها الى أن جلى الى العيينة وقتل سنة ١١٣٩ أثناء المحاولة التى حصلت بين رفقة زيد ابن مرخان ورفقة أمير العيينة خرفاش محمد بن حمد بن عبد الله بـــن معمر ٠

ـ مرخان بن ربيعة بن وطبان الذى قتله أخوه موسى والذى اعتبـــــــر المؤرخون قتله أول قطيعة وسفك دماء بين آل وطبان ٠

و ـ عبد الله بن وطبان بن ربيعة ٠٠ جد محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن وطبان الذى كان يقطن العيينة ٠

ز ـ محمد بن وطبان بن ربيعة ٠٠ وهو جد ثاقب بن عبد اللـــــه المطوع المشهور ٠

ح ـ زيد بن وطبان وعدد آخرون ٠

١٠) ناصر بن محمد الذى اختلف فى انتسابه على ثلاثة أقوال هى :
أ ـ أنه ناصر بن محمد بن مقرن بن مرخان ولى امارة الدرعية فى عهد ابيه محمد بن مقرن بن مرخان وهذا هو رأى الدكتور منير العجلانى

في الجزء الاول من كتابه تاريخ البلاد السعودية وعبد الله فيلبى فى كتابه تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية حيث ذكر أن ناصر ابن محمد حكم الدرعية خلال حياة ابيه وقال غيره أن محمد بن مقرن تخلى عن حقه فى ولاية الدرعية الى ابنه ناصر ويستنتج من ذلك أن ابنه ناصر هو الذى تولى امر الدرعية بعد مقتل وطبان ٠

ب ـ انه ناصر بن محمد بن وطبان بن ربيعة بن مرخان وإلى هذا الرأى ذهب خير الدين الزركلى فى كتابة شبه جزيرة العرب فى عهد الملك عبد العزيز ٠

جـ انه ليس من عائلة آل مقرن والى هذا ذهب الشيخ مقبل بن عبد العزيز الذكير فى تاريخه واحتج بأنه راجع شجرة نسب آل مقـــــرن فلم يجد فيها أحدا بهذا الاسم حيث قال ما نصه (ولا أعلم هل هو من عائلة آل مقرن أو من غيرهم) ٠٠٠ الخ وعلى كل الاراء فقد اورده الشيخ عثمان ابن عبد الله بن بشر فى عنوان المجد فى تاريخ نجد مجردا من الانتساب حيث ذكر أنه قتل سنة ١٨٠٤ هـ ١٦٧٣ م حيث جاء ما نصه (وفيها قتل أمير الدرعية ناصر بن محمد واحمد بن وطبان) ولم يذكر من هو القاتل ولا من تولى بعده وقد يستشفف من هذا النص أنه من آل مقرن وأن احمد ابن وطبان كان امير غصيبة خلفا لابيه وربما انه حصلت معركة فى سنة ١٠٨٤ هـ تسبب فى قتل اميرى الدرعية ناصر بن محمد وغصيبة احمد بن وطبان فيدل النص على اختلاف بين آل وطبان أمراء غصيبة وآل مقرن أمراء الدرعية وانهما لم ينضما لامير واحد وتدل الحوادث التاريخية أن الدرعية تولى امارتها بعد ناصر بن محمد ابنه محمد بن مقرن بن مرخان وأن غصيبة تولاها بعد احمد بن وطبان أخوه مرخان بن وطبان ٠٠ وقد كانت ولاية ناصر بن محمد لامارة الدرعية تسعة عشر عاما بدأت سنـــة ١٠٦٥ هـ لما قتل مرخان بن مقرن ودامت الى أن قتل سنة ١٠٨٤ هـ قال فيلبى (ناصر الذى اشتهر بلقب امير الدرعية سنة ١٦٧٣م عندما ذبح هو وابن عمه احمد بن وطبان اخذ بالثأر من والد الاخير ٠ وربما تم ذلك بمساعدة محمد بن مقرن ٠٠٠ الخ)

١١) مرخان بن وطبان بن ربيعة بن مرخان بن ابراهيم بن موسى بن

ربيعة بن مانع المريدى الذى تولى امارة غصيبة بعد قتل اخيه احمد بن وطبان سنة ١٠٨٤ هـ ١٦٧٣ م وقد أخطأ خير الدين الزركلى حيث ذكر أنه بعد وفاة محمد بن مقر انتقلت امارة الدرعية الى آل وطبان حيث تولاها مرخان ٠٠٠ فولايته كانت على غصيبة وليست على كامل الدرعية وقتله كان أثناء ولاية محمد بن مقرن حيث انه بعد ولايته على غصيبة مدة من الزمن تحكمت الخلافات بين آل وطبان فقتله أحدهم وهو أخوه ابراهيم بن وطبان غدرا سنة ١١٠١ هـ ـ ١٦٩٠ م ومن هنا بدأ الاختلاف يدب بين آل وطبان أمراء غصيبة مما يؤيد أمر ال مقرن على كامل الدرعية فيما بعد ٠

١٢) ابراهيم بن وطبان بن ربيعة بن مرخان بن ابراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدى الذى تولى امارة غصيبة بعد أن قتل أخاه مرخان بن وطبان سنة ١٠٩٩ هـ على رواية الشيخ وبراهيم بن عيسى فى تاريخ بعض الحوادث الواقعة فى نجد أو سنة ١١٠١ هـ على رواية الشيخ عثمان بن عبد الله بن بشر فى عنوان المجد فى تاريخ نجد وذكر خير الدين الزركلى أنه تولى امارة الدرعية بعد محمد بن مقرن سنة ١١٠٦ هـ وعلى كل الاراء فقد بقى فى امارة غصيبة الى ان قتله أمير الرياض يحى بن سلامة (أبا زرعة) الحنفى سنة ١١٠٦ هـ (١٧) وهى نفس السنة التى توفى فيها أمير الدرعية محمد بن مقرن بن مرخان مما يدل على خطأ الزركلى فيما ادعاه ٠ (١٨)٠

١٣) محمد بن مقرن بن مرخان بن ابراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدى الذى تولى امارة الدرعية سنة ١٠٨٤ هـ بعد وفاة ابنه ناصر ابن محمد بن مقرن ليكون ناصر قد تولى امارة الدرعية قبل ولاية أبيه محمد بن مقرن بن مرخان وذكر فى بعض الكتب التاريخية أن محمد بن مقرن ثأر لاخيه مرخان الذى قتل سنة ١٠٦٥ هـ فقتل قاتله وطبان بن ربيعة وتولى امارة الدرعية بدلا منه وهذا رأى لا اساس له من الصحة (١٩) ٠ أما حالة الدرعية فى عهده فلا يذكر لنا الشيخ عثمان بن عبدالله ابن بشر فى عنوان المجد فى تاريخ نجد سوى الحوادث التالية :

أ ـ فى سنة ١٠٨٨ هـ قصد براك بن غرير آل حميد والى الاحساء قبيلة آل عساف من آل كثير عند الزلال المعروف بقرب الدرعية واستولى عليه وكان ذلك ناتجا من وجود اميرين فى الدرعية ٠

ب ــ وفى سنة ١٠٩٦ هـ سار امير العيينة عبد الله بن محمد بن حمد ابن عبدالله بن حمد بن محمد بن حسن بن طوق بن معمر امير العيينة بجيشه الى بلدة حريملاء قاعدة اقليم الشعيب وسار معه امير الدرعية محمد ابن مقرن وحصل بين الطرفين معركة انتهت بانهزام اهل حريملاء وسميت هذه المعركة سنة (محيروس) وقد اخطأ الشيخ عثمان بن عبد الله بن بشير صاحب عنوان المجد فى تاريخ نجد أثناء سرده لواقعة سنة ١٠٩٦ هـ حيث جاء مانصه :

(وهذه السنة هى سنة المحيرس على اهل بلد حريملا وذلك ان عبدالله ابن معمر سار اليها وسار معه سعود بن محمد صاحب الدرعية وجعل لهم كمينا فلما التقوا خرج عليهم الكمين .. فانهزم اهل حريملا فقتل منهم عند الباب قريبا من ثلاثين رجلا من الجنب اثنى عشر رجلا والباقى من الفزع وهذه وقعة الكمين الاول .. الخ) فالذى اشترك في غزوة حريملا هو محمد بن مقرن وليس سعود اما اذا كان سعود هو الذى اشترك فهو ليس امير الدرعية في ذلك العهد بل امير الدرعية هو والده (٢٠) .

ج ــ وفي سنة ١٠٩٨ هـ سار أهل حريملاء ومعهم محمد بن مقرن امير الدرعية بن عثمان امير الخرج الى بلد سدوس وهدموا قصره وخربوه وبقى فى امارة الدرعية ٢٢ سنة حيث توفى سنة ١١٠٦ هـ الموافق١٦٩٤م بعد أن خلف عددا من الابناء واشهرهم :

أ ــ مقرن بن محمد بن مقرن الذى تأمر فى الدرعية ودام فيها اميرا مدة من الزمن حيث قتل سنة ١١٣٩ هـ الموافق ١٧٢٦م دون أن ينجب احدا من الذرية عدى عبد الله بن مقرن الذى جعله الامام عبد العزيز بن محمد بن سعود اميرا على الرياض لما تم استيلاؤه عليها سنة ١١٨٧ هـ .

ب ــ ناصر بن محمد بن مقرن تأمر فى الدرعية مدة من الزمن فى حياة والده ودام فيها الى أن قتل سنة ١٠٨٤ هـ الموافق ١٦٧٣ م وليس له ذرية .

ج ــ سعود بن محمد بن مقرن المؤسس الاول لدولة آل سعود وقـد تأمر فى الدرعية مدة من الزمن انتهت بوفاته فى شهر رمضان سنة ١١٣٧هـ

١٤) ادريس بن وطبان بن ربيعة بن مرخان بن ابراهيم بن موسى ابن ربيعة بن مانع المريدى والذى توحدت كل من الدرعية وغصيبة فى عهده تحت لواء امير واحد فصار اميرا لهما معا بعد انفصال دام ما يقارب ثمانين عاما وذلك بعد وفاة كل من امير الدرعية محمد بن مقرن ابن مرخان سنة ١١٠٦ هـ الموافق ١٦٩٤ م ومقتل اخيه ابراهيم بن وطبان امير غصيبة فى نفس السنة ١١٠٦ هـ الا أنه لم يستطع التغلب على فساد اخوته وشقاقهم فكان حكمه ضعيفا متخاذلا وطمع فى امارة الدرعية الطامعون وسيطرت الفوضاء فى البلد ولم يهنأ بالامارة طويلا ولقى العديد من المشاكل وقتل سنة ١١٠٧ هـ الموافق ١٦٩٥ م ولم يذكر المؤرخون اسم قاتله وعلى كل فهو جد آل ادريس وخلفه فى امارة الدرعية سلطان بن حمد القبس سنة ١١٠٨ هـ / ١٦٩٦ م ·

١٥) سلطان بن حمد القبس وهو ليس من عائلة آل مقرن ولا من آل وطبان وقد استنتج عبد الله فلبى فى كتابه تاريخ نجد أن القبس من بنى خالد وهو استنتاج خاطىء أغرب فيه فيلبى حيث لم يصدر عن تاريخ او رواية فهو بلا شك مجهول النسب و دخيل فى امارة الدرعية ولذلك يسمى عبدالله فيلبى هذه الفترة التى امتدت من سنة ١١٠٧ الى سنة ١١٢١ هـ بفترة الحكم الاجنبى ويقول عن سلطان أنه رجل مغمور من بنى خالد من الاحساء وقد تولى امارة الدرعية سنة ١١٠٨ هـ ١٦٩٦ م بعد قتل أميرها ادريس بن وطبان بن ربيعة وقد استطاع أهل الدرعية قتله بعد أن طال حكمه وكرهه الناس وذلك سنة ١١٢٠ هـ الموافق ١٧٠٨ م بعد امارة دامت اثنتى عشرة سنة وخلفه على امارة الدرعية أخوه عبد الله

١٦ ـ عبدالله بن حمد القبس تولى امارة الدرعية بعد مقتل أخيه سلطان وهما ليسا من آل وطبان ولا من آل مقرن بل هما مجهولى النسب ودخلا فى امارة الدرعية ونأسف لعدم وجود مصادر تاريخية تنبئنا عن هذين الاميرين وكيف توصلا الى امارة الدرعية التى لا نعرف الا انها مدولة بين اسرتى آل مقرن وآل وطبان وقد بقى فى امارة الدرعية عدة أشهر حيث قتل فى العام التالى لولايته سنة ١١٢١ هـ ١٧٠٩ م وبمقتله يقول عبد الله فيلبى انتهت فترة الحكم الاجنبى التى دامت خمس عشرة

سنة فى الدرعية وعادت امارة البلدة الى ولاتها الشرعيين وقد حدد قتله بشهر أذار سنة ١٧٠٩م ٠

١٧ ــ موسى بن ربيعة بن وطبان بن ربيعة بن مرخان بن ابراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدى الذى تولى امارة الدرعية سنة ١١٢١ هـ الموافق ١٧٠٩ م (٢١) بعد أن قتل عبد الله بن حمد القبس وذكر الشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى فى تاريخ بعض الحوادث الواقعة فى نجد أن موسى بن ربيعة هو أول من واقع القطيعة وسفك الدماء فى آل وطبان حيث قتل أخاه مرخان بن ربيعة بن وطبان وقد تولى امارة الدرعية احدى عشرة سنة حيث ثار عليه أهل الدرعية وخلعوه عن الامارة ونفى عن البلد سنة ١١٣٢ هـ فتوجه بعدها الى العيينة ولجأ لدى اميرها (خرفاش) محمد بن حمد بن عبد الله بن معمر حيث عاش لاجئا أو جاويا كما يقولون فى تلك الايام واختلف فيمن اعقبه فى الولاية على ثلاثة آراء :

أ ــ سعود بن محمد بن مقرن الذى كان على راس الثائرين والذى استولى على امارة الدرعية الى أن توفى فى رمضان سنة ١١٣٧ هـ الموافق ١٧٢٠ م ٠

ب ــ زيد بن مرخان بن وطبان بن ربيعة فقد استمر موسى بن ربيعة ابن وطبان فى امارة الدرعية الى أن غلبه عليها زيد بن مرخان كما رأى ذلك مقبل بن عبد العزيز الذكير ٠

جـ ــ مقرن بن محمد بن مقرن الذى نازع موسى بن ربيعة الامارة وتغلب عليه وطرده من الدرعية وهذا رأى آخر لمقبل بن عبد العزيز الذكير ٠ وعلى كل الاقوال الثلاثة فقد عاش لاجئا فى العيينة الى سنة ١١٣٩ هـ الموافق ١٧٢٧ م حيث اصابته رصاصة بندقية كان فيها حتفه وذلك اثناء المعركة التى حصلت بين أمير الدرعية الغازى زيد بن مرخان وبين أمير العيينة خرفاش وقتل فى المعركة زيد بن مرخان كما سيأتى تفصيله ٠

١٨) سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن ابراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع بن ربيعة المريدى كبير فرع آل مقرن واليه تنتسب اسرة

آل سعود وكان من رجال الحرب فى حياته (٢٢) وقد اختلف المؤرخون فى ولايته على رأيين :

أولهما : أن الذى تولى امارة الدرعية بعد أن خلع أميرها السالف الذكر موسى بن ربيعة بن وطبان ونفيه فى حوالى سنة ١١٣٢ هـ الموافق ١٦٢٠م.
ثانيهما .. ان الذى تولى بعد خلع موسى بن ربيعة بن وطبان هو زيد ابن مرخان ودام فيها الى أن نازعه عليها مقرن بن محمد بن مقرن الذى كان أحسن من سعود بن محمد بن مقرن وكان سعود بن محمد وابنه محمد ابن سعود لا يزال فى الدرعية وليس لهما من الامر شيء وهذا ما رآه الشيخ مقبل بن عبد العزيز الذكير فى تاريخه كما ذكر أن الامير سعود توفى اثناء ولاية اخيه مقرن على الدرعية سنة ١١٣٧ هـ .

وهذا الرأى خطأ بدليل ما ذكره الشيخ عثمان بن عبد الله بن بشر في عنوان المجد فى تاريخ نجد حيث جاء ما نصه اثناء سرده لحوادث سنة ١١٣٧ هـ (وفى ليلة عيد الفطر رمضان مات رئيس الدرعية سعود بن‌محمد بن مقرن وتولى فيها زيد بن‌مرخان) وجاء في تاريخ الشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى ما نصه (وفي هذه السنة ١١٣٧ هـ ليلة عيد رمضان توفي سعود بن مقرن رئيس بلد الدرعية وتولى فيها زيد بن مرخان) الـــخ فامارة الدرعية تعاقب عليها بعد موسى بن ربيعة بن وطبان كل من سعود بن محمد بن مقرن ثم زيد بن مرخان ثم مقرن بن محمد بن مقرن ومن تتبعى للحوادث التى سجلها مؤرخون نجد ان الدرعية لم يحصل فيها اى حادث يحتاج الى الاهتمام سوى عام ١١٣٣ هـ حيث سار سعدون بن محمد ابن غرير الى نجد ومعه مدافعه التى جلبها من الاحساء ونزل وادى عقرباء المعروف بقرب العيينه طيلة فترة الصيف وكان آل كثير في بلد العمارية فحاصرهم فيها حتى هزلت مواشيهم ثم سار الى الدرعية ونهب بيوتا في الظهيره وملوى والسريحة وقتل اهل الدرعية من قومه خلق كثير وفيها ولد الامام عبد العزيز بن محمد بن سعود وعى كل فقد تسلم الامير سعود امارة الدرعية خمسة اعوام انتهت بوفاته في شهر رمضان سنة ١١٣٧ هـ ١٧٢٥ م .

ويقول عبد الله فلبى في كتابه (اليوبيل العربى) صفحة ٢٥٥

أن سعود بن محمد بن مقرن توفي سنة ١٧٤٧ م كحاكم فعلى للدرعية بعد ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الاصلاحية بقليل ومن المعلوم ان عام ١٧٤٧ م يقابله في الهجرى عام ١١٦٠ وهذا خطأ فاحش لان لبعون مات قبل هذا التاريخ بـ ٢٣ سنة في الوقتالتى كانت الدعوة الاصلاحية في نجد بقيادة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم تظهر لانه كان في العام الذى توفي سعوود قد بلغ من العمر ٢٢ سنة ولم يكن قد عاد من رحلته العلمية الطويلة التى امتدت حوالى سنة ١١٥٠ هـ (٢٣) وقد خلف سعود اربع ابناء هم :

أ ـ ثنيان بن سعود محمد بن مقرن كان كفيف البصر ومع ذلك فقد فتحالله بصيرته للدعوة الاصلاحية التى قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب حيث كان احد مستقبليه لما وصل الى الدرعية سنة ١١٥٧ هـ وكان عضدا لاخيه محمد بن سعود وهو احد الذين اشاروا على محمد بن سعود بقبول دعوة الشيخ ومؤازرتها وكانت وفاته في رمضان سنة ١١٨٦ هـ بعد ان انجب ثلاثة ابناء هم :

ـ ابراهيم الذى انجب ثنيان والد الامير عبد الله ثنيان بن ابراهيم ثنيان بن سعود الذى هرب في سنة ١٢٥٦ هـ الى المنتفق ثم عاد في سنة١٢٥٧ هـ واستولى على الحكم ودام فيه الى أن توفي فى منتصف جمادى الاخره سنة ١٢٥٩ هـ يوم لجمعة بعد أن خلف ثلاثة ابناء هم ثنيان بن عبد الله بن ثنيان الذى انجب محمدا والد كل من ثنيان بن محمد بن ثنيان وعبد الله بن محمد ابن ثنيان وعبد الله بن عبد الله بن ثنيان الذى يلقب بالباشا وسمى على والده لان والده توفى وهو حمل ونزح الى استانبول فى زمن السلطـــان مراد الخامس وخلع عليه لقب الباشا وتوفى باستامبول بعد أن أنجب أربع ابناء عبد القادر الذى انجب عبدالله بن عبد القادر وسعود الذى انجب زكي وسليمان الذى انجب عبد العزيز واحمد الذى توفى بمدينة الرياض سنة ١٣٤١ هـ وذكر فى كتاب البلاد العربية السعودية لفؤاد حمزة وليس له عقب ٠

ومحمد بن عبد الله بن ثنيان الذى قتل سنة ١٢٨٧ هـ وهو غاز مع

سعود بن فيصل فى قطر لقتال الحامية التى جعلها الامام عبدالله بن فيصل فى قطر ٠

ـ عبد الله بن ثنيان بن سعود الذى قتل مع الامام فيصل بن تركى فى حرب الدلم سنة ١٢٥٤ هـ بعد أن انجب ناصر بن فيصل والد هذلول الذى انجب الامير سعود بن هذلول بن ناصر بن فيصل بن ناصر بن عبدالله بن ثنيان وأخيه فيصل بن هذلول والمعروفون اليوم بآل هذلول ٠

يوسف بن ثنيان بن سعود بن محمد بن مقرن الذى انجب محمدا الذى جاء من القاهرة واستوطن لدى الامام فيصل بن تركى بن عبد الله ابن سعود وهو والد يوسف وقد انقرضت ذريتة ٠

ب ـ فرحان بن سعود بن محمد بن مقرن الذى انجب عبد الله والد ابراهيم بن عبد الله بن فرحان الذى قتل فى حرب الدرعية سنة ١٢٣٢ هـ وهو والد سعود الذى انجب ثلاثة أبناء هم ابراهيم الذى ليس له عقب وناصر بن سعود والد كل من سعود ومحمد وعبدالله وعبد الرحمن وتركى ابن سعود والد فيصل بن تركى الذى انجب كل من عبدالله آل فيصل وفهد ابن فيصل أمين مدينة الرياض سابقا ٠

ج ـ مشارى بن مسعود بن محمد بن مقرن الذى آزر أخاه الامير محمد بن سعود فى نصر الدعوة الاصلاحية التى قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب واستقبله عند وصوله للدرعية سنة ١٢٥٧ هـ وتوفى سنة ١١٨٩ هـ وانجب ثلاثة ابناء هم :

ـ عبد الرحمن بن مشارى الذى كان رئيس العمال الذين يجبون الزكاة من قبيلة مطير للامام عبد العزيز بن محمد بن سعود وقد انجب مشارى بن عبد الرحمن ثم انقرضت ذريته ٠

ـ ناصر بن مشارى والد كل من مشارى بن ناصر الذى هرب من الدرعية سنة ١٢٣٣ هـ وعاد اليها فى جمادى الاولى سنة ١٢٣٥ هـ وتأمر في الرياض سنة ١٢٤٠ هـ واخوه عبد الله بن ناصر بن مشارى الذى قتل اثناء حرب الدرعية سنة ١٢٣٣ هـ وقد انقرضت ذرية ناصر المذكور ٠

ـ حسن بن مشارى بن سعود الذى قاد السرايا وقاتل فى الحصون مع الامام عبد العزيز بن سعود فله ذكر فى حوادث سنة ١١٩٣ هـ و ١١٩٦ هـ و ١٢٠٥ هـ و ١٢١١ هـ وله ستة أولاد هم :

ـ ابراهيم بن حسن بن مشارى بن سعود الذى قتل فى حرب الدرعية سنة ١٢٣٣ هـ وانجب ابنين هما عبد الله الذى قتل ايضا على يد عصابة أثناء اقامة ابراهيم باشا فى الدرعية سنة ١٢٣٣ هـ ومحمد الذى حمله الامام فيصل بن تركى أميرا للمرابطة فى قصر بريده سنة ١٢٣٢ هـ وقد انقرضت ذرية ابراهيم ٠

ـ عبد الرحمن بن حسن بن مشارى بن سعود الذى قتل فى حـــــرب الدرعية سنة ١٢٣٣ هـ وقال عنه ابن بشر لا يحضرنى له شرح حال ولا سمعت له وقائع وقد انجب مشارى بن عبد الرحمن الذى كان مع مـــن نقلهم ابراهيم باشا من آل سعود الى مصر ودام فيها الى أن هرب الى الرياض حيث قدم على خاله وابن عمه الامام تركى بن عبدالله سنة ١٢٤١ هـ الذى اكرمه واعطاه عطايا جزيلة وجعله اميرا على منفوحة ثم غدر بخاله الامام تركى فى يوم الجمعة آخر ذى الحجة سنة ١٢٤٩ هـ بواسطة احد خدمه ثم سلط الله عليه من يغتاله بعد انجابه حسن ومقرن وانجب حسن كل من محمد ومشارى وعبد العزيز وعبد الله وحسن وعبد الرحمن ٠

عبد الله بن حسن بن مشارى بن سعود الذى قتل فى حرب الدرعية سنة ١٢٣٣ هـ وكان أميرا للامام عبد الله بن سعود على عنيزة سنة ١٢٣٠هـ وقد انقرضت ذريته ٠

ـ عبد الله بن حسن بن مشارى الذى كان أميرا للجيش فى عنيزة وقد اشتهر ابنه حسن احد الذين هربوا من الدرعية سنة ١٢٣٤ هـ بعد أن حصل الصلح مع ابراهيم باشا ثم عاد الى الدرعية فى شهر جمادى الاخره سنة ١٢٣٥ هـ وقد انجب محمد بن حسن وعبد العزيز بن حسن ومشارى بن حسن ثم انقرضت ذريته ٠

ـ مشارى بن حسن بن مشارى الذى انجب عبد المحسن والد ابراهيم ابن عبد المحسن بن مشارى الذى انجب كلا من فهد الذى استشهد فى وقعة

البكيرية التى دارت بين الملك عبد العزيز بن سعود وعبد العزيز بن متعب ابن رشيد سنة ١٢٣٢ هـ وعبد المحسن بن ابراهيم والد كل من ابراهيم ومشارى وعبد العزيز ومحمد وعبدالله ·

ـ مقرن بن حسن بن مشارى بن سعود الذى قتل فى المعركة التـــى حصلت سنة ١٢٢٦ هـ فى العشر الاواخر من شهر ذى القعدة وقد انقرضت ذريته ·

ـ محمد بن سعود الذى تولى امارة الدرعية عام ١١٣٩ هـ ودام فيها اميرا اربعين عاما كما سيأتى تفصيل ذلك ·

١٩ ـ زيد بن مرخان بن طبان بن ربيعة بن مرخان بن ابراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدى كبير اسرة ال وطبان وكانت ولايتـــه للدرعية بعد وفاة الامير سعود بن مقرن فى رمضان سنة ١١٣٧ هـ خلافا لما ذكره مقبل بن عبد العزيز الذكير فى تاريخه من أن ولايته كانت بعد نفى موسى بن ربيعة بن وطبان كما سبق تفنيده وذكر مقبل فى موضع أخر من تاريخه أن زيد بن مرخان كان اميرا على غصيبة ومقرن بن محمد أميرا على الدرعية ثم حصل بينهما الخلاف الذى سيأتى تفصيله لانه بالرغم من أن زيد بن مرخان كان اكبر رجال الاسرة سنا الا أنه كان ضعيف الرأى سىء التدبير فلم يلبث أياما حتى زاحمه عمه مقرن بن محمد بن مقرن أخو سعود بن محمد بن مقرن فانتزع مقرن امارة الدرعية وانحسرت امارة زيد ابن مرخان وتوقفت على امارة بلدة غصيبة بعد أن حصلت فتنة كبيرة ، فامارة زيد لا تعدو اشهرا قليلة خلافا لما اعتقده مقبل الذكير فانه اذا كانت امارة زيد بعد خلع موسى بن ربيعة بن وطبان سنة ١١٣٢ هـ فان امارته على الدرعية قد زادت عن خمس سنوات ·

٢٠ـ مقرن بن محمد بن مقرن بن مرخان الذى نازع ابن عمه زيد ابن مرخان على امارة الدرعية ولم يزل النزاع بينهما حتى خرج زيد بن مرخان من الدرعية الى غصيبة وأقام بعا بعد أن حصل الصلح بينهما سنة ١١٣٩ هـ وصار مقرن امير الدرعية وكان الامام محمد بن سعود فى ذلك العهد يقيم فى الدرعية وليس له من الامر شىء احتراما لعمه الا أن مقرن

ابن محمد كان قد اضمر الشر لزيد بن مرخان لانه لم يستطع القضاء عليه فكتب اليه خطابا يطلب منه العودة الى الدرعية لجعله مستشارا له وتوثيقا للصلات ... وتأكيدا للروابط التى كانت بينهما غير أن زيد خشى من مقرن أن يبطش به ولم يطمئن الى الدعوة وخشى من المكر فكتب الى مقرن بأنه لن يأتيه حتى يكفل له من محمد بن سعود ومقرن بن عبد الله بن مقرن فكفلا له فأتى الامير زير الى الدرعية فى جماعة من اصحابه فهم مقرن بقتل زيد وبانت منه شواهد الغدر فوثب من نافذة البيت الى بيت الغلا فادركاه وقتلاه واعادوا زيدا الى امارة الدرعية وهكذا شارك محمد بن سعود فى قتل عمه مقرن استنكارا للغدر ووفاء بعهده لزيد ودفاعا عنحياة رجل مظلوم وكان ذلك سنة ١١٣٩ هـ ١٧٢٦ م وقتل مقرن دون أن ينجب أحدا من الذرية سوى عبد الله الذى جعله الامام عبد العزيز بن محمد بن سعود اميرا على الرياض لما استولى عليها سنة ١١٨٧ هـ .

٢) زيد بن مرخان للمرة الثانية استولى على الدرعية فى وقت كانت نجد على حالة كبيرة من كثرة الشقاق والنزاع التى ليس لها من الاسباب سوى حب الانتقام والطمع فى السلب فما رأى احد الامراء انه تفوق على غيره بالقوة والسيطرة الا دفعه ذلك الى طلب المزيد من التمرد والعدوان ولى زيد بن مرخان امارة الدرعية ونجد فى هذه الظروف فما كان منه الا أن يسير بنفس السيرة التى يسير عليها أمراء عصره حيث أراد القيام بعمل باهر يكسبه المال الكثير والعز الوفير والسمعة العالية لدى أهـــل الدرعية ومن جاورها من مدن وقرى وكانت العيينة فى تلك الفترة من الزمن اكبر الديار النجدية على الاطلاق وفيها من التجارة والعمران مـــا ليس فى بلد غيرها من الديار وكان اميرها عبد الله بن محمد بن معمر قد توفى سنة ١١٣٨ هـ بسبب الوباء الذى فتك بأكثر رجالها حتى اصبحت عاجزة عن الدفاع عن نفسها وكان أميرها الجديد محمد بن حمد بن عبد الله بن معمر الذى يلقب خرفاش يبدو ضعيفا وكان ضعفه وموت سلفه وما فى العيينة من أموال سببا فى تفكير زيد بن مرخان أن يغزوالعيينة ويسلب ما فيها من أثاث ورياش وطمع بنهبها والسطوة عليها فجمـــع مجموعة من الحاضرة واشرك معه قبائل آل كثير وسبيع من البادية وغيرهم فلما وصل الجميع الى عقرباء وسمع امير العيينة بقصة الغزو وعرف أنه لا قبل له بهذا الجيش الجرار الذى جاء يزحف الى العيينة عمد الى الحيلة

فارسل رسولا الى زيد بن مرخان يقول له قد بلغني قصدك ومرامك فلماذا تريد اشراك البدو في نهب الدرعية فلا فائدة لك في نهب البوادى وغيرهم فاقبل الى اكلمك من قريب وأعطيك حتى ترضى فلقى عرض خرفاش هوى في نفس زيد بن مرخان لانه يرضى جشعه ونهمه دون غزو أو قتال فجاء الى العيينة في اربعين فارسا من رجاله منهم الامير محمد بن سعود فأحسن امير العيينة استقبالهم واعد لهم مكانا فسيحا فى القصر ثم تركهم بعد ان دبر لهم مكيدة وهى أن رجال خرفاش بعد أن جلس زيد في مكانه في المجلس صوبوا اليه بنادقهم واطلقوا عليه رصاصهم فقتل زيد بعد أن ولج في جوفه رصاصتان كان فيها ختام حياته ... ولما رأى جماعة الامير محمد بن سعود ما اصاب زيد التمسوا موضعا حصينا وصعدوا اليه وتحصنوا منه ولم ينزلوا منه حتى امنتهم الجوهرة بنت عبد الله بن معمر عمة أمير العيينة فعاد محمد بن سعود الى الدرعية وكان موسى بن ربيعة بن وطبان امير الدرعية السابق حضر هذه المعركة فى منزل امير العيينة خرفاش فأصابه طلق نارى مات بسببه ...

(٢٢) محمد بن سعود بن مقرن بن مرخان بن ابراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدى استقل بامارة الدرعية وغصيبة وتولى شئونها بعد أن قتل زيد بن مرخان سنة ١١٣٩ هـ فى حادثة العيينة وهو جد ال سعود ومؤسس دولتهم والذى تلقى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالتأييد والتعضيد وكانت الدرعية فى عهده تقع بالدرجة الثانية بعد العيينة من حيث العدد والعدة الا أن العيينة فقدت هذه الميزة لما حصل الوباء سنة ١١٣٨ هـ وبوفاة اميرها عبدالله بن محمد بن معمر المشهور بسبب هذا الوباء وبعد ذلك تبوأت الدرعية المركز الاول فى نجد وليس معنى ذلك أن بقية البلدان فى الديار النجدية كانت خاضعة لها بل أن الدرعية حافظت على حدودها وقوتها واصبحت قوة ضاربة تخشاها الامارات المجاورة ويمكن أن نقسم ولاية الامام محمد بن سعود الى عهدين :

العهد الاول : ومدته ثمانية عشر عاما ... تبدأ باستيلائه التام على الدرعية وغصيبة سنة ١١٣٩ هـ وتنتهى بلقائه برائد الدعوة الاصلاحية فى نجد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتأييده له سنة ١١٥٧ هـ وكانت احوال نجد اثناء هذه الفترة الطويلة هادئة بالنسبة الى ما سبقها من أعوام فهدات

البلدان وقلت الحوادث وخف الشغب وهدأت الحالة بين الامراء وانصرف الناس الى اعمالهم واتجهوا الى الاشادة والعمران وعمرت الاسواق بالبضائع وقوى السوق التجارة وكان هذا ارهاصا لقرب زمن قيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوعته الاصلاحية ..

العهد الثانى : وبه حصل التطور الخطير والانقلاب العظيم في حالة نجد وتبدلت من الفوضى الى النظام ومن الخوف الى الامن والاطمئنان ومن الفرقة الى الاجتماع واجتمعت كلمة الامة بعد فرقة وتوحدت القلوب بعد تفرق وذلك بسبب دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التى لو لم يكن لها من الفضائل الانشر / التوحيد ورفع راية الحق لكفى ، فقد جمع الله الامة النجدية ولم شثها وتوحدت كلمتها تحت راية واحدة فانقادوا بعد الفوضى والتناقض والتناحر وكف الله ايديهم من الاعداء وزالت العداوات والشحناء والبغضاء المتأصلة فى النفوس .

وفي العدد القادم سوف نفصل لك ايها القارىء العزيز قصة اللقاء الكبير الذى تم بين الامير محمد بن سعود ورائد الدعوة الاصلاحية الشيخ محمد بن عبد الوهاب مع استكمال قصة حياة الشيخ وأبنائه واعماله والى اللقاء ،

منصور العبد العزيز الرشيد

١ ــ هو بحث طويل بعنوان (مدينة الدرعية القاعدة الاولى للدولة السعودية نشر فى مجلة العرب التى يرأس تحريرها الاستاذ حمد الجاسر والتى تصدر عن دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر وهو مقال في ١٢ حلقة نشر في اعداد رجب وشعبان ورمضان وشوال وذو الحجة عام ١٣٨٦ هـ ٠ ومحرم وصفر وربيع الاول وجمادى الاولى وشوال وذو القعدة عام ١٣٨٧ هـ ٠

٢ ــ جاء فى مجلة العرب بحث مفصل عن ولاة اليمامة يقع فى ست صفحات فى العدد الثالث من السنة الاولى الصادر فى رمضان سنة ١٣٨٦هـ جاء فيه أن نجد يطلق عليها اسم اليمامة وكانت فى العهد الاموى مرتبطة اداريا بوالى العراق وفي العهد العباسى مرتبطة بوالى مكة وربما ضمت الى المدينة وكان ولاة اليمامة في العهد الاموى هم يزيد بن هبيرة المحاربى في عهد عبد الملك ثم ابراهيم بن عربى الكنانى ثم سفيان بن عمرو العقيلى ونوح بن هبيرة في عهد سليمان بن عبد الملك وزاره بن عبد الرحمن في عهد عمر بن عبد العزيز ثم عاد ابراهيم بن عربى ثم المهاجر بن عبد الله بن النعناع ويزيد بن هبيرة الفزارى ٠

اما فى عهد بنى العباس فقد كان داود بن على بن عبد الله بن العباس ثم زياد بن عبد الله بن عبد المدات خال السفاح ثم السرى بن عبدالله بن الحارث بن وقثم بن العباس والفضل بن صالح وجعفر بن سليمان عبد الله بن مصعب الزبيرى وسويد القائد الخرسانى ومحمد بن سليمان ابن على ودواد بن بن منجور واسحاق بن ابراهيم بن الحسن بن مصعب ومحمد بن عون وسعيد بن صالح الحاجب وبعده بارجوج وعبد الرحمن بن مفلح وعباس بن عمر الفتوى ولما نشات دولة بنى الاخيضر استولت على اليمامة الى أول القرن الرابع الهجرى ثم استولى عليها القرامطة ٠

٣ ــ الجزعة ٠٠٠ هى مكان واسع يقع فى أسفل باطن الرياض قريبا من بلدة المصانع تقع عن المصانع شرقا وجنوبا وهى جنوب بلدة منفوحة كانت فى القرن العاشر الهجرى آهلة بالسكان وقد خرجت ونزح منها أهلها

ومنهم قبيلة آل ملحم الاسرة المعروفة حاليا فى الاحساء وقد حصلت فيها وقعة بين الامام عبدالله آل فيصل وبين أخيه سعود بن فيصل سنة ١٢٩٠هـ وذلك بعد أن خربت وهى الوقعة التى تعرف عند اهل العارض بسنة الجزعة ·

٤ ــ المليد وغصيبة هما قريتان واقعتان فى اعلى الدرعية ·

٥ ــ أقدم قاعدة فى اقليم اليمامة تشمل قصور متفرعة تتخللها حدائق النخيل تمتد على ضفاف وادى الوتر من الشمال الى الجنوب باتجاه الوادى وتنتشر هذه النخيل فيما بين حجر وبين وادى العرض ويرى المتقدمون أن عبيد بن تعلبة الحنفي لما نزلها نزل منها فى الشط قرية كانت فى قبلة حجر بين الوتر والعرض فانه لما جاء الى اليمامة وجد قصرها وحدائقها خالية من السكان فاحتجز ثلاثين قصرا وثلاثين حديقة وسميت حجرا فامتدت منازل حجر بين جوانب البطحاء شرقا وغربا وامتدت بامتداد الوادى فى الربوات التى تنخفض على التلال الصخرية وترتفع عن مجرى السيول فيما بين الجبل المعروف باسم الخربة وحديثا بابو مخرون حتى تقرب فى منفوحة حتى يتسع اسفل الوادى قبل التقائه بوادى العرض · وقد ازدهرت مدينة حجر فى الجاهلية ثم فى صدر الاسلام واصبحت قصبة اليمامة ومقر ولاتها وبقيت قاعدة اليمامة فى عهد الخلفاء الراشدين ثم فى عهد بنى امية وفي عهد بنى العابس اصبحت الخلافة بعيدة عن العرب وعن بلادهم فاصبح أمر هذه البلاد مهملا وبقيت مغمورة مع انها بقيت قاعدة اليمامة كما هو باتفاق مؤرخى القرن الثالث الهجرى ودامت على ذلك حتى استولى محمد الاخيضر على اليمامة سنة ٢٥٣ هـ واتخذ الخضرمة قاعدة ملكه وتداول الحكم بنوه من ذلك العهد الى منتصف القرن الخامس الهجرى وبدأ شأن حجر يضعف شيئا فشيئا مدة استيلاء الاخيضر بها فتشرد اهلها وضعف شأنها الا أنها لم تزل قاعدة اليمامة حتى زارها الرحالة ابن بطوطه سنة ٧٣٢هـ وتحدث ابن فضل الله العمرى فى مسالك الابصار عن قبائل العرب فى عهده فى القرن الثامن وذكر أن سكانها بنى يزيد وهم من بهذا الاسم حتى حلت محلها الرياض ·

٦ ــ العمارية ··· قرية تقع غرب وادى حنيفة فوق الدرعية فى واد

يفيض فى العرض بفارع وادى الحيسية مما يلى الجنوب فيها وهى بين الدرعية والحبيلة وتبعد عن الدرعية ٢٠ كيلومتر وهى آهلة بالسكان وفيها نخيل ومزارع ولم ار لها ذكر فى تاريخ نجد قبل عاع ١٠٩٧ هـ وذكرها ياقوت الحموى فى معجمه حيث قال (العمارية منسوبة الى عمار قرية بنى عبد الله بن الدؤل) بن حنيفة بن لحيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل وعمار الذى ذكره ياقوت من بنى الدؤل وهم أهل الوادى الذى يقول فيه الشاعر :

فما علمت ان الدخان فاكهة حتى وردت بوادى آل عمـــار

٧ - آل يزيد: هماحدى قبائل بنى حنيفة الذين اشتهر ذكرهم وتحدث عنهم ابن فضل الله العمرى في كتابه مسالك الابصار عن قبائل العرب من اهل القرن الثامن وهو يعدد الاماكن التى كانوا يقطنونها حيث يقول مانصه (بنو يزيد دارهم ملهم وبنيان وحجر ومنفوحة وصيـــاح والبرة والعويند وجو ٠٠) الخ ولكه انحصر نفوذهم فى القرن التاسع الهجرى حيث اشترى حسن بن طوق بن معمر التميمى العيينه منهم سنة ٨٥٠ هـ واستوطن مانع المريدى في الدرعية وحاربهم ابنه ربيعة ثم حفيده موسى بن ربيعة حيث هجم عليهم في الوصيل والتعميه الموضوعان المعروفان في اليزيدى من سكان الجزعة حيث رثى مقرن بن اجود بن زامل والى الاحساء الذى قتله البرتغاليون سنة ٩٦٨ هـ حيث قال من الشعر النبطى :

ومجد عاربعى زاهى فلاتها على الرغم من سادات لام وخالد
وسادات حجر من يزيد ومزيد قد اقتادهم فود الفلايا الفلابد

وبقى لال يزيد ذكر حتى القرن الحادى عشر الهجرى ومنهم آل دغيثر سكان الرياض حاليا ٠

٨ - وهو البطن الاعظممن بطون ربيعة الثلاثة اسد وضيعة واكلب وقد انجب ثلاثة بطون هم :

اولا - أفضى بن دعمى بن جديله ومنه بطان ٠

١ - همب الذى ينتمى اليه كل من وائل بن قاسط بن همب والتمرين

قاسط بن همب والذى انجب اربعة ابطن هم عنز بن وائل ومنه فخدان رفيدة وراشدة ومنها عشاير وافخاد ونقلب بن وائل وعمر بن وائل وبكر بن وائل ٠

٢ــ عبد القبس واليه ينسب كل عبقسى ٠

٩ ــ وهم الذين قال فيهم بعض المفسرين فى قوله تعالى (قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولى باس شديدتقاتلونهم أو يسلمون) الايةانها نزلت في بنى حنيفة ومن بنى حنيفة العباس بن الاحنف الشاعر المشهور وخوله بيت جعفر بن قيس ام محمد بن على بن ابى طالب واليها ينسب محمد بن الحنيفة فاخواله بنى حنيفة الوائليون ٠

١٠ــ ومنهم امام الائمة وناصر السنة احمد بن حنبل الشبياى الوائلى وعوف بن محلم الذى يقال لاحر بوادى عوف وشبيب بن شبه الحرورى والضحاك بن قيس وأبو ثابت يزيد بن مسهر الذى ذكر الاغشتى في شعره والحوفزان حارسه بن شريك والوليد بنطريف احد الشجعان الذى كان راس الخوارج في عهد هارون الرشيد ٠

١١ــ ولها شأن عظيم فى تاريخ العرب لانها بدأت باخراج العدنانية من سيطرة اليمن وغيرها وطلبت الاستقلال وكان من نظامهم لاجتماعهم في الحرب والغزو أن يكون اللواء للاكبر فالاكبر فكان لواؤهم وزعامتهم فى عنزه وكان سنتهم أن يوفروا لحاهم ويقصوا شواربهم فلا يفعل ذلك من ربيعة الا من يخالفهم ويريد حربهم ثم تحول اللواء الى عبد القبس وكان سنتهم اذا شتموا لطموا واذا لطموا قتلوا من لطمهم ثم تحول اللواء الى التمربن القاسط وكان لهم غير سنة من تقدمهم ثم تحول الى بكر بن وائل فسادوا غيرهم فى فرح طائر كانوا يةيوثقونه فى قارعة الطريق فـــاذا علم الناس بمكانه لم يسلك احد منهم ذلك الطريق ومن اضطر للمرور سلك عن يمين الطائر او يساره ثم تحول اللواء الى تعلب فوليه منهم وائل بن ربيعة وهو كليب المشهور وكان سنتهم اذا سار زعيمهم هذا اخذ معه جرو كلب فاذا مر بروضة او موضع يعجبه ضرب الجرو ثم القاه في ذلك المكان وهو يصيح ويعوى فلا يسمع عواءه احد الا تجنبه ولم يفر به ٠

١٢ ـ ويذهب كثير من الغربيين ويجاريهم على ذلك كثير من المؤرخين العرب ان آل سعود من قبيلة عنزة بن اسد او سلالة عنز بن وائـــل ومنهم الاستاذ عباس العزازى في كتابه عشائر العراق واحمد وصـــفى زكريا في كتابه عشائر الشام وفؤاد حمزة في كتاب قلب جزيرة العرب والشيخ حسين خزعل في كتابه تاريخ الكويت السياسى فهؤلاء ذكروا ان آل سعود من عنزه بن وائل بن قاسط بن هب بن أفصى بن دعمى بن جديله بن اسد بن ربيعة بن نزار بن عدنان ٠

وقال حمد بن ابراهيم الحقيل في كتاب زهر الاداب في معرفة الانساب وامين السعيد في كتاب تاريخ الدولة السعودية ومحمد بن عبد القادر في كتابه تحفة المستفيد في تاريخ الاحساء القديم والجديد ان آل ســعود من عنزه بن اسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ٠

ونسبهم كل من مؤلف كتاب منير الوجد في انساب ملوك نجد وسليمان ابن صالح الدخيل في مجلة لغة العرب الى ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابه ابن صعب بن على بن بكر بن وائل بن قاسط بن هب بن دعمى بن جديلة ابن معد بن عدنان وتابعهما على ذلك امين الريحانى في كتابه تاريخ نجد وخير الدين الزركلى في كتابه الاعلام وعبد العزيز بن خلف في كتابه دليل المستفيد وامين التميمي وهناك آراء اخرى لا داعى لذكرها ٠

١٣ ـ والجبريين فخذ من بنى عقيل من بنى عامر من الجبور الذين اصبحوا معدودين من بنى خالد وكانت بداية حكمهم من الاحساء لما قضى سيف بن زامل بن جبر بن حسين بن ناصر الجبرى العقيلى العامرى على اخر ولاة بنى جروان وقتله واستولى على حكم البلاد وسار فيها بالعدل فدان له أهلها ثم توفى فخلفه اخوه اجود بن زامل المولود في رمضـــان سنة ٨٢١ حيث حكم البلاد بعد وفاة اخيه سيف واتسع حكمه حتى شمل نجد وبلاد هرمز وعمان ونشر العدل والعلم في انحاء البلاد وكان يحب العلماء ويكرمهم ويقربهم وطالت مدة حكمه حيث حج في سنة ٩١٢ هـ وكان قد حج قبلها سنة ٨٩٣ هـ ثم تولى بعده ابنه محمد بن أجود بن جبر حيث تنازل ابوه له بعد ان كبر حيث كان سلطان البحرين سنة ٩١٢ هـ ثم استولى مقرن بن اجود بن زامل وفى عهده استولى البرتغاليون على أطراف مملكته حتى قتلوه

في احدى المعارك التى حصلت بينه وبينهم سنة ٩٢٧ هـ وقد ترجمه ابن أياس في بدائع الزهور ومدحه جعثين اليزيدى الخفى من اهل الجزعة قـــرب الرياض بقصيدة دالية ثم وليها على بن اجود عدة اشهر ثم استولى بعـــد على ابن اخيه ناصر بن اجود حيث اقام ثلاث سنين ثم باعها لقطن بن على ابن هلال بن زامل ثم ملك سنة ومات ثم وليها ابن لقطن ولكنه عجز عن الولاية فتنازل عنها لغضيب بن زامل بن هلال بن زامل فحكم البلاد ستة اشهر وعلى يده زالت الدولة الجبرية في منتصف سنة ٩٣٢ هـ حيث قامت الحرب بين غضيب وبين راشد بن مغامس بن صفر بن محمد بن فضل حيث انتصر الاخير واستولى على البلاد واتسع ملكه حتى شمل البصره فصار يدعى سلطان البصرة والحساء والقطيف وقد تحدث الاستاذ حمد الجــاسر عن الدولة الجبرية فى الاحساء فى مجلة العرب فى الجزء السابع السنة الاولى واخيرا استولى عليها الاتراك العثمانيون في تمام الالف الهجرية ٠

١٤ـ أبا الكباشر قرية صغيرة مجاورة لقرية العمارية رجح محمد الفهد النعيسى انها هى المعروفة باسم مهشمه والتى كانت مقرونة بالعمارية ، قال الشاعر

يارب على بيضاء مهشمة

أعجبها أكمل البعيرة التيمة

وهى تبعد عن الدرعية مسيرة ساعتين للماشى على رجليه شمالا بغرب وامراؤها هم آل يحيي من ذرية سيف بن ابراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدى ويجتمعون هم وآل سعود وآل عبد الرحمن أهل ضرمـــى في ابراهيم بن موسى فآل سعود همذرية سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن ابراهيم بن موسى وآل عبد الرحمن هم ذرية عبد الرحمن بن ابراهيم ابن موسى وآل يحيي ذرية سيف بن ابراهيم بن موسى وقال عنها عبد الله فليبى وهى اليوم عبارة عن خرائب تتالف من جدران وابراج متداعيـــة كانت لحصن قديم ٠

١٥ ـ وقال عبد الله فليبى ما نصه (ليس لدينا شيء عن الثورات التى حدثت في الدرعية في الفترة التى تلت حج اميرها ربيعة سنة ١٦٣٠م وكل

ما يورده ابن بشر عن الوضع هناك انه في سنة ١٦٥٤ م قام وطبان بن ربيعة وخليفة بقتل ابن عمه مرخان بن مقرن واغتصب امارة الغصيبة ووقائع هذه الفترة معقدة للغاية ومن الممكن ان نصيب الحقيقة اذا رتبنا احداثها التاريخية على هذه الصورة لقد خلف وطبان والده مابين سنتى ١٦٤٠ م ١٦٥٤ م ولكن ابن عمه مرخان ثار عليه وعزله غير ان وطبان استطاع ان يقتله ويستعيد مركزه كأمير للدرعية سنة ١٦٥٤ م وهناك رواية اخرى مفادها أنه هرب ليتجنب ما ترتب على مقتله من عثرات ثم استقر فى الزبير حتى اصبح حفيده ابراهيم بن ثاقب اميرها مع الزمن ...) الخ .

١٦ ... وقال عبد الله فليبى وهو يسترد حياة وطبان مانصه (اصبح خيده ابراهيم بن ثاقب اميرها مع الزمن اما اشهر ابنائه محمد الذى خلفه في الامارة فقد توصل الى مركز سياسى مرموق الامر الذى اثار حفيظة الحاكم التركى في زمنه وفي سنة ١٨٣٦ م استدرجه الحاكم الى سراى الحكومة فى مدينة البصرة واغتاله مع جمع من اقاربه واتباعه) .

١٧ ـ وقد أخطأ عبد الله فليبى حيث ذكر أنه ابن سلامة بن سويط امير عشيرة الظفير والصحيح أنه يحيى بن سلامة بن زرعة الحنفى امير الرياض .

١٨ ـ واخطأ الدكتور منير العجلان حيث قال ما نصه (بعد وفاة محمد ابن مقرن انتقلت امارة الدرعية الى آل وطبان فتولاها كبيرهم مرخان بن وطبان بن ربيعة ويظهر أن الخلافات استحكمت بين ابناء وطبان فقتل احدهم واسمه ابراهيم مرخان فتولى الامارة مكانه أخوه ادريس بن وطبان ... الخ .

١٩ ـ وهو رأى عبد الله فيلبى حيث قال ما نصه (ومهما يكن من أمر فهناك من الادلة ما يحملنا على الاعتقاد بأن خلف مرخان بن مقرن فى امارة الدرعية لم يكن ابنه الذى بقى كما يبدو فى العاصمة بل شقيق مرخان محمد بن مقرن بن والد سعود ومحمد هذا هو أول من تولى من اسلاف الملك الحالى وبعد أن آلت اليه الامارة سنة ١٦٥٤م أن منذ ثلاثة قرون خلفه ابنه البكر ناصر شقيق سعود ..) الخ وقال ايضا : (وذلك

لان محمد بن مقرن الذى تولى الحكم سنة ١٦٥٤ م لم يمت الا سنة ١٦٦٤م ولربما أنه تنازل عن حقوقه فى الامارة أو عزل من منصبه ليخلفه ابنه ناصر قبل سنة ١٦٧٣م وبعد ذلك ظل مواطنا عاديا خلال الخمسة والعشرين عاما التى تلت ويجوز انه ظل هو الحاكم الاسمى خلال فترة الاربعين عاما هذه بينما اخذ اعضاء العائلة الباقون يتنازعون الامر بينهم فى سبيل الحكم الفعلى ... الخ)

٢٠ ـ والى هذا الرأى انتهى عبدالله فيلبى حيث قال ما نصه (ومن الاهمية بمكان ان نلاحظ أن ابنه سعود كان يبلغ الثلاثين ربيعا من العمر عند ظهوره لاول مرة على مسرح التاريخ العربى سنة ١٦٨٥ م وفى تلك السنة قاد حملة على مدينة حريملاء يرافقه عبدالله بن معمر أشهر أمراء العيينة واشترك فى القتال وتعرف هذه المعركة فى تاريخ نجد بيـــوم الكمين الاول وقد فقد المدافعون فيها ثلاثين فتيلا ... الخ)

٢١ ـ وقد أخطأ الدكتور منير العجلانى فى صفحة ٥٨ من الجـــزء الاول من تاريخ البلاد العربية السعودية حيث ذكر أن ولاية موسى بن ربيعة ابن وطبان خمسة وعشرين سنة وانه ولى الامارة سنة ١١٠٧ هـ والصحيح ما ذكرناه وقال عبدالله فيلبى (وليس لدينا معلومات موثوقة عن اعمال موسى فى العشر السنوات التى قضاها فى الحكم وجل ما نعرفه هو أن الامارة فى الدرعية انتقلت سنة ١٧٢٠م من موسى الى سعود بن محمد بن مقرن بعد خلع الاول ونفيه ....) الخ .

٢٢ ـ وقد حدد عبدالله فيلبى تاريخ ولادته بسنة ١٦٦٥ م وكانت هذه السنة أول سنى الجفاف والجوع فى الجزيرة العربية يشير بذلك الى المحمل المشهور باسم صلهام والذى قتل مواشى البوادى وذلك سنة ١٠٧٦ هـ هذا اذا كان قد اشترك فى معركة حريملاء التى حصلت سنة ١٠٩٦ بالنيابة عن والده محمد بن مقرن فليس من المعقول أن يكون عمره أقل مـــن العشرين سنة فى ذلك العهد .

٢٣ ـ وهذا الرأى صححه فى كتاب تاريخ نجد حيث قال : (كـــان سعود هو مؤسس العائلة التى احتفظت بسيطرتها على الجزيرة العربية فى ذلك الحين حتى حكم عبد العزيز سعود الاخير كان فى سنة ١٧٢١م أيام

امارة سعود هذا أن ولد له فى الدرعية حفيد اسماه عبد العزيز هو أسن
من عبد العزيز والد الملك الحالى فى الرياض أما سعود نفسه فلم يقدر له
أن يشهد ازدهار حكم وريثه ولم يعرف بوجود فقيه شاب فى العشرين من
العمر يقطن العيينة المجاورة ٠ ذلك الفقيه الذى غدا المرشد والفيلسوف
والصديق لابنه ولحفيده اللذين سترفعهما اكتافه الشديدة الى قمةالمجد
والشهرة فيما بعد فقد ولد محمد بن عبد الوهاب فى العيينة سنة ١٧٠٣م
ليصدق عليه القول المأثور لا كرامة لنبى فى وطنه التحق سعود بأبائه فى
جبانة الدرعية فى الثانى عشر من شهر حزيران سنة ١٧٢٥م ليلة عيد
الفطر فخلفه فى الامارة ابن عمه زيد بن مرخان بن وطبان ٠٠٠ الخ)



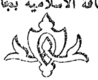
السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية



بقلم

الدكتور مصطفى حلمى

استاذ الثقافة الاسلامية بجامعة الرياض



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وبعد،

فقد سبق أن عرضنا لقواعد المنهج السلفى وشرحنا أبرز معالمه «١» ، وسنعالج فى هذا المقال أسباب العدوى المنتقلة الينا من الغرب فى تقسيمه للتاريخ الى قديم وأوسط وحديث «٢» لنبين الاختلاف الجذرى بين مفهوم (السلفية) بين العقيدة الاسلامية والفلسفة الغربية ٠

ان المصطلح ـ من وجهة نظر المؤرخين الغربيين ـ وعلى رأسهم أرنولد توينبى ـ له مدلوله الخاص ، كما سنوضح بعد قليل ، ولا صلة له بمثيله فى دائرة الفكر الاسلامى ، لا من حيث المصطلح أو المضمون ٠

فمن حيث المصطلح ، أصبحت « السلفية » علما على أصحاب منهج الاقتداء بالسلف من الصحابة والتابعين من أهل القرون الثلاثة الاولى ، وكل من تبعهم من الائمة ، كالائمة الاربعة وسفيان الثورى وسفيان بن عيينة ، والليث بن سعد وعبد الله بن المبارك ، والبخارى ومسلم وسائر أصحاب السنن ، وشمل شيوخ الاسلام المحافظين على طريقة الاوائل ، مع تباين العصور وتفجر مشكلات وتحديات جديدة أمثال ابن تيمية وابن القيم ومحمد ابن عبد الوهاب وكذلك اصحاب أغلب الاتجاهات السلفية المعاصرة بالجزيرة العربية والقارة الهندية ومصر وشمال أفريقيا وسوريا (وكانت ذو أثر واضح فى تنقية مفاهيم الاسلام ودفعه الى الامام لمواجهة الحضارة والتطور ، ولكشف عن جوهر الثقافة العربية الاسلامية الاصلية القادرة على الحياة فى كل جيل وكل بيئة) «٣» .

---

١ ـ ينظر كتاب (قواعد المنهج السلفى) حيث اجتهدنا فى استقراء هذه القواعد وحددناها بما يلى :

أ ـ اتباع السيف الصالح فى تفسير النصوص وفهمها .

ب ـ رفض تأويلات المتكلمين من المعتزلة والاشاعرة .

جـ ـ الاستلال بالاساليب والبراهين المستخرجة من الايات القرآنية بدلا من استحداث الطرق المبتدعة بواسطة علماء الكلام والفلاسفة وغيرهم .

ـ من ص ٣٥ الى ص ٤٦ ـ بالكتاب الانف الذكر ، ط دار الانصار بالقاهرة ١٣٩٦ هـ/١٩٧٦م .

٢ ـ تقسيم التاريخ الى قديم ومتوسط وحديث تم بواسطة أساتذة جامعة كامبردج .

(كولون ولسون سقوط الحضارة ص ١٣٤) .

٣ ـ انور الجندى ـ الاسلام والثقافة العربية فى مواجهة تحديات الاستعمار وشبهات التغريب ص ٤٩ مطبعة الرسالة بدون تاريخ

ومن حيث المضمون ، تعنى السلفية فى الاسلام التعبير عن منهج المحافظين على مضمونه فى ذروته الشامخة وقمته الحضارية ، كما توجهنا الى النموذج المتحقق فى القرون الاولى المفضلة ، وفيها تحقق الشكل العلمى والتنفيذ الفعلى ، ومنه استمدت حضارة المسلمين أصولها ومقوماتها ممثلة فى العقيدة خضوعا للتوحيد ، وبيانا لدور الانسان فى هذه الحياة ، وتنفيذا لقواعد الشريعة الالهية بجوانبها المتعددة ، فى الاجتماع والاقتصاد والسياسة وروابط الاسرة وفضائل الاخلاق ·

والسلفية كمصطلح تعنى أيضا فى مدلولها الخاص ـ الاقتــــداء بالرسول صلى الله عليه وسلم ، فان أمتنا تنفرد بمزية لا تشاركها فيها أمة أخرى فى الماضى أو الحاضر أو المستقبل ـ تلك هى تحقق القدوة فى شخصه ـ صلوات الله عليه ـ اذ حفظت سيرته كاملة محققة بكافة تفاصيلها فنحن نعلم عنه كل شىء وفقا لما نقل الينا فى كتب وعلوم مصطلح الحديث بأدق منهج تاريخى علمى عرفه المؤرخون ·

وهكذا فان السيرة النبوية حية فى كياننا ، ونحن نعيشها كل يوم «١» وهى تمثل القمة للسلفيين · وتطبيق الشريعة الاسلامية ممتد على طول الزمن لا يتعلق بعصر دون آخر ، بل أن كل جيل من المسلمين مطالب بتنفيذ أصولها النصية مع الاجتهاد فيما لم يرد فيه نص عند مواجهة أحوال الحياة المتغيرة كما هو معروف فى اصول الفقه ·

وقد ظهر المصطلح فى مقابل انحرافات كانت تأخذ مجراها فــــى تايخنا العقدى والثقافى ، فبدأ لتمييز المثبتين للصافت الالهية بينهـــم وبين النافين لها · كما ذكر مؤرخ الملل والنحل ـ الشهرستانى ـ وظهر أيضا للتعبير عن أهل الفقه والحديث للمفارقة الواضحة بينهم وبين المتكلمين أو الصوفية أو الفلاسفة · كما أصبح علما فى العصر الحديث على أهل التوحيد منذ حركة محمد بن عبد الوهاب · وعندما اشتدت المقاومة ضد الاستعمار الغربى ، فان مما يلفت النظر أن ماسينيون ـ المستشرق

١ـ د · حسين مؤنس / الحضارة ص ١٢٥

الفرنسي الشهير ـ وكان تابعا لوزارة الخارجية الفرنسية ـ أخذ يرقب الحركة السلفية بواسطة الامام عبد الحميد بن باديس ، ثم حذر قومه في فرنسا مما سماه بحركة (السلفيين المتشددين) وما هي في حقيقتها الا انتفاضة اسلامية تبغي التخلص من نير الاستعمار الغربي ، وقد أعطت هذه الحركة لمفهوم السلفية بعدا جديدا في عصرنا الحاضر ، اذ اخذت على عاتقها كما فعلت الاجيال السابقة من أصحاب نفس المنهج ـ المحافظة على أصالة الامة الاسلامية في عقيدتها وشريعتها وأخلاقها حتى لا تتميع أو تهتز تحت ضربات الغزو الاجنبي .

ولم تكن هذه المرة الاولى لظهور السلفيين بهذا المظهر ، اذ حدث أيام الاشتباك العقلي مع خصوم الاسلام ، وكان الاسلام حينذاك في الموضع المهاجم المكتسح بفضل استمساك أتباعه به ، ويملكون العناصر الحضارية الاسمى ، اذ عندما نقل الفكر الغربي اليوناني واللاتيني ، أخذوا في دراسته وتحليله ومناقشته ورد أباطيله ثم قيس ذلك كله بمقاس العلم الاسلامي ومحك النقد الديني ، فما وافقه قبله البعض وما خالفه رفض «١» وكان الرفض ظاهرا أكثر من غيره في دوائر علمـــــاء السلف ، محافظة على شخصية الامة وأصالتها .

أما هذه المرة ـ أي في العصر الحديث ـ فقد جاءنا الغرب فاتحا مستعمرا وحاكما مستعبدا ، ففرض علينا لغته وفلسفته وتشريعاته ونظمه في الاجتماع والسياسة والاقتصاد .

وكان من أبعد الخطوات أثرا في حربه ضدنا أن اخذ علماؤه فـــي تقليب صفحات تاريخنا لاستخراج كل ما يسيء الى الاسلام كما عرفه سلفنا الصالح وطبقوه ونفذوه ، فأعلوا شأن الفرق المنشقة كالخوارج والشيعة والمعتزلة والصوفية المنحرفين والفلاسفة وغيرهم ، الى احياء أو تحبيذ ومدح نحل ومذاهب مختلفة ، اما بأسمائها المعروفة بها كالاسماعيلية أو

---

١ ـ علال الفاسي / دفاع عن الشريعة ص ٨٧
منشورات العصر الحديث ـ بيروت ١٩٧٢ م

الباطنية أو تحت أسماء جديدة كالبهائية أو القاديانية والعلوية ، وبعث الالحاد من جديد وراء ستار العلمانية والماركسية والداروينية ، مع نشر فكرة وحدة الاديان أو التقريب بينها وازالة الحواجز بين الحق بصورته الوحيدة ، والباطن بصورته المتعددة المتضاربة ٠

وازاء كل هذه الخطط والمحاولات ، فلن يظهر زيف هذه العقائد والنحل الا بطريقة السلف أنفسهم ، مهما تغيرت الازمنة والاعصار ،لانها طريقة موضوعية ذات أسس علمية منهجية ، تعتمد على النصوص الشرعية الموثقة ، فهناك مسائل ثابتة لا تتغير ، كفطرة التوحيد ومخاطبة العقول البشرية للبرهنة على النبوات بعامة ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم بخاصة ، والرد على أهل الكتاب من اليهود والنصارى فى كل ما انحرفوا به عن الشرع المنزل ، مع دحض شبهات الملحدين والمشركين ٠

هذا فضلا عن ثبات الفضائل الاخلاقية ، وقواعد التحليل والتحريم فى المأكل والمشرب والملبس ، وتنظيم العلاقات الاجتماعية فى الاسرة والمجتمع ، واقامة العلاقات الدولية مع سائر الامم وفقا لاصول الشرع ، ولقد أصبحت الحركة السلفية ، هى الحركة الكبرى التى جددت الدعوة الاسلامية ، ولولاها لهان على الغرب أن يستعبد الشرق روحيا وفكريا الى أمد بعيد «٢» والان ، سنوجز شرح مدلول السلفية من وجهة النظر الغربية .

---

٢ ــ أنور الجندى = الفكر والثقافة المعاصرة فى شمال افريقيا ص ٣١ الدار القومية للطباعة والنشر ــ القاهرة ١٣٨٥ ــ ١٩٦٥ م

السلفية وفق التصور الغربى

ان أردنا الوقوف على مدلول (مصطلح السلفية) الشائع فى مغزاه التاريخى والحضارى ، فان أمامنا التعريف الذى ارتضاه المؤرخ الانجليزى للشهير « أرنولد توينبى » وسندرك بعدها الى أى حد امتد مفهوم السلفية الينا فأصبح البعض منا يردده بنفس التعريف والتصورة • وسنناقش رأيه لنصل الى مفهوم السلفية فى تاريخنا الاسلامى •

ويرى المؤرخ البريطانى أن السلفية تعنى :

أولا : ارتدادا من محاكاة الشخصيات المبدعة المعاصرة ال محاكاة أسلاف القبيلة • وبعبارة اخرى تعد السلفية سقوطا من الحركة الدينامكية للحضارة الى الحالة الاستاتية التى يشاهد عليها الانسان البدائى فى الوقت الحاضر •

ثانيا : محاولة من المحاولات تبذل عند حدوث توقف اضطرارى لحركة التغيير ، وينتج عن المحاولة رذائل اجتماعية تتوقف خطورتها على مدى نجاحها •

ثالثا : أنموذج لتلك المحاولة الخاصة بـ (تثبيت) مجتمع منهار متحلل • وهذا التثبيت هو الغاية المألوفة لواضعى (نظم المدينة الفاضلة) •

ويستطرد ليشرح المجالات التى تعبر فيها السلفية عن نفسها ، فهى فى مجال السلوك تظهر فى :

أولا : فى شكل نظم متكلفة وآراء تتشبث بالمصطلحات الفارغة أعظم من تعبيرها عن نفسها فى شكل أساليب لا تتصل بالوجدان بسببب • • • •

ثانيا : تعبر عن نفسها فى المجال اللغوى فى معان تتصل بمنهاج ونمط يتسمان بالسفسطة •

ثالثا : وفى ميدان الدين ، يسهل على المراقب الغربى الحديث ملاحظة نزعة السلفية فى نطاق حدود بيئته الاجتماعية الذاتية .

فان الحركة الانجليزية الكاثوليكية تقوم مثلا على الاعتقاد بـــأن الاصلاح الدينى الذى تم خلال القرن السادس عشر ، وحتى فى صورته الانجليكية المعتدلة ، قد ذهب فى تطرفه مدى بعيدا ، ومن ثم تهدف الحركة الى استعادة استخدام آراء وطقوس كانت شائعة خلال القرون الوسطى ثم هجرت والغيت أربعمائة سنة الغاء نغزوه الى عدم التبصر (١) أ ٠

وخضوعا للمفاهيم الغربية الشائعة انساق البعض وراءها ظنا أنها مطابقة للتصورات المماثلة في المجتمعات الاسلامية ، فمالوا الى الغض من أصحاب الاتجاه السلفى في الاسلام ، ونفروا الناس منه وقاموا بحملة تشهير ظالمة ضده ٠

وقامت معركـــة حقيقية (بين الذين يحافظون على دينهم ولغتهم وتقاليدهم ، وبين الذين عادوا من أوربا وقد فتنهم بريقها ، فاستخفوا بكل تراثهم وراحوا ينفرون الناس منه) (٢)

ثم فشت العصبية لما هو وارد من هذه البلاد تحت دعوى التجديد ، وأراد أصحابها تغيير كل شىء في الدين واللغة والادب ونظم الاجتمـــاع والسياسة والاقتصاد ، بدعوى نبذ القديم والبالى والاخذ بالجديد والحالى
وفيما يتصل بالعقيدة والدين ، فقد ذهب أحد أصحاب فكرة التجديد الى وصف الدين الحى الحق بأنه ذلك المتحقق في الشعور ، المتجدد المتطور يتخذها وفقا للازمان ، وتبعا للطابع العنصرى المركب في هذه الامـــة ، ولهذا فكل دين في أصله رمز ، قابل لما لا نهاية له من أنواع التفسير التى يبلغ الفارق بين بعضها حد التناقض ٠ وكلما تعددت التفسيرات لهذا الرمز ، وبلغ التعدد مرتبة عالية من الافتراق الرفيع ، كان هذا من أوضح الشواهد على أن هذا الدين حى وخليق بالبقاء ٠

---

(١) توينبى = مختصر دراسة التاريخ ج ٣ ص ٢٦٠ وص ٣٨٥ وص ٣٩٨

(٢) د ٠ محمد حسين ٠٠ الاتجاهات الوطنية في الادب المعـاصر ج ٢٠ص ٢٣٢ مكتبة الاداب بالجماميز ـ القاهرة ط ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م

وبناء على هذه النظرة للدين في صورته المتطورةالمتجددة ، وتفسيراته الرمزية المتناقضة ، تصبح النزعات الستية أو السلفية وما اليهامن حركات تحاول أن تأسر نفسها في ربقة الرمز بمعناه الظاهر الاولى ، تصبح عند صاحب هذا الرأى ، علل وأزمات نفسية في تاريخ الحياة الروحية لدين ما ، وعليه أن يبرأ منها قدر المستطاع حتى يستأنف تطوره الثرى في مجال الروحية العليا ٠٠ (١)

وقد كان الاسلام هدفا ـ وما زال ـ لحملات شديدة تختفي وراءهذه المصطلحات وأمثالها للنيل من مقوماته الراسخة المحددة للحلال والحرام والخير والشر والفضائل والرزائل ، فاخترعت بدلها الفاظ تنقصهـــا المدلولات والضوابط ، كالقديم والجديد والرجعية والثورية ، واليمين واليسار ، والثبات والتطور ، والظاهر والباطن ، والحقيقة والرمز أو التأويل وكلها تتأرجح متذبذبة ذات اليمين وذات الشمال كبندول الساعة لاتستقر على حال ٠

وتجددت المعارك وليست أثوابها متعددة منذ حملات الغزوالاستعمارى في مطلع القرن الحالى ، مما دفع بأصحاب الاتجاه السلفى لمواجهتها وابطال مفعولها ٠ ومن هؤلاء الامير شكيب أرسلان الذى علق على محاولات المتغربين بقوله :

قلما رأيت من هذه الفرقة الا الادعاء الفارغ والنزوع الى الثورة على ما يسمونه بالقديم ، وهم ينسون أن هناك مبادىء ثابتة وبديهات ليس فيها قديم وجديد ، وأن الاثنين والاثنين أربعة من مائة الف سنة فلا نقدر أن نعمل على ذلك ثورة ، وأن المقولات العشر مما لا تتناولــه هذه الثورة ، وأن الثورة انما هى واجبة على الجهل والوهم لا على الحق والعلم ٠ (٢)

---

(١) دكتور عبد الرحمن بدوى : شخصيات قلقة في الاسلام ـ المقدمــة صفحة (ى) ٠

(٢) من كتاب مصطفى صادق الرافعي ٠٠ تحت راية القرآن ص ٣٩ المكتبة التجارية ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٦ م

وعلى ذلك فان وحدة الدين كما عرفه سلفنا وكما ترشد اليـــه أصوله نابع من وحدة عقيدية واتفاق الغالبية عليها • وعلى العكس ، فان الصور المتعددة لم تظهر الا عندما انقسمت الجماعة الاسلامية الاولى الى فرق واحزاب ، كل حزب بما لديهم فرحون ، فتفتت كيان الامة وكسرت شوكتها •

ومنذ انشق الصف الاسلامى فى عصوره الاولى ، ظهرت الخـوارج والشيعة والقدرية والمذاهب الكلامية والفرق الصوفية والمدارس الفلسفية وكلها ذات تفسيرات تتفاوت فى انشقاقها عن عقيدة الاسلام ذات اليمين وذات الشمال •

ولم يبق العقيدة الاسلامية على اصالتها ونقاوتها ولمعانها الا الطائفة الظاهرة على الحق ، التى ظلت تعض بالنواجذ على الكتاب والسنة بالطريقة التى كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه • ويوضح لنا ابن تيمية مكانة الصحابة وسلامة منهجهم وتكامله بقوله :

(فهم صفوة الامة وخيارها المتبعون للرسول صلى الله عليه وسلم علما وعملا ، يدعون الى النظر والاستدلال والاعتبار بالايات والادلـــة والبراهين التى بعث الله بها رسوله ، وتدبر القرآن وما فيه من البيان ، ويدعون الى المحبة والارادة الشرعية ، وهى محبة اللـــــه وحده وارادة عبادته وحده لا شريك له بما أمر به على لسان رسوله) (١)

ولقد تتابع السلف جيلا بعد جيل أخذين بطريقتهم ، ووقـــف علماؤهم بصلابة ازاء كل محاولات التجزئة والبتر والتأويلات الكلاميـــة والتخريجات الفلسفية والتفسيرات الرمزية الباطنية ، فلم يهنوا ولـــم تفتر لهم همة •

وما على القارىء لكى يعرف هذه الحقيقة ، الا قراءة بعض صفحات

---

(١) ابن تيمية = النبوات ص١٥ • نشر المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة ١٣٨٦ هـ

التاريخ اذ يعثر على خيط طويل يمتد فيربط فى سلسلة متماسكة منـــذ الاوائل حتى عصرنا الحاضر ، وقف علماء السنة بالمرصاد ، مبينيـــن الانحرافات عن الاصول الاسلامية ، وربما لا تسمح لنا هذه الدراســـة بالتوسع فى بيان ذلك الا بالقدر الذى يحقق توضيح الفكرة التى نحن بصددها ، وهى أن الاسلام ظل محفوظا فى الاصلين العظيمين : الكتاب والسنة ، وأن تلقيه وتطبيقه بمنهج السلف هو الذى حفظه حتى الان ، وكل انحراف فى تقويض أركان المجتمع الاسلامى ومساندة اعلانه ومن هنا عارضوه نفاة القدر بسبب انكارهم لاصل من أصول الايمان المثبتة للعلم الالهى الازلى المطلق ، وأيضا حاربوا نزعة الجبرية التى ساهمت فى ركود الهمم واضعاف الارادة الانسانية وتغليب سلبيتها على جانبها الايجابى النشط ٠

ووقف السلفيون ازاء تجزئة عقيدة الاسلام الى دوائر عقلية ــ لدى المتكلمين والفلاسفة ــ أو عاطفة وتفسيرات وجدانية ذوقية لدى الصوفية وما جهود العلماء الكبار منذ عصر الصحابة والتابعين أمثال : الحسن البصرى وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير ٠ الى أمثال ابن حنبل وابن تيمية والدارمى والشافعى ومالك وابن خزيمة والشاطبى وابن قتيبة وابن القيم والشوكانى وابن الوزير اليمانى وغيرهم ٠٠٠ ما جهود هـــؤلاء العلماء الا عمل من أعمال المحافظة على الاسلام فى مصادره وعقيدتـــه وعباداته ومعاملاته وانظمته وفقا لطريقة السلف ، فحال ذلك دون ادخال أية تحريفات كما حدث فى اليهودية والنصرانية ، بل استطاعوا فضح كل المحاولات التى بذلت من هذا القبيل ، واصبحت مؤلفاتهم معبرة عـــن الاصالة لاظهار المخالفين المبتدعين وتوعية المسلمين من خروجهم عن المنهج الاسلامى الصحيح ٠

فقد وقف الفقهاء والمحدثون فى وجه الدولة العباسية فى عنفوان قوتها عندما رأوا ما يؤخذ على بعض خلفائها وولاتها ، فقد ضرب أبـــو حنيفة على القضاء ، وأوذى الامام مالك لنشره الحديث (ليس على مستكره طلاق) عندما أرغم المسلمون على حلف يمين الطلاق بمناسبة البيعـــة للمنصور ٠ وصمد الامام احمد صمودا جبارا ازاء محاولات تفسير الاسلام تفسيرا عقليا كلاميا مخالفا لنصوصه ابان محنة خلق القرآن ٠

وجاء ابن تيمية ليجدد فهم الاسلام على طريقة السلف فى وقت يظن المتصفح لتاريخ عصره أن عقول المسلمين قد توقفت وجمدت على آراء علماء الكلام والفلاسفة وشطحت مع فرق الصوفية ، وكأن الجميع قـد نسوا أن القرآن الكريم مازال غضا طريا بين ايديهم ، وأن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم تغنيهم عن الدروب التى سلكوها ·

ثم رأينا فى العصر الحديث كيف قام الامام محمد بن عبد الوهاب للاطاحة بمظاهر الشرك والوثنية لتخليص عقيدة التوحيد من جديد بعد أن ران عليها دنس الجاهلية مرة اخرى ، وتابعته معظم الحركات المعاصرة فى العقيدة ومسالك الجهاد حتى يمكن القول ان دعوة الامام تشكل الاثر الحاسم فيها جميعا ، لانها بدأت بالقاعدة التى انطلق منها ، أى عقيدة التوحيد ·

السلفية والحضارة الاسلامية

اذا كانت الحضارة الاسلامية ما زالت قائمة كمجتمعات حية فى رأى توينبى ، فما الذى يمنع تحركها لقيادة العالم من جديد ؟

انه وفقا لنظريته عن عدم موت الحضارة بالمعنى العضوى ، وانما تختفى وقد يكون هذا الاختفاء لمدة قرون ثم تعود للظهور · كما يؤمن كبير مؤرخى العصر فى أعماقه بأن الحضارة الاغريقية هى السلف الحقيقى للحضارة الاوروبية الحديثة ، وهو يرىأن الحضارة الاغريقية قد اختفت ثم عادت ملامحها للظهور في الحضارة الاوربية الحديثة · (١)

ولكن الحضارة الاسلامية ـ باعترافه ـ لم تمت عضويا ، بعكس الاغريقية ، ويرجع الفضل فى بقائها الى بقاء العقيدة ·وظلدرو السلفيين باقيا فى احياء عقيدة التوحيـــد وفهم الاوائـــل للاســـلام ، لان الاسلام ـ كما يذكر توينبى ـقد أعـاد توكيد وحدانية الله في مقابـل الضعف البادى في تمسك المسيحية بهذه الحقيقة الجوهرية · (٢)

واستمرت السلفية في المحافظة على التوحيد في جوهره النقى،فمنعت تردى العقيدة الدينية الى صورة من صور الوثنية ، لان أية عقيدة دينيــة في رأيه ـ تواجه خطر التردى في عبادة الاوثان ، وان العقيدة الدينية لتتعرض خاصة الى الانزلاق في هذا المنحدر المؤدى الى جهنم ، بعدما تكابد

الونا من الضربات القاصمة ، وخاصة اذا جاءتها من أناس ينتمـــون اليها . (٣)

اما الضربات القاصمة في تاريخنا ، فقد كان مصدرها أناس يدعون أنهم ينتمون الى الاسلام عامة أو التشيع خاصة ، بينما حملوا معـاول الهدم ليغيروا معالمه من جذورها ، ولا يستطيع المسلم معرفة خدعهم وحيلهم الا بوقوفه على الطريقة السلفية في فهم الاسلام والعمل به .

ولهذا فقد هتك علماء السلف استارهم مع تعدد أجناسهم وكثرة فرقهم اذ تشمل (طائفة من المتفلسفة والقرامطة الباطنية والاسماعيلية ونحوهم ، كابن سينا وأمثاله وأصحاب رسائل اخوان الصفا ، والعبيديين الذينكانوا بمصر من الحاكمية واشباهم . وهؤلاء كانوا يتظـــاهرون بالتشيع وهم في الباطن ملاحدة) (١)

وقد سبق أن قلنا ان مفهوم السلفية كمنهج في الاسلام ، لايعنى جيلا او أجيالا مضت ، ولكن تتسع دائرته فتشمل الحاضر والمستقبل أيضا لانه لا يتعلق بالزمن والعصور لكن باتباع الطريقة الواحدة الثابتة حتى لو كان أصحابها افرادا قلائل ، فمن دواعي بقاء الحضارة النـــاجحة ، استطاعة القلة من الطلائع مجابهة التحديات . (٢)

هدف السلفية وضوابطها : ـ

ان الضوابط والمقاييس الثابتة التى تحددها السلفية كفيلة بتخريج طلائع أفذاذ لقيادة الحضارة الاسلامية من جديد كلما خفت ضوؤهـا ، وهم يشكلون باجتهاداتهم سلسلة متصلة من الجهود المبذولة والمحافظة على

---

(١) لمعى المطيعى .. أرنولد توينبى ص ٢٩ دا الكتاب العربى للطباعة والنشر القاهرة العدد ١٤٨ ـ ١٩٦٧/٢/٢٢ م
(٢) مختصر دراسة التاريخ حـ ٣ ص ١٦٤
(٣) نفس المصدر ص ٢١١/٢١٠ ترجمة فؤاد محمد شبل ـ جامعـة الدول العربية ص ط ١٩٦٤ م

طريقة الاتباع-لا التقليد-ومقوماتها الراسخة الجامعة بين اخلاص التوحيد لله تعالى وحده ، والايمان بالوحي طريقا لمعرفة عالم الغيب ، مع استسلام الانسان في شئون حياته لما أمر به الله في شئون حياته بواسطة خاتم الرسل والانبياء وتحرير العقول من الوثنيات واصر الشرك لتتفرغ فيما يعود على الانسان بالنفع في ميادين المعارف والعلوم ووسيلتها النظر والتجربة مع ثبات الفضائل الاخلاقية والاداب الانسانية ٠

وهنا تظهر لنا ضوابط السلفية في نصوص كثيرة سنختار منها ما يشرح معنى الصراط المستقيم ، لاننا نلاحظ في التصور الاسلامي أن أصول وقواعد محددة وفق هذا الصراط المستقيم ، وهو المانع من التذبذب او الارتداد أو الدوران في حلقات مفرغة قد توحي بها أستكمال أخرى غير الخط المستقيم ،كالخطوط المتعرجة أو أشكال الدوائر والمنحنيات مثلا اذا جاز لنا التشبيه بالاشكال الهندسية للتوضيح والبيان ٠

قال تعالى « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » سورة الانعام اية١٥٠

وفي شرح معنى هذه الاية ، نستدل بالحديث : عن جابر قال : كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فخط خطا هكذا أمامه ، فقال (هذا سبيل الله) ، وخطين عن يمينه وخطين عن شماله وقال (هذه سبل الشيطان) ثم وضع يده في الخط الاوسط ثم تلا هذه الاية ٠ (١)

وفي حديث آخر ، سأل رجل ابن مسعود رضي الله عنه ، **ما الصراط المستقيم ؟ قال** : تركنا محمد صلى الله عليه وسلم في أدناه وطرفه في الجنة وعن يمينه جواد وعن يساره جواد ، ثم رجال يدعون من مر بهم ، فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به الى النار ومن أخذ على الصراط انتهى به الجنة٠

---

(١) ابن تيمية : كتاب الصفدية حـ ١ ص ٢/١ تحقيق د٠ محمد رشاد سالم ط شركة مطابع حنيفة بالرياض ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م

(٣) كولن ولسون ٠٠ سقوط الحضارة ص ١٥٠

ترجمة أنيس زكي حسن ط دار العلم للملايين - بيروت ، نوفمبر سنة ١٩٥٩ م

ثم قرأ ابن مسعود (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) . (٢)

وبعد أن عرفنا هذا الصراط ، فقد اصبح لزاما علينا أن نعرف السائرين على هداه وهذا ما أخبرنا به الرسول صلى الله عليه وسلم قال (ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى ، الا كان من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم انها تخلق من بعدهم خلوقا يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل) رواه مسلم .

فاذا أضفنا اليه حديثا آخر أمر فيه الرسول صلى الله عليه وسلم باتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين ازداد الامر وضوحا .

قال العرباض بن سارية صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.. ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ، فقال قائل : يا رسول الله ، كأن هذه موعظة مودع ، فماذا تعهد الينا ؟ فقال (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وان عبدا حبشيا فانه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثا الامور ، فان كل محدثة بدعة وكل بدعة وضلالة) رواه أبو داود .

وابقاء على هذا العهد يستطيع أن نتحقق تارخيا – وفى العصر الحاضر أيضا من الدور الذى أداه السلف ، فيتأكد لدينا موضوعية المنهج وتعلقه بمعايير وضوابط لا بعصور وازمنة . فمن الثابت تاريخيا .

١ وقوف السلف في وجه الفرق المنشقة كالخوارج والشيعة والقدرية والجهنمية وغيرها كما رأينا .

٢ شجب الاتجاه العقلى المغالى كالمعتزلة والفلاسفة ، وحتى أصحاب

---

(١) ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج ٢ ص ١٩٠ ط دار الفكر .
(٢) نفس المصدر ص ١٩١ .

المواقف الوسط كالاشاعرة ، وهذا ماتعبر عنه مواقف الفقهاء وعلماء الحديث أمثال ابن حنبل والدارمى والشافعى ومالك ·

٣ وظهر أيضا كاوضح مايكون في مؤلفات ابن القيم وابن تيمية حيث أحاطا بعلوم وثقافة عصرهما – فى القرنين السابع والثامن الهجرى – ووفقا بثبات ضد كل الاتجاهات التى استفحل خطرها في دوائر علم الكلام والفلسفة والتصوف والتشيع ·

٤ ظهرت ملامح متعددة للاتجاه السلفى فى العصر الحديث وان بدت فى جهود متفوقة لعلماء فى شتى العالم الاسلامى لا تجمعهم وحدة الارض·

والامثلة على ذلك : اظهار التوحيد بواسطة الامام محمد بن عبد الوهاب وتبعه آخرون في الجزيرة العربية ومصر والشام والعراق والمغرب والقارة الهندية ·

وكان دور السلفيين ظاهرا فى هذا الدور للمحافظة على نقاء التوحيد الاسلامى فى العقيدة والعبادة ، ثم الجهاد للتخلص من نير الاستعمار الغربى الصليبى ·

وعندما ظهرت مشكلات جديدة بسبب ازدياد صلات الغزو الاستعمارى وفتح منافذ جديدة للتسلل منها عقيدة الاسلام ، كانت السلفية بارزة المعالم فى عدة مواقف نذكر منها :

١ – معارضة دعوى التجديد وتطوير المفاهيم الدينية خضوعا للنظريات العلمية المعاصرة ·

٢ – نقد الفلسفة الحديثة الغربية والمعاصرة وشجبها بمنطق القرآن الكريم وعدم الخضوع لتصوراتها التى أخذت فى الزحف على العالم الاسلامى وأحدثت ثغرات فى الجبهة الاسلامية مستهدفة النيل من أصالة العقيدة الاسلامية ووحدتها وشمولها ، متبعة فى ذلك شتى الاساليب كالفصل بين الدين والدولة أو العلمانية ، والنيل من السنة واحلال القوانين الوضعية بدل الشريعة الاسلامية · وكلها حيل جديدة منبثقة مما مر بحضارة الغرب وتاريخه وفلسفاته ، وما أصاب مجتمعاته من تغيرات اقتصادية وسياسية تخصه وحده ·

وما دام الامر كذلك ، فان مما يستوقفنا ملاحظة طرق واساليب اعداء الاسلام ، اذ تجتمع كلها ـ بالرغم من تعداد وسائلها ـ للنيل من الإسلام عامة ، ومن الطريقة السلفية خاصة ، **ثقافيا واجتماعيا وسياسيا** •

ففى المجال الثقافى والتعليمى ، كان من دأب المستشرقين وما زال تعظيم الفرق المنشقة من الجماعة أمثال الخوارج والشيعة ، واثارة الافكار المخالفة للسلفية كالمعتزلة والجبرية والقدرية ، وغيرها من المذاهب الكلامية والافكار الفلسفية مع تعظيم أصحابها وترويج أفكارهم ، مع النيل من شيوخ السلف وعلمائهم • أضف الى ذلك فرص دراسة الفلسفات الغربية قديمها وحديثها بكافة مذاهبها وأصحابها •

وفى **المجال الاجتماعى** توسيع دائرة التصوف وتشجيع الفرق الصوفية وتجنيد نشر البدع باسم الاسلام ، أو تكوين ما يسمى فرق الانشاد الدينى بصورة مشابهة للنصرانية كالموالد وبناء مساجد جديدة على الاضرحة ، والهاب مشاعر الجماهير العاطفية عن طريق التفسير الصوفى للدين ، واخفاء منهج السلف فى فهم الاسلام وتطبيقه •

وسياسيا ، دأب الاستعمار الغربى على تشجيع الفرق المنشقة عن أهل السنة والجماعة كما أسلفنا ، مع ابتداع أساليب جديدة كالبابية والبهائية والقاديانية ، ومدها بالعون المادى ، وتمكين اتباعها من الوصول الى مراكز التأثير ، الى جانب اذاعة آرائها والترويج لها تحت ستار الاسلام ، مع الاعتماد أيضا على الفرق التى ما زالت تتوارث عقائدها الباطلة المنحرفة عن الاسلام منذ ظهورها فى المجتمعات الاسلامية ، كالباطنية الاسماعيلية والنصيرية والدروز •

واذا كانت خصوم السلفية ينفرون منها بدعوى منافاتها للتقدم ، فما هو التقدم ؟

أصبح لفظ (التقدم) هو الشائع الان وأخذت الغالبية تخضع للتفسير الذى يميل الى وصف كل ما هو حديث ومعاصر بالتقدم ، وامتدت هذه النزعة الى الاعمال الادبية والفنية وحتى الكتابات الصحفية اليومية ، وامتد نفوذ الفكرة ليشمل كل شىء ، فلم يميز بين التقدم فى دوائر العلوم

التجريبية وغيرها من ألوان الانشطة الانسانية ، وتعتمد على الفكرة الرائجة بالرغم من خطئها ــ كما سنثبت ــ اذ تصور المجتمعات البشرية وكأنها تتقدم تلقائيا كما تقدم بها الزمن ، فتقترب بمرور الاعوام والقرون من درجات الرقى والتقدم ·

وليبان خطأ الفكرة بالرغم من ذيوعها وانتشارها ، فاننا سنناقشها وفقا للترتيب التالى : ــ

ــ ان الفكرة مرتبطة بالمراحل التاريخية التى مر بها الغرب ، اذ انتقل فى تطوره المادى من العصور القديمة الى الوسطى فالحديثة والمعاصرة، وفى ضوء هذا التقسيم ، واقتران كل مرحلة بظروفها ، أصبح الغربى عندما ينظر الى تاريخه ، يفزعه المدلول السلفى لان مضمونه التاريخى والحضارى يلقى فى قلبه الرعب · فالسلفية فى نظر الانسان هناك عموما تعوقه عن التقدم المادى فى الصناعة والزراعة وحقول العلوم والمعارف المختلفة اذ تفجرت على اثر الثورة الصناعية واستخدام المنهج التجريبى فى العلوم ، بدلا من المنهج الصورى اليونانى ، وهو من نتائج سلف الحضارة المعاصرة وكان منطقا عقيما لم يتقدم بالعلم خطوة واحدة ، كما تحرمه السلفية هناك من العلمانية التى فصلت بين الدين والدولة سياسيا واجتماعيا طبقا للشعار (دع ما لله لله ودع ما لقيصر لقيصر) فتحررت الشعوب بذلك من قيود رجال الكنيسة التى ضيقت الخناق على حركة التقدم السياسية والاجتماعية ·

وفى الميدان العلمى ، انطلق العلماء يبتدعون سعيا وراء الحقائق التى تقدمها التجارب والاكتشافات العلمية ، فيأتى العلم كل يوم بالجديد المذهل، بعد أن فك عن نفسه قيود تفسير رجال الكنيسة · ولان السلفية عنده كانت مضادة للفكر الفلسفى الذى اراد الدين المسيحى ·

والسلفية بعد كل ذلك بالمضمون الغربى تعيد الى الاذهان الصور المظلمة المقترنة بالظلم الاجتماعى والسيطرة السياسية فى عصور طغيان الملوك والامراء ورجال الاقطاع فى القرون الوسطى ·

ولكن نتوقف لنتساءل : ماذا نريد بقولنا : التقدم ؟ التقدم على ماذا؟ أو على من ؟ أو بالنسبة لماذا ؟ أو لمن يكون التأخر أو التقدم (١) ·

ويجيب على هذا السؤال أحد المؤرخين الذين فسروا الحضارة بالتغيير وليس بالتقدم ، فان المجتمعات تتغير والتغير قد يكون تخلفا أو تقدما من نموذج.ومثل أعلى ذلك لان فى كيان الانسان مقومات ثابتة كالروح والغرائز والميول وحاجته الى المسكن والطعام والشراب والنوم والتناسل • ولكـــن التغيير يصيب وسائله للوصول الى اشباع حاجته • قد يتقدم فى استخدام وسائل أرقى ، ولكنه يستخدمها فى الحروب وميادين القتال والسطـــو والسرقة •

ولكن هل خفف الانسان من أنانيته وأحقاده وظلمه وتعطشه لسفك الدماء وفرض سيطرته على الضعفاء ؟ أم مازالت الحروب المستهدفة لاذلال الشعوب واستغلالها ونهب ثرواتها مستمرة في القرن العشرين الميلادى ؟ ألم تعجز الشعوب الصغيرة والضعيفة ـ التى كانت مستعمرة بالامس ـ أن تجد لها مكانا فى عالم الاقوياء من الدول الكبرى ؟ وفى ضوء ذلك كله هل التقدم حقيقى أم مجرد وهم وخيال ؟

يجيبنا على هذا التساؤل هارى أطر بارنز بقوله :

(وعامة المؤرخين اليوم على أن ما يسمى بالتقدم أو مسيرة التاريخ والحضارة الى الاما أو الى الاحسن انما هو وهم ، لان غرائز الانســـان واخلاقياته المركبة في طبعة باقية كما هى ، بل زادت حدة وضراوة ، ولا زال الوحش راقدا تحت جلد الانسان المتحضر ، بل ان لفظ « الوحش » فيه تجمل فى وصف خلفية الانسان المتحضر اليوم • فان الوحش يهاجم ليأكل أو ليدافع عن نفسه ، وفيما عدا ذلك فهو ساكن أو وسنان ، أما الانسان فيدبر لابادة الالوف أو الملايين وهو راقد فى فراش وثير فى غرفة مكيفة الهواء تضم آخر مبتكرات التقدم المادى • فأيهما الوحش ؟ •

ان انسان اليوم مخلوق ضعيف العقل فى يده قنبلة يمكن ان يحطم بها نفسه وغيره ، وهذا هو وضع الانسان القائد للحضارة والسياسة اليوم (١)

---

(١) دكتور حسين مؤنس ـ الحضارة صفحة ١٤٩
من سلسلة يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب بالكويت
عدد يناير ١٩٧٨ م محرم / صفر ١٣٩٨ هـ

وازاء كل ما نراه مائلا للعيان ، فاننا نميل الى الاخذ بالتفسير التاريخى القائل بأن التاريخ فى سيره يأخذ اتجاها منحدرا (٣) مستندين فى ذلك الى أن العصر الذهبى للانسانية تحقق فى عصر النبوة ثم الصحابة والتابعين ، وبعد القرون الثلاثة المفضلة أخذت مراحل الانحدار تزداد كلما افترق المسلمون شيعا واحزابا مبتعدين عن تلقى الاسلام حسبما فهمه السلف وطبقوه عقيدة وشريعة وأخلاقا ٠

ويتضح من حديث نبوى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أمر فى هذه الاحوال بالصبر على الشدائد والمحن متنبئا بأنها ستزداد على مر الاعصر :

عن الزبير بن عدى قال : اتينا أنس بن مالك رضى الله عنه فشكونا اليه ما نلقى من الحجاج فقال : اصبروا فانه لا يأتى زمان الا والذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم ٠ سمته من نبيكم صلى الله عليه وسلم ٠ (رواه البخارى)

أما نظرية التقدم المرتبطة بدورة الزمن فقد تعرضت لامتحان شديد في العصر الحديث وبعد توالى ظواهر تنبىء عن الازمات فى العالم الغربى المتقدم مثل (انتشار الرذيلة واتساع نطاق استعمال المخدرات وضلال الشبان فى متاهات التمرد على المجتمع واتخاذ الغريب من الملابس والازياء، واتساع نطاق الجريمة المنظمة والارهاب) ٠

٠٠ وما هى اذن الحقيقة الا خطوات مسرعة للتقدم نحو البربرية(١) وبالعكس ، اننا نرى أن المجتمع البدوى أكثر تقدما اذا قيس بمقياس التقدم الاخلاقى المعنوى برغم تضحيته بالافراد احيانا للمحافظة على كيانه العام من أى تحلل ٠ وقد يوقفه هذا المسك فى مكانه ثابتا ويمنعه من اجتياز خطوات نحو ما تسميه المجتمعات الغربية بالتقدم ، ولكنه يحتفظ بالصلابة فى تكوينه وحيويته ، ولهذا فهو فى العادة أطول عمرا وأقل مرضا وتعاسة من الجماعة المتقدمة ، وأفراده فى العادة أوفر نصيبا من السعادة

---

(١) هادى أطر بارنز فى كتابه المسمى (النظم والمؤسسات الاجتماعية) نقلا عنكتاب الحضارة للدكتور حسين مؤنس ص ٣٥٩/٣٦٠ ٠

اذا كانت السعادة هى الاطمئنان على النفس والاهل والمال وراحة الضمير وخلو البال ٠ (٢) ٠

ان البدوى في حياته المستقرة الهادئة اسعد حالا من الغربى المتقدم علميا الذى يجرى وراء سراب لن يصل اليه ، ذلك لان عالم الغربى هوعالم صيرورة ابدية أى حدوث فانقضاء أنه يفتقر الى الهدوء والاستقـــــرار (والزمن عدوه الذى يجب أن ينظر اليه دائما بمنظار الشك والريبة)(٣)

واذا جازت المقارنة بين هذين النوعين من المجتمعات فلا يظن ظان أننا ندعوا أو نحبذ طريقة الحياة البدوية أو البدائية ٠ فان سعادة البشر الحقة في رأينا تبلغ ذروتها في الحياة الدنيا اذا ضممنا الى وسائل التقدم العلمى تحقيق درجات الرقى الاخلاقى بمدلوله الاسلامى ٠

ثانيا : لايصلح الزمن مقياسا للتقدم : يقول السير جيمس :

(ان قوانين الطبيعة الاساسية ، بقدر مانعرفها في الوقت الحاضر ، لا تقول لنا لم يمر الزمن بلا انقطاع ؟ بل هى مستعدة لان تجيز احتمال بقائه ثابتا لايتحرك بقدرما تجيز احتمال رجوعه القهقرى ، **ذلك أن تقدم الزمن الى الامام بلا انقطاع** ، وهو جوهر الصلة بين العلة والمعلول ، انما هو شيء أضفناه من تجاربنا الخاصة الى قوانين الطبيعة المحققة ، ولسنا ندرى هل متأصل في طبيعة الزمن ، وان كانت نظرية النسبية تهم أن تسم الرأى القائل بتقدم الزمن تقدما مستمرا،وبوجودالصلة بين العلة والمعلول تهم أن تسم هذا الرأى بميسم الوهم والخداع) (١)

وبعد هذا التعريف المستفيض للزمن ، أيحق للانسان أن يتخذه

---

(٢) وظهر كتاب آخر لمؤلفه ف . فيل

(١) د حسين مؤنس ٠٠ الحضارة ص ٣٥٨ ـ ٣٥٩

(٢) المرجع السابق ص ٣٥٦

(٣) محمد أسد ٠٠ الطريق الى الاسلام ص ١٣٩،ترجمة عفيف البعلبكى ط دار العلم للملايين ـ بيروت مارس سنة ١٩٧٦ م

(١) الكون الغامض ص ٣٣ ـ سير جيمس جينز ، ترجمة عبد الحميد مرسى ومراجعة د ٠ مصطفى مشرفة المطبعة الاميرية ببولاق ١٩٤٢ م

مقياسا للتقدم أو التأخر ؟ اننا نمضي معه رغما عنا ، فكيف نميز بين خطواتنا ونحن نلازمه ويلازمنا ؟ ثم انه لابد أن تدور عجلته ليتحول الحاضر أمس ، وقد قيل : كل غد صائر امسا

اننا فى عصر ثبت أن الزمن اضافي وأن فروق الحال والمستقبل فى الاشياء لا تكون طبقا لحقيقة تلك الاشياء ، بل طبقا لمشاهداتنا المحدودة(٣)
واذا اعتمدنا على القرأن الكريم لاستطلاع الايات التى تتناول الزمن ترى وردت الايات تارة للاشارة الى الحياة الدنيا مؤقتة وليست دائمة (ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين) ٣٦ البقرة .

أو الزمن الكونى : (الله الذى خلق السموات والارض وما بينها في ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولا شفيع افلا تتذكرون ٤ يدير الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) ٥ سورة السجدة ٠

ويذكر بعض الايات كعلامات للاهتداء : (وجعلنا الليل والنهار ايتين فمحونا آية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا) ١٢ الاسراء ٠ ولمعرفة مواقيت الصلاة والزكاة والصيام والحج ٠

وقد ورد في الحديث : ٠٠٠ وانما الاعمال بخواتيمها ، والليل والنهار مطيتان ، فاحسنوا السيرة الى الاخرة) المنذرى ٠الترغيبوالترهيب ص٤ ص٩٦ وقال رواه الاصبهانى من رواية ثابت بن محمد الكونى العابد

وما أدق التشبيه في الحديث لحث الانسان على اخذ نصيبه من العبادات والاعمال للترقى في الكمالات الانسانية وصولا الى جنة الخلد ٠

وفي حديث يوم النحر ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (ان

---

(٢) وحيد الدين خان ٠٠ الاسلام والعصر الحديث ص ٣٧ ط المختار الاسلامى القاهرة ١٢٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م

الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض ، السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ٠) الحديث ٠ وفي الحديث تحديد لشهور العام والتنصيص على أربعة حرم (متفق عليه) ٠

أما الزمن بمدلوله التاريخي فقد أقامه القران على اساس ثابت سماه (سنة الله) تحذيرا وانذارا لبنى آدم ، فدمار الامم لـه تبريره الموضوعى ، والظلم مثلا سبب للانتقام الالهى ٠ (وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه أليم شديد) هود ١٠٣ (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) هود ١١٧

وكذلك بالنسبة للافراد ، فقارون وفرعون وهامان وغيرهم (نماذج بشرية عرضها القران موضحا أعمالهم ومبينا نهاية ماحصدوه ، تنفيذا لنفس السنة أو القانون الالهى) (١) ومهما كانت الازمنة أو لاعصر التى تظهر فيها الامم او الافراد ، لان سنة الله لاتبدل ولا تتحول ٠

ثالثا : التقدم في الاسلام :

اذا استبعدنا لفظ « التقدم » وما شابهه من الفاظ كالتطوير والثورية والتجديد وما اليها ، بسبب تزعزع مدلولاتها وذبذبة مفاهيمها ، جاز لنا استبدالها بما أقره الاسلام وحث عليه من اكتساب الفضائل ونبذ الرذائل لتمكين الانسان من تحقيق مقام الخلافة فى الارض ٠ محددا الضوابط والمعايير التى لا تتغير أو تتبدل بتغيير الزمان والمكان ٠

وتضمنت الايات القرآنية الاوامر والنواهي واحتوت على الوعد والوعيد متوجهة بالخطاب الى فطرة الانسان تحسن العدل والصدق والعلم والاحسان ، وتقبح اضدادها ٠

قال تعالى (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم

د٠ محمد كمال جعفر فى الدين المقارن ص ١٤ ط دا الكتب الجامعية سنة ١٩٧٠ م

بين الناس أن تحكموا بالعدل) النساء ٥١ وقال عز وجل (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون) النحل ٩٠

ويقتضى الوقوف على بعض معانى التقدم أن نستعرض آيات من الكتاب الكريم ونبذة من الاحاديث النبوية بادئين بالاول : ـ

(أ) فى لكتاب : ـ ها هو كتاب كتاب الله بين ايدينا ـ وكذلك السنة ـ كلاهما يوضحان مراتب أحسن النماذج الانسانية ، ويحثان على الارتقاء والسمو لاكتساب الفضائل التى بدونها لا يصبح الانسان انسانا : قال عز وجل (وسارعوا الى مغفرة من ربكم) وقال سبحانه وتعالى : (فاستبقوا الخيرات) ومدح قوما بقوله (يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون) .

والنظر فى القرآن الحكم يدلنا ـ فيما يرى الراغب الاصفهانى ـ على درجات الارتقاء الاخلاقى ويحثنا على التسامى . **ففى طرق الارتقاء ودرجاته** يذكرها على الترتيب الاتى :

فأولها : أن يرتدع الانسان عن المآثم ويهجرها ويندم عليها ويعزم على ترك مقاومتها وذلك أول درجة التائبين المطيعين . **وثانيها** ان يقوم بالعبادات المفروضة عليه ، ويسارع فيها بقدر وسعه . وتلك درجة الصالحين . **وثالثها** أن يتحرى بعمله الحقيقى تعاطى الحسنات من غير تلفت منه الى المحظورات بمجاهدة هواه واماته شهواته المحرمة وتلك منزلة الشهداء . **ورابعهما** أن يكون منهذه الاحوال المتقدمة برضى ، ظاهر وباطنا بقضاء الله تعالى ، فلا يتزعزع تحت حكمة ولا يتسخط شيئا من أمره ، ويعلم أن الله تعالى أولى به من نفسه وتلك درجة الصديقين . وهذه المنازل الاربعة المرادة بقوله تعالى : (ومن يطع الله ورسوله فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) (١)

---

(١) الراغب الاصفهانى : الذريعة الى منزلة الشريعة ص ٦٨ تحقيق طه عبد الرؤف سعد ط مكتبة الكليات الازهرية بمصر ١٣٩٣هـ١٩٧٣م

اما عن **مهاوى الانحدار ودركاته** ، فقد وردت آيات كثيرة تحذر من انحدار الانسان وسقوطه الى مهاوى الرذائل : فمنها (ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين) ٠

ويوضح لنا الاصفهانى ترتيبا تنازليا لدركات الانحدار والارتداد :
فاولها الكسل عن تحرى الخيرات ، ويورثه ذلك الزيغ لقوله تعالى (فلماذا زاغوا أزاغ الله **قلوبهم**) **وثانيها** الغباوة وهى ترك النظر ونقص العمل فيورثه ذلك رينا على قلبه لقوله (**كلا** بل ران على **قلوبهم ما كانوا** يكسبون) **وثالثها** الوقاحة وهى أن يرتكب الباطل ويراه فى صورة الحق ويذب عنه فيورثه ذلك قساوة القلب ٠ (**ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى** كالحجارة أو اشد قسوة) **ورابعا الانهماك** فى الباطل ، وهو أن يستحسنه فيحبه فيورثه ذلك ختما على قلبه واقفا لا عليه ، **كما قال** تعالى : (**ختم الله** على **قلوبهم** وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) وكما **قال** (**أم على قلوب أقفالها**) ٠

فحق الانسان أن يراعى نفسه فى الابتداء ولا يرخص فى ارتكاب الصغائر فيؤديه ذلك الى ارتكاب الكبائر (المصدر السابق من ٦٤)

(ب) السنة

لو أحصينا أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم التى يحث فيها على الارتقاء والتقدم كما كفتنا كتب ومجلدات ، ولكن يلاحظ المتتبع اياها ، أن الرسول يتجه فى ترغيبه وترهيبه الى الانسان على الحقيقة ـ أى نفسه وروحه وقلبه ـ لانها اساس غذاء القلب والروح وشحذ الارادة وتهذيب الاخلاق ، وتجعلها فى المرتبة الاولى قبل مظاهر الحضارة المادية من اقامة مصانع وانشاء مدن وشق طرق وبناء مدارس وجامعات ومستشفيات ٠

وربما خيل للكثيرين ـ من المسلمين أنفسهم ـ أن السنة تعنى فقط بالجانب التشريعى من الاسلام من تحليل وتحريم واباحة ، أو الارشاد الى أنواع العبادات وكيفية اقامتها وأوقاتها وشروطها ومراتبها ٠ ولكن الحقيقة أن هناك جانبا كبيرا فى السنة القولية والعملية متضمن ارشادات

وتوجيهات فى الحياة الانسانية. دقيقها وجليها ، فى صورتها الفرديــــة والاجتماعية . فارشادات بذلك الى منارات التقدم الحقيقى لكى يهتدى بها الانسان .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ـ وسيظل ـ القدوة فيها كلها حتى أحبه اصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ أكثر من حبهم لانفسهم.وسيبقى كذلك للمسلمين ما دامت الحياة .

قال عروة بن مسعود يصف أحوال الصحابة بقومه : « أى قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشى ، والله مـــا رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا ، صلى الله عليه وسلم » (١)

وما أحوج البشرية عامة والمسلمين خاصة الى الاسترشاد بسنته فـــى دروب الحياة المتشعبة ، اذ لم يترك الدنيا الا بعد أن تحدث واصبح كل شىء .

ففى حديث جامع :

عن معاذ قال : أخذ بيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم نمشى قليلا ثم قال : يا معاذ ، أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ، ووفاء العهد وأداء الامانة ، وترك الخيانة ، ورحم اليتيـ ، وحفظ الجوار ، وكظم الغيظ ، الامانة ، وترك الخيانة ، ورمم اليتيم ، وحفظ الجوار ، وكظم الغيظ ، ولين الكلام ، وبذل السلام ، ولزوم الامام ، والتفقه من القرآن ، وحب الاخرة والجزع من الحساب ، وقصر الامل ، وحسن العمل ، وانهاك أن تشتم مسلما ، أو تصدق كاذبا ، أو تعصى اماما عادلا ، وأن تفسر فـــى الارض .

---

(١) عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ص ٣٠٦ ط السلفية بمصر ١٣٩٧ ﻫ .

يا معاذ ، أذكر الله عند كل شجر وحجر ، وأحدث لكل ذنب توبة ، السر بالسر والعلانية بالعلانية . (٢)

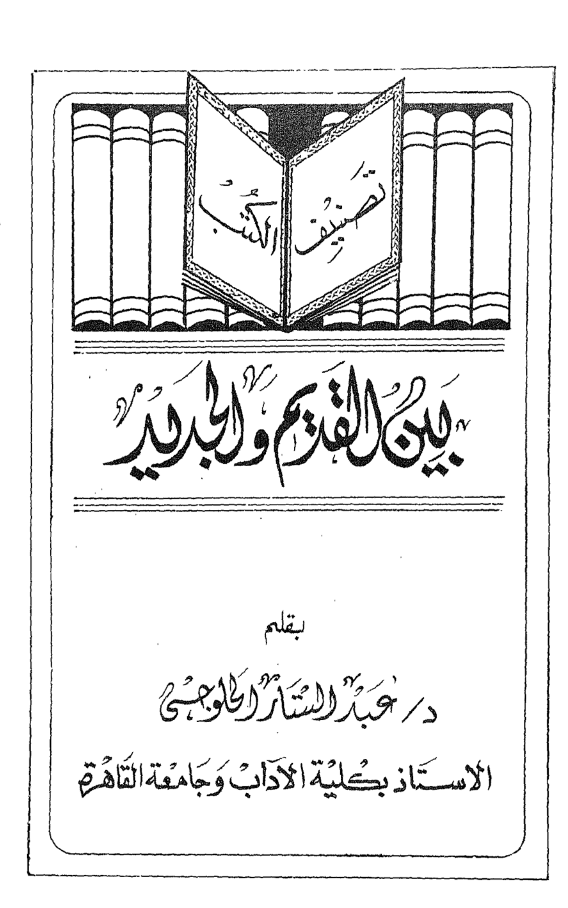
والاحاديث النبوية فى الحث على مكارم الاخلاق ، والرقى الانسانى وتقدمه ، لا حد لها ولا حصر ، ولكن حسبى أن سقت مثالا بما يناسب هذا المقال فى غرضه وحجمه .

والله ولى التوفيق　　　　مصطفى حلمى

---

(٢) المنذرى = ح ٤ ص ١٠٧ / ١٠٨ الترغيب والترهيب . وقال رواه البيهقى فى كتاب الزهد . ضبط احاديثه وعلق عليه مصطفى محمد عمارة ط الحلبى ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٨ م




تصنيف الكتب
بين القديم والجديد
بقلم
د/ عبد الستار الحلوجي
الاستاذ بكلية الآداب وجامعة القاهرة

تعريف

التصنيف هو تنظيم الاشياء أو الافكار فيمجموعات يتوافر فى كل منها أكبر عدد من السمات أو الخصائص المشتركة ٠
وفي كل مجال من مجالات الحياة تلقانا امثلة متعددة للتصنيف فالملابس في البيت تجمع معا في مكان غير المكان الذى توضع فيه الاطعمة ، والسلع في المتاجر ترتب في فئات متميزة يتفق كل منها فى عدد من الصفات والملامح ، وبدون هذا الترتيب يتعزر الوصول اليها والتعامل معها ٠

والمكتبة بدورها مضطرة الى أن تنظم مجموعاتها أو أن تصنفها بطريقة ما لتيسير استخدامها والاستفاده منها٠واذا أخذنا مبدأ التشابه أساسا للتجميع وجدنا أن مقتنيات المكتبة يمكن أن تقسم الى مجموعات أو فئات طبقا لمعايير متعددة ٠ فعلى اساس الشكل المادى تفصل الكتب عن الدوريات ، وتفصل المواد السمعية والبصرية عن هذه وتلك ٠ وفئة الكتب وحدها يمكن أن تقس الى مجموعات يتفق افراد كل منها في الحجم أو اللون أو اللغة أو المؤلفأو تاريخ النشر ولكن المعيار الموضوعى هو أفضل المعايير التى يمكن أن تجمع المؤلفات على اساسها لا لان المحتوى الفكرى هو اهم معالم الكتاب فحسب ، ولكن لان الكتب تطلب ـ عادة ـ لما فيها من مـادة علمية بغض النظر عن أحجامها أو الوانها أو حتى مؤلفيها ٠

ونظم التعليم في العالم كله تدعم هذه الحقيقة وتؤصلها ، فالتخصص الموضوعى هو أساس الدراسة في الجامعات ، بل ان التخصص الزائد هو سمة العصر الذى نعيش فيه نتيجة لتضخم المعرفة واستحالة ان يستطيع فرد أن يلم بجميع أطرافها ، أو حتى بجميع أطراف مجال واحد من مجالاتها ٠
واذن فتصنيف الكتب في المكتبات هو تحديد لموضوعاتها . وترتيب تلك الموضوعات في بناء منطقى يعكس الصلات التى تربط بعضها ببعض. واستخدام هذا الترتيب في صف الكتب على الرفوف والبطاقات في الفهارس (١) ٠

---

(١) كما يحدث فى الفهـــرس المصنف وفى قائمة الرفوف ٠

ترتيب موضوعى .. ولكن ؟

ومع أن الترتيب الموضوعى هو أفضل طرق الترتيب في المكتبات ، بل هو الترتيب الوحيد المتبع وان اختلفت التفاصيل ، الا أننا ينبغى ألا نظن به الكمال والاحكام ، وألا نتصور أنه جامع مانع لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه · ذلك أننا في تطبيقنا لهذا الترتيب قد نضطر الى عزل بعض المواد التى تعالج موضوعا من الموضوعات عن بقية ما كتب فيه لسبب أو لاخر · فالدوريات واطالس والمجسمات والشرائح والاشرطة المسجلة والافلام ـ عادة ـ تفصل عن الكتب لانها تحتاج الى طريقة في الحفظ تختلف عن طريقة حفظ الكتب ، وكتب الاطفال كثيرا ماتفصل عن كتب الكبار ، والمراجع التى يكثر الطلب عليها ولا يسمح باعارتها خارج المكتبة تفصلها معظم المكتبات عن بقية مقتنياتها ،كما تفصل مجموعات المخطوطات والنوادر وأوائل المطبوعات على اساس انها تحتاج الى عناية أكثر وأن قراءها يختلفون عن جمهور القراء · ومعنى ذلك أن المجموعات الموجودة تحت كل مجال من مجالات المعرفة ستفتقد ما يندرج تحت هذا المجال من مراجع ودوريات ومخطوطات وكتب أطفال ومواد سمعية وبصرية ·

وللادب وضع خاص فى التصنيف ، فالمؤلفات فيه لا ترتب وفقا للموضوعات الادبية كالمدح والهجاء والغزل والرثا ـ ونما ترتب على أساس القالب الادبى الذى صبت فيه كالشعر والقصص والمسرحيات والخطب والمقالات · وتحت كل شكل من هذه الاشكال الادبية يكون الترتيب بالعصور ، ثم يرتب انتاج كل عصر بالمؤلفين · والسبب في ذلك أن دراسة الادب تسير على هذا المنوال وأن دارس الادب يهتم بالشكل الادبى أكثر من اهتمامه بالموضوع ·

ومع أن هذا الترتيب هو الافضل بالنسبة للمؤلفات الادبية الا انه يخلو من العيوب ، فالباحث الذى يبحث عن الادب العربى في عصر بنى العباس ـ مثلا ـ سيجد هذا الادب موزعا حسب القوالب الادبية ، ومن ثم لا بد له من أن يجمع مادة بحثه من أماكن متفرقة · وتلك مشكلة المصنف دائما · فحينما تتعدد ابعاد دراسة الموضوع ينبغى عليه أن يفاضل بينها وأن يختار الترتيب الذى يحقق للمتعاملين مع المكتبة أكبر قدر ممكن من الفائدة ·

ولا يقف الامر عند هذا الحد فحسب ، وانما قد يتعقد أكثر من ذلك حين تجتمع صفتان من الصفات فى كتاب · فموسوعات الاطفال ـ مثلا يميزها الشكل الموسوعى من ناحية ومستوى المعالجة من ناحية اخرى ، ومن ثم يمكن أن توضع مع المراجع ويمكن أن توضع مع كتب الاطفال · والسؤال الذى يبرز الان هو : أى الاعتبارين يرجح الاخر؟ والاجابة عليه يحددها نوع المكتبة وطبيعة جمهورها وأى البديلين اكثر فائدة لهذا الجمهور · وعموما فحيثما تخصص قاعة لكتب الاطفال فالافضل دائما أن تكون موسوعات الصغار فى هذه القاعة لا فى قاعة المراجع ·

نخرج من هذا كله بأن الترتيب الموضوعى للمواد المكتبية وان كان أفضل أنواع الترتيب الا أنه يتعذر تطبيقه تطبيقا كاملا · وتلك أول السلبيات التى ينبغى أن نتنبه لها فى تصنيفنا لتلك المواد · فالاقسام الموضوعية ليست كاملة مائة فى المائة كما قد يتوهم البعض · ونبادر فنقول ان مائة في المائة هذه لاوجود لها في أى قضية من قضايا التصنيف · فالتاريخ ـ مثلا ـ يقسم الى مناطق جغرافية ، وكل منطقة من المناطق أو بلد من البلدان يقسم تاريخه الى عصور · ومع أن هذا التقسيم هو الامثل بالنسبة لدراس التاريخ الا أنه لا يلبى حاجة من يبحث في تاريخ القرن التاسع عشر ـ مثلا ـ دون تحديد للمكان ·

وليس هذا هو الصدع الوحيد في جدار الترتيب الموضوعى ، وانما هناك مسألتان أخريان لا بد الا تغيبا عن بال المصنف وهما :

(١) أن الترتيب الموضوعى يوهم باستقلال فروع المعرفة عن بعضها· وليس الامر كذلك فى واقع الحال · فالطبيعة علم ، والكيمياء علم ، ولكن بينهما من صلات القربى ما يبرر دراستهما سعاً كمادة واحدة فى المدارس تحت اسم « العلوم العامة » · والاثار فرع من التاريخ ، والعمارة فيها جانب من الفن وجانب من الهندسة ، ولكن من منا يستطيع ان يزعم أن كتب الاثار لا تتحدث عن فن العمارة وهندستها ؟ · وينبنى على ذلك اننا لو جمعنا كل ما يتناول العمارة من كتب الاثار ووضعناها مع العمارة لاكتملت مجموعة العمارة ولكن على حساب مجموعة الاثار · والعكس صحيح أيضا ·

(٢) أن واقع التاليف لا يتطابق دائما مع التقسيمات النظرية للمعرفة ،

فالكتاب الواحد قد يعالج أكثر من موضوع ، ومع ذلك فلا بد من وضعه في مكان واحد على رفوف المكتبة ومن ثم لا بد أن يأخذ رقما واحـــدا للتصنيف ٠ فأين نضع كتابا عن العلاقات بين المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الامريكية ؟ هل نضعه مع الكتب التى تتكلم عن المملكة أم مع الكتب التى تتناول الولايات المتحدة أم مع كتب العلاقات الدولية؟ وكتب عن اختيار الكتب للمكتبات الجامعية هل الافضل أن يوضع تحت المكتبات الجامعية أم تحت اختيار الكتب ؟ وكتاب شامل عن قناة السويس هل يوضع مع مصر أم مع الملاحة أم مع الجغرافيا أم مع الاقتصاد أم مع القانون الدولى ؟ ٠

والاجابة على هذه الاسئلة يحكمها مبدأ واحد ينبغى أن يضعه المصنف فى ذهنه دائما . بل ينبغى أن يحكم كل العمليات الفنية التى تجرى فى المكتبة من تزويد وفهرسة وتصنيف ٠ هذا المبدأ هو أن نتوخى أكثر السبل نفعا للقارىء وأن نضحى بفائدة قليلة من أجل تحقيق فائدة أكبر ٠

ولكن لماذا نصنف ؟

والتصنيف أو تنظيم الكتب فى مجموعات متميزة ضرورة تلجأ اليها المكتبات كوسيلة لتيسير استخدام تلك المجموعـــات والاستفادة منها ، ولتوفير وقت الباحثين وجهدهم ٠ وفضلا عن ذلك فهو يساعد على تحقيق التوازن بين مقتنيات المكتبة فى مختلف مجالات المعرفة ، ويكشف عـــن مواضع النقص والضعف في تلك المقتنيات كى تعمل المكتبة على تلافيها ٠

وثمة فائدة أخرى نجنيها من وراء التصنيف وهى أنه يقدم للبـاحثين خريطة للمعرفة يتبينون منخلالها الجوانب المتعددت لكل موضوع،والصلات القائمة بين مختلف الموضوعات ٠ فالباحث الذى يقف أمام مقتنيات المكتبة في مجال السياسة ــ مثلا ــ يستطيع أن يتبين مجالات البحث السياسى بكل ما يدخل تحته من أشكال الدولة والاحزاب السياسية والحقوق السياسية٠ للافراد وعلاقة الدولة بمواطنيها وعلاقتها بغيرها من الدول ، وغير ذلك من تفريعات السياسة ٠ والباحث الذى يقف أمام مجموعة الفيزيـــاء لايلبث أن يتبين مباحث هذا العلم من صوت وضوء وحرارة وكهربيـــة ومغناطيسية ، ومن دراسة لخصائص الاجسام الصلبة والموائع والغازات ولا يلبث أن يجد على مقربة من علم الطبيعة هذا علوما أخرى وثيقـــة الاتصال به كعلم الكيمياء ، وعلم الفلك وعلم الحيـــاة ٠ وفي ذلك لفت

لانتباهه الى أبعاد الموضوع من ناحية ، والى الموضوعات ذات الصلة القريبة به من ناحية أخرى .

التصنيف عبر التـــاريخ :

وفكرة تصنيف المعرفة تضرب في التاريخ بجذور بعيدة ففى العالم القديم قسم أفلاطون المعارف الى محسوسات ومعقولات ، والمحسوسات عنده هى العلوم الطبيعية ، أما المعقولات فتشمل العلوم الرياضية والالهيات . ومن بعده جاء أرسطو فجعل العلوم ثلاثة أنواع : نظرية وعملية وابداعية (وهى الشعر) .

وفي العصر الاسلامى كان لعلماء المسلمين نظرياتهم في تصنيف المعرفة. وعلى راس هؤلاء يأتى الكندى والفارابى والخوارزمى وابن سينا واخوان الصفا وابن خلدون ، فالكندى قسم العلوم الى دينية وفلسفية ، وابن سينا قسمها الى نظرية وعلمية ، واخوان الصفا قسموها الى رياضية وطبيعية ونفسية والهية وابن خلدون قسمها الى نقلية وعقلية ، فالعلوم النقلية هى علوم العربية والاسلام التى تتناقلها أجيال الامة جيلا بعد جيل ، والعلوم العقلية هى ما عدا ذلك من المعارف التى لا تختص بها أمة من الامم .

وبعد مضى بضعة قرون على هذه الافكار الاسلامية ظهر فرانسيس بيكون على الناس فى انجلترا والعالم كله بتصور للمعرفة البشرية رد فيه جميع المعارف الى ثلاث قوى هى الذاكرة والخيال والعقل ، واعتبر التاريخ حصيلة الذاكرة ، والشعر نتاج الخيال ، والفلسفة نتاج العقل .

هذا عن تصنيف المعرفة ، أو التصانيف الفلسفية للمعرفة . أما تصنيفها كما تتمثل فى الانتاج الفكرى أو المؤلفات فقد بدأ هو الاخر مع ظهور المكتبات . فديورانت يذكر في «قصة الحضارة» أنه فى الالف الثالث قبل الميلاد كانت الالواح الطينية محفوظة فى جرار مصنفة ومرتبة عـــلى رفوف تملا عددا كبيرا من المكتبات فى هياكل الدولة البابلية وقصورها(١) ويذكر كلارك Clark فى كتابه (العناية بالكتب The Care of Books) أن مكتبة آشور بانيبال (فى القرن السابع قبل الميلاد) كانت الواحها مرتبة فى مجموعات مصنفة تحت ستـــة رؤس موضوعات هى : التاريخ والقانون والعلوم والســحر والعقائد والاساطير (١) . ومــن

المعلوم أيضا أن كاليماخوس أمين مكتبة الاسكندرية فى القرن الثالث قبل الميلاد نظم فهرس المكتبة فى ١٢٠ صنفا ورتب بعض اجزائها ترتيبا زمنيا بالعصور ٠

وفى العصور الوسطى كانت مكتبات الاديرة فى أوروبا ترتب كتبها فى خزائن حسب الموضوعات وكانت كتب كل موضوع ترتب تبعا لاحجامها وأبسط صور التصنيف التى كانت تتبعها تلك المكتبات أن تفصل كتب المؤمنين عن كتب الملحدين وتضع هذه فى جانب وتلك فى الجانب المقابل٠
ولم تكن المكتبات الاسلامية فى العصور الوسطى تجهل التصنيف أو تهمله ، فلا تكاد توجد مكتبة كبيرة ، عامة أو خاصة ، بدون تصنيف ٠ ويكفى أن نذكر من مكتبات الخلفاء والوزراء خزانة العزيز ومكتبة الحاكم بأمر الله فى القاهرة ، ومكتبة الحكم المستنصر الاموى فى قرطبة ، وخزانة عضد الدولة البويهى فى شيراز ٠ فأبو شامة يذكر فى كتابه «الروضتين»

أن صلاح الدين الايوبى وجد مكتبة الفواطم مفهرسة ومصنفة (٢) ٠ ويحدثنا المقدسى فى كتابه « أحسن التقاسيم » أنه لم يبق كتاب صنف فى وقت عضد الدولة البويهى الا وحصله فى مكتبته ، وأن كل موضوع فى هذه المكتبة كان له « بيوت وفهرستات » (٣) ٠ ويذكر القفطي في « اخبار الحكماء » أن ابن سيناء دخل بخارى فوجدها مصنفة (٤) ٠

وكذلك كانت الكتب فى المدرستين النظامية والمستنصرية فى بغداد مصنفة « ليسهل تناولها ، ولا يتعب مناولها » ٠

ولكن هذه التصانيف كلها كانت تصانيف موضعية ان صح هذا التعبير ، فكل منها قد عمل ليتناسب مقتنيات معينة ولم يكن في الحسبان يوما أن يستعمل أى منها فى مكتبة أخرى غير المكتبة التى عمل من اجلها ٠ وظل الحال كذلك حتى جاء العصر الحديث وتنوعت المكتبات وتعددت وتضخمت مجموعاتها نتيجة لظهور الطباعةوانتشار التعليم ،فتولد التفكير في عمل نظم تصنيف تصلح لعدد كبير من المكتبات ، وتمخض ذلك عن ظهور خطط التصنيف الحديثة ٠

---

(١) قصة الحضارة ، ج ٢ ٠ ص ٢٣٦ ٠

خطط التصنيف الحديثة :

ولقد سارت نظم التصنيف الحديثة فى اتجاهين كانت ثمرة أولهما ما يعرف الان بخطط التصنيف العامة ، وكانت ثمرة الثانى ما يعـــرف بالخطط الخاصة ·

أما الفئة الاول من الخطط وهى **الخطط العامة** فتحصى كل فـــروع المعرفة البشرية وتقدمها فى ترتيب مقنن يستعرض كل موضوع بكافة تفريعاته وجزئياته ويراعى الصلات بين هذه التفريعات من ناحية والصلات بين الموضوع الرئيسى وغيره من ناحية أخرى بحيث تتجاوز الموضوعات المتقاربة ·

وتنقسم هذه الفئة من التصانيف بدورها الى نوعين أحدهما جاهز والاخر تفصيل · تماما كالثياب · فالنوع الاول يعطيك قطعا من الملابس جاهزة ذات مقاييس مختلفة وما عليك الا أن تبحث عما يناسبك منها · أما الاخر فلا يعطيك شيئا جاهزا وانما يعطيك القماش ويترك لك أن تفصله على مقاسك وذوقك · ولا يخفى أن هذا النوع الاخير غالبا مايكون أضبط ولكنه أغلى تكلفة وأبطأ فى الانتاج ·

وتسمى الخطط **الجاهزة** بالخطط الحصرية ، ويمثلها معظم خطط التصنيف العالمية وأشهرها وهى :

التصنيف العشرى لملفيل ديوى

والتصنيف الموسع لكتر ·

وتصنيف مكتبة الكونجرس الامريكى ·

والتصنيف الموضوعى لجيمس براون ·

والتصنيف الببليوجرافى لهنرى افلين بليس ·

أما الخطط (التفصيل) فيطلق عليها (الخطط التحليلية التركيبية) ويمثلها تصنيف الشارحة Colon الذى وضعه العالم الهندى رانجاناثان وثمة خطة عامة تقف فى منتصف الطريق بين الخطط الحصرية والخطط التحليلية التركيبية لان جزءا منها جاهز والاخر تفصيل ، هذه الخطة هى التصنيف العشرى العالمى UDC · الذى يستخدم الاســـاس الحصرى

العشرى الذى وضعه ديوى وفى الوقت نفسه يستخدم التحليل والتركيب لتخصيص الموضوع ٠

وأما خطط التصنيف المتخصصة فهى التى تغطى فرعا واحدا من فروع المعرفة الاسلام أو التربية أو الادارة الهندسية أو الالكترونيات،أو عدة فروع تتصل ببعضها كالعلوم الاجتماعية أو الفنون وهى كثيرة ٠ ولا يخفى أن هذا النوع من التصانيف أنسب للمكتبات المتخصصة وأصلح من أى تصنيف عام ٠

د. عبد الستار الحلوجى

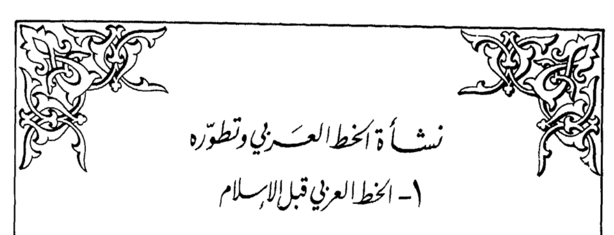
---

(١) The Care of Books , 3-4

(٢) كتب الروضتين في أخبار الدولتين ، ط ص ٢٦٨

(٣) احسن التقاسيم ، ص ٤٤٩

(٤) اخبار الحكماء ، ص ٤١٦ ٠



نشأة الخط العربي وتطوّره

١ـ الخط العربي قبل الإسلام

بقلم الأستاذ محمد أبو الفرج العش

مدخل

نعرف الخط العربي القديم من النصوص التي اكتشفت عفوا أو قصدا في أثناء التنقيبات الأثرية ، وما نقش على النقود العربية الساسانية ، والنقود العربية المبكّرة المضروبة حسب النمط البيزنطي ، ثم النقود الأموية والعباسية ... هذا الخط عربي متكامل وهو من بعد الاسلام .

تساءل الكتّاب العرب القدامى عن نشوء الخط العربي ، ومتى بدأ العرب يكتبون ، ومن أوائل الذين كتبوا به ؟ لقد رووا ما وصل اليهم بأسناد متتابعة — على عادة كتابنا الأمناء الحريصين على ذكر مصدر الرواية — فعرفنا تنفا من الأخبار .

اهتم المستشرقون بأمر الكتابات السامية القديمة منذ القرن التاسع عشر وأوائل هذا القرن ، فجمعوها وصنفوها ونشروها . وقد عرفنا من نتيجة هذه الجهود الكبيرة أن الساميين القدماء كتبوا بالخط المسند الحِمْيَري الجنوبي ، وبالخط الآرامي الشمالي ، وكلاهما أبجدية رتبّت حروفها حسب أقدم أبجدية عرفت في سورية ، وهي أبجدية رأس الشمرة (أوغاريت): أبجد ، هوز ، حطّي ، كلمن ، سعفص، قرشت .

تفرّع عن الخط المسند الحِمْيَري الجنوبي عدة خطوط هي : الخط الحبشي والثمودي واللحياني والصفوي . وقد وجدت كتابات كثيرة من هذه الخطوط ، ويعتبر الخط الصفوي أكثر هذه الخطوط انتشارا في سورية الجنوبية والأردن ، وخاصة في البادية منذ عهود ما قبل الميلاد[1] حتى قبيل الاسلام .

تفرّع عن الخط الشمالي : الفينيقي والآرامي والعبري والنبطي والتدمري والسرياني والفهلوي ، وهذا الخط الأخير هو الذي انتشر في العراق وإيران وأصبح الخط الرسمي للدولة الساسانية منذ القرن الثالث الميلادي حتى العهد الاموي ، وظلت آثاره باقية على النقود في العهد العباسي الأول .

تميّزت اللغة العربية من اللغات السامية كلهجة من اللهجات ، وهي مشتركة معها بكثير

---

(١) وجدت في جبل أسيس عددا كبيرا جدا من النقوش الصفوية محزوزة أو محفورة على البازلت .

من الألفاظ، كما تميّز الخط العربي من الخطوط السامية[٢] . وهنا نتساءل متى حصل هذا التمييز ؟

اكتشف كتابات نبطية كثيرة تعود الى عصر ما قبل الميلاد حتى القرن الرابع الميلادي .

نلاحظ في كتابات القرن الرابع تطوّرا في الحروف النبطية وشبها بالحروف العربية التي تكاملت فيما بعد ، إلا أننا نميّز الخط النبطي المتأخر من الخط العربي المستحدث أن الحروف طالب منفصلة بعضها عن بعض في النبطي .

مواقع الكتابات العربية قبل الإسلام

---

(٢) يمكن الرجوع الى الجداول التي نظمها العلماء بالحروف السامية لمتابعة تشابهها واختلافها واليكم مثلا بعض المراجع :

De Morgan : Manuel de Numismatique Orientale, fascicule II, Paris, 1929, PP. 261, 276 et 295.

اسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ـ القاهرة سنة ١٩٢٩ ؛ ص ١٧٩ و ٢٠٠

À Grohmann Arabische Paläographie Wien 1971, P. 9.

ولقد اوضح Cantineau في كتابه الذي سنشير اليه فيما يلي تشابه الحروف النبطية المتأخرة والعربية القديمة قبل الاسلام وبعد الاسلام .

J. Cantineau , le Nabatéen, Vol. I, PP 29 - 30.

بينما الخط العربي يميل الى وصل بعض الحروف ببعضها الآخر ؛ ونلاحظ أيضا أن الخط النبطي لا يهتم بالالتزام في الكتابة على خط مستقيم بل يرفع بعض الحروف ويخفض بعضها الآخر عن السطر ، بينما الخط العربي ينتظم على خط مستقيم . ترى من أين استنبط الخط العربي ؟ أهو من الخط النبطي ؟ — حسب ما ذهب الى ذلك أكثر العلماء — أم من الخط السرياني الاسطر نجيلي ؟ — كما يرى بعضهم الآخر — أم من الخط المسند اليمني جُزمت (أي قُطعت) حروفه فكانت الحروف العربية ؟ — كما يذكر كتّابنا العرب القدماء ؟ قبل أن نناقش هذا الموضوع ونوازن بين هذه النظريات، نرى أن نعرض الكتابات السبع المعروفة قبل الاسلام وندلّ في أثناء الكلام عنها على المؤثرات القديمة التي ما زالت عالقة في هذه الكتابات ، عندئذ يمكن ان نرجح الأخذ بنظرية تكون أقرب الى الواقع .

. . .

الكتابات العربية قبل الاسلام

نختار من الكتابات النبطية المتأخرة في القرن الثالث الميلادي كتابة واحدة نفككها ونبين مدى قربها من الكتابة العربية التي نشأت فيما بعد .

كتابة أم الجمال الأولى :

أم الجمال موضع يقع على بُعد ٢٥ كم جنوبي بصرى الشام .

١ — د نه نفسو فهرو

٢ — بر سلي ربو جد يمه

٣ — ملك تنوخ

الشكل — ١

دراسة باليوغرافية(٣) :

١ — كان العلماء لا يعتبرون هذه الكتابة عربية حتى أن ليتمان نشرها مع الكتابات النبطية [٤] ، بينما نعتبر كتابة النمارة عربية .

٢ — (الواو) في آخر الأسماء الاعلام يدل على التأثر باللغة الآرامية التي هي أصل اللغات السامية المتأخرة كالنبطية والسريانية وما يتفرع عنها .

٣ — لا بأس من ان ندقق النظر برسم الحروف نجد أنها تكاد تكون متطورة وأكثر شبها بالحروف العربية من نص النمارة نفسه : الدال ٦ تتميز عن الراء ٦ ؛ وكلاهما لا يختلفان عن الخط العربي اذا أدرنا اتجاه الحروف ربع دائرة حركة عقرب الساعة . واذا أضفنا الى (الدال) بوضعها الحالي الخط

(٣) وهي كلمة Paléographie وما شابهها في اللغات الاجنبية الأخرى ، نعني هذه الدراسة بأشكال الحروف .

(٤) Enno Littmann SYRIA (Publication of the Princeton University. Archaeological Expeditions to Syria in 1904/5 and 1909), Division IV section A (1914), PP 37 - 40 No 41.

الاسفل الذي يلتزمه الخط العربي حصلنا على (الدال الكوفية) .

٤ — (الفاء) هي نفسها بالخط العربي و (الواو) لا يختلف رسمها الا شيئا قليلا .

٥ = الهاء المتوسطة في كلمة (فهر) كتبَ مثلها في الخط العربي ، وكذا (الجيم) في (جذيمة) .

٦ — (السين) لا تزال بعيدة بعض الشيء عما تطورت إليه في الخط العربي ، لكن الأسنان الثلاث تدلّ عليها .

تفسير النص :

١ — هذا قبر فهر
٢ — ابن سلى مربي جذيمة
٣ — ملك تنوخ .

دراسة لغوية :

١ — يعتقد الاستاذ ليتمان ان هذه الكتابة دوّنت في زمن غير بعيد عن الزمن الذي نقشت فيه كتابة النمارة التي تعتبر كتابة عربية . ويعتقد أن كاتب هذا النص كان عربيا عالما بالآرامية . لأنه استعمل الواو في آخر الاسماء (نفشو ، فهرو ، ربو) كما هو الامر في الآرامية .

٢ — هذه الكتابة نبطية عربية ذكرت فيها مفردات استعملت في نقش النمارة الذي يعتبر مكتوبا بلغة عربية وحروف نبطية ، وذلك مثل (نفشو) بمعنى (القبر الذي تحوم حوله نفس المتوفى) (بر) بمعنى (ابن) وقد ظلت هذه الكلمة في اللغة العربية نعتا يدل على الابن (البارّ) الصالح ، وقد وصف الله النبي يحيى في القرآن الكريم بقوله : « وبرّاً بوالديه ولم يك جبارا عصيًا »[٥] ، (ملك) كلمة عربية برسمها ومعناها .

٣ — يعتقد ليتمان ان (سلي) مرخمة من كلمة (سُلَيْم) العربية ، أما نولدكه فيؤثر أن يكون نطق هذا الاسم العلم (سَلاّء) .

دراسة تاريخية :

(جُذَيْمة) هو أحد ملوك الحيرة المسمى (جُذَيْمة الأبرش) التنوخي الذي حارب الزبّاء ملكة تدمر . إذا ثبت هذا التقدير فان النص يؤرخ بالثلث الاخير من القرن الثالث الميلادي .

* * *

كتابة النمارة :

يوجد في النمارة قصر صغير من العهد الروماني يقع على الطرف الجنوبي من وادي الشام المنحدر من جبل العرب نحو الشمال الشرقي الى البادية . في سفح المنحدر الى الوادي وجدت بعثة أثرية فرنسية يرأسها الاستاذ Dussaud [٦] سنة ١٩٠٢ حجرا من الحجر البازلتي

(٥) القرآن الكريم : السورة ١٩ ؛ الآية ١٤

(٦) نشر الاستاذ دوسو مع السيد ماكلر ثم دوسو لوحده عددا من الابحاث عن اعمال هذه البعثة ، ذكرت فيها هذه الكتابة :

Dussaud et Macler Inscription Nabatéo - Arabe. [Revue Archéologique, Vol II (1902) PP. 409 - 412]

Idem : Mission dans les régions désertiques de la Syrie moyenne, PP 413 - 429, 479 et 715 - 17

Dussaud : Les Arabes en Syrie, PP 30, 34 - 35, 51, 91 - 2

Idem . La pénétration des Arabes en Syrie avant l'Islam, Paris, 1955, PP. 64 - 5

نقشت عليه هذه الكتابة . نقل الى متحف اللوفر في باريس ، ثم أخذت عنه نسخة جصية حفظت في المتحف الوطني بدمشق ، ثم نقلت هذه النسخة إلى متحف الخط العربي بدمشق .

درس العلماء المختصون بالكتابات العربية هذا النص ونشروه ، لقد كانوا تقريبا متفقين على تفكيكه ، لكنهم اختلفوا على تفسيره وترجمته .

هذه شاهدة قبر امرىء القيس خلدت أعماله الحربية واتساع نفوذه من الحيرة إلى اليمن إلى التخوم الشآمية ، وقد سمت منزلته لدى الفرس حتى أنهم أناطوا به وبأولاده أمر الدفاع عن المنطقة ومراقبة التخوم لصدّ الروم . حدّد دوسو تاريخ حكمه بين ٣٠٠ ــ ٣٢٨ م بناء على دراسة ROTHSTEIN (٧) الذي ذكر لائحة كاملة بأسماء ملوك الحيرة اللخميين .

دراسة باليوغرافية :

سنتتبع الحروف حسب ورودها في النص ، ثم نورد أشكال الحرف حسب وقوعه في الكلمة .

١ ــ (التاء) في أول الكلمة ووسطها وآخرها رسمت بشكل واحد ה . لاحظ كلمة (تي) ، (التج) ، (سنت) . هذه التاء لم تتطور بعد .

٢ ــ (الياء) الأخيرة رسمت متصلة بالتاء في كلمة (تي) . شكلها قريب من الحرف العربي ، أما وصلها بالتاء فهو تطور الى العربية بوضوح ، لكن اتصالها في كلمة (بزجي) مختلف فهي مرفوعة إلى الأعلى ، مما دعا دارسي النص في سجل الكتابات العربية(٨) ان يقرؤوا الكلمة (بزجاي) وأتت منفصلة في

تي نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو أسر التج

وملك الأسدين و نزرو و ملوكهم و هرب مذ حجو عكدي وجا[ء]

بزجي في حبج نجرن مدينة شمر و ملك معدو و بنن بنيه

الشعوب و وكلهن فرسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه

عكدي هلك سنت (٢٢٣) يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولده

الشكل ــ ٢

(٧) Rothstein · Die Dynastie dar Lahamiden in le - Hira, P. 69 ff.

(٨) Combe, Sauvaget et Wiet : Répertoire Chronologique d'Epigraphie Araoe P. 1

سنشير الى هذا المرجع كلما ورد ذكره سجل الكتابات العربية : R C E A

(عكدي) ، وشكلها أيضا قريب مـن الحرف العربي • وقد وردت في وسط الكلمة متصلة أيضا من الطرفين (القيس) لا تختلف عن العربيـة الا بشيء مـن العوج • ووردت أيضا في أول الكلمـة متصلة في كلمة (يوم) على شكل ـد وهي لا تختلف عن العربية إلا بعـوج طفيف الى اليمين •

٣ -- (النون) و(الفاء) و(الميم) و(اللام)، و (لا) في كلمة الأسدين ، و (الجيم) و (القاف) و (العين) و (الغـين) و (الكاف) الأخيرة،••• كل ذلـك كحروف الخط العربي ، لا تختلف إلا قليلا وقليلا جدا •

٤ — (السين) ذات ثلاث أسنان ، إلا أنها لم تتطور إلى الشكل العربي في هـذا النص ، سنجدها متطورة في نص معبد رَمّ •

٥ — (الراء) رسمت ٦ نبطية غـير متطورة • عددناها في نص أم الجمـال الأولى أكثر تطورا نحو العربية بـالرغم من أن النص أقدم •

٦ — (الألف) رسمت ﮔ مائلة الى الجهة اليمين وانتهت في الاسفل بعقدة • الميل بقى فى الحرف العربـي لكن العقـدة حلّت وفتحت بتعويج • سنرى في نص معبد رمّ أن العقدة زالت •

٧ — (الواو) شبيهة بالحرف العربي ، لكنهـا لم تكتمل بعد •

٨ — (الكاف) في أول الكلمة رسمت ـد في كلمة (كله) وهي شبيهة بـالكاف الآرامية والفهلوية ، وبالرغم من أنهـا أخذت شكل (الكاف الاخيرة) في الخط العربي في كلمة (ملك) ، فانها أحيانا ترد على هذا الشكل على النقود العربية في العهد الاموي • عاين كلمة (كله) و (كره) في مأثورة المدار وخاصة على الدراهم الاموية •

٩ — (الهاء) الاخيرة في (كله) رسمت كالحرف ~ الفهلوي الذي يلفظ P = ب أو F = ف بالفهلوية •لقد التبس هذا الشكل على علماء النقـود ومنهم الدكتور ووكر[٩] فظن أن فـي كلمة (~ = لله) لبساً • ظلّت (الهاء) ترسم في الخط العربـي على هذا الشكل مدة طويلة لقد أشرت إلى ذلك في كتابي :

Silver Hoard of Damascus, P. 159

وأبنت أن هذه (الهاء) عربية قديمة • أما الهاء في أول الكلمة أو وسطها ، فهي لا تزال مختلفة بعض الشيء عن الخط العربـي •

١٠ — (الدال والذال) رسمتا قريبا من رسم (الراء) ولكن مع يبوسة ٦ هـذا الحرف غير متطور بعد •

١١ — (الزاي) رسمت متصلة في كلمة (نزرو) بشكل مستقيم ، لم تتطور بعد •

١٢ — (الحاء) رسمت نبطيـة غـير متطورة ~ • عندما تطورت جزمت من نصفها

---

(٩) Walker · Catalogue of Muhammadan Coins (Arab - Saanian) London, 1941. Nos 8, A N S. 1, ETN 3, RB. 3, P 1 and T. 5

أي قطعت واستغنى عن القسم الثاني، فأصبحت شبيهة بالجيم .

. . .

تفسير النص :

١ – هذا قبر امرىء القيس بن عمرو ملك العرب كله الذي [١] حاز [٢] التاج [٣] .

٢ – وملك [عشيرتي] بني اسد [٤] و[قبيلة] نزار وملوكهم ، وهزم [٥] قبيلة مـ[ـذ] حج [٦] القوية [٧] وجا [ء] .

٣ – يزجي [٨] في حبج [٩] نجران [١٠] مدينة [الملك] شمّر [١١] (أو شمّر) وملك [قبيلة] معدّ و [موضع] بنان [١٢] [وأطاع] [١٣] بنيه [١٤] .

٤ – الشعوب ، ووكلهم [١٥] [الـ] فرس [لمجابهة] [ا] لروم [١٦] . فلم يبلغ ملك مبلغه [١٧] .

٥ – قوةً . هلك سنت [١٨] ٢٢٣ [١٩] يوم سبعة [٢٠] كسلول [٢١] ليسعد [٢٢] (أو بسعادة) أولاده [٢٣] .

دراسة لغوية :

درس هذا النص وترجمه كثير من العلماء، ولكن النص لا يزال بحاجة الى مزيد من المراجعة والتفنيد لبعض الكلمات والجمل الغامضة . سأحاول أن أعطي بعض التعديلات فيما يلي متتبعا الأرقام التي وضعتها فوق الكلمات : ١)، ٢) ... راجيا أن أكون موفقا بعض الشيء . ألفت النظر أولا، إلى وجود حرف (الواو) زائدا في آخر الأسماء الأعلام (عمرو ، نزرو ، مذ حجو ، معدّو، فرسو) هذا مألوف بالآرامية ويدل وجود الواو في الكتابات النبطية المتأخرة على التقارب بين فروع الخطوط السامية (من أصل آرامي) مستشهدين بهذا الموضوع مرة أخرى :

١) ذو : في النص تعني باللغة العربية (الذي) إذا كان تقدير الكلمة التي بعدها فعل ، والا فان معناها لا يختلف عنه في اللغة العربية المتطورة ، وهو بمعنى (صاحب حيازة التاج) .

٢) أسر : باللغة العربية حصل على الشيء واحتفظ به ، ومن هذا المعنى تأتي كلمة (الأسر) في الحرب و (الاسير) ... في النص يصحّ استعمال كلمة (حاز). لا أدري لماذا نقلت [١٠] الكلمة الى حروف عربية في سجل الكتابات العربية (أصر) مع أنها كتبت بالسين وترجمت صحيحة .

٣) التاج: كتبت بالنص (التج). هذا مألوف أيضا في كلام العرب ، ولكن على الاغلب في الأسماء الأعلام مثل الحرث وسليمن ونجرن ... يلاحظ في الكتابات السامية أنه لا يوجد اهتمام بالحروف الصوتية ، وقد استمر ذلك في الكتابات العربية حتى العهد الاموي . أهم مثال على إهمال الألف في الاسماء الاعلام وغير الأعلام كتابة بيت جبرين العربية التي سنتحدث عنها في بحث قادم .

---

(١٠) عندما تنقل كتابة من شكلها القديم الى حرف هذا العصر يطلق على هذا العمل Transcription ؛ وعندما تقلد الكتابة شكلها القديم او ينسخ رسمها نطلق على هذا العمل استنساخا Facsimile

٤) الأسدين : وردت على هذا النحو في النص وبظن أن المقصود (فرعان من قبيلة) بني أسد ، اعتبرها مترجمو السجل جمع مذكر سالم (الأسدين) . أما Cantineau [١١] فقد ترجمها صحيحة بالتثنية .

٥) هزم : وضعت للتعبير عن (هرب) الواردة في النص ، ويمكن ان نضع كلمة اخضع على نحو ما ترجمها Dussaud أو كلمة (مزق شمل) على نحو ما ترجمها Cantineau ومترجمو النص في سجل الكتابات العربية R C E A لكنا نفضل (هزم) لقربها من معنى (هرب) .

٦) م[ذ]حج : لم يذكر الحرف الثاني في النص الاصيل . وقد ظن ولفنسون أن الكلمة (مزحج) فقرأنصف حرف (الحاء) زايا : [١٣] وقرأها سابقا دوسو (محج) لكنه عاد سنة ١٩٥٥ Pénétration فقرأها م[ذ]حج بناء على تصحيح Peiser [١٢] .

٧) عكدي : راجعت هذه الكلمة في القاموس المحيط فوجدت : (العَكَدَة) وهي العصعص والقوة: أي أن سلامة العصعص في الجسم يعطيه قوة.ووجدت (المعكد) بمعنى الملجأ : أي يلجأ اليه لقوته وقدرته على الحماية . يقال (استكعد الطائر)اذا انضم الى ما يحميه مخافة الجوارح . إنما يؤيد هذا المعنى ورود الكلمة مرة ثانية في أول السطر الأخير كما سيأتي بيانه .

ولفنسون[١٣] أراد أن يعطي وصف القوة لامرىء القيس ، بينما أرى أن الوصف يراد به بيان أهمية قبيلة مذحج التي هزمها ، وهذا يدل على قوته الفائقة.

أما الترجمة الفرنسية التي وردت في سجل الكتابات العربية وعند Cantineau فهي (حتى هذا اليوم). ربما اعتبر هؤلاء المترجمون الكلمة نبطية فترجموها على هذا النحو ، ولكن لما كان النص عربيا والكلمة (عكدي) أصل في العربية فانه يحسن تبني المعنى العربي .

٨) بزجي[١٤] أو نزجي : يمكن أن تقرأ الكلمة على هذا الشكل ، ولكن ربما كان الأصح أن تكون (يزجي) بالياء . راجعت الكلمة (زجا) و (أزجى) في القاموس المحيط ، فوجدت معناها موافقا للنص : يقول الفيروزبادي (زجاه) ساقه ودفعه كزجّاه وأزجاه ... ثم يقول (الزجاء) النفاذ في الامر . يكون المعنى اذا صحّ أن تستعمل كلمة (يزجي) : « وجاء امرؤ القيس بعد أن هزم قبيلة مذحج القوية يزجي (أعداءه) في حبج نجران و ...» = أي يسوقهم ويدفعهم حتى أحاط بنجران .

٩) حبج : لم يورد أحد المقصود من كلمة

---

(١١) J Cantineau : Le Nabatéen, II, P 50

(١٢) F. E. Peiser : Die Arabische Inschrift von en - Nemara [Orientalishe Litteratur-zeitung 1903, P. 279]

(١٣) المرجع نفسه ص ١٩٠ وذلك بناء على راى ليدزبارسكي . Lidzbarski : Ephemeris, Vol II, P. 35.

(١٤) فككت في سجل الكتابات (بزجاي) .

حبج • وقد وجدتها في القاموس المحيط (حبج) = بدا وظهر بغتة ، (أحبج) دنا واكتنف • نعتقد أن المقصود بحبج نجران ظاهرها وما يحيط بها : أي أن امرأ القيس طارد أعداءه حتى أحاط بنجران • وقد وفق مترجمو السجل إلى هذا المعنى تقريبا •

١٠) نجران : رسمت في النص بدون ألف •

١١) مدينة شَمِر : تعتبر كلمة (مدينة) بدل من (نجران) وهي مدينة الملك شَمِر أو شَمّر ، أتى لفظها بالشكل الاول عند Dussaud(١٥) وقد ذكر تأييدا لقراءته رأي J. RYKMANS (١٦) بـأن شَمِر المذكور في هذه الكتابة لقي نهايته وأبيه سنة ٣٢٠ م ، وأتى لفظها بالشكل الثاني (شمّر) في سجل الكتابات R C E A .

١٢) بنن : وردت على هذا النحو في النص ، لكن ولفنسون قرأها (نزل) وفسرها أن امرأ القيس (قسم) بين بنيه الشعوب بعد ما انتصر عليهم • الحروف لا تساعد أبدا على قراءتها (نزل) •

أما واضعو السجل R C E A . فقد نقلوها (بيّن) وترجموها أيضا بمعنى (قسم) • لا أظن ان الكلمة (بيّن) ولو كانت كذلك لرسمت على الشكل بينما هي مرسومة في النص (انظر الى رسم جميع الياءات المتصلة في النص تجدها مرسومة معوّجة على الشكل (ﻛ) • ولو سايرنا من قرأها (بيّن) فإنا نرى معناها (أظهر) أو (أبرز) ، ويكون المعنى أن الشعوب أبرزوا بني امرىء القيس ، وذلك باحترامهم وإطاعتهم •

أرى أن الكلمة (بنان) وهو موضع في ديار بني أسد بنجد(١٧) • فاذا اعتبرنا الكلمة اسم علم ، فان المعنى يتم بأن تضاف الكلمة الى معدّ التي ملكها • ولكن في هذه الحال يجب أن نقدر نقصا في النص• ارتأينا ان نسدّ الثغرة بما يلي :

١٣) [وأطاع] يكمل المعنى بذلك فيكون : هزم وملك كذا وكذا وأطاع بنيه الشعوبُ ، الكلمة الاخيرة وردت في السطر الرابع •

١٤) إعراب (بنيه) مفعول به مقدم (الشعوبُ) في السطر الثاني فاعل مؤخر •

١٥) ووكلهن • من الغريب ان يأتي الضمير الجمع للمذكر في هذه الكلمة بالنون عوضا عن الميم مع أن الضمير بالميم ورد في كلمة (ماوكهم) • هذا تأثر واضح من اللغة الآرامية ، ففيها يكون الضمير الجمع للمذكر بالنون لا بالميم •

١٦) ووكلهن فرسو لروم : هذه الجملة قرئت وترجمت على أشكال عديدة، يحسن أن نستعرض بعضها : دوسّو في مرجعه الأخير سنة ١٩٥٥(١٨) : « ووزّعهم [امرؤ القيس وزع الشعوب] بين الفرس والروم » •

(١٥) R. Dussaud : La pénétration des Arabes en Syrie avant l'Islam, Paris, 1955

(١٦) J Rykmans : l'Institution Monarchique, P. 311.

(١٧) ياقوت : معجم البلدان ج١ ص٧٤٠ (ط . ليبزغ) .

(١٨) R. Dussaud : La pénétration des Arabes en Syrie avant l'Islam, P. 64.

كليرمون غانو[١٩] : « وقسمهم [القبائل] بين الفرس والروم » •
بيزر[٢٠] : وترك [القبائل] للروم » •
كانتينو [٢١] : قرأ (فرسو) (فارسو) بمعنى (فرسان) وقال : « جهز امرؤ القيس هذه القبائل كفرقة فرسان لصالح الرومان» هذ ةالترجمة مغلوطة ولاتنسجم أبدا مع المفهوم التاريخي للعصر •
سجل الكتابات العربية [٢٢] : وجعل (أولاده) كممثلين (معروفين) لدى الفرس والروم • القصد من ذلك ان بجعل امرؤ القيس اولاده معروفين بنفوذهم لدى القبائل من جهة ولدى الدولتين الكبيرتين من جهة أخرى •

بعداستعراض هذه الترجمات ومفاهيمها نجدها بعيدة عن المعنى المطلوب ،وخاصة فانهؤلاء العلماءلم ينتبهوا لمعنى(وكلهم)• أنا أرى أن امرأ القيس بعد ما وصل إليه من قوة ونفوذ فإن الفرس الذين يرتبط بهم امرؤ القيس قد قدروا قيمته وقيمة أولاده فأوكلوا اليهم أمر مجابهة الروم وتكون الجملة باختصار « ووكلهم الفرس ل [مجابهة أو صد] الروم (عن مناطق النفوذ التي كسبها امرؤ القيس وبنوه)» •
هذه الترجمة تنسجم مع الأحداث التاريخية بين دولتي الفرس والرومان وعلاقاتهما بالممالك العربية الموالية لإحداهما ضد الأخرى •

١٧) فلم يبلغ ملك مبلغه قوة : هذه جملة كاملة عربية خالصة بليغة ، حروفها متصلة وهي قريبة جدا من الحروف العربية ، وهي تنفعنا في البحث الذي سنورده بعد قليل عند مناقشة نشوء الخط العربي • أما (عكدي) بمعنى (قوة) فقد وردت معنا سابقا ، وهي تكمل معنى الجملة ، وتأتلف معها ، وتزيدنا يقينا بمعناها العربي •

١٨) سنت : أكتبها هنا بالتاء المفتوحة ؛ لأن التاء الاخيرة والتاء في أول الكلمة مثل ([illegible] = تي) والتاء في وسط الكلمة مثل ([illegible] = التج) تكتب جميعها على شكل واحد ؛ لذا عندما تطورت الكتابة إلى العربية ظلت الكلمة بالتاء المفتوحة • وقد وجدت على نصوص قبل الإسلام بالتاء المفتوحة (كتابة حران وكتابة أسيس) وعلى كتابات مبكرة بعد الإسلام [٢٣] •

---

(١٩) Clermont - - Ganneau : Recueil d'Archéologie Orientale, VOL. VI, P. 308.

(٢٠) Peiser . Die arabische Inschrift von en-Nemara [Orientalische Litteratur - Zeitung, 1903, P. 280].

اشكر الاستاذ علي ابو عساف الذى ترجم النص الالماني هذا وبعض النصوص الاخرى .

(٢١) J. Cantineau : Le Nabatéen, Vol II, 1932, P. 50

(٢٢) Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe, T I, P. 2, No. 1.

(٢٣) اليكم مثالين :
١ ــ الكتابة المحفوظة في متحف الفن الاسلامي في القاهرة وهي مؤرخة من سنة ٣١ هـ. نشرت في :
Répertoire chronologique d'Epigraphie Arabe, Vol. I, No. 6.
Grohmann · Arabische paläographie, Vol. II, P 71, No 3.
٢ ــ كتابة الطائف وهي مؤرخة من سنة ٥٨هـ نشرها في الاصل :
Miles : Early Islamic inscriptions near Ta'if in the Hijaz, P 277, fig 1, pl. XVIII. A

١٩) التاريخ ... تفصيله :
... = ٢ ، ... = ١٠٠ ، ...
= ٢ × ١٠٠ = ٢٠٠ ، ... = ٢٠ ،
... = ٣ ، المجموع ٢٠٠+٢٠+٣=
٢٢٣ وهو في التقويم النبطي الذي يبدأ
من تأسيس بصرى الشام الواقع في سنة
١٠٥ م ، يعني : ٢٢٣+١٠٥ = ٣٢٨ م .

٢٠) ... = وهي ... (٥) + ... (٢) = ٧ .

٢١) كسلول في التقويم النبطي يعادل شهر
كانون الاول في التقويم الميلادي .

٢٢) بلسعد = بالسعادة او بسعادة وهو دعاء
بالسعادة لاولاده . يمكن ان نعبر عن
ذلك ايضا بالتركيب الدعائي (ليسعد) .

٢٣) ذو ولده : الترجمة الحرفية (الذي [هو]
ولده) وهو يعني (أولاده) .

دراسة تاريخية :

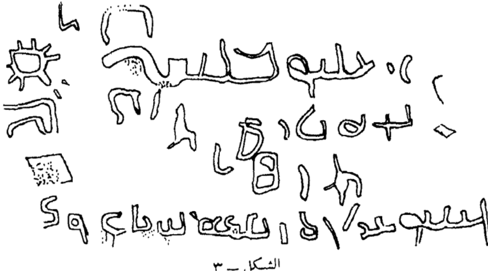
هذا النص هام جدا لانه مؤرخ ويحمل اسم
ملك امرىء القيس اللخمي وأسماء القبائل :
أسد ونزار ومعد والمناطق التي اتسع اليها
نفوذه ونفوذ أولاده كنجران وبنان . وهو يحدد
العلاقات بين الفرس والروم وخاصة على التخوم
الشامية التي وجدت فيها الكتابة .

* * *

كتابة معبد رم :

يقع جبل رم على بعد ٢٥ ميلا الى شرقي العقبة ، قام بالتنقيب في المعبد سافينياك وهورسفيلد[٢٤] وقد وجدا فيه كتابة عربية هامة جدا من حيث تطور الحروف نحو العربية . لم يقرأ الباحثان هذا النص ، ولم نعثر على قراءته في احد المراجع . نشره اخيرا الاستاذ غروهمان[٢٥] ، لكنه لم يقرأ الا بعض الكلمات التي لها علاقة بالدراسة الباليوغرافية ، ومع ذلك فانا لا نوافقه على قراءته هذه الكلمات كلها .

تأمل صورة الحجر المنقوش في اللوح — ١



الشكل — ٣

(٢٤) M. R Savignac et G Horsfield . Le Temple de Ramm [Revue Biblique XLIV (1935), fig 21. P. 270]

(٢٥) A. Grohmann, Ibid, P. 16, fig. 1

النص غير مؤرخ ، لكن غروهمان اعتمادا على ليتمان[٣٦] ونبيهة عبود [٢٧] حدد تاريخه بين ٣٢٨ و ٣٥٠ م . (اللوح ١ ـ الصورة ١).

تفكيك النص :

١)-عليو خليصي .
٢) بر هبارك (او مبارك) .
٣) حبيبو (عزا) ام اللمة سطى و ك ...

دراسة باليوغرافية :

١ ـ (عليو) و (حبيبو) اخذتا في آخرها (الواو) المعهودة في اللغة الآرامية .

٢ ـ الحروف متصلة في الكلمات بشكل متطور ما عدا كلمة (هبارك) أو (مبارك) فان الحرف الاول منفصل . يعني هذا أن الاتجاه نحو القاعدة الجديدة لم يستقر بعد .

٣ ـ (الكاف) في أول الكلمة رسمت جيدا في الحرف الاول في آخر النص لكلمة غير تامة . اما في كلمة (مبارك) فقد اختلطت الكاف بحرف طفيلي [٢٨] .

٤ ـ (الراء) في كلمة (بر) رسمت بشكل غريب غير مألوف ، لولا أن مكان الكلمة يشجع على قراءتها (بر) فإني أستبعد قراءتها بهذا الشكل ، لأن (الراء) وردت في النص نفسه في كلمة (مبارك) بشكل ء جيد وكذا (الزاي) في كلمة (عزا) . هـ أيضا يدل على ان القاعدة الجديدة لم تر في الاستعمال .

٥ ـ (الألف) مائلة الى الأيمن في(مبار و (عزا) وهي مائلة الى الايسر في كلمة (أ، وهي قائمة على السطر في كلمة (اللمة هذا طريف جدا في ملاحظة التطور .

٦ ـ (الميم) في (أم) و (اللمة) ر مختلفتين . في الكلمة الاولى أقرب الى ال العربي وفي الثانية تحتفظ بالشكل النبطي هو الامر في كتابة أم الجمال الاولى .

٧ ـ (السين) رسمت بالشكل العر تماما، وهذا يدحض نظرية (ميليك ـ ستاركي التي سنشير اليها .

٨ ـ (الخاء) في كلمة (خلَيْصي رسمت كالكاف ، سنشير الى ذلك في الدرا اللغوية .

. . .

يعتبر هذا النص في غاية من الأهمية مـ الناحية الباليوغرافية ، لانه يهيىء مرحلة انتق بين الكتابة بالخط النبطي والكتابة بالخ العربي .

تفسير النص :

١) علي [الـ]خلَيْصي
٢) بن مبارك
٣) حبيب (عزًا) أو (عزّة) أمّ اللمّ سطا وكـ[ـفا] .

٤

---

(٢٦) في رسالته للاستاذ غروهمان المؤرخة في ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٤ .

(٢٧) Nabia Abbott : The rise of the North Arabic script and its Kuranic develpment with a full description of the Kur'an manuscript in the Oriental Institute. Chicago, 1938, P. 5.

(٢٨) في الطرف الايسر وبين السطرين الثاني والثالث حروف صفوية من نص آخر .

دراسة لغوية :

١ — (علي) و (مبارك) اسما نعلمان عربيان ، (خُلَيْصي) شهرة علي ، ينتسب الى (خُلَيْص) وهو حصن بين عسفان وقديد من اليمن (القاموس المحيط ، ج٢ ، ص ٣٠١) أو بين مكة والمدينة (ياقوت ج١ ، ص ٧٤٠) •
(أم اللمة) كنية المرأة (عزا أو عزة) •

٢ — (سطا) كتبت (سطى) بالألف المقصورة، وتعني أن عليًا سرق شيئا ، أو اعتدى على عفاف أم اللمة •

٣ — (عزا ؟) هذه الكلمة لا تزال بحاجة الى مناقشة • لدي عدة احتمالات :

آ — يجوز ان يكون المرأة المكناة أم اللمة (عزة) ، اخطأ الكاتب عندمانقش اسمها (عزا)بالالف•

ب — حسب مفهوم النص وخاصة ورود كلمة (سطا) يمكن أن نقدر ان علي مبارك حبيب عزة أو اللمة سطا على عرضها أو على شيء ثمين تملكه و (ك••••)•

جـ — يجوز أن تكون الكلمة([أ]غرى) كتبت خطأ بالألف الممدودة • لا يزال المعنى يحوم حول فضح علي بعمل غير شريف •

د — يجوز أن يكون (عرا) من العار وهي صفة ألصقت بأم اللمة لأنها استسلمت لحبيبها •

— و (ك •••) فعل يبدأ بحرف (الكاف) يجب أن يعطي معنى الفرار والهرب وخاصة بعد أن سطا علي على شيء ثمين، وجدت كلمة مناسبة وهي (كَتَفَا) •

• • •

دراسة تاريخية :

ليس في هذا النص تاريخ ولا اسم شخص له دور في التاريخ ، ولكن إذا كانت القراءة صائبة فله أهمية من الناحية الاجتماعية •

* * *

كتابة أم الجمال الثانية :

وجدت هذه الكتابة منقوشة على حجر بازلتي ٦٢×٣١ سم في المبنى الذي يطلق عليه (الكنيسة المزدوجة) ، وكان هذا الحجر ناقصا ومغطى بالملاط مما يدل على أن الحجر مستعمل في المبنى كحجر غشيم ، وهو أقدم منه •

نشر هذه الكتابة غير المؤرخة الأستاذ ليتمان[٢٩]، ثم أخذها عنه سجل الكتابات العربية وغروهمان وغيره • وقد قدّر ليتمان تاريخها بالقرن السادس الميلادي • سنرى من الدراسة الباليوغرافية التي سنعرضها فيما يلي أن في هذه الكتابة أثرا واضحا من الخط النبطي ، وأخصّ بالذكر (الراء) و (الدال) و (الباء) الأخيرة في كلمة (عمرى) ، لذا فاني أرى أن هذه الكتابة تعود إلى آخر القرن الرابع أو أول القرن الخامس الميلادى على الأكثر • لهذا السبب وضعت هذه الكتابة في هذا الموضع بالترتيب • ومن العجيب أن من درس هذاالنص من العلماء لم يعترض أحد منهم على تأريخه بالقرن السادس الميلادى ؟

---

(٢٩) E Littmann : Syria, Div. IV, sec D (Arabic Inscriptions), Leiden, 1949, P. 1, No. 1

تفكيك النص :

١) إلهِ غفراً لأثيم
٢) بن عُبَيْدة" كاتب
٣) العبيد أعلى بني
٤) عمري يَنْتَمُ عنه من
٥) ؟ ؟

دراسة باليوغرافية :

١ — (الألف) عربيةسوريّة مائلة إلىالأيمن[٣٠]
٢ — (اللام) وقد وردت دائما في الوسط ، وهـي متطورة تماما منذ عهد كتابـة النمـارة .
٣ — (الهاء) الاخيرة مثل الحرف الفهلوي (∽) وقد أشرنا إلى ذلك سابقاً . وهي هنا واضحة في (إلهِ) و (عبيدة) و (عنه) . أما الكلمتان التي قرأهمـا ليتمان وقدّر الحرف الأخير فيهما هاء : (لأ ليْه) و (تَنبه) ، فأنا أخالفه تماما، لأن هذا الحرف (ميم) لا (هاءأخيرة).

(٣٠) هـذا الميـل بالالف بقـي في العهـد الاسلامي ، واشتهر الخط المكي والخط المدني بهذا الميل . (ابن النديم : الفهرست ، ط فلوغل، ص ٦) .

٤ — (الراء) و (الدال) كتبتا في جميـع الكلمات بالحرف النبطي ، ولهذا السبب قدّمنا تاريخ هذا النص .
٥ — (يَنْتَمُ) في السطر الرابع : الحرف الاول (ياء) فيه تأثر من الخط النبطي ، افحص نقش النمارة جميع الياءات سواء أكانت في أول الكلمة أو وسطها بهـا عوج ، أما قراءتها (تاء) كما فعل ليتمان فهو غير مناسب .
٦ — الكلمات (بن) و (كاتب) و (اعلى) و (بني) و (عنه) كتبت بالخط العربي المتطور . وهنا أفضّل أن أقرأ (بن) بالنون لا بالراء ، لأن (الراء) رسمت في النص بالخط النبطي .
٧ — الكلمة (مَنْ) كتبت نونها بشـكل مغاير لنون (بن) ؛ مع ذلك لا مجـال لقراءتها بغير هذا الشكل .
لا ندري لعـل في المستنسخ شيئا مـن الخطـأ .
٨ — اقد ذكر ليتمان عدّة قراءات اسهم بها علماء الخط ، وهو نفسه نشـرها سنة ١٩٢٩ ، لكنه عدّل قراءته الاولى ، ولم

يقرّ القراءات الأخرى عندما أعاد نشرها سنة ١٩٤٩ .

. . .

دراسة لغوية :

١ – (إله) قرأها ليتمان (الله) وهذا خطأ. لأن الكلمة بلام واحدة . لذا أقرؤها (إله) وهي مرخّمة عن الأصل (إلهي) .

٢ – (لاسمه) قرأها ليتمان (لأُلَيْه). الحرف الاخير ليس بهاء كما ذكرت سابقا ، لذا يجب ان تقرأ بما يتناسب مع الميم ، وقد قرأتها (لأثيم) مؤقتا ريثما أجد كلمة أنسب . ومن المعروف أن العرب كانوا يسمّون أبناءهم بأسماء غير مستحبة مثل اسم (ظالم) الوارد في نص حرّان اللجا الذي سيأتي فيما بعد وكثير من الأسماء العربية مثل (صخر) و (صفوان) وما إليها ،جرى العرب على ذلك ، لأن الولد مهيّأ للعدوّ لالهم ، أما العبد فهم يسمونه بأسماء جميلة لانه لهم .

هذا من جهة ومن جهة أخرى فانني أشكّ أن يكون (ألَيْه) اسم علم . لم أعثر حتى الآن على مثل هذا الاسم عند العرب ، وقد قاس ليتمان ذلك على (مُلَيْك) تصغير (ملك) .

٣ – (العُبَيْد) قرأها سجل الكتابات (الخُلَيْد) . أنا أفضل قراءة ليتمان (العُبَيْد) .

٤ – (سى) يقصد بها (ملك) أو (رئيس).

٥ – (يَنْمُ) أفضل قراءتها كذلك كما شرحت في الدراسة الباليوغرافية ، ويؤكد ذلك كلمة (عنه) التي أتت بعدها وتكمل معناها . وقد اضطر ليتمان من أجل قراءة (تنبه) أن يجعل كلمة (عنه) ناقصة ليقرأها عل[ــيــ]ــه .

٦ – لا أرى ضرورة لتقدير الكلمة أو الكلمات الأخيرة في السطر الخامس لأن بقايا الحروف لا يمكن أن تعطي أيّة فكرة .

. . .

دراسة تاريخية :

بالرغم من وجود اسمين علمين ووظيفة العلم الأول ومرتبة العلم الثاني واسم القبيلة ، فإنّه من الصعب أن نهتدي إلى دور هذين الشخصين في الأحداث التاريخية القديمة ، ولكن قد يكتشف يوما ما نص آخر يوضّح هذا الدور .

* * *

كتابة زبد :

تقع (زبد) بين قنسرين والفرات ؟ الكتابة محفورة على حنت كنيسة مع كتابة يونانية وأخرى سريانية. الأثر محفوظ في متحف بروكسل الخمسيني . الكتابة غير مؤرخة باللغة العربية ، لكنّها مؤرخة من سنة ٨٢٣ بالتقويم السلوقي المعادل لسنة ٥١٢ م . توجد في آخر النص العربي كلمة سريانية قرأها الاستاذ ليدسبرسكي(٣١) (تميمي) ، كان الكاتب يريد ان يقول (تم

(٣١) ذكر ذلك اسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص ١٩١ .
Lidzbarski ; Handbuch d Nordsem. Epigraphik, P. 484.

الكلام) على نحو ما يكتب أحيانا في آخـر النص كلمة (تمـّت) •

تعود أهمية هذا النص المؤرخ الى وجـود أسماء أعلام عديدة ليس من شك في قراءتها ؛ فهي في هـذا الحال تساعد على الدراسـة الباليوغرافية ؛ ولما كانت مؤرخة فهي تحـدّد تماما مراحل التطور نحو الخط العربي •

إن مكان وجودها في شمالي سورية يعتبر شاذاً بالنسبة إلى الكتابات الأخرى التيوجدت في جنوبي سورية • هذا بدون شكّ يؤيـد عروبة بلاد الشام قبل الإسلام •

الشكل ــ ٥

تفكيك النص :

١) [ب]ج[ـسبـ]ر الإله شرحو بر أمت منفووهليا بر امرىء القيس

٢) وشرحو بر سعدو وسترو وش[ر]يحو •

دراسة باليوغرافية :

١ ــ ([ب]ج[ـب]ر) فككها ليتمان ومن أتى بعده [بنصـ]ـر ، لكني فحصت الصورة الفوتوغرافية الواضحة التي نشرها أخيرا غروهمان سنة ١٩٧١فوجدت أن (الجيم) واضحة ولها امتداد إلى اليمين يهيّئها للاتصال بحرف الباء المقدّر • سأعود إلى معنى هذه الكلمة عند التفسير • تأمل صورة الحنث في اللوح ــ ١

٢ ــ (الراء) رسمت في النص عربية خالصة دون شذوذ •

٣ ــ (الهاء) في أول كلمة (هليا) أصبحت عربية متطورة •

٤ ــ (السين) و (الالف) و (الميم) و(التاء المبسوطة) و (التاء المتوسطة) و (العين المتوسطة) و (الحاء) و (القاف و(الفاء) و (العين) ••• كل ذلك لا يختلف عن أى نص عربي بعد الإسلام • أما (السين الأخيرة) في كلمة (القيس) فإن جميع من نشر هذا النص لم يفحص جيّـدا الأصل فهي مكتوبة بأسنانها الثـلاث ولكن مع امتداد السن الثالثة إلىالأسفل مائلة الىاليمين؛ إليكمنسخ (أي تنقص عن السين الأخيرة العربيـة بعد الاسلام الذيل فقط) •

٥ ــ (الدال) في كلمة (سعدو) لا تـزال تحتفظ بالشكل النبطي •

٦ — (الباء) في أول الكلمة كتبت بشكل عربي ، ولكن شذّت عن ذلك فقط عند كتابتها في كلمة (بن) المرقومة قبل كلمة (سعدو) فقد كتبت معقوفة .

• • •

دراسة لغويــة :

١ — [ب]ج[ب]ر كما فضلنا أن نقرأها بسبب وضوح أثر (الجيم) وهي تعني(بعون) الإله . أعتقد أن هذه الكلمة بمعناها أفضل لغة وإنشاءً لمناسبة نقش الكتابة. ومن الطريف أن واضعي سجل الكتابات العربيــة ترجمــوا كلمــة (بنصــر) au secours وهو المعنى القريب من كلمتي المقترحة التي تتفق أكثر مع كلمة (بجبر).

٢ — أمّت : كتبت بالتاء المفتوحة ، وهــذا طبيعي في هذا الوقت الذي لا يــزال تأثير الخط النبطي موجــودا ، وقــد أشرنا إلى ذلك عند التحدث عن كلمــة (سنت) .

• • •

دراسة تاريخيــة :

بالرغم من وجود أسماء أعلام متعددة فــي هذا النص ، فإنها لا تفيدنا من الناحية التاريخية الا أن نشير إلى قيام بعض المؤمنين بانشــاء كنيستهم . وهذا يدلّ على ان المجتمع رصين ، وأن الأغنياء أسخياء ينفقون من أموالهم في سبيل الله والمصلحة العامة .

* * *

كتابات أسيس :

جبل أُسَيْس حرّة بركانية ذات فوّهة كبيرة قطرها حوالي ٢ كم ، ينهض إلى جنوبيها جانبها المرتفع وهو جبل أُسَيس . إلى الجنوب من المرتفع توجد حرّة أخرى واسعة ، خمدت منذ زمن طويل ، تم انبثق في وسطها براكين عديدة صغيرة .

على قمة جبل أُسَيْس وسفحه الشمالي يوجد عدد كبير جدا من الكتابات الصفوية[٣٢] واليونانية والعربيــة والرسوم[٣٣] العفويــة الابتدائية التي نقشها الانسان، فضمنها مشاهد في غاية من الاهمية .

نشرت بعض الكتابات العربية الهامّة التي التي عثرت عليها في جبل أُسَيْس ، وكانت هذه الكتابة في اللوح ٨٥ . النص ١٠٧[٣٤] . عند قراءة النص لأول مرة لم أنتبه إلى أن التاريخ مكتوب بالنبطية . ومع ذلك فقد ذكرت أن هذا النص ينبغي أن يرقى إلى ما قبل الإســلام . قدّمت نسخة من المقال إلى الأستاذ الــدكتور

---

(٣٢) صورت هذه الكتابات واسلمتها الى الأب ميليك سنة ١٩٦٣ من اجل معارنها مــع ما هو منشور لينشر ما ليس منشورا : لكنني لا ادري حتى الآن مافعل بها .

(٣٣) نشرت مقالا صغيرا باللغة الفرنسية عن هذه الرسوم .

Les Dessins Rupestres du Gabal 'Usays (SYRIA vol XLI (1964) fasc. 3 - 4, PP 291 299)

(٣٤) كتابات عربية غير منشورة في جبل اسَيْس (مجلة الابحاث الصادرة عن الجامعة الامريكية في بيروت . السنة ١٧ ؛ (١٩٦٤) . ج٣ (أيلول) . ص ٣٠٢ ؛ السنة ١٨ (١٩٦٥) . ج٢ (حزيران) ص ٢١٦ — ٢١٧) .

غروهمان،فكتب لي رسالة يثني[٣٥] على البحث، ويلفت نظري إلى التاريخ بالنبطية ، وقد صحّح لي كلمة (مُسَلّحَه) بكلمة مَسْلَحَةَ)، وقد قبلتها يومئذ ، وأعدت نشر الكتابة على هذا الأساس . لكن الأستاذ غروهمان عندما نشر هذه الكتابة سنة ١٩٧١ [٣٦] قرأ الكلمة مستلحه)، سأناقش هذا الموضوع في مكانه .

تعتبر هذه الكتابة أهمّ الكتابات العربية قبل الإسلام لتماثلها نحو التطور العربي ، وهي أكمل تطورا من كتابة حران التي كتبت بعدها بأربعين سنة . هذا من الناحية الباليوغرافية ، وأما من الناحية التاريخية فهي أيضا مهمّة جدا لدلالتها على تأزّم الموقف بين مملكتي الحيرة وغسّان . وبالتالي بين الامبراطوريتين العظيمتين إيران وبيزنطة .

الشكل ــ ٦

قارن المستنسخ مع الصورة ــ اللوح ــ ١

١) ابرهيم بن مغيرة الأوسي

٢) ارسلني الحرث الملك على

٣) سليمن مُسَلَّحَه سنت

٤) ... ٤٢٣ نبطي = ٥٢٨ م

. . .

دراسة باليوغرافية :

١ ــ (الألف) رسمت عربية مستقيمة مع ميل خفيف في (ابرهيم) ، و (ارسلني)، ومائلة مع تعويجة بسيطة في أسفلها في كلمتي (الاوسي) و (الحرث)وقائمة مع تعويجة واضحة في كلمة (الملك) .

٢ ــ (الراء) رسمت عربية في كل الكلمات وقد تميّزت بوضوح عن (النون) في كلمتي (بن) و (سليمن) . وإني لأعجب كيف ظلّ الأستاذ غروهمان يقرأ كلمة (بن) بلفظ (بر) ، مع أن الفرق واضح . وهذه النقطة بالذات تجعلني أؤكد سلامة الخط العربي وتخلّصه من رواسب الماضي منذ ذلك التاريخ .

٣ ــ (الهاء) في (ابرهيم) وقد رسمت بعقدة واحدة . لم أر لهذه الهاء المتصلة مثيلا. أما (التاء المربوطة) المنفردة في آخر كلمة (مغيرة) فقد كتبت بالشكل المتطور، وكذا (الهاء) في آخر كلمة (مُسَلّحَه) .

٤ ــ (الياء) الأخيرة او (الألف المقصورة) في الكلمات (الاوسي) و (ارسلني) و (على) رسمت لأول مرة بشكل مرسل ولين إلى الامام ، ولم ترسم بهذه الصورة فيما بعد إلا نادرا .

٥ ــ (السين) في الكلمات (الاوسي) و (ارسلني) و (سليمن) و (سنت) رسمت بالخط العربي ؛ أما السين في (مُسَلّحَه) فقد أتت الأسنان غير منتظمة : السن الأولى قائمة تخترق الخط الافقي ؛ السن الثانية مائلة الى اليسار،

(٣٥) وخاصة لأني قدرت أن النص يعود الى ما قبل الاسلام دون انتباهي الى التاريخ الصريح.

(٣٦) المرجع نفسه ، ص ١٧ .

الثالثة مائلة الى اليمين. الأستاذ غروهمان يعتقد أن الاسنان في هذه الكلمة أربع، لذلك قرأ الكلمة (مستلحه) . أظن ان السن الثانية عنده موهومة ، وهي فـي الصـورة الفوتوغرافيـة مختلطة مـع تموجات وخربشة الحجر . إن الكلمـة لا يمكن ان تقرأ أبدا كما ذكر(مستلحه) سأعود الى ذلك في التفسير .

٦ — جميع الحروف الأخرى كتبت سويـة بالخط العربي ، وظلت كلمة (سنت) تكتب بالتاء المفتوحة — كما اشرنا الى ذلك سابقا — .

. . .

دراسة لغوية :

١ — لا شيء غامض في هذا النص الا كلمة (على) ؛ كان الأنسب أن تكون (إلى)، ولكن مع ذلك يمكن أن تعتبر لغـة في (إلى) بإحدى اللهجات العربية ، لأن هذا التركيب وضع (على) في موضع (إلى) لا يزال موجودا في كلام العرب حتى الآن ، وأخص بالذكر أهالي المنطقة الشمالية من سورية .

فهم الأستاذ غروهمان من استعمال كلمة (على) أن الملك الحرث أرسل ابراهيم بن مغيرة الأوسي ضد سـليمن محاربا إياه [٣٧] .

لا أظن أن الأستاذ غروهمان أصاب بهذه القراءة : أعتقد أن الملك الحارث ارسل إبراهيم إلى سليمن (مُسَلِّحَهُ) أي ناقلا اليه السلاح ، ليقاوم الخطر الجاثم على الحدود ، وإن كلمة (على) لا تغيّر مفهوم النص الى هذا الحدّ . فلو كان الأمر كذلك لذكر اسم العدو كاملا اذا كان يعرفه ، واذا كان لا يعرفه ، فإنه ليس من داع الى ذكر اسمه الأول فقط. إن ذكر اسمه على هذا الشكل يـدلّ على أن اسم الرجل مألوف ، وقد نقل اليه السلاح عدة مرات بواسطة إبراهيم أو غيره ، وسجّلت هذه المرة السنة . واذا عرفنا أن الحرب وقعت بين مملكتي الحيرة وغسّان سنة ٥٢٩ م أي بعـد مرور سنة واحـدة أو بعض السنة من نقش هـذه الكتابـة يمـكن أن ندرك سلامة قراءتنا لهذا النص . أما كلمة (مستلحه)[٣٨] التي ذكرهـا غروهمان بمعنى محارب، فليس لها أي أصل في معاجـم اللغة ، حتى لو أردنا مسايرته بقبول وجود أربع اسنان ، فان الكلمة يجب أن تقـرأ (متسلح) وهي فعل لازم لا يتعدى مع ضمير ، وكذلك لا يضاف اسم الفاعل منه الى ضمير .

٣ — التاريخ [رمز نبطي] = ٤٠٠ ، [رمز نبطي] = ٢٠ ، [رمز نبطي] = ٣ ، المجموع ٤٠٠ + ٢٠ + ٣ = ٤٢٣ بالتقويم النبطي = ٤٢٨ م .

---

(٣٧) أدين للاستاذ علي أبو عساف الذى ترجم لي النص الالماني .

(٣٨) لقـد ورطني الاستاذ غروهمـان بأن صحح لي كلمة (مُسَلِّحَهُ) بكلمة (مُسْتَلِحَه) وكنت قبلتها سنة ١٩٦٥ لاني كنت عندئذ في نيويورك مشغولا ببحث المسكوكات . وهنا يجب أن اشير الى ان كلمة (سَلَنح) صحيحة وتعني آخر السنة او الشهر كما وردت في النصوص . اما (مُسْتَلِحَة) بهذا المعنى فليس لها أصل .

دراسة تاريخية :

١ — في سنة ٥٢٩ م وقعت الحرب ، وانتصر الملك الحرث بن جَبَلة[٣٨ مكرر] ، على ملك الحيرة المنذر الثالث بن ماء السماء ، فسمت منزلته لدى القيصر البيزنطي ، وقد كافأه بأن رفع مرتبة ملكه ، فأصبح (فيلارك) حاكم جميع العرب في سورية .

٢ — من هو (إبراهيم بن مُغيرة الأوسي) بحثت عنه فلم أجد شيئا ولكن نسبته (الأوسي) تلفت النظر ، ونحن نعرف أن الأوسيين يشكلون جانبا هاما من سكان يثرب (المدينة المنورة) . يبدو أن صلاتهم كانت حسنة مع الغساسنة . فكانوا يؤدّون لهم خدمات عسكرية : سنرى في نص حرّان أن الملك الغساني الحرث بن جَبَلة يغزو خيبر اليهودية سنة ٥٦٧م ، ألا يجوز ان يكون اليهود اعتدوا على أهل يثرب فانتقم لهم الغساسنة ؟ .

* * *

كتابة حران :

حرّان اللجا تقع شمالي جبل العرب ، نقش النص على حنت باب كنيسة بالعربية إضافة الى النص اليوناني الذي يقول « أسس أشرحيل بن ظالم سيّد القبيلة مرطول مار يوحنا في سنة أربعمئة وثلاث وستين من الاندقطية الاولى . ليذكر الكاتب » .

هذا النص هام لأنه مؤرخ ويشير إلى معركة جرت بين أحد الأمراء الغساسنة وأهالي خيبر اليهود ، وهو يحمل اسم باني الكنيسة شرحيل بن ظالم .

A. Copie de P. SCHROEDER, ZDMG XXXVIII (1884)

B. Copie de Dussaud et Macler, Mission..., 1903

الشكل — ٧ (ا و ب)

(٣٨ مكرر) : ذكر الدكتور جواد علي : المفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام — بيروت ١٩٦٩ ، ج٣ ص ٤٤٢ لائحة نولدكه بالملوك الغسانيين . مجعل حكم الحرث بن جَبَلة يبدأ بسنة ٥٢٩ م . ولما كان اسم الحارث مذكورا في هذا النص ، فانه من الضروري جدا ان نصحح هذه اللائحة . هذا في بدء حكمه ، اما نهاية حكمه ، فقد جعلها الدكتور جواد علي سنة ٥٦٩ م ، مع ان المراجع الاخرى جعلت النهاية ٥٧٠ م .

تفكيك النص :

١) أنا شرحيل بن ظلمو بنيب ذا المرطول

٢) سنت (٤٦٣ نبطي = ٥٦٨ م) بعد مفسد

٣) خيبر

٤) بعم (أي بعام) .

دراسة باليوغرافيــة :

١ — كنت أشرت إلى أن نص أسَيْس أنضج تطوّرا بالرغم من أنّه متقدم على هذا النصّ ، لأن النصّ لازال عالقاً بـه رواسب الماضي كوجود حرف (الواو) في آخر الاسم العلم .

٢ — (الــراءُ) في الكلمات (شرحيــل) و (خيبر) مختلفة بعض الشيء عن النون الأخيرة في كلمة (بن) ؛ لذا نرجــح قراءة الكلمة (بن) لا (بــر) .

٣ — حذفت الألف من كلمة (ظالم) وهي اسم عَلَم ، لكنها حــذفت أيضا من كلمــة (عام) . كنا أشرنا إلى هــذه النقطة سابقا .

٤ — جميــع الكلمات رسمت بالخط العربي، وبخاصة أشير الى (دال) كلمة (بعد) و (مفسد) لكن (الذال) في كلمــة (ذا) لينة وهي مقبولة في الخط العربي، لكنها لا تشبه (دال) مفسد .

. . .

دراسة لغوية :

١ — (المرطول) كلمة قديمة لم أجدها في المعاجم العربية فهي معرّبة من اليونانية.

٢ — التاريخ [Nabataean numeral sign] = ٤٠٠ ؛ [Nabataean numeral sign] = ٢٠ مكررة ثلاث مرات أي ٦٠ ، [Nabataean numeral sign] = ٣ المجموع ٤٠٠ + ٦٠+٣=٤٦٣ بالتقويم النبطي = ٥٦٨ م .

٣ — (مَفْسَد) قَصد بهــا (حرب) أو (معركة) لأن الحرب تفسد كل شيء . وهذا تعبير جميل يــدلّ على كراهية الحرب .

٤ — هذا النصّ نقش بعد عام واحد من غزو الملك الغساني الحرث بن أبي شمّر[٣٩] لمستعمرة خيبر[٤٠] اليهودية في الحجاز .

هذه أيضا معلومات هامة تدلّ على أن اليهود في تلك الديار قوم غير مرغوب فيهم ؛ وتدلّ أيضا عــلى اتساع نفــوذ الدولة الغسانية الى جزيرة العرب . لقد مرّ معنا في نصّ جبــل أُسَيْــس أن إبراهيم بن مغيرة الأوسي كان يقدّم خدمة عسكرية للملك الغســاني ؛ يمكن أن نفهم الأوسيين وغيرهــم من العــرب في الحجاز كانوا أيضا يقدّمون مثل تلك الخدمات. وربما كان اليهود قد أساؤوا أو اعتدوا على أهالي يثرب ، فنهض الحرث للانتقام لهم ، فغزا ديارهم وسبى من أهلهم .

ذكر الدكتور جواد علي (المفصّل ج ٣ ص ٤٤٢) رواية ابن الأثير عن حادث مشابــه بين الأمراء الغسانيين ويهود يثرب ؛ لكنّ الأمير

(٣٩) هو الحرث بن جبله الغساني الذي توفي سنة ٥٧٠ م .

(٤٠) أشار إلى ذلك ابن قتيبـه : المعارف ط الحسينية — مصر سنة ١٩٣٤ ص ٣٨١ . قال : « .. وكان غزا خيبر فسبى من اهلها ثم اعتقهم بعد ما قدم الشام » .

في هذه الرواية هــو أبو جُبَيْلة عُبَيْد بن مالك بن سالم الموالي للغساسنة الذي أنجـد مالك بن العجلان الخزرجي ضد اليهود .

* * *

هذا آخر نص عربي اكتشف حتى الآن من عهد ما قبل الاسلام . على الرغم من ندرة هذه النصوص . وعددها حتى الآن ستة أو سبعة إذا ضمنا كتابة أم الجمال الأولى ، وبالرغم مــن قصر هذه النصوص وقلّة المعلومات الواردة فيها ، فهي اجمالا تعطينا فكرة واضحة عــن نشأة الخط العربي قبل الإسلام وتطور حروفه واتصالها وانفصالها وأسلوب سبك الجمل فيها ... كل ذلك بالإضافة الى المعلومات التاريخية الهامة التي أيّدت صحة الأحداث القديمة . كم تتمنى أن تجودعلينا الايام بالكشف عن نصوص أخرى تغني معلومــاتنا التاريخيــة وتحققهــا وتثبتها .

* * *

نظريات في نشوء الخطّ العربي

يحدثنا البلاذري أن الذين كــانوا يعرفون القراءةوالكتابة فيالجاهلية عشرة[41] اشخاص. ثم أصبحت عدّتهم بعد الاسلام في عهدالرسول (ص) أربعين شخصا[42] بما فيهــم كُتّاب الوحي . هذا يدّلنا على مدى انتشار الكتابة عند العرب في فجر الإسلام . تساءل الناس في القديم عن منشأ الكتابة والخط العربي ، وذكر كتّابنا القدماء تتفا سنعرضها فيما بعد ، ولكن يهمّنا أن نتعرّف على الاصل أو الاصول التي أخذ منها الخط العربي .

نرى أمامنا ثلاثة اتجاهات في البحث عــن الأصل ، ويصحّ أن نسمّيها نظريات :

١ ـ نظرية كتّابنا القدماء :

وهي تعتمد على الأخبار المتواترة ســواء منها الأخبار التاريخية أو الأدبية . لن نأخــذ بجميع هذه الأخبار ، لأن بعضها يتحدث عــن القديم ، حتى يبدأ بآدم ويصل إلى اسماعيل. أما بعضها الآخر فهو جدير بالنظر .

ذكر ابن النديم[43] عن ابن عبّاس : « أول من كتب بالعربية ثلثة رجال[44] من بَوْلان[45] وهي قبيلة سكنوا (كـذا) الأنبار ، وإنهــم اجتمعوا فوضعوا حروفا مقطّعة وموصــولة وهم : مُرامر بن مُرّة ، وأَسْلَم بن سِدْرة، وعامر بن جَدْرة . ويقال عُرْوَة وجَدْلة . فأما مُرامر ، فوضع الصُّوَر ، وأمــا أسلم ففصّل ووصل ، وأما عامر فوضع الإعجام .

---

(٤١) البلاذري : فتوح البلدان ، طبعة الازهر ١٩٣٢ ص ٤٥٦ (بعض المصادر تجعل عددهم سبعة عشر رجلا) .

(٤٢) المرجع نفسه ص ٤٥٧ ـ ٤٦٠ وقــد عدد اسماءهم .

(٤٣) ابن النديم ـ الفهرست ، طبعة فلوغل ص ٤ .

(٤٤) ذكر الجهشياري : كتابالوزراءوالكتاب ـ القاهرة ١٩٣٨ ص ١ (ثلاثة رهط) .
وذكر ابن عبد ربه : العقد الفريد (ثلاثــة نفــر) .

(٤٥) ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٧٦٢ : « ... وهذا الموضع قريب من النباج في طريق الحاج من البصرة . وقال العراقي ... بَولان واد ينحدر على منفوحة باليمامة وقال في موضع آخر ... » .

وقال أيضا[٤٦] : « سُئِل أهل الحيرة ممن أخذتم العربي ، فقالوا من أهل الأنبار ..... وقال[٤٦] : « وإن نفرا من أهل الأنبار من إياد القديمة وضعوا حرف ألف باء تاء ثاء ... وعنه أخذت العرب » .

وروى[٤٦] أيضا عن محمـد بن إسحق : « فأما الذي يقـارب الحق ، وتـكاد النفس تقبله ، فـذكر الثقة أن الكلام العربي بلغـة **حِمْيَر وطَسْم وجَديس وإرم وحويل ، وهؤلاء** هم العرب العاربة ، وإن اسمعيل لما حصل في الحرم ، ونشـأ وكبر تزوّج في جُرهُم آل معاوية بن مضاض الجرهمي، فهم أخوال ولده ، فتعلّم كلامهم،ولم يزل ولد إسمعيل على مرّ الزمن **يشتقون الكـلام بعضه مـن بعض ، ويضعـون للاشياء اسماء كثـيرة بحسب حـدوث الاشياء الموجودات وظهورها . »**

وقال[٤٦] : « قرأت في كتاب مكة لعمر بن شبة ، وبخطه : أخبرني قوم من علماء مُضَر قالوا الذي كتب هذا العربي **الجَزْم** رجل من بني مَخْلَد بن النضر بن كنانة فكتب حينئذ العرب » .

. . .

اخترت هـذه النصوص مـن ابن النـديم لاستنتج منها المعلومات الآتية :

١) هناك تركيز واضح أن الخط العربي عُرِف في الحيرة ، وأن اهل الحيرة تعلموا الخط من الأنبـار .

هذا الخبر متواتر ويُركن إليه ، ولكن كيف وصل إلى الأنبار ؟ ــ يجيبنا ابن خلدون[٤٧] إجابة منطقية ، لكنها لا تعتمد على وثيقة تاريخية ولا تحـديد زمني . يقول : «... وقد كان الخط العربي بالغا مبالغه في الإحكام والاتقان والجَوْدة في دولة التبابعة ، لما بلغت من الحضارة والترف ، وهو المسمى بالخط الحِمْيَري، **وانتقل الى الحيرة ،** لما كان بها مـن دولة آل المنذر نسباء التبابعـة في العصبيّة ، والمجدّدين لملك العرب بأرض العراق ».

٢) متى نشأ الخط العربي في الحـيرة ؟ ــ ورد في الأغاني أن زيد بن حمّاد بن زيد ابن أيوب تولى الكتابة للنعمان الأكبر[٤٨]. وورد أيضا أن جماعة من الشعراء كانت تكتب مثل المرقش الأكبر وعبـد الله بن الزِبَعْرَى[٤٩] .

وقد ذكر الطبري[٥٠] عـن هشام بن محمـد بن السـائب الـكلبي : « كنت أستخرج أخبار العرب وأنسابهم وأنساب آل نصر بن ربيعة ، ومبالغ أعمار من ولي منهم لآل كسرى وتأريخ نسبهم من كُتُبهم بالحيرة » .

وقد ذكر ابن جنّي[٥١] أن النعمان

(٤٦) ابن النديم : ص ٥

(٤٧) ابن خلـدون : المقـدمـة (المطبعـة الشرقية بمصر) ١٣٢٧ هـ ، ص ٤٦٧ .

(٤٨) ابو الفرج الاصبهاني : الاغاني ، ج٢ ، ص ١٠١ .

(٤٩) المرجع نفسه ج ٢٠ ص ٢٤ .

(٥٠) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٢ ص ٣٧ .

(٥١) ابـن جنّي : الخصـائص ، ج ١ ، ص ٣٩٣

ملك الحيرة نسخ أشعار العرب ودفنهـا في قصره الأبيض.. »

هذه الاخبار تحوم حول عهد النعمان -الاكبر وهو النعمان الثاني الـذي ولاه كسرى الاول عرش الحيرة .

يعني أننا نستطيع أن نسلّم بأن الخط العربي كان معروفـا في القرن السادس الميلادي وهو عهـد قريب من الإسلام ، وأن النصوص المذكورة في كتب الأدب والتاريخ التي تسمي أسماء[٥٢] من كتب الخط العربي وعلّمه ونشره تجعلنا نتأكد بأن تكامل الخطّ لم يكن بعيد العهد عن الاسلام. وهذا يؤيده اكتشافات الكتابات العربية ، وخاصة منها المتكاملة في القرن السادس (زَبَد ، أسَيْس ، حرّان) .

٣) نشأ الخط العربي من أصل يمني وانتقل من اليمن إلى الأنبار والحيرة ، وإنّ نفرا من أهل الأنبار من إياد القديمة وضعوا حرف الف ، باء ، تاء ، ثاء ... وعنـه أخذت العرب . وإن الذي كتبَ هـذا **العربي الجزم** رجل من بني مَخْلَد بن النضر بن كنانة .

(٥٢) يذكر البلاذري ص ٤٥٦ و ٤٥٧ ان بشر ابن عبد الله بن عبد الجن الكندي علّم في الشام ناسا ... وان رجلا من طابخة كلب علّم رجـلا من اهـل وادي القرى ، فاتى الوادي يتردد ، فاقام بها وعلّم الخط قوما من اهلها . وكذلك عندما يذكر ابن النديم نرامير ورفاقه ويوزع بينهم الاختصاصات يذكر عمل النضر بن كنانة بالجَزْم والاختزال . ثم يأتي ابن خلدون(المقدمة: ص ٤٦٧) فيخبرنا عن ابن سدرة ويذكر بعض الاشعار الدالة على انتشار الخط .

هـذه الاخبار تدل عـلى أن الخط العربي انتقـل أولا بشكله المسند إلى الأنبار ، وأن رجلا **جـزم الخط المعقّد** فاختزله وشذّبه وأبدع منه الخط العربي.

وقد أيّد ابن النديم هذه النظرية بما سمعه[٥٣] من مشايخ أهل اليمن يقولون إن حِمْيَر كانت تكتب بالمسند عـلى خلاف أشكال ألف وباء وتاء . ثم يقول ورأيت أنا جـزءا من خزانـة المأمـون تَرْجَمَتُه: « ما أمر بنسخه أمير المؤمنين عبد الله المأمون أكرمه الله » من التراجم، وكان في جملته القلم الحِمْيَري، فأثبتُّ مثاله على ما كان في النسخة . وقد رسم ابن النديم[٥٤] الحروف اليمنية وجعـل في قلبهـا الحرف العربي المجزوم (أي المقطوع والمختزل) .

٤) ذكرت نصّا لابن النـديم (وهو قبـل الأخير) يتحدّث عن أصل الكلام العربي عند العرب المستعربة ، وكيف تكامل عند الأخيرين **بالاشتقاق وصنع الاسماء** للاشياء بحسب حدوثها ووجودها .

يعطينا هذا النص فكرة عن الرابطة العفوية بين نشوء الخط وتكامل اللغة وعن مراحل التطور والنموّ بشكل منطقي، ويبيّن كيف تدعو الحاجة الى التسمية وتوليد الكلام بالاشتقاق وصنع الاسماء . هـذا ايضا يؤيّد الأصل اليمني وقصوره عن استيعاب كل ما تحتاج إليه اللغة للتعبير الصحيح وتلافي القصور بالتوليد مع الزمن .

(٥٣) ابن النديم : ص ٥ .
(٥٤) ابن النديم : ص ٦ .

٥) يفهم من كل ذلك أن الخط العربي نشأ من احتكاك عرب الجنوب بعرب الشمال والأطراف في الجزيرة العربية . هذا الاحتكاك مؤيّد تاريخيا ، فقد حصلت هجرات(٥٥) واسعة متتالية من اليمن الى عُمان، الى العراق، الى الشام، الى تدمر ، الى الحجاز ... ربما كان أقدمها بعد الميلاد في القرن الثاني الميلادي وأوسعها في القرن الثالث . وقد استطاع العرب الجنوبيون أن يؤسسوا دولا وممالك ، وامتزجوا بالشعوب السامية في الشمال . واقتبس بعضهم كتابتها ، كما حصل في تدمر ، وأخذوا منها وأعطوها . ومما يساعد على التمازج اعتناق بعضهم الدين المسيحي .

كان لهذا التمازج أثر كبير في ابداع الخط العربي وتكامله ورقي اللغة العربية والشعر والأدب قبل الاسلام ؛ ولكن هذا التطور ظلّ محدوداً حتى أكرم الله العرب بالإسلام ، فحصل بذلك التمازج الحقيقي ، وانتشرت الكتابة على مقياس واسع ، وبسرعة مذهلة ، ذلك لأن المسلم أصبح يعتقد أن التعلّم جزءا من العبادة لا يتمّ دينه إلا به .

. . .

(٥٥) تحدث العلماء طويلا عن اسباب الهجرات العربية من الجنوب الى الشمال . وقد اعطانا الدكتور جواد علي في كتابه « المفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام » بيروت ١٩٦٩ ج ١ — ص ٢٢٩ — ٢٥٤ معلومات هامة في هذا الموضوع .

٢ — نظرية نشوء الخط العربي من تطور الخط النبطي :

نشأت هذه النظرية من خلال دراسة العلماء للخطوط السامية إجمالا وخطّ الكتابات العربية قبل الإسلام ومقارنتها ، وهي في الواقع دراسة وثائقية موضوعية ؛ لا علاقة لها بالنصوص الواردة في المصادر القديمة ، ولكن مع ذلك فإن هذا لا يعني أن علماء الخطوط لم يطالعوا على المصادر ، انهم فعلوا لمجرد الاستئناس فقط .

لقد عرضنا الكتابات العربية السبع قبل الاسلام عرضا مفصّلا . وألمحنا الى التدرج بتطوّر الحروف نحو التعريب ؛ وكنّا منذ تحدثنا عن نقش أم الجمال الاول ندلّ على مدى قرب بعض الحروف والكلمات من الخط العربي ، وكذا سبك الجمل منذ حلّلنا نقش النمارة .

لقد لمسنا أيضا أن من كتب النقوش العربية قبل الاسلام كان عالما بالآرامية حتى أنه اتكأ على بعض قواعدها بإضافة (الواو) في آخر الاسماء الأعلام .

نستطيع أن نقول إن أكثر المستشرقين وآخرهم الاستاذ الدكتور غروهمان يتبنّون هذه النظرية ؛ ولو أن بعضهم يلمّح الى أثر الآرامية والسريانية الاسطرنجيلية في تطوّر بعض الحروف .

. . .

٢ ـ نظرية ميليك ـ ستاركي (٥٦) :

عرض الأب ستاركي نماذج من الخطوط النبطية الملفطة من كتابات ترقى الى القرن الثاني قبل الميلاد حتى آخر القرن الاول الميلادي ، كما عرض الكتابات العربية قبل الإسلام ثم كتابة دير سمعان السريانية التي نشرها ليتمان(٥٧) وركّز على الكتابة السريانية لأخيره بحيث بيّن وجه الشبه بينها وبين الخط العربي ليخلص من ذلك الى أن الخط العربي نشأ من السرياني الاسطرنجيلي لشدة شبهه به. وكان يريد بذلك أن ينقض (لا أن يعدّل) نظرية العلماء القائلة بأن الخط العربي متطوّر من الخط النبطي المتأخر . وقد أدلى الأب ستاركي بالحجج التالية :

١) ان الكتابات العربية قبل الاسلام وجدت في حوران. هذه المنطقة لم تخضع للانباط الا مدّة يسيرة في عهد الملك أرياس الثالث Arétas III ملك دمشق (٨٤ ـ ٧٢ ق.م) ومن الممكن أن تكون قد خضعت للملك عبود الثاني Abodas II من سنة ٣٠ ق.م وقبل ٢٣ ق.م .

٢) يعتبر أن كتابة أم الجمال الأولى نبطية وكتابة النمارة كتبت بخط نبطي وبلغة عربية ، وهما مختلفان عن كتابات القرن السادس وخاصة (زَبَد وحرّان) التي كتبت بخط عربي أشبه بالخط السرياني . ويركّز على كتابة زبد لأنها وجدت في شمالي سورية وهي نصّ مسيحي . ويقارن بين الخط العربي في القرن السادس الميلادي والكتابة السريانية الليّنة التي خطّها حاج مسيحي في دير سمعان وكتابة سريانية أخرى نشرها ليتمان(٥٨) .

٣) يعتمد على النصوص العربية الواردة في البلاذري وابن النديم وغيرهما ، وهي تشير بوضوح إلى أن العرب تعلّموا الكتابة من الحيرة والأنبار ، ثم انتقلت إلى مكّة على يد المسيحي بشر وهو أخو أُخَيْضِر الأمير الكِنْدي في دومة ... ثم يتساءل: لماذا لا نعتبر أن الكتابة العربية القديمة أخذت من الكتابة السريانية ؟ يعترف بأنه لم يوجد في الحيرة حتى الآن أية كتابة عربية تثبت بوضوح أن العرب أخذوا كتابتهم من الحيرة ، لكنه يستشهد بكتابة ديرهند الكبرى التي ذكرها ياقوت(٥٩) والتي يمكن تأريخها بالقرن السادس الميلادي .

٤) يستشهد بقول غروهمان(٦٠) الذي يتساءل عن كتابة عربية قبل الإسلام تكون حلقة الاتصال بين خط نقشي زَبَد وحرّان الأقرب الى اللين وبين الخط العربي الكوفي المزوّى . ويبنى على ذلك بأنه لا بدّ من أن تكون حلقة الاتصال المفقودة هذه

(٥٦) عرض هذه النظرية الاب ستاركي لاول مرة في المرجع التالي :
J. Starcky Supplément au Dictionnaire de la Bible · Pétra et la Nabatène civilisation, PP 927 - 934

(٥٧) E. Littmann SYRIA, Div IV, sec B, No 29

(٥٨) Ibid . Nos 29 et 39

(٥٩) ياقوت : معجم البلدان ٢ ، ص٧٥٩ .

(٦٠) Grohmann Einfurhrung und chrestonmalhie zur Arabischen Papyruskunde, 1954.

متأثرة إلى حدّ بعيد بالخط السرياني ، ويخمّن بأنه لا بدّ من أن تكون هذه الكتابات (حلقة الاتصال المفقودة) موجودة في الحيرة،لأن في الحيرةمدرسة شعرية مسيحية مكتوبة .

٥) يستدلّ ستاركي من أن (الدالّ) (والراء) في العربية القديمة الشبيهتين بالباء العبرية على الصلة بالثقافة المسيحية، ويقول : «هذا معروف بالكتابةالنسطورية اللينة » . ثم يشير الى أن (الباء)توصل بخط أفقي مع الحروف الأخرى . كما هي الحالفي الكتابةالسريانيةالاصطرنجيلية ويقول : « إن هذا التشابه لم يحصل بمحض الصدفة » ثم يؤكد أن (الجيم) و (الهاء) ذات العقدتين و (العين) الأفقية و (الصاد) المفتوحة إلى الأعلى وأسنان (السين) المستوية ... كل ذلك شبيه بالخط السرياني الاصطرنجيلي ؛ لكنه يعترف بأن (الطاء) و (الميم) هما أشبه بالنبطي .

. . .

هذه خلاصة نظرية ميليك — ستاركي وقد رحّبت بهاالمستشرقةجانينسورديل — تومين(٦١) وفنّدت تشابه الخط العربي بالخط السرياني بأن كليهما يخضع الى تتابع الحروف بتسلسل واتزان فوق السطر ، بينما الخط النبطي حروفه تعلو وتنخفض عن السطر ، وكذلك فانالحروف العربية متصلة كالحروف السريانية،بينماالحروف النبطية متصلة دائما .

استشهدت أيضا سورديل بأن مكان وجود الكتابات العربية الثلاث قبل الإسلام ، وهو الخاضع للدولة الغسانية المسيحية وحكم النساطرة ؛ يجعلنا نتأكد من تأثرها بالخط السرياني .

* * *

هذه النظرية تعتمد على وجهات نظر جيدة، ولكن عليها مآخذ سنسردها فيما يلي متتبعين النقاط التي لخّصنا بها النظرية :

١) إذا كانت دولة الأنباط قد زالت من زمن بعيد قبل عصر الكتابات العربية قبل الإسلام ؛ فهل هذا يعني أنالشعب النبطي زال من الوجود ؛ وزالت كتابته وثقافته ؟

٢) إن الكتابة السريانية التي خطّها حاج مسيحي في دير سمعان : وإن تشابهت حروفها بشكل الكتابة العربية، لكنّ لفظ أكثر الحروف مختلف تماماوإليكم الكتابة:

ا ب . د ل و ب
سمك ... أنا بالادبوس
السمك

الحروف المتشابهة (الألف والنون واللام في الوسط والياء) أما باقي الحروففهي لا تشبه إلا من حيث الشكل ، لكنّ اللفظ ومعنى الكلمات مختلف تماما . ولكن من يفحص تطوّر الحرف منالنبطي المتأخر الى الخط العربي ، يرى التطور

(٦١) Janine Sourdel Thomine : Les Origines de l'Ecriture Arabe à propos d'une hypothèse récente [Revue des Etudes Islamiques, 1966, PP. 151 - 157].

اشكر الدكتورة سولانج اورى التي اعارتني هذا المقال لاطلع عليه .

الطبيعي جلياً • صحيح أن (السين) النبطية في نقشي (أم الجمال الأول والنمارة) تختلف تماما عن (السين) العربية قبل الاسلام في نقوش (زبد وزبد وأسيس وحران) • إلا أن لها ثلاث أسنان [illegible] ، ثم أصبحت أسنانها مستوية [illegible] •

نقطة الضعف في هذه النظرية أن الأب ستاركي أغفل كتابة معبدرم (وهي الثالثة في بحثنا) فإن (سينها) و(راءها) و(ألفها) و (كافها) و (تاءها المربوطة •••) كل ذلك متطور ، مع أن عهدها لا يتجاوز سنة ٣٥٠ م : كذلك فإن الأب ستاركي لم يطلع على كتابة أسيس حين كتب بحثه ، وهي كتابة متطورة تماما مع أن تاريخها يسبق كتابة حران ، وليس لها أية علاقة بموضوع ديني •

٣) كنا ذكرنا أن العلماء استأنسوا بما ورد في المصادر العربية القديمة عن الكتابة والخط العربي ، لكنهم كانوا دائما حريصين أن يعتمدوا على المكتشفات الأثرية ليكون بحثهم موضوعياً • أعتقد أن الأب ستاركي والأب ميليك يفضلان أيضا هذا الأسلوب في البحث العلمي ، لكنهما وجدا في هذه النصوص ما يدعم نظريتهم ، فأولوها عناية خاصة •

٤) ليس من الضروري البحث عن حلقة الاتصال المفقودة لأن الخط العربي ظل أقرب إلى الليونة في عهد الرسول وفي فجر الإسلام وأن أول كتابة عثر عليها حتى الآن رقمت بخط مزوّى وقاسٍ مؤرخة من سنة ٣١ هـ (سنذكرها في القسم الثاني من هذا البحث) ، وان أول كتابة كتبت بالخط الكوفي المزوّى الجيد مؤرخة من سنة ٦٤ هـ ، ثم ظهر الخط المزوّى المتقن على النقود لأول مرة على دراهم واسط سنة ٨٥ هـ • إذاً الحلقة المفقودة موجودة ولكن بعد الإسلام لا قبل الاسلام •

• • •

هذه هي النظريات الثلاث — وفي رأيي — إنها جميعا تعتمد على أمور جوهرية لا يجوز إغفالها :

١) لا ينكر أحد من العلماء الصلة بين الجنوب والشمال والتمازج بين الشعوب السامية العربية • ومن دواعي التمازج هو الاخذ والعطاء والتأثر والتأثير ، وخاصة في أمر مهم كالكتابة والخط ، لذا لا يمكن إنكار الجزم أي اختزال الحروف اليمنية في الحيرة •

٢) لا يمكن إنكار تطور الحروف النبطية المتأخرة إلى العربية ، وإن نص النمارة لأكبر شاهد ، فهو يتضمن كلمات بل جملا لا تختلف عن العربية إلا قليلا ، مع أن أكثر حروفه نبطية •

٣) أفضل نقش عربي قبل الإسلام يمثل نضوج الخط العربي هو (نقش أُسَيس)، ومع ذلك فإن التاريخ فيه كتب بالنبطية ، فكيف يمكن أن تنكر الأصل النبطي في الخط العربي ؟

من تراثنا

مخطوط: «عنوان المجد والس
الحجاز ونجد المؤلف عب
١٨٩٦-١٩٧٠م.

لم يحظ تاريخ الحجاز ونجد في اية حقبة من حقب التاريخ ، بمثل ما حظيت به الفترة التي واكبت قيام الملك عبد العزيز رحمه الله بتوحيد ما تفرق من اجزاء البلاد ، وتاليف ما تشتت من عناصرها ، بعد أن عصفت بها رياح الفترة ، وأثرت فيها النوازع المختلفة •

وأعني بهذا الاهتمام ، الكثرة الكاثرة من الكاتبين والمؤرخين الذين اجتمعوا في حقبة واحدة،وزمن واحد ، للكتابة عنها،ومتابعة مواقعها وأحداثها •

ومن ناحية استقصاء الاحداث التي المت بالمسيرة التاريخية الجديدة لهذه المنطقة ، والاهتمام بتدوين كل صغيرة وكبيرة عنها •

فتاريخ مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، وما رصده المؤرخون والباحثون ، ومادونه الكاتبون لمسيرة الاسلام الاولى ، منذ شروق شمس الدعوة المحمدية كثير جدا ، لكنهم لم يرصد الا بعد فترة الاحداث ، ولم يرصد دقعة واحدة •

عد فيما استظرف من اخبار
د الرحمن الناصر ١٣١٥ـ١٣٩٠»

بقلم: الدكتور محمد الشويعر...

ولعل من أسباب كثرة المؤرخين ، والكاتبين لتاريخ الجزيرة،مرتبط بدور الملك عبد العزيز القيادى ، مايرجع في نظرى الى أمور منها : ـ

١ ـ أن الوعى الثقافي والعلمى قد زاد ، والراغبون في طلب المعرفة كثيرون ٠

٢ ـ أن الملك عبد العزيز رحمه الله قام بأعمال بطولية ، تلفت النظر ، وتستوجب الانتباه ٠

٣ ـ أن الملك عبد العزيز رحمه الله بدافع دينى ، ففتح صفحة جديدة في الجهاد الاسلامى ٠

٤ ـ أن العالم الغربى قد خرج من الحرب العالمية الاولى مزهـــوا بتفتيته الدولة الاسلامية ، والقضاء على الخلافة ، ثم بدأ يواصل مساعيه لتقسيم ديار الاسلام غنيمة باردة ٠

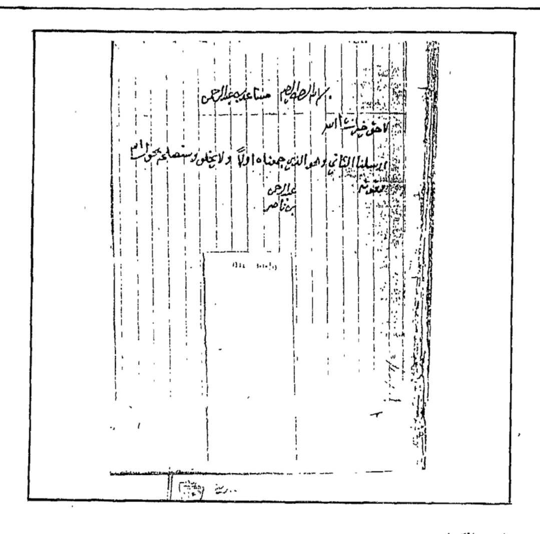
٥ ـ أن الجو الاسلامى ولعربى ، أصبح خاليا من القيادة الحكيمة ، فصار ينتظر زعامة تسد الخلل الذى نجم من ابتعاد الدولة العثمانية عن الميدان ، لان المسلمين يؤمنون بضرورة القيادة الاسلامية للدولة ٠

٦ ـ أن هذه البلاد مرت بفترة طويلة من النسيان التاريخى،فكانت في شبه عزلة٠فتحركة الاقلام الكثيرة من الداخل والخارج ، عربية واجنبية وهم من الكثرة بحيث يطول عدهم ، ومع هذا فستكشف الايام عن جوانب جديدة في هذا الفترة التى خطيت باهتمام بالغ ، اذا كل جديد لايخلو من فوائده ، ومن هذه الجهود ما خرج للقراء ، ومنها ما لم ير النور بعد ٠

كما أن لكل واحد من هؤلاء المؤلفين والباحثين نزعة معينة ،وطريقة خاصة فى سرد الاحداث واستقصاء المعلومات ٠

وبين يدينا واحد من هذه المخطوطات ، التى لم تطبع حتى الان ، وهو وانكان غير متكامل ، الا أنه ينبىء عن شخصية مؤلفه وجهوده ٠

فما هو هذا الكتاب ، وما ابرز مظاهره ، والسمة التى ينفرد بها ؟ هذه التساؤلات وغيرها سوف نحاول باذن الله استجلاءها ، عند تسليط الضوء على هذا الكتاب فى هذه الدرسة العابرة ، والتعريف المجمل ، لواحد من تراثنا ، وسجل حفل برصد أحداث عاصرها المؤلف ٠



اسم الكتاب : ـ

النسخة التى رجعت اليها من هذه المخطوطة · هى نسخة مأخوذة عما يوجد فى مكتبة أرامكو بالظهران ورقمها ٩٥٢ $\frac{952}{\text{IN}}$ · ولم يكن لهذه النسخة طرة ، ولم تحمل اسما ، كل ما وجدناه فى أول ورقة من الكتاب ، صفحة كتب فيها المؤلف ما يلى : « بسم الله الرحمن الرحيم ، مساعد بن عبد الرحمن ، لا حف خير أن شاء الله ، أرسلنا الثانى ، وهو الذى جمعناه أولا ، ولا يخلو ، وسنصلحه بحول الله وقوته ، عبد الرحمن الناصر » ·

لكن المؤلف فى استعراضه الموطول الذى أبان منهجه ، وأسباب التأليف ، أماط اللثام عن الاسم الذى اختاره لهذا الكتاب ، فقال :«وشرعت فى المقصود وجعلت ما جمعت ذيلا على تاريخ الشيخ ابراهيم بن صالح بن

بالدعوة للكافرين لتوحيد الواحد وجادلوا باللسان
وجاهدوا بالسنان الى ان عبد الرحمن وهدموا
القباب والمشاهد فاحمده على ما اولانا من
الخير العميم واشكره على ما من به من الفضل الجسيم
واسئله ان يهدينا الى الصراط المستقيم واستعينه
فنعم المعين للمستعين ونعم المساعد واشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة
ارجوا نفعها في الحياة واستانس بها عند الممات
وارجوها عند الله ذخرا لعبد الوفاة شهادة
مخلص لربه في الاقوال والافعال والاعتقاد واشهد ان
محمدا عبده ورسوله صاحب المقام المحمود واللواء
المعقود والاصل الماجد ارسله رحمة للعالمين و
حجة على المعاندين وامده بملائكته المقربين وايده
بنصره وبالمؤمنين وانزل عليه في كتابه المبين
فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين فلم يزل
صلى الله عليه وسلم مشمرا في ذات الله لا يرده

كذا سائر

عيسى ، وسميته عنوان السعد والمجد ، فيما استظرف من اخبار الحجاز ونجد ، والله أسأل أن ينفع به من نظرية ، وسار على منهاج أهل السنة والاثر ، فانه لا حول ولا قوة الا به ، ولا اتكال الا عليه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل » ، ثم ابتدأ في حوادث عام ١٣٠١ هـ ، وهي أول تاريخه كما رسم لنفسه (١) ٠

ومن هذه المقدمة الطويلة ، وهذا النص الذى ختم به المؤلف مقدمته ، يتراءى للقارىء أن وضع الاسم للكتاب كان من اختيار المؤلف ، وان لم يضعه على اسطره ٠

ورغم أن المؤلف حدد تاريخه ، بما استظرف ، ومن اخبار الحجاز ونجد ٠٠ فانه لم يلتزم ذلك ٠

فقد جاء بتاريخ أهم ما وقع في الجزيرة عموما بما في ذلك اليمن والشام ، والكويت والعراق (١) كما أورد حوادث بعيدة عن البلاد العربية عموما ، مثل هلاك رئيس النصارى في احداث عام ١٣٥٥ هـ (ص ٣٣٦) ، واستيلاء الايطاليين على الحبشة عام ١٣٥٥ هـ (ص ٣٣٦) وغير ذلك ٠

وقد يكون للمؤلف وجهة نظر تنطلق بالاصطلاح التعريفي ، ذلك أن منطقة الحجاز كانت تطلق على الجبال الفاصلة بين تهامة ونجد ، وسميت حجازا لانها تحجز ما بين الجبهتين ، وتمتد شمالا الى حدود الاردن والعقبة وجنوبا الى اليمن ٠ ونجد هي السهول والهضاب الممتدة من انحدار جبال الحجاز شرقا حتى الخليج العربى شرقا ، ويدخل فيذلك مناطق نجران ، كما حكى ذلك الهمداني (   ) في صفة جزيرة العرب ، وهذه الطريقة سار عليها مقبل الذكير (١٢٩٩ ـ ١٣٦٣ هـ) في مخطوطته التاريخية التى لم تطبع بعد ٠

وقد قال مؤلفنا عند حديثه عن قبيلة يام ، ونجران : « ثم الواجب والحالة هذه أن نذكر طرفا من تلك النواحى ، ونشير الى ذكر نكتة يسيرة، من فروع اليامية ونردفها بذكر مساكنها ، ونقدمها لانها تابعة للبلاد

---

(١) انظر الكتاب ص ٢٧ ٠

(١) ص ١٢٥ قال استولت الحكومة الانجليزية على البصرة ٠

ملك عصرنا وامثالهم ما عجز العقول لمن تأمل ما منّ الله به عليهم من العز
والنصر والظفر والتمكين والتسديد والظهور واتساع المملكة
وانقياد عصاة الرجال وكثرة الاجناد والاموال والآلات
والاسلحة والذخيرة وغير ذلك مما لم يعهد مثله [illegible]
فتحيرت في امري [illegible] نفسي ولبثت على ذلك زمنا وامتنعت
خوفا من القصور والخلل وقد كنت اثبت اشارات فاعرضت
عنها خوفا من القصور حتى رأيت اشارات لبعض المتأخرين [illegible]
فاذا هي لم تف بالمقصود من ذكر صاحب هذه المقامات الشريفة
فاستخرت الله تعالى وشمرت عن ساعد الاجتهاد وطلبت من الله
الاعانة والتوفيق والرشاد وسلكت مسلك المؤرخين
[illegible] واضربت صفحا عما سبقني الفقهاء
بما جرت به اقلامهم وشرعت في المقصود وجعلت ما جمعت
ذيلا على تاريخ الشيخ ابرهيم بن صالح بن ابرهيم بن عيسى
وسميته عنوان السعد والمجد
في ما استظرف من اخبار الحجاز ونجد والله اسأل
ان ينفع به من نظر اليه واعتبر [illegible]
[illegible] على منهاج اهل السنة والاثر فانه
لا حول ولا قوة الا بالله به ولا اتكال الا عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل
دخلت سنة واحدة بعد الثلاث مائة والالف وفيها كثر
الامطار والسيول وعم الحيا جميع بلدان نجد وكثر الخصب [illegible]
ورخصت الاسعار وفي ربيع الاول من هذه السنة خرج الامام عبد الله
بن فيصل رحمه الله وامر على اهل بلدان نجد بالجهاد ونزل على بلد شقرا واستلحق غزو البلدان فقدموا

النجدية ، ولانها يشملها اسم نجد ، كما تقرر ذلك عندى ، من التواريخ القديمة ، والحديثة ، فمنها ما كان قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم، ومنها ما كان بعده ، وايضا فانها كانت تحت طاعة رؤساء البلاد النجدية كما سنبين ذلك ان شاء الله تعالى (١) ثم أفاض فيما أراد ايضاحه عن قبيلة يام ، وعن بلاد نجران ، ودخول هذه القبيلة فى الطاعة منذ أيام الدولة السعودية الاولى ، واستعرض تاريخها مثلا تلك الايام حتى العهد والميثاق الذى التزم به رؤساء عشائرها للملك عبد العزيز رحمه الله عام ١٣٣٨ هـ ، بالسمع والطاعة ، وهو امتداد للمواثيق السابقة (٢) ...

ـ كما أنه من المحتمل أن يكون سا فى تاريخه على مصطلح التسمية االاولى التى اطلقها الملك عبد العزيز رحمه الله على البلاد بعدما وحدها ، واسترد الحجاز : (المملكة الحجازية النجدية) .

والاسم الذى يطلق على الملك عبد العزيز رحمه الله : (ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما) ، وقد ضرب على العملة ذلك الوقت .

وهذه هى التسمية التى سارت فترة من الزمن حتى أعلن فى عام ١٣٥١ هـ اطلاق التسمية الجديدة (المملكة العربية السعودية) بناء عـــلى رغبة اهالى الحجاز ، فصدر المرسوم الملكى رقم ٢٧١٦ فى ١٧ـ٥ـ١٣٥١هـ بذلك ، واتخذت الاجراءات الرسمية (١) . ومن هذا ايضا نستنتج أن المؤلف استوفى تسمية كتابه ، من العلم الذى اطلق على المملكة بعد لم شتاتها ، وتجمع شملها .

المؤلف اسمه ونسبه : ـ

لما كان الكتاب لا طرة له تحمل اسمه واسم مؤلفه ، فان المصدر الذى تراءى أمامنا يدل على اسم المؤلف ثلاثة اشيا : ـ

١ ـ الورقة الاولى التى اعتبرها ملحق خير ، واشرنا اليها فى اسم الكتاب (٢) ، وقد أوضح فيها أن اسمه عبد الرحمن بن ناصر .

---

(١) انظر ص ١٥٣ .
(٢) انظر ص ١٥٣ ـ ١٦٢ .

خفيا ودفعها الى ذويها الحاجات كما هو معلوم مشهور ثم انهم فلم يزالوا
قدس الله ارواحهم يرغبون الناس في طلب العلم ويقومون بكفايتهم
الى ان صار منهم علماء يهتدى بهم ومن اهل نجد وسرج يستضاء بهم فلم يزالوا يفتحون
والى النهج القويم يدعون وللجهال يبينون ولاهل التوحيد ينصرون
ولمن نابذهم بالعداوة وعليهم يردون فعند ذلك صار للبلاد النجدية
شهرة دائمة وعلماء كانوا في جزيرة العرب هم القدوة فاول من الف
لذكر تاريخهم وذكر فضلهم الشيخ الاديب والالمعي الاريب
حسين بن غنام الاحسائي رحمه الله فصنف كتابا باسماه
روضة الافكار والافهام لمرتاد حال الامام وغزوات اهل الاسلام
[illegible] بالمطلوب والمراد وهو كتاب عظيم النفع
ابتداه من ابتداء دعوة الشيخ [illegible] وانهاه الى اخر
السنة الثانية عشر بعد المائتين والالف وكذلك صنف الشيخ عثمان
بن عبد الله بن بشر النجدي كتابا اسماه عنوان المجد في تاريخ نجد
ابتداه من سنة خمسين وثمان مائة وانهاه الى اخر سنة ثمان
وستين بعد المائتين والالف وهو كتاب شافي وفي فنه كافي توفي
رحمه الله سنة تسعين بعد المائتين والالف ثم ان الشيخ ابراهيم
بن صالح بن ابراهيم بن عيسى صنف كتابا اسماه عقد الدرر فيما وقع
في نجد من الحوادث والعبر في اخر القرن الثالث عشر واول الرابع عشر
ابتداه من اخر انتهاء الشيخ عثمان بن بشر وانهاه الى اخر السنة
الثانية بعد الثلاث مائة والالف ثم انه لم ازل اراود نفسي
على [illegible] ما جرى من الحوادث والتواريخ في زمننا [illegible]

مقامات

توفي رحمه الله في ذي الحجة سنة [illegible]

٢ ـ في احداث عام ١٣٣٦ هـ قال بأن والده محمد بن عبد الله بن ناصر ممن اخذ عنهم عبد الرحمن بن عثمان الثميرى العلم ، حيث ذكر ذلك في معرض ذكروفاته في هذه السنة .

٣ ـ وفي احداث عام ١٣٣٨ هـ أورد خبر وفاة والده واثنى عليه ، وذكر مشايخه عندما قال : وفيها توفى الفقيه الزاهد العالم العابد الوالد محمد بن ناصر بن على بن محمد بن ناصر بن حماد بن بن شبانه بن محمد في بلد المجمعة (١) .

والمؤلف وان كان قد ضمن للقارىء مصدرا مهما عن اسمه ونسبه ، حيث اردف كلامه زيادة ايضاح عن أصل البلد التى انتقل منها والده ، فقال بأنه ولد في اشيقر ثم سار منه وطلب العلم ، واستوطن في بلـــدة الرويضة عدة سنين ثم سار منها وقصد القصيم ، وأقام في بلد عنيزة نحوا من أربع سنين ، ثم سار منها وقصد بلد المجمعة ، فلم يزل بها سايرا على المنهج ـ ويعنى بالمنهج الخصال التى ذكر في ترجمته ـ الى أن توفى وكان له من العمر نحوا من ثمانين سنة رحمه الله تعالى وعفى عنه (٢).

وقد أوضح في مكان آخر أن والده كان اماما لاحد المساجد بالمجمعة (١) . وهو وان لم يعط معلومات عن قبيلته التى ينتمى اليها ، أكثر من سرده اسماء اجداده ، الا أن ابن بشر (١٢١٣ ـ ١٢٩٠هـ) أورد في حوادث عام ١٢٤٢هـ وفاة العالم عثمان بن عبد الجبار بن الشيخ حمد بن شبانة الوهبى ، ثم أفاض في ذكر العلماء من أسرة آل شبانة ، وديارهم ، وان أصلهم جميعا من أشيقر (٢) ، وقد بلغ عدد من أورد ابن بشر اسماءهم من علماء هذه القبيلة ، ومشاهيرها عشرة .

كما ذكر ابن عيسى (١٢٧٠ ـ ١٣٤٣هـ) أعدادا أخرى ، مما يدل على ما تتمتع به هذه القبيلة من مكانة علمية واجتماعية ، لكن الشيخ عبد الله بن بسام لم يترجم في نبذة التاريخية الا لثلاثة ينتمون لهذه القبيلة

---

(١) انظر تاريخ ملوك آل سعود لسعود بن هذلول ص ٢١٧ ـ ٢١٨ ، وقلب جزيرة العرب لفؤاد حمزة ص ٣٩٤ ، وتذكرة أولى النهى والعرفان للشيخ ابراهيم بن عبيد ص ٢٩٠ ص ٣ .
(٢) ص ٤ من هذا البحث .
(١) ص ١٦٢ من المخطوط .

فى كتابه علماء نجد خلال ستة قرون (٣) ٠

ومؤرخنا فى هذه الحلقة عبد الرحمن بن ناصر ، يعرف فى بلدة المجمعة بلقب المطوع ، لان والده كان اماما لاحد المساجد بالمجمعة ، ولازمه حتى توفى ، كما اشار الى ذلك ابنه ٠

وكان ينوب عن والده احيانا بامانة المسجد ٠ ولم يتعرض لترجمـــة أو ترجمة والده كل من الشيخ عبد الله البسام فى كتابه علماء نجد خلال ستة قرون ، ولا الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف فى كتابه من مشاهير علماء نجد وغيرهم ٠

وشأنه هنا شأن غيرهم من الرجال الذين يضيعون في متاهات التاريخ الا أن مؤلفه هذا سلط الضوء عليه ، ولقرب عهده بنا ، فان الاتصال بمارفيه أصبح ميسورا وسهلا ، لاخذ بعض المعلومات التى تفيد الباحث، وتسلط الضوء على شخصيته ٠

فقد ولد عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله بن ناصر بن على بن محمد بن ناصر بن حماد شبانه بن محمد في بلد المجمعة عام ١٣١٥ هـ تقريبا حسبما يراه بعض معارفه ومن المحتمل أن تكون ولادته في احدى البلدان التى مر بها والده فترة تنقله ٠٠ ولم يكن بأكبر أخوته ٠٠ نشأ وتعلم هناك فطلب العلم على والده ، ثم لازم الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقرى (١٢٨٧ ـ ١٣٧٣ هـ) ، وبرغبة منه الف كتابه هذا ٠

وقد قضى آخر عمره بالرياض حيث انتقل اليه في عام ١٣٧٩ هـ أو عام ١٣٨٠ هـ ، وبقى فيه حتى توفى في عام ١٣٩٠ هـ ، وخلال هذه المدة ألف الجزء الثانى من كتابه ٠٠ أما الجزء الاول ، فقد الفه أثناء وجوده في المجمعة فيما يبدو ، كما تبين قرينة ، ذلك فى ايضاحه بأن هذا الكتاب جاء استجابة لطلب الشيخ عبد الله العنقرى ٠

---

(٢) راجع ص ١٦٢ ـ ١٦٣ من نفس المصدر ٠
(١) نفس المصدر ص ١٢٦ ٠
(٢) راجع عنوان المجد لابن بشر جـ ٢ صـ ٢٦٩ ـ ٢٧٠ ٠
(٣) انظر ص ٣٨٢ ـ ٣٩١ جـ ٢ ص ٧٠٦ جـ ٣

ولم يتضح لنا أن المؤلف قد ولى عملا حكوميا ، أو كان له تلاميذ يأخذون عنه . أما شايخة وأساتذته الذين اخذ عنهم العلم ، فقد أعطى معلومات مجملة عنهم ، مع أنه لم يختص نوعا من العلوم والمعارف اختص به واحدا منهم ، مما يدل على أنه لم يكن طالب علم متخصص .. الا أن الذى يتراءى أمامنا أنه نهل العلوم السائدة في عصره وهى لاتخرج عن الشرعية والعربية والتاريخية . وقد سمى من مشايخة العالم عبد الله ابن عبد العزيز العنقرى قاضى المجمعة وسدير آن ذلك ، وذكره بصبغة الجمع «شيخنا » في اكثر من موضع (١)

اسباب التأليف : ــ

فى هذه الحياة قد جعل الله لكل شيء سببا وغاية والاسباب هـــى الموصلة للاهداف والغايات .

وعبد الرحمن بن ناصر في مؤلفه هذا ، قد جعل العلم منزلة رفيعة والتحلى بحلاة قربة الى الله عندما قال : « ... ثم لما كانت منزلة العلم منزلة رفيعة ، والتحلى بحلاه قربة الى الله ، ووسيلة ، لا سيما علم الحديث والاثر ، ومعرفة التواريخ والسير ، ونشره في المحافل والمجالس ، ودرسه في المساجد والمدارس ، قربة من افضل القربات ، وعبادة من أجل العبادات ، كما نص عليه أرباب الفن والنظر ، واهل التحقيق والاثر ، وبالخصوص علم التاريخ ، فانه من أجل العلوم قدرا ، واسناه رتبة وفخرا ، وفيه فوائد كثيرة ، أجلها الاعتبار بالماضين ، والاطلاع على سير ملوك الاسلام والمسلمين والتأسى بالمجاهدين في سبيل الله ، لاعداء الملة والدين ، ليستأنس بـــه الاديب اللوذعى ولا يستغنى عنه الاديب الا لمعى » (١)

ثم بعد ذلك اشار الى اسباب التأليف ، والدافع الى بذل الجهد في هذا التصنيف ، محاولا نكران ذاته ، ومعللا الوقوع فى الخطأ ، ومعتذرا عن مابدر منه من زلل عندما قال : « فحينئذ اشار الى الحقير الفقير ، من اشارته محمولة على الرأس ، واجابتى لاشارته واجبة بلا شـــك ولا التباس ، شيخنا الشيخ المكرم البهى ، عبد الله بن عبد العزيز العنقرى ،

---

(١) راجع ص ٢١ ، وص ١٢٥ من المخطوطة .

فسح في أجله ، وبارك له في صالح عمله ، أن اضع كتابا يتضمن ذكر ماوقع في اول القرن الرابع عشر من الحوادث والوقايع ، وملوك الاوطـــان ، ووفيات الاعيان ، وغير ذلك الى وقتنا هذا فأصبته طايعا،ولبيته مسارعا، فبادرت الى نكتة كاشفة عن وجه الغرض ، اختلسها على استعجال ، لما أنا بصدده من شغل البدن والبال ، ومقاسات الامور الثقال ، ولان من المعلوم عند كل أديب ، وصاحب متعرض لالسنة الحاسدين ، وتنفثات الطاعنين ، متحمل من ذلك أمرا ، ستكف الى مرتقى صعبا وعرا » (١)

فهو في هذه المقدمة قد جعل لمؤلفه سببا وغاية ٠

فبالسبب سلك الطريق ، والتمس لنفسه العذر والتقصير والزلل ، ولغرضه تحمل المشاق ، ولعرضه يأمل الوقاية من النيل ، ومقالة الحاسدين٠

وللغاية التى ربطها بالعقيدة والدين وطلب المثوبة والاقتـــداء بالصالحين من هذه الامة ، امتطى الموقف الصعب ، وسلك هذا الطريق ، متكبدا مشقة البدن ، وانشغال البال ، مع ما يقاسيه من الامور الثقال ٠

ولعله في هذا المشوار يحتسب ما عند الله بعمله هذا ، وبذا يصح أن الغاية تبرر الوسيلة ، ثم نلتمس للمؤلف رحمه الله عذرا فى الهنات التي تتراءى للقارىء والباحث ، فى تتبعه لهذه المخطوطة ، وجل من لا عيب فيه سبحانه ٠

وان هذا الدافع الذى جعل الشيخ العنقرى ، يطلب منه استكمال تاريخ ابن عيسى ، ويبتدىء من حيث وقف ، يعطينا مؤشرا آخر ، على أن المؤلف كان صاحب اهتمام تاريخى ، وتتبع لما دار في البلاد من تغيرات تاريخية ، تستوجب التفصيل والابانة ، لتخرج للقارىء مصدرا يستقـــى منه المعلومات الصحيحة ٠

اذ أن الشيخ العنقرى لم يطلب منه هذا المطلب الا لادراكه عمق ما تنطوى عليه جوانحه ، والاطمئنان الى ما لديه من معلومات تاريخية ، ومـــا اكثر المتحدثين فى التاريخ ، ولكن المتعمقين قلة ، وقد يكون مؤلفنا رحمه الله من هذه القلة ٠

---

(١) نفس المصدر ص ٢٠ ـ ٢١

(١) نفس المصدر ص ٢٢ ٠

منهجه في التاليف : ـ

يقال في الامثال : ان لكل شيخ طريقته ، وكذلك المؤلفين على اختلاف الفنون والمعارف التى يطرقونها ، ويصنفون فيها ، ترى أن لكل منهم طريقته ومنهجه ، وبعضهم يحاكي غيره ، أو ينفرد بمنهج يميز شخصيته ، ويبرز مكانته . ـ

والشيخ عبد الرحمن بن ناصر تأتي منهجه في مؤلفه هذا على طريقتين : طريقة أبان عنها تصريحا في مقدمة كتابه ، موضحا مبدأه الذى سار عليه ، وطريقته التى سلكها في استقاء المعلومات ورصدها ، ليجعل القارىء أمام بينة من أمره ، وجلاء فيما يقرأه وطريقة يستشفها الباحث من أسلوب المؤلف والمعلومات التى دونها .

ففى الحالة الاولى يقول : « استعنت الله تعالى ، وبذلت جهدى وفوضت الى الله المهيمن أمرى ، مع التحرى للصدق ،ولم أثبت الا ما تحقق عندى ان شاء الله هو الحق ، ولم اعتمد في ذلك الا بما ثبت عن ذوى العقول والاثبات ، فمن عثر على زيادة أو نقص ، أو تقدم أو تأخر ، فانما هو من خطأ الناقل ، وعهدته عليه ، واستعذر من الله الزلل ثم من عادة المؤمنين ، فمن أقال عثرة مسلم أقال الله عثرته ، ومن ستر على اخيه ستر الله مساويه (١)

ثم نراه يعلل اسباب عدم وجود تاريخ في نجد مستدلا برأى لابن بشر (١٢١٠ ـ ١٢٩٠ هـ) ومرجعا أسباب الاهتمام التاريخى الى قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١١١٥ ـ ١٢٠٦ هـ) رحمه الله الاصلاحية «٢» .

وكمدخل لما يريد الابانة عنه في هذا الكتاب التاريخى ، وأنه استكمالا لما سار أسلافه الاولون عليه ، واستعرض السنوات التى رصدوا أحداثها : فحسين بن غنام الاحسائى (١٢٢٥٠٠٠٠ هـ) في روض الافكار والافهام لمرتاد حال الامام ، وغزوات أهل الاسلام ، تبدأ من ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله عام ١١٥٨ هـ ، الى آخر عام ١٢١٢ هـ . وعثمان بن عبد الله بن بشر (١٢١٠ ـ ١٢٩٠ هـ) في عنوان

المجد في تاريخ نجد ، ابتداء من حيث بدأ غنام عام ١١٥٨ هـ ، وانتهى بأحداث عام ١٢٦٨ هـ. وابراهيم بن صالح بن عيسى (١٢٧٠-١٣٤٣ هـ)، في عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث والغير في آخر القرن الثالث

عشر ، وأول الرابع عشر ، ابتداء من انتهاء ابن بشر الى آخر السنة ١٣٠٢ هـ «١» وبعد هذا المدخل يقول عن نفسه : « ثم انى لم أزل أراود نفسي على رقم ماجرى من الحوادث والوقائع في زمننا ، وما ظهر لى من سعادة مقامات مليك عصرنا ، وآماله مـا يحير العقول ، من ما من الله به عليه من العز والنصر والظفر ، والتمكن والتسديد والظهورواتساع المملكة وانقياد عصاة الرجال ، وكثرة الاجناد والاموال والاثاث،والاسلحة والذخيرة ، وغير ذلك مما لم يعهد مثله الكبار ، فتحيـرت فى أمرى ، ولبثت على ذلك زمنا ، واقتنعت خوفا من القصور والخلل ، وقد كنت قد أشرت اشارات فأعرضت ، حتى رأيت اشارات لبعض المنتسبين فتأملتها فاذا هي لم تف بالمقصود ، فاستخرت الله تعالى،وشمرت عن ساعد الاجتهاد وطلبت من الله الاعانة والتوفيق والرشاد ، وسلكت مسلك المؤرخين ، واقتضيت آثارها ، وضربت صفحا عن ما سبقنى ، اكتفاء بما حررته اقلامهم ، وشرعت فى المقصود ، وجعلت ما جمعت ذيلا على تاريخ الشيخ ابراهيم بن صالح بن ابراهيم بن عيسى «١» فان ناصر فى نظرى قد ترسم خطى ابن عيسى ، وتأثر به فى منهجه وتاريخه ، وقد بلغ به التأثر الـى محاكاته فى الطريقة ، فكما أن ابن عيسى قد جعل تاريخه ذيلا لتاريخ ابن بشر ، جاء هذا الاخير — عبد الرحمن بن ناصر — فجعل ذيلا على تاريخ ابن عيسى ، لكنه لم يبدأ من حيث انتهى ابن عيسى ، بل جعل بدايته من أول القرن عام ١٣٠١هـ وسار فى سرد الاحداث التاريخية ، على طريقة اسلافه من المؤرخين الذين ذكرهم : « ابن غنام ، ابن بشر ابن عيسى » .

أما الطريقة التى نستنتجها من صفحات تاريخه ، فيمكن أن نجملها فى النقاط التالية : —

١ — يهتم بالاحداث التاريخية السياسية ، حسب تسلسل السنين ،

«١» نفس المصدر ص ٢٢ — ٢٣ .
«٢» نفس المصدر ص ٢٥ — ٢٦

دون أن يتعمق فى النواحى الاجتماعية ٠

٢ ــ اذا مر به شيء من النواحى الاجتماعية ، أو عرضت له بعض الشخصيات العلمية ، فانه لا يخرج فى الغالب عن نطاق المنطقة التـــى عاش فيها ، اذ لم نره يستعرض أشياء تتعلق بمناطق اخرى كالوشم ، والقصيم والاحساء ، وحائل وغيرها ٠

وهذه الحالة لم تكن مقصورة عليه وحده ، بل شأنه فيها شأن غيرهم من المؤرخين ، فالفاخرى مثلا ، وابن بشر ، تجد هذه النزعة بـــارزة لديهما ، ومن المعاصرين نرى ابراهيم بن عبيد في تاريخه ، تذكرة النهى والعرفان ، بأيام الواحد الديان ، وذكر حوادث الزمان ، يهتم بذكـــر رجالات القصيم عموما ، وبريدة بصفة خاصة ٠ ولا نلوم عبد الرحمن ابن ناصر رحمه الله عندما يهتم بذكر أعيان المجمعة ووفياتهم ، فان المؤرخ المهتم برصد الاحداث ، يسجل كل حدث يمر به ، لان ارهـــاف حسن واتســـاع دائرة الوجدان عنده ، تجعلان يفكر بـــالام الاخرين ، ويتأثرون من العوامل المحيطة بهم ويرصدها كتعبير عمـــا يجيش في نفســـه ونفوسهم ٠ وهو وان تاثر بالاحداث البعيدة الا أن القريبة لا تند عنه، أو تبتعد عن خاطره اذ يسجلها وقت حدوثها ٠

٣ ــ يطغى على اسلوبه السجع ، ويكثر منه الا أنه لايتكلفه أحيانا، أو يفسر الكلمات قسرا ، كما فعل ابن غنام (٠٠٠ ــ ١٢٢٥ هـ) ، لكنه احيانا وبقلة يترك السجع ، ويتجه الى الازدواج ، وقد يتركهما سويا ٠ ومن نموذج سجعه قوله : فبعث اليه سيف الله في أرضه ، القائم بسنته وفرضه ، المنتقم به من اعدائه ، المنفذ أوامره في عباده ، سرية من رعيته ووهجا من شواظ عزمته ، فأباده الله ومن معه سبره المحمود ، وخطـــه المتقدم أمام الجنود » «١»

٤ ــ كثير التردد في الالفاظ والعبارات ، كمـــا يكثر عنده الشطب والتعديل في النسخة الخطية التي وقع عليها نظرى ، وهى بخط المؤلف ، وقلما تجد صفحة خالية من حالة تنبيء عن تردده ، وتعديله ، ولذا فاننى

«١» راجع نفس المصدر ص ٢٦ ٠

(١) نفس المصدر ص ٢٦ ــ ٢٧

أتوقع بان هذه النسخة هى مسودة الكتاب،لما فيها من تعديلات وتشطيبات ان لم تكن هى النسخة الوحيدة .

٥ ـ يشتشهد بكثير من القصائد الشعرية في مناسباتها ، ولكنه يتحاشى الاطالة ، فيقول عن ابن سمحان (١٢٦٦ ـ ١٣٤٩ هـ) ، بعد ايراده قصيدة من قصائده : وقد امتدح رئيس المسلمين بقصائد عديدة،تركناها للاختصار «٢» . وفي مناسبة المبالغة بولاية العهد لسعود بن عبد العزيز قال : ولبعض الادباء من أهل نجد وغيرهم ، في ذلك أشعار كثيرة،تركناها للاختصار ، سوى ماقاله الاديب أحمد الفزاوى ، نزيل مكة ، ثم ذكر من قصيدته ١١ بيتا «٣»

٦ ـ يتصرف أحيانا في النصوص التى يوردها ، كقوله في النص الذى اورده من قصيدة لابن سمحان « أنتهى ما نقله من كلام الشيخ بعد التصرف (١) .

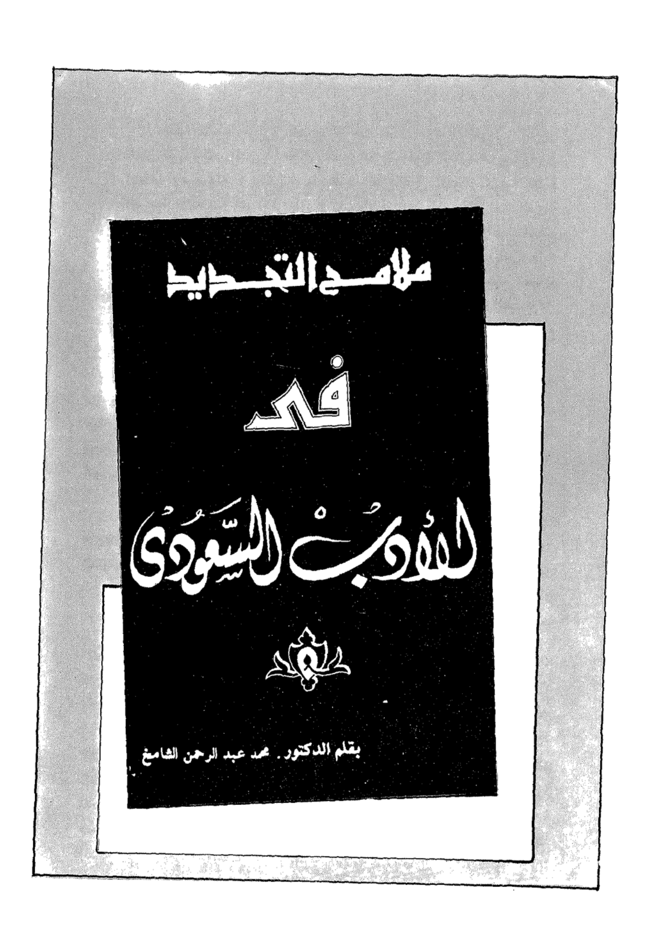
٧ ـ لا يرتب موضوعاته ، وشواهده بل ياتى احيانا بكلام يكمل شيئا سابقا ، وبينهما مسافة يربك القارىء عدم الربط بينهما كمقيدة الفزاوى التى أورد بعضها فى ص ٢٩٠ حيث أورد احد عشر بيتا ، ثم فى ص ٣٠٧ أورد عشرين بيتا أخرى .

٨ ـ يضع فى الحاشية عناوين تبين عن أهم الاحداث التى يوردها : وهناك سمات اخرى سنحاول ـ باذن الله ـ عرضها فى الحديث عن اسلوبه فى التأليف .

د.محمد الشويعر

الرياض فى ١/١/١٣٩٩هـ

«١» نفس المصدر ص ٧٥ .
«٢» المصدر نفسه ص ٢٩٠ .
«٣» نفس المصدر ص ٧٥ الحاشية .


ملامح التجديد
في
الأدب السعودي
بقلم الدكتور. محمد عبد الرحمن الشامخ

لقد كانت جزيرة العرب موطنا لذلك الادب العربى العريق الذى ظل أدباء العربية طوال عصورهم يتمثلون تقاليده،ويستوحون أبداعه وعبقريته • ولكن اسهام هذه الجزيرة في الحياة الادبية للامة العربية الاسلامية قد أخذ يقل ويتضاءل منذ ان اتسعت رقعة الدولة العربية في اواخر القرن الثانى للهجرة ، حيث تعددت حواضر العالم الاسلامى ، ونشأت بيئات ادبية جديدة • ومهما يكن الامر فانه ليس بمستبعد أن تعود هذه الجزيرة الى سابق عهدها،فتسهم اسهاما ادبيا مبدعا،ولا سيما انها قد أخذت الان باسباب العلم والحضارة•

كان شأن الادباء في هذه البلاد خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كشأن معاصريهم فيالبلاد لعربية الاخرى من حيث اتباع التقاليـد الادبية التى استقرت في عصور الضـعف الادبى • ولكن نشأة الصـحافة وتأسيس المدارس الحديثة في أوائل القرن العشرين قد مهدا الطريقلظهور حياة أدبية جديدة • فلم يأت عام ١٩٢٥ الا وقد صار الادباء الناشئون في البلاد السعودية ينتجون أدبا يتخذ قوالب الادب الحديث ويجرب أشكاله الجديدة •

وستكون الصفحات التالية عبارة عن دراسة موجزة لملامح التجديد في الادب السعودى الحديث ، واشارة الى أبرز اتجاهاته الفكرية وسماته الفنية •

في النثر الادبى :

كانت المقالة أول الانواع النثرية التى شغف بها الكتاب السعوديون بعد توحد أجزاء المملكة السعودية في أواخر العقد الثالث من هذا القرن• ولقد كان جو الهدوء والاستقرار السياسى الذى تمتعت به هذه البلاد حينئذ من اهم الاسبابالتى أنعشت المقالة الصحفيةوجعلتها ذات موضوعات متعددة وأساليب متنوعة • فقد أخلى كتاب النثر التقليدى مكانهم للجيل الجديد من الادباء الذين بشر محمد حسن عواد بمقدمهم حين سجل استجابته للحركة الادبية العربية الجديدة التى قام بها من قبل كتاب مصر والمهجر ، وحاول تطبيق المفاهيم النقدية الحديثة على الادب في بلاده • (١) وحيث أن هذا الجيل من الادباء قد نشأ نشأته الاولى ـ ابان الحرب العالمية الاولى

– فيجو حفل بالجدل والخصام الصحفى ، فقد تبين أنهم ورثوا شيئا من هذه الروح عندما قاموا بدعوتهم الى التجديد الادبى،والاصلاح الاجتماعى ٠

وحيث ان كتاب المقالة الناشئين قد اعتقدوا بأن في مجتمعهم رسالة تشبه رسالة الرواد والمصلحين ، فقد انصرفوا الى ميدان الادب الــذى اعتبروا العمل فيه من اهم عوامل البناء الاجتماعى (٢) ، ولذلك اصبح الانتــاج الادبى الذى كــان قليلا من قبل خصبا وفيرا خلال العقــدين الثالث والرابع من هذا القرن ٠

لقد اعتبر هؤلاء الكتاب حركتهم الادبية الجديدة معركة فكرية ، ولذلك وجدوا في المقالة النقدية سلاحا ماضيا افادهم في هجومهم على المفاهيم الادبية والاجتماعية التقليدية ٠ وكان نقدهم شبيها بنقد معاصيرهم من رواد الادب الحديث في مصر والمهجر من حيث أنه كان نقدا لاذعا وهجوما شخصيا ، ولكن الفرق بينهما هو ان الكتاب السعوديين نزلوا ميدان معركة كاد يخلو من الخصوم المحاربين ، ذلك لان الادباء التقليديين في هذه البلاد تذرعوا بالحلم والصبر ، ولم يصدوا هذا الهجوم ٠

ورغم قصر المدة التى خاض فيها الكتاب الناشئون معركتهم النقدية ضد الادباء التقليديين ، الا ان المقالة النقدية ظلت مزدهــرة في الادب السعودى ، ذلك لان الكتاب الناشئين أغرموا بتوجيه اللوم والنقد الى ما كان ينشره زملاؤهم من انتاج أدبى ، فشغلوا بالخصومات الادبية التى لم ينشأ معظمها لاختلاف في وجهة النظر الادبية ، بل بسبب الاغراض الشخصية والنزعات الذاتية (٣) ٠

ولكن هذه الفوضى الادبية ما لبثت أن هدأت حين بدأ يحل محلها – منذ أواخر الثلاثينات من هذا القرن – اتجاه نقدى موضوعى على أيــدى كتاب أصابوا حظا من النضج الفكرى والقدرة الادبية مثل حمزة شحاته(٤) وحسين سرحان (٥) ٠ وقد اتسم هذا النوع من النقد بالرصانة والهدوء، واتصف بالاسلوب المنطقى والتفكير المحدد ٠ فلم يكن اداة هجوم بل كان وسيلة لتقويم الاثار الادبية ، وتبيان خصائصها الفنية ، وعناصرهـــا الجمالية ٠

واذا كان الكتاب قد شغلوا فى فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية بالمقالة النقدية ، فليس معنى ذلك أنهم أهملوا حينئذ المقالات الادبية الاخرى ، فقد عالجوا المقالة الذاتية الابداعية والمقالة الاجتماعية ، وظهر في هذين المجالين كتاب بلغوا في الاجادة والاصالة قدرا يضعهم في صف أعلام المقالة فى البلاد العربية الاخرى • ومن هؤلاء الكتاب — على سبيل المثال — حسين سرحان وأحمد السباعى ومحمد حسن عواد وحمد الجاسر واحمد عبد الغفور عطار وعبد القدوس الانصارى وعزيز ضياء •

أما الادب القصصى فقد تأخر ظهوره فى الادب السعودى ، حيث لم تأت المحاولة الاولى فى ميدان الفن القصصى الحديث الا عام ١٩٣٠ ،وذلك حينما أصدر عبد القدوس الانصارى روايته القصيرة « التوأمان » • وقد شهدت السنوات الخمس عشرة التالية ظهور رواية قصيرة اخرى هى قصة « الانتقام الطبيعى » لمحمد نور الجوهرى ، وصدور عدد كبير من القصص القصيرة • ولذلك فاق ما أسهم به الكتاب السعوديون فى مجال القصة القصيرة من حيث الكم ما انتجوه فى ميدان الرواية خلال الفترة التى انتهت بنهاية الحرب العالمية الثانية • وربما كان يعود ذلك الى ما لقيه فن القصة القصيرة من تشجيع ورعاية فى ظل الصحافة ولا سيما جريدة صوت الحجاز ومجلة المنهل •

ولعل ابرز سمات القصة القصيرة التى انتجت قبيل الحرب العالمية الثانية هو أن عنصر المضمون قد لقى من اهتمام الكتاب أكثر مما لقيه الاسلوب القصصى والبناء الفنى • فقد كانت لهذه القصص عظات تحاول ايضاحها ، أو آراء تريد اثباتها والدفاع عنها • واذا كان هناك من خلاف فيما بينها فانما هو فى الطريقة الفنية التى عولج بها الموضوع القصصى، فقد جانب التوفيق بعض الكتاب الذين لم يحذقوا الاسلوب القصصى ، ولكن عددا آخر من الكتاب مثل محمد على مغربى ومحمد أمين يحى ومحمد عالم الافغانى وأحمد رضا حوحو قد أصابوا شيئا من النجح فى قصصهم التى نشروها حينئذ فى مجلة المنهل •

وفى الحقيقة أن ما أسهم به كتاب القصة فى الفترة التى سبقت الحرب العالمية الثانية لا يقارن من حيث الكم والكيف بما انتجه زملاؤهم

المقاليون · فلم يزد ما أنتج فى ميدان الرواية حينئذ عن روايتين قصيرتين اتسمتا بالصبغة التهذيبية التعليمية ، أما القصص القصيرة فما كانت قليلة العدد ، ولكن معظمها كان شبيها بهاتين الروايتين من حيث كونها تهذيبية فى غرضها ، تجريبية فى طبيعتها ، كما أنها كانت عبارة عن مختصرات روائية أبرزت فى شكل قصص قصيرة · ورغم هذا فان عددا من هذه القصص القصيرة قد اتسم بشيء من النضج من حيث الرؤية الفنية وطريقة المعالجة القصصية ·

وقد تميزت الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الثانية بغزارة الانتاج الادبى ، فقد استمر كتاب المقالة فى نشاطهم ، واصدر كتاب القصة عددا من الروايات والصص القصيرة · أما في مجال المقالة الادبية فقد ظل أعلام الرعيل الاول مثل حسين سرحان وحمزة سحاته ومحمد حسن عواد وحمد الجاسر وعبد القدوس الانصارى وأحمد السباعى وأحمد عبد الغفور عطار ومحمد حسين زيدان وعزيز ضياء مخلصين لرسالتهم الادبية· كما برز حينئذ عدد آخر من المقاليين الذين حذقوا فن المقالة الادبية ، وتميزوا بأصالة الفكر مثل عبد الله عريف وعبد الكريم الجهيمان وعبد العزيز الرفاعى وعبدالله بن خميس وسعد البواردى وغازى القصيبى · وقد ظهر الى جانب هؤلاء الكتاب عدد كبير من كتاب الشباب الذين اتسمت أساليبهم بالحداثة والميل الى التجديد ، ولكن انصرافهم الى العمل الصحفى وانشغالهم بالمقالات الصحفية جعل الاجادة فى فن المقالة الادبية من نصيب كتاب الجيل الاول ·

وقد شهدت السنوات التى تلت الحرب العالمية الثانية فيضا من الادب القصصى ، حيث نشر عدد من الروايات والقصص القصيرة · ولعل أبرز كتاب القصة في هذه الفترة هما المرحوم حامد دمنهورى والاستاذ ابراهيم الناصر اللذان استطاعا أن يجعلا الرواية السعودية أشد اتصالا بالواقع ، وأكثر صدقا في تصوير البيئة ، كما أنها اهتما حين رسم الشخصيات الروائية بابرار الانفعالات النفسيه ، وتصوير المواقف الانسانية · (٦)

فى الشعر

ظلت الالوان الشعرية التى تستوحى تقاليد الشعر العربى في عصوره الاولى وفى عصور ضعف الدولة العربية مسيطرة على شعر الجزيرة

العربية فى القرن التاسع عشر وأوائل هذا القرن (٧) ، ولكن حيث أن هذه البلادقد بدأت في مطلع القرن العشرين تأخذ بوسائل الحياة الثقافية الجديدة ، فانه لم يمض الربع الاول من القرن العشرين الا وقد بدت دعوة التجديد فى الشعر السعودى قوية واضحة .

واذا كان انتاج الادباء السعوديين فى ميدان الفن القصصى أقل من حيث المستوى من آثار زملائهم فى بعض البيئات العربية الاخرى ، فان انتاجهم الشعرى لم يكن أقل أصالة وابداعا من شعر البلاد العربيةالاخرى.

لقد ظهر فى هذه البلاد عشرات من الشعراء ، ولعل من ابرزهم حمزة شحاته ومحمد حسن فقى وحسين سرحان وحسن عبد الله القرشى وناصر بوحميد وغازى القصيبى ومحمد العامر الرميح . ولكل واحد من هؤلاء الشعراء منحاه وطريقته فى الابداع الشعرى ، فقد حفل شعر حمزة شحاته بالاصالة الفكرية ، ولكن شيئا من آثار أسلوب المقالى قد يتسلل الى بعض قصائده (٨) . أما محمد حسن فقى ـ الذى اتخذ الشعر أداة للتعبير عن مشاعره المرهفة ووجدانه المعذب ـ فقد امتزجت فى قصائده الفكرة التأملية المتشائمة بالروح الانسانية القلقة ، فأتى شعره بعثا لفن الشاعر العربى المتأمل أبى العلاء المعرى ، واسهاما فى ذلك النوع من الادب الانسانى المعاصر الذى يتأمل فى مصير الانسان فيتسم بروح القلق ، ويصطبغ بنغمة التشاؤم . ولكن هذا النغم الحزين الذى استمرأه الشاعر محمد حسن فقى قد جعل شعره يقع أحيانا فى الايغال العاطفى ، والتكرار المعنوى (٩) .

واذا استأثرت الروح التأملية الحزينة بأكثر ما نظمه محمد حسن فقى ، فقد ظلت همومه الانسانية متجددة لا تنقضى ، واصيب بالقلق ازاء الواقع البشرى الاليم ، وأخذت نفسه تغرق فى أشواقها الصوفية وحنينها الى المثل الاعلى .

قال فى قصيدته « السارى والليل » :

يا ليل ما تجدى الشكاة .. اذا قسوت فكنت صخرا
هذا الظلام متى يذوب .. وقد تكاثف واسبطرا
أأظل أخبط فيه عمرى .. ساء هذا العمر عمرا
لم ألق نجما يهتدينى السرى أو ألق بدرا

أفهل أرى الروض الانيق غدا وانشق منه عطرا
وأرى الغدير وقد تدفق والغصون تميل سكرى
وأرى البلابل تسكب الالحان في الارواح خمرا
وأرى الرفاق الغر بعد النأى والزمن الاغرا
ويقول لى الليل الرهيب ·· وقد تبدى النور غفرا
أم أنني فى السفر سفر الليل ما انفك سطرا
أسرى به كالطيف ينشد في الغيافي السود قبرا
ويرى الحياة وقد دهته فما يطيق العيش خسرا

★ ★ ★

عصرتنى الايام حتى ما تطيق اليوم عصرا
وغدوت لاحسا نعمت به ·· ولا استثمرت فكرا
ياليل انى قد الفتك دون هذا الناس طرا
ما عدت أخشى من غياهبك الفواجع وهى تترى
أنا قطعة منها غدوت وصرت أعمق منك غورا
وأنا الذى نورى سيغمر هذه الآفاق غمرا
فأنير للاجيال حاضرها ومقبلها الممرا
ولرب عصفور يعود بقسوة الايام نسرا
ولرب مرهوب يعود بكرة الايام ذكرى
آثرت رقما فاستحال الرقم فى كفى صفرا
يا ريحه هلا استحال نجاسه فى الكف تبرا
نسى المواجد من رأى فى أهلها نسبا وصهرا (١٠)

ومن الشعراء السعوديين المبرزين الذين اتخذوا الشعر أداة للتعبير عن تجاربهم الخاصة ، وتصوير مواقفهم الحياتية الشاعر حسين سرحـان · ورغم أن ديوانه قد حفل بالقصائد التى تتسم بالروح المرحة واللمحات الساخرة ، الا أن شعره لم يخل من لحظات تأملية رجع فيها الى نفسه ،وتأمل فى مسيرة حياته · ومن هذا اللون تلك القصيدة التى أنشأها بعد أن بلغ الخمسين من عمره ، ومما قاله فيها :

تطلـــع للخمسيـــن حتى اذا بـــدت
معالمها وانجـــاب عنهـــا حجابهـــا

غدا متعبـــا والعيش يزهـــر مثلمـــا
غدا ناصلا عن ذات ظلفر خضابهـا

وقد كــــان يرجــو بعد خمسين حجة
قرارا لنفس قد أجد عذابهـــــا

ويأمل من بعد التطـــــوح راحـــة
ألا أين ؟ لا أين استقر ركابهـــــا

ألا ربمـــا سيم الفتى شــــؤم خطة
فأتى توقيها وكيف احتقابهـــا ؟

أخمسون عاما قد طويت كأنهـــا
منـــام توشيه الـــرؤى وكذابهـــا

وقد برمت نفسى علائل عيشهـــا
فكيف وقد ولت وأقبل صـابها !!

واذا كان الشاعران محمد حسن فقى وحسين سرحان قد عاشا فـى اطار التقاليد الشعرية للادب العربى العريق حين صاغا تجاربها ، فـــان عددا آخر من الشعراء قد جربوا الاشكال الشعرية الجديدة ، واتخذوا الشعر وسيلة للتعبير عن مواقفهم ازاء الاحداث السياسية والاجتماعيـة المعاصرة · فقد شغف الشاعران حسن عبدالله القرشى وغازى القصيبى بالشعر الحر ووجداه أداة طيعة مرنة استخدماها فى ابداع شعرهما الذى عالجا فى معظمه القضايا الوطنية ·

ولم يكتف الشاعر محمد العامر الرميح بالتجديد فى الشكل ولكنه أراد أن يجدد فى المضمون كذلك ، فأتى شعره مزيجا من الصور الرمزية والخواطر السريالية (١٢) · واذا كانت تجربة الرميح قد ظلت غامضة كغموض الرموز اللاشعورية التى استخدمها ، فان تجربة الشاعر ناصـــر بوحيمد كانت أكثر وضوحا وتوفيقا ، فلقد استخدم هذا الشاعر شيئا من الرمز الصوفى ، ولكن كان فى عبارته الرشيقة المجنحة ، وموسيقاه الشعرية المعذبة ، من الرونق والبهاء · ومثال ذلك قصيدته « أفاق » التى قال فيها :

ضاقت بنا الآفاق
يا أيها العملاق
فى عالم ليس به
حب ولا أشواق
الناس فيه صور
ميتة الاحداق
ليس على وجوههم
بشر ولا اشواق
مات الوجود فيها
وجفت الاعماق
فؤادى الخفاق
ضاق به الحسن
لم يبق عندى أمل
لم يطوه اليأس

يا أيها العملاق
قد ضحك الرمس
الناس حولى جثث
لموتها عرس
اعبر بنا الآفاق
قد ضاقت النفس
أخاف أن يفلت منى
الغد والأمس
دونك هذا معبرا
تضيئه الشمس
فلننطلق على دروبه
ولا نقسو
فالناس فيه عالم
يرعشه الهمس

(١٣)

ولقد تعددت بعد ذلك تجارب شعراء المملكة الناشئين ، فجربـوا مختلف الاشكال الشعرية الجديدة ، وجابوا كثيرا من الافاق الشعرية الحديثة ولكن بعض هذه المحاولات كانت شبيهة بتلك التجارب التى قام بها نفر من الشعراء المعاصرين فى البلاد العربية الاخرى من حيث أنها ظلت غريبة عن الذوق العربى العام ، يلفها الغموض ، وتختلط فيها الرؤى ، ويصعب أحيانا على الناقد أن يميز أصيلها مما هو مجرد تقليد للاثار الشعريـة العالمية المعاصرة .

ومهما يكن الامر فان أولئك الشعراء الذين واءموا بين الرؤيـة الشعرية الجديدة والتقاليد العربية العريقة مثل محمد حسن فقى وحسين سرحان وناصر بوحيمد وغازى القصيبى كانوا أكثر توفيقا من حيـث وضوح التجربة الشعرية والقدرة على التفاعل مع قارىء الشعر العربى الذى تأسره العبارة الشعرية الرشيقة ، وتخلب لبه الرؤية الشعريـة الواضحة .

★ ★ ★

وتبين من هذه الدراسة الموجزة أن حركة الادب الحديث فى المملكة العربية السسعودية قد بدأت متأخرة نوعا ما عما يماثلها من حركات في بعض البلدان العربية الاخرى كمصر والعراق وبلاد الشام ، اذ ارتبطت نشأة الادب السعودى الحديث بتوحيد المملكة السعودية فى أوائل الثلاثينات من هذا القرن ٠

وأذا كان الادباء السعوديون لم يصـــلوا بعد في مجـــال الفنون النثرية الحديثة كالقصة والمسرحية الى مستوى فنى يضاهى ذلك المستوى الذى بلغه أعلام الرواية والمسرحية فى بعض البيئات العربية الاخرى ، فانهم قـــد حققوا في ميدان الفنون العربية الاصيلة كالشعر والمقال قدرا طيبا من الابداع الفنى والاصالة الفكرية ٠

وعندما يتأمل القارىء فى مسيرة الادب الحديث بهذه البلاد ، يجد أنها قد اتسمت بالتطور الدائب والتقدم المستمر ٠ فقد استطاع الادباء أن يحولوا هذا الادب عن وجهته التقليدية ، وأن يصبغوه بصبغة التجديد، بحيث أصبح قادرا على مواكبة تلك النظريات النقدية الحديثة التى تدعو الى الاصالة الادبية والابداع الفنى ٠ وقد وفق الادباء السعوديون في أن ينتجوا انتاجا أدبيا قيما ، وأن يسهموا في حركة الادب العربى الحديث بآثار أدبية اتسمت بطابعهم وعبرت عن شخصيتهم ٠

د.محمد عبد الرحمن الشامخ

المصادر والهوامش

١ ـ انظر مقدمة ديوانه المخطوط « روح الشعر العربي » الــذى ألفه عام ١٩٢٤ ويوجد فى مكتبة مكة المكرمة بمكة بدون رقم ٠ وانظر كذلك كتابه « خواطر مصرحة » الذى نشرته المكتبة الحجازية بمكة سنة ١٩٢٦ ٠ وانظر بحث الدكتور منصور الحازمى « معالم التجديد فى الادب السعودى بين الحربين العالميتين » . مجلة الدارة ، السنة الاولى ، العدد الثانى يونيه ١٩٧٥ ٠ ص ١٠ ـ ٢٥ ٠

٢ ـ انظر كتاب « أدب الحجاز أو صفحة فكرية من أدب الناشئـــة الحجازية شعرا ونثرا » جمعه ورتبه محمد سرور الصبان ونشرته المكتبة الحجازية بمكة سنة ١٩٢٦ ٠ وانظر كذلك كتاب « المعرض أو آراء شبان الحجاز فى اللغة العربية » جمعه ورتبه محمد سرور الصبان ، المطبعـــة العربية بمصر ١٩٢٦ ٠

٣ ـ انظر على سبيل المثال العدد ٨١ (١ ـ ١١ ـ ١٩٣٣) مـــن جريدة صوت الحجاز وما تلاه من أعداد حيث نقد محمد حسن عواد قصة قصيرة نشرها عبد القدوس الانصارى فى هذه الجريدة ٠ وانظر كذلك ما قاله محرر جريدة صوت الحجاز عن المعارك النقديـــة فى العدد ٩٦ (١٩ ـ ٢ ـ ١٩٣٤) ٠

٤ ـ انظر مثلا مقالته « بين الجمال والنقد » جريدة صوت الحجاز عدد ٤٤٩ (٢٥ ـ ٢ ـ ١٩٤٠) وعدد ٤٥٠ (٢٨ ـ ٢ ١٩٤٠) ٠

٥ ـ انظر على سبيل المثال مقالته « صلة الادب بالحياة » ، جريدة صوت الحجاز ، عدد ١٨١ فى ٥ ـ ١١ ـ ١٩٣٥ ٠

٦ ـ يوجد المزيد من التفصيل حول هذا الموضوع فى بحث الدكتور منصور الحازمى « الرواية فى الادب السعودى الحديث » ، مجلة كليـــة الاداب بجامعة الرياض ، المجلد الثالث ١٩٧٤ ٠

٧ ـ انظر عبد الرحيم ابو بكر ، « الشعر الحديث في الحجاز » ، ص ٨٤ ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٩٧٧ ٠

٨ ـ انظر على سبيل المثال قصيدته « ملحمة » التى نشرت فـــى كتاب « الشعراء الثلاثة فى الحجاز » جمع وترتيب عبد السلام طاهـــر الساسى ، ص ٥٠ ـ ٥٤ ٠ مطبعة دار الكتاب العربى ، القاهرة ١٣٦٨ هـ

٩ ـ انظر مثلا قصيدته « زفرات » فى ديوانه « قدر ورجل » ، ص ٣٥٥ ـ ٣٥٧ ، الدار السعودية للنشر ، جدة ١٩٦٧ ٠

١٠ـ المصدر السابق ، ص ٢٩٥ ـ ٢٩٧ ٠

١١ـ ديوان « أجنحة بلا ريش » ، ص ١٣٥ ، بيروت ، بدون تاريخ

١٢ـ انظر ديوانه « جدران الصمت ـ شعر رمزى » منشورات مجلة بيروت ١٩٧٤ ٠

١٣ـ ديوان « قلق » ، ص ٨٧ ـ٩٠ ، دار الكاتب العربى ، بيروت بدون تاريخ٠

الانسان والارض

الرف القاري

الحدود الجديدة لانسان العصر

للدكتور عبد الحليم منتصر

لم تعد الارض بحدودها العالية ، تكفى قطانها ، الذين يتزايدون يوما بعد يوم ، بل يتضاعف عددهم ، كل ربع قرن من الزمان ، فيما يقول المختصون ، فاذا كانت الارض لا تكفى سكانها الحاليين ، انهم يلتهمون كل ما تنتجه الارض غذاء ، ويقدر الخبراء أن ملايين منهم يموتون جوعا ، أو على الاقل من سوء التغذية ، وما يتبعها وينشا عنها من امراض ٠

وتتضافر مشكلات أخرى تزيد الحالة سوءا ، مثل استنفاد الموارد من معدنية وعناصر وفلزات لا غنى عنها للصناعة ،اوالتلويث الذى يعيش فى الماء والهواء والتربة فسادا ، فيغص على الاحياء ، حياتهم ، الى استنفاد لموارد الطاقة الحفرية من فحم ونفط وغاز طبيعى ٠

لذلك كان على الانسان أن يفكر ويقدر ويرسم ويخطط ، لاصـلاح مزيد من الارض ، لاستصلاحها فتزرع بمحاصيل تنتج ما يكفى من غذاء ولن يعمل على استنباط سلالات تكون أوفر غله ، كما يسعى الى استغلال موارد ما تزال بكرا لم تستغل فى قيعان البحار والمحيطات بحثا عن موارد جديدة ، بل بحثا عن أرض جديدة يستغلها ٠

وقد فكر الانسان فى أن يذهب بعيدا عن شاطىء البحر ، ولا يعود يعترف به حدودا طبيعية لارضه ، أنما هو هذا الامتداد الطبيعى للارض على عمق عشرات او مئات الامتار تحت سطح الماء ، انه ما يسمونه الرف القارى ، أو الرصيف القارى ، أو الجرف القارى ٠

ويقدر الخبراء مساحة أوروبا وامريكا الجنوبية ، كما يقدرون أنه يحوى ٩٠٪ من الثروة السمكية ، ومثلها من النفط والغاز الطبيعى ٠ وهى كميات ليست قليلة ٠

بيد أن هذه الموارد من الثروة والطاقة تحتاج الى جهد كبير ورأس مال اكبر يستغل لاستخراج هذه الموارد وتلك الطاقات ، حتى يستطيع الانسان أن يتابع مسيرته على هذا الكوكب ، ينبغى أن يستغل الانسان ما وهبه الله من عقل ووفقه اليه من علم ومعرفة ليدلف الى اعماق أكثرواكثر مستعينا بملابس خاصة وأجهزة خاصة لاجراء ، ما يلزم من دراســات وبحوث ٠

فخليج المكسيك ذو المياه الدافئة وأغواره الضحلة ، عامر بكميات هائلة من الجمبرى الذى يدر ثروات تزيد كثيرا كما تدره أنواع اخرى مما يصيده صيادو الولايات المتحدة الامريكيه من أسماك وقشرات أخرى ٠ كما تحتضن رفوف أخرى ثروات اخرى من الاحياء البحرية ، ليس من اليسير تقدير قيمتها ٠

وستتجه المصايد فى المستقبل وجهة أخرى ، عندما ينجح العلماء فى ابتكار طرق جديدة لاستزراع البحر واستغلاله ، وخاصة فى قيعان البحار عند هذه الرفوف القارية ٠

وفي تجربة اجريت قرب شواطىء كاليفورنيا ، أنزل قفص به مواد غذائية وسط سحابة كثيفة من الاسماك فى قاع احد الارصفة ، ما لبث

أن جاءته الاسماك من كل مكان ، استطاع الخبراء أن ينظموا غمرها ثم رفعها حينا بعد أخر وانها لتحمل اطنانا واطنانا مما يلزم لتغذية الانسان

وقد كررت التجربة فى مضيق « سانت بربارا » ، حيث أدلى نحو ٢٥٠ من الاقفاص الصغيرة ، اندفعت اليها ألوف الاسماك من الشواطىء والقيعان ، تغتذى بما فى الاقفاص من غذاء ، لتسمن ويزيد وزنها بل يتضاعف • وقد استطاعت الشركات استغلال هذا المشروع على مستوى تجارى مربح ، ويمكن اطلاق امهات من هذه الاسماك ، لتبيض وتفرخ من جديد بالقرب من أقفاص اخرى ٠٠ وهكذا ٠ كذلك نجحت تجربة أخرى

فى خليج المكسيك ، بتهيئة بيئة أخرى بحرية غذائية مناسبة لاعداد لا حصر لها من الكائنات البحرية ، تهفو الى حيث الملجأ والغذاء ٠

الرفوف القارية ومواد الطاقة

من المعلوم أن مصادر الطاقة محدودة معلومة ، انها الشمس والريح والماء والفحم والزيت والذرة ، انها المصادر المعروفة ، والتى كشف عنها العلم والعقل البشرى ، وكما كشف عن تحويلها من صورة الى أخرى ، انه البحث عن طرائق جديدة لاستنباطها وتطوير الطرائق المعروفة ، واستغلال التقنيات والاجهزة الحديثة التى يبتكر العلم كل يوم منها جديدا ، ولعل الرفوف القارية ماتزال بكرا فى هذا المجال ٠

وهناك مساحات شاسعة من الرف القارى ، تحد الولايات المتحدة من ناحية خليج « الاسكا » على امتداد شواطىء المحيط الهادى وبحر «بوفورت» ، وهناك الرف الشرقى لامريكا الشمالية ، الذى يعتبر أغنى جهات العالم فى التصنيع ، وأحوجها الى مصادر الطاقة والشعوب المحيطة بشمال الاطلنطى ، حيث بدأ اكبر مشروع لاستغلال الرف هناك حيث يحفرون على عمق ٦٠٠ قدم وعلى بعد ٢٠٠ متر ، وهو امتداد الرف هناك أما على شاطىء الاطلنطى ، فيتراوح العمق بين ١٠ أمتار و ١٥٠ مترا ، كما يصل البعد عن الشاطىء الى ١٣٠ مترا وان امتد فى بعض المواقع الى خمسة أميال أو ثمانمائة ميل ٠ وانما تعرف نهاية الرف القارى بالانحدار المفاجىء الشديد الى قعر البحر الذى يبعد خمسة الاف متر فى المتوسط ٠

أم القـــــارات

يقول الجيولوجيون ان القارات الست والسبع ما هى الا كتل مـن الجرانيت الخفيف تطفو فوق سطح البازلت الثقيل ، ومنذ ٢٠٠ مليون سنة ، كانت هناك كتلة أرضية واحدة هى ام القارات ، التى تشققـت وانفصلت أخيرا الى هذا العدد من القارات ، كافريقيا وامريكا الشمالية ثم أوروبا ، ومع هذا الانفصال ، تقذف الانهار ما تحمله من عوالـق ورواسب الى البحر ، حيث تتجمع على حواف الكتـل الارضية الجدندة ،

وكذلك بدأ تكون الرفوف الجديدة على حواف القارات المختلفة التىتحولت اليها أم القارات ، ان هى الا رواسب تغطى القواعد والاسس البازلتية ٠ كما قذفت الثلاجات أو المثالج التي تغطى المرتفعات والجبال والاجزاء الشمالية ، فوجدت اسنان الماموث ، وعظام السلوث على عمق تسعين مترا كما وجدوا التربة العضوية التى تحوى حشائش وحبوب لقاح واغصان وزروع متحجرة أو متفحمة ، مما يدل على أن هذه السطوح كانت عامـرة بالكائنات الحية التى تحولت مع الزمن تحت الضغط والحرارة الى فحم أو نفط أو غاز طبيعى ، مما يسمى بالوقود الحفرى ٠

ملكية الرفوف القارية

اذا كانت الرفوف القارية لكل قارة ، انما هى امتداد لارضها تحت سطح الماء ، أى انها تتبعها ، فمن يملكها ؟ هناك خلاف فى الراى بيـن القانونيين والاقتصاديين فمن يملك الرفوف القارية ، والى أى مـدى يمتلكها ، وماذا عن المياه الاقليمية ، التى تظاهر الرفوف ، ومن يملك

البحار وأعاليها ٠ انها مشكلات لا تتحمل الجدل ، لانها مسألة حياة أو موت فعلى حين أن الارض تتقلص وتتآكل ، والصحارى تزحف ، والانتاجالغذائى لا يكفى ، وان المؤتمرات لتعقد وتنفض ، بحثا عن قرار جماعى بتحديد المياه الاقليمية والبحث عمن يملك البحر ٠ وانهم ليختلفون اكثر ممـا يتفقون ٠

هيئة الامم المتحدة

وقانون البحـــار

ولقد نظمت هيئة الامم المتحدة أول مؤتمر لقانون البحار فى جنيف ١٩٥٨ واجتمع ممثلو ست وثمانين دولة ، واتفقوا على أن الشعـــــوب الشاطئية ، تتولى البحث عن الموارد فى الرفوف القارية المجاورة لها ، وتستطيع أن تمد بحثها الى ابعد من عمق ٢٠ مترا ولكن حتى الان لـــم توقع بروتوكولات ولا معاهدات ، وانما استمرت المناقشات وقد عقـــد المؤتمر الثانى سنة ١٩٦٠ ، ومع ذلك لم تحل المشكلة ، وحتى المؤتمرات التى عقدت أخيرا فى نيويورك ، وكراكاس ، وفنزويلا ، لم تنته الـــى قرار ، ولم تحل المشكلة ، وخاصة بالنسبة لتملك ما يستكشف مــــن معادن فى قاع المحيط فى المياه الدولية البعيدة عن تملك أى دولة ٠

ويبدو أن هناك شبه اتفاق على نطاق بحرى يبعد عن الشاطىء ١٢ ميلا بحريا ، ثم منطقة مياه تستغل اقتصاديا تبعد بمقدار ٢٠٠ ميل بحرى الا أن ذلك لم يأخذ الشكل القانونى بعد ٠

وقد جرت عادة الدول ، أو حكامها ، على اطلاق اسماء ترتضيها على ما يقربها من بحار ، ففى عهد الامبراطورية الرومانية أطلق يوليوســـ قيصر على البحر المتوسط اسم « بحرنا » ٠ ولما هزمت انجلترا اسبانيا الارمادا ١٥٨٨ ، غدت انجلترا سيدة البحار وفى سنة ١٦٠٤ ادعى ملكية البحار المحيطة ببريطانيا العظمى ، وسماها الملـــك جيمس « بحارنا » وكذلك ادعت السويد ملكية بحر البلطيق ، كما ادعت البرتغال ملكية الجزء الجنوبى الشرقى من الاطلنطى والمحيط الهندى ، كما أدعت اسبانيا ملكية غرب الاطلنطى ومعظم المحيط الهادى ، ونازعت هولندا البرتغال فى ادعاءاتها ٠

حرية البحـــار

وفى سنة ١٦٠٨ ، نشر سياسى هولندى هو « هوجر جرونيس » ، رايا ، ينادى بحرية البحار ، ناقش فيه حق الانسان فى ارتياد كل البحار

فانها حق لكل انسان ، فان الله قد خلق الشمس والهواء والماء لكل الناس، وليس شيء منها ملكا لاحد ، والبحر بصفة خاصة يقاوم الملكية ، فمن حق كل الناس أن يستغلوا ويرتادوا اعالي البحار واذا قيل ان المياه الاقليمية ، وهي لن ولم يتفق حتى الان على مدى امتدادها ، والتي قدرت يوما بثلاثة أميال ، ثم امتدت الى اثنى عشر ميلا ، ثم الى مائتى ميل بدعاوى أمتية ثم دعاوى اقتصادية واستغلالية ، فان أعالي البحار حق لكل من يمتلك وسائل ارتيادها واستغلالها ٠

وبالرغم من مناداة الدول البحرية باعاء ملكية المياه المجاورة ، فقد اقترح الرئيس الامريكى « جيفرسون »فى سنة ١٧٩٣ ، محذرا بريطانيا وفرنسا من أن الحياد الامريكى سيبقى محترما وخاصة فيما يسمى بقانون البحار على بعد ثلاثة اميال من الشاطىء ، ثم بعد ذلك امتدت هذه المياه الاقليمية الى اثنى عشر ميلا بحريا عن الشاطىء ٠

وبعد الحرب العالمية الثانية ، نشأت حركة ضد اسطول الولايات المتحدة لصيد « التونة » فان الدول الغنية بشواطئها ذات المصايد ، مثل « بيرو » على الشاطىء الغربى لامريكا الجنوبية ، ادعت بان ملكيتها في البحر ، تمتد الى ٢٠٠ ميل بحرى ، وقد ارتضت الولايات المتحدة هذا القانون واعتمدته ، وبذلك غدت ست وثلاثون دولة اخرى تقريبا هذا الاجراء في ملكية البحار ٠

ومع أن معظم الدول البحرية ، قد اقرت اعتبار المائتى ميل بحرى ، حقا مباحا للاستغلال والصيد ٠ الا آن التعدين والحفر في قاع البحر موضوع آخر ، فانه حسب قرارات المؤتمر ، فان الجزر كالقارات لها رفوف ، واذا كان الامر كذلك ، فان دولة كاليونان ، تملك عددا كبيرا من الجزر في بحر « ايجة »، تسطيع ان ترسم دوائر متداخلة ، أو متمركزة حول جزر الارخبيل ، وتدعى حقها الكامل لاستغلال قاع البحر هناك ٠

وعندما أعلن الرئيس ترومان أحقية امريكا فى استغلال قيعان البحار في رفوفها القارية ، فان معظم الشعوب اخذت من هذا الاعلان ، شرعية قانونية لاستغلال رفوفها ٠ بيد ان كشف كميات ضخمة من النفط بعيدا عن الشاطىء ، جعل دولا اخرى تبدى استياءا وتذمرا ٠ وان أكثر من ٥٠ بليون دولار ، تستثمر في استخراج الزيت والغاز بعيدا عن

الشواطىء ، مما ينتج فعلا ٢٠٪ من نفط العالم ٠

ويقول العلامة « امرى » ، ان البترول الموجود تحت البحر ، أكثر مما هو على الارض وحيثما يوجد بترول ، حتى في جوف الصحراء ، فان ذلك يدل على ان هذه الاماكن كانت يوما قاع بحر،وما البترول الانباتات وكائنات بحرية اغلب الامر ، عاشت احقابا طويلة ، ثم تحولت تحت الضغط والحرارة ٠ مع تعاقب الازمان والدهور عليها ، تحولت الى مواد بترولية ، هى ما يسيل له لعاب الامم ، غنيها وفقيرها ، بحثا عن مورد عظيم من موارد الطاقة ٠

عملية التحول الى نفط

قد لا يكون من المتيسر اعطاء فكرة دقيقة عن عملية التحول هذه ، ولكن يمكن أن يقال بصفة عامة ، انه لا بد كانت طبقات غنية بالمواد العضوية من الكائنات الحية الدقيقة اغلب الامر ، ترسبت في طبقات غنية خالية من الاكسجين ، حيث تستطيع البكتريا اللاهوائية ، أن تعيش وتجرى عمليات التحول مع الضغط والحرارة ، ويستمر ذلك عبر الدهور ٠ فتتم عملية التحول الى نفط . قد يصل سمكه الى ثلاثة كيلوا مترات تحت سطح الارض أو البحر ، وليس أثمن من النفط والغاز مما يمكن ان يستخرج من هذه الرفوف القارية ، ان هى الارمال وزلط تقذف على الشواطىء الشرقية للولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا ٠

مستقبل النفط تحت الماء

لقد استخرج في العام الماضى وحده ، ما قيمته سبعين بليون دولار ، من مثل هذه الرفوف القارية ، وهى ثروة تزيد على اربعة اضعاف ماصيد من الاسماك ويقول احد رجال الاعمال ، ان مستقبل الصناعات النفطية انما يمكن تحت الماء ولن نحاول ان نجد شرقا اوسط ثانية على الارض ، ولكنا سنأخذ في الحفر تحت الماء الى عمق ستة الاف قدم ، والبحث تحت الماء ايسر بكثير منه تحت الارض ٠

ويقدر العلماء ما سوف يستخرج من الرف القارى قرب الشاطىء الاطلنطى للولايات المتحدة بأربعة بلايين برميل من الزيت ، ونحو أربعة

عشر تربليون قدم من الغاز الطبيعي · وتتنافس الشركات الكبرى من الان للحصول على حق التنقيب في مساحات بعينها ، وقد دفعت فعلا ١/١ بليون دولار كرسوم ، للاذن بالحفر في ٩٣ موقعا قرب ولايتي نيوجرسى وديلاور وبولتيمور ·

الارض الموعودة

لكان هذه الرفوف القارية تحت سطح البحر ، هى الارض الموعودة ، التى يجد الانسان فيها قدره ورزقه وطاقته ، بعد أن اوشك ان يستنفذ

ما على ظهر اليابسة فان هذه الرفوف ، لتمثل خمس مساحة الارض الظاهرة حيث توجد مستودعات ضخمة للنفط والغاز ، لم تكد تستغل بعد ، بل لم تكد تغض بعد ، حيث على سطوحها ، تمرح تحت الماء ٩٠٪ من الثروة السمكية ، وعلى الانسان أن يبدأ في استغلال هذه الطاقات من وقود وغذاء وقد جهد الصيادون في اصطياد الاسماك من هذه المياه الضحلة نسبيا ، كما جهد الباحثون عن اللؤلؤ في قيعانها · وقد تحسس البحارة هـــذه الاعماق وقدروها بالطرق الصوتية ، فيقرأون الاعماق ، كأنهم يستعملون طريقة « بريل » ، وظل الحال كذلك حتى استعملت التقنيات الحديثـــة والاجهزة المتطورة ورسمت خرائط دقيقة لهذه الرفوف المتعاقبة ، على اعماق متتابعة ، حيث تتجمع في بعضها القاذورات والنفايات والكيماويات بل والقنابل والمفرقعات من مخلفات المصانع والحروب ·

والسؤال الذى يلقيه العلماء ورجال الاعمال ، كم تتكلف عمليات التنقيب ، والاستغلال والحفر ، واقامة المصانع على الشواطىء ؟ ومن رأى البعض ، ان الحكومات هى التى يجب ان تقوم بذلك بدلا من الشركات الخاصة · على ان نحو ثلاثين شركة ، قد بدأت فعلا العمل وستحفر ١٣٦ بئرا بدءا من فبراير سنة ١٩٧٩ م · كما ستبدأ عشر شركات أخرى الحفر في نوفمبر سنة ١٩٧٨ · كما اخذت معامل ومصانع اخرى تعمل تحت الماء في صيد الاسماك وتصنيعها منها ما يصنع اكثر من الف طن في الرحلة الواحدة ، وانها لتنظف وتعبأ وتجمد مباشرة استعدادا لرحلة العودة · وقد بدأت الولايات المتحدة الامريكية في التحكم في هذا الاستنزاف في حدود مائتى ميل بحرى بدءا من مارس سنة ١٩٧٧ ·

وانه كما توجد حدائق مثمرة ذات بهجة على حواف الصحـــارى القاحلة فوق سطح الارض فكذلك هى الرفوف القارية تحت سطح الماء قرب شواطىء الاطلنطى ، لايزيد عمقها على ١٣٠ مترا ، حيث الضـــوء والغذاء الكافيين ، وحيث تغترف لها الامواج مزيدا من الغذاء ، فتمرح الكائنات البحرية من اسماك وغيرها ، وتتكاثر وتغتذى وكذلك تتجدد المصادر . ويحدث التوازن البيئى الطبيعى ، وتدفن البقايا تحت الثرى لتتحول مع الزمن الى نفط وغاز ٠ وتجرى هذه التحولات منذ ١٨٠ مليون سنة منذ بدأت القارات تنفصل عن بعضها البعض ٠

مغامرة شبه مضمونة

انها مغامرة أو مقامرة ، تلك التى تقدم عليها الشركات ، بانفاق هذه المبالغ الطائلة في البحث والحفر والتنقيب والتصنيع والاستغلال ، انه بحث عن مجهول لا يعرف مقداره ، ولكنها مقامرة مأمونة في أغلب الاحيان . فيغطى العائد النفقات ، ويعطى ارباحا طائلة ٠ انها أرقام فلكية . تلك التى تنفقها الشركات في هذه المجالات ، وتقدر النفقـات المطلوبة للبحث والتنقيب بنحو ٣ر١ تريليون دولارا في العشر السنوات القادمة . علما بأن رصيد أكبر مائة مصرف في العالم لا يزيد على ٩ر١ تريليون دولارا ٠

واذا نظرنا الى معدل النفقة الحالية ، قلنا ان العالم يسعر نفسه لمستقبل . سيفوض الانسان الى هذه الرفوف القارية ، بحثا عن الوقود والطاقة . ولكن حاجته الاولى هى الغذاء وفى الواقع انه منذ كشـــف امريكا . كانت بالنسبة لاوروبا مصدرا للاسماك اذ أن ٩٠٪ من الغذا ، السمكى في العالم ، انما جاء من سطوح الرفوف القارية ٠ والسبب في أن هذه الثروة السمكية العظيمة ، تختص بها هذه الرفوف بسيط جدا ، انه الضوء . فنحن جميعا ندين للشمس وأشعتها ، التى تخترق الماء بدرجة ما حتى عمق الف قدم . ولا توجد أشعة كافية لنمو النباتات على عمق يزيد على ثلاثمائة أو أربعمائة قدم ٠

اكلات الشمس

وتبدأ سلسلة الاحياء فى البحر بالنباتات السابحة الهائمة الدقيقة فوق مياه الرف . هى التى تجرى عملية التمثيل الضوئى ، فعن طريق المادة

الخضراء تصنع بتأثير الطاقة الضوئية من الشمس الكربوهيدارات من ثاني اكسيد الكربون والماء ، وتغتذى الاوالى الحيوانية ، بهذه الهائمات النباتية، وهذه تغتذى بها الاسماك والقشريات ، التي يعتذى بها الانسان ، وعلى ذلك يمكن أن يسمى الانسان والحيوانات الاخرى التي تعيش على سطح الارض، انها اكلات الشمس • فالانسان والحيوانات الاخرى منذ بدء الخليقة يغتذى وتحرق يوميا ما انبعث من الشمس من طاقات عبر الفضاء •

ان نحو ثلاثة ارباع الكرة الارضية مغطى بالماء ، وعلى ذلك فمعظم الطاقة الشمسية التي تصل الى كوكب الارض ، انما يصيرها ويمتصها الماء وعلى ذلك فان ماء البحار انما هو خزان ومستودع عظيم للحرارة والطاقة الشمسية ، يمتص حرارة الشمس ، ويصرف منها على مدار السنة ، ولذا كانت الشواطيء تستمتع بمناخ اكثر اعتدالا من الاراضى البعيدة عن البحر•

عصر البحار

اخلق بالانسان الا يتناسى البحر ، فلا نفكر في الارض وحدها ، لقد اخذ هذا الاتجاه يتغير الان ، فقد كانت مياه البحار والمحيطات تعتبر عازلة للقارات والناس ، ولكنها الان اداة اتصال ومصدر طاقة ومورد غذاء وما مسألة المياه الاقليمية وحصرها في مائتى ميل الا لعبة سياسية تستعمل عند اللزوم ، انها بداية عصر البحار الذى ينبغى ان يسبق عصر الفضاء وعندما وجد صيادوا الولايات المتحدة ، أنهم مضطرون للتوقف عن الصيد، بعد ان جمعوا في شهور قليلة أكثر من ستين الف طن مترى من الاسماك من مياههم الاقليمية ضجوا واحتجوا ، اذ أن الاسماك ماتزال أمامهم تغريهم بمتابعة الصيد •

وتمتلك الولايات المتحدة الامريكية ، نحو عشرة بالمائة من الرفوف القارية في العالم وبحساب المائتى ميل من مياه اقليمية لهذه الشوطىء،فانها تمتلك أكثر من ٢٠٪ من مصائد العالم وموارد الاسماك فيه • اذ انها تعنى مساحة بحرية تقدر ٢ر٢ مليون ميل مربع ، آى مايساوى٪ مساحة الولايات المتحدة •

ولكن الاسماك لاتعنى كثيرا بقوانين الساسة ولا الملكية ، ولكنها تعنى أغلب الامر بقوانين الطبيعة من وفرة غذاء ، وبيئة مناسبة ، وحياة

مستقرة بالنسبة للتكاثر والانتاج ، حتى انها لتهاجر الوف الاميال لتجد الموقع الخصب المناسب ، والبيئة الملائمة ، حيث تتكاثر ، ثم تعود أنسالها من نفس الطريق الذى سلكته آباؤها من قبل ٠

وهل نعلم أننا اذا اكلنا رطلا من السمك ، فقد دمرنا وأهلكنا الف رطل من النباتات وان عشرة ارطال من الهائمات النباتية تصنع رطلا واحدا من الاوالى الحيوانية وهذه تصنع رطلا واحدا من الاسماك الصغيرة أو التشريات ، وان عشرة أرطال من هذه تصنع رطلا واحدا من السمك ، انها ١٠/١٠ = ٣/١٠ ٠

المستقبل للبحار

ان مستقبل الانسان على الارض ، بعد ان استنفد أو كاد موارد الارض الغذائية والمعدنية وطاقتها الحفرية ٠ باستثناء منطقة الشرق الاوسط والوطن العربى والافريقى ، الذى مازال فيه مئات الملايين الافدنة القابلة للزراعة ، وثروات معدنية وبترولية لم تستنفد بعد ــ انما يكمن في استغلال البحار واستزراعها ــ لا فى صيد اسماكها فحسب ــ ان فى رفوف القارة الغارقة (انتى اركتيكك) توجد انواع من الجنبرى، بكميات هائلة ، ولكن الحيتان الضخمة تلتهم كميات هائلة منها لتغتذى بها ويقدر العارفون انتاج هذه الرفوف بنحو ١٥٠ مليون طن مترى سنويا ، من هذه الكائنات البحرية أى ضعف ماينتجه العالم من اسماك ٠

وهاهى الانباء تتوالى تترى ، عن كشوف رائعة تحت مياه البحار ، في بحر الشمال وبحار اسلينده ، وكندا والقارة الغارقة من نفط وغاز بل وفحم وغيره من مصادر الطاقة مما يبشر بمستقبل رائع لحياة الانسان ، اذا استطاع بعمله وعقله وقدراته ان يحافظ على هذه الثروات ويحسن استغلالها ٠

وعلينا أن نحافظ على هذه البحار من التلوث الذى قد يودى بالاحياء البحرية فلا نلقى الزيوت والاحماض والمبيدات فيها ، حتى لا نهلك احياءها وندمر ثرواتها التى وهبنا الله اياها ٠ اذ انهم يقدرون ما نلفظه منطقة نيويورك وما حولها تلك التى يسكنها ١٨ مليون نسمة ، باربعة عشر مليونا من الاطنان من النفايات . مما رفع من قاع البحر في منطقة الرفوف بمقدار ٣٥ قدما ، في مساحة لاتزيد على ستة أميال مربعة ، مما له آثار كبيرة الخطر في التلوث ، أكبر بكثير مما تحمله الانهار وتصبه فيها ٠

ولكن أين نقذف بالنفايات اذا لم تسعها مياه البحار والمحيطات التى تحتل ثلاثة أرباع مساحة الكرة الارضية ٠

لقد مضى الزمن كنا نتندر فيه بالبحر ، وجاء الزمن يفرض علينا احترام البحر،واعتباره مصدرا عظيما من مصادر الثروة والطاقة والغذاء، وذلك عندما بدأنا نكشف كنوز رفوفه وقيعانه ٠

_ لقد ابتدعت أجهزة وادوات تسمح للعاملين بالعمل تحت سطح الماء أوقاتا طويلة ، ومع ذلك فما زلنا في اول الطريق ٠

خاتمة

وبعد : فهذه دراسة عن الانسان والبحر ، تعتبر مكملة لدراسة سابقة عن الانسان والارض ، ولقد كانت الاولى متشائمة أغلب الامر ، للمشاكل الخمس التى تعترض حياة الانسان على الارض ، من سكان ، وغذاء ، وصناعة ،وموارد طبيعية وتلوث ، وان كنت أعتقد ان الانسان ـ بفضل الله ـ قادر على التغلب عليها ومواجهتها واحدة بعد الاخرى ٠

أما هذه الدراسة عن الانسان والبحر ، فهى متفائلة الى ابعد الحدود بما تفتح من افاق الامل فى استغلال ثروات البحار من غذائية ومعدنية وطاقات وموارد ٠ بشرط أن نستغل ، ونحسن استغلال ما انعم الله به علينا من علم ومعرفة ؛ وان نستفيد من أخطاء الماضى وتجاربه ، فلا نكرر الاخطاء التى وقعنا فيها في حيـاتنا على الارض ؛ فنفيد منها في استغلالنا للبحار والمحيطات ورفوفها القارية ، والله من وراء القصد ، وهو ولى التوفيق ٠

المراجع

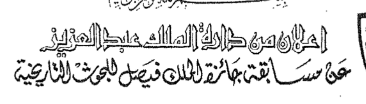
١ ـ موعدنا سنة ١٩٨٠ ـ بيير روندير

٢ ـ انها أرض واحدة فقط ـ باربارا وارد

٣ ـ حدود النمو ـ دونيل ميدوز ـ وليم بيرز

٤ ـ رسالة العلم ـ مجلة علمية ـ ربع سنوية ـ تصدر في القاهرة

٥ـ الرف القارى ـ لويس مارون ـ الجمعية الجغرافية الامريكية ٠ ابريل سنة ١٩٧٨



تعلن دارة الملك عبد العزيز عن اجراء مسابقة «جائزة الملك فيصل للبحوث التاريخية» في المواضيع التالية :

أ ـ مؤرخوا الجزيرة العربية من أهلها خلال القرن الثالث عشر الهجرى

ب ـ الملك فيصل والقضية الفلسطينية ٠

جـ ـ ظاهرة الامن في عهد الملك عبد العزيز ٠

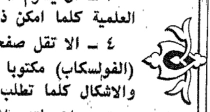
وقد خصص لكل موضوع من هذه الموضوعات الثلاثة جائزتان ، أولى وقدرها أربعون الف ريال سعودى ، وأخرى وقدرها خمسة وعشرون الف ريال سعودى وذلك بالشروط التالية :

١ ـ ان يكون البحث جديدا لم يسبق نشره باللغة العربية أو غيرها من اللغات ٠

٢ ـ ان يكون البحث المقدم باللغة العربية ، ويجوز ان يقدم باللغة الانجليزية أو الفرنسية مع خلاصة وافية له باللغة العربية ٠

٣ ـ ان يلتزم المتسابق بقواعد البحث العلمى المدعم بالوثائق والمصادر العلمية كلما امكن ذلك ٠





٤ ـ الا تقل صفحات البحث عن مائة وخمسين صفحة من القطع الكبير (الفولسكاب) مكتوبا على الالة الكاتبة ، ومزودا بالرسوم والخرائط والاشكال كلما تطلب الامر ذلك ٠

٥ ـ ان يلتزم المتسابق باعداد الفهارس العلمية المطلوبة للبحث ٠

٦ ـ يرسل من البحث المعد خمس نسخ بأسم أمين عام دارة الملك عبد العزيز على عنوان الدارة ٠٠ ولن ترد البحوث غير الفائزة لاصحابها ٠

٧ ـ قيمة الجوائز هي تعويض للباحث عن التنازل للدارة عن حقوق طبع بحثه ونشره لحسابها لمرة واحدة ، ولمدة ثلاث سنوات ٠

٨ ـ يفضل ان يقوم المتسابق باشعار الدارة خطيا بدخوله المسابقة وتحديد الموضوع الذى سيقوم بالبحث فيه ٠٠ وذلك خلال مدة لا تتجاوز ثلاثة اشهر من تاريخ الاعلان ٠٠

٩ ـ مدة طرح المسابقة عشرة أشهر تبدأ من غرة ربيع الاخر ١٣٩٩ هـ وتنتهى في نهاية محرم ١٤٠٠ هـ (اوائل مارس ٧٩ حتى آواخر ديسمبر ١٩٧٩) وهو آخر موعد لقبول البحث ٠

١٠ ـ عن اى استفسار يتعلق بهذه المسابقة يرجى الاتصال بدارة الملك عبد العزيز على عنوانها التالى : ـ

دارة الملك عبد العزيز
المملكة العربية السعودية ـ الرياض
صندوق بريد رقم (٢٩٤٥) تليفون رقم (٣٨٦٤٦)



مع تمنيات دارة الملك عبد العزيز للجميع بالتوفيق ٠



تحرص الدارة دائما
وكالعهد بها أن تقدم
لقارئها كل دراسة
هادفة تتناول قضية
التـــراث العربى
الاسلامى باعتبار هذا
الموضوع من أهم القضايا
التى شغلت العلماء
والمتخصصين فى مجالات
الفكر والادب والتراث

للدكتور
عبد الوهاب عبد السلام ابو النور

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعــوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلاهادى له ، ونشهد أن لا الله الا الله وحده لا شريك له ، وأن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وسلم ،

أما بعد ..

فان قضية التراث العربى الاسلامى من اهم القضايا التى شغلت المثقفين والعلماء والمفكرين في العصر الحديث ، ومنذ بدأ اتصالنا بالحضارة الغربية الحديثة ولا تزال حتى الان حية متجددة ، لما كان لهذا التراث من قيمة في الماضى ، ولما له في الحاضر والمستقبل من أهمية قصوى ، اذ هو يمثل قيما ثابتة هى الملجــا والملاذ للامة الاسلامية .

وقد كتب عن التراث الكثير ، وقيل عنه الكثير ، وكان موضوعــا لمناقشات حامية بين المثقفين ورجال الفكر . وقد حــاول مخلصــون من أبناء امتنا ، مدفوعين بدافع الحب والحماسة له ، العمل على خدمتــه ، بالنشر والتحقيق تارة ، ودراسة موضوعاته تارة اخرى ، كما كان جزءا من نشاط بعض الهيئات والمؤسسات العلمية . وقد بذل هؤلاء جميعــا الجهد في سبيل الوصول بامتراث الى الصورة التى نرضاها له .

ورغم هذه الجهود والمحاولات فثمة حقيقة هامة يجدر الا تغيب عن بالنا ، وهى أن الاعمال السابقة ، على قيمتها وجدواها ، لم تصل بالتراث الى مانرجوه ويرجوه له محبوه ، فالكثير من أجزائه ليس بين أيدينا الان اذ تقتنيه مكتبات أجنبية في الشرق أو في الغرب ، أو تحويه مكتبــات الافراد ، ولم توضع بعد خطة شاملة لحصره وجمعه وفهرسته ، ونشره وتحقيقه وخدمته ، وهذا من شأنه أن يعطل اجراء الدراسات العلميةالمبتغاه والتى تؤدى الى الكشف عن كنوزه .

ان ما نود أن نذكره الان هو أن حالة تراثنا الفكرى وقصور الجهود

التى تبذل لخدمته يجعلان من الضرورى اعادة طرح قضاياه على العلماء والباحثين والمفكرين ولذلك فرغم كل ما كتب عن التراث فنحن نعيد طرح قضيته من زوايا نرجو أن تكون جديدة وأن تغطى جوانب لم يتطرق اليها الباحثون أو لم يعطوها ما هى جديرة به من اهمية ، فهو طرح جديد لقضية قديمة . ونحن نستهدف بذلك تحقيق عدة أمور :

أولا : توضيح أهمية التراث فى وصل ماضى الامة ، وبيان أن قيمته لا ترتكز على قيمة دينية ولغوية فحسب ، ولا تبنى على الحماسة له فقط دون قناعة موضوعية ، بل أن له دورا حيويا فى حياة الامة الاسلامية فى الحاضر والمستقبل .

ثانيا : اسماع صوت التراث للناس ، ففى عصرنا الحاضر تغلب أصوات اخرى كثيرة بحيث ضاع أو كاد صوت المتحدثين عن التراث فى خضم هذا الزحام ، فلا عجب اذا وجدنا أن الكثيرين ممن يدخلون فى عداد المثقفين والغالبية من الشباب لا يكادون يعرفون عن التراث الكثير أو القليل ، ولا يكادون يعرفون عن اعلامه شيئا ، بل أن البعض منهم قد يتخذ من غرابة اسمائهم موضوعا للهزء والسخرية والتندر ، بينما هم فى ذات الوقت يعرفون أدق الدقائق والتفاصيل عن نجوم الادب والفن والرياضة فى الشرق أو الغرب ممن لا ينتمون الى بيئتنا ولا يكونون أدنى قدر من وجداننا . وهى غربة للتراث بين أهله لا ترضى محبيه العارفين لقدرة الحريصين على مستقبله .

ثالثا : يرتبط بالنقطة السابقة ضرورة تعريف الشباب بقيمة التراث وتعريفهم بأسلافهم العظام ، حتى يأخذوا منهم القدوة والاسوة والمثل ولا يلتمسوها من أعلام فى الشرق أو فى الغرب ، وحينئذ يدركون أن أعلامهم كانوا ، وبكل المقاييس ، ممن تفخر بهم أية أمة ، وتزدان بهم أية حضارة.

ولا شك أن هذا يعطيهم الثقة بأنفسهم ويؤكد أن التقدم ممكن ما امتلك الانسان اسبابه ، وأنه ليس حكرا لجنس أو شعب ، بل أن العلم يدين للجهد والعمل المنبثقين من الايمان .

رابعا : ويرتبط بهذا أيضا توجيه انظار شباب الباحثين الى قيمة التراث

وأصالته وخصوبته ، والى جدوى البحث فيه والتنقيب عن كنوزه ، بما فى ذلك من قيمة علمية محققة ترضى كرامة الباحث ، حتى لا تخلبهم موضوعات أكثر بريقا ولمعانا • كذلك من الضرورى في هذا الصدد توجيه انظـــار التربويين والقائمين على أمور التعليم فى المدارس والجامعات الى ضرورة توجيه الدراسة الى جوانب التراث فى كل مجالات العلم التى كان لسلفنا اسهام فيها ، أحياء لهذا التراث من جهة وحتى لا ينقرض المشتغلون بـه من جهة أخرى •

خامسا : وضع خطة شاملة لحصر التراث وفهرسته وجمعـــه ، ثم نشره وتحقيقة وصدمته ، ثم دراسته الدراسة العلمية المبتغاة التى تكشف عن جوانب القوة والاصالة فيه ، وهى خطة تتضمن عناصر وأبعاد جديدة تكون فى مجموعها برنامجا متكاملا ، يمكن اذا تحقق أن يصل بالتراث الى ما نرجوه له من خير •

هذه هى الاهداف التى نتوخاها من اعادة طرح قضية التراث راجين أن نوفق الى اثارة الاهتمام بهذه القضية وأن تلقى ما هى جديرة به من الدراسة والاستجابة •

ابعاد التراث :

قد يكون من المفيد أن نبدأ بتحديد مفهوم واضح للفظ التراث عن طريق توضيح أبعاده • ذلك أن كلمة تراث تعنى مفهوما واسعا ، يضم كل نتاج الحضارة من علم وفكر وفن وآثار ولكن هل هذا هو المفهوم الذى يعنيه المشتغلون بالتراث ؟ ان كلمة تراث تعنى عند المشتغلين به المخطوطات العربية التى تضم التراث الفكرى العلمى فقط •

وفى هذا الصدد نجد أن التراث ينساب فى أبعاد : زمانية ومكانية ولغوية ، وهى أبعاد مترابطة أشد الارتباط ، بل ربما كانت ممتزجة كل الامتزاج •

فمن الناحية الزمنية يضم التراث نتاج القرون التى شهدت النشاط العقلى للامة العربية الاسلامية قبل بدء العصر الحديث ، وهى قرون قد

تزيد أو تنقص بحسب التحديد الزمنى لعصور الازدهار ، وقد تتسع حتى تستوجب كل الانتاج الفكرى المخطوط قبل دخول الطباعة الى الوطن العربى وانتشارها ٠

ومن الناحيتين اللغوية والمكانية يمكن أن يشمل التراث كل ما انتجه سكان الدولة الاسلامية فى أقصى اتساع لها ، وقد كانوا أجناسا ولغات وديانات متعددة ٠ وهنا يمتزج البعد المكانى بالبعد اللغوى ، فبعض المسلمين الف او كتب بلغات أخرى غير العربية كالفارسية والأردية والتركية ، كما أن بعض النصارى واليهود من القاطنين فى بلاد الدولة الاسلامية كتبوا مؤلفاتهم بالعربية فى علوم مثل الطب والفلسفة والكيمياء والفلك والرياضيات ، وخاصة فى بداية عصر النقل والترجمة حيث قام بهما فى أول الامر مسيحيون من سكان الدولة ٠ وقد كانت اللغة العربية هى اللغة الرسمية للاسلام ، ولكنها كانت كذلك اللغة العلمية والادبية ، لغة التعبير والتدوين والكتابة بصرف النظر عن الاصول العرقية أو اللغوية أو الدينية لسكان الدولة الاسلامية ، فكتب بها المسلم والنصرانى وكتب بها العربى والفارسى والتركى وغيرهم ٠ وظل الحال كذلك حتى ظهرت من جديد العصبيات القديمة لغوية كانت أو عرقية،وبدأت تغلب من جديد النزعات الاقليمية بعد أن كان سكان الدولة منصهرين فى بوتقة واحدة ، وهنا ظهرت مؤلفات بلغات اسلامية أخرى غير العربية ، وانتج فيها انتاج يعد موازيا للانتاج باللغة العربية ٠

وان التراث العلمى للامة الاسلامية يمكن ولا شك أن يتضمن ما انتج بلغات أخرى غير العربية ولكن هل نكون على قدر كاف من الواقعية ، اذا تحدثنا عن جمع التراث الفكرى باللغة الاردية مثلا ، في حين أن التراث العربى الذى تضمنته مخطوطاتنا لا يزال مشتتا في انحاء العالم ، اظن أن الافضل أن نتحدث فى المرحلة الحاضرة عن المخطوطات العربية ، خاصة وان الانتاج الفكرى العربى هو التراث الاصيل فى الموضوعات العربية والاسلامية ، وهو الذى اعتمدت عليه اللغات الاسلامية الاخرى ، فهو المادة الاصلية وتراث اللغات الاخرى هو المادة الثانوية ٠

ومما يثار عند الحديث عن ابعاد التراث العربى الثلاثية : الزمان

والمكان واللغة : الدراسات الحديثة فى الموضوعات القديمة ، سواء أكانت عربية أم اجنبية ، فالدراسات العربية الحديثة ، وان كانت تنتمى مكانا ولغة الى نفس المكان الذى قطنه السلف ، والى نفس اللغة التى كتبوا بها ، الا أن هذه الدراسات لا تدخل من حيث الزمان في التراث · كما أن هناك دراسات حديثة أعدها اجانب ، والمستشرقون منهم بصفة خاصة · وهذه لا تدخل فى التراث زمانا أو مكانا أو لغة ، فهل نستبعد هذه وتلك ·

مما لا شك فيه أن الدراسات الحديثة في موضوعات التراث ، عربية واجنبية ، قد نشأت لخدمة الموضوعات العربية والاسلامية وانها اعتمدت عليها اعتمادا يكاد يكون كاملا ، ففهارس المخطوطات مثلا ، قد تكون أعدت في بلاد أجنبية وأعدها مستشرقون ، ولكن لاشك انها لخدمة التراث والمشتغلين به ، كما أن مادتها تنمى الى التراث ·

وهكذا قل عن الخدمات الببليوجرافية المختلفة ، وقلما يخلوا فن من التوابع المكملة له · كما ان الدراسات الحديثة تعد مقدمات لاعمال التراث ومدخلا اليها · وهكذا يمكن ضم هذه الاعمال الى التراث بهذا الاعتبار وان لم تكن منه اصلا · على انها ليست هى المقصودة الآن بعمليات الحصر والجمع والتحقيق فالمقصود بهاالمخطوطات خاصة ، وانما يأتى دورها في مرحلة تالية ·

وعلى هذا فالافضل أن تقتصر في المرحلة الراهنة على تحديد مفهوم التراث بذلك الذى تضمه المخطوطات العربية ، وهذا هو المعنى الشائع عند المشتغلين به وهو المعنى الذى نقصده في دراستنا هذه ·

قيمة التراث في العصر الحاضر

عند مناقشة قضية التراث والحاجة الى بعثه واحيائه وخدمته يذهب البعض الى أن التراث من أعمال الماضى ، وأننا الان فى عصر التقدم ولا حاجة بنا الى ماتضمنه الكتب الصفراء من معلومات مضى عليها الزمن،وان الاولى أن ننفق الوقت والجهد فى الموضوعات التى تعود على الوطن بالنفع وقد يستخدمون فى هذا عبارات قاسية عن التراث فيها ظلم صارخ له ·

وقد فات هؤلاء أمور وغابت عنهم اشياء ، اذ يفسرون التقدم تفسيرا ضيقا جدا ولا يلتفتون الى جملة عناصره ، ويرون النموذج المادى للتقدم هو وحده الجدير بالاتباع ، وحينئذ لا يجدون دورا للتراث · ولذلك فان المنحى الذى ننحوه في هذه الدراسة هو اننا نركز على جوانب موضوعية في قيمةالتراث ، ولا نقتصر على الجوانب الحماسية فقد استعملت كثيرا· ولابأس أن يتحمس الانسان لتراثه فهذا واجب ، ولكنه من الافضل دعم الحماسة بقيمة موضوعية حقيقية يراها الناس في التراث فيلمسون معها أن له دورا فى العصر الحاضر · وسوف نركز كلامنا هنا فى عدد من النقاط :

اولا : التراث وشخصية الامة

لكل أمة شخصية ذاتية تنفرد بها عن غيرها من الامم · وتعتمد هذه الشخصية على مقومات متعددة · وفى عصر الحضارة الاسلامية الزاهر كانت شخصية الامة الاسلامية واضحة كل الوضوح ، اذ تعتمد الشخصية على فكر هو ذلك الانبعاث الداخلى الذى اعطى للامة الاسلامية العمود الفقرى لشخصيتها وقد رفض المجتمع الاسلامى على مر العصور الافكار الدخيلة لانها غريبة عنه وتمسك باهداب فكرة المنبعث من الاسلام · والامثلة والشواهد على هذا كثيرة ·

وقد صحب مالحق المسلمين من تأخر في العصر الحديث دعوات هدفها الاساسى طمس معالم الشخصية الاسلامية والتمكين للدعوات والاراء الدخيلة على بيئتنا الغريبة على فكرنا ، وربطوا في هذا بين التأخر المادى الذى عانت منه الامة الاسلامية فى العصر الحديث وبين التمسك بالماضى·

واختلط الامر على البعض منا فحاولوا أن يلتمسوا لهم نوعا من الانتماء الى هذا المذهب أو ذاك تقليدا وراء ماأتى به العصر الحديث من هذ الاراء والمذاهب · وفى نفس الوقت ظل التيار الفكرى الاسلامى قويا يرى أن تحقيق التقدم هو فى العودة الى نفس الاسباب التى حققت تقدم المسلمين فى عصرهم الزاهر ·

وللفصل بين الفرقاء نقول ان الحضارة ذات جانبين : جانب معنوى

فكرى ، وجانب مادى . والجانب الاول تختلف فيه الامم لانه يتبع الحياة الفكرية للامة ، وهى كما ذكرت انبعاث داخلى لا يستمد من أى مصـــدر خارجى . اما الجانب المادى فهو قدر مشترك بين الامم تستطيع كل أمة أن تصل اليه اذا امتلكت اسبابه .

والحضارات الاجنبية التى نشهدها الان جميعا كلها تركز على الجانب المادى من الحضارة ولا تعنى بالجانب المعنوى . ولو حاولت امتنا أن تأخذ فقط بالجانب المادى فسوف تكون نسخة مشوهة أو ممسوخة من هذه الامة أو تلك ، وربما لن تلحق بها ابدا . ولكن الحضارة الاسلامية تعتمد على الجانبين معا ويتحقق فيها توازن دقيق بين الفكر والروح من جـــــانب والمادة من جانب آخر ، فضلا عن ان هذا الجانب المادى هو نفسه منبثق من الدين الاسلامى الذى ينظ علاقة الانسان بخـالقه ، وعلاقته بغيره من افراد المجتمع ويرسم للمجتمع الاسلامى المنهج الذى يسير عليــه فى كل الامور . فهو دين متكامل ينظم حياة الناس من جميع الوجوه . وهذا هو الذى يفرق بين المجتمع الاسلامى وغيره من المجتمعات وبين الفكر الاسلامى وغيره . والفكر الاسلامى هو الذى يحدد معالم الشخصية الاسلامية .

والتراث هو الذى يشتمل على التراث الدينى ، الذى تتمثل فيه اكثر من اى شىء أخر شخصية الامة الاسلامية خالصة نقية بريئة من كل دخيل من الشرق أو الغرب ، فاذا كان التراث هو الذى سجل عوامل التقدم فـــى الماضى ورسم للامة الاسلامية شخصيتها ، فان دوره فى الحاضر له نفســـس الاهمية حتى تستريح الامة من عناء البحث عن دورها وعن شخصيتها .

ولذلك فاذا كان المجددون فى العصر الحديث قد رأوا أن صلاح حال الامة الاسلامية هو فى العودة الى ما كان عليه السلف الصالح فيجب أن يرتبط بهذا أن نهتم باحياء تراث هؤلاء السلف وخدمته ، فهو أعز ما تملك الامة الاسلامية .

ثانيا : التراث والقضايا المعاصرة

اذا كان التراث يلعب هذا الدور فى رسم معالم الشخصية الاسلامية

في الحاضر ، فان له دورا أخر هو امتداد لوصل ماضى الامة بحاضرها ٠ فقد جدت على المسلمين أمور وعرضت لهم قضايا نتيجة اتصالهم بحضارة العصر الحديث ٠ وقد تداخلت الامور والقضايا فى حياة المسلمين بحيث كان من الضرورى بحثها على ضوء تعاليم الاسلام ٠ ومن أمثلة هذه القضايا البنوك ، التأمين ، عمل المرأة ، علاقات المسلمين بغيرهم فى السلم والحرب تنظيم الاسرة ، الخ ٠ ولكى يطمئن المسلم على أن حياته تسير فى الاتجاه الصحيح فهو يريد معرفة رأى الدين فى هذه القضايا ٠ وقد يكون بعض هذه القضايا من الوضوح بحيث لا يحتاج الى بحث طويل ، ولكن هناك قضايا جدلية تحتاج الى بحث طويل ٠ ولكى يتم بحثها فلا بد أن تكون المعلومات اللازمة متاحة وميسرة ومنظمة ٠ وهذه المعلومات تستمد اساسا من تراثنا الفقهى ٠ فمن الضرورى أن يكون هذا التراث مجموعا ومنظما وميسورا للباحثين ٠

وهناك جانب آخر لهذه القضية لعله أعم وأهم وهو قضية التشريع من أعمال الماضى ٠ والتشريع هو الذى ينظم حياة المجتمع ٠ ويختلف المجتمع الاسلامى عن غيره فى أن تشريعه سماوى لا وصفى ٠ واذا كان من الواجب على الشعوب الاسلامية أن تجعل الشريعة الاسلامية مصدرها الوحيد لقوانينها الحديثة ، فيجب أن يلازم هذا نشر التراث الفقهى وفهرسته وتحليله بما ييسر الرجوع اليه ، خاصة وأن انتاج علماء السلف فى هذه الموضوعات يجب أن يكون الاساس لدراستنا الحالية ٠

ثالثا : التراث وقضية المنهج ، والدفاع عن الاسلام

بدأ الاوروبيون اهتمامهم بالعلوم العربية منذ وقت طويل منذ بدأ اتصالهم بالمسلمين في مراكزهم في أوروبا : الاندلس ، وصقيلة ، وفى المشرق أيام الحروب الصليبية ٠ وقد حاروا فى تفوق المسلمين وبدأوا فى دراسة علومهم ، وعليها اعتمدت النهضة الاوروبية الحديثة ٠ وقد كان من نتيجة هذا أن انشئت مراكز متعددة للدراسات العربية فى الجامعات الاوروبية ٠ وقد درس هؤلاء كل ما يتعلق بالمسلمين ، واختلفت دوافعهم فى ذلك : فى البداية كانوا يريدون أن يتعلموا علوم المسلمين وفى بداية الاهتمام السياسى بالدول العربية درسوا جوانب الحياة المختلفة لكى يتمكنوا من التعامل مع المسلمين ٠ ويعرف هذا بحركة الاستشراق ٠ لقد

اهتم المستشرقون اهتماما كبيرا بالدراسات العربية والاسلامية وبذلوا فيها جهودا كبيرة ٠ووجهوا الاهتمام الى المخطوطات العربية وكانوا أول من أهتم بفهرستها ووضع قواعد لتحقيق نصوصها ، واعمالهم فى هذا المجال كثيرة ولها تأثير كبير ٠

ولا يمكن القول بأن الاستشراق كان خيرا كله أو شرا كله ، فلا يمكن القول أن المستشرقين لم يخدموا هذه الدراسات ٠ ولكن هل قاموا بعملهم هذا بدافع من حب الاسلام واهله ٠ قد يكون بعضهم قام بدراسته من باب حب العلم أو الاعجاب بتراث المسلمين العلمى ، ولكن من المؤكد أيضا أن الكثيرين منهم كانوا يدرسون الاسلام وتراثه بغرض الدس عليه والطعن فيه ، ووصل الطعن الى سخص الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وليس هذا غريبا ، فهم ليسوا مسلمين وبالتالى لا ينظرون الى الرسول نظرة التكريم والاجلال فليس غريبا بعد ذلك أن تمتد السنتهم اليه،والى تراثه من السنة ، قياسا على تحريف الكتب المقدسة عندهم ٠ وهذا هو الذى يفسر ما يحشرونه في كتاباتهم من طعن في الاسلام ، وهو طعن واهن ضعيف لا يقوى أمام المنهج السليم والدراسة العلمية ٠

وهنا نود أن نشير الى أمرين لهما خطرهما :

١ ـ أن التراث الاسلامى قد واجه فى الماضى مواقف كثيرة من هذا النوع مع أعدائه القدامى من نصارى ويهود ومجوس ، ومن اتباع فلسفة اليونان٠وقد تصدى علماؤه لهؤلاء ودحضوا آراءهم ونزعاتهم٠وهناك علم دفع مطاعن القرآن وعلم دفع مطاعن الحديث ، وعلم الكلام السنى٠وهذه العلوم درست كل ما يوهم الاختلاف أو التناقض ووصلت الى التوفيق ٠ كما أن علماء الكلام قد تصدوا لاصحاب الملل والنحل والمذاهب المنحرفة ودحضوا مذاهبهم ٠

وما نحتاجه في هذا الصدد هو التفتيش في التراث والاسترشاد بدفوع السلف ، ولا أقول الوقوف عندها ، ولكن لنبدأ من حيث بدأوا ثم نضيف اليه ما تتطلبه الاوضاع الراهنة من ادلة وبراهين جديدة ٠

٢ ـ يركز الاوروبيون فى دراساتهم على قضية المنهج ٠ وهم

يروجون لارائهم باسم العلم والمنهج العلمى · وللاسف لقد وجدوا من بيننا أصحاب آذان صاغية وقلوب مفتوحة ممن تعلموا على ايديهم اما فـــــى جامعاتهم أو عن طريق الاستفادة من دراساتهم ، خاصة واننا فى كثير من المجالات نفتقر الى الدراسات الحديثة في هذه الموضوعات الامر الذى يترك الميدان خلوا الا من دراسات المستشرقين ومن ثم تكون دراساتهم هـــى الدراسات الوحيدة في بعض الموضوعات فيضطر الباحث الى دراســـتها ، ونادرا ما يفلت من تأثيرها ·

وقد ركز هؤلاء على التشكيك في تراث النبى صلى الله عليه وسلم من الســنة ، وزعموا أن علماء الاصول قد ركزوا فقط على اشخاص الرواة ولم يتناولوا بالتمحيص نصوص الاحاديث ولم يعرضوها على العقل !!

وان رأيهم هذا فيه مجافاة للمنهج العلمى الصحيح واخفاق في تعرف مايصلح من منهج لدراسة الحديث النبوى الشريف · فهم يحاولون أن يطبقوا المنهج العقلى على علم نقلى وهذا خطأ منهجى محض في حين انهم يتشدقون بالمنهج العلمى· فليس كل المناهج صالحة للتطبيق على كل العلوم ، لا يجوز مثلا أن أطبق المنهج الرياضى ــ وهومفيد فى ذاته ــ على العلوم الاجتماعية وأن أخضع العلاقات الاجتماعية للقياســـات الرياضية ، كما لا يمكن أن اطبق المنهج التجريبى ــ وهو أيضا مفيد فى سياقات اخرى ــ على الموسيقى وان اخضع المؤلفات الموسيقية للملاحظة والاستقراء ، الخ ···

لا بد اذن من تعرف المنهج الذى يصلح للتطبيق على علوم الدين · وتختلف هذه عن غيرها من العلوم فى انها علوم نقلية ، وهى تعتمد على النقل عن الواضع الشرعى ولا مجال فيها للعقل الا فى الحاق الفروع من مسائلها بالاصول · أما العلوم العقلية فهى التى تعتمد على العقل ويمكن أن تطبق عليها المناهج الاخرى . وللعقل أن ينظر كما يشاء ·

والاصل في العلوم الدينية الشرعية الكتاب والسنة · أما الكتـــاب العزيز فقد أنزله الله وتكفل بحفظه . اذ هو كلامه سبحانه وتعالى · وأما الحديث الشريف فهو كلام الرسول وافعاله وتقريراته وصفاته · ولكـــن أقواله وافعاله صادرة عن الوحى · والمنهج الاسلامى يقوم هنا على الاقتداء

بهذه الاقوال والافعال اذا ثبت أنها صدرت عنه • وهو الذى يلخصه موقف أبى بكر رضى الله عنه في قضية الاسراء والمعراج «ان كان قال فقد صدق» وكذلك كان ايمانه رضى الله عنه راسيا يوزن بايمان الامة يقوم على الاقتداء وليس على البحث فى فحوى الكلام أو الفعل • وعلى هذا يقـــوم البحث فى علم أصول الحديث فهو ينصب على الاشخاص الراوين للحديث ، فاذا صحت سلسلة الاسانيد فقد صح الحديث،واذا ضعفت ضعف الحديث• وقد أخفق المستشرقون فى تعرف هذا المنهج لانهم بعيدون عن روح الاسلام، بعيدون عن التصديق بكلام الرسول ، راغبون في الدس والطعن •

فليس من شأننا اذا أن نحاول تلمس منهج آخر ، فالمنهج الذى طبقه المسلمون فى علم مصطلح الحديث منهج سليم ، وقد كان من قوته أن طبقته علوم اخرى كثيرة •

رابعا : التراث واسهام العرب في الحضارة الانسانية •

ظهرت دراسات كثيرة حول تاريخ العلوم العربية والاسلامية • وقـــد كتب المستشرقون أغلب هذه الدراسات ، ولذلك فقد تلون تاريخ العلوم العربية والاسلامية بآراء المستشرقين ، ومرة أخرى في غياب الدراسات العربية الاصيلة • ومع كثرة تلك الدراسات فاننا لا نستطيع حتى الان تقدير الدور الذى لعبته الحضارة الاسلامية فى الحضارة الانسانية عـــلى أساس موضوعى رصين ، وانما أقوال هنا وأقوال هناك ، لكننا لا نستطيع حتى الان أن نعرف اسهامهم الكامل والحقيقى •

ولا يمكن أن نعرف ونقدر هذا الدور دون كتابة تاريخ العلـــــوم العربية الاسلامية • وتحاول الدراسات التى قام بها المستشرقون أن تقلل من هذا الدور ، وأن تضعف هذا الاسهام حتى لا ينسبوا للمسلمين أىفضل فهم يرون أن الحضارة الاسلامية قد اقتصرت على دور الناقل الامينللحضارة اليونانية وتوصيلها الى حضارة العصر الحديث ، هى حضارة وسيطة ناقلة لا ابتكار فيها ولا جديد • وبناء على هذا ينسبون هذا الجديد الى الحضارة الحديثة ، فهم الذين ابتكروا المنهج العلمى ، وهم الذين وضعوا اسس كل العلوم ، الخ • هذا فى حين أن بعض المنصفين منهم يرون أن المسلمين هم

الذين وضعوا أساس المنهج العلمى الحديث ، وقد اثبت الدكتور على سامى النشار في كتابه : مناهج البحث عند مفكرى الاسلام هذا بأدلة تحليليـــة تركيبية ، كما أثبت أن العقل العربى عقل استقرائى تجريبى ، وأن العقل اليونانى عقل قياسى نظرى استدلالى ، وأن المنهج الاستقرائى يتمثل أكثر ما يتمثل فى علم أصول الفقه ، الذى يختلف منطقه الاستقرائى تماما عن المنطقى الارسطى القياسى • ومع ذلك ينسب الغربيون المنهج التجريبى الى فرنسيس بيكون ، كما ينسبون علم الاجتماع الى أوجست كونت مع ان واضعه ومؤسسه هو ابن خلدون وهكذا وهكذا •

ومن القضايا التى أثاروها فى هذا الصدد وتابعهم عليها كالعادة علماء عرب — أن العلوم العربية وقفت عند القرن الرابع الهجرى،فقد بلغت في ذلك القرن قمة نضجها ، أما بعده فلا شىء سوى الشرح والتعليق والتهذيب والتحشية ، دون اضافة حقيقية الى ما سبق •

وقد ذهب الى هذا الرأى الكثيرون ممن أرخوا للحياة العقلية عند المسلمين من عرب ومستشرقين وربما كان أول من زعم هذا المســـتشرق النمسوى آدم قز فى كتابه الذى ترجمه الدكتور محمد عبد الهادى أبـــو ريدة : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى او عصر النهضة في الاسلام • والعنوان نفسه عنوان نقدى فهو يعتبر أن القرن الرابع قمة النهضة فى الاسلام • وربما تأثر بهذا الرأى وسجله بصورة أكثر وضوحا أحمد أمين فى سلسلته عن الحياة العقلية عند المسلمين : فجر الاســـلام وضحى الاسلام وظهر الاسلام • وهذا الرأى ورد فى ذيل كتابه ظهـــر الاسلام •

ونحن لا ننكر قيمة هذه السلسلة فى كشف الجوانب عن الحيـــاة العقلية عند المسلمين ولم شتات هذا الموضوع • ولكن ليت احمد أميـــن وقف عند هذا الحد ولم يتطرق الى الكتابة عن ما بعد القرن الرابع ، ليته ترك الباب مفتوحا لمن يأتى بعده بعد أن ادى هو دورا جليلا فى دراسة القرون الاربعة الاولى • لقد جاءت كتابته — ولا أقول دراسته — عـــن القرون التالية فى ملحق فى المجلد الرابع من ظهر الاسلام فلم يـــؤت

الموضوع حقه ، اذ درس القرون الاربعة الاولى فى ثلاثة كتب تضم ثمانية مجلدات وتناول القرون اللاحقة فى ذيل أو ملحق • هذا فضلا عن أن تسميته لكتابه تسمية نقدية : فالفجر هو النشأة ، والضحى هو السطوع ، والظهر هو القمة التى تبلغها الشمس ، وبعد ذلك الانحدار فالغروب •

أى أن ما بعد القرن الرابع انحدار وأفول ، وكأنه حكم على القرون التالية بحكما مسبقا قاسيا دون دراسة أو تمحيص •

أقول أن احمد امين • قد يكون هذا متأثرا بمتز وغيره ، ولكنه كان حسن النية فيما كتب ، ولكن المستشرقين كان لهم نية اخرى •

فبعض هؤلاء يرون أن الحضارة الاسلامية قد وقفتعند القرن الرابع ويرجعون السبب فى ذلك الى أن انتصار المذهب الاشعرى كان بدايةللجمود عند المسلمين • ونحن نعرف أن انتصار المذهب الاشعرى السنى علىالمعتزلة كان على يدى أبى الحسن الاشعرى على رأس المائة الثالثة • ثم انتشر بعد ذلك وساد فى القرون التالية •

ويرى هؤلاء المستشرقون ان نجاح المذهب الاشعرى كان السبب فى تجميد الفكر الدينى عند المسلمين ، فهم يعتبرون المعتزلة أصحاب حرية الفكر فى الاسلام ، ورغم أنهم لم يستطيعوا الدفاع عنهم حينما تكلموا بخصومهم أيام الخليفة المأمون حينما وصلوا الى السلطة • فقد حملوا خصومهم فى الرأى بالقوة والتعذيب بل والقتل أحيانا على القول بخلق القرآن ، وهى الفتنة المعروفة التى لم يسلم منها احد من كبار الائمةومنهم الامام احمد بن حنبل امام أهل السنة •

وفى هذا يقول الدومييلى في كتابه : العلم عند العرب وأثره في تقدم العلم العالمى : (١) : « وينبغى الا يغيب عن نظرنا أن الدين فى العالم الاسلامى يسيطر سيطرة كاملة على جميع الحياة المدنية والفكرية ، وانه في الاذمنة والأمكنة التى لا يزال مذهب أهل السنة المحافظ ميسيطرا

---

(١) ص ٩١ •

فيها يجب أن يكون كل نمو للثقافة ، وكل اتجاه لانبعاث افكار جديدة أو مجددة ، خاضعا لنصوص القرآن والاحاديث الصحيحة النسبة الى الرسول ٠ واذا ، فلما كان لاهل السنة سلطان مسيطر ، حصل جمود شديد فى جميع الحياة الثقافية ، كما حصل تقهقر الى روح معادية للعلم وتقوية لكل ما ينكر تقدم الانسان وحرية الارادة » ٠

وبعد أن يحكى ميلى كيف نجح المذهب الاشعرى ضد المعتزلة يقرر أن « أبا الحسن الاشعرى هو مؤسس علم الكلام السنى فى الاسلام ٠ وقد كان تأثيره بعيد المدى فى هذه الناحية ، ولكنه ــ بكل تأكيد ــ لم يؤثر اثرا مساعدا على نمو العلم » ٠

ان الهدف البعيد الذى يرمى المستشرقون الى الوصول اليه هو أن انتصار العقيدة الدينية عاق تقدم العلم ، ومعنى ذلك أن الاسلام يعوق التقدم العلمى ، وهم يريدون لهذا الزعم أن يسود وأن يسيطر على تفكير المسلمين ، وذلك حتى لا يحاولوا ــ فى سعيهم نحو التقدم ــ العودة الى ما كان عليه السلف ٠

ولا شك أن رأى المستشرقين مجاف للحقيقة والواقع ، فالدين الاسلامى يحض على العلم والتعليم والتعلم ، ويرفع من قدر العلماء حتى جعلهم ورثة الانبياء ٠ ولا شك أن تعاليم الاسلام كانت الدافع وراءالنهضة العلمية التى شهدها العالم الاسلامى ٠ فالعمل العلمى نوع من الجهاد ــ الجهاد الاكبر ــ ولذلك لم يدخر العلماء المسلمون جهدا ولم يعرفوا دعة ٠ والامثلة على كفاح العلماء المسلمين أكثر من أن تحصى وأكبر من أن تستحصى ، وجهودهم وما وصلوا اليه يعد بالقياس الى الادوات التى يعملون بها اكبر من جهد أى عالم فى العصر الحديث بالقياس الى أدواتنا٠

أما عن الزعم بأن العلوم العربية والاسلامية قد توقفت بعد القرن الرابع فهو بعيد عن الحقيقة وذلك لاسباب منها :

١ ــ أن حالة التراث لا تسمح باصدار هذا الحكم ، اذ يطلب التأريخ الكامل للعلوم دراسة كل قطع التراث ٠ وهذه الدراسة غير ممكنة فى ضوء الظروف الحالية للتراث ٠ ولا زالت هناك فجوات كثيرة فى معلوماتنا عن

نشأة كثير من العلوم وتطورها بسبب غياب قطع أصلية من التراث ٠ويشكو الكثيرون من العرب والمستشرقين من عدم تمكنهم من استيفاء دراساتهم بسبب نقص المصادر الاصلية في الموضوعات ٠ هذا مع أن نقص مصدر أصلي واحد أو وجوده قد يغير آراءنا عن علم من العلوم ، وقد يؤدي الى اعادة كتابة تاريخه ٠

ومن أمثلة ذلك تلك القصة المشهورة التي حكيت عن تفسير الطبرى، فقد كان هذا الكتاب يعد مفقودا الى قرب نهاية القرن التاسع عشر ، مع أن العلماء من المسلمين والغربيين كانوا مجمعين على أهميته ٠ وفي سنة ١٨٦٠ كتب المستشرق الالمانى نولدكه صادرا فى حكمه عن قطع وجدها من الكتاب ونصوص نقلتها منه كتب أخرى لو حصلنا على هذا الكتاب لاستطعنا أن نستغنى عن كل كتب التفسير المتأخرة عنه ، ولكنه يبدوا للاسف مفقودا٠

ولهذا كتب المستشرق المجرى جولد تسيهر الذى قص الحكاية السابقة « ولهذا كان مفاجأة سارة للعالم فى المشرق والمغرب أن صدرت طبعة كاملة فى القاهرة من هذا الكتاب الضخم ٠٠٠ معتمدة على نسخة كاملة مخطوطة وجدت فى مكتبة امير حائل » ٠

هذا كتاب واحد فى علم واحد ، فكيف يمكن لباحث ما أن يعطى أحكاما عن تاريخ العلوم العربية جميعا وتراثنا لازالت اجزاء كثيرة منه لا يعرف أحد عنها شيئا٠

٢ ـ يمكن أن نقول أن العلوم العربية لم تتوقف بعد القرن الرابع٠ قد يقال أن العلوم الدينية قد شهدت نوعا من الثبات النسبى وذلك لا يرجع الى تأخر أو جمود ، ولكن يرجع الى أنها علوم نقلية ، ومن المعلوم أن العلوم النقلية ثابتة استاتية بسبب اعتمادها على النقل ومن ثم فان تطور المعرفة فيها مرتبط باستحداث مسائل تتطلب الاجتهاد ٠ وقد ظل الاجتهاد قويا حتى القرن الرابع لان العلماء وجدوا امامهم مسائل تتطلب قدح الفكر فلما كان القرن الرابع استنفذت كل المسائل المطروحة للبحث ٠

والدليل على هذا اختلاف فقه أهل العراق ومصر عن فقه أهل المدينة،

وذلك لتشابه بيئة المدينة زمن مالك امام أهل المدينة مع بيئة عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وهو عصر الوحى · ولذلك كان مالك يوسع دائرة الحديث ويضيق دائرة القياس ، ولذلك أخذ بمبدأ اجماع اهل المدينة ، اذ لو اجمعوا على ترك شيء أو فعله فهم قريبون من زمن الرسول ، ومن المتعزر أن يجمعوا على شيء لم يكن موجودا في عصر الرسول ·

أما أهل العراق ومصر فان بيئتهم زراعية تفرض أو تعرض مسائل جديدة وفروعها تتطلب البت فيها ولذلك وسع العراقيون دائرة الاجتهاد · أما مذهب أهل مصر متمثلا فى مذهب الامام الشافعى فقد استفاد من مذهب مالك واستفاد من مذهب اهل العراق ، اذ تتلمذ الشافعى على مالك، ثم على محمد بن الحسن الشيبانى فطعم مذهبه بآراء أهل العراق لتشابه بيئة العراق مع البيئة المصرية التى دون فيها مذهب الشافعى ·

وفى القرنين الثالث والرابع أخذ علماء الفقه يخدمون المذاهب المختلفة ويستغرقون الجهد فى بحث مسائلها ، حتى استنفدوها ، بل لقد اقترضوا مسائل واجابوا عنها · وكانت البيئة فى القرون التالية بعد القرن الرابع ثابتة نسبيا ومتشابهة مع بيئة القرن الرابع وما قبله فلم تستجد مسائل تتطلب اعمال الفكر ، ولذلك بدا للمؤرخ غير المتبصر بطبيعة العلوم أن التطور قد توقف وان الفكر قد جمد · والحقيقة أن البيئة نفسها هى التى ثبتت ولم تعد تطرح جديدا يحتاج الى بحث · فلما جاء العصر الحديث واخذ المسلمون يتصلون بالحضارة الاوربية استجدت قضايا من النوع الذى أشرنا اليه عند الحديث عن القضايا المعاصرة ، فاحتاجت الى بحثها والبت فيها ، ولذلك شهد الفقه نهضة جديدة كما ذكر مؤرخوه ·

٣ ـ ان العلوم الاخرى غير الشرعية مثل الطب والتاريخ لم تشهد هذا الثبات النسبى ، بل استمرت فى تقدمها وتطورها ، وذلك لانها لا تعتمد على النقل كما تعتمد العلوم الشرعية ، ولذلك استمرت فى النمو · فقد كانت القرون الثلاثة : السابع والثامن والتاسع في مصر العصر الذهبى للتاريخ والمؤرخين وشهدت أعاظم المؤرخين المسلمين · وقد شهد القرن الثامن مثلا شخصية فذة كابن خلدون · وشهد القرن السابع ابن النفيس

الطبيب الذى اكتشف الدورة الدموية (مات ٦٩٦) ٠ وفى الجغرافيا نجد القزوينى (مات ٦٨٢ هـ) ٠ وهناك القلقشندى وكتابه صبح الاعشى (مات ٨٢١ هـ) والدميرى (مات ٨٠٨ هـ) وحياة الحيوان الكبرى ٠

٤ ــ ليس معنى هذا أن العلوم الشرعية قد خلت من العلماء الكبار. فهناك الغزالى (مات ٥٠٥ هـ) وفخر الدين الرازى مات (٦٠٦ هـ) وابن تيمية (مات) وتلميذه ابن القيم (مات) وابن‌حجر العسقلانى (مات ٨٥٢ هـ) والسخاوى (مات ٩٠٢ هـ) والسيوطى (مات ٩١١ هـ) ٠

وهذه الامثلة جميعا هى فى الفترة التى قيل أن العلم فيها قد توقف وهى أمثلة قليلة وهناك الكثير ٠ وهذا يدل على أن من التسرع اصدار حكم بهذه الخطورة قبل دراسة قطع التراث ، وهذه غير ممكنة الا بعد حصره وجمعه ونشره ٠

واقع المخطوطات العربية :

انتجت المخطوطات العربية فى بلاد الدولة الاسلامية ٠ وقد تعرضت خلال رحلتها الطويلة منذ انتاجها حتى الوقت الحاضر لظروف صعبة من احراق الى اغراق الى نهب وسلب الى نقل الى مكتبات أجنبية ٠ والخلاصة أن الكثير منها قد ضاع ولم يصل الينا ، وان الكثير منها أيضا قد نقل الى مكتبات أوربية واجنبية فى الشرق أو الغرب على السواء بحيث يمكن القول أن المخطوطات العربية توجد فى قارات العالم الست وفى معظم المكتبات الكبرى فى العالم ، كما توجد فى العالم الاسلامى فى أنواع متعددة من المكتبات وعند الافراد ٠

ويقتضينا الانصاف أن نقول أن المخطوطات العربية قد حظيت بقدر كبير من الاهتمام سواء من حيث التصوير أو النشر ٠ ولكن من الحق أن نقرر كذلك أن الجهود التى بذلت لم تصل الى ما نريده لتراثنا أو الى شىء قريب منه ، فلا زالت المسافة بعيدة جدا بين واقع التراث وما نريده له ٠ ولكى يتسنى لنا رسم معالم خدمته لا بد أن نعرف حالة ٠ ولذلك فسوف نحاول تلخيص واقع المخطوطات العربية على النحو الاتى :

أولا : نظرا لتشتت المخطوطات العربية فى مكتبات العالم وعنـــد الافراد ، فقد كان من الضرورى أن تتجه الجهود نحو جميع هذه المخطوطات ومما لاشك فيه أن المكتبات التى تقتنيها لا ترضى بالتخلى عنها ، مع العلم أنها تراثنا نحن · ولذلك فقد انصبت الجهود التى بذلت أساسا لجمـــع التراث على التصوير · وكان التصوير احد الانشطة الرئيسية التى انشىء من اجلها معهد المخطوطات العربية التابع لادارة الثقافة بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم · يلى ذلك فهرسة المخطوطات التى يتم تصويرها·

وقد أنشىء المعهد منذ ما يزيد على ثلاثين عاما ، وتمكن من تصوير ما يقرب من ١٨ ألفا من المخطوطات · ورغم أن هذه حصيلة طيبة ، اذ يقف المعهد فى الميدان وحده تقريبا ، الا أن هذا العدد لا يذكر بالمقارنة مع عدد المخطوطات العربية فى العالم وهو يقارب المليونين · ولو استمر المعهد على هذا المعدل فانه يحتاج لاتمام العمل كله الى أكثر من ثلاثة آلاف سنة · هذا الى أن المعهد قد قام بتصوير جزء لا بأس به من هذه المخطوطات من مكتبات فى الدول العربية ، وكان الاولى أن ينصب الاهتمام على مـــا يوجد فى مكتبات أجنبية · كما أن ما فى حوزة الافراد .لم تصل اليه يد بعد ·

ثانيا من حيث الحصر ليس هناك حتى الان سجلات كاملة أو شبـــه كاملة عن المخطوطات العربية · وتحاول المكتبات التى تمتلك جانبا منها أن تعد لها فهارس ، كما حاول ذلك كثيرون من العلماء بينهم عـــــرب ومستشرقون · ولكن هذه الاعمال لازالت بعيدة جدا عن الكمال ، بل أننا لا نعرف حتى الان بصورة كاملة ما هى فهارس المخطوطات التى اصدرتها المكتبات ، اذ أن الكثير منها عبارة عن نسخ خاصة مخطوطة تستعمل داخل المكتبات أما عن ما عند الافراد فلم يشلمه أى نوع من انواع الحصر المتقن·

والنتيجة لهذا أننا لا نعرف ما مخطوطاتنا واين توجد · هذا فضلا عن أن الفهرسة تتم فى كثير من الاحيان دون قواعد مقننة الامر الذى يجعل توثيق المخطوط غير كامل ·

ثالثا : ليست هناك خطة شاملة لنشر المخطوطات وتحقيقها · ويمكن

ان نلاحظ في هذا الصدد أن النشر يجرى وراء كتب بعينها بقصد الربح المادى حتى ولو كانت قد طبعت من قبل مرة او اكثر ، الامر الذى يدل على ان رسالة النشر ليست في ذهن القائمين بالعمل ·

وان غياب خطة للنشر يؤدى كذلك الى التكرار · كما ان النشرات التى تصدر بتفاوت في جودتها ، فالبعض يحقق ويدقق الى أبعد الحدود والبعض يكتفون بدفع المخطوط الى المطبعة دون اى جهد من جانبهم · ولهذا فلا يمكن الاعتماد على كثير من هذه النشرات من الوجهة العلمية · هذا فضلا عن أن ماتم نشره حتى الان قليل بالقياس الى عدد المخطوطات ، والاستمرار على هذا النمط يؤخر التعريف بتر اثنا واجراء الدراسات عليه ·

رابعا : هناك جانب لم نعطيه الاهتمام الكافي حتى الان،وهو تكشيف وتحليل النصوص فالملاحظ أن كثيرا من اعمال التراث تتسم بسمتين او بواحدة منها ·

١ــ انها تضم كتلا كبيرة من المعلومات وتشمل على جزئيات لا حصر لها والبحث الحديث لا يحتاج فقط الى معرفة ما هى عناوين الكتبوالمقالات والرسائل ، التى تتنــاول موضوعات معينة ، ولكن يحتاج الى ما نسميه جزئيات المعلومات فكيف الوصول الى هذه الجزئيات فى كتاب يضم الاف الصفحات · وقد يكون البحث عن جزئية واحدة ، فهل يقرأ باحث ما كتابا يضم ١٠ مجلدات مثلا للوصول الى جزئية صغيرة ·

لقد مكثت ليلة كاملة أبحث عن معنى لفظ واحد في كتاب او اكثر ولم أهتد اليه مع تأكدى من وجوده في الكتاب ، لان محتويات الكتاب لم تحلل أو تبرر بالشكل الذى يوصل الى مضامينه ·

٢ ــ أن الكثير منها يتسم بالموسومية والاستطراد · فالكثير من الكتب التى حددها مؤلفوها موضوعــات وعنونوها بعناوين معينة · لا تقتصر على الموضوعات التى تدل عليها عناوينها ، وانما يستطرد أصحابها الى معلومات كثيرة بحيث تصبح في النهاية اعمالا موسوعية ، مثال ذلك : كتاب

الحيوان للجاحظ ، عجائب المخلوقات للقزويني ، نهاية الارب للنويرى ، عيون الاخار لابن قتيته ، والمخطط للمقريزى ، وحياة الحيوان للدميرى ٠ بل ان الكثير من كتب التراجم والتاريخ والادب والجغرافيا والرحلات وتواريخ البلدان يصدق عليه صفة الموسوعية ، بل لقد انجر بعض المعاجم اللغوية الى استطرادات موسوعية ٠

ويحتاج الامر في الحالتين الى ابراز المصطلحات الدالة في هذه الكتب وترتيبها ترتيبا مفيدا ييسر للباحث الوصول الى كل الاماكن التى عولج فيها اللفظ الذى يريده بدلا من قراءة الكتاب كله فهو جهد لا يتناسب مع البحث عن جزئية صغيرة من المعلومات ٠ واذا كانت كتب التراث خزائن للمعرفة فان التكشيف والتحليل يعطينا مفاتيح الوصول الى هذه الكنوز ، وعملية التحليل تختلف عن الفهارس التقليدية التى يعدهـا المحققون والناشرون الان لبعض كتب التراث ٠

خامسا : يفتقر الانتاج الفكرى العربى ـ والمخطوطات جانب منه ـ الى التنظيم الموضوعى الفعال الذى يعطى للباحث وبسرعة المواد التى تعالج موضوعه من كتب ومقالات وأبحاث ٠ وقد قام البعض بجهود لتوفير هذا المدخل الموضوعى عن طريق تبنى أنظمة أجنبية للتصنيف ٠ هذه الانظمة لا تراعى حاجات التراث الفكرى للامة الاسلامية لانها اعدت لثقافات أجنبية عنا ٠

وقد كان الرد العملى على هذا هو بذل الجهود في محاولة جادة لتوفير نظام عربى للتصنيف صالح لتنظيم المعرفة ونابع من حاجات المكتبـات العربية وقائم على الفكر الاسلامى في مجال تنظيم المعرفة ٠ وقد عالجنا قضية تنظيم المعرفة عند المسلمين في مقال سابق في هذه المجلة ٠ ★

★ عدد يناير ١٩٧٨ م صفر ١٣٩٨ هـ ٠ وقد اوصى المؤتمر الثانى للاعداد الببليوجرافي للكتاب العربى الذى عقد في شهر ديسمبر ١٩٧٨ على تبنى الجهود التى يبذلها كاتب المقال الحالى في مجال الخطة العربية للتصنيف وأوصى باستكمالها من قبل الاقطار العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ٠

أى أن تنظيم المخطوطات جزء من قضية عامة هى تنظيم الانتاج الفكرى العربى كله ، وهى جهود لم تصل بعد الى مداها ٠

سادسا : من حيث الدراسة العلمية لاتحظى قضايا المخطوط وجوانبه بالدراسات اللازمة ٠ هناك قواعد تحقيق النصوص ، وهناك مادة المخطوط ، وهناك اخبار المخطوطات وما يتم من جهود في جميع المجالات المتعلقة بها على مستوى العالم ، وهناك المؤتمرات العلمية ، الخ ٠

وأخشى ما اخشاه هو ان ينقرض جيل المشتغلين بالتراث حاليا ولا يجد من يحل محله ٠ حقيقة هناك جهود في هذا الصدد من قبل معهد المخطوطات ومن قبل مركز تحقيق التراث في مصر ولكنها غير كافية لتكوين جيل كفء من المحققين ، كما ان العمل في مجال المخطوطات لا يثير طموح الشباب الذين يتجهون الى موضوعات ومجالات أسهل واكثر تحقيقا للشهرة وللكسب المادى ٠

خطة شاملة للتراث

أرجوا أن اكون قد نجحت خلال الصفحات السابقة في ابراز أهمية التراث وفي توضيح أن الجهود التى بذلت وتبذل في سبيله لا توصلنا الى المقصود ٠ فاذا كنت قد نجحت في هذا واذا كناقد اقتنعنا بأهمية التراث وضرورة العمل على خدمته ، ــ فان السبيل الى ذلك وضع خطة شاملة له ٠ وان هذه الخطة تتطلب تفاصيل كثيرة وصفحات اكثر مما يسمح به الحيز خاصة وقد مال البحث الى الطول ٠

لذلك اكتفى هنا بعرض ملامح هذه الخطة وأبرز قسماتها ، وأهم الخطوات التى يمكن اتخاذها فى هذا الصدد ٠

مركز اقليمى ومراكز وطنية للتراث :

ان الخطوة الاولى فى سبيل العمل على خدمة تراثنا هو انشاء التنظيم الذى يمكن أن يعهد اليه بمهام التنفيذ ٠ ان العلم والتعليم والبحث العلمى أصبحت كلها الان من مسئوليات الدولة وخاصة فى المجتمعات النامية التى

تسعى حثيثا نحو التقدم ، وما لم تسرع الدول النامية الخطى وتكسر حواجز الزمن فسوف تسبقها غيرها من الدول • ولذلك فلا يمكن أن تسير الدول النامية بالمراحل التدريجية للتطور بل من الضرورى النمو بسرعة أكبر • هذا معناه أن المشروعات العلمية الكبيرة تحتاج الى أن تدفعها الدولة دفعات قوية وأن تعهد بها الى تنظيمات وهيئات تدعمها ماليا وبشريا ، لان الاعتماد على الجهود والمبادرات الفردية فى هذا الخصوص لا يمكن أن يؤدى الى تحقيق الاهداف المرجوة •

ومما لاشك فيه أن التراث من المشروعات العلمية الهامة ، ولا يمكن أن تكون مسئولية هيئة أو هيئات قليلة في بلد واحد من البلدان العربية ، بل هى مسئولية أصحاب هذا التراث جميعا ، هى مسئولية كل الدول العربية وكل الهيئات والعلماء فيه • وهذا لا يقلل مطلقا من مسئولية كل دولة من الدول العربية أو الهيئات فيها ، بل أن المسئولية فى الحقيقة هى على مستويين :

مستوى كل دولة بما فيها من هيئات علمية •

مستوى الوطن العربى كله •

وان المسئولية الاولى تتكامل مع المسئولية الثانية فى اطار خطة واحدة متكاملة تحدد لكل بلد مسئوليته ونصيبه فى هذا العمل الضخم • ولكى يكون كلامنا أكثر تحديدا نقول أن الوطن العربى كله ينبغى أن يشترك في احياء التراث وخدمته،وان المهام والاعمال التى سنرسم اطارها العام تحتاج الى انشاء :

المركز الاقليمى للتراث العربى

مراكز وطنية في كل دولة من الدول

خطوات العمل

أولا : المسح الشامل

نقصد بالمسح الشامل خطوة تمهيدية ولكنها فى غاية الاهمية الغرض منها القيام بالتعرف على أماكن وجود المخطوطات • وتتضمن هذه الخطوة ارسال بعثات متكاملة من المتخصصين للقيام بمسح شامل لكل مظان وجود المخطوطات العربية فى أنحاء العالم سواء فى المكتبات أو عند الافراد فى الدول العربية أو الاسلامية أو الاجنبية • ومن الضرورى الاعداد الجيد لهذه البعثات وتزويد آفرادها بالمعلومات اللازمة عن البلاد التى يزورونها عن طريق الدراسة لما قد تكون أصدرته هذه البلاد أو صدر عنها من أدلة علمية عن المكتبات ومراكز البحث العلمى وخاصة مراكز التراث أو معاهد الدراسات العربية ، والافراد العلميين •

وتركز البعثات على الجوانب الآتية : ـ

١ ـ زيارة المكتبات لمعرفة عدد المخطوطات وحالتها وهل أعدت لها فهارس أم لا ، ومدى امكانية الاعتماد على تلك الفهارس وهل الفهارس مطبوعة أم خطية وكيفية الحصول عليها ، وقيمة المخطوطات نفسها وهل تضم مخطوطات ثمينة بحيث تدخل فى الاعتبار عند تحديد أولويات الحصر ثم الجمع على ما سيأتى •

٢ ـ تحديد من هم العلماء الذينيهتمون بالدراسات الاسلاميةوالعربية فى البلد الذى يزار ، والذين يمكن الاعتماد عليهم فى التعاون فى مجال فهرسة المخطوطات أو غيرها من الجوانب المطلوبة فيما بعد •

٣ ـ محاولة التعرف على الافراد الذين يقتنون المخطوطات فى تلك البلاد ، ودراسة امكان الحصول على مخطوطاتهم أو بعضها عن طريق الشراء أو التصوير وتكاليف كل من العمليتين •

٤ ـ التعرف على مراكز الدراسات الاسلامية والعربية فى تلك البلاد ومعاهد المخطوطات بها •

٥ ـ التعرف على الناشرين الذين يهتمون بنشر التراث سواء أكانوا هيئات أم ناشرين تجاريين•

وفى نهاية المرحلة السابقة سيكون الناتج اعداد أدلة تتضمن المعلومات النوعية السابقة بحيث يمكن الاعتماد عليها فى المراحل التالية ، فيكون هناك دليل بالمكتبات وفهارسها ، دليل بالافراد العلماء ، دليل بالاشخاص الذين يمتلكون مخطوطات ، دليل بمراكز ومعاهد الدراسات الاسلامية والعربية ومعاهد المخطوطات ، ودليل بالناشرين من الهيئات أو الافراد ٠

ثانيا : تفريغ الفهارس

تم فى الخطوة السابقة تحديد المكتبات التى تقتنى فهارس واعداد دليل بهذه الفهارس ٠ بعد هذا لا بد من الحصول على تلك الفهارس أما بالشراء ان كانت مطبوعة أو بالتصوير ان كانت خطية أو مطبوعة طبعة خاصة ٠

وقد اصبحت الفهارس فى حوزتنا لا بد من تفريغها على بطاقات موحدة حتى تكون لدينا نسخة أصلية من سجل المخطوطات ـ ولا أقول فهرس المخطوطات ٠ هذا السجل سوف يكون أساسا للعملية أو الخطوة التالية ، وهى الحصر ٠ أما الفهرسة فتتم بعد الحصول على المخطوطات أو نسخة مصورة منه حتى تكون الفهرسة دقيقة وممثلة ٠

ثالثا : الحصر

تعد بطاقات حصر تتضمن المعلومات الاساسية التى لا غنى عنها من المخطوط ٠ ومن دراسة الادلة السابقة التى توصلنا اليها فى الخطوة الاولى يمكن تحديد المكتبات والافراد الذين توجه اليهم هذه البطاقات ٠ وتكون المعلومات المطلوبة واضحة ولا تحتمل اللبس أو التعدد بحيث تملا البطاقات بصورة آلية ٠ وحتى لا يحدث تكرار بين المكتبات التى تقتنى فهارس فرغت فى السجل أن المطلوب فى بطاقات الحصر هو المخطوطات التى تدخل فى الفهارس ٠

وحينما يشرع فى التوجه بالبطاقات الى بلد من البلاد يكون من

مهام البعثة المرور على المكتبات لشرح المطلوب · ويمكن لافراد بعثة الحصر القيام بالعمل أو تكليف المكتبة المعنية به ثم المرور عليها مرة ثانية وبعد فترة معقولة للحصول على البطاقات التى تكون انجزت ·

رابعا : الجمع

المفروض أن تنتهى الخطوة السابقة الى اعداد سجل حصر يشمل على المخطوطات العربية في كل مكان · هذا السجل سوف يخضع لدراسة متأنية ودقيقة من جانب العلماء لوضع خطة لعملية الجمع · وبديهى أن الجمع عملية طويلة المدى تحتاج الى وقت والى مال وأفراد ـ أى الى امكانات كبيرة من جميع الوجوه · وبديهى أيضا أن الخطة توضع على اساس المتاح من هذه الامكانات ، بحيث يمكن كل سنة الحصول على عدد من المخطوطات أو صورها ·

وتلاحظ دوائر المخطوطات ثلاث دوائر هى نفسها دوائر وجود المخطوطات :

ـ دائرة الدول الاسلامية ·

ـ دائرة الدول العربية ·

ـ دائرة الدول الاجنبية ·

فالدول العربية لا زالت تقتنى مجموعات هامة جدا من المخطوطات ، وهى موجودة فى المكتبات ولدى الافراد · ويتطلب الامر اصدار تشريع لجمع المخطوطات سواء تلك التى عند المكتبات أو الافراد · وينص هذا التشريع على تسليم المكتبات والافراد لما لديهم من مخطوطات الى المركز الوطنى للتراث والذى يكون قد انشىء فى البلد ·

ويتولى المركز الوطنى حين الحصول على المخطوط فهرسته وتصويره وارسال نسخة الى « المركز الاقليمى » حتى يكون الاخير نسخة كاملة من التراث جميعا ·

أما الدول الاسلامية فهى تضم كذلك مجموعات هامة من المخطوطات مثل تركيا وايران وباكستان · وهذه لن تقبل بطبيعة الحال التخلى عما لديها · وهنا لا بد من عقد اتفاقيات تعاون ثقافي ينص فيها على التعاون فى تصوير المخطوطات · ويمكن أن يكون ذلك من خلال التبادل فهذا أنفع للطرفين وأقرب الى الاستجابة حتى تكون المنفعة متبادلة ·

ونفس الشىء يمكن أن يتم مع الدول الاجنبية ·

ويقوم بالتصوير أيضا بعثات يتم الاعداد لها اعدادا جيدا ·

خامسا : التنظيم

يتضمن التنظيم عناصر هى :

الفهرسة الوصفية : وتشمل الجوانب الوصفية المادية للمخطوط من مؤلف وعنوان وحالة مادية ، الخ · أى توثيق المخطوط ·

التصنيف : ويتضمن تحديد موضوع المخطوط حتى يتسنى معرفة ما لدينا من مخطوطات فى موضوع معين ·

رؤوس الموضوعات : وتتضمن ترتيبا للموضوعات فى صورة ألفبائية تيسر الوصول الى المخطوطات فى موضوع مخصص ·

وعناصر التنظيم هذه هى نفسها عناصر التنظيم بالنسبة للمطبوع، فيما عدا أن الفهرسة للمطبوع تختلف عن فهرسة المخطوط ، اذ تتضمن الاخيرة شمولا فى الوصف لا يحدث عند فهرسة المطبوع · وهذا يتطلب وضع قواعد موحدة لفهرسة المخطوط ·

أما العنصران التاليان فهما لا يختلفان ، لان التصنيف ورؤوس الموضوعات يهتمان بالمضمون ، وهو نفسه فى المطبوع والمخطوط · وهذان العنصران جزء من مشكلة توفير المدخل الموضوعى التى اشرنا اليها للتراث الفكرى كله وهى تتضمن توفير خطة عربية للتصنيف وقائمة عربية لرؤوس الموضوعات ·

ويتم التنظيم بطبيعة الحال ـ وكما سبق أن ذكرنا ـ للمخطوطات وللنسخ المصورة منها فقط · أما تلك التى يتسلمها المركز فتوجد لهـــا بطاقة فى سجل الحصر ·

سادسا : النشر والتحقيق والخدمة

بعد توفر حصيلة من المخطوطات يمكن أن تبدأ عملية النشر · ولا شك أن اللجنة التى ستضع خطة الجمع ستراعى متطلبات النشر بحيث تجمع مخطوطات الكتاب الواحد مرة واحدة حتى يتسنى نشره وتحقيقه · وتتطلب عملية التحقيق والنشر وضع معايير لما يجب ان ينشر وتطبق هذه المعايير لوضع خطة لما ينشر كل سنة · ويستعان بدليل العلماء فى تحديد أفضلهم لتحقيق كتب معينة · ويكون من مهام المركز الاقليمى وضع قواعد موحدة للنشر والتحقيق والخدمة يلتزم بها العلماء المساهمون ويراجعها المركز للتأكد من تحققها فى كل حالة ، حتى لا تخرج نشرات هزيلة لا يعتمد عليها علميا ·

ويتضمن منهج النشر والتحقيق والخدمة ذلك الجانب الذى تحدثنا عنه وهو التكشيف وهو يدخل في باب خدمة النص عن طريق تحليله ، وليس فقط عن طريق التحقيقات والتعليقات العلمية ·

سـابعا : ما حول النصوص

تتعلق الخطوة السابقة بالنص نفسه سواء من حيث الاقامة والشكل أو من حيث التعليق أو من حيث التحليل والتكشيف · واذا كان الحصول على المخطوط ونشره غاية في ذاته الا أنه كذلك وسيلة الى غاية أهم هى دراسة المحتوى الفكرى نفسه ، وهى الغرض النهائى من كل ما سبق ، لان مادة المخطوطات ستكون هى الاساس الذى نعتمد عليه فى كتابة تاريـخ العلوم الاسـلامية والعربية ، وفي دراسة التراث الفقهى ، وفي البت في القضايا المعاصرة ، الخ · وهذا يتطلب مجموعات ضخمة من العلماء كل فى فرع تخصصه حتى تكشف عن كل الجوانب السابقة ولا يكون هناك أى جانب من جوانب حياتنا الفكرية لم يدرس ولم يكشف عنه ·

والان وبعد ان حددنا المهام والخطوات المطلوبة ، أرجوا أن يكون قد اتضح ثقل المهام وأنه لا بد من انشاء المركز الاقليمي والمراكز الوطنيـة للتراث ، كما أرجو أيضا أن يكون دور كل قد اتضح · فالمركز الاقليمي يتولى التنسيق ووضع الخطط ويحدد لكل مركز وطني مهامه ونصيبه في عمليات التنفيذ · كما يقوم بالعمليات التى تحتاج الى التوحيد ، مـثل وضع التشريعات ، ووضع قواعد موحدة للفهرسة وقواعد محددة للنشر والتحقيق والخدمة،ووضع الخطة العامة للجمع والنشر،ويشرف على وضع معايير اعداد المشتغلين بالتراث · وبديهى أن هذا يتطلب أن تكون له مجلته ومطبوعاته · وبديهى ايضا أنه سيحتفظ بكل انواع الفهـارس والسجلات والادلة ، وبنسخة مصورة من كل مخطوط حتى يكون مقصـدا للباحثين ·

وبعد فهذه دعوة الى البحث في قضايا التراث ، ودعوة الى الاهتمام به والعمل على خدمته والدعوة موجهة الى كافة الهيئات العلمية فى وطننا العربى · وقد تصلح هذه الدراسة أن تكون ورقة عمل لمؤتمر يعقد لدراسة التراث العربى ، وأن تكون المسائل التى عرضتها فيها هى رؤوس موضوعات لما يجب أن يبحثه مثل هذا المؤتمر ، الذى يمكن أن يحدد الخطوات العملية لتحقيق المقترحات السابقة وأن يعمقها ويبحث تفاصيلها ·

ووطننا العربى ـ بحمد الله ـ غنى بامكاناته ، غنى بهيئاته العلمية، غنى بارادة الخير فيه ، غنى بحب تراثه والحرص عليه ، ولعل هذا كله أن يكون دافعا للاستجابة والتنفيذ ·

والله من وراء القصد ، وهو نعم المولى ونعم النصير ···

دكتور عبد الوهاب عبد السلام ابو النور



بقلم الاستاذ الدكتور

على عبد الواحد وافى

تدل الدراسات الاجتماعية على أن نظام الاضحية لم يخل منه دين ولا ملة ولا نحلة من الاديان والملل والنحل التى كانت مطبقة وتطبق الان فى العالم الانسانى ولا أدل على قدم هذا النظام وعموم انتشاره من الكلام عنه فى جميع الاسفار المقدسة للاديان السابقة للاسلام ، ومن أن القرآن الكريم يحدثنا عن شكل من اشكاله جرى العمل به فى عهد آدم أبى البشر نفسه ، وذلك اذ يقول : « واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر » (آية ٢٧ من سورة المائدة) ٠

هذا والوضع الالاهى السليم للاضحية وهو الوضع الذى شرعه الله تعالى منذ عهد ابراهيم عليه السلام ، وهو أن تكون من الانعام المأكولة اللحم وأن تذبح ذبحا شرعيا ويذكر اسم الله عليها ، وأن يكون الله وحده هو المتقرب بها اليه ، وأن يكون الغرض من تقديمها أن تكون مظهرا من مظاهر تقوى الله وطاعته وامتثال أوامره ، وشكره على نعمائه التى اسبغها على عباده ، وخاصة على ما رزقهم من بهيمة الانعام وسخرها لهم وفرصة للاحسان والبر بالفقراء والمساكين ، وذلك بالتصديق عليهم بلحومها أو بشىء منها ٠

ولكن كثيرا من الملل والنحل والتقاليد والنظم التى كانت مطبقة والتى لا تزال مطبقة فى العالم الانسانى قد انحرفت فيها شعيرة الاضحية عن هذا الوضع الالاهى السليم ٠ وقد حدث هذا الانحراف فى أربعة أمور : فى نوع الاضحية ، وفى طرائق تقديمها ، وفى المتقرب بها اليه ، وفى الغرض من تقديمها ٠

وسنبدأ بضرب أمثلة لهذه الانحرافات فى المجتمعات التى لا تدين بأية شريعة سماوية ، ثم نتبعها بأمثلة لهذه الانحرافات عند اليهـــود والنصارى الذين انزل الله عليهم شريعة سماوية ، ولكنهم بدلوهاوحرفوها عن مواضعها ، ونسوا خطا مما ذكروا به ، ونختم البحث ببيان موقف الاسلام حيال هذه الشعيرة وقضائه على هذه الانحرافات ٠

الاضحية عند شعوب لا تدين بشريعة سماويـــة

لم تكن الضحايا عند كثير من هذه الشعوب مقصورة على الانعام ، بل كانت تقدم كذلك من بنى الانسان انفسهم ــ ولم تكن طريقة تقديمها على الذبح ، بل كانت تتمثل كذلك فى طرق أخرى كثيرة كالخنق والشنـــق والاغراق فى مياه البحار والانهار والحرق بالنار ودفن الضحية حية ٠ ــ وكانت الضحايا تقدم للالهة التى كانت هذه الشعوب تعبدها من دون الله ٠ ــ وكانت العقيدة السائدة أن هذه الالهة تفيد من هذه الضحايا وينالهم لحومها ودماؤها او يسخرونها فى حاجاتهم ، وانها فى مقابل ذلك تحقق أغراض بنى الانسان ٠

فقد عثر الباحثون على مجتمعات بدائية كثيرة بين السكان الاصليين لامريكا واستراليا وافريقيا كانوا يقدمون ضحاياهم من بنى الانسان ٠ وكان من أشد هذه المجتمعات تمسكا بهذا النظام قبائل الازتك Aztéquers وهم السكان الاصليون للمكسيك ٠ فقد كانوا يقدمون الضحايا الانسانية لالهتهم ، وخاصة الاه الذرة التى كان يتألف منها غذاؤهم الرئيسى ٠ وكانوا يقدمونها فى مناسبات كثيرة يتكرر بعضها كل عام ، حتى لقد بلغ متوسط ما كانوا يقدمونه سنويا من هذه الضحايا زهاء خمسين ألفا من الادميين من مختلف الاجناس والاعمار ، كما جاء فى احصائيات كثير من علمـــا الاتنوجرافيا ، وهم الباحثون فى تاريخ الحضارات الانسانية ٠ وكانت طريقتهم فى تقديم الاضحية طريقة غريبة تتمثل فى أن يهشم جسمهـــا بحجرين ثقيلين يصوبان ضرباتهما المتتالية السريعة الى ظهرها وصدرها ٠ وقد جرت العادة لديهم أن تكون الضحية فى مرحلة من العمر تشبه مرحلة نبات الذرة فى الوقت الذى تقدم فيه ، فتكون وليدا عقب ظهور النبات

ورجلا بعد تمام نموه ، وطفلا أو مراهقا أو شابا فيما بين ذلك . وكانوا يعتقدون أن هذا التناسب بين سن الاضحية والمرحلة التي يجتازها النبات يجعل لها أكبر الاثر في نموه وغزارة محصوله .

ولم يقتصر تقديم الضحايا البشرية على هذه الشعوب البدائية التي ضربنا مثالا لها ، بل لقد انتشر هذا النظام عند كثير من المجتمعات المتحضرة التي لا تدين بشريعة سماوية ، وخاصة قدماء المصريين واليونان والرومان .

وكان من أهم مظاهر هذا النظام عند قدماء المصريين أنهم كانوا يقدمون لنهر النيل ، الذى كان يعد من أكبر معبوداتهم ، بنتا عذراء كل عام ضحية له ، يغرقونها في مياهه لكى تطيب بها نفسه ، فيغمر البلاد بخيره وفيضانه . وكانت الضحية تختارها عادة من اسرات الاشراف والنبلاء حتى يتسق مقامها مع مقام الاله المقدمة اليه . ويقال أن هذا التقليدية قد ظل متبعا في مصر الى أن أبطله عمر بن الخطاب وأمر بالاقلاع عنه . ويقال انه كتب رسالة وأمر أن يلقى بها فى النيل ، وقال فيها مخاطبا النهر : « ان كنت تفيض من عندك فلا حاجة لنا بك ، وان كنت تفيض من عند الله فليس الله فى حاجة الى عذراء » . ومع ظهور صفات الاسطورة على هذه القصة فان اختراعها وتداولها يدلان على قدم هذا النظام وتأصله وبقائه أمدا طويلا عند المصريين فى عصورهم القديمة والوسطى . وقد ترك هذا النظام فى مصر رواسب كثيرة ، من أهمها ما كانوا يسمونه « عروس النيل » ، وهو تمثال لبنت كان يقذف به فى النيل ابان فيضانه وكان هذا يتم فى حفل كبير ، وكان هذا التمثال رمزا للاضحية الاولى التى كانت تقدم اليه من العذارى . وقد ظل هذا التقليد معمولا به فى مصر الى عهد قريب .

وكانت الضحايا البشرية عند قدماء اليونان تقدم فى مناسبات كثيرة دينية ودنيوية لكبير آلهتهم « زوس » Zeus (وهو نفسه الاله جويتير عند قدماء الرومان وكوكب المشترى عند العرب) . وكانت الضحية تختار عادة من أسرات الاشراف والنبلاء ، وفى أوقات المجاعات كانت تختار فى الغالب من الاطفال الصغار لهذه الاسرات . وكانت طريقة تقديمه تتمثل

فى الغالب فى الذبح أو الخنق أو الشنق · وقد ظلت هذه التقاليد سائدة لديهم حتى القرن الثانى بعد الميلاد · فكثير من مؤرخى هذا العهد يذكرون حوادث لافراد قدموا أنفسهم ضحايا طوعية واختيارا لكبير آلهتهم «زوس»

وقد ظل هذا النظام ، وهو تقديم الضحايا البشرية قربانا للالهة ، متبعا عند قدماء الرومان حتى قبيل الميلاد المسيحى · ففى العام السابع والتسعين قبل الميلاد اصدر مجلس الشيوخ الرومانى قانونا يحرم تقديم الضحايا من الادميين ، ويقرر عقوبات لمن يقدم على ذلك · ولكن هذا القانون لم يضع حدا لهذا التقليد ، بدليل أنه قد ظهر بعده قانون أخر يحدد أمر التحريم ويزيد من عقوبة المخالفين · وذلك لان تكرار قوانين الحظر واتجاه كل منها الى تشديد العقوبة عما كانت عليه ، كل ذلك يدل على شيوع الشيء المحظور وعجز أولى الامر عن القضاء عليه ·

وقد شاع تقديم الآباء أولادهم ضحايا للالهة عند كثير من الشعوب التى لا تدين بشريعة سماوية ، وعلى الاخص عند العرب فى الجاهلية · فبعض القصص التى تروى عن عرب الجاهلية تدل على أن هذا النظام قد ظل سائدا لديهم الى قبيل الاسلام · فمن ذلك ما ينسب الى عبد المطلب جد النبى عليه السلام ، فقد روى أنه لما لقى العنت فى حفر زمزم ، اذ لم يكن معه حينئذ من يعاونه غير ابنه الحارث ، نذر لئن ولد لـــه عشرة بنين ، وبلغوا معه السعى حتى منعوه وأغنوه عن طلب المعونة من الناس ، لينحرن احدهم ويقدمنه ضحية لهبل ، وهو صنم لقريش كان فى جوف الكعبة ، يقول عنه ابن الكلبى فى كتابه « الاصنام » أنه كان من عقيق احمر ، على هيئة الانسان مكسور اليد اليمنى ، أدركته قريش كذلك فجعلوا له يدا من ذهب · فلما ولد لعبد المطلب عشرة بنين وتوافرت فيهم شروط النذر جمعهم أبوهم واخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء به ، فأطاعوه · فذهب بهم الى الصنم هبل واقترع عليهم ، فجعل لكل منهم قدحا ورقم اسمه عليه ، وضرب القداح فخرج قدح عبد الله والد الرسول عليه السلام ، فهم بذبحه وتقديمه قربانا لهبل وفاءا بنذره ، فمنعته قريش من ذلك ، وطلبت اليه أن يذهب الى كاهنة سموها يستشيرها بالامر لعلها تجد له مخرجا يتحلل به من نذره بدون أن يذبح ابنه · فأشارت عليه

الكاهنة أن يضرب القداح بين عبد الله وعشرة من الابل ، فان خرجت القداح على الابل ذبحها بدلا من ابنه ، وان خرجت القداح على عبد الله زاد الابل عشرة فعشرة وهكذا دواليك حتى تخرج القداح على الابل فينحر العدد الذى خرجت القداح عليه بالغا ما بلغ · فخرجت القداح فى أول الامر على عبد الله ، ولم يزل عبد المطلب يزيد من عدد الابل عشرة فعشرة ويضرب القداح وتخرج القداح على عبدالله حتى بلغ عدد الابل مائـــة فخرجت القداح على الابل · فنحر هذا العدد كله تحت قدمى هبل قربانا له ووفاء بنذره وفداء لابنه · ــ ومهما يكن مبلغ الصحة فى هذه القصة فانها تدل على أن نظام التضحية بالاولاد وتقديمهم قربانا للالهة قد ظل سائدا عند عرب الجاهلية حتى قبيل الاسلام ، وانه قد اصبح حينئذ غير مستساغ بدليل ما تذكره هذه القصة من أن قريشا منعت عبد المطلب أن يذبح ابنه ، واصبح على وشك الانقراض لديهم ، اذ اتجهوا الى أن يستبدلوا به نظام التضحية بالحيوان ·

وقد ساد عند بعض قبائل العرب فى الجاهلية ، وخاصة بعض بطون من قريش وربيعة وكندة وطىء وتميم ، نوع خاص من التضحية بالاولاد وهو وأد البنات · وكانت الطريقة السائدة فى هذا الوأد أن تحفر بجانب المكان الذى اختير لولادة الام حفرة عميقة ، فاذا ظهر أن المولود انثى قذف بها حية عقب ولادتها مباشرة وهيل على جسمها التراب · وبعض هذه العشائر كانت تئد بناتها فى أمكنة خاصة بعيدة عن المنازل حتى لا تدنسها بجثثهن ورفاتهن · وكان جبل ابى دلامة أشهر مكان كانتبعض بطونقريش تئد فيه بناتها على هذه الطريقة · وقد ظهر لى من شواهد قرآنية وتاريخية كثيرة وأثبت ذلك فى بحث لى بالفرنسية قدمته الى مؤتمرات « المجمــــع الدولى لعلم الاجتماع » وطبعه المجمع فى فصلة على حدة ، أنوأد البنات عند هذه العشائر كان نظاما دينيا يقصد به التخلص من جنس البنات وتقديمهن قربانا لالهتهن · وذلك أنه قد ساد الاعتقاد عند هذه العشائر أن الذكور جنس طاهر زكى من خلق الهتهم فيجب الابقاء عليه ، وان الاناث جنس غير طاهر وغير زكى من خلق الله ، فلا يجوز الابقاء عليهن، بل يجب تقديمهن ضحايا لمعبوداتهم الذين اشركوهم بالله ، وهذه العشائر هى التى عناها القرآن الكريم فى عدة ايات منها قوله تعالى « وجعلوا

لله مماذرأمن الحرث والانعام نصيبا ،فقالواهذالله بزعمهموهذا الشر كائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ، ساء ما يحكمون • وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ، ولو شاء الله ما فعلوه ، فذرهم وما يفترون قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراءا على الله ، قد ضلوا وما كانوا مهتدين » (آيات ١٣٦ ــ ١٤٠ من سورة الانعام) أى ن آلهتهم الذين اشركوهم بالله هم الذين زينوا لهم قتل بناتهم ، على اساس تقسيمهم للاشياء بين الله وشركائهم ، وعلى أساس أن جميع ما يجعلونه لله يجب أن يقدموه ضحايا لشركائهم ، زينوا لهم ذلك فاردوهم وأفسدوا عليهم دينهم وعقائدهم • ومنها كذلك قوله بعالى : « ويجعلون لما لا يعلمون » أى لآلهتهم التى لا علم لها لانها جماد « نصيبا مما رزقناهم ، تالله لتسألن عما كنتم تفترون • ويجعلون لله البنات ، سبحانه ، ولهم ما يشتهون » ويقول بعد ذلك مباشرة : « واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم • يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب الا ساء ما يحكمون » (آيات ٥٦ ــ ٥٩ من سورة النحل) • ومنها كذلك قوله تعالى : « وجعلوا له من عباده جزءا ، ان الانسان لكفور مبين • أم اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين » ويقول بعد ذلك مباشرة : « واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا » (أى بالجنس الذى نسبه لله وهو جنس الاناث) « ظل وجهه مسودا وهو كظيم ••• » (آيات ١٥ ــ ١٩ من سورة الزخرف) • (١)

---

(١) انظر فى تفاصيل هذا الموضوع صفحات ٦١ ــ ٧٣ من كتابى « الصوم والاضحية » ، وصفحات ٩٤ ــ ١٠٣ من الجزء الاول من كتابى « غرائب النظم والتقاليد والعادات » (وهو اهم مرجع فى هذا الموضوع) ، وصفحات ١٤٠ ــ ١٤٤ من الطبعة السابعة من كتابى (الاسرة والمجتمع) ، ومقالالى فى مجلة (الشئون الاجتماعية) المصرية عدد مارس ١٩٤٠ ، ومقالا لى بمجلة الرسالة عدده ابريل ١٩٦٥ ، ومقالا لى بالفرنسية بعنوان (نظرية جديدة فى وأد البنات عند العرب فى الجاهلية) قدمته الى مؤتمر من مؤتمرات « المجمع الدولى لعلم الاجتماع » الذى اشرف بعضويته ، ونشره

وبجانب هذه العشائر كان ثم عشائر عربية أخرى تقتل أولادهـــا ذكورهم واناثهم تحت ضغط الفقر والاملاق وما كان يخيل اليهم من انهم قد يعجزون عن الانفاق عليهم • ولكن هذا القتل لم يكن من الاضحية فى شيء ، ولم يكن الباعث عليه اعتقادا دينيا ، وانما كان الباعث مجرد الرغبة فى التخلص من الاولاد على العموم ومن اعباء تربيتهم • وهذه العشائر هى التى عناها القرآن الكريم اذ يقول : « ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق ، نحن نرزقهم واياكم ، أن قتلهم كان خطأ كبيرا » (اية ٣١ منسورة الاسراء) واذ يقول : « ولا تقتلوا أولادكم من املاق ، نحن نرزقكم واياهم » (آية ١٥١ من سورة الانعام) •

هذا وكانت العقيدة السائدة عند كثير من هذه الشعوب أن معبوداتهم يفيدون من هذه الضحايا ، وينالهم لحومها ودماؤها ، أو يسخرونها فـــى حاجاتهم • ووصفت بعض هذه الشعوب معبوداتها بصفات القسوة والوحشية وحب الدماء والتلذذ بمنظر الدم المهراق على العموم أو بمنظر ازهاق أرواح الآدميين أو أرواح انواع خاصة منهم ، فكانوا يقدمون الضحايا الحيوانية والانسانية لهذه المعبودات تهدئة لهذه الميول الدموية ، واتقاء لشرهم ، وتامينا على حياة الجماعات ، كما يقدم صاحب القطيع بعض افراد قطيعه للسبع لينجو هو ببقية افراد القطيع •

المجمع فى مجلته ، وطبعه فى فصله على حدة وهو أول بحث عرضت فيه نظريتى هذه ، ومقالا بالفرنسية فى مجلة « المصرية » L'Egyptienne

عدد يوليو ١٩٣٢ ، ومقالا لى بالعربية نشر بالعدد الممتاز من مجلة «الرسالة» فى ٣ مارس ١٩٤١ وانظر مناقشات بصدد هذا المقال جرت بينى وبين بعض الباحثين فى مجلة الرسالة (اعداد ٣١ مارس و ١٤ ابريل و ٢٨ أبريل و ٥ مايو ١٩٤١) وفى مجلة « الفتح » (عدد ٢٩ صفر ١٣٦٠ هـ) •

وقد تصديت فى معظم هذه المراجع للرد على من يذهب الى أن السبب فى الوأد يرجع الى الفقر وعلى من يذهب الى انه يرجـــع الى مبالغة بعض العشائر العربية فى الحرص على صيانة أعراضها ، وبينت عدم صحة هذين الرأيين •

الاضحية عند اليهود والنصارى

وجميع ما تقدم ذكره يتمثل فى انحرافات فى نظام الاضحية فى مجتمعات لا تدين بشريعة سماوية . وقد حدثت اشباه ونظائر لهذه الانحرافات عند اليهود والنصارى أنفسهم الذين انزل الله عليهم شرائع سماوية ، ولكنهم بدلوها وحرفوها عن مواضعها ونسوا حظا مما ذكروا به.

فقد بقى فى تقاليد اليهود وعقائدهم كثير من مظاهر الوحشية والانحراف والجهل فى فهم الغرض من الاضحية والمتقرب بها اليه وفى اختيار نوعها وطرائق تقديمها .

فمن ذلك أن كثيرا من فقرات العهد القديم نفسه ، وهو كتابهم المقدس الذى يزعمون أن اسفاره الخمسة الاولى ، وهى اسفار التكوين والخروج والتثنية والعدد واللاويين ، تتضمن التورات التى أنزلها الله على موسى ، والتوراة بريئة منها ، أقول ان كثيرا من فقرات هذا الكتاب المقدس لديهم تدل على انهم فى مرحلة من مراحل تاريخهم القديم كانوا يقدمون أول مولود ضحية لالاههم . فقد ورد فى هذه الفقرات أن فرعون لم يسمح لبنى اسرائيل بالخروج مع موسى من مصر ، فأنزل اله اسرائيل نقمته على المصريين ، فكان يهلك أول مولود لكل أبوين من المصريين وأول مولود لكل أنثى من حيواناتهم فى سائر بلاد مصر . ولما رأى فرعون وقومه ما حل بهم من العذاب استجابوا لرغبة بنى اسرائيل ، وأذنوا لهم بالخروج من مصر وكان هذا «الخروج أو الفسح» أو ما يسمونه « الفصح أو اليصح » ويحرفه الفرنجة فيسمونه « الباك » La Paque كان هذا الخروج حدثا فى تاريخهم ، واليه يرجع الفضل فى استقلالهم وتحررهم من الاستعباد . وتضيف أسفارهم الى ذلك فتقول انه لكى يظل بنو اسرائيل ذاكرين فضل الله عليهم فى هذا الخروج فرض عليهم أن يخصصوا للرب ، أى أن يقدموه ضحية له ، أول ما تلده كل أنثى من الانسان والحيوان . ولكن خفض الله عنهم فيما بعد فيما يتعلق بأول مولود من الادميين ، فشرع فداءه بذبح من الضأن . واذا لاحظنا أن هذه الاسفار ليست هى التوراة التى انزلها الله على موسى ، بل هى من صنعهم وقد كتبوها بأيديهم وأشار القرآن الكريم الى ذلك اذ يقول :« فويل للذين يكتبون الكتاب

بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت ابديهم وويل لهم مما يكسبون » (آية ٧٩ من سورة البقرة) ، ولاحظنا كذلك انهم قد سجلوا فى هذه الاسفار ما كانوا يسيرون عليه بالفعل فى مختلف مراحل تاريخهم ، اذا لاحظنا هذا وذاك امكننا ان نستنبط مما ورد ذكره فى هذه الاسفار أن التضحية بأول مولود آدمى كان نظاما سائدا لديهم فى مرحلة من مراحل تاريخهم القديم ·

ومن ذلك ايضا أن توراتهم المزعومة تنص على أن الضحايا المحرقة ، وهى التى تقدم ضحايـــا لالاههم وتحرق اجزاؤها فى المذبح تحـــت اشراف احد اللاويين ، وهم كهنة بنى اسرائيل وفقهاؤهم ، ويتألفون من نسل لاوى أو ليفى أحد ابناء يعقوب ، تنص توراتهم المزعومة على أن هذه الضحايا المحرقة يرتاح لها الاه اسرائيل ، ويفيد ومنها ، وينتعش مـــن رائحة الدخان المتصاعد منها ، وأنه لذلك لا يصح أن ياكل احد منها حتى تكون خالصة له ، وانه يغضب أشد الغضب اذا لم تقدم اليه أو اذا قدمت اليه فى صورة غير الصورة المقررة فى شريعتهم ، وانه قد يصب حينئذ جام غضبته وسوط عذابه على المقصرين والمخالفين فيرسل عليهم نارا تحرقهم ، كما فعل بولدين من أولاد هرون لم يحسنا تقديم الاضحية اليه

واشنع من هذا كله وأشد دلالة على وحشية اليهود ، وفساد عقائدهم ومبلغ عداوتهم للاجناس الاخرى من بنى الانسان، أن اسفار التلمود ، وهى اسفار من تأليف أخبارهم وربانييهم باعترافهم هم انفسهم ، ولكنها مع ذلك مقدسة لديهم ، ولا تقل اهميتها عند كثير منهم عن أهمية التوراة نفسها ، هذه الاسفار تحثهم على خطف الآدميين من غير بنى اسرائيـــل وذبحهم وتقديمهم قربانا لالاهتهم ومزج دمائهم بعجين الفطائر المقدسة التى يتناولونها فى اعيادهم ، وخاصة عيد الفصح ، وعيد استير أو البوريم، ومراسيم ختان الاطفال ، وطقوس سحرهم وشعوذتهم ·

وقد عنى المؤرخ الانجليزى أرنولدليز Ornold Leese بتسجيل أهم ما ثبت اقتراف اليهود له ، من منتصف القرن الثانى عشر الى سنة ١٩٣٧ فى مختلف بلاد أوروبا واسيا من هذه الجرائم ، واعنى بها خطف اليهود للادميين من غير بنى اسرائيل ، وتقديمهم قربانا لالاههم ، ومزج

دمائهم بعجين الفطائر المقدسة التى يتناولونها فى المناسبات السابق ذكرها عملا بوصايا تلمودهم ، ، وجمع هذا كله فى كتاب له ظهر سنة ١٩٣٨ تحت عنوان « طقوس الاغتيال اليهودية » Jewish Ritual Murder

فذكر نحو ستين حادثا ثبتت الجرائم فى كثير منها بأدلة قاطعة وباعتراف المتهمين أنفسهم أمام القضاء وحكم فى بعضها بالاعدام على المجرمين ، ونفذ فيهم الحكم (١) ٠

بل لقد شهد شاهد من أهلهم ومؤرخ من اقدم مؤرخيهم وأشهرهم ، وهو المؤرخ اليهودى يوسيفوس المتوفى سنة ٦٥ بعد الميلاد ، شهد بأنهم ما كانوا يقتصرون على ذبح الآدميين من غير بنى اسرائيل ، وتقديمهم قربانا لالاههم ، ومزج دمائهم بعجين الفطائر المقدسة التى يتناولونها فى اعيادهم بل كانوا كذلك يأكلون قطعا من لحومهم ٠

وتقوم الديانة المسيحية الحاضرة ، وهى ليست المسيحية التى أنزلها الله على عيسى ، بل هى ديانة شرك قد حرفت تحريفا كبيرا عن أوضاعها الالاهية الاولى ، تقوم هذه الديانة على عقيدة الفداء الربانى ، أو تضحية الالاه بنفسه ٠ وذلك انهم يعتقدون أن الاقانيم الالاهية ثلاثة وهى الاب والابن وروح القدس ، وأن المسيح الاه متلبس بأقنوم Hypostage من هذه الاقانيم وهو اقنوم الابن أو الكلمة ، وأن هذا الالاه قد قدم نفسه للصليب ضحية ليفدى الادميين ويكفر عنهم بدمه الخطيئة الازلية الاولى التى ارتكبها أبوهم آدم اذ اكل الفاكهة المحرمة عليه والتى انتقل اثمها الى جميع نسله ، وكان هذا الاثم سيظل عالقا بهم أبد الابدين لولا هذه التضحية وهذا الفداء ٠

---

(١) انظر في هذا كله كتاب أرنولدليز المشار اليه وكتاب المرحوم عبد الله التل « خطر اليهودية على الاسلام والمسيحية » ، وكتابنا « الاسفار المقدسة فى الاديان السابقة للاسلام » الطبعة الثانية ، صفحات ٣٠ ـ ٣٣ ، ومقالا لنا فى جريدة « العلم » المغربية الصادرة فى ٣٠ـ١١ـ٧٤ ، ومقالا لنا فى مجلة الرسالة « الرسالة » المصرية عدد ١٥ ابريل ١٩٦٥ ٠

الاضحية في الاسلام

وجاء الاسلام فقضى على هذه الانحرافات جميعا وعاد بالاضحية الى الوضع الصحيح الذى شرعه الله من عهد ابراهيم عليه السلام ٠

ففيما يتعلق بمعتقدات المسيحيين فى المسيح والصلب والفداء يقرر الاسلام أن المسيح ليس الا بشرا رسولا أرسله الله الى بنى اسرائيل كما ارسل اليهم كثيرا من الرسل من قبله ، وانه لم يقتل ولم يصلب بل شبه لهم ورفعه الله اليه وأن اثم المعصية لا يحتمله الا مقترفها وحده ، فلا تنتقل الى غيره ، وان آدم قد استغفر من خطيئته عقب وقوعها مباشرة ،فغفرها الله له ، وانمحى أثرها من ذلك الحين وانتهى أمرها ٠ وفى هذا يقول الله تعالى « ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلتقبله الرسل ، وأمه صديقة، كانا يأكلان الطعام » ، ويقول : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » ويقول : « ولا تزر وازرة وزر أخرى »ويقول : « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ،انه هو التواب الرحيم » ٠

وكما قضى الاسلام على هذه العقائد المسيحية الفاسدة ، قضى كذلك على جميع ما حدث فى الاديان والملل والنحل الاخرى ، وخاصة عند اليهود وعرب الجاهلية ، من انحرافات في نظام الاضحية ، سواء في ذلك ماحدث من هذه الانحرافات في نوع الاضحية ، وما حدث في طرائق تقديمها ، وما حدث في المتقرب بها اليه ، وما حدث في الغرض من تقديمها ٠

أما فيما يتعلق بنوع الاضحية وطرائق تقديمها والمتقرب بها اليه ، فان الاسلام يقرر أن الضحايا لا تكون الا من الانعام المأكولة اللحم ، وان ليس لتقديمها الا طريقة واحدة وهى النحر في الابل والذبح فيما عداها على أن يذكر اسم الله عليها في اثناء النحر أو الذبح ، الله وحده هو المتقرب بها اليه ٠ وفي هذا يقول الله تعالى « ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام ، فالاهكم الاه واحد ، فله أسلموا وبشر المخبتين » (آية ٣٤ من سورة الحج) (والمنسك هو تقديم النسك وهو الاضحية ، واسلم أى أذعن وانقاد ، واخبت أى خشع وتواضع ، والمخبت هو الخاشع المتواضع) ٠ ففى قوله تعالى : «ليذكروا اسم الله على مارزقهم

من بهيمة الانعام » اشارة الى أن الاضحية لا تكون الا من الانعام المأكولة اللحم ، وأن ليس لتقديمها الا طريقة واحدة وهى أن تنحر أو تذبح على الطريقة الشرعية ويذكر اسم الله عليها ، وفي قوله تعالى : « فالاهكم الاه واحد ، فله أسلموا وبشر المخبتين » اشارة الى ان الله وحده هو الذى يتقرب اليه بالضحايا . وبذلك قضى الاسلام على جميع ما حدث في الاديان والملل والنحل من انحرافات في نوع الاضحية وفي طرائق تقديمها وفي المتقرب بها اليه .

وأما فيما يتعلق بالامر الرابع ، وهو الغرض من الاضحية ، فان الاسلام يقرر أن الغرض منها أن تكون مظهرا من مظاهر تقوى الله وطاعته وامتثال أوامره والتقرب اليه وشكره على نعماته التى اسبغها على عباده ، وخاصة على ما رزقهم من بهيمة الانعام وسخرها لهم ، وفرصته للاحسان والبر بالفقراء والمساكين . ويقرر كذلك أن الله تعالى لا يصل اليه شيء من لحوم الاضاحى ولا من دمائها ، ولا يفيد شيئا من هذه الدماء ، وانما الذى يصل اليه من ذلك هو تقوى الناس له ، وامتثالهم لاوامره ، وشكرهم له على تسخير الانعام لهم وعلى هدايته اياهم . وفي هذا يقول الله تعالى : « لن ينال الله لحوما ولا دماؤهم ولكن يناله التقوى منكم ، كذلك سخرها لكم لتكبرو الله على ماهداكم وبشر المحسنين » ؛ والمحسنون هم الذين يحسنون أعمالهم فيؤدونها وفق تعاليم الاسلام ، وهم كذلك الذين يحسنون الى الفقراء والمساكين من لحوم ضحاياهم . وقد وضح الله تعالى هذا النوع الاخير من الاحسان اذ يقول متحدثا عن الضحايا : « فكلوا منها واطعموا البائس الفقير » واذ يقول فى آية أخرى متحدثا عن الضحايا كذلك: « فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر » والقانع هو السائل من قنع يقنع بالفتح اذا سأل ، والمعتر هو الذى يطيف ولا يسأل) . وفي هذا رد صريح على ما كان يعتقده كثير من أهل الملل والنحل من أن الالهة يفيدون من هذه الضحايا وينالهم لحوما ودماؤها أو يسخرونها في حاجاتهم ، ورد صريح على ما كان يعتقده اليهود من أن الاههم يرتاح للضحايا المحرقة ، ويفيد منها وينتعش من رائحة الدخان المتصاعد منها ، وانه لذلك لا يصح أن يأكل أحد منها حتى تكون خالصة له .

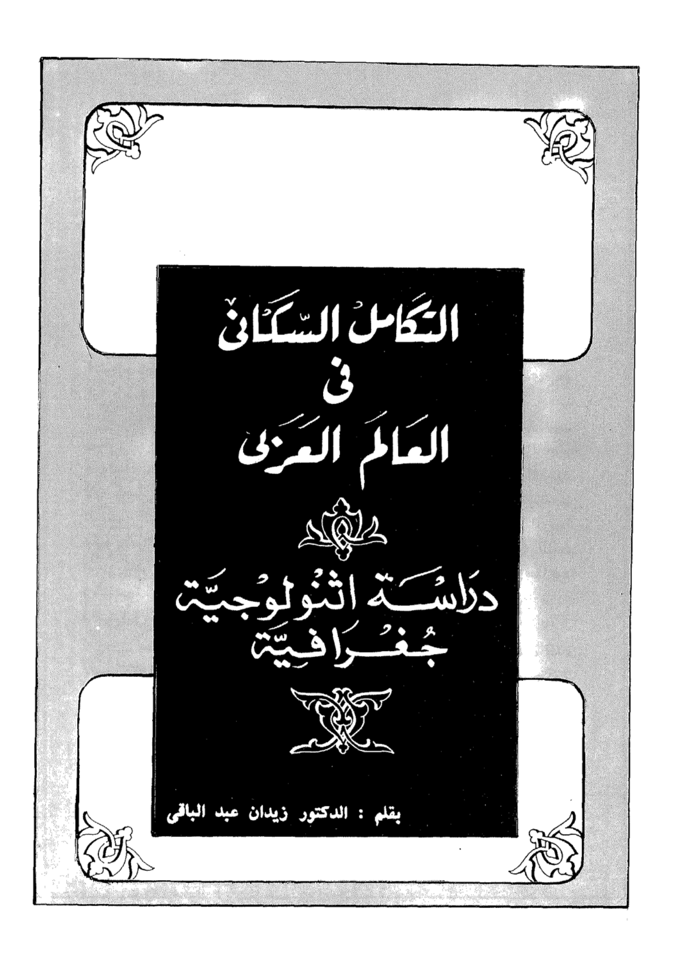
وبذلك قضى الاسلام على جميع ما حدث في الاديان والملل والنحل من انحراف فيما يتعلق بالغرض من الاضحية ، كما قضى على جميع ما حدث من انحراف فيما يتعلق بنوع الاضحية وطرائق تقديمها ، والمتقرب بها اليه .

ومن ثم حرص الاسلام على تحريم ضحايا العرب في الجاهلية التى ترجع في أصلها الى عبادة الشرك وتقديم القربان لغير الله · ومن ذلك ضحية « الفرع » بفتحتين ، وهو اول نتاج الانعام الذى كان العرب يذبحونه لطو اغيتهم ، وضحية « العتيرة » التى كانوا يذبحونها لاصنامهم في شهر رجب · فقد اخرج البخارى في صحيحه عن ابى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لافرع ولا عتيرة »·

وحرص الاسلام كذلك في بعض ما أقره من ضحايا الجاهلية على ان تسمى بأسماء غير الاسماء التى كانت تطلق عليها من قبل ، حتى تنقطع صلتها بالجاهلية وعقائدها وطقوسها ومن ذلك الضحية التى يســـن في الاسلام ذبحها للاحتفال ببلوغ المولود اليوم السابع ، وهو اليوم الذى يعلن فيه اسمه ويحلق فيه شعره ، والغرض منها اظهار البشر بالمولود الجديد وشكر الله على ما انعم والتوسعة بهذه المناسبة على الفقراء والمساكين الذين ينبغى أن يخصص لهم قسم منها · فقد كانت هذه الضحية تسمى في الجاهلية « عقيقة » تسمية لها بالكلمة التى تدل على الشعر الذى يولد عليه المولود، لان كلمة «عقيقة »في اللغة العربية معناها هذا الشعر ، ثم أطلقت على الضحية التى تذبح في اليوم الذى يحلق فيه هذا الشعر · وقد آثر الرسول عليه السلام أن تسمى « نسيكة » حتى يطلق عليها لفظ آخر غير اللفظ الذى كان يطلق عليها في الجاهلية،فتنقطع بذلك صلتها بالجاهلية وعقائدها وطقوسها ، فقال عليه السلام : « قولوا نسيكة ولا تقولوا عقيقة » · والنسكية كالنسك معناها الضحية التى تقدم قربانا لله تعالى ·

وترجع أهم الضحايا في الاسلام الى اربعة أنواع · أحدها الهدى الذى يقدمه الحاج وجوبا واستحبابا أو كفارة عن خطا أو نقص حدث في مناسك الحج · وثانيها الضحية التى يقدمها غير الحاج يوم عيد الاضحى · وثالثها الضحية التى يقدمها المؤمنوفاءبنذرنذره، لقوله تعالى :«وليوفوا نذروهم » ورابعها العقيقة أو النسيكة السابق ذكرها · وكل نوع من هذه الانواع يجب أداؤه وفق الاوضاع الاسلامية التى ذكرناها ؛ وفي كل نوع من هذه الانواع تفصيلات كثيرة يرجع اليها في كتب الفقه الاسلامى ·

د· على عبد الواحد وافي


التكامل السكانى
فى
العالم العربى
دراسة اثنولوجية
جغرافية
بقلم : الدكتور زيدان عبد الباقى

تمهيد

يشغل الوطن العربى قلب العالم القديم ، وهو في نفس الوقت صلة الوصل بين العالم القديم والعالم الحديث ، ويقع فيما بين المنطقة المعتدلة والمنطقة المدارية • وتمتد حوالى خمسة الاف كيلو متر من الخليج العربى والعراق شرقا الى المغرب وموريتانيا غربا• ويبلغ أقصى طوله من الجنوب الى الشمال حوالى ثلاثة الاف كيلو متر ، وهو طول مجرى نهر النيل من حدود السودان الجنوبية الى مصبه في البحر الابيض • وتقدر هذه المساحة بحوالى ١٢/٢ مليون كيلو متر مربع • وبذلك تربو مساحة الوطن العربى على مساحة القارة الاوربية •

هذا وقد بلغ عدد السكان في العالم العربى سنة ١٩٧٧ نحو ١٨٨/٧٦٧/١٤٣ نسمة ، يعيش أقل من ثلثهم ، أى ٨٨٨/٦٥٠/٤٥ في قارة آسيا ، ويعيش الثلثان الباقيان ، أى ٣٠٠/١١٦/٩٨ في قارة افريقيا • ولذلك تعتبر افريقيا بمثابة الارض العربية الرئيسية من حيث المساحة وعدد السكان ، على حين أن اكبر دولة عربية من المساحة وعدد السكان على حين أن اكبر دولة عربية من حيث المساحة هى السودان واكبر دولة عربية من حيث السكان هى مصر •

الاصل السلالى للسكان العرب

يزعم الانثربولوجيون ـ استنادا الى دارون ـ أن أجداد البشريةومن بينهم السكان العرب من القردة • ويرددون أن الانسان دائم المغالات في تقدير ذاته ، وان كثيرا من الاراء التى نرفضها في حياتنا اليومية ، نرفضها بدوافع من هذا النوع •

ولكننا نرى ان الانسان لم يتحدد من اى نوع من انواع القردة العليا التى مازالت باقية حتى الان • فهذه القردة ليست بالقطع اجدادنا

---

١ ـ الاستاذ الدكتور مصطفى الخشاب : دروس في مقومات المجتمع العربى ونظمه • مطبعة لجنة البيان العربى ، القاهرة ١٩٦٢ صفحة ٨٦ •

البعيدة ، ولعلها من ابناء عمومتنا · وعلى ذلك فان زعم الانثربولوجيين بان اجدادنا كانوا قردة تتراقض فوق فروع الاشجار على اربع لايستند الى اساس · وانما الكلام الذى يستند الى اقدم مرجع علمى وهو القرآن الكريم يؤكد أن الانسانية تعود الى اصل واحد ، تعود الى انسان عاقل ، كان هو الجد الاول للبشرية · ومن ثم فأصل البشرية كما يقول القرآن الكريم « رجل وامرأة »خلقهما الله من نفس واحدة لقوله تعالى : يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث فيهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام، ان الله كان عليكم رقيقا » (الاية الاولى من سورة النساء) وترتيبا على ذلك فان البشرية كلها من سلالة آدم وحواء ·

والذى يؤكد وجهة النظر هذه أنه منذ اكثر من مليون سنة لم يتحول قرد واحد الى انسان · وأتصور أن ذلك لن يحدث · غير أن الذى يذهل بالفعل هو هذه الثقة الشديدة التى يتحدث بها الانتربولوجيون عن أحقاب زمنية بعيدة ، ويأتوننا بصور لادميين لهم ذيول ويسيرون على اربع ، وهى كلها صور من وحى الخيال · انها ولا شك جراءة بالغة منهم ان يتكلموا بهذا اليقين عن عصور سحيقة ، غاية في البعد ، بينما لا يتوافر في ايديهم القرائن والادلة التى تؤكد آراءهم · ان الامر كله لا يخلوا من ان يكون مجموعة من الاستنتاجات التى قد تكون خطأ ــ وهذا هو الاقرب الى الواقع ــ وربما تكون صوابا ، وهذا مانستبعده · ان الانسان لم يكن قد اكتشف الكتابة ، ومن ثم فكل هذه التفصيلات الدقيقة عن حياة الانسان القرد لاتعدو أن تكون مجرد أوهام

حقيقة ان اجدادنا الاوائل عاشوا بين الاشجار · واذا كان اسلاف القردة العليا يعيشون حتى الان بين الاشجار ··· فقد اخذ اسلافنا من الجنس البشرى يعيشون فوق الارض · ومن المرجح أنه لم تكن صورتهم على نفس الصورة الحالية · ويمكن ــ بحكم الجواز أن بعض الاجداد من البشر كانوا يسيرون على أربع · وقد يكون لبعضهم ــ ذيل ــ يختلف عن مثله لدى أبناء عمومتنا من القردة العليا · بينما ظلت القردة تستخدم ذيلها في التأرجح بين أغصان الاشجار ، وبذلك استمر قائما · على حد استخدام الاسلاف ذراعهم فى ذلك ، ومن ثم تلاشى الذيل ــ اذا وافقنا جدلا ــ بأنه كان موجودا ، وان كنا نشك في ذلك · وبذلك حدثت تغيرات

هامة كانت هى الاساس للتطور الكبير الذى حدث في جسم الانسان ٠ وبهذا أصبحت قامته أقصر من ذى قبل ، واكثر اكتنازا ، وأخذت عضلات البطن تقوى حتى تحوى الاحشاء ثابتة في مكانها ٠ أما الحوض فقد أصبح اعمق مما كان واكثر استدارة حتى يستطيع استيعاب وحمل الاحشاء ٠ ونتيجة لذلك لانت مفاصل الكتفين بحيث أمكن تحريك الذراعين بشكل ميسور في دائرة تكاد تكون كاملة ٠وعندما انتصبت ـ بفعل ذلك كله ـ قامة الانسان ، لم يعد في حاجة الى أن يستخدم قدميه الاماميتين في السير ٠ وهكذا عرفت « الذراعان » مهمة أخرى ، واستطالت أصابعها ، وفي كل يد ابتعدت احدى الاصابع عن الاخرى لتصبح ابهاما ٠

غير أن الانثربولوجيين ، عثروا على بقايا كثيرة ترجع الى أب البشرية ـ الانسان الاول كما يقولون ـ في مناطق متفرقة من العالم،في نياندرتال، بالقرب من دوسلدروف في المانيا ، وفي بكين ، وفي جاوه ، وفي وادى النيل بمنطقة كوم امبو الى الشمال من اسوان ٠٠ عثروا هنا وهناك على بقايا هياكم عظمية قديمة وجماجم تبين من دراستهم لها،أنه كان لهذا الانسان جسم يماثل جسمنا الحالى باستثناء الرأس الذى كان يماثل رؤس القردة من وجهة نظرهم ٠ وهو ليس كذلك في الواقع ، لانه لم تكن له الانياب الكبيرة التى نراها في القردة العليا الحالية ٠ وانما كانت أسنانه تشبه اسناننا الحالية ، الامر الذى يؤكد أن هؤلاء الاجداد كانوا ياكلون نفس الاطعمة التى ناكلها حاليا ، مثل اللحوم والخضروات والنشويات ، وان كانت نيئة مما يؤكد عدم التشابه بين الانسان والقردة العليا ٠ وبالاضافة الى ذلك فقد كان مخ الانسان الاول اكبر نسبيا من مخ القردة العليا ، بصرف النظر عن تراجع جبهة الانسان الاول الى الخلف قليلا ٠

هذا ويحدد بعض العلماء أجناس هذه البشرية بثلاثة أجناس رئيسية هى :

١ ـ الجنس الزنجى ٠

٢ ـ الجنس القوقازى ويتكون من ثلاث سلالات هى : الآرية والسامية ، والحامية ٠

٣ ـ الجنس المغولى ٠

ولقد تعارف العلماء على أن الجنس المغولى بمميزاته التشريحية المعروفة ، ظهر في أقصى الشرق ، حيث لاتزال مجموعات من أحفاده تعيش حتى الآن في شرق آسيا واليابان ... أما الجنس القوقازى فقد كان يعيش فى المناطق الشمالية من آسيا ، وبالذات السلالة الارية من هذا الجنس ، تلك التى تجمعت حول بحر قزوين ، وفي السهول الممتدة جنوبا فى شرق هذا البحر وغربه .وفيما يتعلق بالسلالة السامية من هذا الجنس، فقد كانت تعيش في مناطق جنوبى غربى آسيا وشبه الجزيرة العربية ومنطقة الهلال الخصيب ، ثم تبقى السلالة الحامية ، وكانت تعيش فى الجزء الشمالى الممتد من البحر الاحمر شرقا الى المحيط الاطلسى غربا .

وثمة نظرية تقول ان الجنس الزنجى نشأ في مناطق جنوبى شبه الجزيرة العربية ، وهى المناطق المطلة على المحيط الهندى ... وفي عصور غارقة فى القدم طغت أمواج المحيط على هذه المنطقة ، فهب اصحابها مهاجرين ... جماعات منهم نحو الشرق، وجماعات نحو الغرب ، وجماعات أخرى سارت شمالا مع نهر النيل حيث استقرت في منطقة الخرطوم ، وظهر بعض منها في مصر في عصور تؤرخ بحوالى القرن التاسع عشر أو العشرين قبل الميلاد .

واذا لم يكن هناك مايميز الانسان الاول الذى تم العثور على جماجمه في كوم أمبو عن الانسان الاول الذى ظهر في مناطق متفرقة من العالم ، فمتى على وجه التحديد أصبح ممكنا أن نتكلم عن جماعة بشرية عاشت في المنطقة العربية ، وأطلق عليها اسم العرب ؟ أو بالاحرى متى كنا في هذا المكان ؟ .

من المرجح أنه خلال العصر الحجرى القديم لم تكن هناك جماعة بشرية تستطيع أن نطلق عليها اسم العرب ، حيث لم يكن الانسان قد عرف بعد معنى الاستقرار في مكان معين ، أو ما يسمى بمرحلة الجمع والالتقاط ، حيث كانت بعض جماعات الانسان الاول الدائمة التجول وراء الصيد،كانت تهيم على وجهها في كل مناطق الجزيرة العربية والشمال الافريقى .

المهاد الاولى للسكان العرب :

ونتيجة للجفاف الذى ساد هذه المنطقة في الالف السادسة قبل الميلاد،

هاجر الانسان والحيوان الى وديان الانهار ليجد الماء والعشب · وكانت تلك الهجرات من الاحداث البشرية الضخمة ، بحيث يطلق على تلك الفترة (عصر الهجرات الاولى) فقد هاجرت من قلب الجزيرة العربية أفواج من البشر (جماعات سامية) هربا من الجفاف يشدها — الى الشمال — مناطق الهلال الخصيب ··· ومن هذه الموجات الكثيفة عبرت جماعات بشرية سامية برزخ السويس الى افريقيا ··· الى وادى النيل ، كما اتجهت الجماعات البشرية الحامية التى كانت تعيش فى مناطق شمال افريقيا هى الاخرى الى دلتا النيل ، وهى من جنس البحر الابيض المتوسط ، بالاضافة الى جماعات أخرى حامية جنوبية كانت تعيش في مناطق افريقيا الوسطى وهاجرت الى الشمال يشدها نهر النيل (١) ·

هذا من رأى المستشرق الايطالى «كيتانى» وغيره من العلماء ان سكان الجزيرة العربية من أصل سام ، بل هم الساميون وحدهم ، وأن أول تواجد لهم كان في جزيرة العرب · وأنهم جنس من أصل واحد تتشابه لغاته · وأن اللغة العربية هى أقرب اللغات السامية الى الاصل الذى تنتمى اليه ، وأنهم أتوا بحضارات أصلية ، وقد استنتج «كيتانى» على اساس أن مناخ الجزيرة العربية — في العصور الجيولوجية القديمة — كان رطبا مع قليل من الدفء ، وان مياه الجزيرة العربية كانت غزيرة

رطبا مع قليل من الدفاء ، وان مياه الجزيرة العربية كانت غزيرة ،
المناخ الى الحرارة مع زيادة الجفاف اجدبت الارض · وبدأ عدد السكان يتناقص نتيجة لهجرة البعض الى اطراف الجزيرة العربية وراء العشب والماء والارض الخصبة ومنذ ذلك الحين بدأت الموجات السامية من المهاجرين تغزى بالسكان اطراف الجزيرة مثل منطقة الرافدين فى العراق ، وانهار منطقة الشام ، وكذلك حوض نهر النيل ، حيث ازدهرت حضارات ومدنيات كانت ذات شأن عظيم ·

غير أنه لكثير من العلماء آراء تصل الى حد التناقض حول المهاد الاولى لسكان الجزيرة العربية ، فمن قائل :

---

١ — دكتور زيدان عبد الباقى : أسس علم السكان · مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٧٨ ص ٢١٢

ا ــ ان مهدهم كان في العراق وهو ما ذهبت اليه التوراة ، وان أقدم نشاتهم كان الاكاديون ، البابليون ، الآشوريون ، والكلدانيون ، ومن العراق توجه العرب الى الجزيرة العربية • وصار الاحباش في بلاد الحبشة •

ب ــ ان مهدهم كان الحبشة (اثيوبيا)ومنها عبروا البحر الاحمر الى الجزيرة العربية عن طريق باب المندب ، ومن الجزيرة العربية تفرق بعضهم الى منطقة الهلال الخصيب ، حيث قال بذلك «ملكريف» (١) استنادا الى رأى «برنتون» حول وجود تشابه في الملامح ، وفي الخصائص السلالية، فضلا عن اللغوية بين الاحباش والبربر والعرب ••• حتى أنه زغم أن جبال الاطلس هى الموطن الاصلى للساميين (٢) ، كما استخلص فريق من العلماء وجود نوع من الصلات اللغوية والعلاقات الاثنولوجية التى تلاحظ على سكان تلك المنطقة ، وقرروا ــ بناء على ذلك ــ أن الموطن الاصلى للساميين هو شرق افريقيا ، وان اختلفوا في نوعية الطرق التى سلكوها في عبورهم الى اسيا ، حيث ذهب البعض الى أن سيناء كانت المنفذ الرئيسى (٣) • وقرر البعض أن باب المندب كان الطريق المؤدى الى اليمن السعيد ، ومنه الى شبه الجزيرة العربية الى منطقة الهلال الخصيب • غير أنه طبقا لاتجاهات الهجرة يستحيل على المهاجرين ترك طريق وادى النيل بخصوبة اراضيه وما يحمله النهر من ماء عذب وغرين يساعد على ازدهار الزراعة ، ويتجهون في هجرتهم الى الجزيرة العربية بصحاريها وفيافيها وقفارها•ولهذا فان هذا الرأى من وجهة نظرنا ليست له اسانيد يقينية•

ج ــ ان مهدهم كان فى المنطقة الواقعة جنوب نهر الفرات ، ومنها انتشروا في الجزيرة العربية وفي الهلال الخصيب ووادى النيل •

د ــ أن مهدهم كان فى بادية الشام حتى بلاد نجد فى شمال الجزيرة العربية ، ومنها تفرقوا في مختلف الاصقاع •

---

1 - Brasted .I. : The Origins of Civisation . Reprinted by the Scientific monthy . Nov ., 1919 .

2 - Brinton , A. : Cardle if Semites .

٣ ــ الدكتور احمد فخرى : اليمن ، ماضيها وحاضرها • صفحة ١٦

هـ ـ ان مهدهم كان جزيرة العرب، ومنها اتجهوا الى العراق وسوريا، حيث اسسوا دولا شهيرة هناك، كما اتجه البعض الى مصر عن طريق سيناء والى الحبشة والسودان وصعيد مصر عن طريق باب المندب. وقد اشار البعض الى أن ارتقاء الحضارة الفرعونية وازدهارها يرجع الى أول هجرة جماعية من القبائل التى قدمتها شبه الجزيرة العربية . وهى شقيقة للهجرات التى انشأت الحضارة الاشورية والبابلية ويشير بعض الاثريين الى ان بدو الجزيرة العربية قد دخلوا الى مصرعن طريق الصحراء الشرقية، ووصلوا الى النيل عن طريق الدرب الموصل بين القصير والنيل . وقد بقيت لهذا الدرب مكانة خاصة فى جميع العصور على امتداد التاريخ المصرى القديم. وكان هذا الدرب يشتهر باسم « طريق الآلهة » اشـــارة الى مجىء بعض اسلافهم وبعضهم الهتهم عن هذا الطريق . ويضيف الى ذلك قوله بأنه ما من شك فى أن صلة مصر بالشعوب السامية (ومنها الشعب العربى) فى عصر ما قبل التاريخ ، قد تركت آثارها فى اللغة المصرية القديمة ، سواء فـــى مفرداتها أو فى اجروميتها . (١)

والرأى الاخير يلقى اجماع غالبية العلماء والباحثين ، لا سيما وان العرب خرجوا من جزيرتهم فى صدر الاسلام ـ بنفس الاسلوب تقريبا ـ فى موجات متتابعة الى قارات آسيا وأفريقيا واوروبا ، الامر الذى يؤكد ذلك الرأى .

الاصول السلالية للسكان العرب :

يقسم الانثربولوجيون سكان العالم الى ثلاث مجموعات جنسية كبرى على النحو التالى :

١ ـ مجموعة الاجناس القوقازية : Homo Caucasicus

وتتكون هذه المجموعة من أربعة اجناس هى :

ـ أ ـ الجنس النردى ـ ب ـ الجنس الالبى

---

١ ـ للدكتور ابراهيم رزقانة : الانثربولوجيا . مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٧ صفحات ٧١ ـ ٧٥

ـ ج ـ جنس بحر أبيض متوسط   ـ د ـ جنس الهندوس

٢ ـ مجموعة الاجناس المغولية : Homo Mongolicus

وتنقسم مجموعة الاجناس المغولية الى ثلاثة شعب هى :

ـ أ ـ المغول الاصليون بشرق آسيا ..

ـ ب مغول الملايو بجزر الهند الشرقية .

ـ ج ـ الهنود الحمر بأمريكا .

مجموعة الاجناس الزنجية : Homo Aethiopicus

وتضم مجموعة الاجناس الزنجية شعبتين رئيسيتين هما :

ـ أ ـ الزنوج من أفريقيا وبابوا (غانا الجديدة) وميلانيزيا .

ـ ب ـ الاقزام ..

فالى أى من هذه الاجناس ترجع الاصول السلالية للسكان العرب ؟

ينتمى السكان العرب فى جزء كبير منهم الى جنس البحر الابيض المتوسط الذى يعيش طبقا لرأى الانثرنولوجيين حول البحر الابيض المتوسط فى أوروبا وآسيا وافريقيا . فقد كان يسود كل تلك الجهات الساحلية ويسيطر عليها . ومن صفاته العامة الشعر المموج والبشرة التى تتراوح بين البياض والسمرة . أما الرأس ففيها الطويل والمتوسط والعريض ، والفك غير بارزة Orthognathous وعظام الخدين غير بارزة والانف ضيقة والعين مستقيمة والاسنان صغيرة ، والقامة تتراوح بين المتوسط وفوق المتوسط (١)

على حين ان المؤرخين أمثال الطبرى والمسعودى وابن خلدون يذهبون الى أن « نوحا » قد انجب ثلاثة أولاد وهم « سام ، وحام ، ويافث » وأن « سام » هو أب العرب و « يافث » أب الروم . و « حام » أب الحبش

١ـ المرجع السابق

والزنوج • وفى أقوال أخرى أن سام اب العرب والفرس والروم وأن ياقث أب الترك والصقالية • وأن حام أب القبط والسودان والبربر (٢)•

ومعنى ذلك أن العرب ينتمون ــ فى الغالب ــ الى سلالة « سام » غير أن صفة « العرب » كان تطلق على سكان الجزيرة العربية • والوطن العربى فى الوقت الحالى ، بالاضافة ــ الى الجزيرة العربية ــ يشمل شمال وشرق افريقيا ، ومنطقة الهلال الخصيب والشام • وطبقا لرأى ابــن خلدون ، فانه يمكننا القول ان الوطن العربى يشمل سلالة سام فــى الجزيرة العربية وسلالة « ياقث » على الشاطىء الجنوبى والشرقى للبحر الابيض المتوسط ، وسلالة « حام » فى السودان والصومال وموريتانيا •

هذا وفى أواخر القرن الثامن عشر ، أوضح علماء اللغات والاجناس البشرية وعلى راسهم العالم النمسوى (شلوزر) Schlozer أن العرب القدماء ينتمون الى ما يعرف بالجنس السامى Semetic race واستندوا فى ذلك الى ما لوحظ من أوجه الشبه بين اللغات البابلية والاشوريــة والفينيقية والكنعانية والارامية والعربية والحبشية والقبطية ، ولغات أخرى سادت فى منطقة الشرق الادنى فى العصور القديمة • وخرجوا من هذا التشابه اللغوى الذى يدل فى كثير من مظاهره على تشابه التفكير والعقلية الى أن الشعوب التى كانت تتحدث بهذه اللغات ترجع الى أصل واحد ، واطلقوا عليه اسم « الاصل السامى » نسبة الى سام بن نوح الذى ورد اسمه فى (سفر التكوين ، الاصحاح العاشر) •

وعلى ذلك فان الاصول السلالية للسكان العرب ترجع الى مصدرين :

١ ــ **العرب البائدة** : وهم الذين عاشوا وبادوا قبل الاسلام ، ولم يبق من آثارهم من شىء ، سوى ما جاء فى القرآن الكريم وفى الاخبار العربية عنهم • ومن أهم قبائل عادو ثمود وطسم وجديس الاولى •

٢ ــ العرب الباقية وهم قسمان :

(أ) **العرب العاربة** : اى العرب الخلص ، وهم القحطانيون من سكان اليمن وجنوب شبه الجزيرة العربية • والقحطانيون ينسبون الى قحطان بن عامر الذى ورد ذكره فى التواة • وهو من نسل نوح • ويقال انه كان له

٢ــ مقدمة ابن خلدون والجزء الاول من تاريخه •

ولد يدعى « يعرب » وان يعربا هذا هو أول من اتخذ اللغة العربية لسانا ومن هنا أطلق بعض العلماء على القحطانيين اسم «**العرب العاربة**» ٠

(العرب المستعربة) : أى الذين تناسلوا من ذرية اسماعيل بـــن ابراهيم الخليل الذى اسكنه والده مع امه بواد غير ذى زرع عند بيت الله الحرام فى منطقة الحجاز ، ثم تزوج من قبيلة « جرهم » القحطانية وعاش بمكة وتعلم اللغة العربية منهم ، ونقلها الى ذريته ٠ ومن ذريته عدنان جد العرب المستعربة ، واليه ينتهى نسب رسول الله عليه الصلاة والسلام ٠

هذا وقد تكاثر العدنانيون وانتشروا فى الجزيرة العربية ، وسكنوا مختلف أقطارها بمختلف قبائلهم وبطونهم وأفخاذهم ٠ وعلاوة على ذلك يفرق المؤرخون بين عرب الجزيرة العربية ، فيقسمونهم الى قسمين أخرين أيضا هما :

١ ــ **عرب الشمال** : الذين استوطنوا الحجاز ونجد وأواسط بـــلاد العرب ، وهم من الاعراب ، وكانت منازلهم من الخيام المصنوعة من أوبار الانعام ٠ وكانوا ولا زالوا يتكلمون اللغة العربية ، وهى لغة القـــرآن الكريم ٠

٢ ــ **عرب الجنوب** : وهم الذين استوطنوا اليمن وحضرموت ، وكانت لغتهم هى السبأية أو الحميرية ، وهى لغة عربية ايضا لاتزال بعـــض نصوصها باقية بالخط المسند ، وكانت هذه اللغة تختلف من حيث القواعد والبناء مع اللغات العربية الاخرى السائدة فى الشمال ٠ وكانت كلتاهماـ فى نفس الوقت تصارع الاخرى ، من اجل الحصول على زعامة الحركـــة الفكرية فى شبة الجزيرة العربية ، من خلال الاعياد القومية المشتركة ، التى كانت تقام فى شكل « اسواق » يشترك فيها القحطانيون والعدنانيون٠

وفى النهاية انتصرت اللغة العربية الشمالية ، نتيجة انهيار سد مأرب فى اليمن وانتقال زمام التجارة الى الشمال ، وهجرة غالبية سكان الجنوب الى الشمال ايضا ٠ (١) ٠

---

١ ــ دكتور زيدان عبد الباقى : القومية العربية والمجتمع العربى٠ مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٧٤ صفحة ١٩٣ ٠

ويلاحظ أن هذا التقسيم للسكان لا يختلف عن التقسيم السابـــق لسكان الجزيرة العربية ، من حيث كونهم عدنانيين وقحطانيين ٠

هذا وكان لعرب الجزيرة علاقات تجارية مع المصريين لحاجتهم الى البخور واللبان وغيرهما من منتجات الجزيرة العربية ، مما يستخدم فى تعطير المعابد وفى تخنيط الموتى وذلك قبل الاسلام ٠ وكذلك كانـــت الاقطار الافريقية ، كما كانت لهم حروب مع الاشوريين الذين رغبوا فى اخضاع العرب لسيطرتهم ٠

ويبدو أن سكان الجزيرة العربية قد تكاثروا بشكل ملحوظ ، أو أن الجفاف الذى ساد هناك جعل بعض العرب يهاجرون الى مناطق الجنوب والغرب والشرق والشمال ٠ ومن اشهر هذه الهجرات خمس موجات هى :

(أ) الموجة الاولى من المهاجرين العرب :

حيث كانت هجرة البابليين الى العـــــراق سنة ٣٥٠٠ ق٠م ٠ ، واستيطانهم لمنطقة حوض الفرات ٠ وقد هاجر بعضها فى عهد الاسرات الفرعونية الست الاولى الى وادىالنيل ، واختلطوا بالسكانالاصليين الذين كانوا يتشكلون من جنس البحر الابيض المتوسط ومن الجنس الافريقى ، وامتزجوا شيئا فشيئا ٠ وبالتالى لا بد وانهم انجبوا سلالة مهجنة ، تلك التى قادت موكب الحضارة فى عصر الاسرات الست الاولى ٠

وهذه الهجرات القادمة من شبه الجزيرة العربية ، حيث تكاد تجمع الكتابات العربية ، على أن مرجع تلك الهجرات وانتشارها شمالا فىبلاد الشام وفلسطين ، ومنها هاجر البعض الى وادى النيل ٠

(ب) الموجة الثانية من المهاجرين العرب :

وكانت سنة ٢٥٠٠ ق٠م وكانت تتألف من الفينيقيين والكنعانيين الذين استقروا فى بلاد الشام وفلسطين ومنها هاجر البعض الى وادى النيل ٠

(ج) الموجة الثالثة من المهاجرين العرب :

وكانت سنة ١٥٠٠ ق·م· ، حيث وقعت هجرة العبرانيين من أرض الفرات الى أرض كنعان فى فلسطين وهم من سلالة الموجة الاولى من المهاجرين ·

(د) الموجة الرابعة من المهاجرين :

وكانت سنة ٥٠٠ ق·م· وكانت تتألف من الانباط الذين أسسوا دولة لهم فى الشام ·

(هـ) الموجة الخامسة من المهاجرين العرب :

وهى أعظمها جميعا ، وكانت فى أوائل القرن الاول الهجرى ، أى في أوائل القرن السابع الميلادى ، حيث خرج العرب حاملين لواء الاسلام ورسالته الى آسيا وأفريقيا وأوروبا ·

والقبائل التى هاجرت من اليمن الى مصر هى قبائل « قضاعة الحميرية » وبعض بطونها نزلت سينا وسارت الى الفرما ، الى الشرق من الحدود المصرية الاسيوية ، وهى بطون : تنوح ، سليم ، بلى (١) · ومن القبائل الكهلانية أيضا قبائل ق طىء ، بنوه مرة ··· والبطون التى تفرعت عن طىء وهى : جزام ، لخم ··· وكانت منازل جزام ولخم حول العقبة · ومن قبائل كهلان ، بطون آل ربيعة وسنبس والثعالبة وبنو صخر ·

ويقال أن كثيرا من أفراد قبائل طلحة ، جعفر ، جهينة ، لخم ،جذام شيبان ، طىء ، ومخزوم وغيرهم نزلوا الى مصر وامتزجوا بمن فيها من السكان وتسربت دماء المصريين اليهم واختلطوا بعناصرهم ، ولا سيما وأن مصر منذ بداية التاريخ تتلقى امواجا من الهجرات الغربية وغيرها اليها· وقد بينا فى مكان أخر (٢) المواطن التى يقيم فيها احفاد هذه القبائل

---

١ ـ ابن خلدون : ديوان العبر ·· الجزء الثانى ، طبعة بولاق ، صفحات ٢٤٧ ـ ٢٤٨ ·

٢ـ المقريزى : البيان والاعراب عما نزل بارض مصر من الاعراب · دار المعارف بمصر القاهرة ١٩١٦ صفحة ٢٠ ـ ٢١ ·

في مصر ، بحيث لم تعد هناك فروق جنسية واضحة بين مصرى ومصرى.

وان كان بعض أفراد هذه القبائل نزحوا خارج حدود مصر أثناء سيطرة المماليك على الحكم فى مصر ، ورفضهم تسيد هؤلاء المماليك عليهم ، وقد عاد بعضهم الى مواطنهم الاصلية ، وبعضهم هاجر الى مناطق اخرى من الوطن العربى الكبير • ومن بقى منهم ، تدرجوا فى تكيفهم للبيئة الاجتماعية حتى استوعبتهم من جانب وتمثلوها هم من جانب اخر بحيث لم تعد توجد فروق اجتماعية أو سلالية بينهم وبين المصريين الاصليين نهائيا ، مثل غيرهم من الاجناس المختلفة التى ذابت فى الشعب المصرى •

والخلاصة أن العرب هم أخر من بقى من الساميين ، بل خير مثال لهم ، ولغتهم العربية هى أوسع اللغات السامية وأرقاها • (٣) • وهى خير دليل يستدل به على أصالة العرب السامية •

ويحدد الجغرافيون طرق ومنافذ الهجرة التى سلكتها القبائل العربية الى مختلف اجزاء الوطن العربى فى العصور التاريخية المتعاقبة ، لا سيما اذا اخذنا فى الاعتبار موقع شبه الجزيرة العربية فـــى جنوب غرب أسيا ، وملاصقتها للقارة الافريقية بواسطة صحراء سيناء • وقربها من الساحل الشرقى حيث مضيق باب المندب الذى لا يزيد اتساعه عن ١٦ ميلا • ومن ثم كانت الهجرات تتخذ طريقا شماليا شرقيا الى أرض العراق ، أو شماليا غربيا الى أرض الشام مثل هجرات الكنعانيين والنبطيين والقبائل الاسماعيلية وكانت هناك منافذ للهجرة العربية عن طريق سيناء متخذة مجموعة من الطرق الشمالية التى تصل بين بلاد الشام ووادى النيل ، أو تلك الطرق الوسطى التى كانت تربط بين بلاد النبط القديمة وشمال بلاد العرب ، أو تلك الطرق التى كانت تمر بها قوافل الحجاج الاتية من مصر وشمال افريقيا ، مارة بالمنطقة الجبلية فخليج العقبة الى مكة • وكذلك مجموعة الطرق الكائنة فى شرق أفريقيا والتى سلكتها السلالات العربية ، وتدفقت

---

٣ – دكتور زيدان عبد الباقى : اسس علم السكان ، مرجع سابق ،صفحة ٢٢٤

منها الى أفريقيا عابرة طريق باب المندب • وبعض هذه الهجرات اتجهت الى الجنوب ، حيث استقرت فى بلاد الصومال وما حولها • وهاجر بعضها مرة اخرى ـ شمالا الى سهول أريتريا (الحبشة) واستقر البعض الاخر فى الاقليم الواقع بين نهر النيل والبحر الاحمر • واتجـه ـ كذلك ـ كثير من العناصر العربية نحو النيل مارين ببلاد النوبة الى أرض مصر • وبجوار هؤلاء اتجهت أفواج المهاجرين الى مصر مباشرة سالكين الصحراء الشرقية من الجنوب الى الشمال • (١)

هذا ويذهب بعض علماء الانثربولوجيا الى تأكيد وجود سمـــات بدنية متشابهة بين المصريين القدماء وبين قبائل (البجه) التى تنتمى الى الى القبائل العربية القديمة • ويستندون فى ذلك الى استعانة الفراعنة بالبجة في شئونهم الحربية ، حيث عاونت هذه القبائل «بيبى الاول» على اخضاع ثورة القبائل الكنعانية وكذلك على الهكسوس من مصر • ومن ثم كان امتزاج هناك بين الشعب المصرى وبين هذه القبائل ذات الاصل العربى •

واتجه مؤشر الهجرة العربية الى منطقة جنوب وادى النيل ، فقد هاجرت افواج عديدة من اليمن الى بلاد أعالى النيل الازرق والعطبرة وبلاد اريتـريا وسواحل السودان الشرقية ، الامر الذى كان له اثره الواضح في التكوين الاثنولوجى لسكان هذه المناطق التى تقع على الضفة المقابلة لمنطقة اليمن على جانبى البحرالاحمر والتى تعرف حاليابالقرن الافريقى•

على ان موجات المهاجرين الى افريقيا كانت في الغالب تسلك برزخ السويس ، ثم تتجه جنوبا الى السودان وشمالا الى مصر ، الامر الذى يؤكد الروابط الاثنولوجية بين سكان مصر والسودان من حيث الخصـــائص البدنية•واضحة لكل ذى عينين ـ ولا شك ـ بين ابناء صعيد مصر وشمال

---

١ ـ الاستاذ ناجي معروف : اصالة الحضارة العربية • الطبعة الثانية، مطبعة التضامن • بغداد ١٩٦٩ صفحات ٧٣ ـ ٧٥ •

السودان • سواء في ذلك ماحدث في العصر الفرعونى القديم ، أو في العصر الرومانى ، أو في العهد الاسلامى • ومن هذه الهجرات اتجه بعضها الى شمال غرب افريقيا ، مارة بليبيا وتونس والجزائر الى المغرب وموريتانيا ومن هؤلاء من غبر مضيق جبل طارق الى الاندلس «أسبانيا» •

والخلاصة ان سكان الدول العربية الاعضاء في جامعة الدول العربية في الوقت الحالى ينتمون ــ اذا أخذنا بوجهة نظر علماء الاجناس والانثرلوبوجيين والتاريخ ، واذا أخذنا قبل ذلك بما جاء في الكتب المقدسة ــ ينتمون الى جنس البحر الابيض المتوسط بصفة رئيسية ، وهم الذين استوطنوا شواطىء البحر الابيض المتوسط في آسيا وافريقيا ، وانتشروا في الجزيرة العربية والشام ومصر وشمال افريقيا ••• ثم الى الجنس الزنجى الذى عاش في غرب ووسط وشرق افريقيا والى جنس الهندوس ، اى أنهم مزيج من مجموعة الاجناس القوقازية (بحر أبيض وهندوس) بصفة رئيسية ، ومن مجموعة الاجناس الزنجية (زنوج افريقيا) بصفة ثانوية • ومن ناحية اخرى فان كل الدراسات الاثنولوجية لهذه المنطقة تدل دلالة واضحة على وجود صلات وتفاعلات اثنولوجية وثقافية من آسيا وشبه الجزيرة العربية ووادى النيل وشمال افريقيا ، على نحو ما تعنى به المؤلفات المتخصصة في دراسة نشأت وتاريخ الحضارات لتلك المنطقة • وتتلخص آيات الاثار القديمة أو الاركيولوجية Archeologg في أن سكان وادى النيل وشمال افريقيا وجنوب وشرق البحر الابيض المتوسط ، وجنوب غربى آسيا قد امتزجوا منذ أقدم العصور امتزاجا يكاد يكون منهم وحدة اثنولوجيـــة أصيلة •

وبالاضافة الى ذلك فقد تعرضت هذه المنطقة لما تعرضت له مصر من هجرات سكانية وفدت اليها ، مع كل أنواع الغزو التى لا نهاية لها،والتى تعرضت له المنطقة العربية منذ عشرات القرون ، وعلى اتساع مساحة المنطقة العربية التى تمتد من المحيط الاطلسى غربا ، الى الخليج العربى (الفارسى) شرقا الى جبال طوروس والبحر المتوسط شمالا ، الى الصحراء الافريقية الكبرى وجبال القمر والمحيط الهندى جنوبا • ومما يلاحظ أن هؤلاء المهاجرين قد انخرطوا في الســـكان وامتزجوا بهم عن طريق المصاهرة • واصبحوا بحكم الميلاد عربا لهم نفس جنسية العرب ، وان كانت الدماء التى تجرى في عروقهم ليست عربية بالكامل •

الهجرات من ـ والى ـ الوطن العربى :

هذا وهناك بعض الهجرات من ـ والى ـ الوطن العربى ، قديما وحديثا وسوف نشير الى أهمها فيما يلى :

أولا : هجرة الى الوطن العربى :

(أ) وتتمثل في هجرة ابراهيم وبنيه الى فلسطين • وهو ابراهيم بن آزر من مواليد بلدة «آرام» فيما بين الرافدين بمملكة بابل ، وذلك بنص التوراة (العهد القديم) وهو كتاب اليهود المقدس الذى كتبه الاحبار، بعد وفاة موس بسنين طويلة • وقد هبط بعضهم أرض (حاشان) وهى المنطقة المثلثة بين مدن الزقازيق ، والتل الكبير ، وبلبيس في محافظة

الشرقية بأرض مصر أثناء غارة الهكسوس على مصر خلال القرن التاسع عشر قبل الميلاد •

وعندما أجدبت ارض كنعان (فلسطين) وارتحل يعقوب وأبناؤه الاسباط وأولادهم الى مصر وعاشوا هناك ٢٣٠ سنة ثم طردهم فرعون مصر ، تسرب بعضهم بقيادة «يوشع» الى فلسطين • وعاشوا هناك الى ان تم تتويج الملك شاؤل ملكا على جزء من ارض كنعان سنة ١٠٣٠ ق٠ م٠ ثم انقسمت هذه الدولة الاستعمارية الى مملكتين : احداهما «اسرائيل» فى الشمال وعاصمتها «السامرة» ومملكة يهوذا في الجنوب وعاصمتها «أورشليم» ثم انهارت هاتان الدويلتان سنة ٩٧٠ ق٠م ٠٠ وتم تشتيت اليهود أو العبرانيين من أرض كنعان ، على أيدى الرومان • ومن هنا فقد انتشر اليهود ــ أو شردوا ــ في سائر أنحاء المنطقة العربية ، وكذلك في مختلف دول العالم،وان كانوا انعزلوا كسلالة ترفض التزاوج مع غيرها من السلالات غير السامية (١)

(ب) هجرة واستقلال أقليات كردية وآرمنية في شمال شرقى المنطقة العربية وكذلك أقليات بربرية في شمال افريقيا وجنوب السودان • وهذه الاقليات تمثل ١٢٪ من عدد السكان (٢) ،وقد احتضن العرب هذه الاقليات،

---

١ ـ دكتور زيدان عبد الباقي : القومية العربية والمجتمع العربي • مرجع سابق صفحات ٢٨٠ ـ ٢٩٩ •

2 - Social Fories in the Middle East , The Minorities in the Political Processes .

وهم يعاملون معاملة المواطنين العرب سواء بسواء ، باعتبارهم عربا من الاكراد أو الارمن أو البربر أو الزنوج ٠

(جـ) هجرة بعض سكان جنوب أوربا الى الجزائر ، حيث تعرضت الجزائر لنوع شاذ من الاستعمار الاستيطانى بواسطة بعض سكان فرنسا منذ سنة ١٨٣٠ وقبل ذلك كانت فرنسا تحتل تونس من سنة ١٧٨١ ثم احتلت مراكش (المغرب) سنة ١٩١١ ولكنها اعتبرت تراب الجزائر امتدادا للتراب الفرنسى ، أو ما يطلق عليه تعبير «الفرنسية الجماعية» وهو اسلوب يرتكز على محاولة ادماج الشعوب المستعمرة في الكيان الفرنسى، وذلك عن طريق فرض ثقافة الفرنسيين٠ولغتهم وعـاداتهم وتقـاليدهم وأعرافهم ونظمهمومنظماتهم الادارية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية على شعوب تلك المستعمرات من أجل استيعابها سكانيا بحيث يتحولون الى سكان فرنسيين قلبا وقالبا ٠ وقد بدأت عملية فرنسة الجزائر عندما عين المحامى اليهـــودى الفرنسى « أودلـــــف كريمييه » فى منصـــب
Adolphe Cremieur
وزير العدل فى فرنسا واصدر قانونـــــا سنة ١٨٧٠ يقضى بمنـــــح
في منصب وزير العدل في فرنسا وأصدر قانونا سنة ١٨٧٠ يقضى بمنح
يهود الجزائر ـبدون استثناءـ الجنسية الفرنسية وما يتبعها من امتيازات لاحد لها ، تتيح لهم المساواة بلمستعمرين الفرنسيين في كل شيء ٠ وقد عارض الراى العام الجزائرى والفرنسى هذا القانون ٠ وثار الجزائريون ضد الوجود الفرنسى في الجزائر سنة ١٨٧١ (١) واضطرت الحكومـــة الفرنسية ازاء هذه الثورة ، وحفاظا على الثروات والاستثمارات الضخمة في الجزائر ، الى اصدار قانون في السادس والعشرين من يونيو ١٨٨٩ يقضى بمنح كل سكان الجزائر الجنسية الفرنسية ، ممن ترجع جنسياتهم الاصلية الى : العربية ، ثم الفرنسية ، ثم الايطالية ، ثم الايطالية ، واخيرا اتبـــاع أتباع الجنسية اليهودية ممن لا جنسية لهم ٠ وبذلك أصبحت الجزائر ـ من الناحية القانونية ـ جزا من فرنسا ٠

هذا وقد زاد عدد الاوربيين في الجزائر من ١٥ الفا سنة ١٨٣٦ الى ١٨٠ الفا سنة ١٨٧٢ ، الى ٦٣٤ الفا سنة ١٩٠١ وخلال هذه الفترة

---

١ ـ دكتور زيدان عبد الباقى : القومية العربية ٠٠٠ مرجع سابق ٠٠٠ ص ٣٠٧ ٠

التى بلغ تيار الهجرة فيها أشده كان أغلب المهاجرين من اللاجئين،وخاصة من سكان مقاطعتى الالزاس واللورين في اعقاب الحرب السبعينية،وكذلك أصحاب مزارع الكروم الذين تعرضت محاصيلهم للبوار فترة طويلة لسوء الاحوال الجوية وانتشار الافات • وقد وجد هؤلاء المهاجرون الى الجزائر من سلطات الاحتلال هناك كل عون وتيسير ، حيث وزعت عليهم املاك

الدوله وجانب كبير من الاوقاف الاسلامية ، وكـذلك أملاك المجـاهدين الجزائريين • وكانت تبلغ حوالى نصف مليون هكتار ، وايضا الاراضى المشاع التى تم تحديدها بالقانون الذى صدر في يوليو ١٨٧٣ وتبلغ ثلاثة أرباع مليون هكتار•

وذلك بالاضافة الى الاراضى التى تم سلبها بالبطش والارهاب من أصحابها العرب ، والتى تم توزيعها بواقع ٢٠٠ هكتار بالمجان على كل أسرة فرنسية مستوطنة في الجزائر ••• الخ وقد وصل عدد المهاجرين الفرنسيين الذين استوطنوا الجزائر الى ١/١٠٩/٠٠٠ نسمة سنة١٩٥٣ وبذلك صارت اجود الاراضى الجزائرية فى حوزة الاجانب • ولم يبق مع السكان الجزائريين سوى الاراضى البور الصحارى القاحلة ، حتى أنه في أوائل الخمسينات بلغت ملكية المستوطنين الفرنسيين في الجزائر نحو ٢٨٪ (حوالى ٣ مليون هكتار) من مساحة الاراضى الزراعية (حوالى ١١ مليون هكتار)وكان عددهم لا يتجاوز ١٨٪ من مجموع السكان •

وفي مراكش بلغ عدد السكان الاجانب حوالى ٣٥٠ الف نسمة منهم حوالى ٣١/٠٠٠ فرنسى من مجموع السكان الذين كان يبلغ عددهم ٩ مليون مغربى سنة ١٩٥١ بينما لم يزد عدد الاجانب في تونس عن حوالى ٣٠٠ الف أجنبنى من مجموع السكان الذى كـــان يبلغ يومئذ ٤ مليون نسمة ، بمعنى أن عدد الاجانب يمثل ٧٪ من مجموع السكان • وكان نصفهم تقريبا يومئذ من الفرنسيين والنصف الآخر من الايطاليين •

هذا وقد أدى تحرر ليبيا وتونس والجزائر ولمغرب ، وحصول هذه الدول على استقلالها ، الى رحيل الكثيرين من هؤلاء المهاجرين الى مواطنهم الاصلية ، على حين أن المهاجرين الذين اغتصبوا قطعة غالية من الوطن

العربى ، وأنشأوا عليها لهم دولة ، وهم المهاجرون اليهود الى فلسطين في اوائل القرن العشرين ، ولم يرحلوا بعد ــ كمـــا ســترى ــ في الفقرة التالية :

(د) الهجرة اليهودية الى فلسطين ، أو بالاحرى الهجرة الاستيطانية الى فلسطين • وهى حركة صهيونية استعمارية ، اسـتغلت صلة اليهود القديمة بدولة فلسطمين التى تحدثنا عنها في الفقرة (أ) وهى دويلــة صغيرة انشأتها أقلية عبرانية على أرض عربية كنعانية استمرت من سنة ١٠٣٠ ق• م• الى سنة ٩٧٠ ق• م• ثم انهارت وزالت وطرد العبرانيون بواسطة الدولة الرومانية من الاراضى الكنعانية الى غير رجعة •

غير أنه بعد ١٨ قرنا من الزمان انعشت الحركة الصهيونية أمانى اليهود الروحية في العودة الى ارض فلسطين واحتلالها من جديد • فقد انتهز المحامى اليهودى أدولف كريمييه قضية اختفاء الاب الفرنسكانى «توما»من ديره في دمشق وما أشيع من أن اليهود ذبحوه ليعجنوا بدمه خبز عيد الفصح ، والفتنة التى ترتبت على تلك الاشاعة ، وتم خلالها الانتقام من اليهود ••• انتهز هذا المحامى تلك الفرصة ورفع قضية ضد محمد على والى مصر يومئذ وساعدته أوربا • وأضطر محمد على الى دفع تعويض له•وحضر هذا المحامى الىمصر ومعه اللورداليهودى الانجليزى «مونتفيورى» والمستشرقاليهودى الفرنسى «سالمون مونك» وتسلموا التعويض فيالقاهرة • وذهبوا الى فلسطين وأسسوا هناك أول مستعمرة يهودية في فلسطين تحت اسم «مقوية اسرائيل» أو اسرائيل) في جنوب شرق يافا •

ومنذ ذلك الحين بدأت الهجرات اليهودية غير المشروعة وغير المعلنة من شرق أوربا بتمويل من يهود غرب أوربا بقصد استيطان فلسطين • واثناء وضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى حصل اليهود على «وعد بالفور» بتمكينهم من انشاء وطن قومى لهم في فلسطين • وبذلك بدأت المؤسسات اليهودية ، تنتشر فى فلسطين الى ان اصبحت دولة داخل الدولة، ومن هنا بحثوا عن اعتراف قانونى بوضعهم فى فلسطين ، وجاهدوا من اجل ذلك وساعدتهم الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتى الى أن صدر قرار الجمعية العامة للامم المتحدة رقم ١٨١ فى ٢٦ ــ ١١ ــ ١٩٤٧ بالتوصية بتقسيم فلسطين على أساس ٥٦٪ من اراضيهـــا لليهود و٤٢٪

للفلسطينيين ، وجعل القدس كيانا منفصلا يخضع لنظام دولى خاص ، بالرغم من أن عدد السكان اليهود يومئذ كان ٤٦٨ ألف يهودى والسكان الفلسطينيين نحو ٠٠٠ر٤٠٠ر١ نسمة ٠

هذا وقد تطور عدد المهاجرين اليهود الى أرض فلسطين ـ ولا يزال طبقا للجدول التالى ٠



جدول رقم ـ ١

بتطور عدد المهاجرين اليهود الى فلسطين

السنة	عدد اليهود	السنة	عدد اليهود
١٨٨٢	٢٤/٠٠٠	١٩٦١	١/٩٣٢/٠٠٠
١٩١٤	٨٥/٠٠٠	١٩٦٢	٢/٣٤٢/٦٠٠
١٩٤٠	٤٦٧/٥٠٠	١٩٦٧	٢/٣٨٣/٦٠٠
١٩٤٨	٦٤٩/٦٠٠	١٩٦٩	٢/٩١٩/٠٠٠
١٩٥١	١/٤٠٤/٠٠٠	١٩٧٥	٣/٥٠٠/٠٠٠



المرجع : جدول رقم ٢٩ ص ٢٩٣ من كتاب اسس علم السكان

وبصرف النظر عن شرعية أو عدم شرعية قيام دولة اسرائيل ، وان كنا نؤكد عدم شرعيتها ، فان اليهود الذين تم تهجيرهم الى فلسطين ، لا يرجعون الى أصل سام بالمرة ، وانما هم من شرق أوروبا ، أى من أصل غير سام، فهم من أحفاد الخزر ، وهو شعب عاش بالقرب من البحر الاسود . ودخل جملة فى الديانة اليهودية فى القرنين السابع والثامن الميلاديين ، وعلى رأسهم ملكهم «بولان» ملك مملكة الخزر فى روسيا الشرقية الجنوبية . وهم الذين يطلق عليهم طائفة الاشكينار الذين يتكلمون لغة « الييدش » ولو أخذنا بمنطق الصهيونية فى عودة الاحفاد الى الارض التى اغتصبها الاجداد لخرج الامريكيون من الولايات المتحدة الامريكية تاركين اياهـا للهنود الحمر ، ولخرج الاسبان من بلادهم تاركين اياها للعرب ... الخ. الامر الذى يتطلب ضرورة اعادة النظر فى توزيع دول العالم المعاصرة ، وهذا ضرب من المستحيل (١) . أما اليهود الذين عاشوا فى فلسطين قبـل الميلاد وهاجروا الى اوروبا ، فانهم يعيشون هناك حتى الان ، ويرفضون العودة الى فلسطين لاستقرار حياتهم هناك وامتلائها بالرغد والرفاهية ،وان كان تهجير يهود أوروبا الشرقية الى فلسطين يتم بأموالهم . وأكدت تلك الحقيقة مقالات الصحفى الفرنسى (البير لورندر) سنة ١٩٢٩ حيث أكد أن يهود الغربية يشجعون يهود أوروبا الشرقية على الهجرة والاقامة فى فلسطين ، بينما يرفضون هم الاقامة فى فلسطين .

د ـ هجرة الاسيويين الى دول وامارات الخليج العربى (الفارسى) حيث هاجر كثير من الهنود والباكستانيين والايرانييـــن ... الى دول وامارات الخليج العربى وهم يشكلون كثافة تستوجب الانتباه .

ثانيا : هجرة من الوطن العربى :

وأهم موجات هذه الهجرة ، هى هجرة الشوام الى الامريكتين والجزائر الى فرنسا وذلك على النحو التالى :

---

١٥ ـ دكتور زيدان عبد الباقى : القومية العربية ... مرجع سابق ، صفحات ٣٠٢ ـ ٣٢٣

١ ـ الهجرة السورية اللبنانية :

والتى بدأت منذ منتصف القرن التاسع عشر ، وكان اتجاهها الغالب فى البداية الى مصر ، ثم يممت وجهها شطر الامريكيتين ، ٠٠ حيث كانت تتاح لهم فرصة ممارسة حرفة التجارة التى يتقنها أهم الشام ٠ وهناك سرعان ما حققوا نجاحا كبيرا ، وكونوا ثروات ضخمة ظهرت آياتها فى شكل مساعدات مالية ضخمة لذويهم فى الوطن الام ٠

وقد أدى نجاح الافواج الاولى من المهاجرين الى ارتفاع معدل الهجرة فى أوائل القرن العشرين ، حيث يهاجر سنويا حوالى ١٥٠٠ مهاجر عربى٠ ويشكل اللبنانيون ٦٦٪ منهم والسوريون ٣٤٪ وكانت غالبية المهاجرين من لبنان أو من سوريا من المسيحيين ٠ وذلك لاتصالهم بمراكز الثقافة الغربية وانخراط معظمهم فى المدارس الاجنبية ، لا سيما وأن معرفة اللغات الاجنبية من أهم العوامل المشجعة على الهجرة والسياحة الدولية ٠

هذا وكانت غالبية المهاجرين العرب تقصد امريكا الجنوبية وخاصة البرازيل والارجنتين ٠ وتعتبر مدينة «برازيليا» من اكبر مراكز المهاجرين العرب فى الخارج ، بالاضافةالى مدينةبوسطن ومدينة نيويوركثمالمكسيك، حيث يتمركز المهاجرون العرب هناك ٠ وقد انتخب احد العرب عضوا فى مجلس الشيوخ الامريكى (الكونجرس) ٠٠

ومنذ أوائل النصف الثانى من القرن العشرين بدأ بعض المصريين وغالبيتهم ٠ من المسيحيين المتعلمين على مستوى الاخصائيين (فى الطب والهندسة والزراعة ٠٠) فى الهجرة الى القارة الامريكية واستراليا بحثا عن المال والشهرة والرفاهية ، بصورة تكاد تستنزف كل الخبرات العربية الممتازة ، بعد أن بدأ المسلمون ينافسونهم فى هذا المجال ٠

٢ ـ هجرة العرب الافارقة الى أوروبا :

وقد ظهر هذا الاتجاه نتيجة لضيق مجالات العمل والاضطهاد السياسى وعدم الاستمتاع بالحرية ٠ فقد هاجر كثير من المواطنين التوانسة والجزائريين والمغاربة والليبيين الى فرنسا وايطاليا واليونان ٠٠٠ وقد ارتفع معدل هذه الهجرة بشكل واضح اثناء الحرب العالمية الاولى ، ثم عاد

وانخفض خلال الازمة الاقتصادية العالمية (١٩٢٩ ـ ١٩٣٥) ثم عاد وارتفع اثناء الحرب العالمية الثانية وما بعدها ٠

والى الان توجد فى فرنسا جالية جزائرية ضخمة تعمل فى الصناعة الفرنسية وتليها الجالية التونسية ثم المغربية ثم الليبية ٠٠٠ الخ ٠

وذلك هو الشكل العام لحالة السكان فى الوطن العربى ٠٠٠ وهم جميعا ـ كما قدمنا ـ يشكلون مزيجا متألفا من مجموعة الاجناس القوقازية والزنجية صبغتهم الثقافة العربية الاسلامية بصبغة موحدة ، بحيث أصبحوا وكانهم سلالة واحدة من جنس واحد ٠ وذلك باستثناء احفاد شعث الخزر الذين زرعتهم الصهيونية فى ارض فلسطين ، ليصبحوا مجموعة سكانية شاذة وسط السكان العرب ٠ ولعل العرب من أحفاد صلاح الدين يعملون كما عمل جدهم على طردهم ، كما طرد الصليبيين من قبل ٠

اجمالى سكان العالم العربى :

والمقصود بالعالم العربى هنا ، الدول الاعضاء فى الجامعة العربية ، بما فيها الامارات العربية والسلطنات وفلسطين ٠

هذا وطبقا لاخر احصاء سنة ١٩٧٥ ـ ومع كل التحفظات المترتبة على عدم دقة الاحصاءات فى بعض الدول العربية ـ فان سكان العالم العربى سنة ١٩٧٥ بلغ عددهم ١٤٤٫٣١٨٫٠٠٠ نسمة وتوزيعهم على الـــدول العربيه كما يلى :

جدول رقم ـ ٢ ـ

بعدد سكان العالم العربى طبقا لتقديرات ١٩٧٥

---

١٦ بالنسبة لبيانات السكان سنة ١٩٧٣ فهى من الكتاب الاحصائى السنوى للجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ١٩٥٢ ـ ١٩٧٣ القاهرة اكتوبر ١٩٧٤ صفحات ٢٧٥ ـ٢٧٧ وبالنسبة لبقية الجدول فهى من جريدة الاهرام (خريطة العالم العربى) فى ١٩ ـ ٦ ـ ١٩٧٦ ٠

الدولة	عدد السكان بالالف سنة ١٩٧٣	عدد السكان بالالف سنة ١٩٧٥	المساحة بالميل المربع	تاريخ الانضمام للجامعة العربية	تاريخ الانضمام للامم المتحدة
١ ـ الامارات العربية	٢٠٣	٣٥٠	٣٧٫٠٠٠	١٩٧١/١٢/٦	١٩٧١/١٢/٩
٢ ـ الاردن	٢٫٤٦٧	٢٫٦٦٠	٦٣٫٨٣٢	١٩٤٥/٣/٢٢	١٩٥٥/١٢/١٤
٣ ـ البحرين	٢٢٤	٢١٦	٢٥٦	١٩٧١/٩/١١	١٩٧١/٩/١١
٤ ـ تونس	٥٫٠٢٧	٥٫٦٤١	٦٣٫٣٧٩	١٩٥٨/٩/١	١٩٥٨/٩/١
٥ ـ الجزائر	١٥٫٢٧٠	١٦٫٢٧٥	٨٦٩٫٥٩٣	١٩٦٢/٨/١٦	١٩٦٢/١٠/٨
٦ ـ السعودية	٨٫١٩٩	٨٫٦٩٧	٨٦٥٫٠٠٠	١٩٤٥/٣/٢٢	١٩٤٥/١٠/٢٤
٧ ـ السودان	١٦٫٤٨٩	١٦٫٤٤٩	٩٦٧٫٥٠٠	١٩٥٦/١/١٩	١٩٥٦/١١/١٢
٨ ـ سوريا	٦٫٦٧٨	٧٫١٧٤	٧٫٤٩٨	١٩٤٥/٣/٢٢	١٩٤٥/١٠/٢٤
١٠ ـ الصومال	٢٫٩٤١	٢٫٩٦٥	٢٤٦٫٣٠٠	١٩٧٤/٢/١٤	١٩٦٠/٩/٢٠
١١ ـ العراق	١٠٫٠٧٤	١٠٫٧٦٥	١٧١٫٢٦٧	١٩٤٥/٣/٢٢	١٩٥٥/١٢/٢١
١٢ ـ عمان	٠٫٦٩٩	٧٥٠	٨٢٪٠٠٠	١٩٧١/٩/٢٩	
١٣ ـ فلسطين المحتلة	ـ	٣٫٢٤٩	٧٫٩٩٢		
١٤ ـ قطر	٨٤	١٨٠	٤٫٤٠٠	١٩٧١/٩/١١	١٩٧١/٩/٢١
١٥ ـ الكويت	٩١٤	١٫٠٠٠	٩٫٣٧٥	١٩٦١ ٧ ٢٠	١٩٦٣/٥/١٤
١٦ ـ لبنان	٢٫٩٦٣	٣٫١٠٠٠	٣٫٩٥٠	١٩٤٥/٣/٢٢	١٩٤٥/١٠/٢٤
١٧ ـ ليبيا	٢٫٠٩٤	٢٫٢٥٩	٦٧٥٫٠٠٠	١٩٥٣/٣/٢٨	١٩٥٥/٢/١٤
١٨ ـ مصر	٣٤٫٨٣٩	٣٧٫٠٠٠	٣٨٦٫٩٠٠	١٩٤٥/٣/٢٢	١٩٤٥/١٠/٢٤
١٩ ـ المغرب	١٥٫٨٢٥	١٦٫٣٠٩	١٧٧٫١١٧	١٩٥٨/٩/١	١٩٥٦/١١/١٢
٢٠ موريتانيا	١٫٢٢٧	١٫٢١٨	٣٩٨٫٠٠٠	١٩٧٣/١١/٢٦	١٩٦١/١٠/٢٧
٢١ اليمن الجنوبي	١٫٥١٥	١٫٥٩٠	١١١٫٠٧٤	١٩٦٧/١٢/١٢	١٩٦٧/١٢/١٤
٢٢ ـ اليمن الشمالي	٦٫٠٦٢	٦٫٤٧١	٧٧٫٢٠٠	١٩٤٥/٥/٥	١٩٤٧/٩/٣٠
الجملة	١٣٣٫٧٩٤	١٤٤٫٣١٨			

ومن هذا الجدول يتضح أن عدد السكان فى العالم العربى طبقـــا لتقديرات سنة ١٩٧٥ حوالى ١٤٤٫٣١٨٫٠٠٠ نسمة منهم ٩٨٫١١٦٫٠٠٠ نسمة فى أفريقيا و ٤٦٫٢٠٢٫٠٠٠ نسمة فى آسيا ٠

ومن هذه الارقام يتضح أن اكثر من ثلثى السكان فى العالمالعربى يعيشون فى الدول العربية من القارة الافريقية ٠ وأن اقل من ثلث سكان العالم العربى يقيمون فى الدول العربية الكائنة فى القارة الاسيوية ٠

المسلمون والدراسة العلمية للسكان :

لا تزال الدراسات العلمية للسكان فىالعالم العربىتحبو على ركبتيها ولا يرجع ذلك الى عدم وجود المتخصصين فى علم السكان ، وانما يرجع الى عدم وجود المادة الخام السكانية ، والتى يستطيع المتخصصون من علم السكان استخراج مؤشرات سكانية تكون لها قيمتها وأهميتها فى التخطيط الاقتصادى والاجتماعى ٠ ذلك أنه اذا استثنينا دولة أو اثنين من الدول العربية تعمل على أن تكون احصاءاتها السكانية ذات مستوى علمى ، فان الدول العربية لا تبذل جهدا يستحق الذكر من أجل الوقوف على التركيب السكانى لديها ٠

هذا ومن أهم الجوانب التى يهتم بها علم السكان ، والتى تؤكد وجهة النظر هذه ما يلى :

أولا : تركيب السكان من حيث النوع : Sex Camposition

ويقصد بذلك توزيع السكان بين ذكور واناث ٠ والوضع الطبيعى أن يكون عدد الذكور متوازنا مع عدد الاناث ، غير أن بعض العوامل قد تؤثر على هذا التوازن ، فيزيد عدد الذكور فى مكان ما ، وبالتالى يزيد عدد الاناث فى مكان آخر نتيجة للهجرات الداخلية وغيرها من العوامل ٠

وترجع أهمية الوقوف على أعداد الذكور والاناث فى فئات لا يزيد عن خمس سنوات ــ مثلا ــ بالنسبة للباحثين والمخططين الى :

ـ اذا كانت نسبة الذكور أعلى من الاناث لا سيما بين الفئات المتناسبة من الشباب ، في مجتمعات ـ مثل المجتمع العربي ـ تأخذ بتعدد الزوجات، ويخضع الطلاق فيه لحرية الفرد غير الملتزمة ـ في بعض الاحيان ـ بالدين . فقد يؤدى ذلك الى عدم توافر الفرص المناسبة للزواج أمام الراغبين فيه . ومن ثم ينتشر سوء التوافق بين الازدواج . غير أنه لزيادة الذكور في المجتمعات المحلية الريفية فائدة اخرى وهى توافر القوى العاملة للاعمال الزراعية .

ـ اذا كانت نسبة الاناث أعلى من نسبة الذكور كما حدث في اعقاب الحرب العالمية الثانية ، بين فتيات ألمانيا وإيطاليا بالنسبة لجنود الحلفاء ، فان ذلك قد يفرض (العزوبية) على بعض الفتيات ، الامر الذى قد يدفع البعض منهن الى الانحراف الاخلاقي .

ـ تتأثر كل من الاحوال الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع ، نتيجة لاختلاف نسبة الاعمار ، فمن المتوقع أن تكون نسبة الشباب الى بقية السكان سنة ٢٠٠٠ بنحو ٥٠٪ ومعنى ذلك توقع معدل مرتفع جدا من المواليد ، مما يؤثر على مستوى المعيشة للسكان .

ثانيا : تركيب السكان من ناحية السن : Age Composition

من المؤشرات الاحصائية الهامة للتخطيط والبحوث الاجتماعية دراسة السكان من مختلف الاعمار ، مع تحديد النسب المئوية لكل فئة من فئات السن . ولعل افضل وسيلة لدراسة تركيب السكان من حيث اعمارهم وأنواعهم هي تصنيف كل من الذكور والاناث على أساس فترات زمنية طول كل منها خمس سنوات مثلا ـ ويطلق على الرسم البياني الذى يوضح هذا التصنيف اسم « الاهرام السكاني Population Pyramid وفي العادة يأخذ هذا الرسم شكل الاهرام . ويكون من حيث القاعدة العريضة التي تضيق تدريجيا من قاعدته الى اعلى قمته . ويكون الاهرام السكاني في وضعه الطبيعي عند تساوى عدد الذكور مع عدد الاناث من جانب . وكذلك تساوى ماتحت الاربعين مع مافوق الاربعين من العمر .

ثالثا : تركيب السكان من الناحية الزواجية Marital Composition

ويعنى بذلك توزيع السكان الى متزوجين وعزب ومطلقين وارامل ، حيث تتفاوت نسب هذه الفئات بين مجتمع واخر . ولا ريب أن معدل المواليد على سبيل المثال يتأثر الى حد كبير بنسب المتزوجات من الفئة ١٦ الى أقل من ٣٠ سنة ، بالاضافة الى العادات والاعراف والتقاليد . وقد اهتم علماء السكان بدراسة مختلف تلك النواحى لما لها من آثار على الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية فى اى مجتمع .

رابعا : تركيب السكان من ريفيين وحضريين Rural - urban Conposition

ومن الظواهر الاجتماعية الاخذة فى الانتشار والاتساع تزايـــد نسبة السكان فى الحضر على حساب نسبة سكان الريف والبدو . وهذه الزيادة من العوامل السكانية ذات التأثير الحضرى المباشر على الحضريـــة Fertitity لاختلاف نشاط وثقافة السكان فى كل من الريف والحضر (١) .

خامسا : مدى انتشار وسائل تنظيم الاسرة بين السكان :

ووسائل تنظيم الاسرة تنتشر فى الدول المتقدمة ، ونحن مع الاسلام فى عدم الاخذ بها الا من الحالات التى لا تتعارض مع الدين .

---

1 - Hawley , A. H. : World Urbanization . Trends and prospects Population . The Vital Revlution. Ronald Freedom, ed. 1946 , pp. 70-83 .

سادسا : توزيع السكان من حيث طبيعة مهنهم :

والاعمال والوظائف والمهن والحرف التى يعمل فيها السكان من الضروى الوقوف على أعدادها أو نسبها حتى يمكن التخطيط للتعليم والتدريب ، لكى يستطيع المجتمع الاكتفاء الذاتى مهنيا ووظيفيا .

وهناك بجوار ذلك نواح اخرى تحتاج الى الدراسة :

١ ـ التكوين العرقى أو السلالى للمجتمعات مثل المجتمع السودانى الذى يتكون من المسلمين وغير المتدينين ، والمجتمع العراقى الذى يتكون من العرب والاكراد ... الخ .

٢ ـ اختلاف العقائد الدينية ، ومدى خضوع السكان أو عدم خضوعهم للتعاليم الدينية ... الخ .

٢ ـ اختلاف المستوى التعليمى ، حيث يسعى المتعلم ـ برغم قدرته على الانفاق والتربية ـ الى تنظيم انجابه ، بينما غير المتعلم ـ برغم عدم قدرته على الانفاق أو التربية ـ يفرط فى الانجاب .

تلك هى اهم العوامل التى تساعد المخططين على دراسة البناءالسكانى لاى مجتمع من المجتمعات على توفير احتياجاته .

خاتمة :

لقد تناولنا فى هذه الدراسة الموجزة النواحى الاثنولوجية المتعلقة بأصول الاجناس ومهادها وتفرعها وانشعابها بالنسبة للسكان العرب ، وما يتصل بذلك من موجات الهجرات . وربطنا بينها وبين النواحى الاجتماعية والانثربولوجية والثقافية والجغرافية وبرهنا على وحدة الاصل الجنسى لكل السكان العرب ، ومن ثم فهم أخوة من الناحية السلالية ، كما هم أخوة من الناحية الوثنية . وهذا التشابه هو الركيزة الاساسية للتكامل السكانى.

توصيات مقترحة

١ ـ أما وقد اكدت الاحصاءات والارقام ـ على سبيل المثال ـ اتساع رقعة الارض الصالحة للزراعة في السودان والجزائر والمغرب وسوريا والعراق .. مع تخلخل سكاني واضح في هذه المجتمعات ، ومن ثم تترك بورا ... ووجود سكان لا يجدون الارض الصالحة للزراعة ليستثمروها في مجتمعات اخرى مثل مصر ، فمن الضرورى ايجاد وسيلة لاعادة توزيع السكان ـ طبقا لنظام اسلامى ـ ما دام الاصل السلالى واحد بين سكان هذه المجتمعات فضلا عن وحدة الدين . وعلى أن يتم ذلك بعيدا عن العقائد السياسية المتضاربة .

٢ ـ ضرورة الاهتمام بالاحصاءات السكانية لامكان الوقوف على جوانب التركيب السكانى للمسلمين . والعمل على ابعاد عوامل الضعف عنه. وعلى أن يتم التعداد على فترات محدد لا تزيد عن عشر سنوات .

زاوية الشعر

في هذه الحقبة العصيبة من عمر امتنا الاسلامية تقف الفتاة السعودية صامدة واثقة تتحدى مختلف التيارات الغريبة عن قيمها وتراثها وهذه الخواطر الشعرية صورة صادقة لما يدور في نفسها من اصرار واع على التمسك بالتراث مع مواكبة جادة للمسيرة العلمية بكل ابعادها مساهمة أمينة في معركة البناء . فالى كل أخت مسلمة تهدى هذه التحية الشعرية .

بنت الجزيرة

للاستاذ محمد السيد شريف

أنا بنتُ الجزيرةِ الشمّاءِ … مهبطِ الوحيِ معقلِ الأنبياءِ

درج النورُ في رُباها فكانت … ملتقى الأرضِ دائماً بالسماءِ

منذ دبّت خطى الخليل عليها … لم يَخفْها من غير زرعٍ وماءِ

ترك الطفلَ في حضانةِ أمٍّ … روّض اللهُ روحَها للبلاءِ

لم تقل كيف أيها الشيخُ أَبقى … عَبْرَ وادٍ مُستوحِشٍ مُتنائي

لم تفكّر في طفلها ، في فراقٍ … في مصيرٍ حفّته كفُّ الفناءِ

هكذا الزوجُ طاعةٌ وامتثالٌ … كم تداعى بالخلف صرحُ البناءِ

• ــــــ •

هكذا جدّتي ، أَصِخ يا زماني … هل يُماري مُستكبرٌ في انتمائي

هاجرٌ جدّتي وأمي وأختي … طبعتْنا على الفدا والوفاءِ

فانطلقنا أُمّاً وأُختاً نُحاكي … إنما المرءُ صورةٌ للإناءِ

كيف ننسى تراثنا ؟ كيف أُلقي … قيمَ الخيرِ والجمالِ ورائي

كيف نصغي لمن تقول درجنا … في ظلامٍ مستغلقٍ في انطواءِ

كَذَبَ القومُ . أين شعرُ خُناسٍ … حدّثوني عن مثله في الصفاءِ

حدّثوني عن جامعاتٍ أعادت … مثلَها اليوم . ذاك محضُ افتراءِ

نحن كنّا للدهر مذ كان دهراً … مصدرَ الخيرِ والسَّنا والعطاءِ

ارتقى الفكرُ عبرَ أمي وأختي … لم يَعُقْهُ جدّي ولا آبائي

جدّتي هاجرٌ وأسماءُ أمّي … حدّثيهم يا أرضُ عن أسماءِ

حين نادت : يا واحدى كن شجاعا   رغم زحف الهزيمة النكراء
قف وناضل عن مبدأ ذدت عنه   لاق واصدق يامهجتى فى اللقاء
ربما مثلوا بجثة حر   ربما مزقت إلى أشلاء
هل يضر الشياة سلخ إهاب   بعد موت . لاتخش حرّ بكائى
سوف تبقى في ناظرى مثالا   تحتذيه مواكب الشهداء

هكذا أمتنا . أينكر عصرى   أنها قمة السنا والفداء
هى بحر يا حاضرى هات أخرى   مثل بنت الصديق بين النساء
لن تجودى يا جامعات بأم   مثل أمى ، لاتبخسوا أشيائى
لا تقولوا : كان التخلف فينا   ذاك قلب لمنطق الأشياء
أنا بنت الجزيرة الشماء   لن ينالوا مهما ادعوا من سمائى

وحجابى ماعاق يوما سباقى   كيف نصغى لمثل هذا الهراء
سيظل الحجاب رمز عفافى   ونقائى به أصون حيائى
كيف ألقيه ؟ كيف أمضى ، ودربى   ينهش الذئب شاتها فى اجتراء
قد مضينا للدرس ، ماعاق فكرى   واستجبنا للجبر والكيمياء
وانطلقنا عبر المعامل . نبنى ..   أمة المجد والعلا فى مضاء

ياحجابى مهما تجنوا ستبقى   لا أبالى بهذه الأصداء
أو نلقى بالدر دون سياج   كيف نلقى بدرة فى العراء
تعصف الريح والبروق ، وتودى   بسناها وحسنها الوضاء
فليقولوا : تخلف . تلك دعوى   رددتها من بعدهم ببغائى
إن ردى على اتهامات جيل   ضللته مناهج الغرباء
أننى هاهنا أواكب عصرى   لم أقصر فى نهضة أو بناء
يشهد المعمل الحديث بسبقى   وانطلاقى ، ويحتنى لذكائى

أنا بنت الجزيرة الشماء   لن ينالوا مهما ادعوا من سمائى

محمد السيد شريف

إدارة كليات البنات

محمد السيد شريف


دراسات
في جغرافية
المملكة العربية السعودية
...(مدينة بريدة)...
للدكتور عبد الرحمن الشريف

بريدة قاعدة امارة القصيم واكبر مدنها واكثرها نشاطا وحيوية بل هى ثانى مدينة في وسط شبه الجزيرة العربية بعد مدينـــة الرياض ٠ وتقع على بعد ٤٥١ كم في شمال غرب مدينة الرياض وعلى بعد ٥٠٣ كم شرق شمال شرق المدينة المنورة ، وتقع في شمال نجد في وسط المسافة بين ساحل الخليج العربى والبحر الاحمـــر تقريبا ، ويمر منها خط عرض ٢٦

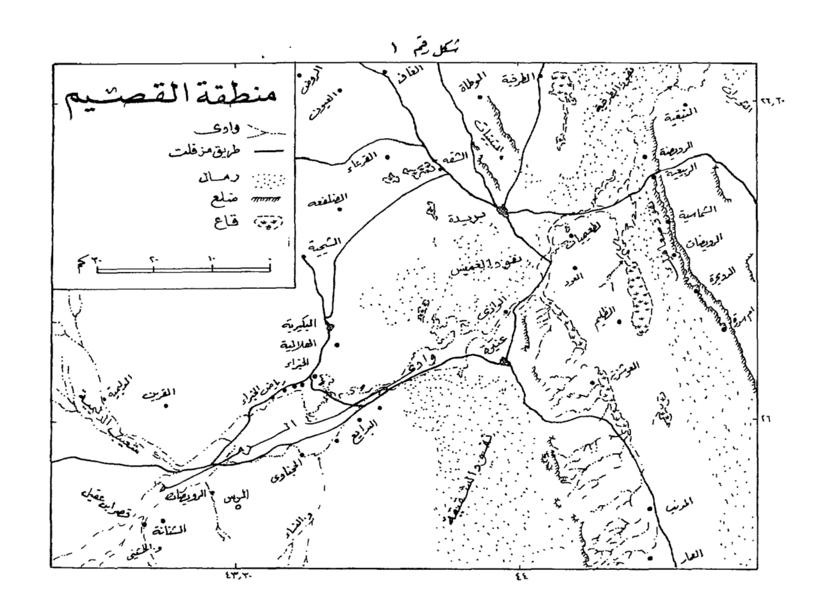
ينحدر سكان بريدة من قبائل شتى اشتهروا في الماضى بتجارة الابل ، وقد تطورت تجارتهم فيما بعد فشملت مختلف انواع السلع قديمها وحديثها ٠ لكنها نالت شهرة تجارية خاصة منذ منتصف القرن الحالى حيث كانت تصل اسواقها البضائع الاجنبية عن طريق الكويت سالكة طرق القوافل القديمة بالسيارات قبل عهد الطرق المعبدة ، فكانت السلع تباع في أسواقها أرخص من اى مكان آخر في المملكة ٠

بريدة في التاريخ :

عرفت بريدة كمورد ماء منذ زمن بعيد قد يعود للعصر الجاهلى ، وقد عرف هذا المورد في صدر الاسلام باسم « عكيرسة »٠قال ياقوت الحمودى « بريدة تصغير بردة ، ماء لبنى ضبينة ، وهم ولد جعده بن غنى بن اعسر بن سعد بن قيس بن عيلان عبس ، ٠٠٠ ويوم بريدة من ايامهم » (١) ٠

فالذى ذكره ياقوت اذن هو منهل ماء في موضع المدينة اليوم ٠ وقد اهمل ذكر بريدة في القرون الوسطى ولم يبعث الا فى القرن العاشر (٢) الهجرى ٠ وقيل ان الذى اكتشف ماء بريدة من جديد هو « راشد الدرينى » واستغلها وعمر حولها ، وبنى أول سور حولها ، وقد سمى السور باسمه فيما بعد وبقى حتى سنة ١٥٧٠ م (٢) ٠ جاء راشد من ثرمدا وهو من اسرة المناقر ٠

شكل رقم ١



منطقة القصيم
وادى
طريق مزفلت
رمال
ضلع
قاع
١٠
٢٠
٣٠ كم
الروض
العيون
القاعد
الموطاة
الطرفية
نفود الطرفية
الشقة
القرعاء
الضلفعه
الشيحية
الشقيقة
بريدة
نفود الغميس
البكيرية
الهلالية
الخبراء
رياض الخبراء
الوادى
عنيزة
الربيعية
الروضة
البنيات
الشماسية
الرويضات
الدعيجة
ام حزرة
العوسجية
العود
الطليم
وادى الرمة
البدايع
الجناوى
القرين
شعيب
المريس
الشنانة
قصر ابن عقيل
المذنب
العار
نفود الشقيقة
٢٦,٣٠
٢٦
٤٣,٣٠
٤٤

ويعتقد ان اصل بريدة كموقع مأهول يرجع الى عهد الدرينى ذلك أى الى القرن العاشر الهجرى واواسط القرن السادس عشر الميلادى ٠ ومن بقايا ذريه الدرينى آل ابى عليان الذين لهم ذكر فى تاريخ بريدة حيث كانوا امراءها ومنهم آل حجلان وآل عرفج وغيرهم ٠ وقد بنى حجلان حول البلدة السور الثانى بعد تهدم السور الاول ، وقد بقى محيطا بها حتى عام ١٧٠٠ م ثم بنى سور حسن الذى استطاعت جيوش ابراهيم باشا اجتياحه في مطلع القرن التاسع عشر ٠ وقد انحطت البلدة وتقهقرت على اثر هذا الاجتياح وبقيت كذلك طيلة فترة الاحتلال التركى ــ المصرى عليها ٠

وقد تعرضت بريدة خلال القرن التاسع عشر لذبذبات شديدة بين التوسع العمرانى والانكماش لعدم استقرار الاوضاع السياسية ، وتقلب المسؤولين عليها وتغيرهم ، فكانت تزدهر وتتقدم احيانا وتخبوا وتتقهقر احيانا اخرى ٠ وكان آخر أمرائها من آل ابى الخيل من عنيزة (٤) حينما اتبعت للدولة السعودية الحديثة في مطلع القرن العشرين ، وقد شيد حول المدينة سور جديد بقى حتى اندثرت اثاره نتيجة موجة التوسع الحديث منذ نحو ربع قرن ، كما شيد قصر منيع لسكن الامير واتباعه ٠ وقد اتخذت بريدة منذ ذلك الوقت قاعدة لاقليم القصيم الواسع والعامر بسكانه والغنى بزروعه وقطعانه ، وبقيت كذلك حتى الان ٠

عندئذ فقط ولاول مرة بدأت بريدة بالنمو المطرد والتوسع المستمر ، حتى اصبحت مدينة كبيرة تفوق في عدد سكانها جميع مدن المنطقة الوسطى ما عدا الرياض ٠ وهى تزيد عن مثلى مدينة عنيزة (المدينة الثانية فى القصيم) فى مساحتها وعدد سكانها ٠ ويتبع بريدة اداريا جميع مدن وقرى وهجر القصيم ما عدا مدينة عنيزة وما يتبعها ٠

الموقع الجغرافى لمدينة بريدة :

يعتبر الموقع الجغرافي في طليعة الاسباب التى جعلت مدينة بريدة تتبوأ المركز القيادى الذى اطلعت به خلال هذا القرن ٠

صحيح أن مدينة بريدة تقع وسط شبه الجزيرة العربية ، وتحيط بها الصحراوات القاحلة من كل جانب ، بل وتكاد الكثبان والعروق الرملية تطبق

عليها من معظم الجهات ، اذ تحيط بها نفوذ الغميس كاحاطة السوار بالمعصم لانها نشأت في وسطها • ورمال الغميس متصلة من جهة الشمال الشرقي بنفود الطرفية ، ومتصلة من جهة الجنوب الشرقي عبر وادى الرمة بنفود صعافيك وهى امتداد طبيعي لنفود السر ، ومتصلة من الغرب بنفود الهلالية • وهذه متصلة من الجنوب الغربى عبر وادى الرمة ايضا بنفود الشقيقة المجاورة لمدينة عنيزة •

كمـــا ان مــدينة بريدة تقع في وسط مجموعة من الصـــخروات الوعرة والتضاريس الصعبة ، تفصل الكثبان المذكورةبعضها عن بعض وتقطعها الى اجزاء• ومع ذلك فانها تقع في نفس الوقت على يسار سافلة وادى الرمة بحيث اكتسب موقعها مميزات جديدة وفريدة من اهمها :

١ ــ كانت طرق القوافل القديمة (قوافل الجمال) تتجنب التضاريس الصعبة • ولذلك استغلت في اغلب الاحيان شبكات الوديان الهامة وجعلت منها طرقا واضحة المعالم سهلة العبور ، خاصة اذا كان الانتقال منها الى احواض وديان مجاورة يسيرا •

فوجود وادى الرمة وشعبه العديدة والطويلة سهل الوصول الى مدينة بريدة، وصارت بريدة مع الزمن عقدة مواصلات لطرق القوافل فى مختلف الاتجاهات • ولذلك عرفت كمحطة في طريق حجاج العراق • ومنذ دخول عهد السيارات صارت بريدة تتصل قبل عهد الطرق « المزفلته » شرقا بالكويت عن طريق الزلفى ــ الحفر ، وتتصل بالاسياح شمالا ، وتتصل بحائل وبعدد كبير من قرى المنطقة شمالا بغرب ، وتتصل عبر وادى الرمة جنوبا بعنيزة فوشم العارض فالعارض ، كما كانت غربا صعدا في مجرى وادى الرمة بالمدينة المنورة وما يليها •

٢ ــ نشأ على جنبات وادى الرمة او روافده الدنيا ، كما نشأ في وسط مناطق الرمال الخفيفة عدد من الواحات والخبوب ذات التربة الخصبة والمياه الجوفية الوافرة ، كانت سببا في نشوء المناطق الزراعية الغنية وكانت عاملا اساسيا للاستقرار البشرى • وكانت بريدة قاعدة لتسويق منتجات تلك المواقع البشرية ومراكزا لتزويدها بالحاجات والخدمات •

ولذلك تبوأت مدينة بريدة مركزا قياديا بالنسبة لمجموعة قرى اقليم القصيم .

ومدنه التى تحيط بها وليست بعيدة عنها · اذ أن بريدة تبعد ٣٠ كم عن عنيزة الواقعة الى الجنوب منها و ٤٠ كم عن البكرية الواقعة في الغرب و٩٠ كم عن الرس في الجنوب الغربى · وهذا ما دعا الى اختيارها قاعدة لامارة القصيم حسب التنظيم الادارى في عهد الدولة السعودية الحديثة كما ذكرنا ·

هذه الصفة العاصمية وذلك المركز القيادى ساهما في هذا القرن في جعل اسبقية مدينة بريدة حاسمة بالقياس الى بقية مواقع الاستقرار الاخرى في القصيم، فبدأت تنمو بسرعة تفوق سرعة نمو بقية المواقع الاخرى فتضاعف عدد سكانها بسرعة ، وزادت مساحتها الى عشرات الكيلو مترات المربعة ·

سكان بريدة :

لقد تهيأت لمدينة بريدة فى الربع الثانى من القرن العشرين اسباب الاستقرار وصارت قاعدة لمنطقة واسعة في وسط شبه الجزيرة هى منطقة القصيم ، غنية الى حد ما بمواردها الزراعية والرعوية ، وكانت هذه الموارد هى اهم مجالات الانتاج الاقتصادى حتى ذلك الحين ·

غير أن أعظم مرحلة تطور شهدتها مدينة بريدة تمت في الربع الثالث من هذا القرن ، وهى نفس الفترة التى انطلقت بهـا المملـكة كلها في حركة نموـ وازدهار ، والتى نتجت عن التحول الاقتصادى الهائل الذى حل بالمملكة عقب تطور استثمار البترول ·

تحولت بريدة اثر هذه الحركة من بلدة صغيرة لا تتجاوز عدد سكانها بضعة آلاف من الافراد ، كانوا قابعين في بيوت طينية متلاصقة ذات شوارع ترابية ضيقة وغير منتظمة ، يحيط بها جميعا سور طينى ، وكان السكان يعيشون من الزراعة وتربية الحيوانات ، او من التجارة ، تحولت الى مدينة متوسط الحجم يعيش فيها بضعة عشرات من آلاف الافراد ، وظهرت فيها الشوارع العريضة المشجرة والتى ترصع جنباتها المبانى الاسمنتية الضخمة والمعارض والمحلات الكبيرة والمزدانة بمختلف أنواع السلع المستوردة · واضيئت المدينة بالكهرباء وتوزعت عليها المياه بالانابيب ونشأ فيها مختلف انواع الخدمات · ففى سنة ١٩٦٢م بلغ عدد سكان مدينة بريدة ٣٥٥٠٠ نسمة حسب عملية حصر السكان والمؤسسات التى تمت في صيف ذلك العام · وبعد ١٢ سنة تقريبا تضاعف عدد سكانها ، اذ بلغ

حسب التعداد العام للسكان الذى تم في خريف ١٩٧٤م الى ٦٩٩٤٠ نسمة (٥) ٠
ولا تزال عوامل زيادة ونمو سكان بريدة تعمل بسرعة لا تقل ولا بحال من الاحوال عن سرعة نموهم فى العقد الماضى ٠

وفي حين زاد عدد سكان مدينة بريدة هذه النسبة (نحو ١٠٠٪) خلال ١٢ عاما ، أى بزيادة سنوية تقرب من ٦٪ نجد ان جميع سكان القصيم زادوا بنسبة ٣٨٪ فقط عما كانوا عليه خلال هذه الفترة ٠ وهذا يوحى بان معظم زيادة السكان التى حصلت في الامارة كـــانت في المدن لا سيما مدينة بريدة قاعدة الامارة ٠ وهذا شيء طبيعي حيث ان مدينة بريدة تحولت الى مركز جذب قوى للسكان شأن بقية مدن المملكة الرئيسية التى تتمتع بتوفر مجالات العمل وانتشار مختلف انواع الخدمات الحكومية والشخصية خاصة الخدمات المهنية ، ولو بنسبة تقل عما في المدن الكبيرة ٠ ويؤكد هذه الحقيقة ان نحو ٢٠٪ من سكان بريدة في وقت دراسة خبراء دوكسيادس لها لم يولدوا بها بل كانوا بعداد المهـــاجرين اليها (٦) ٠

وقد ادى هذا التوسع في المدينة الى كونها اصبحت تضم من السكان ضمن حدودها اكثر من ٢٢٪ من مجموع عدد سكان أمارة القصيم جميعا في سنة ١٩٧٤م وهذا يعنى انها زادت بنسبة تزيد عما قدر لها خبراء شركة دوكسيادس في نهاية العقد الماضى (فرضوا نسبة زيادة سنوية مقدارها ٣ر٦٪) ٠ وطبقا لنتائج التعداد للسكان لسنة ١٩٧٤ م تحتل بريدة اليوم المركز التاسع من بين مدن المملكة وذلك بعد كل من المدن التالية مرتبة حسب أهميتها العددية : الرياض ، جدة ، مكة المكرمة ، الطائف ، المدينة المنورة ، الدمام ، الهفوف ، تبوك ٠

حجم الاسرة في بريدة :

يشير تعداد السكان لسنة ١٩٧٤ م الى وجود ٨٧٧٤ أسرة في مدينة بريدة ٠ وهذا يعنى ان معدل حجم الاسرة الواحدة يبلغ فيها نحو ٨ أفراد ٠ ويعتبر هذا الرقم كبير جدا ، اولا بالقياس الى جميع المدن الكبيرة في المملكة ، وثانيا بالقياس الى معدل حجم الاسرة في المملكة كلها (بمعدل حجم الاسرة في المملكة ٧٣ر٥ ، نسمة ، في الرياض ٥ر٦ ، في جدة ٧٦ر٥ ، في مكة ٤ر٥ ، في المدينة ٦ر٥) (٧)

وهذا يعنى من ناحية ان مدينة بريدة لا تزال تحوى نسبة كبيرة من فئات

الاسر ذات الاحجام الكبيرة ، ويدل من ناحية ثانية على ارتباط حياة معظم سكان هذه المدينة ارتباطا وثيقا بحياة الريف والبادية ، ومحافظتهم على تقاليدهم الاجتماعية السابقة اكثر من اى مدينة كبيرة اخرى ، والتى من ضمنها وجود الاسرة التى يعيش فيها الاب مع ابنائه المتزوجين في بيت واحد ٠

بريدة بين الماضي والحاضر :

لقد تمثل التغير الذى تعرضت ولا تزال تتعرض له مدينة بريدة في كثير من المظاهر ، ويمكننا اجمال اهمها في النقاط التالية :

١ ـ تطور بريدة فى المجال المدنى :

استمرت بريدة خلال تاريخها الطويل تتصف بخصائص مدن الواحات التى يختلط فيها الطابع المدنى بالريفى ٠ حيث كانت جميع بيوتها الطينية مغلقة على نفسها الا من الابواب والبوابات التى تفتح على الشوارع الضيقة ٠ وتتحلق الاحياء السكنية حول نواة المدينة القديمة وهى حى الجردة والتى فيها المسجد الكبير والاسواق التجارية وقصر الحكم وبعض الساحات الصغيرة التى تقع فيما بينها ٠

وفي منتصف القرن العشرين اخذت تتسع اتساعا كبيرا ولكن هذا التوسع كان توسعا عشوائيا لا يتقيد باى رابط وضابط ، ولم تكن هناك اية جهة حكومية مسؤلة عن تنظيم ذلك التوسع الذى كان يخضع فقط لامزجة الناس واماكنياتهم وحاجاتهم للبناء ٠ وفي ١٣٨١/٣/١٣ هـ (عام ١٩٦٢ م) صدر قرار تأسيس بلدية في مدينة بريدة ٠

غير ان بلدية بريدة بدأت ضعيفة شأن كل جديد ، ضعيفة في جهازها الادارى ، ضعيفة في جهازها الفنى ، ضعيفة في امكانياتها المادية والمعنوية، بحيث تعجز عن تحمل الاعباء الملقاة على عاتقها ٠ ولكنها شرعت تنمو وتقوى حتى اصبحت الان من كبريات البلديات في المملكة ٠

وكان تأسيس بلدية بريدة سابقا لتأسيس وكالة وزارة الداخلية لشئون البلديات والذى تم في رمضان ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م) (٨) ، لتشرف

على شؤون البلديات والمرافق التابعة لها كمصالح المياه وشبكات المجارى او تصريف مياه الامطار • وتقوم بدور المخطط والموجه والرقيب على جميع اعمال البلديات •

واهم الاعباء التى انيطت ببلدية بريدة منذ تاسيسها : انشـــاء الشوارع العريضة والمستقيمة وتوسيع القديم منهـا ، وانشاء الارصفة وتشجير بعضها وانارتها ، وايجاد مواقف للسيارات وميادين على مفارق الطرق • وبناء عدد من المنشآت البلدية مثل دار البلدية ومسلخ فنى وعدد من الاسواق المتخصصة ، مثل سوق الخضار واللحوم ، وتسـوير المقابر • واعداد دراسات لانشاء شبكة مجارى ودورات مياه عامة • وقد يكون من اهمنشاطات البلدية في الوقت الحاضر الاشراف على الحركـة العمرانية في المدينة وتنظيم الاحياء وضبط حركة توسع البناء وزفلتة الشوارع •

غير ان سرعة نمو المدن السعودية عامة وبريدة خاصة خلال الفترة الاخيرة ، وتغير تركيبها السكانى والوظيفى ، وظهور مؤسسات تجارية وصناعية وانشائية جديدة تطلب جميعها حاجات ووظائف ادارية وخبرات ومهارات وخدمات مختلفة لم يكن لها وجود ، كل ذلك خلق مشاكل في تلك المدن من طبيعية وحجم غير معهودين وفي وضع متفاقم مما جعل البلديات ــ بالرغم من تطورها ــ عاجزة عن حلها قبل ان يستفحل امرها، الامر الذى تطلب تدخل الحكومة لتلافيمضار التوسع غير المقيد والنمو غير المدروس •

لذلك عهد الى شركة دوكسيادس اليونانية ، وهى الشركة التى قامت بوضع مخطط شامل لمدينة الرياض ، عهد اليها القيام بدراسة فيزيقية شاملة للمنطقة الوسطى ومخططات رئيسية لمدنها الكبرى وهى : بريدة وعنيزة والرس والخرج والمجمعة • وبدأت هذه الشركة بتقديم تقاريرها عن مدينة بريدة سنة ١٩٧٣ م •

وقد روعى في مخططات المدينة النهائية تحسين المدينة وتجميلها ، وحل جميع المشكلات التى تعانى منها في الوضع الراهب كالمشكلات السكنية او البيئية او المرورية او نقص الخدمات فوضعت دراسات بتصريف مياه

المطر وانشاء حدائق خضراء وحزام اخضر ، وتنظيم المناطق الوظيفية وترميم هرمى للشوارع والطرق ودراسة خدمات النقل الداخلى وانشاء « مجمعات خدمات الاحياء » • وتقييم المرافق الموجودة كشبكات المياه والكهرباء والمجارى والتليفونات • (٩) وقد انيط ببلدية بريدة تنفيذ المشاريع المتعلقة بالمخطط العام للمدينة التى تعتمدها الدولة، هذا بالاضافة الى جانب وظائف البلدية التقليدية كالقيام بالنظافة العامة ومراقبة الصحة العامة ومراقبة الاسعار والاسواق ومكافحة الغش • فقد قوى جهاز تنظيف المدينة بايجاد عدد من السيارات الاوتوماتيكية للكنس وسيارات شفط المياه القذرة حتى صار عدد العاملين فى القصم الصحى ٢٠٢ عاملا يستعملون ٧ سيارات و ٥٧٠ صندوقا حديديا •

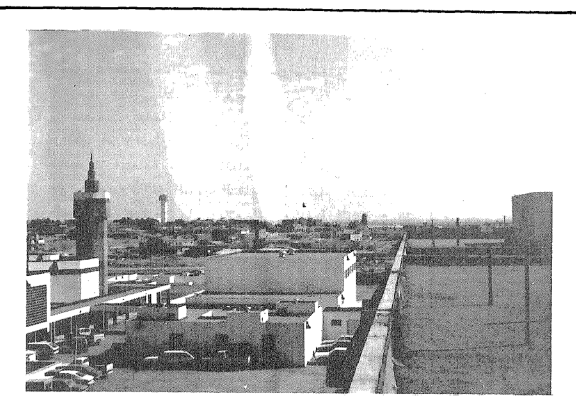
لقد انشأت محطات توليد الكهرباء ومددت انابيب مياه الشرب في بريدة فى وقت مبكر وذلك قبل عدد كبير من مدن المملكة ، وحتى قبل انشاء البلدية بفضل المشاريع الفردية ، والتى لا زالت متمثلة حتى الان بوجود ثمانى شبكات خاصة لتوصيل مياه الشرب ، بالرغم من تنفيذ مشروع مياه الشرب من قبل وزارة الزراعة منذ ١٩٧٢ م •

وقامت البلدية بنزع ملكية بعض البساتين ، وتم تنظيمها وتحويلها الى منتزهات عامة • وكان النطاق الاخضر حول المدينة يتمثل باشجار الاثل المزروعة فى الرمال المحيطة بالمدينة من معظم جهاتها ، غير أن توسع المدينة الحالى اتى على قسم منه لا سيما فى شرق المدينة وجنوبها ولذلك تجرى دراسة تنظيم هذا النطاق •

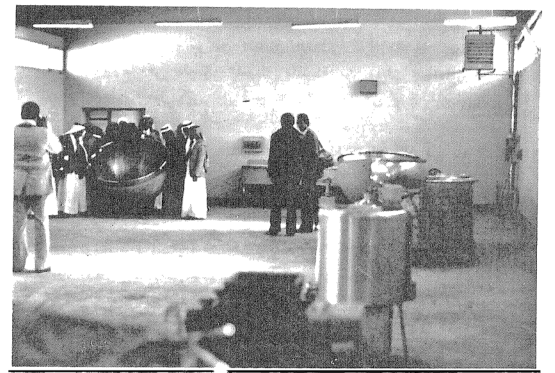
وتزايد ميزانيتها من ناحية اخرى • ففى حين كان فى بلدية بريدة ٦٢ موظفا فى سنة ٨٦ـ١٣٨٧ هـ ، ارتفع عددهم الى ١٠٣ فى عام ٩٢ـ١٣٩٣ هـ ثم الى ١٥٤ موظف سنة ٩٥ـ١٣٩٦ هـ • وارتفعت ميزانية البلدية من ٢٣٩٠٩٤٢ ريال سنة ٨٣ـ١٣٨٤ هـ الى ٥٧٢٤٢٢٦ ريال سنة ٨٦ـ١٣٨٧ هـ والى ٨٤٦٢٩٥٣ ريال سنة ٨٩ـ١٣٩٠ هـ والى ١٢٠٢٢٧٥٨ ريال ٩٢ـ١٣٩٣ هـ • (١)

٢ ـ التقدم الزراعى فى بريدة ومنطقتها :

يعتبر التقصيم من أهم مناطق المملكة فى ثروته المائية الباطنية



منظر عام لبريدة



مصنع لبسترة الالبان ومشتقاته فى العهد الزراعى

الحبيسة ، خاصة المنطقة المحيطة بمدينة بريده • وقد اكتشفت مياه بريده الباطنية العميقة كما اكتشفت ضخامتها صدفة من قبل أحد الفلاحين اثناء تعميقه البئر القديمة المحفورة فى الصخور الرملية التى تنتمى لتكوين (الساق) فى سنة ١٩٥٤ م •

ثم تتالت عمليات الحفر العميق ومعظمها نجحت فى الحصول على الماء، وتبين أن منطقة بريدة تقع فوق حوض كبير من الاحواض المائية الجوفية، لدرجة أن التوسع الزراعى لم يكن فى مكنته استيعاب جميع المياه المتدفقة من بعض الآبار وجرت على الارض لتضيع سدى بين التسرب والتبخر ، مما أدى الى ابراز مشكلة جديدة هى تملح التربة •

يهمنا من هذه الظاهرة أن الزراعة توسعت تبعا لذلك وتطورت • وزاد فى المنطقة وتنوع • وقد بدأ هذا التوسع فى مطلع النصف الثانى من القرن العشرين ، أى فى وقت ولجت فيه المملكة بشكل عام ومنطقة بريدة بشكل خاص فى مرحلة من التقدم الاقتصادى والتغير الاجتماعى ، فزاد عدد السكان وارتفع مستوى معيشتهم ، وزاد استهلاكهم من المنتوجات الزراعية الجديدة كمختلف انواع الخضروات والفواكه ، وبالتالى زاد الطلب عليها وعلى المنتوجات التقليدية السابقة كالتمور والحبوب •

وقد رافق هذا التوسع فى الانتاج الزراعى تطور مرافق له فى انشاء الطرق المعبدة والطرق الزراعية الممهدة والتى ساعدت الفلاحين على نقل منتوجاتهم بواسطة السيارات من المزارع المتناثرة الى أسواق المدن المجاورة لها ، ومن أكبر تلك الاسواق فى الاقليم اسواق مدينة بريدة ، كما ساعدتهم ايضا على نقل قسم كبير من فائض هذه المنتوجات الى اسواق خارج الامارة كاسواق الرياض والمدينة المنورة بل انهم ارسلوا منتوجاتهم فى بعض الاحيان الى خارج البلاد ، وما تصدير البطيخ والطماطم الى الكويت ودول الخليج العربى فى بعض الاحيان الا صورة لهذه الظاهرة •

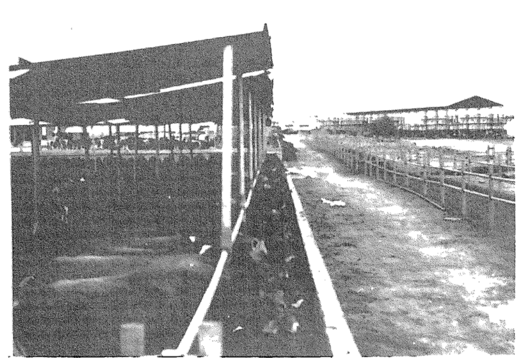
يعمل قسم كبير من سكان مدينة بريدة بالزراعة ، وقد وصفت بريدة منذ عهد بعيد فى الادب القديم بانها «مدينة كثيرة النخيل والبساتين» وكانت حدائق النخيل تحيط بها من معظم جهاتها ، واعتبرت ولا تزال من

بين مجموعة المدن الزاعية ، أى المدن التى يعتبر الانتاج الزراعى من اهم المجالات الانتاجية لسكانها • واليوم زادت مساحتها الزراعية كما زادت مساحات القرى الزراعية القريبة منها والمنتشرة حولها •

ومن المؤسف أن لا نملك ارقاما عن مساحات الاراضى الزراعية التابعة لمدينة بريدة أو التابعةللقرى القريبة منها •غير أن نتائج التعداد الزراعى الشامل الذى تم فى القصيم سنة ٧٣ـ١٩٧٤ م أوضحت أن مساحة الارض المزروعة بشكل دائم أو مزروعة بمحاصيل مؤقتة بلغت ٨١١٥٠٧ دونما(١) أى نحو ٨٠٪ من مجموع مساحة الارض الزراعية فى امارة القصيم في ذلك الوقت •

ومن الجدير بالملاحظة أن حدود امارة بريدة الفرعية حسبما وردت فى جداول نتائج التعداد الزراعى المذكور تبدو انها تختلف عن الحدود التى افترضناها عن القصيم لمنطقة بريدة الفرعية ، وذلك حينما حاولنا تقسيم امارة القصيم الى سبع مناطق فرعية ، وبالرغم من أنه لم ينص صراحة فى تلك النشرة عن حدود الامارات الفرعية ، غير أنه يتهيأ لنا انها تضم كل منطقة الاسياح وبعض المساحات من منطقة الرس كالبكيرية ومن منطقة عنيزة كالمذنب ومنطقة الفوارة كميون الجوى ، وبالمقابل فقد انسلخ عنها قرى الشميسية والربيعية لتشكل امارة فرعية منفصلة (١٢)

ومهما يكن من امر فان هذه الارقام تشير بوضوح الى اتساع مساحة الاراضى الزراعية فى منطقة بريدة ، ليس بالقياس الى اقليم القصيم فحسب ، بل بالقياس الى المساحات الزراعية فى المملكة كلها والتى تبلغ ٣٩٥٢٤٨٠ دونما (١٣) • وهذا يجعل منطقة بريدة وحدها تملك نحو ٢٠٪ من مساحة الاراضى الزاعية فى المملكة • ويمكن أن ندرك اهميتها اكثر اذا علمنا أن جميع هذه المساحة خاضعة للرى وتتم فيها دورات زراعية منظمة • وقد تحسنت اساليب الانتاج الزراعى فيها واستخدمت الالات الزراعية الحديثة واستعمل السماد الكيماوى الى جانب استعمال السماد الطبيعى كما استعملت الادوية لمكافحة الافات الزراعية • وقد ساهمت جميع هذه الاجراءات فى زيادة الحاصلات الزراعية وتحسين نوعيتها •



مشروع المشيقح لتربية الاغنام والابقار

٣ ـ الوضع الادارى :

ذكرنا أن مدينة بريدة اختيرت قاعدة لاقليم القصيم منذ زمن بعيد لما تتمتع به من ميزات الموقع الجغرافى · فحينما تم توحيد المملكة العربية السعودية وتأسيس الدولة الجديدة بقيادة المغفور له جلالة الملك عبـــد العزيز فى عام ١٣٥١ هـ ـ ١٩٣٢ م ، قسمت هذه المملكة اداريا حسب التنظيم الادارى لعام ١٣٥٤ هـ الى قسمين : الاول : نجد وملحقاتها والثانى الحجاز · تكون الاول من ستة اقسام ادارية فرعية (يطلق على كل واحدة منها امارة) · وكانت القصيم واحدة منها ، واتخذت مدينة بريدة مركزا لهذه الامارة · وكانت امارة القصيم تتكون من أربع امارات فرعية هى : امارة بريدة وامارة عنيزة ، وامارة الرس وامارة المذنب ·

وفى سنة ١٣٧٣ هـ (١٩٥٤ م) صدر التنظيم الادارى الجديد الذى الغى التنظيم السابق والذى اصبحت بموجبه جميع امارات المملكة

تابعة لوزارة الداخلية (بعد انشائها) فى مدينة الرياض . وقد قسمت المملكة بموجب هذا التنظيم الى ١٧ امارة ، وكانت القصيم واحدة منها ومركزها مدينة بريدة ايضا . ومع انها تضم نفس الاراضى التى كانت تضمها سابقا الا انها قسمت الى امارتين فرعيتين فقط هما : امارة بريدة وتضم الرس والمذنب والبكيرية والنبهانية والاسياح والشماسية وقصر ابن عقيل وضرية . والامارة الثانية هى امارة عنيزة وتضم القرى المحيطة بها ضمن دائرة لا تتجاوز ومساحتها ٣٥٠٠ كم٢ وعددها عشر قرى .

ولا يزال التنظيم الادارى لعام ١٣٧٣ هـ متبعا فى المملكة مع بعض التعديلات الطفيفة التى طرأت على حدود بعض الامارات فى سنة ١٣٩٤هـ. حيث ضمت بعض الامارات الصغيرة جدا الى غيرها ، وصار عدد الامارات ١٤ امارة . غير أنه لم يطرأ أى تعديل يذكر على حدود امارة القصيم .

ومع أن امارة عنيزة هى احدى الامارات الفرعية المكونة للقصيم ، فانها ـ على صغرها ـ تمتعت بوضع ادارى خاص ، مفاده أنه امر عليها منذ ضمت للدولة السعودية فى سنة ١٣٣٨ هـ امير من أبنائها هو يحى ابن سليمان بن زامل السليم . وحصرت الامارة من بعده فى آل سليم ، وذلك حسب اتفاق حصل بينهم وبين السلطان عبد العزيز فى ذلك الوقت. وبقى هذا الاتفاق معمولا به رغم تغير التنظيمات الادارية ، ورغم أن كثيرا من الدوائر الحكومية الحديثة صارت تتبع بريدة في بعضها وتتبع الرياض فى بعضها الاخر (١٤) .

ومن هنا ظهر فى مدينة بريدة العديد من الدوائر الحكومية الى جانب الامارة حتى تستطيع أن تقوم بهذه الوظيفة الادارية وتهيمن على اقليمها مثل : ادارة تعليم القصيم ، ومديرية الشؤون الزراعية ، ومديريةالشؤن اصحية ، ودوائر الجوازات والجنسية ، ومركز للشرطة ومحكمة شرعية ومركز مطافىء ومكتب العمل والشؤون الاجتماعية والضمان الاجتماعى ومركز بريد وهاتف ومركز هيئة النواب وغيرها .

٤ ـ التعليم :

بدأ التعليم الرسمى فى مدينة بريدة وفى معظم مدن المملكة الهامة منذ ١٣٥٦ هـ (نحو ١٩٣٧ م) أى قبل اكثر من ٤٢ سنة . وكان ذلك عقب انشاء مديرية معارف تابعة لوزارة المالية تتولى انشاء المدارس والاشراف على التعليم . وفى سنة ١٣٧٣ هـ (١٩٥٤ م) تأسست وزارة المعارف فى المملكة ، وقد انبثق عنها مديريات تعليم موزعة فى الامارات،

فتشكلت ادارة تعليم لامارة القصيم مركزها مدينة بريدة (١٥) ٠ وفى سنة ١٣٨٢ هـ (١٩٦٣ م) انحسر اشراف ادارة تعليم القصيم عن منطقة عنيزة بسبب تأسيس ادارة اشراف على التعليم خاص بها ٠ وفى سنة١٣٨٤هـ (١٩٦٤ م) بدأ تعليم البنات فى بريدة ومن ثم فى منطقتها ٠

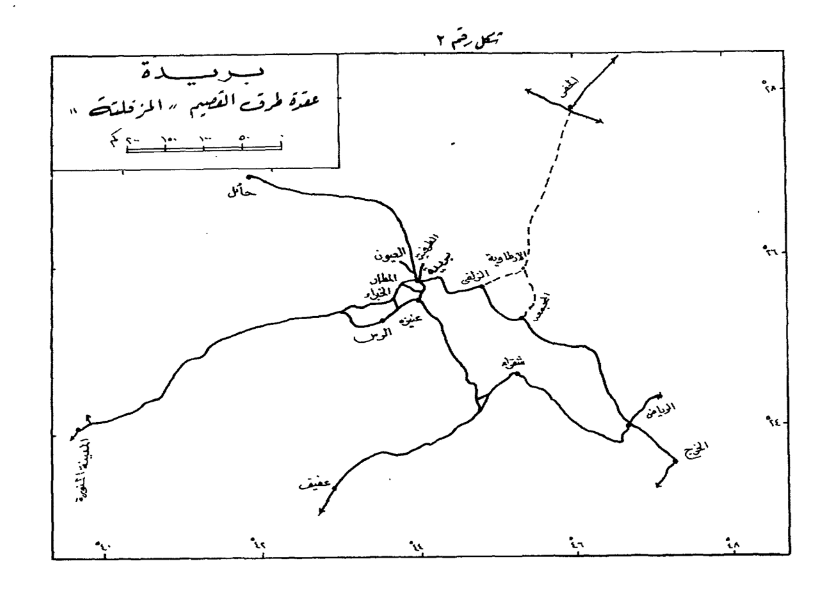
ومنذ تأسيس هذه الادارات التعليمية أخذ التوسع السريع فىانشاء المدارس الحكومية من مختلف المراحل التعليمية ومختلف الانواع كالتعليم الاكاديمى والمدارس المهنية ومعاهد المعلمين حتى بلغ عدد المدارس الابتدائية في مدينة بريدة وحدها ٢٩ مدرسة في سنة ٩٢ـ١٣٩٣ هـ ٧٢ ـ ١٩٧٣ م ـ بالاضافة الى ١٠ مدارس متوسطة و٤ مدارس ثانوية للجنسين ٠ وكانت تضم هذه المدارس ال ٤٣ ، ٩٧١٧ تلميذا و ٣١٧٢ تلميذة فى ذلك العام أى ١٢٨٨٩ طالب وطالبة من الجنسين ، ويبلغ هذا العدد نحو خمس عدد سكان المدينة ٠ ويعود ارتفاع هذه النسبة الى أن عددا من الطلاب جاءوا الى بريدة من اقليمها المحيط بها لا سيما من أجل التعليم الثانوى والمهنى ومعاهد المعلمين ٠

طرق المواصلات :

تعود أهمية موقع مدينة بريدة ـ كما أشرنا سابقا ـ الى أنها كانت عقدة مواصلات برية ، وكانت تنطلق منها واليها طرق قوافل الجمال القديمة فى عدة اتجاهات ٠ ومن المعروف أن استعمال السيارات بدأ فى الجزيرة العربية قبل معرفة الطرق المعبدة والمزفلتة ٠ ولذلك حاول السائقون تخير ممرات ومعابر تستطيع سياراتهم اجتيازها مع أقل نسبة من الضرر ، فكانت تلك المسالك ـ فى أغلب الاحيان ـ هى طرق القوافل القديمة ٠ وقد تم انشاء الطرق المعبدة فى هذه المنطقة خلال الستينات والسبعينات من القرن العشرين فكانت فى مواقع الطرق السابقة او محاذية لها ٠

ولذلك حافظت مدينة بريدة على صفة العقدية (Nodality) بالنسبة لوسط شبه الجزيرة العربية وصفة المركزية بالنسبة لاقليم القصيم (Centrality) ، تلك الصفة التى كانت تتمتع بها فى عهد قوافل الجمال ، ولكن بمستوى اكثر ديناميكية ٠ اذ ينطلق من مدينة بريدة

شكل رقم ٢



بريدة
عقدة طرق القصيم "المزفلتة"
٠ ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠ كم
حائل
العيون
الخبراء
عنيزة
الرس
الزلفى
الارطاوية
شقراء
الرياض
الخرج
عفيف
المدينة المنورة
الحفر
٢٨°
٢٦°
٢٤°
٤٠°
٤٢°
٤٤°
٤٦°
٤٨°

الان ست طرق مزفلتة ، اثنتان منها محليتان وأربعة منها تتجاوز حدود اقليم القصيم وبالتالى فهى تتصل بخارج المملكة هذه الطرق هى :

١ ـ الطريق من بريدة الى الطرفية فى الشمال الشرقى وتفضى الى الاسياح
٢ ـ الطريق من بريدة الى عيون الجواء فى الشمال الغربى ·

٣ ـ الطريق من بريدة الى حائل فى الشمال الغربى وتقع هذه الطريق فيما بين الطريقين السابقتين ·

٤ ـ الطريق من بريدة الى الرياض عن طريق الزلفى شرقا وعبر اقليم سدير جنوبا وهى الجزء الاول من طريق الرياض ـ المدينة عن طريق القصيم ·

٥ ـ الطريق من بريدة الى المدينة المنورة وتتجه غربا الى مليده فالبكيرية وهى القسم الثانى من طريق الرياض المدينة عن طريق القصيم ·

٦ ـ الطريق من بريدة الى عنيزة جنوبا ومنها تتفرع طريقان رئيسيتان الاولى تتجه جنوبا ثم جنوبا بشرق الى الرياض أو جنوبا بغرب الى الطائف وهى طريق الرياض القصيم الاسبق والثانية تتجه غربا الى الرس ثم تلتقى بطريق المدينة المنورة (رقم ٥) ·

وقبل وجود هذه الطرق المذكورة بدأت وزارةالزراعة والمياه بانشاء طرق من الدرجة الثالثة تصل المدينة بمعظم القرى والمزارع التابعة لها اطلق عليها اسم (الطرق الزراعية) وقد سهلت هذه الطرق مع الطرق الرئيسية التى انشئت بعدها ربط مدينة بريدة بكافة أرجاء القصيم من ناحية كما سهلت اتصالها واتصال جميع انحاء القصيم بالاقاليم الخارجية الاخرى خاصة بمدينة الرياض عاصمة البلاد ، وبمدن الحجاز الهامة : المدينة المنورة والطائف ومكة وجدة ·

ومثل ذلك بدأ استعمال الطائرات فى المملكة قبل عهد المطارات فى عمليات النقل داخل المملكة العربية السعودية · ونظرا لاهمية القصيم فى المملكة نشأت فيه ثلاثة مطارات ترابية في كل من بريدة وعنيزة والرس ، كانت تنزل بها طائرات الداكوتا الصغيرة الحجم وذات المحركين فى خطوط اسبوعية ثابتة وباتجاهين: الى الرياض والى جدة·وبقيت هذه المطارات حتى

سنة ١٩٦٥ حيث تم افتتاح (مطار القصيم) الذى انشىء فى مكان يتوسط تقريبا مدن القصيم الرئسية وذلك في قاع (مليدة) الذى يبعد نحو ٣٠ كم فى غرب بريدة والقريب من بلدة البكيرية . وبالتالى الغيت المطارات الترابية السابقة الذكر .

افتتح أول مكتب للبريد فى مدينة بريدة فى سنة ١٩٣٠ م . أما الهاتف فأول عهد المدينة به كان فى سنة ١٩٦١ م حيث اسست شبكة هاتف تدار باليد تخدم ٧٠ مشترك فحسب ، وبها سبعة خطوط خارجية (ضمن منطقة القصيم) يربط اثنتان منها بريدة بعنيزة ويربط ثلاثة منها بريدة بالبكيرية ، وخط يربطها بالمذنب وأخر بالمطار . ثم توسعت الشبكة بحيث أرتفع عدد المشتركين منها الى ٧٠٠ مشترك .

وفى سنة ١٩٧٤ م تم تركيب هاتف اتوماتيكية تخدم ٣٠٠٠ مشترك وفى مطلع عام ١٩٧٨ م تم وصل شبكة القصيم الهاتفية بخطوط المملكة الاخرى . ومن الجدير بالذكر ايضا وجود محطة ارسال تلفزيونية فى مدينة بريدة فيها ستوديو واحد تخدم اقليم القصيم كله .

التطلع الصناعي :

ظهرت بعض الارهاصات الصناعية فى مدينة بريدة فى وقت مبكر بالقياس الى غيرها من المدن نتيجة غيرة وتطلعات بعض شبابها وتضحياتهم فى هذا السبيل . وفى مقدمتها مشاريع الراشد الصناعية والزراعية والمالية المتعددة ، والتى اهمها وارسخها مشروع توليد الطاقة الكهربائية ومشروع صيانة السيارات والرى الاصطناعى .

وكما حصل فى بقية مدن المملكة ظهر فيها العديد من الخدمات المهنية وبعض الصناعات الاستهلاكية الخفيفة . ومن المشاريع الحديثة الهامة فى الوقت الحاضر (مشروع البان المشيقح) ويحوى على حظائر للابقار تتسع الواحدة منها ١٤٥ رأسا . وفيها نوعان اجنبيان همـــا الجيرسى والفريزيان يقدر عددها بنحو ٣٣٠٠ رأس . انشأت هذا المشروع ولا تزال تشرف عليه شركة بريطانية تستعمل محالب وادوات الية حديثة . ومن المقدر أن ينتج المشروع عشرة اطنان من اللبن يوميا يخصص نصفها تقريبا لتزويد مدينة الرياض بالالبان . ويقع المشروع فى شمال غرب بريدة .

وقد انشيء على طريق المطار (اى فى شمال غرب المدينة) خزانات ضخمة لحفظ مشتقات البترول تخدم اقليم القصيم بكامله · وتجرى مؤسسة بترومين الان دراسة مشروع انشاء مصفاة لتكرير البترول فى منطقة بريدةتعمل علىتلبية حاجة شمال نجد من مشتقات البترول·وسيتزود هذا المشروع بالبترول الخام من خط الانابيب الذى سيتجه من خريص الى ينبع خلال فترة الخطة الخمسية الحالية ، وكذلك سيتزود بالوقود منذلك الخط · وتدرس وزارة الصناعة مشروعا اخر من مشاريع الصناعة الثقيلة التى ستنشأ فى بريدة هو مشروع انتاج الاسمنت لتزويد الاقليم بحاجته من هذه المادة الانشائية الاساسية ·

ومن الجدير بالذكر فى هذا المجال أن المعهد الزراعى فى بريدة استورد ثلاثة مصانع حديثة مرتبطة بالمنتوجات الزراعية هى :

١ ـ مصنع لعصر الطماطم وتعليبها ·

٢ ـ مصنع لعصر الزيتون وتعليب الزيت ؛

٣ ـ مصنع لبسترة الالبان ومشتقاتها ·

ولكن لم تباشر هذه المصانع الثلاث عملها بعد لعدم تأمين المواد الخام اللازمة لها بشكل دائم ·

الهوامش والمراجع

١ ـ ياقوت الحموى ـ معجم البلدان · ج٢ ص ١٥٩

٢ ـ عبد الله بن بليهيد ـ صحيح الاخبار عما فى بلاد العرب من الاثار ج ٤ ، ص ٢٦ ·

٣ ـ مؤسسة دوكسيادس ـ المنطقة الوسطى ، بريدة سنة ١٩٧٣ م

٤ـ عبد الله بن بليهد ـ صحيح الاخبار عما فى بلاد العرب من الاثار ·

جـ ١ ، ص ١٥٤ .

٥ ـ التعداد العام لسكان المملكة العربية السعودية لعام ١٩٧٤ م ١٣٩٤٠هـ

٦ ـ مؤسسة دوكسيادس ـ المصدر السابق

٧ ـ حسبت هذه النسب من أرقام التعداد العام لسكان المملكة لعام ١٩٧٤م

٨ ـ المملكة العربية السعودية ـ وكالة وزارة الداخلية لشئون البلديات .

الخدمات البلدية العدد الثانى ٩٥ـ١٣٩٦ هـ . ٧٥ـ١٩٧٦م

٩ ـ شركة دوكسياس . المنطقة الوسطى ، بريدة سنة ١٩٧٣ م

١٠ـ وكالة وزارة الداخلية لشئون البلديات . المرجع السابق .

١١ـ وزارة الزراعة والمياه ـ نتائج التعداد الزراعى الشامل . الجزء

الثانى ٧٣ـ١٩٧٤ م ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

١٢ـ عبد الرحمن الشريف في مجلة الخفجى ـ القصيم . العدد ٨ . السنة
٧ تشرين الثانى ١٩٧٧ م .

١٣ـ وزارة الزراعة والمياه ـ نتائج التعداد الزراعى الشامل . الجزء
الاول ٧٣ـ١٩٧٤م .

١٤ ـ عبد الرحمن الشريف ـ منطقة عنيزة ص ٢٦٧٦ .

١٥ـ فى حديث لمدير تعليم القصيم الاستاذ سليمان الشلاش فى سنة
١٩٧٦ م







في هـذا الباب تقدم المجلة نوعيات مختلفة تتعلق بتاريخنا وتراثنا ، ولغتنا الجميلة ..
وكل ما يتصل بتلك النوعيات مـن جوانب أدبيـة وفكرية وفنية .

ولقد حرصنا عليها لنتابع مـن خلالها كافـة الجوانب الاخبارية لموضوعات تخصصنا، وتعـد أيضا معلومات مبسطة نقدمها دائما في هذا الباب من كل عدد .

والمجلة ترحب دائمـا بكل آراء وأفكـار البـاحثين والمتخصصين والقراء حول مـا ينشر بـه ..

يكتبه : محمد ابو الفتوح الخياط

جلالة الملك المعظم

يسلم جائزة الملك فيصل

رعى صاحب الجلالة الملك المعظم خالد بن عبد العزيز عصر يوم الاربعاء الثاني من شهر ربيع ثان ١٣٩٩ ﻫ الموافق ٢٨ فبراير ١٩٧٩ م ـ الحفل الذى اقامته مؤسسة الملك فيصل الخيرية لتقليد جائزة فيصل العالمية الاولى وقد حضر هذا الحفل الكريم صاحب السمو الملكى الامير فهد بن عبد العزيز ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ، وصاحب السمو الملكى الامير عبد الله بن عبد العزيز النائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطنى ، وسمو الامير عبد الله الفيصل وجمع كثير من اصحاب السمو الملكى الامراء والمعالى الوزراء وكبار رجال الادب والفكر .

وقد تحدث صاحب السمو الملكى الامير خالد الفيصل مدير عام المؤسسة فاكد ان جائزة الفيصل العالمية اصبحت بحق احدى الواجهات الحضارية للمملكة العربية السعودية ، كما استعرض سموه مشاريع المؤسسة مثل انشاء مكتبة ومركز وثائق يضم اهم واقدم المخطوطات النادرة في العالم ـ كما ستستخدم المؤسسة نظامى الميكرو فيلم والكومبيوتر لتسهيل مهمة الباحث في الحصول على اى معلومات

يريدها ومن اى مكتبة في العالم .

والمعروف ان من اهداف جائزة الملك فيصل العالمية العمل على خدمة الاسلام والمسلمين في المجالات الفكرية والعلمية والعملية وتحقيق النفع العام للمسلمين في حاضرهم ومستقبلهم . والتقدم بهم نحو ميادين الحضارة





للمشاركة فيها ، ومن اهدافها ايضا الاسهام في تقدم البشرية واثراء الفكر الانسانى وتاصيل المثل والقيم الاسلامية في الحياة الاجتماعية وابرازها للعالم .

وبعد ذلك تحدث الدكتور احمد محمد الضبيب عميد شئون المكتبات بجامعة الرياض وامين عام الجائزة فاوضح الخطوات العلمية لمختلف المراحل التى اقطعتها المؤسسة في هذا المجال ، والموضوعات التى تم طرحها، ثم اعلن سعادته اسماء الفائزين بالجائزة أورد بعضا من جوانب حياة المرشحين للجائزة ، وبعد ذلك تقدم مندوب العلامة ابو الاعلى المودودى (باكستان) وهو فضيلة الشيخ العامد (ابنه) حيث تسلم من صاحب الجلالة الملك خالد بن عبد العزيز المعظم جائزة فيصل العالمية لخدمة الاسلام ، وعقب تسلمه الجائزة القى كلمة اشاد فيها بجهود المؤسسة تجاه نشر الاسلام وتضامن المسلمين وتقوية العزائم لدى الكتاب والمصلحين المسلمين ، واشار فضيلته ان هذه الجائزة سوف تصرف

على نشر الاسلام فى باكستان ، ثم اعلن الدكتور احمد الضبيب فوز الدكتور فؤاد سزكين (تركيا) الذى تقدم وتسلم الجائزة من جلالة الملك ، وقدم لجلالته

نسخة من مؤلفه الجديد « التراث الاسلامى » . والمعروف ان جائزة الادب العربى قد حجبت هذا العام لان الاعمال المرشحة لم تصل الى المستوى المطلوب ـ فالجائزة ترتبط بالاعمال دون ان ترتبط بالاسماء

والجدير بالذكر ان الامانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية سبق لها ان اعلنت منح جائزة خدمة

الاسلام لهذا العام لسماحة العلامة السيد أبو الاعلى المورودى وجائزة الدراسات الاسلامية للدكتور فؤاد سيزكن ـ كما قررت حجب جائزة الادب العربى لان الاعمال التى رشحت لها رغم ما فيها من جهد لاتحقق المستوى الفكرى والموضوع الذى تحرص عليه الجائزة ولا تحقق اهدافها ٠

والمعروف ان هناك ثلاثة لجان للجائزة هى :

١ ـ لجنة خدمة الاسلام ٠

٢ ـ لجنة الدراسات الاسلامية

٣ ـ لجنة الادب العربى

وقد تابعت هذه اللجان عملها بصفة منتظمة حتى اصدرت قرارتها والتى اعلنها سعادة الدكتور احمد محمد الضبيب الامين العام للجائزة فى الاسبوع الاول من ربيع الاول سنة ١٣٩٩ هـ وكان عدد الذين شاركوا فى

الجائزة من الباحثين والمختصين ٣٨ شخصا ٠

وقررت لجنة الدراسات الاسلامية ان يكون الموضوع المختار لجائزة الدراسات الاسلامية لعام القادم ١٤٠٠ هـ هو الدراسات التى تناولت السنة النبوية ٠





جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية تقيم اسبوعا للشيخ محمد بن عبد الوهاب ٠

دعت جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية الىعقد اسبوع الشيخ محمد ابن عبد الوهاب فى نهاية شهر جمادى الاخرة من هذا العام بمشيئة الله ٠

وتاتى هذه الدعوة الكريمة انصافا لجهاد هذا العالم المصلح فى سبيل نشر الاسلام وعقيدته الخالصة ، واحياء لما ترك من اثار علمية ، وردا على علماء الضلال وذوى الاهواء ولكشف الشبهات التى اثاروها حولها ٠

وسوف يلتقى فى هذا الاسبوع نخبة منعلماء الشريعة الاسلامية ليتدارسوا هذه الموضوعات بعد ان تم طبع مؤلفاته وتوزيعها علىالمدعويين لتحقيق تلك الاهداف ٠

والجدير بالذكر ان المقام السامى وافق مشكورا على اقتراح الجامعة فى هذا الشان حيث تدور فى الوقت الحالى كافة الاجراءات والترتيبات لهذه المناسبة الكريمة ٠

سمو ولى العهد يستقبل علماء الجغرافيا المسلمين

استقبل صاحب السمو الملكى الامير فهد بن عبد العزيز ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء علماءالجغرافيا المسلمين فى اليوم الثانى لافتتاح اول مؤتمر ضم هؤلاء العلماء ودعت اليه جامعة الامام محمد بن سعــــود الاسلامية ، وقد صرح صاحب المعالى الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى مدير الجامعة ان سمو الامير فهد اوضح للعلماء ان الاسلام خير للبشرية جمعاء وانه يدفع بالانسانية نحو العلم والتقدم . وقد اوصى سموه الكريم أعضاء المؤتمر بالاهتمام بهذه القضايا والعنــاية بها حتى يستفيد منها المسلمون فى كل مكان .

كما اشاد سمو ولى العهد بما تقوم به جامعة الامام محمد بن سعـــــود الاسلامية من اعمال جليلة فى خدمة المسلمين وقضاياهم ونشر الاســـلام تحقيقا لاهدافها التى اسست مـــــن اجلها .

وقد اشاد اعضاء المؤتمر بما تقوم به حكومة صاحب الجلالة الملك خالد ابن عبد العزيز المعظم من جهودطيبة واعمال جليلة فى سبيل الاســــلام والمسلمين .

وكان صاحب السمو الملكى الامير سطام بن عبد العزيز وكيل اميــر منطقة الرياض قد تفضل بافتتـــاح المؤتمر مساء يوم السبت ٢٢ صفـر ١٣٩٩ ه ـ الموافق ٢٠ يناير ١٩٧٩م نيابة عن سمو ولى العهد .





وقد وصف سموه انعقاد هــــذا المؤتمر بمدينة الرياض بأنه امتداد لاهتمامات حكومة جلالة الملك خالـــد المعظم بالفكر الاسلامى وتراثه المجيد ودعوة علماء المسلمين فى كل تخصص لدراسة قضايا علومهم وبيان فضــل علمائنا وحضارتنا الاسلامية .

وقال سموه فى حفــــل الافتتاح : « ان المســلمين اليوم يتطلعــون الى مؤتمركم ، وينتظرون منه اعمـــالا علمية واضحة فى مجال الجغرافيـــا يتجلى فيها الفكر الاسلامى وتتميـــز بطابعه ، وتتوافق مع قواعده وتبحث مشكلاته وتضع الحلول لها ... »

واضاف سموه « لقد دابت جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية التى تبنت هذا المؤتمر ودعت الى عقده على طرح الكثير من القضايا العلمية عبر هذه التجمعات المفيدة ـ لبحثهــــا ودراستها من قبل زعماء الفكــــر الاسلامى ، للخروج بنتائج ايجابية تسهم فى اعلاء كلمة المسلمين ورفع مستواهم العلمى وايضاح رأيهم للعالم فى تلك القضايا وهى اعمال جليلة تستحق الشكر والتقدير .

وتحدث صاحب المعالى الشيخ عبد الوهــاب عبد الواسع وزير الحـــج والاوقاف ووزير التعليم العالى بالنيابة فحيا ســمو الامير سطام بن عبـد العزيز على تفضله بافتتاح المؤتمر ، واكد معاليه فى كلمته ان رسالة المملكة العربية السعودية منذ ارسى قواعدها مؤسسها المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود تقوم على جمع الشمل وتوحيد الكلمة ورفع شان رسالة الاسلام .

واضاف معاليه .. ان المملكــة بقيادة جلالة الملك خالد بن عبدالعزيز

المفدى تنطلق من هذا المفهوم لتعمقه وتجسده من اجل الوصول الى امجاد الاسلام في جميع مجالات الحياة معتمدة في الوصول الى ذلك الهدف طريق العلم ورسالة المعرفة ، واشار معالى الشيخ عبد الوهاب عبد الواسع الى دور العلماء والرواد الجغرافيين المسلمين وقال معاليه .. اين عدالة التاريخ سوف تتحدث عن الدور الرائع الذى ساهموا به في اكتشاف العالم وارساء علوم الجغرافيا مهما كانت محاولات الجحود لهذا الدور - ودعا معاليه الجامعات الاسلامية الى ان تكون سباقة ورائدة في كل العلوم والدراسات الاجتماعية لان ذلك من شانه تجسيد مسيرة التاريخ الاسلامى .. كما حيا معاليه جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية على عقدها هذا المؤتمر وما سبقه من مؤتمرات اسلامية بقصد اعادة دور المسلمين في العلوم والمعرفة

ثم القى معالى الدكتور عبد الله التركى مدير جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية كلمة اكد فيها معاليه ان العالم الاسلامي في أشد الحاجة الى دراسة مشكلاته ووضع الحلول التى تؤدى الى النهوض به في مختلف المجالات ... وقال معاليه ان المملكة العربية السعودية بقيادة الملك المفدى خالد ابن عبد العزيز وسمو ولى عهده الامين سمو الامير فهد بن عبد العزيز حريصة كل الحرص على ماينفع المسلمين وتعميق وحدتهم وتضامنهم .

وبعد ذلك تحدث فضيلة الشيخ محمد بن عرفة عميد كلية العلوم الاجتماعية وأمين عام اللجنة التحضيرية للمؤتمر فاوضح اهداف المؤتمر وجهود كلية العلوم الاجتماعية في هذا المجال حتى يحقق المؤتمر اهدافه العلمية .





وبعد انتهاء مراسم حفل الافتتاح قام سمو الامير سطام بن عبد العزيز بافتتاح معرض الكتاب الجغرافي الذى اقيم بهذه المناسبة بالتعاون مع دار المريخ للنشر ، وقد ضم المعرض مجموعات كبيرة من الكتب الجغرافية والخرائط والاطالس بلغت اكثر من ١٨٠٠ عنوان ..

وقام سموه بتفقد اجنحة المعرض وما ضمه من كتب واطالس .

سمو الامير سلمان يفتتح معرض الرياض الدولى للكتاب

افتتح صاحب السمو الملكى الامير سلمان بن عبد العزيز امير منطقة الرياض بمقر المكتبة المركزية بجامعة الرياض المعرض الدولى الثانى للكتاب الذى نظمته عمادة شئون المكتبات بالجامعة .

ويهدف هذا المعرض الى تحقيق الاغراض التالية :

اولا اطلاع الجمهور والهيئات والمؤسسات العلمية بالمملكة على مانشر في جميع حقول المعرفة خلال السنتين الماضيتين

ثانيا - توثق مثل هذه اللقاءات الروابط والصلات بين الناشرين المحليين وزملائهم في الدول الاخرى .

ثالثا - اتاحة الفرصة للجامعات والكليات والمعاهد والباحثين لاقتناء احدث الكتب .



رابعا ـ تهيئة الفرصة للمهتمين بقضايا الكتاب سواء في الداخل والخارج

للاتصال والتعرف على بعضهم البعض والتعاون وحل مشاكلهم ٠

خامسا ـ تمكين الناشرين ولاسيما الاجانب منهم التعرف على الاسواق المحلية والمؤسسات العلمية بالمملكة ٠

سادسا ـ المعرض فرصة تتيحها الجامعة للجمهور والهيئات للحصول على الكتب بالاسعار المناسبة التى نتجت بسبب تواجد الناشرين وبالتالى توفر عنصر المنافسة في المعرض ٠

وقد بلغ عدد المشتركين من دور النشر والمكتبات الوطنية اربعا وعشرين في اطار من الحرص والالتزام بابراز الكتاب السعودى وتسليط الاضواء عليه ـ كما بلغ عدد الناشرين العرب ٧٨ الى جانب ١٣٥ ناشرا من غير العرب وبذلك يصير مجموع الناشرين من العرب والاجانب والوطنيين ٢١٣

وبالاضافة الى الكتب الجديدة المعروضة والتى تغطى كافة حقول المعرفة من اداب وفنون وعلوم وتكنولوجيا ومعارف عامة ـ فقد اشتركت بعض دور النشر بمواد اخرى كاشرطة (كاسيت) ومواد سمعية اخرى متقدمة جدا في اللغة الانجليزية لجميع المستويات الى جانب اهتمام خاص بثقافة الطفل وعرض ما يحقق ذلك مشاركة في العام الدولى للطفل ـ ١٩٧٩ ـ



وقد وصل عدد الكتب المعروضة الى اكثر من ثمانية عشر الف كتاب والجدير بالذكر ان عمادة شئون المكتبات بالجامعة والتى حرصت بكل الجهد والاخلاص ان يحقق هذا المعرض هدفا من الاهداف العلمية التى تسعى اليها قد تابعت التحضير له على مدى اطول وبامكانيات اكبر من العام الماضي وتشكيل لجنة فنية من العاملين بها ، وامكنها بفضل الله ثم اخلاص العاملين بالعمادة ان توفر للمعرض كل امكانيات النجاح والتطوير ٠

توصيات أول مؤتمر لعلماء الجغرافيا المسلمين

اوصى المؤتمر الجغرافي الاسلامى في ختام اجتماعاته بالرياض بتكوين امانة دائمة للمؤتمر يكون مقرها جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية لتنسيق جهود الجغرافيين المسلمين ومتابعة تنفيذ التوصيات التى صدرت عن المؤتمر ٠

كما اوصى المؤتمر بعناية الجامعات الاسلامية بالدراسة الجغرافية التى تخدم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ٠

كما تضمنت التوصيات انشاء مركز لبحوث العالم الاسلامى المعاصر وتتولى جامعة الامام القيام بانشائه٠ يعتنى المركز بالدراسات الجغرافية وفي مقدمتها دراسة الاقليات المسلمة ومتابعة اخر التطورات العالمية في خدمة القضايا الاسلامية ٠

كما اوصى بتوجيه مزيد من الاهتمام الى الدراسة الجغرافية للحج في مختلف جوانبها حتى يستفاد منها في تسيير اداء الفريضة للاعداد الضخمة المتزايدة من الحجاج وتسهم في حل المشكلات مثل المواصلات والمياه في المشاعر ٠

كما اوصى المؤتمر بالتعاون مع المراكز القائمة لبحوث الحج الاستفادة

من هذا اللقاء العالمي السنوي في تدعيم التضامن الاسلامي والتشاور من اجل صالح المسلمين .

واوصى المؤتمر بتضامن جهود الجغرافيين المسلمين لاصدار موسوعة جغرافية للعالم الاسلامي مزودة باطلس جغرافي واصدار اطلس اخر للتاريخ الاسلامي واوصى المؤتمر ايضا بتضافر الجهود على تعريب المصطلحات الجغرافية وتوحيدها ووضع معجم لها .

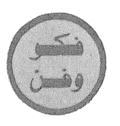
كما اوصى بالعناية ترجمة الدراسات الجغرافية وتوجيه الاهتمام الى الدراسات الجغرافية الاسلامية في البحوث التي تقدم لنيل الدرجات العلمية العليا في اقسام الجغرافيا بجامعات العالم الاسلامي .

واوصى بان يتابع الجغرافيون المسلمون الدراسات المعززة بالخرائط والرسوم عن المملكة باعتبارها مشرق رسالة الاسلام ولجهودها الرائدة في العمل لهذه الرسالة على ان تتضمن هذه الدراسات تحقيق المواقع التي كانت قائمة في شبه الجزيرة العربية مما ورد ذكره في القرآن الكريم والسيرة النبوية العطرة او ما ورد ذكره في امهات كتب التاريخ والادب .

وسيكون العدد القادم بمشيئة الله . عن المؤتمر وابحاثه وقراراته تفصيليا

استئناف الحفر الاثرى بالفاو

تقوم كلية الاداب « قسم الاثار والمتاحف » باستئناف اعمال الحفر العلمي الاثرى في قرية الفاو حيث تكلف لهذا الغرض بعثة علمية يشترك فيها اساتذة قسم الاثار والمتاحف وبعض الفنيين والمساحين والمصورين والرسامين ونخبة من طلاب القسم واعضاء جمعية التاريخ والاثار .



والجدير بالذكر ان سبق لكلية الاداب بجامعة الرياض ان قامت باجراء الحفر خلال ثلاثة مواسم في هذه المنطقة الاثرية الهامة والتي تبعد عن الرياض بحوالى ٧٠٠ كيلو مترا جنوب غرب الرياض ، وكان من نتائج الحفر بهذه المنطقة الاثرية الكشف عن مجموعة اثرية هامة وقد خصص لها متحف مستقل حيث تعرض فيه هذه المجموعة (افتتح هذا المتحف في شهر ابريل ١٣٩٧)

وقد امكن بالفعل القاء الكثير من الضوء على تاريخ وسط الجزيرة العربية من خلال دراسة نتائج اعمال الحفر خلال المواسم الثلاثة السابقة.

وسوف يتولى الاستاذ الدكتور عبد الرحمن الطيب الانصاري رئيس قسم الاثار والمتاحف رئاسة هذه البعثة خلال مرحلة العمل القادمة .



جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية تفتح خمسة معاهد علمية

صدرت الموافقة السامية على افتتاح خمسة معاهد علمية في كل من الدوادمي والمندق (بلاد زهران) والشعبين برجال المع ومحايل والنماص ، وقد تمكنت جامعة الامام محمد بن سعود

الاسلامية من افتتاح هذه المعاهد للدراسة لهذا العام ١٣٩٩/٩٨ ﻫ حيث استقبلت الطلاب وانتظمت الدراسة بها عسى الله ان ينفع بها ويحقق الاهداف السامية التى انشئت من اجلها ٠

وكانت جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية قد تلقت طلبات كثيرة لافتتاح معاهد علمية في كثير من بلدان المملكة رغبة في نشر علوم الشريعة الاسلامية واللغة العربية ، وقد درست الجامعة كل هذه الطلبات دراسة ميدانية حيث اوفدت مندوبين عنها لزيارة بعض المناطق وتوفير المعلومات الضرورية عنها ٠

وتاتى هذه الخطوه المباركة باذن الله انطلاقا من حرص حكومة صاحب الجلالة الملك المعظم خالد بن عبدالعزيز وسمو ولى العهد الامير فهد بن عبد العزيز على نشر العلم والتفقه في الدين واتاحة الفرصة بذلك لكافة مناطق المملكة ٠

والجدير بالذكر ان المقام السامى وافق على اقتراح للجامعة بافتتاح معهد علمى في موريتانيا على غرار المعاهد العلمية التابعة للجامعة ، وقد بدات الجامعة في تنفيذ هذا المشروع انسجاما مع اهدافها ٠

مركز لتعليم اللغة العربية باندونسيا تابع لجامعة الامام

اوفدت جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بعثة علمية لدراسة افتتاح مركز تعليم اللغة العربية في اندونسيا يكون مقره مدينة جاكرتا ، تنفيذا للامر السامى الكريم الذى صدر وفقا لاقتراح الجامعة في هذا الشان ٠٠ تحقيقا لاهداف جامعة الامام محمد ابن سعود الاسلامية في سبيل نشر اللغة العربية لغة القران الكريم بين افراد الشعب الاندونيسى المسلم ٠ فهو شعب يتطلع الى تعلم هذه اللغة حتى يتمكن من فهم الكتاب الكريم والسنة المطهرة والثبات على شريعة الاسلام والوقوف امام الالحاد ودعوات التنصير التى يتعرض لها ٠

والجدير بالذكر ان المقام السامى تفضل بالموافقة على اقتراح جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بافتتاح معهدا لتعليم اللغة العربية باليابان ٠



دارة الملك عبد العزيز تشترك في المعرض الدولى للكتاب

افتتح بالقاهرة يوم الخميس الرابع منشهر ربيع الاول الماضى المعرض الحادى عشر للكتاب والذى يقام في نفس الموعد من كل عام منذ عشر سنوات تحت اشراف الهيئة المصرية العامة للكتاب ٠

وقد شارك في هذا المعرض ثلاثة وثلاثون دولة مناوربا واسيا وافريقيا

وامريكا واستراليا ٠ وقد استمر المعرض عشرة ايام حيث عقدت ندوات علمية حول مشاكل النشر والكتاب بصفة عامة شارك فيها خبراء ومتخصصون من مختلف البلدان ٠

ومن اهم ماتميز به معرض هذا العام ابراز كتب الاطفال بصورة طبيعية بما يتناسب والاعلان العالمى لعام ١٩٧٩ السنة الدولية للطفل ٠ حيث خصصت كل دولة جزءا هاما وبارزا لكل ما يتصل بثقافة الطفل سواء كتب او اسطوانات او شرائط



تسجيل ـ كما سمل المعرض ما يتصل بفنون الطباعة والاتها وعمل مسابقات وعرض مطبوعات الجامعات ·

وقد شاركت المملكة العربية السعودية في هذا المعرض حيث خصص جناح كبير شاركت فيه دارة الملك عبد العزيز بمطبوعاتها الى جانب مجلة الدارة وجامعة الامام محمد ابن سعود الاسلامية وجامعة الرياض ووزارة التعليم العالى حيث امكن لهذا الجناح ان يقوم بعون الله عرضا كاملا للانتاج السعودى في كافة ميادين العلم والمعرفة ·

والجدير بالذكر ان الجناح السعودى في هذا المعرض لم يقم ببيع معروضاته ولكن المسئولين عنه يقدمون محتوياته هدية الى الهيئات العلمية والادبية في جمهورية مصر العربية دعما لاواصر الاخوة بين البلدين ·

ومن ناحية اخرى اقامت جامعة البترول والمعادن بالظهران اول معرض للكتاب العربى خلال الفترة من ٧ ـ ١٢ ربيع اول ١٣٩٩ هو ضم ٣٥ دارا للنشر قدمت مائة الف كتاب تغطى اكثر من ٤٠ حقلا من حقول المعرفة ·

انتخاب المملكة عضوا بالهيئة الدولية للتقييس

★ فى نهاية العام الماضى حققت الدول العربية نصرا مؤزرا على الصعيد الدولى حين قامت الهيئة الدولية للتقيس بجنيف بانتخاب الهيئة العربية السعودية للمواصفات والمقاييس عضوا فى مجلس ادارة المنظمة ، والذى يعتبر السلطة العليا لها ·



فقد استطاعت الهيئة بفضل الله ورغم حداثة عمرها ان تؤكد وعلى المدى القصير مسيرة عمل بناء لتحقيق اهداف وطنية فى مجال وضع واعتماد المواصفات القياسية للسلع والمنتجات وطرق الفحص والاختبار والقياس والمعايرة فى مجالات التجارة والصناعة والزراعة وغيرها من المجالات مثل منح شهادات للسلع التى تثبت مطابقتها للمواصفات القياسية ·

اضافة الى جهود طيبة في مجال تنمية الوعى بالتقييس ومزاياه ·

وقد صرح الدكتور خالد يوسف الخلف مدير عام الهيئة واحدالكفاءات الوطنية بان الهيئة تعمل من منطلق علمى هو الحرص على ان يسود الطابع العلمى المتطور كل مجالات العمل بالهيئة لتواكب عن جدارة مسيرة العمل والبناء التى تعيشها بلادنا فى ظل المليك المفدى وسمو ولى العهد حفظهما الله ·

مؤتمر تعريب التعليم الجامعى يعقد بالرياض



يعقد فى مدينة الرياض فى مطلع العام القادم المؤتمر الرابع لاتحاد الجامعات العربية لتعريب التعليم الجامعى والذى سيتناول جهود المجامع العربية والمنظمات والهيئات والجامعات العربية فى مجال المصطلح العلمى ، ودور المنظمات والهيئات والجامعات العربية فى مجال الترجمة والتأليف ، وكذلك المؤتمرات والندوات العربية فى هذا الصدد ·

وسوف يبحث المؤتمر كذلك التجارب

غير العربية في مجال استخدام اللغة القومية في التعليم العالي الى جانب دراسة مقومات التعريب ووسائل التطبيق العلمي وبحث مشكلاته والتنسيق بين الجهود ورصدها ونشرها سواء بالتنسيق للعلوم الانسانية او الطبيعية والطبية والهندسية .

وسوف يعنى المؤتمر ايضا بدراسة وسائل النهوض بالتعريب عن طريق انشاء مكتب دائم لتنسيق تعريب التعليم الجامعي في البلاد العربية وتاهيل اعضاء هيئة التدريس وتمكينهم من النهوض باعبائهم والتدريس باللغة العربية ، وكذلك دور الجامعات والحكومات في ذلك عن طريق تعريب منشوراتها ودور التراث العربي في تعريب التعليم الجامعي .

أرشيف لمساجدنا

الاثرية ذات القيمة التاريخية

قامت وكالة وزارة الحج لشئون الاوقاف من مديريات الاوقاف بمدن المملكة باعداد وتسجيل اسماء المساجد الاثرية ذات القيمة التاريخية وعمرها وسيتم ذلك بواسطة لجنة خاصة تضم الباحثين والرجال المعمرين وذوي الخبرة ـ بالتعاون مع المكتبات العامة والمكتبات المركزية بالجامعات والكليات والمعاهد ، وستقوم اللجنة باعداد وتدوين المعلومات والبيانات الايضاحية لدى مديرية الاوقاف التابع لها المساجد .

سوف تضم هذه المعلومات تاريخ بناء كل مسجد واسم مشيده وتكاليفه وكل ما يتعلق به من النواحي التاريخية وباقي هذا العمل خدمة للحفاظ على تراثنا وتطوراته وتامل الدارة ان يكون من بين اعمال هذه اللجنة ضرورة الحفاظ على الطابع المعماري لتلك المساجد منذ نشاتها باعتبار التراث المعماري في هذا المجال شيئا يعتز به ويمثل رصيدا كبيرا من تراثنا .



نشر اللغة والثقافة العربية في افريقيا

وضعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مخططا لنشر اللغة والثقافة العربية في افريقيا لتنفيذه في عشرين عاما ، ويتحقق من خلاله تنفيذ برامج التعريب في كل من الصومال وجيبوتي وجنوب السودان وجنوب موريتانيا وتشمل عمليات التعريب تشاد وشمال نيجيرياوالنيجر والكاميرون وغينيا وزامبيا ومالي والسنغال .

وتبدأ عمليات التعريب بانشاء اربعة مراكز ثقافية عربية تخدم المناطق الافريقية منها مركز في غينيا لخدمتها مع مالي والسنغال وسيراليون وسيعمل هذا المركز على نشر اللغة والثقافة العربية من خلال المدارس القرآنية وذلك سعيا لجعل اللغة العربية لغة ثابتة في هذه البلاد .. اما المركز الثاني فسيقام في تشاد لخدمتها مع شرق نيجريا والكاميرون والنيجر وبعض مناطق افريقياالوسطى ويهدف هذا المركز الى تعميم اللغة العربية والتربية الاسلامية بالاضافة الى خلق مناخ ثقافي عربي بصفة عامة .. وسيقام المركز الثالث في



دار السلام بتنزانيا لخدمة منطقة شرق افريقيا من خلال برامج ثقافية فى مجال الحضارة الاسلامية والثقافية العربية وتقديم الخدمات التى تحتاج اليها الجماعات العربية فى المنطقة ٠

وقد استهدف ايضا المشروع الى جانب انشاء المراكز الاربعة ايجاد وحدة مركزية للتعامل مع القطاعات الاجتماعية والثقافية والسياسية فى افريقيا ومن ثم سيتم انشاء قسم للتوثيق وبنك المعلومات الافريقية يخدم العاملين على تخطيط سياسة عملية قابلة للتكيف ومرونة الحركة فى افريقيا وذلك لايجاد وحدة علاقات تعنى بالبعثات والمنح الدراسية للطلاب الافارقة فى المعاهد والجامعات العربية وكذلك ايجاد وحدة للبحوث العلمية تربط بين المؤسسات العلمية فى افريقيا والوطن العربى ٠

وقررت منظمة العمل العربية المساهمة فى جهود الدول العربية فى مجال التعريب ، وتكليف مكتب العمل العربى باعداد برامج ومشروعات تفصيلية فى اطار خطة خمسية من عام ١٩٨٠ حتى ١٩٨٥ فى ضوء الاتصالات بالدول المعنية لتحديد احتياجاتها فى مجالات التعريب ،

وخاصة دول المغرب العربى والصومال وموريتانيا ٠

كما قررت المنظمة انشاء صندوق خاص بها يمول من المساهمة الاختيارية للدول العربية الراغبة فى ذلك ومن المعروف ان هذه الخطة تهدف الى تعريب النظم الخاصة بمسائل العمل والعمال ، وخاصة التدريب المهنى والتشريعات العماليه وسيعرض مشروع انشاء الصندوق على المؤتمر العام المقرر عقده فى ٤ مارس القادم بالسودان ٠



نداء عربى لانقاذ التراث العربى بالقيروان

★ وجه سعادة الدكتور محي الدين صابر المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم نداء للدول الاسلامية والعربية والهيئات الدولية لانقاذ التراث العربى الاسلامى بمدينة القيروان بتونس الشقيقة وقد صدر هذا النداء من جامع عقبة بن نافع بتونس ٠

والمعروف ان مدينة القيروان تضم مسجد عقبه بن نافع وبركة الاغالبة ومائة مسجد يرجع تاريخها للقرون

الهجرية الاولى ، كما توجد بركة انشاها الخليفة هشام بن عبد الملك فى اوائل القرن الثانى للهجرة ٠ وكذلك فان مدينة القيروان تعد تراثا انسانيا مسجلا فى الامم المتحدة ٠



ومن جهة اخرى قررت منظمة اليونسكو الدولية المساهمة فى ترميم مجموعة من الاثار الايوبية فى منطقة ساحل لبنان والاردن واهمها قلاع « الكرك » والربض على وادى حطين الذى دارت فيه الموقعة الشهيرة بين الناصر صلاح الدين الايوبى والصليبيين عام ١١٨٩

وترجع اهمية الاثار المعمارية لهذه المنطقة الى امتزاج الصف العربى والاوروبى فيها ٠

الاسلام والحضارة

ودور الشباب المسلم

يعقد في نهاية شهر ربيع الاخر القادم رابع لقاء لندوة الشباب الاسلامي والمنظمات الشبابية الاسلامية بمدينة الرياض وسوف يخصص هذا اللقاء المبارك باذن الله لبحث قضايا اسلامية عن (الاسلام والحضارة ودور الشباب المسلم) بهدف التوعية للانجاز الاسلامي الحضاري وفهم الاسس الفكرية والفلسفية والعقائدية ، والى جانب ذلك تحقيق لقاءات تعارف بين القيادات الاسلامية الشبابية والتخطيط للتعاون مع المنظمات الاسلامية فى مجالات الدعوة وخدمة الشباب المسلم

وسوف يشهد يوم الاحد الموافق العشرين من شهر ربيع الاخر القادم اللقاء الرابع لممثلى المنظمات الشبابية الاسلامية الاعضاء فى الندوة العالمية للشباب الاسلامى وسوف يستمر لمدة عشرة ايام يخصص اسبوع منها لاعمال اللقاء وما يتبقى يكون لمزيد من التعارف واداء العمرة وزيارة الاماكن المقدسة .

وفى مقدمة اهداف هذا اللقاء التعارف بين القيادات الاسلامية الشبابية بتنسيق العمل فيما بينها وتبادل الخبرات وتخطيط التعارف بين هذه القيادات والمنظمات الاسلامية فى مختلف مجالات الدعوة وخدمة الشباب المسلم فى جميع انحاء العالم. وتوضح الافاق المستقبلية للعطاء الاسلامى من خلال فهم الواقع الحضارى المعاصر والمنحدرات السحيقة التى يندفع اليها وتحديد الدور الاسلامى المستقبل من خلال توضيح احتياجات وسبل الاداء اللازمة للعمل الاسلامى المعاصر وتعديل المسار الحضارى المادى الغربى المعاصر في سبيل تجديد الحضارة وتعديل مسارها وتوفير الوريث المؤهل لاخصابها .



سوف يكون لهذا اللقاء جانبان : ـ

الاول يتعلق بالنشاطات الشبابية الاسلامية وخطة العمل والتنسيق والتعاون .

والثانى يتعلق بالموضوع الفكرى المطروح على اللقاء وهذا الجانب عادة توصياته لا تقف عند حد المنظمات الشبابية كمنظمات عمل اسلامى باتجاه تكون طبيعية هذه المواضيع طبيعة عامة ذات صبغة عامة وقضايا تشغل بال الامة ومركزها الانسانى والحضارى.

وسوف تحرص الدارة على نشر التوصيات والانجازات التى سيحققها باذن الله اللقاء الرابع لممثلى المنظمات الاعضاء فى ندوة الشباب الاسلامى .



صور من الشعر الشعبى

قصائد ومحاورات شعبية

تعود اهمية الشعر الشعبى الى انه يمثل فى الحقيقة جزءا هاما من تراثنا الشعبى حيث تتوفر فيه الاصالة والقدم ، ويسر باب الادب والتراث ان يقدم لقراءه من خلال فقراته كتابا عن الشعر النبطى لمؤلفه الاستاذ مطلق حميد العتيبى بعنوان «قصائد ومحاورات شعبية » مع اكثر من سبع شعراء ، وليس غريبا على مؤلف الكتاب هذا النوع من المحاورات حيث يهتم به

كثيرا عن غيره لاهمية هذا اللون في اتاحة الفرصة كاملة للاحتكاك باغلب شعراء الشعر الشعبي في الجزيرة العربية والاستئناس بخبراتهم ·

والكتاب في مجموعه يمثل رصيدا زمنيا هائلا حيث يضم قصائد يعود تاريخها للقرن الثاني عشر واخرى حديثة ، ويضم كذلك الكثير من الشعراء ذوى الشهرة حافزا قويا لتسجيل القصائد ·

والدارة وهي الحريصة دائما على أن توفر لهذا اللون من تراثنا الشعبي كل عوامل التشجيع والانتشار لتامل من المؤلف ان يتابع مسيرته في هذا المجال « شعر المحاورات » والا يصرف نظره كما اشار بذلك لكتابة القصيدة العربية الفصحى ··· فقد اكتسب خبرات طويلة ولا بد من الاستفادة منها والنفع بها ·



الجزء الثاني من ديوان التميمي في الشعر الشعبي

اصدرت الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون الجزء الثاني من ديوان التميمي في الشعر الشعبي لمؤلفه الشيخ عبد الله بن على بن صقية بشرح ابى عبد الرحمن بن عقيل الظاهرى رئيس النادى الادبي بالرياض وتقديم الاديب الاستاذ عبد الله بن خميس عضو هيئة تحرير الدارة ·

ويقع الديوان في ثلاثمائة واثنتى عشرة صفحة من القطع المتوسطوشمل الى جانب الشروح والايضاحات ست ابواب مصنفة تصنيفا موضوعياهي :-

الحكم والامثال ، الشكوى والابتهال العتاب ، النسيب ، وصف القهوة ، الفخر - كما زوده المؤلف بفهرس للموضوعات واخر للقصائد - والحق به ايضا مصادر الشرح ·

ويقول الشيخ عبد الله بن خميس في مقدمة الديوان « انه شعرا وادبا يعبر عن حياة امة ··· ويحفظ تاريخ اجيال ، ويرويه الملايين من العرب ، ويتأثرون به ، ويتنافسون فيه ·· ما يزيد على عدة قرون ·· لجدير بان يحتضنه الفكر العربي ، ويدرسه دراسة شاملة ويستخرج من كنوزه ومخبأته ما ظلت المكتبة العربية فقيرة اليه متشوقة الى وجوده ·

وان احتضان ذويه من شعراءورواة وهواة واحياء نوادى سمره وليالى تجلياته ، واستفادة من غرره ودرره ··· لمطلب يقتضيه احياء تراثنا ويتطلبه الحديث عن امجادنا ، ويجب أن نفتح عليه اعين ناشئينا · بل ادعو من لم يتذوق هذاالفن ولميتشوقه أن يمارس تجربة مناغاته ، ويروض نفسه على دراسته »

واكد الشيخ عبد الله بن خميس في نهاية مقدمته حرصه على أن يمنح هذا الجانب من ادبنا ولو بعض ما يستحقه ·



تطوير تدريس العلوم الدينية

قامت الادارة العامة لكليات البنات بالرياض باعداد لوحات ايضاح لمادة الحديث الشريف للمرحلة المتوسطة ،

وذلك فى مجال خدمة العلوم الدينية وتبسيطها للطالبات فى مختلف المراحل .

وقد تم طبع هذه اللوحات بكميات هائلة تحت اشراف الادارة العامة لكليات البنات وتم توزيعها ، محققة بذلك اهداف مؤتمر تطوير تدريس العلوم الدينية الذى عقد بالمملكة فى العام الماضى

وكانت مجلة الدارة (العدد الثالث من العام الثالث) قد طبعت لوحات الفقه الاسلامى ضمن العدد الخاص عن مؤتمر الفقه الاسلامى والذى صدر عام ١٣٩٧ هـ . واستكمالا لاهتمامات الدارة بكل ما يتعلق بالتراث الاسلامى فسوف يتم نشر لوحات تبسيط الحديث الشريف بمشيئة الله فى عددها القادم .

والجدير بالذكر أن هذه اللوحات تم اعدادها تصميما ورسما وخطا بمعرفة الاستاذ الشاعر محمد السيد شريف .

المهرجان الثامن والثلاثون

بالكلية العربية بالهند

فى نهاية شهر محرم الماضى نظمت الكلية العربية العالمية بكيرلا بالهند مهرجانها الثامن والثلاثين خلال الفترة من ٢٨ ـ ٢٩ محرم ١٣٩٩ هـ . حضره لفيف من العلماء المسلمين فى التعليم الدينى والجمعيات الاسلامية فى كثير من البلاد الاسلامية والعربية

وقد مثل المملكة العربية السعودية سعادة الدكتور محمد بن عبد الله العجلان وكيل جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، وقد اوصى المجتمعون بهذا اللقاء المبارك ضرورة أن تسعى الحكومات الاسلاميةوالعربية والهيئات ذات الاختصاص بمد يد العون الى هذه الكلية بما يقوى مركزها ويعينها على مواصلة رسالتها التعليمية بكافة الوسائل المادية والمعنوية مثل المساعدات المادية لتستكمل منشآتها واقامة بنيانها وارسال الكتب العلمية وايفاد المدرسين وتبادل الزيارات . الى جانب توصيات عامة كثيرة تنادى بضرورة وضع منهج دراسى موحد لكل المعاهد الدينية بما يتلاءم وروح العصر ويتمشى مع التطور الحاضر في العلوم العصرية .

(وقد نشرت الزميلة مجلة الدعوة تفاصيل اللقاء وتوصياته بعددها رقم ٦٨٤ الصادر فى ٢٤ صفر ١٣٩٩ هـ)



رعاية الشباب في حائل

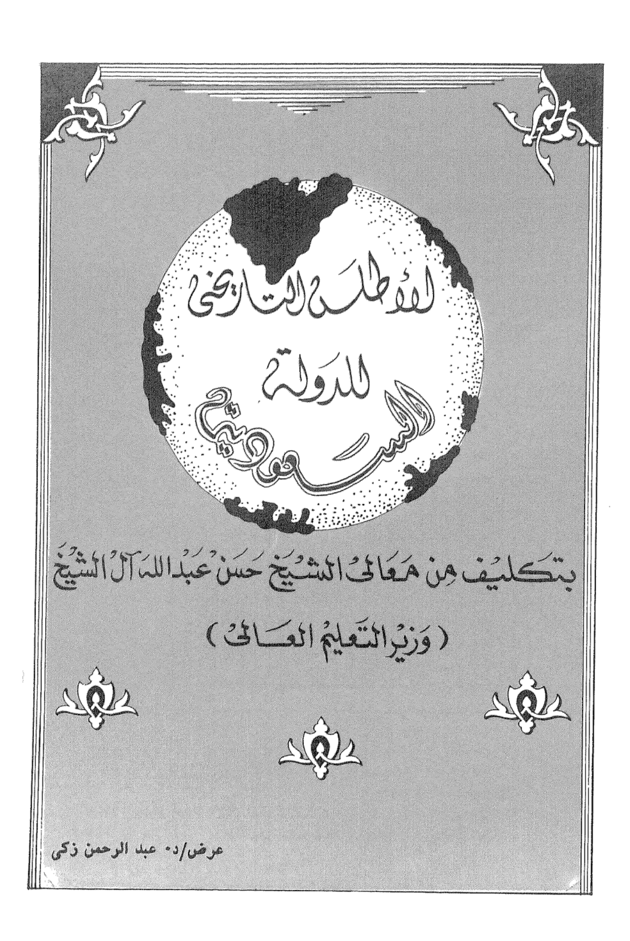
تضمن الموسم الثقافي للمكتب الرئيسى لرعاية الشباب بحائل اكثر من مجال لخدمة النهضة الثقافية والفنية التى تعيشها المملكة العربية السعودية في ظل الملك المفدى خالد بن عبد العزيز وسمو ولى عهده الامين الامير فهد بن عبد العزيز .

وقد شمل الموسم معرض المسابقة الثانية للفنون التشكيلية لشباب حائل والذى قدم المكتب من خلاله كوادر وطنية فنية استطاعت ان تعيش وتتفاعل مع البيئة لتقدم لنا لمسات فنية معبرة .

وسيقيم المركز في نهاية شهر ربيع ثان حفلا ثقافيا ومهرجانا فنيا تشارك فيه كل الاندية بما لديها من امكانيات

والدارة تبارك للمكتب الرئيسى جهوده المتطورة لخدمة شباب المملكة العربية السعودية فنيا وثقافيا ورياضيا في اطار الحرص والتوجيه من صاحب السمو الملكى الامير فيصل ابن فهد ابن عبد العزيز الرئيس العام لرعايةالشباب .




الأطلس التاريخي
للدولة
السعودية
بتكليف من معالي الشيخ حسن عبدالله آل الشيخ
(وزير التعليم العالي)
عرض/د. عبد الرحمن زكي

ما احوج البلاد العربية الى الاطالس التاريخية التي تسلط الضوء على تطور احوال الدول والشعوب في عصور محددة وفي سياق زمني مسلسل • فقد عني الغرب منذ القرن الماضي بنشر مصورات جغرافية تاريخية لاقطار أو قطر معين من الاقطـــار مثل الاراضي المقدسة التي صدرت لها أطالس تاريخية وجغرافية شتى وفي مختلف اللغات • ونستطيع القول بأن « اطلس التاريخ الاسلامي » الذى صدر في اللغة الانكليزية منذ ربع قرن تقريبا ثم نشرت ترجمته العربية في طبعة جديدة (١) • ربما كان من الاطالس التاريخيـــة الاسلامية الرائدة التي عرفناها ، ثم تبعه الاطلس التاريخي للشعوب الاسلامية في اللغة الانكليزية ايضا ، ويشتمل على خرائط فقط دون متن يذكر ، وقد اصدرته احدى دور النشر الهولندية فـــــــي أمستردام عام ١٩٥٧ (٢) •

لذلك رحبنا كل الترحيب بالمجهود العلمي الفريد الذى اضطلع به وحده ، صديقنا العلامة الاستاذ / الدكتور ابراهيم جمعة ـ كان ترحيبا مليئا بدعوات التوفيق ، حينما كنا نطلع بين آونة وأخرى على مراحل العمل الذى أقدم عليه مؤرخنا الفاضل منذ سنوات • وكنا نعلم تماما كم من الصبر والبحث يتطلبها هذا العمل الجبار • وكلها لحسن الحظ سجايا كريمة يتحلى بها الزميل الفاضل ابراهيم جمعـــــــــة •

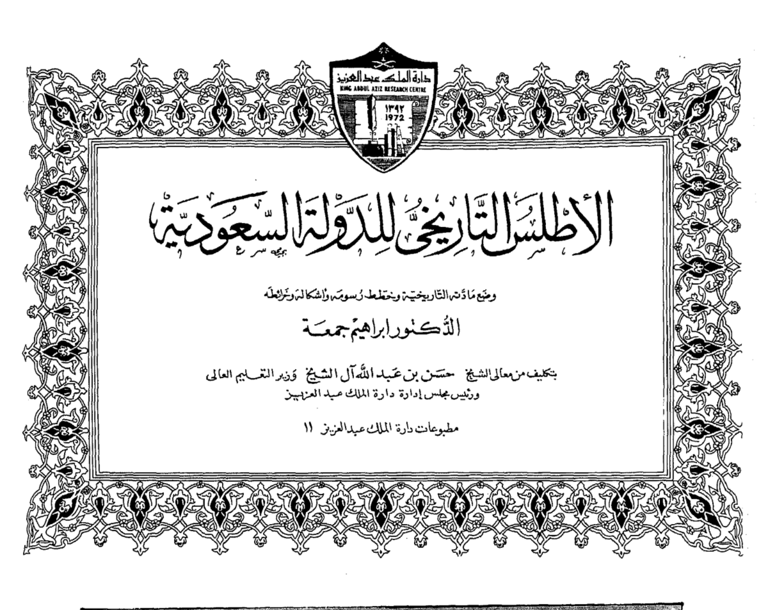
(1) Harry W. HaZard and Others : Atlas of Islamic History. Princeton University Press 1951
(2) Historical Atlas OF The Muslim Peoples Djambatan Amsterdam. 1957

وها هو الاطلس التاريخى للدولة السعودية أمامنا ، يزخر بالقضايا التاريخية ، ويفيض بالمعلومات الجغرافية للدولة السعودية ، تلك الدولة التى انبثقت عن اللقاء التاريخى بين الامير محمد بن سعود بن محمد بن مقرن والامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، والمراحل التى مرت بها حتى عهد المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل مؤسس المملكة مع تسجيل انجازاته الجبارة فى جميع المجالات ، وفى المدة التى تمتد بين عهد سعود ، وعهد الفيصل عليهما رحمة الله ، وذلك بالاضافة الى المامة عامه بشبه الجزيرة العربية ودورها التاريخى والحضارى بين الشرق والغرب ، مع موجز لما كانت عليه الاحوال فى نجد واليمامة ووادى حنيفة فى الجاهلية وصدر الاسلام ، وفى العصرين الاموى والعباسى ، وايضاح الدور العظيم الذى لعبته امارة الدرعية حوالى منتصف القرن الثانى عشر الهجرى (١٨ ميلادى) ، وقيام أول دولة عربية موحدة فى قلب الجزيرة فى العصر الحديث .

والحق أن هذا الاطلس ــ وهو من مطبوعات دارة الملك عبد العزيز فى الرياض يعتبر ثمرة ناضجة وشهية من ثمار جميع من يرعاها ، وفــى مقدمتهم الشيخ الجليل حسن بن عبدالله آل الشيخ والسيد رئيس الدارة ومعاونيه الافاضل .

يقع الاطلس التاريخى للدولة السعودية فى اكثر من مائتى صفحة من الحجم الكبير ، ويشتمل على قرابة اربعين خريطة ملونة ودقيقة رسمت كلها بمقاس كبير ــ وسنتكلم عنها حين نستعرض مع القارىء الكريم مشتملات الاطلس .

● مهد المؤلف المؤرخ الكريم الاطلس بصفحات مزودة بعدة خرائط عن طبيعة جزيرة العرب منذ عصور ماقبل الاسلام موضحا عليها أهم المعالم لرحلة الشتاء والصيف ، وتوضيح موقع الجزيرة العربية كحلقة الوصل بين الشرق والغرب ، وتبعها بالتحدث عن وادى ــ حنيفة موطن اسلاف



الأطلس التاريخي للدولة السعودية

وضع مادته التاريخية وخطط رسومه واشكاله وخرائطه

الدكتور ابراهيم جمعة

بتكليف من معالى الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ وزير التعليم العالى
ورئيس مجلس إدارة دارة الملك عبد العزيز

مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ١١

... ان دارة الملك عبد العزيز وقد اضطلعت بعبء البحث العميق المتخصص فى تاريخ الدولة ، تعتز بأن يكون واجبها الاول أن تقلب صفحات التاريخ السعودى ، وأن تمحص كل ما كتب فيه ، وأن تبوب وقائعه ، وأن تنسق فصوله ، تسوقه مادة تاريخية مدعمة بالوثائق والاسانيد موضحة بالرسوم والخرائط والمصورات .

حسن بن عبدالله آل الشيخ

آل سعود القدامى ، وتأسيس امارة الدرعية ، ووادى حنيفة هذا من وديان الجزيرة الحافلة بذكريات التاريخ وآثار العمران ، ويكون جزءا هاما من المنطقة التى اشتهرت فى تاريخ الجزيرة باسم « اليمامة » ، ويقول لنا المؤرخ الفاضل أن أقدم من تصدى للكتابة فى تاريخ البلاد واحوالهـــا العمرانية والاجتماعية والعلمية الشيخ شهاب الدين أحمد التميمى المتوفى فى سنة ٩٤٨ هـ والشيخ احمد بن محمد بن بسام المتوفى سنة ١٠٤٠ هـ ، والشيخ احمد بن محمد التميمى (ت ١١٢٥ هـ) ، والشيخ احمد بن لعبون (ت منتصف القرن ١٣) .

● كانت الدعوة الصالحة التى دعاها الشيخ محمد بن عبد الوهاب مادة دسمة فى التدوين التاريخى ــ انبرى لها عالم من الاحساء جاء الى الدرعيةالدرعية قاعدة الحركة الاصلاحية ، هو الشيخ بن غنام الاحسائى (ت ١٢٩٠ هـ) الذى أرخ لنجد فى كتابه عنوان المجد فى تاريخ نجد . ويجىء من بعدهما المؤرخ ابراهيم بن صالح الاشيقرى (ت ١٣٤٣)ويمتبر المؤرخ الثانى بعد ابن بشر ، وتنتهى حوادث تاريخه باستيلاء عبد العزيز ابن عبد الرحمن الفيصل على امارة الجبل وانتهاء حكم آل رشيد سنة ١٣٤٠ هـ (١٩٢١) .

وهذه الكتب كما يقول السيد المؤلف ــ المصادر الاصلية التى جمع مادتها نقاد من علماء نجد حرصوا على تدوين تاريخ بلادهم . والمعروف أنه كتب فى تاريخ الدولة السعودية وتاريخ الدعوة كثيرون من العرب والاجانب وتكاد تجمع المصادر العربية على ان نسب آل سعود يرتد الـــى مانع بن ربيعة المريدى (من قبيلة عنزة) ، وان « مانعا » هاجر حوالى منتصف القرن التاسع الهجرى من نواحى القطيف الى وادى حنيفة ومعه ابنه ربيعة ، ونزلا على ابن درع صاحب حجر والجزعة ، وعمراه وأنشأ به حاضرة لهما هى الدرعية (خريطة وادى حنيفة مهد قيام الدولـــــة السعودية) . وفى هذا الوادى نشأ اسلاف آل سعود (ص ١٥ بالاطلس). ثم يتلوها المؤلف بحديث وخريطة لقبـــائل الجزيرة في القرن الســـادس الميلادى واقسامها السياسية قبل الاسلام (ص ١٧) وسنواصل الحديث عن محتويات صفحات هذا الاطلس الهام . متنا وخريطة ، لكى نعطى فكرة سريعة وموجزة عن « الاطلس التاريخى للدولة السعودية » .

● بدأ المؤلف بالكلام عن الدولة والدعوة (الصفحات ٢٢ الى ٢٧) موضحا كلامه فى جدولين زمنيين ، أهم الاحداث التى وقعت فى وادى حنيفة فيما بين سنتى ٧٠٠ ـ ١١٥٨ هـ (١٣٠٠ ـ ١٧٤٥ م) ٠ وفى هذه السنة الاخيرة انتقل الشيخ محمد بن عبد الوهاب من العيينة الـــى الدرعية ، كان لقاؤه مع امير الدرعية محمد بن سعود بن محمد بن مقرن ، وفيها تعاهد الاثنان على قيام دولة التوحيد ٠

● تحدث عن أهم الاحداث فى ايام محمد بن سعود (١١٥٨ ـ ١١٧٩هـ) ص ٢٨ ـ ٣١ وانتشار الدعوة الوهابية بين عامى ١١٥٨ ، ١١٧٩ هـ (١٧٤٥ ـ ١٧٦٥) ـ مستعينا بالخرائط ، ومنذ ذلك الحين غدت الدرعية عاصمة للدولة بعد أن كانت مقرا لعشيرة وأقترنت باسم آل سعود وفى عهد الامام محمد بن سعود اتسعت الدولة الوليدة (ص ٣٣ ـ ٣٦) ٠

● تحدث عن ايام الامام عبد العزيز محمد بن سعود (١١٧٩ ـ ١٢١٨ هـ) (٧٦٥ ـ ١٨٠٣) (٣٧ ـ ٦٣) ، عصر الوثبة الكبرى بالدعوة والدولة ، فضم معظم بلدان الجزيرة العربية ، وقضى نهائيا عى منافسيه وتم على يديه فتح الرياض سنة ١١٨٦ هـ (١٧٧٢) ومنطقة الخرج والقصيم وبريدة ، وحرمة بعد حصار طويل ، وعنيزة ، وفى عام ١٧٩٤ سار سعود مع جيوشه الكثيفة التى كونها من جميع نواحى نجد قاصدا الشمال فأغار على بواد كثيرة ، ثم قصد الحجاز ، ونزل تربة ، وقد عرض عليه اهل البلدة الصلح فقبل ٠

● وفى عام ١٢٠٦ هـ (١٧٩١) توفى شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ٠ وقد أوضح المؤرخ ابراهيم جمعة فى مصور بديع مدى انتشار دعوة الامام فى أقطار العالم الاسلامى وفى غرب افريقيا (حوض نهر النيجر) والجزيرة العربية ، واقليم السند والبنغال فضلا عن برقة وقطاع كبير فى الجزائر (خريطة ص ٦١) ٠ وفى العشر الاواخر من رجب عام ١٢١٨ (١٨٠٣) قتل الامام عبد العزيز فى مسجد الطريف بالدرعية وهو ساجد اثناء صلاة العصر رحمه الله ٠

● ثم يتحدث عن عهد الامام سعود بن عبد العزيز الملقب بسعود الكبير.

(١٢١٨ – ١٢٢٩ هـ) (١٨٠٣ – ١٨١٤) وكان قد مارس الغزو منذ سنة ١١٨٢ حين سيره ابوه الى الزلفى المعروف (٢١) . غزا ستا وثلاثين غزوة موفقة . وفى ايامه بدأت الحروب بينه وبين الدولة التركية وكان محمد على والى مصر هو مخلب القط فقادهو. واولاده عدة حملات في الجزيرة لعدة سنوات . وقد عنى المؤلف بايضاح جبهات القتال فى عدة خرائط مبينا عليها الجبال والوديان وعيون المياه ولم ينس الطائف ، مفصلا معارك الميدان الجنوبى (ووادى بيشة – عسير – تهامة) ، ومعارك الميدان الشمالى (ينبع البحر – ينبع النخل – وادى الصفراء – المدينة المنورة – سويدرة – الحناكية «ص ٦٩» ، ومعارك الحجاز بين عامى – ١٢٢٦ ، ١٢٢٩ هـ – (١٨١١ – ١٨١٤) بحرا وبرا (خريطة ١٧ ص ٧١) . وبالرغم من تلك المعارك المتعاقبة فقد اتسعت ارجاء الدولة على أيام سعود الكبير على جانبى الخليج العربى ، والبحر الاحمر .

● والمعروف أنه فى عام ١٨١٣ قد قدم محمد على والى مصر الى مكة المكرمة وقبض على الشريف غالب وعين مكانه الشريف يحي بن سرور – وفي العام نفسه سير محمدعلى ابنه طوسون ليقودالجنود الى الحجاز واليمن.. بيد انهم منوا بـالهزيمة وقتل منهم عدد كبير ، ثم تراجعوا الى جـدة (١٢٢٩ هـ – ١٨١٤). وفى ١٨١٤ توفى سعود بن عبد العزيز رحمه الله فتولى الامامة ابنه عبد الله بن سعود (١٢٢٩ – ١٢٣٤ هـ) (١٨١٤ – ١٨١٨) ويتسم عهده كله بالجهاد المتوصل بينه وبين قوات محمد على.

● ففى عام ١٨١٥ جرت معركة « بسل » قرب الطائف وكان على راس القوات العربية عبدالله نفسه فاضطر الى الانسحاب من تربة . وفى هذه السنة قدم محمد على ومعه امدادات كثيرة زود بها ، قوات ابنه .

ولا يتسع المجال لكى نذكر جميع المعارك التى دارت بين الجانبين في ايام هذا العاهل المجاهـد ، ونقتصر على ذكر معـارك طامى ، الرس والحناكية ، حيث هزم عبد الله ومن ثم جاءت الامدادات تتوالى على القائد ابراهيم باشا فى الرس . وفى عام ١٨١٨ دارت المعارك رهيبة ودافع آل سعود وآل الشيخ ومواطنوا الدرعية عن ديارهم دفاع الاستبسال .. واخيرا

كان من الخير أن يتوقف القتال بعد ان ادى كل بطل واجبه ووقع الصلح وسافر الامام عبد الله الى مصر فالاستانة حيث لقى ربه شهيدا ٠

● ولى الحكم تركى بن عبد الله بن محمد وتولى الامانة سنة ١٢٤٠هـ (-١٨٢٤)في ظروف شاقة وعصيبة أعقبت تدمير الدرعية وتفرق الكلمة واضطراب الاحوال لسنوات ست حالكة ، لكنه استطاع أن يعيد البناء ، وحسب الامام تركى أن يكون قد حمل اعادة كيان الدولة وتوحيد الصفوف فهو بحق «مؤسس الدولة السعودية الثانية »في وصف المؤلف له ٠ وفي يوم الجمعة آخر ذى الحجة سـنة ١٢٤٩ هـ (١٨٣٣) غدر به « شـــارى عبد الرحمن » وهو خارج من صلاة الجمعة في المسجد الجامع بالرياض ، فدس عليه من يقتله ، فلقى ربه شهيدا ٠

● ويواصل المؤلف حديثه عن عهد الامام فيصل بن تركى الذى بويع بالامانة على اثر وفاة أبيه (١٢٥٠ هـ ـ ١٨٣٤) ، وكان وقتئذ يغزو في الاحساء ، وقد واصل القتال ضد الخارجين على الامانة ، وضد الدولة العلية ولما توفى (١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥) تولى الامانة بعده ابنه عبد الله بن فيصل باعتباره أكبر الابناء سنا وظل في الحكم حتى عام ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩) ٠ فجاء من بعده سعود بن فيصل (١٢٨٨ ١٢٩١ هـ) (١٨٧١ ـ ١٨٧٤) ، وأعقبه عبد الرحمن الفيصل(١٣٠٧ ـ ١٣٠٨) (١٨٨٩ ـ ١٨٩٠) ٠ ومن ثم توجز اهم تلك الفترة التى أوردها المؤلف بالتفصيل ٠

● ففى ١٨٩١ كان دخول الرياض ـ وفي ١٨٩٣ وفاة محمد بن فيصل بن تركى بالرياض،وفي عام ١٩٠٠ دهم عبد العزيز بن عبد الرحمن ـ الرياض واستولى عليها بعد أن تحصن حاكمها الرشيدى عجلان بن محمد ومن معه بالقصره خرج منها لكنه عاد اليها في أوائل عام ١٩٠٢ ومعه أربعون رجلا وهاجموا دار عجلان ، وتربصوا له وهو خارج من بوابة الحصن عند شروق الشمس فأصابوه ، فلما رجع للاحتماء بداخله هاجموه وصرعوه وسلمت حامية الحصن وسقطت الرياض في يد عبد العزيز وكانت اهم معارك تلك الايام موقعة الصريف (١٣١٨ هـ / ١٩٠٠) ٠

عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل

١٣١٩ ـ ١٣٧٣ هـ / ١٩٠٢ ـ ١٩٥٣ ميلادية

● يعتبر فتح الرياض (١٣١٩ هـ / ١٩٠٢) فاتحة عهد الملك عبد العزيز رحمه الله ، أعد الحملة في الكويت ، ثم عبر العوينة وحرض ويبرين ، وأبو جفان (خريطة ٢٧ ص ١٣٧) · وسرعان مازال حكم آل رشيد · وفي فترة وجيزة حصن عبد العزيز الرياض وأكمل أسوارها ثم كرس وقته لاسترداد بلدان نجد ـ فاستولى عليها الواحدة بعد الاخرى · فقد تمكن البطل عبد العزيز من السيطرة على عنيزة وطهر الطريق الى بريدة كما سيطر على القصيم وتم توحيد نجد (١٣٢٤ ـ ١٩٠٦) وبعد أربع سنوات (١٩١٠) ضم امارة عسير الى املاكه · وفي سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١٢) تاصلت قوة الاخوان وصار الاخوان القوة الضاربة المعدة للاحداث ونجحت حركة توطين البدو · وفي عام ١٣٣١ (١٩١٣) استطاع عبد العزيز الاستيلاء على الاحساء وهاجم الحاميات التركية في الهفوف ، والعقير والقطيف ، فجلت الى البحرين · واطلت الدولة على مياه الخليج ··· وفي سنة ١٣٣٣ هـ (١٩١٥) عقد البريطانيون مع عبد العزيز معاهدة أعترفوا فيها باستقلال نجد والاحساء · وواصل البطل النجاح والظفر فاستولى على اقليم الجوف في اقصى الشمال ، وفي سنة ١٣٤٠ هـ أخمد عبد العزيز ثورة نشبت في عسيرة ، فوجه اليها ابنه الامير فيصل على رأس حملة ، فد حرت القوات الحجازية في منخفضات تهامة وتم لها الاستيلاء على « أبها » عاصمة الاقليم ·· وصارت عسير منذ ذلك الوقت تكون جزءا من أجزاء الدولة السعودية (١٩٢٢) ·

● ومنذ عام ١٩٢٤ بدأ العمل بهمة ونشاط في انشاء المرافق الصحية وفي ١٩٢٤ استولى عبد العزيز على الطائف وانفتح الطريق الى جدة ومكة ولم يمض هذا العام حتى استولى عليها ودخل مكة محرما يوم الثامن من جمادى الاولى ١٣٤٤ هـ (٥ ديسمبر ١٩٢٤) · فبايعه أهل الحجاز وصار من ذلك الحين جزءا من الدولة السعودية · وسرعان ما انشئت الوزارات الجديدة وفي طليعتها مديرية الشئون العسكرية للاشراف على اعادة تكوين

الجيش السعودى ، فوزارة الخارجية (١٩٣٠) ، كما صـــدرت جريدة صوت الحجاز .

– وفي عام ١٩٣٤ عقدت اتفاقية النفط مع شركة « ستاندارد أويل أف كاليفورنيا » للتنقيب عن البترول .

– وفي عام ١٩٣٦ عقدت معاهدة صداقة مع المملكة المصرية .

– وفي عام ١٩٣٨ أنشئت سبع مطابع ، ثلاثة في مكة ، وثلاثة في جدة ، وواحدة في المدينة .

– وفي عام ١٩٣٩ أنشئت أول ادارة للطيران ودخلت المملكة اربع طائرات ذات المحرك الواحد .

– وفي عام ١٩٤٣ أنشئت بالرياض أول مكتبة عامة .

– وفي عام ١٩٤٥ انضمت المملكة الى هيئة الامم المتحدة وفي العام نفسه أصبحت عضوا في جامعة الدول العربية .

– وفي عام ١٩٤٨ أنشئت اول محطة لتوليد الكهرباء .

– وفي عام ١٩٤٩ مشروع في توسيع الحرم الملكى ووضع الحجر الاساسى لانشاء الجامعةالاسلامية وفي العام نفسه افتتحت الاذاعة السعودية .

– وفي عام ١٩٥١ أنشئت وزارة الداخلية .

وفي عام ١٩٥٢ سكت النقود المعدنية وصدرت أوراق النقد لاول مرة .

– وفي عام ١٩٥٣ انشئت وزارة المواصلاة وأنشىء أول مستشفى عام في الرياض .

● وفي فجر الاثنين الثانى من شهر ربيع الاول سنة ١٣٧٣ (٩

نوفمبر ١٩٥٣) اسلم الملك عبد العزيز الروح الى بارئها وعقد أبناؤه اجتماعا سريعا بايعوا فيه سعود بن عبد العزيز ملكا على البلاد ، واسند سعود على الفور ولاية العهد الى الامير فيصل بن عبد العزيز ٠

وهكذا يواصل المؤلف تاريخ الدولة السعودية في أيام الملك سعودبن عبد العزيز (١٩٥٣ ـ ١٩٦٤) (١٣٧٣ ـ ١٣٨٤) معنيا بذكر أهم الحوادث والاعمال التى تمت في عهده حتى تنازل عن السلطة لاخيه الامير فيصل بن عبد العزيز ولى العهد٠وكان فيصل في تلك الاونة خارج الرياض فما أنهى اليه القرار عاد الى الرياض وبدأ البيعة من طوائف شعبه ٠٠ وغادر الملك سعود البلاد الى مصر ومنها ارتحل الى اثينا حيث وافاه الاجل المحتوم (١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩) ٠

فيصل بن عبد العزيز

١٣٨٤ ـ ١٢٩٥ هـ / ١٩٦٤ ـ ١٩٧٥

● **يطلعنا المؤلف المؤرخ على منجزات هذا العاهل الكريم منذ أعده والده للاطلاع بمهام السياسة الخارجية ، ثم تسييره أواخر سنة ١٩٢٢ على رأس حملة عسكرية الى عسير ، ثم قيادته جيشا من جند العارض ، وعلى رأس القوات السعودية النظامية في تهامة واستيلائه فيما بعد على الحديدة (١٩٣٤) ثم تعيينه رئيسا لحكومة الحجاز ، نائبا عنه في مكة ، ثم قيامه بعدة رحلات الى الخارج اتصل فيها بطائفة من الرجال السياسين ٠ وفي عام ١٩٤٧ مثل الامير فيصل المملكة في دورة الامم المتحدة التى عقدت لبحث قضية تقسيم فلسطين ٠ وفي عام ١٩٥٥ رأس وفد المملكة الى القاهرة لتوقيع اتفاقية الدفاع المشترك بين مصر والمملكة العربية السعودية ، وموجز القول فقد ادى «فيصل» اميرا مالم يسمع بمثله اصالة ونباهة ذكر وقدرة ٠ لقد كان خير عون لابيه عبد العزيز ٠٠ فلما ولى جلالته الملك سارت الامور سيرها الطبيعي في دروبها المعبدة ، كان فيصل بحق منذ صار عاهلا للسعودية قوة عملاقة في هذه المنطقة المتوسطة من العالم ٠٠ وكان عهده الذهبى سجلا لخير مايؤديه رئيس دولة لشعبها اليقظ ٠**

لقد كرس وقته وماله ، دعوة الى التضامن العربى والاسلامى ٠ ان

موقفه طيب الله ثراه في حرب العاشر من رمضان موقف بالغ الشهامة والعروبة . لقد كان الفيصل كما يشهد المؤلف مسلما للمسلمين جميعا في كل بقاع الارض ، وعربيا للعرب جميعا في كل أرض العروبة .

كانت دارة الملك عبد العزيز في الرياض واحدة من مآثر الفيصل العظيم صدر بشأنها المرسوم الملكى رقم ٤٥/٣ بتاريخ ١٣٩٢/٨/٥ هـ (١٩٧٢) - كان انشاؤها لفتة خاصة الى تاريخ الدولة ، وجغرافيتها ، وآدابها ، وآثارها الفكرية والعمرانية ... الخ .

طيب الله ثراه ، لقد توفى شهيدا يوم ١٣ من ربيع الاول عام ١٣٩٥ (٢٥ مارس ١٩٧٥) .

خالد بن عبد العزيز

● وينتقل المؤلف بعد ذلك الى الكلام عن عاهل الجزيرة العربية الذى بايعه الشعب السعودى يوم ١٣ ربيع الاول عام ١٣٩٥ ملكا على المملكة العربية السعودية ، كما بايع حضرة صاحب السمو الملكى الامير فهد بن عبد العزيز وليا للعهد ونائبا أول لرئيس مجلس الوزراء واختير في نفس الوقت سمو الامير « عبد الله بن عبد العزيز » نائبا ثانيا لرئيس مجلس الوزراء .

ثم يختم صاحب الاطلس السعودى بكلمة عن الكتابة العربية من ناحيتها التاريخية ، وبكلمة اخرى عن العلاقات السعودية العمانية (خريطة ٣٩) ، ويثبت للمعاهدات والاتفاقيات المعقودة في عهد الملك عبد العزيز ابتداء من معاهدة العقير (ديسمبر ١٩١٥) ، الى اتفاقية الحكومة السعودية مع شركة أرامكوا (١٩٥٠) .

● وتنتهى الصفحات بفهرس موضوعات الاطلس وملاحقه ، وفهرس آخر للمواقع (الاماكن) الموضحة على الخرائط لتيسير مهمة الباحث .

ومن اهم محتوايات الاطلس خريطة للدولة السعودية توضح المدى

الزمنى لحكم كل من أئمة آل سعود من عهد محمد بن سعود الى عهد الملك خالد بن عبد العزيز حفظه الله ٠

وهذا الاطلس التاريخى خير مايفيد الباحث في تاريخ المملكة العربية السعودية منذ نشأتها،ولا شك أنه سد فراغا كان يواجهنا سنين طويلة ، فالخرائط الدقيقة للجزيرة العربية نادرة جدا وخاصة التى صدرت في القرنين الماضيين ومعظمها أن لم يكن كلها كروكيات تقريبية قام برسمها الجغرافيون والرحالة ومعظمهم من الاجانب لذلك حبذا لو كان الاخ المؤلف قد اوضح لنا ما اعتمد عليه من تلك الخرائط في (تكوين) خرائط الاطلس ٠ ولما كان الشيء بالشيء يذكر ، فمن المعلوم أن مواقع الاماكن تحددها خطوط الطول والعرض ، ومن المتبع بصفة دائمة رسم هذه الخطوط في خرائط الاطالس العلمية زيادة في الدقة والتحديد ٠ وكنا نفضل أن تكون خرائطنا مزودة بتلك الخطوط ٠

● لقد فاضت المادة التاريخية بشكل واضح على عدد الخرائط التى زود بها الاطلس (عددها ٤٠ خريطة) ومع ذلك فان الجهد الذى بذل في الوصول الى هذا العدد يعتبر حقا من المعجزات ٠

وقد كانت مفاجأة سارة لنا حينما اطلعنا على الخريطة (لوحة ٢٥) الخاصة بمدينة الرياض في عهد فيصل بن تركى نقلا عن بالجريف وحبذا لو اختار المؤلف طائفة من الخرائطالتى وردت في المؤلفات الاجنبية لرتشارد برتون ، وكارستن نيبوهر ودوتى ، وعلى بك العباسى وغيرهم من الرحالة الغربيين الذين زاروا مكة والمدينة والطائف وجده وينبع وغيرها٠

ان الاطلس التاريخى للدولة السعودية والحق يقال ، عمل جرىء وممتاز ، لايقدم على تصنيفه واخراجه الا العالم والمؤرخ النزيه الشجاع ٠٠ الذى يعمل ويعمل في صبر وثقة غير عابىء بعامل الوقت والتعب ٠ لذلك نرجو الاخ العالم والمؤرخ ابراهيم جمعة ان يواصل جهده فيعمل في البحث عنمجموعات الخرائط التى وردت في مؤلفات المؤرخين والرحالة الذين تعاقبوا جيلا بعد جيل للزيادة ويؤلف منها الاطلس التاريخى لمدن الدولة السعودية ، فمثل هذا الاطلس التاريخى من خير ما تقدمه الدارة

في مناسبة مرور اربعة عشر قرنا على الهجرة النبوية ، وفي الوقت نفسه يكون عونا طيبا حينما تقدم الدولة على أنشاء متاحف تاريخية خاصة بالمدن السعودية وتطورها على مر الزمن ٠

● والجدير بالذكر ان صدر في بريطانيا في الاونة الاخيرة من عام ١٩٧٨ (١٣٩٨) كتاب يتناول فيه مؤلفه ج ٠ ر ٠ تيبتس : اقدم الخرائط الاولى لشبه الجزيرة العربية ابتداء من اختراع الطباعة الى عام ١٧٥١ في الكتب الصادرة في غرب القارة الاوربية ٠ (أى قبيل انتشار الدعوة الوهابية بسنوات) ويقع الكتاب المذكور في ١٧٢ صفحة ويشتمل على ٢٢ لوحة بعضها ملون (١) ومن محاسن الصدفَ أنْ يكون الاطلس التاريخى للدولة السعودية مكملا بتناوله القرون ١٨/١٩/٢٠ الميلادية ٠

د ٠ عبد الرحمن زكى

---

(1) Arabia In Early Maps A Bibliogr
Tibbetts (J.R.)
Maps Covering The Peninsula Of Arabia Printed Inweseern Europe From The In ventionoi Printine To The year 1721, P.P. 172 With 22, Bls.

مشروع اعداد قاموس باسماء المواقع التاريخية والجغرافية بالمملكة

بقلم : محمد احمد السليمان
مدير الدراسات والمعلومات
بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

بالبحث في الواقع الثقافي باوساط الطلبة والمثقفين بالمملكة نجد أن معظمهم في أشد الحاجة الى مرجع دقيق وصحيح وشامل لتحديد وتعريف اسماء المواقع الجغرافية والتاريخية بالمملكة • فالكثير يجهلون أسماء المواقع الجغرافية والتاريخية بالمملكة • وحتى الان لم يقم أحد من المهتمين بالدراسات التاريخية والجغرافية بعمل معجم أو قاموس شامل يحدد أسماء المواقع الكثيرة المختلفة في انحاء اقاليم المملكة •

وجميع هذه الاسماء وفهرستها وضبطها لمن أوجب الواجبات على كل من لديه القدرة في هذا المجال · الا انه يظهر جليا صعوبة التحديد والحصر والضبط ثم الفهرسة وتولي الطباعة والتوزيع وذلك من الناحية المادية فقط · حيث يتطلب المشروع أموالا ليست في طاقة الفرد · فمثل هذا العمل يحتاج الى عدة اشخاص ووقت طويل يكفي للمهمة وتفرغ من جميع الارتباطات العملية الاخرى · وعدة مرات سفر لمختلف المدن والقرى والهجر والصحارى بالمملكة اضافة الى توفير المراجع المهمة من كتب واجتماعات · ورحلات الى مختلف المكتبات العامة داخل المملكة وخارجها · وان قيام جهة حكومية كدارة الملك عبد العزيز أو جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية أو جامعة الرياض · للاضطلاع بهذا المشروع لمن اقرب السبل لنجاحه وبروزه الى حيز الوجود ·

ان اعداد هذا المرجع سيقضي على جميع المشاكل التي لا زالت قائمة في أوساط المثقفين ولدى وسائل الاعلام وعند تربية وتعليم الاولاد بسبب جهل هذه المواقع وعدم ضبط الاسماء وتحديد الامكنة · وان اعداد هذا المرجع ووضعه في متناول المثقف والطالب والمدرس وكل باحث متخصص سيساهم في المجال العلمي والاعلامي للمملكة · فهو قاموس علمي لا غنى لاى انسان عنه · كذلك يساعد جميع الادارات والمصالح الحكومية في التعرف على الاماكن والجهات التي تحتاج الى اصلاح وتطوير في جميع المجالات الاجتماعية والسياحية والدينية والتعليمية ·

محتوى القاموس المقترح :

سيحتوي على اسماء جميع المواقع الجغرافية والتاريخية بالمملكة في جميع المناطق والجهات وسيشمل المدن والقرى والهجر والبر والبحر وكل مظهر طبيعي كالجبل والغار والوادي والبحيرة والجزيرة والعيون والواحات والاماكن التاريخية المشهورة · وخاصة تلك المواقع الكثيرة التي دائما كل باحث يطلب معلومات عنها ·

كيفية اعداده :

لا شك أن للمختصين في التاريخ والجغرافيا آراءهم الجيدة في

كيفية اعداد هذا القاموس المقترح والطرق المثلى لاخراجه على المستوى المنشود ولعل النقاط التالية تمهد الطرق لكيفية اعداده : ـ

١ ـ البحث عن اسماء المواقع الجغرافية والتاريخية والتثبت من دقة ضبطها وصحتها ٠

٢ ـ جمعها ورصدها فى قوائم مستقلة ٠

٣ ـ ترتيبها حسب الحروف الابجدية أو الهجائية ٠

٤ ـ كتابتها باللغة العربية وبجانبها الحروف اللاتينية الصحيحة ٠

٥ ـ تشكل الاسماء لمنع الالتباس ٠

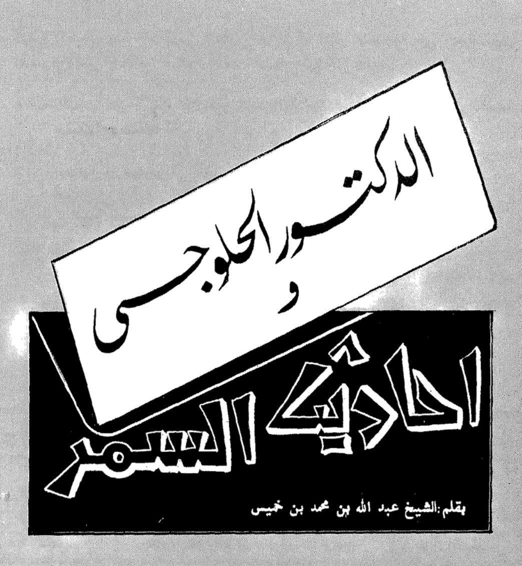
٦ ـ توضع فى نهاية الكتاب خريطة وافية للاقاليم الادارية بالمملكة ٠

نموذج من القاموس المقترح :

الاسم بالحروف العربية	الاسم بالحروف الهجائية	صفه الاسم	المنطقة الواقع فيها
أرطاوية	ARTAWIYAH	بلد	شمال سدير
أبو مخروق	ABOU - MAUNROUK	جبل	وسط الرياض
الدرعية	DIREYAH	بلد	غرب الرياض
المشقر	MASHCAR	وادى	غوب المجمعه

من يقوم باعداده :

اشرت الى أنّ الافراد غير قادرين ماديا على الاضطلاع به ٠ لذا لا بد من تحديد جهة حكومية تتولى التخطيط للمشروع وتنفيذه بايجاد ميزانية مستقلة له ٠ واعتقد أن دارة الملك عبد العزيز وجامعة الامام محمد بن سعود وجامعة الرياض اذا حصل التعاون بينهم امكن لهم انجازه حيث تتوفر لديهم الخبرات الجيدة ويمكن لهم الاختيار المناسب من الكفاءات الاخرى فلعلهم يتفقون على الفكرة ويدرسونها بدقة ويشرعون في تنفيذها وفق خطة زمنية معينة ٠



في العدد الماضي من هذه المجلة ، قدم الدكتور عبد الستار الحلوجي دراسة ضافية عن كتابنا : (من أحاديث السمر) ، واستعرضه شكلا وموضوعا .. وبسط الحديث في مقدمة دراسته هذه عن التراث ، وما له من أهمية لدى الامم ، وما نصيب الامة العربية من العناية بتراثها .. وأورد بعض الامثلة ، وذكر بعض كتب التراث العربى عبر القرون ، وما كان لها من دور في احياء تراث امة العرب وعناية به .. وخص الادب الشعبى بجزء من مقدمته هذه ، باعتبار أن كتاب : (من أحاديث السمر) له صلة وثيقة بالتراث الشعبى .

ونحن اذ نشكر الدكتور الحلوجي على هذه الدراسة القيمة لهـذا الكتاب ، ونثنى على الجهد الذى بذله ، مما يدل على أنه درس الكتاب دراسة عميقة مستوفاة ٠٠ نحن اذ نشكره على ذلك ، لا يفوتنا أن نلفت نظره الى بعض الجوانب التى ناقشها ، وكان له فيها وجهات نظر ، ربما تختلف عن وجهات نظرنا حولها ٠٠ فمن المفروض أن تكون تحت عناوين تليق بها ٠٠ وكذلك فان الكتاب قد وضع للتحدث عن مفاخر العرب ومآثرهم، بينما نرى بعض القصص تمقت بعض عاداتهم وتقاليدهم وسلوكهم ٠٠ ويرى الدكتور أن تناول بعض القصص بالتعليق عليه لا يتفق والنظرة الصحيحة للقصة ، بل يجب أن يترك ذلك لادراك القارىء وانطباعه وتاثره بالقصة نفسها ، لا بالتعليق عليها ٠

كما يرى الدكتور الحلوجي أن بعض قصص الكتاب لا فائدة من ايرادها ، فلو استبعدت من الكتاب لكان أليق به ، وأن بعض القصص بها ضرب من الخيال ، هي أليق بالاساطير لا بموضوع الكتاب ٠

هذه هي المواضيع الشكلية التى أخذها الدكتور على الكتاب ٠٠ وانا اذ أحمد له هذه الدقة ، وأشكره على ابداء وجهة نظره حول ذلك ٠ فانني اشعر بان ما وقع هو ما هدانى اليه اجتهادى ، وما رأيت أنه الاليق بوضع هذه القصص مواضعها ، وأن ما وقع فيه من مو ضوعات ربما لا تتفق وغرض الكتاب ٠٠ فلا يخرج ذلك عن قصد التلوين ، والاحماض والتنقل بالقارىء ، مع أنها لا تخلو من فائدة ولا تبعد عن المسرة ٠

أما ما يتعلق بصميم الموضوع ، وهو الذى يهمنى كثيرا ، وهو الذى دفعنى الى كتابة هذا التعقيب ٠٠ فهو ما جاء في نقد الدكتور من انه يأسف لوقوع أخطاء لغوية ونحوية ، ثم يقول : ودعك من الاخطاء الاملائية لانني أعرف أنها من اخطاء الطبع !! ٠

وهذا الاسلوب من دكتورنا الكريم لا يخلوا من مغالطة لا تخفى على ذوى النظر ٠٠ والا فما الذى يجعل الاغلاط المطبعية تتأتى على الاملاء ، ولا تتأتى على النحو واللغة ٠٠ ولكن دكتورنا الكريم يريد أن يلزمنى بوقوع الخطأ اللغوى فعلا ، ويفهم القارىء ان ذلك حق وصدق قد وقع

.. فلقد أورد في نقده أربع غلطات لغوية ، برأها من الغلط المطبعي ، وليس من حقه أن يبرئها .. فلو أن حضرته عاد الى جدول الخطأ والصواب في اخر الكتاب لوجد بعض هذه وما شاكلها كثيرا ، لان طبعة الكتاب ـ مع شديد الاسف ـ سيئة جدا ، فلقد وقعت جداول الخطأ والصواب في ثلاث صفحات ، كل صفحة تحوى عمودين .. ومع ذلك فقد وقع في الكتاب اخطاء فاتت واضع جدول الخطأ والصواب ، لعل منها ما ذكره دكتورنا الكريم .. ومع أن طباعة الكتاب رديئة ، فان المشرف على تصحيح تجاربه غير متمكن أيضا ، مع انه لا يخلو مطبوع من غلط مهما حرص المشرف على طباعته .. فأسف يادكتورنا الكريم على الاغلاط المطبعية ، ولكن لا تنسبها للمؤلف .. مع أن احدى هذه الغلطات الاربع زعمت انها غلط ، والغلط ما وقعت فيه أنت .. فلقد قلت في نقدك : فنحن نقرأ في صفحة ١٣٩ (وأخربوا بيوتهم بأيديهم) ، وصحتها : (وخربوا) !! .

فلماذا يادكتورنا الكريم لم ترجع الى اقرب مصادر اللغة العربية اليك ، لتدرك ان الفعل (خرب) يتعدى بالهمز ، ويتعدى بالتضميف ، وأن ما زعمت أنه خطأ ليس بخطأ ، وأن اللغة لا تؤخذ بالظن ، ولكن بالحفظ والمراجعة .

هذا كتاب يادكتورنا الكريم يقع في (٢٥٠) صفحة ، خرجت منه بأربع غلطات ، واحدة منها عليك لا لك ، وثلاث يعلم الله انها من جناية المطبعة .

ولكن كم تظن في دراستك القصيرة هذه عن هذا الكتاب من غلطة لغوية فاحشة ؟ ! .. تعال أضع يدك عليها :

١ ـ قلت صفحة (٢١٤) سطر (١٢) : يثرى فكرها وينير لها طريقها .

فلفعل يادكتورنا الكريم (أثرى) .. لازم يقال : أثرى الرجل اذا كثرت ثروته ، وأثرت الارض اذا كثر ثراها ، وهكذا .. وتعديته جاءت بها اساليب الصحافة المزغولة ، ونقلها عنها غير المحققين .

٢ ــ وقلت في نفس الصفحة سطر (١٣) : لم تلبث أن أدركتها سنة النوم !

فالنوم يادكتورنا الكريم شيء ، والسنة شيء آخر ٠٠ والقرآن غاير بينهما ، فقال : لا تأخذه سنة ولا نوم ٠٠ والعطف يقتضى المغايرة ، وقد نص المحققون على ان السنة في الرأس ، والنعاس في العين ، والنوم في القلب ٠٠ وقال عدي بن الرقاع :

وسنان أقصده النعاس فرنقت ... في عينه سنة وليس بنائم

٣ ــ قلت في نفس الصفحة سطر (١٧) : واذا كانت كلمة التراث تنصب على القديم اصلا ٠٠ الا أن ابن قتيته قد نبه ٠٠ الخ ٠

فلدينا يادكتورنا الكريم كل من (اذا) و (كان) ٠٠ الاولى تحتاج الى جواب ، والثانية تحتاج الى خبر ٠٠ فبمثل أسلوبك هذا كيف ينسجم الاسلوب لغويا ويسلم من الطى المخل بسلامته ؟ ! ٠

٤ ــ وفي صفحة (٢١٥) سطر (٣) قلت : ومنذ أوائل القرن التاسع عشر الهجرى تظهر كتب تراجم القرون ٠٠ الخ ٠

الا تشعر معى هنا ان التعبير قلق ، وانه يحتاج الى وضع كلمة نحو (بدأت) او (أخذت) او نحوهما ، ليكون الكلام هكذا : ومنذ أوائل القرن التاسع عشر الهجرى (بدأت) تظهر كتب التراجم ٠٠ الخ ٠

٥ ــ وفي نفس الصفحة سطر (١٨) قلت : تستحق أن تسجل وأن تدرس كجزء من تراث الامة ، وكمصدر من مصادر التعرف على ملامح شخصيتها ٠ الخ

فكاف التشبيه يادكتورنا الكريم التى أدخلتها على (جزء) وعلى (مصدر) لايصح استمالها هنا ، وان درجت على هذا الاستعمال أساليب الصحافة الهجينة ٠٠ فـأنت تريد أن تقول : تستحق أن تسجل وأن تدرس ٠٠ (لماذا ؟) لانها جزء من تراث الامة ، ومصدر من مصادر التعرف على ملامح شخصيتها ٠٠ ولكن فاتك الصواب ٠

٦ ـ وفى نفس الصفحة سطر (٤٠) قلت : فلا ينتظر من غيرهم أن يكون حماسهم له اشد ! ٠

فاستعمالك (الحماس) يا دكتورنا الكريم خطأ لم يرد على لسان العرب ، ولم تحفظه معاجمهم المعتبرة ، وانما الصحيح (الحماسة) فقط ٠

٧ ـ وفى صفحة (٢١٩) سطر (٢) قلت : أما أن تأخذه من يده لتدله على موطن العظة والعبرة فيها ٠٠ الخ ٠

فقولك يادكتورنا الكريم : تأخذه من يده ٠٠ خطأ ٠٠ والصحيح أن تقول تأخذ بيده لتدله على كذا وكذا ٠٠ ويحسن هنا يا دكتورنا الفاضل أن تقول :

يارب لا تحيني الى زمن   أكون فيه كلا على احـــــد
خذ بيدى قبل أن أقول لمن   القاه عند القيام خذ بيدى

هذه سبع غلطات لغوية فى بحثك ، اخذتها على رؤس الشمام ، وصادفنى عرضا وأنا اتصفحه ٠٠ وما أبرىء نفسى ، ولكننى أقول : هلا التمست لاخيك عذرا قبل أن تلزمه بأربع غلطات فى كتاب ، لئلا يلزمك بسبع غلطات فى مقال !! ٠

واخيرا ٠٠ أكرر لك شكرى على اتاحة هذه الفرصة التى القاك فيها على صفحات هذه المجلة الكريمة ٠

عبد الله بن محمد بن خميس


القرآن
والأحرف
السبعة
للدكتور: شوكت عليان

١ ـ لغة القرآن

قبل البحث في موضوع نزول القرآن على سبعة احرف ، لابد أن نشير الى أن القرآن الكريم انزل بلسان مبين ، وقد نصت اكثر من اية على عربية القرآن ٠ قال تعالى : « انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » (١) ٠ «فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون» (٢)

ولسان النبى ـ ص ـ هو العربية عامة ، وعربية «لهجة» قريش من اهل مكة خاصة ، لذا فالراجح أن يكون القرآن قد انزل بلهجة قريش ، وقد يكون في قوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه » (٣) مايؤيد هذا الترجيح ، ويؤكده ما ورد من آثار في هذا الشان :

جاء في سنن ابى داود أن عمر بن الخطاب كتب الى عبد الله بن مسعود، وهو في الكوفة : « أما بعد : فان الله انزل القرآن بلغة قريش ، فاذا اتاك كتابى هذا فاقرىء الناس بلغة قريش ، ولا تقرئهم بلغة هذيل » (٤) ٠

وجاء في توجيهات عثمان الى اللجنة التى كلفت في عهده كتابة القرآن: « اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فانما نزل بلسانهم » (٥) وقريش احدى القبائل العربية ، وكان للقبائل الاخرى لغاتها «لهجاتها» كهذيل ، وتميم ، وقيس ، واسد، وطئى ٠٠٠ ،ومن الطبيعى ان يوجد « تباين لغوى في امور معينة بين تلك اللهجات العربية ، ولا يحول دون تفاهم افراد تلك القبائل » (٦) ٠ ولذا لم يكن من العسير جدا على افراد القبائل العربية كافة قراءة القرآن الكريم بلسان قريش ، وانما الذى صعب على بعضهم نطق القرآن نطقا مطابقا تمام المطابقة لنطق النبى ـ ص ـ لاعتياد السنتهم النطق بلهجات قبائلهم التى نشأوا وشبوا عليها ، فاصبح من غير اليسير تحويل السنتهم الى نطق آخر ، وان كان نطقا عربيا ٠ (٧)

وقد ظهرت هذه المشكلة بصورة واضحة بعد الهجرة ، حيث دخل في الاسلام افراد من مختلف القبائل العربية .

قال ابن قتيته : » ولو ان كل فريق من هؤلاء امران يزول عن لغته، وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشئا وكهلا ، لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه ، ولم يمكنه الا بعد رياضة للنفس طويلة ، وتذليل للسان ، وقطع للعادة ، فاراد الله ـ برحمته ولطفه أن يجعل متسعا في اللغات ، «متصرفا في الحركات » (٨) والمتسع الذى اشار اليه العلماء هو ورود حديث عن رسول الله يدل على نزول القرآن على سبعة احرف « ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف فاقرأوا ماتيسر منه » وهو حديث مشهور ، روى عن كثير من الصحابه ، بالفاظ متقاربة ومعان متفقة . (٩)

٢ ـ حديث الاحرف السبعة :

جاء في الصحيحين عن ابن شهاب ان عمر بن الخطاب قال : « سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ـ ص ـ فاستمعت لقراءته ، فاذا هو يقرأها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ـص ـ، فكدت اساوره (١٠) في الصلاه ، فتصبرت حتى سلم ، فلببته بردائه (١١) فقلت : من اقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأها ..؟ قال : أقرأنيها رسول الله ـ ص فقلت : كذبت ، فوالله ان رسول الله ـ ص ـ قد اقرأنيها على غير ما قرأت ، فانطلقت به اقوده الى رسول الله ـ ص فقلت يارسول الله : انى سمعت هذا يقرأ » سورة الفرقان « على حروف لم تقرئنيها ، فقال رسول الله ـ ص ـ : هكذا انزلت ثم قال : اقرأ ياعمر ، فقرأت القراءة التى أقرأنى ، فقال رسول الله ـ ص ـ كذلك انزلت ، ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف فاقرأوا ماتيسر منه » .

٣ ـ حديث الاحرف السبعة بين الصحة والشذوذ

صح نقل حديث نزول القرآن على سبعة احرف عن رسول الله ـص ـ واشتهرت رواياته،وتعددت اسانيده،فقد وصلنا من طريق اربعة وعشرين صحابيا (١٢) ، وستة واربعين سندا (١٣) ، واورده البخارى ومسلم وغيرهما من أئمة الحديث وروى الحافظ ابو يعلى في مسنده الكبير أن

عثمان ـ رض ـ قال يوما وهو على المنبر اذكر الله رجلا سمع النبي ـ ص ـ
فقاموا حتى لم يحصوا ، فشهدوا بذلك ، فقال عثمان : « وأنا اشـهد
فقاموا حتى لم يحصوا ، فشهدوا بذلك ، فقال عثمان : « وأنا اشـهد
معهم » (١٤)

وتوافق هذه الجموع الكثيرة التي يؤمن تواطؤها على الكذب ، حمل بعض الائمة على القول بتواتر الحديث ، وفي طليعة هؤلاء ابو عبيد القاسم ابن سلام . (١٥)

ومن الغريب ان بعض المستشرقين طعن في صحة هذا الحديث ، ودمغه بانه « شاذ غير مسند » والاغرب من ذلك أن ينسب هذا الطعن الى أبي عبيد الذي قال بتواتر الحديث ، والذي اوقع « جولد تسهر » (١٦) في هذا الوهم ـ ان لم يكن العمد مع سبق الاصرار والترصد ـ هو أن أبا عبيد فسر الاحرف السبعة بسبع لغات من لغات العرب ، ثم ذكر حديثا آخر يفسرها بضروب من المعاني المختلفة : حلال وحرام ، وأمر ونهي ، وخبر ما كان قبلكم ، وخبر ماهو بعدكم .. ، وعلق عليه بقوله : ولسنا ندري ما اوجه هذا الحديث لانه غير مسند .

فابو عبيد دمغ هذه الرواية من الحديث بالشذوذ ، ولم يصف اصل حديث الاحرف السبعة بالشذوذ ، ولكن جولد تسهر تلقفها منه ، وسرعان ماعممها على جميع روايات حديث الاحرف السبعة .

ورفض بعض العلماء أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف جملة وتفصيلا ، ودعا الى اهمالها ، وبعبارة اخرى الى رفض روايتها عن النبي ـ ص ـ بدعوى انها لم ترد من طريق اهل البيت ، وأنها مخالفة لصحيحة زرارة بن أعين عن أبي جعفر ـ ع ـ قال : « ان القرآن واحد ، نزل من عند واحد،ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة » وايضا فان الصادق ـ ع ـ حكم بكذب رواية الاحرف السبعة وقال : « ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد » ولكن فات المحقق النوئي (١٧) أن صحيحة زارة هذه هي خبر واحد ، وان الكليني رواها في النوادر » (١٨)

وانه من الصعب جدا التسليم بخبر واحد ، او بقول منسوب ، دون

سند يذكر ، في الوقت الذى لا نسلم فيه ، بل نرفض حديثا متواترا او مشهورا ، ورد الينا من طريق اربعة وعشرين صحابيا ، وستة وأربعين سندا .

واما القول بأن الروايات متهافتة لتناقضها : « فمن التناقض ان بعض الروايات دل على أن جبريل اقر النبى ـ ص ـ على حرف ، فاستزاده النبى ـ ص فزاده ، حتى انتهى الى سبعة احرف ، وهذا يدل على أن الزيادة بالتدريج في وفي بعضها أن الزيادة كانت مرة واحدة في المرة الثالثة ، وفي بعضها أن الله امره في المرة الثالثة أن يقرأ القرآن على ثلاثة احرف،وكان الامر بقراءة سبع في المرة الرابعة » .

« ومن التناقض أن بعض الروايات يدل على أن الزيادة كلها كانت في مجلس واحد ، وأن طلب النبى ـ ص ـ الزيادة كان بارشاد ميكائيل ، فزاده جبريل حتى بلغ سبعا ، وبعضها يدل على أن جبريل كان ينطلق ويعود مرة بعد مرة » (١٩) .

فيجاب عنه بان التناقض هنا شكلي ما دام مضمون الروايات واحد. وهو الامر او الاخبار او الترخيص بالقراءة على سبعة احرف ، ومما يهون من شأن هذه الاختلافات الشكلية في الروتين كثرة الطرق التى انتقل بها الحديث ، فلا معنى لهذه الكثرة ما لم توجد اختلافات يسيره تنتهى دائما نهاية واحدة ، فالثابت هو هذه النهاية التى اجمع عليها هذا الجمهور من الرواة والاسانيد (٢٠) .

٤ ـ حكمة انزال القرآن على سبعة احرف

اجتهد العلماء والباحثون ـ قديما وحديثا ـ في التعرف على الغاية التى من اجلها انزل القرآن على أكثر من حرف ، فاهتدوا الى حكم كثيرة ، وغايات جليلة وفوائد عظيمة ، نذكر اهمها بايجاز من كتاب مناهل العرفان (٢١) :

١ ـ التيسير على الامة الاسلامية كلها ، خصوصا الامة العربية التى شوفهت بالقرآن ، فانها كانت قبائل كثيرة ، وكان بينها اختلاف في اللهجات

ونبرات الاصوات ، وفي طريقة الاداء وشهرة بعض الالفاظ في بعض المدلولات على الرغم انها كانت تجمعها العروبة ، ويوحد بينهما اللسان العربى العام ، فلو الزمت كلها بقراءة القرآن على حرف واحد لشق ذلك عليها ٠

فللتخفيف على هذه الامة ، وارادة اليسر بها ، والتهوين عليها شرفا لها وتوسعة ورحمة وخصوصية لفضلها ، واجابة لقصد نبيها أفضل الخلق وحبيب الحق ، حيث اتاه جبريل فقال ـ ص ـ : « أن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف ، فقال ـ ص ـ أسأل الله معافاته ومعونته فان امتى لاتطيق ذلك ، ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف » (٢٢)

٢ ـ جميع الامة على لسان واحد « لســان قريش » الذى انزل به القرآن الكريم ، والذى انتظم كثيراً من مختارات السنة القبائل العربية ـ التى كانت تختلف الى مكة في موسم الحج ، وفي اسواق العرب المشهورة ـ بحيث اصبحت محاسن السنة القبائل العربية مستجمعة في لسان قريش ، ومتمثلة فيه ٠ مما أهلها لنزول القرآن بها ، مصطفيا ما شاء من السنة غيرها بهدف وحدة اللسان العربى العام ، حيث ان وحدة اللسان من اهم عوامل وحدة الامة ٠

٣ ـ بيان حكم من الاحكام ، كقوله سبحانه : « وان كان رجل يورث كلالة ، أو امرأة وله أخ أو اخت فلكل واحد منهما السدس » (٢٣) قرأ سعد بن‌وقاص : « وله أخ أو أخت من أم » فتبين بها أن المراد بالاخوة في هذا الحكم الاخوة للام دون الاشقاء ومن كانوا الاب ، وهذا أمر مجمع عليه ٠

٤ ـ الجمع بين حكمين مختلفين بمجموع القراءتين ، كقوله تعالى : « فاعتذلوا النساء في المحيض ، ولا تقربوهن حتى يطهرن » (٢٤) قرىء بالتخفيف والتشديد في حرف « الطاء » من كلمة « يطهرن » ولا ريب أن صيغة التشديد تفيد وجوب المبالغة في طهر النساء من الحيض ، لان زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ٠ أما قراءة التخفيف فلا تفيد هذه المبالغة : ومجموع القراءتين يحكم بأمرين :

احدهما ، ان الحائض لايقربها زوجها حتى يحصل اصل الطهر ، وذلك بانقطاع الحيض . وثانيهما ، انه لا يقربها زوجها ايضا الا اذا بالغت في الطهر ، وذلك بالاغتسال ، وهو ما ذهب اليه الامام الشافعي ومن وافقه .

٥ ـ الدلالة على حكمين شرعيين ولكن في حالين مختلفين كقوله تعالى في بيان الوضوء : « فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرفق ، وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين » (٢٥) قرىء بنصب لفظ « ارجلكم » وبجرها ، فالنصب يفيد طلب غسلها ، لان العطف حينئذ يكون على لفظ « وجوهكم » المنصوب ، وهو مغسول . والجر يفيد طلب مسحها ، لان العطف حينئذ يكون على لفظ « رؤسكم » المجرور ، وهو ممسوح .

٦ ـ رفع توهم ما ليس مرادا كقوله تعالى : « يايها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله » (٢٦) وقرىء « فامضوا الى ذكر الله » فالقراءة الاولى يتوهم منها وجوب السرعة فـي المشى الى صلاة الجمعة ، ولكن القراءة الثانية رفعت هذا التوهم لان المضى ليس من مدلوله السرعة .

٧ ـ بيان لفظ مبهم على البعض ، نحو قوله تعالى : « وتكون الجبال كالعهن المنفوش » (٢٧) وقرىء « كالصوف المنفوش » فبينت القراءة الثانية أن العهن هو الصوف .

٨ ـ ان تنوع القراءات من البراهين الساطعة ، والادلة القاطعة على أن القرآن كلام لله ، وعلى صدق من جاء به وهو رسول الله ـص ـ ، فان هذه الاختلافات في القراءة ـ على كثرتها ـ لا تؤدى الى تناقض في المقروء، ولا الى تهافت وتخاذل ، بل القرآن كله على تنوع قراءاته ، يصدق بعضه بعضا ، ويبين بعضه بعضا ، ويشهد بعضه لبعض ، على نمط واحد في علو الاسلوب والتعبير ، وهدف واحد من سمو الهداية والتعليم ، وهذا من غير شك ـ يفيد تعدد الاعجاز بتعدد القراءات والحروف .

٥ ـ معنى الاحرف السبعة

لم يصح عن النبى ـ ص ـ شيء فى تحديد الاحرف السبعة ، ولا فى تعيين المقصود منها . لذ اختلف العلماء ـ قديما وحديثا ـ فى تحديد المراد منها ، فكثر البحث فيها ، وتعددت الاراء فى معناها ، حتى أوصلها بعض العلماء الى خمسة وثلاثين رأيا (٢٨) . وبلغ بها آخرون اربعين (٢٩) . واكثرها لا يؤيده نقل صحيح ، ولا منطق مستقيم ومنشأ الخطأ فيها ارادة التعيين على سبيل القطع والجزم ، مع أنه لم يأت فى معناها ـ كما يقول ابو بكر العربى ـ نص ولا اثر ، واختلف الناس في تعيينها(٣٠) وسنجمل آراء العلماء فى معنى الاحرف السبعة فى اتجاهين ، ثم نفصل القول فى كل اتجاه ، مبينين اهم ما يندرج تحته من آراء .

الاول : أن المراد بالسبعة حقيقة العدد ، وعليه اكثر العلماء .

الثانى : انه ليس المراد بها حقيقة العدد ، وانما المراد السعة والتيسير وبه قال بعض العلماء .

الاتجاه الاول : ـ

عرفت أن اكثر العلماء ذهبوا الى أن المقصود بالسبعة في الحديث هو الحصر ، ولكنهم اختلفوا فى تحديد تلكم الاحرف . واشهر الاراء فى هذا الاتجاه هى :

١ ـ أن المراد بالاحرف السبعة ، سبع لغات « لهجات » من لغات العرب متفرقة فى جميع القرآن ، فبعضه نزل بلغة قريش ، وبعضه نزل هذيل ، وبعضه بلغة تميم .. وهكذا الى السبعة .

والى هذا الرأى ذهب ابو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) وتبعه فيه ابو حاتم السجستانى (ت ٢٥٠) واحمد بن يحى ثعلب (ت ٢٩١) واختاره الازهرى (ت ٣٧٠) (٣١) وتبعهم آخرون (٣٢) .

قال ابو عبيد فى بيان رأيه : « قوله : سبعة احرف » يعنى سبع لغات من لغات العرب ، وليس معناه ان يكون فى الحرف الواحد سبعة

أوجه ، هذا ما لم نسمع به قط ، ولكن نقول هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن ، فبعضه نزل بلغة قريش ، وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة هوزان ، أهل اليمن وكذلك سائر اللغات ، ومعانيها في هذا كله واحدة ٠ وفيما يبين ذلك قول ابن مسعود : اني قد سمعت القراء فوجدتهم متقاربين فاقرأوا كما علمتم ، انما هو كقول احدكم : هلم وتعال ٠ كذلك قال ابن سيرين : انما هو كقولك : هلم وتعال واقبل ، ثم فسره ابن سيرين ،فقال في قراءة ابن مسعود : « ان كانت الا زقية واحدة » وفي قراءتنا : « ان كانت الاصيحة واحدة » (٣٣) فالمعنى فيها واحد ، وعلى هذا سائر اللغات » ٠

وقال ايضا : « ولا يكون المعنى في السبعة الاحرف الا على اللغات، لا غير ، بمعنى واحد ، لا يختلف فيه في حلال ولا حرام ولا خبر ولا غير ذلك » (٣٤) ٠ واعترض ابن قتيبة وغيره على هذا الرأى ، وقالوا : لم ينزل القرآن الا بلغة قريش ، لقوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه » (٣٥) وبأن لغات العرب من سبعة ، وليس هناك ما يرجع لغة على لغة ، ولم ينقل نص صحيح في ذلك ، فيكون اختيار اللغات السبع تحكم بلا دليل ، ٠

واستبعد ابن عبد البر « أن يكون معنى سبعة احرف سبع لغات ، لانه لو كان كذلك لم ينكر القوم بعضهم على بعض في أول الامر ، لان ذلك من لغته التي طبع عليها ، وايضا فان عمر بن الخطاب وهشام ابن حكيم كلاهما قرشي،وقد اختلفت قراءتهما ، ومحال أن ينكر عليه عمر لغته (٣٦)

٢ ــ ان المراد بالاحرف السبعة سبعة أوجه من المعاني المتفقة بالالفاظ المختلفة ، نحو أقبل ، وهلم ، وتعال ، وعجل ، واسرع ، وأنظر واخر ، وأمهل ٠٠ ، ذهب الى هذا الرأى سفيان بن عيينة (ت ١٩٨) وعبد الله ابن وهب (ت ١٩٧) وابو جعفر الطحاوى (ت ٣٢١) وغيرهم (٣٧)٠

وقال الطبرى في بيان هذا الرأى : « السبعة التي انزل بها القرآن هي لغات سبع ، في حرف واحد ، وكلمة واحدة ، باختلاف الالفاظ واتفاق المعاني ، كقول القائل : هلم ، واقبل ، وتعال ، واتي ، والى ، وقصدى ، ونحوى ، وقربى ، ونحو ذلك مما تختلف فيه الالفاظ بضروب من المنطق، وتتفق فيه المعاني ، وان اختلفت بالبيان به الالسن » ٠

واستدرك الطبرى مقررا : « انا لم ندع أن ذلك موجود اليوم ، وانما اخبرنا ان معنى قول النبى ــ ص ــ : «انزل القرآن على سبعة احرف » على نحو ما جاءت به الاخبار التى تقدم ذكرها ، وان القراءة الان على حرف واحد دون الستة الاخرى باختيار الامة ذلك ··· » (٣٨) ·

وواضح أن هذا الرأى يعنى ان الاحرف السبعة هى لغات سبع فى الكلمة الواحدة ، وان كل ما يقرأ به الان هو حرف واحد من الاحرف السبعة ، واما الاحرف الستة الباقية فمرفوضة باجماع الامة ، وكأنها كانت رخصة مؤقتة ، واما الرأى السابق فقد فسرها بسبع لغات متفرقة فى القرآن ، ورفض تفسيرها بسبعة أوجه « لغات » فى الكلمة الواحدة ·

قال ابن عبد البر « اجمعوا على أن القرآن لا يجوز فى حروفه وكلماته وآياته كلها أن تقرأ على سبعة أحرف : ولا شىء منها ، ولا يمكن ذلك فيها، بل لا يوجد فى القرآن كلمة تحتمل أن تقرأ على سبعة أوجه الا قليل ، مثل « وعبد الطاغوت » «وتشابه علينا»(٤٠) و«عذاب بئيس » (٤١) ونحوه ٤٢٠

وقد استغل بعض المستشرقين هذا الرأى فى ادعاء أن القرآن تعرض للتحريف بسبب قراءة بالمعنى ، وقالوا : « ان نظرية القراءة بالمعنى كانت بلا ريب أخطر نظرية فى الحياة الاسلامية ، لانها أسلمت النص القرآنى الى هوى كل شخص ، يثبته على ما يهواه » (٤٣) ·

وفى هذا حمل للنصوص على غير وجهها الحقيقى ، فليست النظرية هنا مما يصح حقا أن يسمى « القراءة بالمعنى » (٤٤) ، كما نفهمه مثلا في رواية الحديث بالمعنى (٤٥) ، اذ «القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان فالقرآن هو الوحى المنزل على محمد ــ ص ــ للبيان والاعجاز ، والقراءات هى اختلاف الفاظ الوحى المذكور في كتابة الحروف أو كيفيتها ، من تخفيف وتثقيل وغيرها » (٤٦) ·

فاذا صح أنه ــ عليه السلام ــ وسع على المسلمين فى أول الامر ، وراعى التخفيف على العجوز والشيخ الكبير (٤٧) ، وأذن لكل منهم أن يقرأ عليه حرفه ، أى على طريقته فى اللغة ، لما يجده من المشقة فى النطق بغير لغته ، فليس معنى هذا انه كان يأذن لهم باثبات هذه القراءات

وكتابتها على انها حروف نزل عليها القرآن واذن : فيما كانت توسعته عليه السلام ــ فى هذا النوع من القراءة الا تخفيفا على بعض الافراد فى حالات خاصة ، واما ما أذن فيه من هذه الحالات باثباته واقر كتبة الوحى عليه فهو محفوظ بطريق التواتر فى احرف قليلة معدودة يرفض ما عداها، ولو جاء من طريق صحيح أحادى ، لان التواتر شرط في اثبات القرآنية (٤٨) ، فتعميم هذه الحالات الفردية على جميع الاحرف السبعة كانها ضرب من القراءة بالمعنى ، لا يمكن أن يقتصر عليه في فهم الحديث (٤٩) ٠

٣ ــ ان المراد بالاحرف السبعة سبعة اوجه من اختلاف القراءات ، فى القرآن ، أى انها لا تتوارد على الكلمة الواحدة ، والى هذا الرأى ذهب ابن قتيبة (٢٧٦) وبذل جهدا فى تصنيف وجوه القراءات على وفق منهجه هذا ، واقتفى اثره ــ مع اختلافات يسيرة ــ كثيرة ممن جاءوا بعده ٠

قال ابن قتيبة فى بيان رايه : « وقد تدبرت وجوه الخلاف فى القراءات فوجدتها سبعة أوجه » (٥٠) :

١ ــ الاختلاف فى اعراب الكلمة ، أو فى حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها فى الكتاب ولا يغير معناها ، كقوله تعالى : « هن أطهر لكم » (٥١) وقرئت بالنصب : « هن أطهر لكم » ٠

٢ ــ الاختلاف فى اعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغير معناها ، ولا يزيلها عن صورتها في الكتابة ، كقوله تعالى : « ربنا باعد بين أسفارنا » (٥٢) وقراءة : ربنا باعد ٠٠ »

٣ ــ الاختلاف فى حروف الكلمة دون اعرابها بما يغير معناها ، ولا يزيل صورتها ، كقوله تعالى : « كيف ننشزها » (٥٣) وقراءة « ننشرها »

٤ ــ الاختلاف فى الكلمة بما يغير صورتها فى الكتاب ولا يغير معناها ، كقوله تعالى : « ان كانت الا صيحة » (٥٤) وقراءة «الا زقية» ٠

٥ ــ الاختلاف فى الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها ، نحو قوله تعالى « وطلح منضود » (٥٥) وقراءة « وطلع منضود » ٠

٦ ـ الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو قوله تعالى : « وجاءت سكرة الموت بالحق » (٥٦) ، وقراءة « وجاءت سكرة الحق بالموت » ٠

٧ ـ الاختلاف بالزيادة والنقصان ، نحو قوله تعالى « له تسع وتسعون نعجة » (٥٧) ٠ وقراءة « نعجة انثى » ٠

واستطرد قائلا : وكل هذه الحروف كلام الله تعالى ، « نزل به الروح الامين » على رسوله ـ عليه السلام ـ فالهذلى يقرأ : « عتى حين » يريد « حتى حين » لانه كان يلفظ بها ويستعملها ، والاسدى يقـــرأ : « تعلمون وتعلم » و « تســـود وجوه » (٥٨) و « ألـــم أعـــهد اليكم » (٥٩) ٠ والتميمى يهمز ، والقرشى لا يهمز ، والاخر يقرأ « اذا قيل لهم » (٦٠) و « غيض الماء » (٦١) باشمام الضم مع الكسر ، و «هذه بضاعتنا ردت الينا » (٦٢) باشمام الكسر مع الضم و « مالك لا تأمنا» (٦٣) باشمام الضم مع الادغام ، وهذا ما لا يطوع به كل لسان (٦٤) ٠

وهذا التفسير من ابن قتيبة يعتمد فى الواقع على ما فى بعض روايات الحديث من اشارة الى اسباب اباحة القراءة على سبعة احرف ، وصورة الخلاف بينها ، الى جانب انه قد صنف وجوه الخلاف في القراءات، بادئا من ابسط صور الخلاف ، متدرجا الى اكثر بعدا عن القراءة المشهورة (٦٥) ٠

والثلاثة الاولى من وجوه الخلاف لا تناقض النص المجمع عليه فى مصحف عثمان ، والاربعة الاخيرة تخالف الرسم العثمانى ، اذا كان الخلاف من أولها منحصرا فى احلال كلمة مكان كلمة بمعناها ، وفى ثانيها ابدال صوت من صوت ، يتغير به المعنى ، وفى ثالثها مخالفة فى ترتيب الكلمات عن المعهود المشهور ، وفى رابعها زيادة أو نقص عن النص المشهور ٠ وكل ذلك داخل فى مفهوم الاحرف السبعة ، والمهم فى نظر ابن قتيبة الا يبلغ الخلاف حد التضاد ، والا خرج عنها ، وحرمت القراءة بها ، وانما يجوز أن يكون اختلاف تغاير ، يتحد به معنى النص ولا يتناقض (٦٦) ٠

الاتجاه الثانى : ـ

عرفنا أن بعض العلماء ذهبوا الى أنه ليس المراد بالسبعة الحصر ، وانما التيسير والتسهيل والتوسعة ٠

قال ابن الخزرى : « وقيل ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد ، بحيث لا يزيد ولا ينقص ، بل المراد السعة والتيسير ، وانه لا حرج عليهم في قراءته بما هو من لغات العرب ، من حيث أن الله تعالى اذن لهم فى ذلك ٠ والعرب يطلقون لفظ السبع والسبعين والسبعمائة ، ولا يريدون الكثرة والمبالغة من غير حصر ٠٠ ، وهذا جيد لولا أن الحديث يأباه » (٦٧) ٠

وقد مال الى هذا الرأى القاضى عياض (ت ٥٤٤) (٦٨) ، واليه نميل ، واختاره بعض المعاصرين ٠ ومنهم الدكتور عبد الصبور شاهين ، وقد عرض الرأى عرضا مقنعا فى كتابه « تاريخ القرآن » (٦٩) وهذا ملخصه : مهد الدكتور لاختياره هذا الرأى بذكر ثلاث ملاحظات هامة :

قرر فى الاولى ، أن زمن الترخيص بقراءة القرآن على سبعة أحرف لم يكن فى الفترة المكية ، حيث كان مجموع المؤمنين كلا متجانسا ، أغلبهم من قريش ، وعددهم محدود ، واتصالهم بالنبى ، المعلم الاول ، دائم ، فهم من كل وجه ـ عددا ، ونوعا ، وظرفا ـ قادرون على تلاوة القرآن صحيحة سالمة من الغلط ، من هنا لم تنشأ اختلافات فى النص القرآنى ، تحتم مواجهتها كمشكلة فى هذه الفترة ، وانما ظهرت خلال الفترة المدنية حيث كان المؤمنون فى ازدياد ، ومن مختلف القبائل العربية ، فضلا عن ان المجتمع المدنى كان خليطا من العرب واليهود ، كذلك كانت اعمـــار المؤمنين تتفاوت ، واكثرهم من الكبار الذى فاتهم عهد التعلم ، والنبى فوق ذلك كله مشغول بمسئوليات هائلة فى التوجيه والتنظيم ، والحكم ، والحرب والسلام ٠٠ ، فلم يعد من السهل على كل مسلم ان يتلقى القرآن من النبى مباشرة ، بل من استطاع أن يظفر بقطعـة أو بقطعتين من فم النبى فقد واتاه خير كثير ، وليقرأ بقدر ما تسعفه ذاكرته ، ولهجته ، فى حدود ما علمه الرسول ـ ص ـ ٠ هذه الظروف الجديدة هى التى اقتضت سن هذه الرخصة فى تلاوة القرآن ، وهى موقوتة ببقاء مقتضياتها

زائلة بزوال اسبابها ، اى بعودة الحياة الى مستوى من الاستقرار والتجانس، قريب من مستوى العهد المكى ٠ وهو ما لم يحدث الا على عهد عثمان ٠

وقرر في الثانية ، اهم الاسباب الباعثة على الترخيص ، منها :

أ ـ الاختلاف في اللغة ، كالهمز وعدمه ، والامالة وسواها ، والفك والادغام ٠٠ ،

ب ـ الاختلاف في بعض المفردات ، كقولك : هلم ، وتعالى ، واقبل ٠٠ ،

حـ ـ الاختلاف الناشيء عن العجز في النطق بسبب صغر السن ، أوالشيخوخة، أو الجهل ٠٠ ،

وقرر في الثالثة ، ان الترخيص بقراءة القرآن على سبعة احرف ، كان غير مطلق أى أنه ليس لكل فرد ان يقرأ القرآن على سبعة احرف ، وانما يلزم كل فرد ان يقرأ ما لقنه معلمه ـ النبى أو أحد الصحابة دون أن يحاول تقليد غيره في قراءته اولا ، ودون أن يحاول فرض قراءته على غيره ثانيا ، ومن هنا كان تصويبه ـ ص ـ لكل من قرأ بحضرته ، برغم اختلافهم ٠ وقال بعد ذلك : « فالذى نرجحه في معنى الاحرف السبعة : ـ مايشمل اختلاف اللهجات ، وتباين مستويات الاداء ، الناشئة عن اختلاف السن ، وتفاوت التعليم ، وكذلك ما يشمل اختـــلاف بعض الالفاظ ، وترتيب الجمل بما لا يتغير به المعنى » (٧٠) ٠

وبسبب ترجيحه هذا ، في هدى ما مر من ملاحظات ، وبعدم ورود نص أو أثر يحدد المراد من الاحرف السبعة ، ولتقبل الصحابة ـ وهم اكثر الناس معاناة للمشكلة ـ الامر على انه من باب التوسعة والتيسير ٠

اذن : فدلالة العدد ، هنا غير مرادة لذاتها ، ومن مجانبة التوفيق أن نحاول حصر الاحرف السبعة بسبع لغات مجتمعة أو متفرقة ، معينة أو شائعة ، أو أن نحدد مستويات سبعة للاختلاف لتفسير المراد بالاحاديث ، فكل ذلك خبط بغير دليل (٧١) ٠

وبهذا يتفق الدكتور مع من يقول بالغاء هذه الرخصة ، في عهد عثمان ، بعد جمع القرآن ، وكتابة المصاحف ٠

كما يتفق مع من يقول ببقاء روح هذه الرخصة الى اليوم ، يقرأ في حدودها المسلمون من شتى الاجناس ، على اختلاف السنتهم فى الماضى والحاضر والمستقبل (٧٢) ، ولكنه لا يعد ذلك من الاحرف السبعة ، بل من روح التيسير التى تميز به الاسلام (٧٣) ٠

خاتمـــــة

في خاتمة بحثنا فى هذا الموضوع الشائك ، أود أن انبه الى امرين :ـ

أولهما : بعد أن عرفنا أن الحكمة من نزول القرآن على سبعة احرف، هى التيسير والتسهيل ، ورفع الحرج عن فئات من المسلمين كانت تجد مشقة فى قراءتها النص القرآنى ، على حسب نطق النبى ـ ص ـ نضيف ـ هنا ـ أن تلك الرخصة كانت قاصرة على التلاوة ، ولم تشمل كتابة النص القرآنى ، فالثابت من روايات كتابة القرآن فى حياة النبى ـ ص ـ أن كتبة الوحى كانوا يكتبون نص القرآن ، كما يمليه النبى ـ ص ـ بلسان قريش ، أى ان الكتابة لم تكن كالقراءة على سبعة أوجه ، لسبب بديهى هو أن دلالة الاحرف السبعة لا يمكن ضمها فى رمز خطى ، وقد تمت عملية الكتابة فى مكة بيد كتاب قريشيين ، وفى المدينة بيد جماعة من الانصار، ولم تكن بين الحيين فروق تذكر » (٧٤) ٠

ثم أن الصحف التى جمعت فيها القرآن فى خلافة ابى بكر ، اعتمدت اساسا على ما كتب بين يدى النبى ـ ص ـ وعلى حسب نطقه واملائه ٠ ولما تمت عملية نسخ المصاحف من تكلم الصحف فى خلافة عثمان ، كان التأكيد كبيرا على كتابتها على حسب نطق النبى واملائه ٠

فكتابة المصاحف اذن ، كانت بعيدة عن آثار رخصة الاحرف السبعة ، ولهذا ما ان عممت تلكم المصاحف على الامصار حتى ترك الناس كل قراءة جاءت مخالفة لها أو لا يحتملها رسمها (٧٥) ٠

وثانيهما : ليس المقصود بالاحرف السبعة قراءة معينة من القراءات التى تنسب الى قارىء معين ، بل أن الاحرف جاءت لتشير الى الرخصة التى نجد اثارها فى وجوه القراءات ـ عامة ـ التى ثبت نقلها ٠ اما ما يسمى

بالقراءات السبعة فانها لم تعرف على هذا النحو الا رأس المائة الرابعة من الهجرة ، حيث اختار الامام ابو بكر احمد بن مجاهد (ت ٣٢٤) قراءة سبعة من ائمة القراء فى الامصار الاسلامية ، ووضع فى قراتهم كتابـــه المشهور باسم « السبعة » (٧٦) ٠

هوامش البحث

١ ـ يوسف /٢

٢ ـ الدخان /٢٨

٣ ـ ابراهيم /٤

٤ ـ وانظر : ابن حجر /فتح البارى حـ٩ ص ٢٧

٥ ـ البخارى / الجامع الصحيح حـ٦ ص ٢٢٤

٦ ـ د٠ ابراهيم انيس / فى اللهجات العربية ص ١٦

٧ ـ انظر ابن حجر / فتح البارى ٢٨/٩

٨ ـ تاويل مشكل اعراب القرآن ص ٢٨

٩ ـ انظر روايات حديث الاحرف السبعة فى تفسير الطبرى حـ ١ ص٢١ وقد احصاها الدكتور عبد الصبور شاهين في ملحق كتابه تاريخ القرآن ص ٢٢٩ ـ ٢٤٥ وانظر ملاحظاته ونقد الاستاذين احمـد ومحمود شاكر لاسانيد وروايات الحديث ص ٢٥ ـ ٣٢ ٠

ثم انظر : تلكم الاحاديث ووجه الاستشهاد منها في مناهل العرفان للزرقانى حـ١ ص ١٣٨ ـ ١٤٥ ٠

١٠ـ ساوره : وثب عليه : أى كدت اثب عليه ٠

١١ـ اللبب : موضع القلادة ، وما يشد من سيور السرج فى اللبة ٠

واللبة : المنحر ، الفيروز آبادى / القاموس المحيط/مادة لبب

١٢ـ منهم : عمر ، وعثمان ، وابو بكرة ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وابو سعيد الخدرى وابن طلحة الانصارى ، وابى بن كعب ، وزيد بن أرقم ، وسمرة بن جندب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعمرو بن ابى سلمة ، ومعاذ بن جبل ، وهشام بن حكيم ، وانس ، وحذيفة ... ،

١٣ـ السيوطى / الاتقان حـ١ ص ٧٨ و د . عبد الصبور شاهين / تاريخ القرآن ص ١٩٣ ثم انظر : تعليق الدكتور عبد الصبور شاهين على رأى المحقق الخوئى فى كتابه/ تاريخ القرآن ص ٣٠ .

١٤ـ نفسه .

١٥ـ السيوطى / الاتفاق حـ ١ ص ٧٨

١٦ـ مذاهب التفسير الاسلامى ص ٥٤

١٧ـ انظر : رأيه من روايات الحديث ونقده لها فى كتابه البيان فـــى تفسير القرآن ص ١٩٣

ثم انظر : تعليق الدكتور عبد الصبور شاهين على راى المحقق الخوئى فى كتابه / تاريخ القرآن ص ٣٠

١٨ـ اصول الكافى ، كتاب فضل القرآن . باب النوادر ـ الروايتان ١٣ ١٣ وقد قرر شارح الروايتين ، الشيخ عبد الحسين المظفر فى كتابه الشافى فى اصول الكافى ، كتاب فضل القرآن حـ٧ ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ أن الامام ـ ع ـ انما كذب ما فهم من المراد بالاحـــرف السبعة ، اختلاف القراءة ، وان تكذيب الامام لا ينافى تفسير الحديث بسبع لغات من لغات العرب أو بغير ذلك . وعلى هذا فالامام لم ينف اصل الحديث ، وانما رفض تفسيره بتعدد القراءة ، وانظر : الزبخانى/ تاريخ القرآن ص ٣٥ ـ ٣٨ حيث اورد حديث الاحرف السبعة واجتهد فى شرح معناه .

١٩ـ المحقق الخوئى/ البيان ص ١٩٤ ـ ١٩٥

٢٠ـ انظر الدكتور عبد الصبور شاهين /تاريخ القرآن ص ٣١

٢١ـ الزرقانى /مناهل العرفان حـ١ ص ١٣٨ ـ ١٤٢

٢٢ـ النشر فى القراءات العشر حـ ١ ص ٢١ والحديث جاء فى الصحيحين انظر صحيح البخارى حـ ٣ ص ٢٢٦ وصحيح مسلم حـ ١ ص ٥٦١

٢٣ـ النساء/١٢

٢٤ـ البقرة/ ٢٢٢

٢٥ـ المائدة/ ٦

٢٧ـ القارعة/٥

٢٨ـ الزركشى / البرهان حـ١ ص ٢١٢ وقد نسبه الى ابى حاتم بن حبان البستى ٠

٢٩ـ السيوطى / الاتقان حـ ١ ص ٧٨ ٠

٣٠ـ الزركشى / البرهان حـ ١ ص ٢١٢ ، وصحى الصالح/مباحث فى علوم القرآن ص ١٠٣

٣١ـ الزركشى/البرهان حـ ١ ص ٢١٧ ، وانظر : الزرقانى/مناهل العرفان حـ ١ ص ١٧٣

٣٢ـ السيوطى / الاتقان حـ ١ ص ١٣٥

٣٣ـ يسين / ٢٩

٣٤ـ غريب الحديث حـ ٣ ص ١٥٩ ـ ١٦١ من غانم قدورى حمد/ محاضرات فى عموم القرآن حـ ٢ ص ٨٥

٣٥ـ ابراهيم / ٤

٣٦ـ الزركشي / البرهان حـ ١ ص ٢٢٠ والسيوطي / الاتقان ١٣٤ ٠

٣٨ـ تفسير الطبري حـ ١ ص ٥٧ ـ ٥٩ ، والزرقاني/ مناهل العرفان حـ ١ ص ١٦٧

٣٩ـ المائدة /٦٠

٤٠ـ البقرة/٧٠

٤٢ـ الزركشي / البرهان حـ ١ ص ٢٢٣

٤٣ـ الدكتور صبحي الصالح / مباحث في علوم القرآن ص ١٠٨ ، عن عن المستشرق بلاشير في تاريخ الادب العربي ٠

٤٤ـ انكر ابن الجزري في كتابه « النشر في القراءات العشر » القراءة بالمعنى فقال : « أما من يقول بأن بعض الصحابة ، كابن مسعود يغير بالمعنى فقد كذب عليه ٠ انما قال : نظرت القراء فوجدتهم متقاربين فاقرأوا كما علمتم » ٠

٤٥ـ د٠ صبحي الصالح / مباحث في علوم القرآن ص ١٠٧

٤٦ـ الزركشي / البرهان حـ ١ ص ٣١٨ ٠

٤٧ـ يشهد لهذا « ما رواه الترمذي عن ابي بن كعب انه لقي رسول الله ـ ص ـ جبريل فقال : « يا جبريل ، اني بعثت الى امه اميين ، منهم العجوز ، والشيخ الكبير ، والغلام ،والجارية ،والرجل الذي لم يقرأ كتابا قط » فقال : يا محمد ، ان القرآن انزل على سبعة أحرف » الزركشي / البرهان حـ ١ ص ٢٢٧ ٠

٤٨ـ الزركشي / البرهان حـ ٢ ص ١٢٥

٤٩- الدكتور صبحي الصالح / مباحث في علوم القرآن ص ١٠٨

٥٠- تاويل مشكل اعراب القرآن ص ٢٨ - ٣٠ عن الدكتور عبد الصبور شاهين/ تاريخ القرآن ص ٣٣ - ٣٤ وانظر الزرقاني / مناهل العرفان حـ ١ ص ١٥١ - ١٥٢ وانظر : مقدمة ابن عطية ص ٢٦٤ - ١٦٥ .

٥١- هود / ٧٨ .

٥٣- البقرة / ٢٥٩

٥٤- يسين /٢٩

٥٥- الواقعة / ٢٩

٥٦- ق / ١٩

٥٧- ص / ٢٣

٥٨- آل عمران / ١٠٦

٥٩- يسين / ٦٠

٦٠- البقرة / ١١

٦١- هود / ٤٤

٦٢- يوسف / ٦٥

٦٣- يوسف / ١١

٦٤- تاويل مشكل القرآن ص ٢٩ - ٣٠ وانظر / الزرقاني / مناهل العرفان حـ ١ ص ١٥٥

٦٥- الدكتور عبد الصبور شاهين / تاريخ القرآن ص ٣٥

٦٦- السابق وقد اشار الى تاويل مشكل القرآن ص ٣١ ٠

٦٧- النشر فى القراءات العشر حـ ١ ص ٢٥

٦٨- السيوطى / الاتفاق حـ ١ ص ١٣١

٦٩- ص ٣٩ - ٤٤

٧٠ - د٠ عبد الصبور شاهين / تاريخ القرآن ص ٤٣

٧١- نفسه ٠

٧٢- الدكتور ابراهيم انيس / اللهجات العربية ص ٤٧

٧٣- تاريخ القرآن ص ٤٤

٧٤- الدكتور عبد الصبور شاهين / تاريخ القرآن ص ٥٤ ، ٤٧ ، ٤٤
والشيخ حسنين مخلوف / البيان فى علوم التبيان ص ٩٣ ، ٩٤
٧٥- انظر : غانم قدورى حمد / محاضرات فى علوم القرآن ص ٩٣ - ٩٤

٧٦- نفسه ص ٩٨

أهم مصادر البحث

١ - اجنتس جولد تسهر

مذاهب التفسير الاسلامى ، مطبعة السنة المحمدية ، مصر ١٩٥٥ ؛
ترجمة الدكتور عبد الحليم النجاد ٠

٢ - السيد ابو القاسم الموسوى الخوئى

البيان فى تفسير القرآن ، الطبعة الثانية ، مطبعة الاداب فى النجف
٣ ـ عبد الحسين المظفر •

الشافى فى شرح اصول الكافى ، مطبعة الغرى الحديثة فى النجف •

٤ ـ الدكتور صبحى الصالح

ماحث فى علوم القرآن ، الطبعة العاشرة ، دار العلم للملايين ، بيروت •

٥ ـ عبد الحق بن عطية

مقدمة تفسيره المسمى الجامع المحرر ، تحقيق آرثر جعفرى ، وعبد الله الصاوى ، الطبعة الثانية ، مطبعة دار الصاوى ـ مصر •

٦ ـ غانم قدورى حمد

محاضرات فى علوم القرآن ، مطبوعة بالرونيو

٧ ـ ابو عبد الله الزبخانى

تاريخ القرآن ، الطبعة الثالثة ١٩٦٩ ، مؤسسة الاعلمى ، بيروت
٨ ـ الدكتور عبد الصبور شاهين

تاريخ القرآن ، الطبعة الاولى ، دار القلم بيروت ١٩٦٦ م

٩ ـ ابو جعفر محمد بن جرير « الطبرى »

جامع البيان عن تأويل القرآن ـ تحقيق وتعليق محمود محمد شاكر ومراجعة احمد محمد شاكر ـ دار المعارف ١٣٧٤ هـ •

١٠ـ محمد بن عبد الله الزركشى

البرهان في علوم القرآن ـ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم،الطبعة الثانية ، عيسى البابى الحلبى

١١ ـ محمد عبد العظيم « الزرقانى »

مناهل العرفان في علوم القرآن ، طبعة عيسى البابى الحلبى

١٢ـ الدكتور ابراهيم انيس

فى اللهجات العربية ـ الطبعة الثانية ١٩٥٢ والثالثة ١٩٦٥ م

١٣ـ شمس الدين محمد ابن الجزرى

النشر فى القراءات العشر ـ نشر باشراف عـــلى محمد الضباع ، الطبعة الاولى •

١٤ـ محمد بن يعقوب « الفيروزابادى »

القاموس المحيط ، مؤسسة الحلبى وشركاه ـ القاهرة •

١٥ـ محمد بن عبد الله بن مسلم « ابن قتيبة »

تاويل مشكل القرآن ـ بشرح وتحقيق السيد احمد صقر ـ الطبعة الاولى ١٩٥٤

١٦ـ ابو حامد محمد « الغزالى »

المستتصفى من علم الاصول ، لاالطبعة الاولى ١٩٣٧ م ، مطبعـــة مصطفى محمد •

١٧ـ عبد الفتاح القاضى

تاريخ المصحف ، مطبعة المشهد الحسينى •

١٨ـ محمد فؤاد عبد الباقى

المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، دار مطابع الشعب •

١٩ـ محمد بن اسماعيل « البخارى »

صحيح البخارى ، دار احياء التراث العربى ، بيروت .

٢٠ـ « مسلم » بن الحجاج القشيرى

صحيح مسلم ، مطبعة محمد على صبيح ـ مصر .

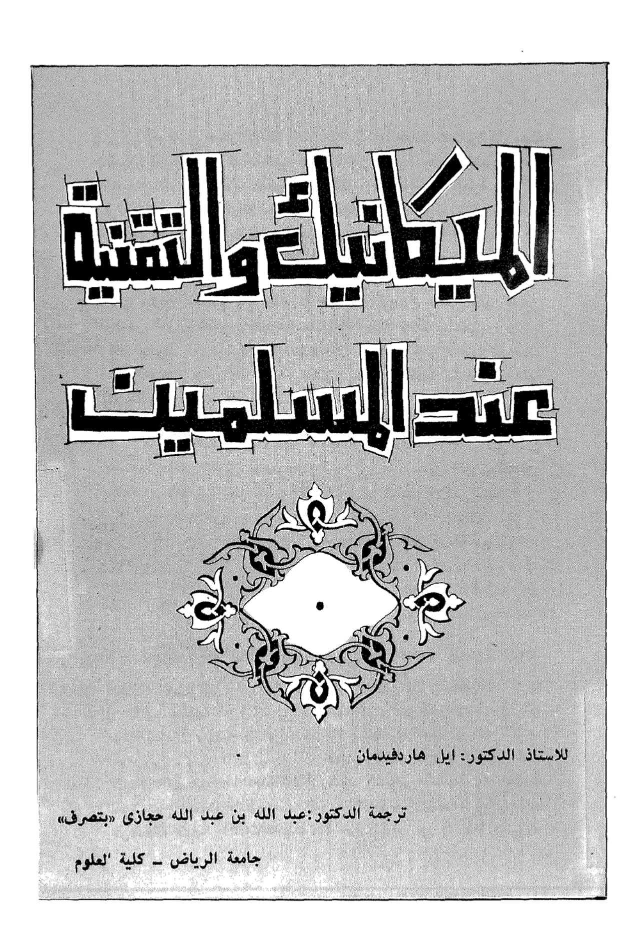
٢١ـ محمد حسنين « مخلوف »

عنوان البيان فى علوم التبيان ، الطبعة الثانية ١٩٦٤ م ، مطبعة البابى الحلبى بمصر .

يسر الدارة أن تنشر اعتبارا من عددها القادم الجزء الاول من البحث الذى اعده الدكتور عبد الله محمد سندى عن المغفور له الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز والتضامن الاسلامى

وقد سبق للباحث أن قدم هذا البحث باللغة الانجليزية فى مؤتمر الملك فيصل الذى عقد فى مدينة سانت باربارا بولاية كاليفورنيا الامريكية ، خلال الفترة من ٤ ـ ٦ جمادى الآخرة ١٣٩٨ هـ الموافق ١١ ـ ١٣ مايو ١٩٧٨ م .

والجدير بالذكر أن الدكتور عبدالله محمد سندى احد الكفـــاءات الوطنية التى تعتز بها الدارة ، فقد حصل سعادته على درجة الدكتوراه ، وأعد البحث من واقع رسالته العلمية .


الميكانيك والتقنية
عند المسلمين
للاستاذ الدكتور: ايل هاردفيدمان
ترجمة الدكتور: عبد الله بن عبد الله حجازى «بتصرف»
جامعة الرياض ـ كلية العلوم

ذكرنا في صدر المقالة التى نشرت في العدد السابق من مجلة الدارة ان فديمان له مقالات كثيرة : في تاريخ العلوم الطبيعية عند المسلمين ، نقلها عن المخطوطات والكتب العربية واللاتينية المتوفرة في مكتبات المانيا وغيرها من البلدان الاوربية ، نشرها ــ في حينها ــ في عدد من المجلات باللغة الالمانية ثم جمعتها ــ بعد وفاته بنحو ٤٢ عاما ــ دار النشر اولمز بمجلدين ضخمين ٠

يتبين للمطلع على هذه المقالات ان فيدمان ، لم يكن يكتفى بالنص العربى الذى يأخذه عن مخطوطة معينة أو كتاب معين ، وانما كان يضيف كل ما يجده في مخطوطات وكتب اخرى ، مما له صلة بالموضوع ، ومن هنا كانت مقالاته ــ في معظمها ــ طويلة غنية بالاستشهاد والاستطراد والتعليق ٠

من هذه المقالات ، المقالة السادسة في المجلد الاول ، التى نحن بصددها والتى تشمل موضوعات كثيرة ، ننشر منها الجزء المتعلق بالالات والادوات حيث تشغل الات الحروب القسم الاكبر منها ٠

ولقد نقل فديمان النص العربى عن كتاب « مفاتيح العلوم للخوارزمى » الذى نشره G. van Vloten عام ١٨٩٥ م في ليدن ٠ وقدمه فيدمان ، في مقالته هذه ، للقارىء الالمانى على النحو التالى :

« لقد كان (١) مفاتيح العلوم وليد الحاجة الملحة في نهاية

الحقبة الاصلية من الاداب الاسلامية ،لتعريفات مختصرة مركزة في العلوم جميعها او في اكبر عدد منها ٠ وهو اقدم كتاب من مثل هذه الكتب ٠ ينسب الى ابى عبد الله محمد بن احمد يوسف الكاتب الخوارزمى » (ب) ٠ ثم يذكر ان الكتاب يشمل شروحا لالفاظ فنية عديدة ، جملت Van Vloten يضيف لعنوان الكتاب : « الكتاب الذى يشرح الفاظ العلوم عند العرب والعجم » ويزيد فديمان مقتبا من مقالة كتبها H. Hirschfeld عن الكتاب فى (المجلة الاسيوية

الاجتماعية الصادرة عام ١٨٩٥ م ص ٧١٢) ما يلى : لا يمثل الكتاب صورة للسرعة الفائقة التى هيمن الدارسون العرب ، في مدة وجيزة من نموالعلوم الاسلامية ، على كل موضوع ، يمكن ان يكون بحد ذاته مجالا للبحث، فحسب ، بل يمثل ـ كذلك ـ تقدما فى المنهج ، الذى يتفوق على الكتب المماثلة الاخرى ، ككتاب التعريفات الذى (يبحث المسائل الفقهية والفلسفية واللغوية ·) ·

يشمل ـ كما يذكر فيدمان ـ كتاب المفاتيح من مقالتين ، تتألف المقالة الالى من ستة ابواب والثانية من تسعة ابواب ، مشيرا الى ان المقالة الثانية مهمة بالنسبة للباحث الطبيعى والرياضى · ولقد اختار هو منها الباب الثامن الذى يبحث : في الحيل (٢) ، فنقله الى اللغة الالمانية ·

هذا وقد نهج فيدمان في ترجمة هذا الباب ، وضع نص المفاتيح ثم التعليق عليه ، كما اعطى كل لفظ رقما معينا كما يأتى :

الفصل الاول

في الالفاظ التى يستعملها اهل الحيل في الاثقال بالقوة اليسيرة

صناعة الحيل : يسمى باليونانية منجاقون μηχανική واحد اقسامها جر الاثقال بالقوة اليسيرة فمن الالفاظ التى يستعملها اصحاب هذه الصناعة (١) البرطيس : وهو فلكة كبيرة (دولاب كبير) يكون في داخلها محور تجر بها الاثقال ، تفسيرها باليونانية : المحيطة ·

لقد وردت هذه الكلمة في مخطوطات المفاتيح بصور متنوعة ، اما في حيل ايرن فورد بلفظ أقرب للأصل اليونانى « بريطيطس περιτρόχιον» ثم ذكر : وتاويلها المحيطة · كما في المفاتيح · اما رضوان فيذكر دولابا أو دائرة ولا يذكر كلمة فلكة ، كذلك كلمة قطب بدل كلمة محور ·

لقد وردت كلمة فلكة في كتاب « المقرى » بصيغة الجمع (فلك) وتعنى عنده العجلة الكبيرة او الخشبة المدورة التى كانت توضع تحت عربة نقل الرخام من مقالع قرطبة وحتى مسجد قرطبة (المقرى ج ١ ص ٣٦٥) ·

كذلك وردت كلمة محور في الاضطرلابات ، حيث يقوم على المحور الاجزاء المتنوعة القابلة للدوران ، وهي مثبتة بقضيب يعترض المحور ويستند عليه في احدى نهايته ، يسمى هذا القضيب ـ كما يوحي شكله ـ فرسا ، الاسم الذى يتكرر في ساعة رضوان • أما صاحب المفاتيح فيعرف الفرس في فصل « علم الهيئة ص ٢٣٥ » بأنها : قطعة شبيهة بصـــورة الفرس ، يشد بها العنكبوت على الصفائح »•

هذا وغالبا ما تستعمل كلمتا قطب ومحور في جملة واحدة ولغرض واحد دون التميز بينهما •

(٢) المحل (الرافعة وهى باليونانى μόχλος) خشبة مدورة أو مثمنة تحرك بها الاجسام الثقيلة بأن يحضر تحت الشيء الذى يحتاج الى تحريكه ويوضع فيه رأس المخل ثم يكبس الرأس الاخر فيستقل الجسم الثقيل •

جاء في ملاحق Dozy (م ص ٥٧٢) ان معنى كلمة مخل في القاموس العربى هو « آلة طويلة من حديد ونحوه تقلع بها الحجارة • »

أما في حيل ايرك فقد وردت الكلمة بتفصيل اوسع ، الا أنه استعمل كلمة « طرف » بدل كلمة « رأس » •

(٣) البيرم ، أصناف المخل ويقال : البارم أيضا ، والمخل لفظـة يونانية والبارم فارسية •

يرى Vullers أن البيرم آلة ترفع القاسى من الاشياء ، وربما تعنى مدأبا أيضا •

(٤) أبو مخليون Hypomochlion حجر يوضع تحت المخل فيسهل به تحريك الثقل •

لقد اشتقت هذه الكلمات من اللفظ اليونانى(ὑπομόχλιον) ولقد وردت فى حيل ايران ص ٩٨ مضافا لها العبارات : وتبيانها انها

توضع تحت المخل ، « الحجر الذى يتحرك عليه المخل » أو « الحجر الذى يقع تحت المخل » •

(٥) الكثيرة الرفع : آلة تسوى من عوارض وبكرات وفلوس تجربها الاحمال الثقيلة •

تبين رسوم «كثيرة الرفع» المذكورة ، بالاسم نفسه ، فى حيل ايران ص ٩٩ أن ترتيب البكرات كان جنبا الى جنب ، وليس فوق بعضها البعض كما هو معروف عندنا • هذا وقد اطلق على المحور الذى توضع عليه البكرات : «منجنون » الاسم الذى يقابل اللفظ اليونانى (μάγγανον) ويرى Freytag أن كلمة « منجنون » أو « منجنين » تعنى فلكة يرفع بها الماء أو دالية وفى المفاتيح ما يوافق ذلك •

أما البكرات فقد استخدم منها ـ كما فى كتاب رضوان ـ لجر الحبال الى الزوايا والاركان • وفى حيل ايران تمثل البكرة اساسا من الاسس الخمسة : البرطيس والمخل والبكرة والاسفين واللولب • الا أن المفاتيح لم يذكر سوى أربعة فقط •

والقلس لفظ من الفاظ الحبل يقابل اللفظ اليونانى χαλώς • هذا ويتحرى فيدمان مدلولات المخل والميخال فى مقدمة ابن خلدون • **فهو** يوضح أن كلمة «ميخال» جاءت فى المقدمة بصور مختلفة ويورد تفسير Slane لها ولا سيما تلك التى وردت فى المقدمة ج ٢ ص ٢٠٥ و ٣٢٣ ، اذ يفسرها بـ : « رافعة أو كثيرة الرفع » • اذ جاءت فىج٢ ص ٢٠٥ بمعرض ميخال الابنية اى الذى يضاعف قوى الانسان وفى ج ٣ ص ١٠٣ وردت مع كلمة هندام يرفع الاحجار •

قلت : جاء فى حاشية ص ٩٦٩ ج٣ مقدمة ابن خلدون تحقيق الدكتور على عبد الواحد وافى ط٢ ١٩٨٧ هـ تعليقا على كلمتى هندام ومحال ما يلى :

« يطلق الهندام على حسن التنظيم والاصلاح والادارة ويقصد به ابن‌خلدون

هنا ما يشمل كذلك العدد والالات والاجهزة التى يستعان بها فى الصناعات٠ وبالنسبة لكلمة « محال » أو « محالة » جاء الخشبة التى يستقر عليها الطبانون (البناؤون) فى أثناء بنائهم وتشييدهم للبيوت ٠ وهى التى يسميها العامة فى مصر « السقالة » ٠

يتابع الاستاذ وافى قائلا : هذا وقد وردت هذه الكلمة محرفة فى جميع الطبعات السابقة ٠ فلقد وردت بالخاء المعجمة (المخال) ووردت بزيادة النون بين الميم والحاء (المنحال) وفى النسخة التيمورية وردت بميم فياء فخاء (الميخال) » ٠ ١ هـ

(٦) الاسفين : شىء يعمل شبيها بالذى يسميه النجارون : فانـــة ويوضع ركنه الحاد تحت الاشياء الثقيلة ويدق دقا حتى يدخل تحته وأكثر ما يستعمل عند قلع الحجارة من الجبال ٠

يقابل كلمة اسفين ، الذى ورد فى حيل ايران ص ٩٤ ، اللفظ اليونانى   وقد رسم الاسفين فى كتاب رضوان تحت قاعدة عمود ، ليجعل العمود شاقوليا ٠

أما كلمة « فانه » أو « بانه » الفارسية فتعنى اسفينا خشبيا يوضع تحت العمود ليجعله شافوليا Vullers ص ٦٣٤ ٠

(٧) اللولب : هو الشىء الملتوى الذى يدخل فى اخر يلوى ليا الى ان يدخل فيه وهو معروف ٠ يكون عند النجارين والمؤسسين ٠

يميز ايرن فى حيله ص ٢٢٥ بين اللولب والانثى ٠

(٨) الغالاغرا : معصرة للزياتين ٠

توجد هذه المعصرة فى مرسومة فى حيل ايرن ص ٢٣٦ وتلفظ باليونانى γαλεάγρα

(٩) الاسقاطولى : خشبة مربعة تستعمل فى الالات ٠
يرى Van Vloten أن الاسقاطولى هو العصا اليونانية σκυτάλη
ومن هذا الجنس :

(١٠) آلات الحروب كالمجانيق والعروات ، ومن آلات المنجانيق :

(١١) الكرسى وصورته مثل صورة الشىء الذى يكون في المساجد يصعد عليه لتعليق القناديل .

يمثل الكرسى مقعدا أو طاولة منخفضة أو سلما ، وهو ما يستخدم للصعود عليه لوضع القذائف في الاجزاء العليا من الالات . وقد يطلق على المنصب الذى في وسطه ثقب دائرى تعلق فيه البيضة كما يظهر في الرسم الذى وضعه (E. Dron E. Dron ثلاث آلات فلكية بشرسبورغ ١٨٦٥ ص ٢١) . ولذلك سميت الكرة السماوية بكرسي .

(١٢) الخنزيرة (سميت كذلك لشكلها) من آلاته (آلات المنجنيق) وهى شىء شبيه بالبكرة الا أنه طولانى الشكل .

يترجم Dozy الخنزيرة على انها جزء الدولاب الذى فيه المحور. وقد ذكرها الجوبرى سنذكر ذلك بعد قليل .

(١٣) السهم : خشبة طويلة مستوية كالجذع .

(١٤) الاسطام : حديدة تكون في طرف السهم حيث يعلق حجر الرامى يذكر فيدمان — بهذه المناسبة — بعض من كتب امور الحرب عند المسلمين ، من هؤلاء Jaehnes الذى كتب فى تاريخ شؤون الحرب (سنة ١٨٧٨ م ص ٥٠١) ومنهم Kremer الذى له كتاب : تاريخ حضارة الشرق (فينا سنة ١٨٧٥ م ص ٨١ وص ٢٢١)ومنهم Romochi الذى كتب في تـــاريخ المتفجرات (١٨٩٥ م) . كذلك يذكر فيدمان W.F Sharzlose الذى قام بجمع العديد من الملاحظات في وجود الات الحروب عند الشـــعراءالمسلمين (لايبتغ عام ١٨٨٦ ص ٣٢٠) ويشير فيدمان الى أن كتـــاب « تاريخ الحملات الصليبية » لصاحبه B. Kugler رسوما لآلات الحروب (عام ١٨٨٠ ص ٢٣٤) .

هذا وقد نقل فيدمان ما اورده محمد بن ابراهيم ساعد الانصارى (هـ) في كتابه ارشاد القاصد الى اسنى المقاصد تحت عنوان : علم الآلات الحربية ، جاء فيه :

« علم يتبين منه كيفية ايجاد الآلات الحربية كالمجانيق وغيرها منفعته شديدة الغنا في دفع الاعداء وحماية المدن ولابن موسى بن شاكر فيه كتاب مفيد » ٠

كذلك اورد فيدمان ما جاء في كتاب كشف الظنون لحاجي خليفة في هذا الموضوع وفيه (ج ص ١٤٥) :

« علم الآلات الحربية ٠٠ علم يتعرف منه كيفية اتخاذ الالات الحربية كالمنجنيق وغيرها ٠ وهو فروع علم الهندسة ومنفعته ظاهرة وهذا العلم احد اركان الدين لتوقف امر الجهاد عليه ٠ ولبني موسى بن شاكر كتاب مفيد في هذا العلم ٠ كذا في مفتاح السعادة ٠ وينبغي ان يضاف علم رمى القوس والبنادق الى هذا العلم وان ينبه على أن امثال ذلك العلم قسمان : علم وضعها وصنعتها وعلم استعمالها وفيه كتب ٠ »

ويذكر فيدمان بعض الملاحظات العامة في آلات الحروب وبخاصة المنجانيق منها لكلمة منجانيق معانى مختلفة ، من هذه المعانى طريقة **العمل (آلية العمل) ويستشهد بالطريقة التى كانت طيور ساعة رضوان** ترمى خلال ساعات النهار الكرات ، تتحرك ثم تنتصب من جديد ٠

ولقد وردت كلمة منجنيق بصيغة الجمع « منجنيقات » في مواضع كثيرة كما جاء ذلك في كتاب الفهرسة (لابن النديم ص ٣١٥) وكتاب سيرة صلاح الدين لبهاء الدين كذلك وردت بصيغة « مناجنيق » كما هو الحال عند البلاذرى (ص ١٨٤ وص ٣٨٩) ٠ وللمنجنيق والعرادة أهميتها الاساسية والخاصة في آلات الحروب ، فالمنجنيق يقابل المدفعية وبخاصة ما يطلق عليه Palintonon ، وتقابل العرادة – وتعنى حمار الوحش – الآلة المسماة Onager المستعملة في رمى الحجارة ، الا ان ال Onager تتحرك الى الامام والخلف ثم ترمى ، بينما ترمى العرادة الى الخلف ٠

والمنجنيقى – نسبة الى منجنيق – هو كل من يعمل آلات الحروب ، كان من اشهرهم يعقوب المنجنيقى ٠ وقد وردت كلمة منجنيق مرافقة

لكلمة عرادة في كثير من المواضع ، فلقد ذكر كاترمير Quatermere في (المجلة الآسيوية (٤) ص٢٥٤ عام ١٨٥٠) :

« لقد هدمت المنجنيقات والعرادات التى نصبت حول المدينة برجا في الحال ويركز كاترمير في كتاب تاريخ المغول ص ١٣٧ الكلمة التركية (الكرابجا) التى تعنى ثور الجاموس ، مرافقة لكلمتى المنجنيق والعرادة ، كما يذكر آلة « العروشك » التى تشحن بالقذائف · ومما ذكره كاترمير ايضا منجنيق الشيطانية » و « منجنيق الكرابجا الكبير » و « آلة كمان رعد » (قوس الرعد) ، تلك الآلة التى ترمى احجارا يصل وزنهاالى ٤٠٠ مرة (و) كما يذكر كاترمير ان من المنخنيقات : المنجنيق الفرنجى او المغربى والمنجنيق المنصورى ثم يورد ما ذكره ابن الاثير : ان منجنيقا مغربيا رمى حجرا يزن ٤٠٠ رطل سورى (كاترمير : التاريخ ص ١٣٦) ·

ويتحدث فيدمان فيقول : ان القاذفات والاكباش والدبابات العربية، عملت على غرار تلك البيزنطية ، بل عملت بضخامة جعلت فعلها يفوق أفعال كل ماسبق ، ومن هنا جعلت اذرع الرافعات طويلة جدا ·

ومن آلات الحروب الدرجية والدراجة وهى الدبابة يتدرج تحتها الرجال في الحصار « والستارة » تقابل Pallizade و «الجرخ والزنبوق» اما الجرخ فهو القوس الضخم الذى يشد بالات هندسية كالذراع · واما الزنبورق فهو القوس الذى استخدم في رمى السهام غير العادية ، وهى مربعة الشكل ، سمكها بوصة وطولها ذراع ، جعل فيها الريش لتحفظ مسار سيرها · و « والنشاب » وهو مايوازى « السهم » وقد ذكره بهاء الدين في سيرة صلاح الدين ·

هذا ويذكر الثعالبى في كتابه « لطائف المعارف » ص ٧ ان الملك الوثنى جذيمة الابرش الحرانى « هو اول من نصب المنجنيق » يوافقه في ذلك السيوطى ، بينما يرى ابن سته ان النمرود فعل ذلك (كاترمير تاريخ المغول ص ٢٨٤) ·

ويأتى فيدمان ببعض الشواهد في الشعر العربى في وصف المنجنيق

والدبابة منها تشبيه الشاعر أمية بن ابى عائذ (ز) : سرعة الناقة برمى المنجنيق للصخر العظيم ٠

قلت : لقد بحثت في مكتبة جامعة الرياض الغنية بالكتب الادبية والعلمية ــ فوجدت بعد بحث دام طويلا ــ بيت الشعر الذى ترجم فيدمان شطره الاول ولم يأت به كاملا وجدته في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبه ج ٢ ص ٦٦٧ ونصه :

يمر كجندول المنجنيق يرمى بها السور يوم القتال

ثم يستشهد بوصف دقيق لابن النجم (ح) حيث يشبهها بالجنية التى على رؤسها الحبال تسكن ثم تنفض وقد فارقها الجنادل ٠

كذلك يذكر بيتا للمتنبي يصف فيه مهارة اعرابى حيث يقول :

تصيب المجانيق العظام بكفه دقائق قد أعيت قسى البنادق

ولقد فسره الواحدى : بمقدور هذا الاعرابى عمل ما لايقدر عليه أحد غيره ، فهو يصيب بالمنجنيق ما لايصيب رامى القس التى ترمى بها الحجارة ٠

ولقد ذكر الطبرى في تاريخه (تحقيق دى غوية م ص ٨٤٤) قصف الحجاج لمكة المكرمة اثناء حربه للزبير ٠٠ وبعد أن ذكر الرواة قال : قال يوسف بن ماهك : رأيت المنجنيق يرمى به ٠٠ بعد ذلك يذكر الطبرى

نشوء الزوابع والعواصف الشديدة ، مما عظم على أهل الشام ، فرفع الحجاج حجر المنجنيق بنفسه ووضعه فيه ، اى لم تكن قذائف المنجنيق كبيرة جدا آنذاك ٠ ويروى ان حريقا شب في الكعبة « المشرفة » ابان الحصار الاول ، الا ان هذا الحريق كان من اهمال المحاصرين ولم يكن من سهام الحريق (٣) ٠ وممن ذكر المنجنيق في حصار مكة « المكرمة » أبو الفدا في تاريخه ، وذكر ارتجاج الكعبة من جراء ذلك ايضا (٤) ٠

اما البلاذرى في كتابه فتوح البلدان (٥) فيذكر ان المسلمين استعملوا

المنجنيق والدبابة في حصار كمخ سنة ١٤٩ هـ (٧٦٦ م) وقد حمى المحاصرون انفسهم من حجارة المنجنيق بجدران واقية اقاموها من الخشب ٠

« قلت : وبالرجوع الى كتاب فتوح البلدان للبلاذرى تحقيق د صلاح الدين المنجد وجدت في ج ١ ص ٢٢٠ مايلى : وأمر العباسى بنصب المنجنيق عليه (حصن كمخ) ، فجعلوا على حصنهم خشب العرعر لئلا تضربه حجارة المنجنيق ، ورموا المسلمين فقتلوا منهم بالحجارة مائتى رجل فاتخذ المسلمون الدبابات وقاتلوا قتالا شديدا حتى فتحوه ٠ »

هذا وقد ذكر اسامة كيف نصب اليونانيون المجانيق الرهيبة حول شايزر عام ١١٣٨ م وقد جاؤوا بها من اوطانهم ، كان الواحد منها يقذف نحو ٢٥ رطلا (٧) والى بعد لاتصله السهام الخشبية نفسها ، كما ذكر اسامه الدمار الرهيب الذى سببته تلك الآلات ٠

كذلك ذكر كمال الدين (٨) في تاريخه لحلب ان اليونانين نصبوا ، اثناء حصارهم لشايزر ، منجنيقا و٤ لعب (واللعبة آلة حرب اصغر من المنجنيق) ٠

ويذكر بهاء الدين (٩) في سيرة صلاح الدين ، المنجنيق كثيرا وبخاصة في حصار عكا ، ولقد جاء عنده في موضع آخر : « ولما ولج المسلمون خيام العدو،ذهلوا عن المنجنيقات ووصلت شهب الزراقين اليهم فاضطرمت فيها النيران ٠ »

كذلك يذكر عماد الدين في مؤلفه فتح سوريا وفلسطين المنجنيق والدبابة والكبش وافعالها ابان حصار عكا ، شعرا (١٠) اما ابن الاثير فيذكر آلات الحروب التى استعملها الافرنج في دمياط (عام ١٢١٨ ــ١٩) اذ قذفوا جيش المسلمين بالمنجنيق والجرخ ٠

وفي كتاب : المختار في كشف الاسرار للجوبرى (١١) فصل خاص في كشف اسرار ادارة الحرب وآلات السلاح ذكر منجنيقا لا تكفى المعلومات التى أوردها فيه في اعادة تركيبه فلقد جاء فيه : وهكذا عمل المنجنيق

الذى يرمى الى جميع الجهات · لقد ركب المنجنيق المغربى فكان على جانبه بكرتان كبكرات دولاب الحمام ، في طرفيها العلويين ، عند الخنزيرة ، بكرة اخرى ، اعد عليها آشوم يصل الى الخنزيرة · اما المنجنيق فيرمى من الجوانب الاخرى بهذا اللولب (١٢) · لقد استعمل الشيخ عبد الصمد هذا المنجنيق فى دمياط سنة ٦١٧ هـ (١٢٢١ م) ·

ولقد قام الرائد E. Schramn باعادة بناء بعض آلات الحروب القديمة وبين ان المنجنيق الذى ذكره الجوبرى ، يعتبر منجنيقا ضخما (Palintonon) وان البكرتين الخلفيتين استخدمتا للشد ، كما استخدمت البكرة الامامية لجر الديوسترا Diostra الى الامام · اما الاشوم فيمثل ذراعى القسى · ولما كانت المدافع على قاعدة دوارة فانه بمقدورها رمى الحجارة في جميع الجهات ، أما اللولب فهو لولب الاحكام · وقد استحق Sshramm الشكر من فيدمان ·

ولقد ذكر ابو الوفا في تاريخه (م٥ ص ٩٤) منجنيقا ضخما يسمى المنصورى ، حمل على مائة عجله ، ويذكر كذلك المنجنيق الذى استعمله السلطان ملك الاشراف في فتح عكا الاخير عام ١٢٩١ م · في حين استعمل النصارى منجنيقات خفيفة ، نصبوا بعضها على بطة « سفينة » ·

هذا وقد استمر استعمال المنجنيق هنا وهناك ــ كما يرى فيدمان ــ حتى القرن السادس عشر الميلادى من بينها استعماله في سور اسير وكان يرمى حجارة تزن بضع مئات الارطال (١٣)

أما آلات الحصار التى وردت في كتاب بهاء الدين في سيرة صلاح الدين خلال حصار عكا عام ١١٩٠ فلقد وصف بعضها على النحو التالى :

« ومن هذه الآلات آلة عظيمة تسمى الدبابة ، ملبسة بصفائح الحديد، تتحرك على عجل ، تحرك به من داخل· يدخل تحتها من المقاتلة عدد عظيم· ينطح بها السور ولها رأس عظيم برقبة شديدة من حديد وهى تسمى كبشا · ينطح بها السور بشدة عظيمة فتهدمه بتكرار نطحها · »

ويذهب Lane الى ان الدبابة آلة حرب عملت من الخشب والجلود · ينطح بها الجزء السفلى من السور ، اذ تعمل فيه ثغرة · في داخلها اناس يحمون انفسهم بها من الاشياء التى ترمى عليهم من فوق ·

فالدبابة مظلة واقية · الا ان هذا الوصف لا يتفق مع ماذكر في موضع اخر من الكتاب (ص ١٦٧ و ص ٢٢١) على انها اعلى من السور وانها تتألف من اربع طبقات : الطبقة الاولى من خشب والثانية من رصاص والثالثة من حديد والرابعة من نحاس ·

ومع أن كاترمير يترجم الطبقة دورا (تاريخ المنغول ص ٢٨٤) ، وكذلك فعل غيره من العلماء ، الا أن الطبقة لا تمثل دورا ، اذ لا يتضح كيف يعمل دور من رصاص · وعليه فان طبقات الالة الاربع نضدت فوق بعضها البعض · هذا وقد امكن ــ بعد جهود كثيرة ــ حرق الدبابة بالنفط، رغم انها ملبسة بالمعادن · وهذا ماكان ليكون صعبا لو ان الدور من خشب

ولقد ذكر كاترمير مرارا ان الدبابة كانت آنئذ مجهزة بكبش · وهو يقصد من ذلك ان يقدم الادلة على ماذهب اليه بخصوص الدبابة اعلاه · كذلك لا يتناسب لفظ « ستارة » مع ما جاء عند عماد الدين الذى كتب : لقد سببت الدبابات طيران نسور القسى من اوكارها·ومنه فلقد استعملت كلمة « دبابة » في آلالات مختلفة · ويذكر كاترمير بروجا بنيت من خشب ثم البست الحديد والجلود ·

ويذكر بهاء الدين الة حرب اخرى تسمى « قبسة » فيها رجال ، رأسها محدد على شكل سكة المحراث ورأس البرج مدور ، وهذا يهدم بثقله وكذلك بحدته ، وهو يسمى سنورا وعليه ستائر وسلالم · ويضيف الى

ذلك قوله أن الافرنج اعدوا بطة « سفينة حربية » بخراطيم يضعونها بحركات عجيبة على الاسوار فتغدوا طريقا للمقاتلة · وقد ذكر بهاء الدين برج الكبش الذى يزن مائة قنطار بالشامى ، والقنطار مائة رطل والرطل الشامى يزن اربعة ارطال وربع الرطل بالبغدادى ، ولقد رأى بهاء الدين نهاية الالة هذه التى شكلها على مثل السفود الذى يكون بحجر المدار (١٤)

وفي موضع اخر من هذه المقالة الطويلة ذكر فيدمان الزراقة والنفط، وقال ان الزراقة انبوبة طويلة من نحاس مكونة من نصفين ، نصف رقيق وجوفه ضيق ونصف سميك وفتحته واسعة ، وقد استعملها النفاطون في رمي النفط . ويشير فيدمان الى الكتاب المذكور في الفهرست ص ٣١٥ بعنوان: « كتاب العمل بالنار والنفط والزرقات في الحروب . »

وكثير مايذكر مؤلفو العرب النفاطين في كتبهم ، من ذلك ما جاء في كتاب القزوني (١٥) عند حديثه عن مدينة تفليس :

« فأمر بغا النفاطين ، فرموا المدينة بالنار واحرقوها فاحترقت المدينة لانها كانت من خشب الصنوبر وهلل خمسون الف انسان ، حدث هذا عام ٢٣٨ هـ (٨٥٢ – ٨٥٣ م) » .

ولقد ارتدى النفاطون ملابس خاصة ، الارجح أنها كانت من الاسبست التى تقى من الحوادث اذ انزلت بهم خلال عملهم بمواد محرقة . يذكر أبو عبد الله (١٦) (ابو عبيد البكرى) انه يوجد بوادى درعه من بلاد البربر حجر ينسج منه ثياب ومناديل ، متى اتسخت القيت في النار فيزول عنها الوسخ ولا تحترق وان « بالبذخشان » حجر يعمل منه فتائل فتنفذ النار في داخلها ولا يحترق منها شيء . ويذكر ابو الفدا (جغرافيا ص ٤٨٤) ان حجر الفتيلة « الاسبست » موجودا في بذخشان . اما ياقوت (١٧) فيفصل حين يتحدث عن المناجم بالقرب من بذخشان فيقول :

« وفيها حجر الفتيلة وهو يشبه البردى Papyrus والعامة تظنه ريش طاير يقال له الطلق ، لا تحرقه النار يوضع في الدهن ثم يشعل بالنار فيقد كما تقد الفتيلة ، فاذا اشتعل الدهن بقى على ما كان ثم لايتغير شيء من صفته وكذلك ابدا كلما وضع في الدهن واشتعل واذا القى في النار المتأججة لا تحرقه وينسج منه مناديل غلاظ للخوان فاذا اتسخت واريد غسلها القيت في النار فيحترق ما عليها من الدرن وتخلص وتطلع نقية كأن لم يكن بها درن قط . » .

الهوامش

ملاحظة : ان كل تعليق مسبوق بحرف من الاحرف الابجدية يرجع للمترجم . وتشير الارقام الى ما اثبته فيدمان نفسه .

(أ) مجلة الدارة ـ العدد الاول ـ السنة الرابعة ١٣٩٨ هـ ص ٣١٤ ـ ٣٤٢

(ب) ذكر فيدمان تارة و « خوارزمي » تارة . والخوارزمي باحث، من اهل خراسان . الف كتابه الذى نحن بصدده واهداه للوزير العتبى (عبيد الله بن احمد) . يعد هذا الكتاب من اقدم ما صنفه على الطريقة الموسوعية (encyclopaedia) . قال المقريزى : هو كتاب جليل القدر . عن الاعلام للزركلى ج ٦ ص ٢٠٤

(ح) ايرن المصرى الرومى الاسكندرانى عالم بفنون اهل ذلك الزمان صنف كتبه . فأفاد ونبه على اسرار هذه الصناعة . فمن تصانيفه كتاب في حل شكوك كتاب اقليدوس وكتاب الحيل الروحانية . عن تاريخ الحكماء للقفطى ص ٧٣ .

(د) فراي تاج G. W, Freytag . مستشرق المانى تتلمذ باللغات الشرقية للمستشرق دى ساسى . فتعلم العربية والتركية والفارسية . له قاموس عربى لا تينى أربعة اجزاء ، ومنتخبات عربية في النحو والتاريخ ونشر قطعة من « زبدة الحلب » في تاريخ حلب ، لابن العديم ، و « ديوان الحماسة » لابن تمام ، « فاكهة الخلفاء » لابن عربشاه ، و « معجم البلدان لياقوت ، ساعده على نشره والتعليق عليه المستشرق فستنفلد . الاعلام للزركلى ج٢ ص ١٤٧ بتصرف

(هـ) محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى السنجارى ، ويعرف بابن الاكفانى ، ابو عبد الله : طبيب ، باحث ، عالم بالحكمة والرياضيات . ولد ونشأ في « سنجار » وسكن القاهرة ، فزاول صناعة الطب ، وتوفي فيها له تصانيف ، منها « ارشاد القاصد الى اسنى المقاصد »و « الدر النظيم أحوال العلوم والتعليم » و « نخب الذخائر في احوال الجواهر » ..الخ الاعلام للزركلى ج ٦ ص ٨٨٩ .

(و) المن : هنا معيار قديم كان يكال به او يوزن ، وقدره اذ ذاك

رطلان بغداديان ، والرطل عندهم اثنتا عشرة اوقية بأواقيهم • المعجم الوسيط ج ٢ ص ٨٨٩ •

(ز) امين بن ابى عائذ العمرى :شاعر ادرك الجاهلية ،وعاش في الاسلام كان من مداح بنى امية ، له قصائد في عبد الملك بن مروان • ورحل الى مصر فأكرمه عبد العزيز بن مروان • ثم تشوق الى البادية والى اهله ، فرحل • وهو من بنى عمر/ وبن الحارث ، من هذيل الاعلام للزركلي ج ١ ص ٣٦٢

(ج) ابو النجم الزاجر (الفضل بن قدامه العجلى) من بنى بكر بن وائل : من اكابر الرجاز ومن احسن الناس انشادا للشعر • نبغ في العصر الاموى ، كان يحضر مجالس عبد الملك بن مروان وولده هشام • قال ابو عمرو بن العلاء : كان ينزل سواد الكوفة ، وهو ابلغ من الحجاج في النعت الاعلام للزركلي ج ٥ ص ٣٥٧ •

(١)بروكلمان م ١ ص ٢٤٤ •

(٢) حيلة تقابل كلمة ميكانيك ، كما تعنى الة ايضا • هكذا جاء في رسالة الات اهل اصفهان • وفي الفهرست لابن النديم ص ٢٦٥ ما يشير الى هذين المعنيين ، حيلة واله حيث جاء : في اصحاب التعاليم ، المهندسين والارثماطيقيين والموسقيين والحساب والمنجمين وصناع الآلات واصحاب الحيل والحركات •

(٣) المملكة العربية : تاليف Wellhausen **، برلين عام ١٩٠٢ ص ١٠٣ •**

(٤) تاريخ ابي الفداء م ١ ص ٣٩٨ و ص ٤٠٦ •

(٥) فتوح البلدان للبلاذرى تحقيق دى غوية de Goeje ص ١٨٤ / ص ١٨٥ •

(٦) اسامه بن منقذ : سيرة امير سورى في عهد الحملات الصليبية • تحقيق Derenbourg باريس عام ١٨٨٩ م ص ١٥٨ / ١٥٩ •

(٧) للرطل مقادير متباينة ، تتعلق بالبلدان ، تتراوح بين نصف كغ فما فوق ·

(٨) تاريخ الشرق م ٣ باريس عام ١٨٨٤ ص ٦٧٧ ·

Recueil des historiens des Croissades

وانظر : مقالات في تاريخ الحملات الصليبية م ١ ص ٣٠٦ لصاحبها R. Rohricht

(٩) بهاء الدين في كتابه : سيرة صلاح الدين · الطبعة الفرنسية ص ١٧٦ و Schultens ص ١٣٢

(١٠) عماد الدين : فتح سوريا وفلسطين ، طبعة G. nonlandberg ليدن عام ١٨٧٧ ص ٣٥٩

(١١) الجوبرى (عبد الرحمن ـ الدمشقى) : علامة ومؤلف تجول في بلاد الاسلام الى الهند وكتب للملك المسعود الارطقى صاحب آمد كتاب « المختار في كشف الاسرار وهتك الاستار » عن المنجد في الاعلام ص ١٤٣ طبع الكتاب في دمشق عام ١٨٨٥ · وفي جامعة الرياض ـ قسم المخطوطات، مخطوطة مصورة وقد سقط الفصل الثامن فيها ·

(١٢) لم يذكر كلمة لولب هذا النص الا في هذا الموضع ·

(١٣) P. Horn في كتابه : جوهر حرب وجيش المغول الاكبر ص ٣٥ ، ليدن سنة ١٨٩٤ م

(١٤) المدار : الطاحون الذى يدير رحاه حيوان نقل (انظر ملحق Dozy م ١ ص ٤٧٤) السفود : قضيب يثبت على احد طرفيه لحيوان ويربط الطرف الآخر برحي الطاحون قلت وفى المعجم الوسيط :

(١٥) القزويني زكريا بن محمد بن محمود : آثار البلاد واخبار العباد م ٢ ص ٣٤٨ ·

(١٦) شمس الدين محمد الانصارى الدمشقى ، شيخ الربوة : نخبة الدهر عجائب البر والبحر ص ٨١ ، تحقيق A. Mehrnen سنة ١٩٢٣ ·

(١٧) ياقوت الحموي : معجم البلدان م ١ ص ٥٢٩ ·

رسائل علمية

يسر الدارة أن تنشر عرضا موجزا لرسالة الماجستير فى تاريخ المملكة العربية السعودية الحديث والتى حصل عليها الاستاذ/عبدالله محمد أبابطين رئيس قسم البحوث والنشر بالدارة ، وكان عنوانها :

العلاقات بين نجد والحجاز فيما بين عامى ١٩٠٢/١٩٢٦

أوفدت دارة الملك عبد العزيز الاستاذ عبد الله ابو بطين الى جامعة بورتلاند الحكومية بالولايات المتحدة الامريكية للدراسة والحصول على درجة الماجستير فى تخصصه ، وقد استكمل سعادته دراسته حيث عقدت اللجنة العلمية المشكلة بالجامعة برئاسة الاستاذ الدكتور فردريك كوكس رئيس مركز دراسات الشرق الاوسط بجامعة بورتلاند اجتماعا لمناقشة الرسالة يوم ١٩٧٨/٦/٣٠ الموافق ٢٥ رجب عام ١٣٩٨ هـ ، وتقرر منحه درجة الماجستير بتقدير ممتاز .

وفيما يلى عرض موجز للبحث :

يشتمل هذا البحث على ما كان يجرى من احداث على ساحة الجزيرة العربية فى تلك الفترة وهى التى خرج فيها الملك عبد العزيز رحمه الله منافسا جديدا بأسمه وقديما باسم اسرته العريقة فى حكم وسط الجزيرة وعلى الرغم من وجود عدة جبهات كانت مشتركة فى صنع الاحداث القائمة

آنذاك فقد كانت العلاقة بين نجد والحجاز تتسم بطابع مميز ، اذ بدأ الملك عبد العزيز رحمه الله حينما اراد استعادة ملك آبائه واجداده لم يكن يفكر فى الاستيلاء على الحجاز ، لكن الظروف التى طرأت هى التى دفعته الى هذه المجازفة الخطيرة والباهظة الثمن على كلا الطرفين ، وقد دفع الشريف حسين الثمن غاليا لتلك المجازفةحيث انتهت باسقاطهوالاستيلاء على الحجاز بعد أن كان الاقوى والاقدم بين حكام اجزاء الجزيرة العربية ٠

وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة تناولت ما سبق هذه الفترة التاريخية من احداث الى أن تطورات بالشكل الذى نراه اليوم ٠

كما اشتمل البحث ايضا على الفصول السبعة الاتية ٠

١ ــ مؤسس المملكة العربية السعودية

٢ ــ أمير مكة

٣ ــ بداية الاحتكاكات والصراع

٤ ــ النفوذ الاجنبى

٥ ــ تربه ٠ ميدان الصراع المفتوح

٦ ــ مشكلة الخلافة العثمانية وسقوط مكة

٧ ــ الاستنتاج ٠

وقد استخدم الباحث العديد من المصادر والمراجع الاجنبية المختلفة التي توافرت له فى مكتبته الجامعة ٠ ومن خلال كتابته لهذا البحث تبين الكثير من النقاط الهامة الجديرة بالدراسة والبحث الدقيق الا أن الكثير من الوثائق والمصادر الهامة غير متوفرة بكاملها ، والامل كبير بالله ثم بجهود دارة الملك عبد العزيز فى أن تبحث عن كل ما يتعلق بتاريخ تلك الفترة بشكل خاص وتاريخ المملكة بشكل عام وأن تجعله فى متناول الباحثين والدارسين كما هى وظيفتها وغايتها ، وفقنا الله الى ما فيه الخير والصلاح ٠

تعقيب

حول مقال الدكتور العثيمين

للاستاذ: صالح محمّد الحسن

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين ٠

سعادة الاستاذ محمد حسين زيدان رئيس تحرير الدارة ٠ حفظه الله ٠

فقد اطلعت فى مجلة الدارة فى عددها الثالث من السنة الرابعة على مقال بعنوان : نجد منذ القرن العاشر الهجرى ، حتى ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، بقلم الدكتور : عبد الله العثيمين ٠

ولقد اعجبت بالمقال ، وموضوعه الشائق ، ومنهجه التحليلى : لبعض الحوادث والاخبار ٠

ومع ذلك فان لى عليه ملاحظة أرجو من سعادة الدكتور أن يتقبلها بصدر رحب ، وله منى جزيل الشكر ، وموفوره ٠

وفي بداية حديثى أقول : ان دور المؤرخ المسلم فى بناء الامة : يتمثل في عرض حقائق التاريخ الاسلامى عرضا تاريخيا تربويا ، يؤدى دوره فى بناء الامة الاسلامية ، كما يتمثل فى تنقية التاريخ الاسلامى ، مما دس فيه من روايات ، واخبار كاذبة ، هدفها تشويه التاريخ الاسلامى ، والنيل من المسلمين ، وخدمة اغراض طائفية أو مذهبية ٠

ومن هذا المنطلق أقول : انني لا اجد مبررا لمن يشتغلون بالتاريخ من ابناء المسلمين : أن يعمدوا الى فلسفة ، وتحليل بعض الحوادث ،والاخبار ليشككوا في بعض الحقائق التي تؤدي دورها في بناء الامة الاسلامية ٠

وهذا ما حدث لسعادة الدكتور ، وذلك حينما بحث الناحية العقيدية في ذلك الزمن — موضـوع بحثه — حيث انهى سعـادة الدكتور تحليله لتلك الناحية بالقول : بعن هناك — أي في نجد — جهله يمارسون اعمالا شركية ، لكن عدد هؤلاء — والحديث للدكتور — كان فيما يظهر قليلا ٠

وهذه النتيجة — وهي ملاحظتي على المقال — تشكيك في الدور الذي قام به الامام شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب ، من محاربة مظاهر الشرك بالله ، والعودة بالامة الى الكتاب ، والسنة : عقيدة ، وسلوكا ، ومنهاج حياة ٠

وهذه النتيجة تظهر الشيخ : بأنه كان مجرد زعيم ، أحب الزعامة ، وعمل لتحقيق هذه الرغبة ، وان ما قام به من جهاد مسلح لنجد ، وماحولها لم يكن لاعلاء كلمة الله ، بل لم يكن مشروعا ، لان الناس قد سلكوا منهج الله في العقيدة ، والسلوك ، الا النذر اليسير منهم ٠

كما ان هذه النتيجة تشككنا : فيما نقله الثقات لنا من أخبار ذلك الوقت ، وحوادثه ، بل تشكك في كل ما نقله اتباع مصلح عن امامهم ٠

واود أن اذكر سعادة الدكتور : أن ما شكك به من اخبار — أهل زمان الشيخ ، وما هم عليه ٠٠ ليس هو راى الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والشيخ حسين ابن غنام ، والمؤرخ عثمان بن بشر — وكفى بهم حجة — ، وانما هو رأى جميع الكتاب ، والمؤرخين — الذين كتبوا عن تاريخ الشيخ وما قام به من أعمال ، وتضحيات ، سواء — منهم — المعاصر للشيخ — رحمه الله — أو المتأخر عنه ٠

واليك ، والى القارىء الكريم بعض اخبار هؤلاء الثقات : —

يقول الشيخ عبد الله بن عيسى قاضي الدرعية — وهومن المعاصرين للشيخ - في رسالة له : فالله الله عباد الله : لا تغتروا بمن لا يعرف شهادة أن لا اله الا الله ، وتلطخ بالشرك — وهو لا يشعر ، فقد مضى اكثر حياتي ، ولم أعرف من انواعه ما أعرفه اليوم — فلله الحمد على ماعلمنا من دينه —

ولا يهولنكم – اليوم – أن هذا الامر غريب . فان نبيكم صلى الله عليه وسلم قال : بدأ الاسلام غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ ، واعتبروا بدعاء أبينا ابراهيم – عليه السلام ، بقوله في دعائه : (واجنبني بني أن نعبد الاصنام رب انهن اضللن كثيرا من الناس) .

ولولا ضيق الكراسة ، وان الشيخ محمد (يعنى محمد بن عبد الوهاب) أجاد ، وأفاد بما أسلفه من الكلام فيها – : لاطلنا الكلام .

وأما الاتحادى بن عربى صاحب الفصوص ، المخالف للنصوص ، وابن القارض ، الذى لدين الله محارب ، وبالباطل للحق معارض. فمن تمذهب بمذهبهما : فقد اتخذ مع غير الرسول سبيلا ، وانتحل طريق المغضوب عليهم ، والضالين ، المخالفين لشريعة سيد المرسلين ... وقد كفرهما كثير من العلماء العاملين ... فان لم يتب الى الله من انتحل مذهبهما : وجب هجره ، وعزله عن الولاية ان كان ذا ولاية من امامة ، أو غيرها ،فان صلاته غير صحيحة . لا لنفسه ولا لغيره .

فان قال جاهل : أرى عبد الله (يعنى نفسه) توه يتكلم في هذا الامر : فليعلم أنه انما تبين لى الان : وجوب الجهاد في ذلك على ، وعلى غيرى ، لقوله تعالى : « وجاهدو في الله جهاده » الى ان قال : (ملة ابيكم ابراهيم) وصلى الله على محمد وآله وسلم .

هذا ماقاله احد معاصرى الشيخ ، وهو يثبت فيه وجود الشرك – في نجد – حينذاك ، ووجود من ينتحل مذهب ابن عربي ، وابن الفارض ، – القائلين بوحدة الوجود – في هذه البلاد النجدية . (١١)

ويقول الامام عبد العزيز محمد بن سعود – وهو من المعاصرين للشيخ – رحمه الله – : فلما من الله علينا بمعرفة ذلك (اي معنى شهادة ان لا اله الا الله) ، وعرفنا أنه دين الرسل : اتبعناه ، ودعونا الناس اليه، والا فنحن قبل ذلك : على ما عليه غالب الناس ، من الشرك با الله ، من عبادة اهل القبور ، والاستغاثة بهم ، والتقرب الى الله بالذبح لهم ، وطلب الحاجات منهم ... الى ان قال : فحين كشف لنا الامر ، وعرفنا مانحن عليه ، من الشرك ، والكفر . با لنصوص القاطعة ، والادلة الساطعة : من كتاب الله ، وسنة رسله صلى الله عليه وسلم ، وكلام الائمة الاعلام

ـ الذين أجمعت الامة على درايتهم : عرفنا أن ما نحن عليه ، وما كنا ندين بهـ اولا ـ أنه الشرك الاكبر الذى نهى الله عنه ، وحذر (١٢) ٠ انتهى ٠

ويقول الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب : حالة الناس قبل هذا الدين : اكثرهم حالة ، كحالة اهل الجاهلية الاولى ، وكل قوم لهم عادة ، وطريقة ـ استمروا عليها ـ تخالف احكام الشرع ، في المواريث ، والدماء ، والديات ، وغير ذلك ، ويفعلون ذلك مستحلين له ٠ (١٣)

ويقول الشيخ عد الرحمن بن حسن آل الشيخ : اعلم ياأخى ـ وفقنى الله ، واياك للصواب ـ ان أهل نجد ـ في باديتهم ، وحاضرهم ـ قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ : في جاهلية جهلاء ، وضلالة عمياء ، قد اشتدت غربة الاسلام فيما بينهم ، واستحكمت ، وعم الشرك ، وطم ، وفشا الشرك ، وشاع الكفر ، وذاع في القرى ، والامصار ، والبادية والحضار ٠ وصارت عبادة الطواغيت ، والاوثان : دينا يدينون به ، ويعتقدون في الاولياء انهم ينفعون ، ويضرون ، وأنهم يعلمون الغيب ، مع تضييع الصلاة ، وترك الزكاة وارتكاب المحرمات ٠ (١٤)

ويقول الامام الشوكانى ـ في وصف نجد ، وغيرها ممن دخل تحت طاعة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ : وبالجملة : فكانوا جاهلية جهلاء ـ كما تواترت بذلك الاخبار ـ ، ثم صاروا ـ الآن ـ يصلون الصلاوات لاوقاتها ، ويأتون بسائر الاركان الاسلامية على أبلغ صفاتها ٠ (٥)

ويقول ـ ايضا ـ في وصف نجد قبيل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ : وكانت تلك البلاد قد غلبت عليها أمور الجاهلية ، وصار الاسلام فيها غريبا ٠ (٦)

وبعد نصوص ـ هؤلاء الثقات ـ الذين عاصروا الشيخ محمد بن عبد الوهاب : نورد بعض النصوص : لعلماء ، ومؤرخين ، ومستشرقين : كتبوا عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في نجد ، ممن كتبوا في العصر الحاضر : ـ

يقول امين الريحانى ـ في وصف الحالة في نجد قبيل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ : قبل ظهور هذا المصلح النجدى : كان العرب ـ في نجد ـ ، بل في الشطر الشرقى من شبه الجزيرة : منغمسين في عقائد ، وعبادات ، جاءتهم من النجف ، ومن الاهواز ·· ، فكان لا يزال لاباحة القرامطة اثر في الاحساء ، وكان للقبور شفاعة لا شفاعة فوقها ، فاحلها الناس المحل الاعلى في العبادة . والتوسل · والحق يقال : أن هذه البدع ، أو هذه الخرافات القديمة : أبعدت العرب ـ بادية ، وحاضرة ـ : عن حقيقة الدين ··· ، ابعدتهم عن الاسلام الذى جاء يبطل عبادة الاوثان ، وكل مافيه رائحة العبودية لغير الله ··· الى آخر كلامه في هذا الموضوع · (٧) ·

ويقول الدكتور طه حسين : أنكر محمد بن عبد الوهاب على أهل نجد: ماكانوا قد عادوا اليه من جاهلية في العقيدة ، والسيرة · (٨)

ويقول المستشرق كارل بروكلمان ـ رغم تعصبه ، ودسه على الاسلام ـ عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ : ثم انه درس مؤلفات احمد بن تيمية ـ الذى كان قد أحيا في القرن الرابع عشر : تعاليم ابن حنبل ، والواقع أن دراسته لآراء هذين الامامين : انتهت به الى الايقان من أن الاسلام ـ في شكله السائد في عصره ـ ، وبخاصة بين الاتراك : مشرب بالمساوىء ، التى لاتمت الى الدين الصحيح بنسب · فلما آب الى بلده الاول سعى اول ماسعى : الى ان يعيد الى العقيدة ، والحياة الاسلاميتين : صفاءهما الاصلى في محيط الضيق · (٩)

ويقول المستشرق ستودارد ـ في كتابه : حاضر العالم الاسلامى ـ في حديثه عن واقع العالم الاسلامى قبيل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ : وأما الدين : فقد غشيته غاشية سوداء ، فالبست الوحدانية ـ التى علمها صاحب الرسالة الناس ـ سجفا من الخرافات ، وقشور الصوفية ، وخلت المساجد من ارباب الصلاوات ، وكثر عدد الادعياء،الجهلاء وطوائف الفقراء ، والمساكين : يحملون في اعناقهم التمائم ، والتعاويذ ، والسبحات، ويوهمن الناس بالباطل ، والشبهات ، ويرغبونـهم في الحج الى قبـور

الاولياء ، ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور ٠٠٠٠ ، وانتشرت الرذائل ،.وهتكت ستر الحرمات ـ على غير خشية ، ولا استيحام٠

وفيما العالم الاسلامى مستغرق في هجعته ، ومدلج في ظلمته : اذا بصوت يدوى في قلب صحراء شبه الجزيرة العربية ـ مهد الاسلام ـ يوقظ المؤمنين ، ويدعوهم الى الاصلاح ، والى سواء السبيل ، والصراط المستقيم فكان الصارخ هذا الصوت : انما هو المصلح المشهور ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٠ (١٠)

والنصوص في هذا المعنى كثيرة جدا ، ولا اخالها تخفى على سعادة الدكتور ، ولولا خشية الاطالة : لاوردت المزيد منها ٠

وفيما اوردته من النصوص دلالة واضحة ، صريحة : على ان الحالة في نجد ـ من الناحية العقيدية ، والسلوكية ـ قبيل دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ٠ قد بلغت مبلغا سيئا ، يوجب على المسلم الحق : الجهاد ـ بكل انواعه ـ ، لاخراج الناس من الظلمات الى النور ، ومن الشرك الى التوحيد ، ومن الفرقة الى الاجتماع ، ومن الخوف الى الامن ٠ وهو ما قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى

وان نظرة صادقة مخلصة الى واقع كثير من البلاد العربية ، والاسلامية ـ التى لم تتأثر تأثرا مباشرا بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ ، وما فيها من البدع ، والخرافات ، والامور الشركية ـ المنتشرة اليوم ـ رغم الدعوات الاصلاحية ، المتعددة ، والتى لم تصل الى مستوى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٠

ان هذه النظرة : لتعطينا اكبر الادلة على الدور العظيم ، الذى قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب : في تطهير الجزيرة العربية عامة ، ونجد خاصة ، من الوان الشرك ، والبدع ، والخرافات ٠

وفي ختام هذا الكلام : اشكر سعادة الدكتور ـ مقدما على رحابه صدره، وسعة حلمه على ـ ان أخطأت ـ ، وليعلم سعادته : اننى انما كتبت بدافع

النصح لنفسى ، ولسعادة استاذى الكريم ، والقراء الكرام ، ومشاركة في الواجب .

والله يقول الحق ، وهو يهدى السبيل

صالح محمد الحسن

الرياض ـ كلية الشريعة

١٣٩٩/٣/٢٩ هـ

١ ـ ابن غنام (روضة الافكار ، والافهام ـ تحقيق ناصر الدين الاسد : ٣٤٧ .

٢ ـ الدرر السنية في الاجوبة النجدية : ١ : ١٤٧ .

٣ ـ الدرر السنية في الاجوبة النجدية : ٥ : ٢٠٢ .

٤ ـ الرسائل ، والمسائل النجدية : ٢ : ١٣٦ .

٥ ـ محمد بن على الشوكانى (البدر الطالع : ٢ : ٥ .

٦ ـ محمد بن على الشوكانى (البدر الطالع : ١ : ٢٦٢ .

٧ ـ امين الريحانى (تاريخ نجد الحديث ، وملحقاته : ٣٥ .

٧ ـ امين الريحانى (تاريخ نجد الحديث ، وملحقاته : ٣٥ .

٨ ـ احمد حجر آل ابوطامى (الشيخ محمد بن عبد الوهاب : ١٢٥ .

٩ ـ كارل بروكلمان (تاريخ الشعوب الاسلامية : ٤ : ١٨، ١٩ .

١٠ ـ احمد حجر آل ابوطامى (الشيخ محمد بن عبد الوهاب : ١٤١ .

تعقيب حول مقال:

الخريطة السكانية للمملكة العربية السعودية

نشرت الدارة في عددها الثانى (العام الرابع) بحثا علميا متخصصا أعده الاستاذ الدكتور / عمر الفاروق سيد رجب ، ويعمل استاذا بكلية الاداب ـ جامعة الملك عبد العزيز ـ بعنوان الخريطة السكانية للملكة العربية السعودية ٠

وفي العدد الثالث من الدارة ـ كتب الاستاذ / محنش محمد على مفرم بعضا من الملاحظات حول هذا البحث ٠

ويسر الدارة في هذا العدد أن تنشر تعقيبا للدكتور عمر الفاروق ، فقد تفضل بزيارة الدارة اثناء حضوره اول مؤتمر لعلماء الجغرافيا المسلمين بالرياض ـ واكد حرصه وترحيبه باى نقد علمي يصدر عن متخصص .

وفيما يلي نص التعقيب :

سعادة رئيس تحرير مجلة الدارة الاستاذ محمد حسين زيدان المكرم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

صدرت لى دراسة في مجلتكم الدارة ٠٠ في العدد الثاني من السنة الرابعة (رجب ١٣٩٨ - يونيو ١٩٧٨) تحت عنوان الخريطة السكانية للملكة العربية السعودية (تقع بين صفحة ١٦٧ - ٢٢٣) من العدد المذكور ٠٠ ، وفي العدد التالى (شوال ١٣٩٨ هـ - سبتمبر ١٩٧٨) ٠٠ وردت عنها ملاحظات (ص ص ٢٧٧ - ٢٧٩) من العدد المذكور ٠٠ ، ومجمل هذه الملاحظات انني قد أخطأت في ذكر اسماء بعض عشائر وقبائل عسير ٠٠ واعتبرتها قرى ٠٠ ، وبداية ٠٠ فلست من الكارهين للنقد أو للملاحظات العلمية ٠٠ فالمفروض ان جميع المهتمين كتابا وقراء انما يتحدد هدفهم في تحقيق الغاية الصحيحة لمثل هذه الدراسات٠٠ والتى تتمثل

في المعلومات الدقيقة والتحليل الموضوعى الى غير ذلك من الاهداف ٠٠ لولا ان وردت هذه الملاحظات باسلوب انفعالى ٠٠ ولولا أنه انتظـر مقدم الدراسة وثابر حتى نهايتها ووصل الى هوامشها لوجد الرد على هذه الملاحظات ٠٠ ولما كبد نفسه عناء الانتقال ومشقته ، وأكرر مرة ثانية هذه الردود التى وردت في دراستى الاصلية كما يلى :

اولا ص ٢٢١ من الدراسة المذكورة :

رقم الهامش الوارد بها (١٣) ٠٠ ويأتى ما يلى (مصدر اسماء القرى الواردة في هذه الدراسة التعداد العام للسكان ١٩٧٤ ، والدراسة التفصيلية في كتاب « امكانيات التنمية الزراعية في المملكة العربية السعودية » تاليف حسن حمزه حجرة ٠٠ وزارة الزراعة والمياه ، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » تأليف على بن صالح السلوك

الزهرانى ، والخريطة الضبوغرافية ا : ٥٠٠ الف (ا ب ـ ٣) وتقارير اخرى ٠

وهو ما يفيد بأننى قد رجعت لاكثر من مصدر ٠٠ وعليه ان يرجع هو اليه ايضا ٠٠ ،

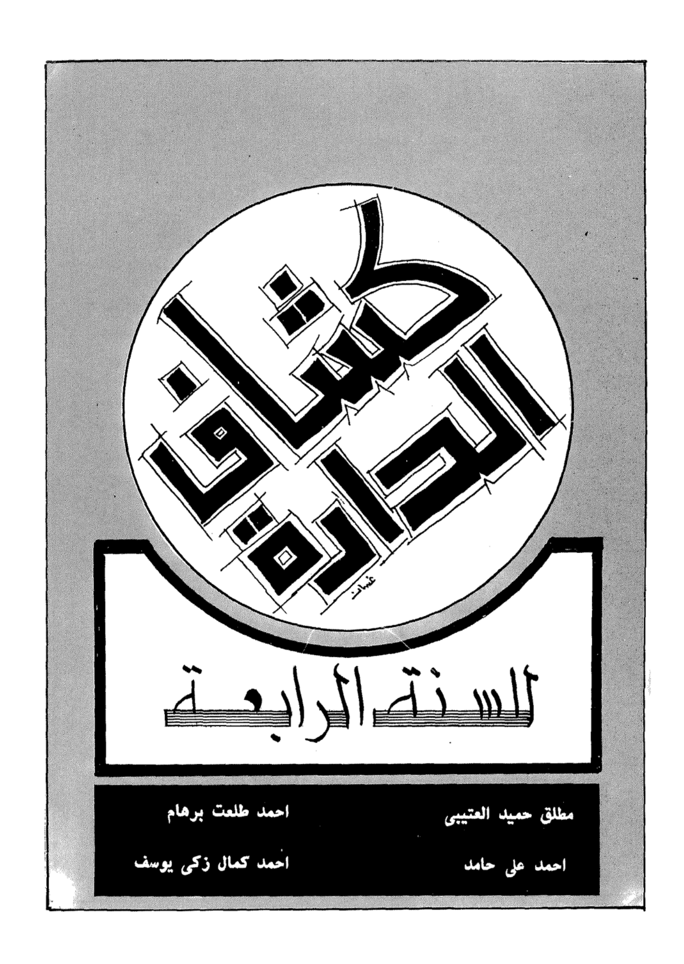
ثانيا : ص ٢٤٣ من الدراسة المذكورة

رقم الهامش الوارد بها (٤٢) ويأتى فيه ما يلى (من الواضح ان **اسماء القرى هنا** في عسير وتهامه ٠٠ هى ذاتها **اسماء العشائر والبطون** التى تسكنها ، وربما يعبر ذلك عن مركب من خصائص الريف (القرية) والبادية (العشائر والبطون) ، وليست الصورة هكذا بالنسبة لتسميات القرى في الريف المصرى ٠٠ مثلا ، فهى ترجع في نسبة كبيرة منها الى اصول فرعونية) ٠٠

ويفيد هذا الهامش اننى لم اترك مسألة التسميات تمر هكذا دون تمحيص ٠٠ بل سألت قدر جهدى ٠٠ ووضعت تصورى الخاص لعملية التحول التى تتم في الوقت الحاضر في بعض مناطق المملكة ٠٠ ذلك التحول الذى يشمل توطين العشائر المرتحلة في قرى ثابتة تحمل اسماء العشائر التى كانت تسكنها في الماضى ٠٠ مثل بالجرشى ٠٠ وهذا اجتهاد منى ومتابعة لعناصر الموضوع ٠٠

وهنا يجدر ان اشير الى اننى عندما بعثت بأصل دراستى الى ادارة المجلة ٠٠ كان الهامشان المذكوران يأتيان في اسفل الصفحة ٠٠ اى تحت عين القارىء مباشرة ، ولكن ضرورة تنظيم الدراسة واخراجها في المطبعة ٠٠ قد جمعتها ـ أى هذه الهوامش وغيرها فى نهاية الدراسة ٠٠ وجملتها ٤٥ هامشا ٠٠ ، وما كان اجدر بالقارىء أن يثابر فى هذه الدراسة المطولة ـ الرائدة في مجالها ـ حتى نهايتها ٠٠ كى لا يقع تحت وطأة الانفعال ٠٠ ، او ان يبحث في سياق الموضوع ـ اذا كان متخصصا ـ عن نقطة أخرى ٠٠ من أجل مزيد من الدقة والموضوعية ٠٠

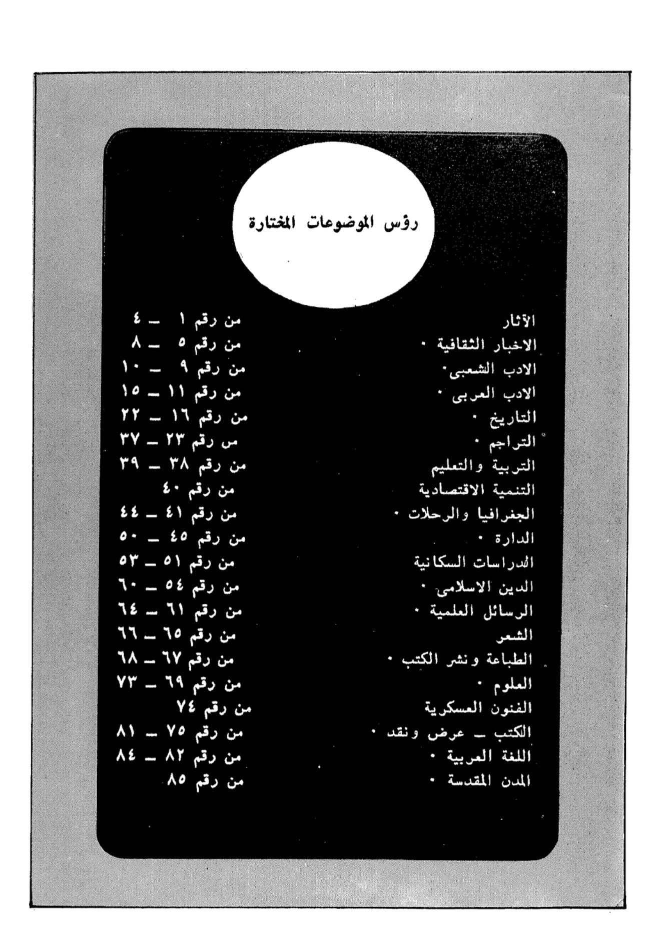
د ٠ عمر الفاروق السيد رجب


كشاف الدارة
للسنة الرابعة
مطلق حميد العتيبي
احمد طلعت برهام
احمد على حامد
احمد كمال زكى يوسف

بصدور العدد الرابع من السنة الرابعة تختتم المجلة عامهـــا الرابع ٠ ويصدر العدد الاول من السنة الخامسة ومعه فهـــارس تفصيلية بالمقالات التى حفلت بها المجلة فى عامها الرابعولقد حرصنا على أن تكون الفهارس سهلة ميسرة ترشد الباحث والقارىء عـــلى السواء الى مقال بعينه أو الى أكثر من مقال تحت رؤوس موضوعات مختارة وقد رتبت رؤوس الموضوعات ترتيبا ابجديا ٠ وتحتـــوى البيليوجرافية لكل مقال على : اسم الـكاتب وعنوان المقال ورقم العدد وتاريخه ثم عدد صفحات المقال كما رتبت المقالات داخل رؤوس الموضوعات ترتيبا هجائيا ٠ وزودت بكشافين احدهما بالمؤلف واخر بالعنوان كما وضعت الملخصات والمقالات الاجنبية فى ترتيب مستقل حتى تكون أكثر نفعا وأيسر استعمالا ٠

واذا كانت المجلة تستهل عامها الخامس بنجاح فاننا ندعو الله أن تستمر فى اداء رسالتها على الوجه الاكمل ٠ ونظرة سريعة الى فهارس السنوات الاربع الماضية نجد أن المجلة قد قدمت الكثير من المقالات المتخصصة بأقلام اساتذة وخبراء فى شئون الجزيرة العربية بصفة خاصة والعالم العربى بصفة عامة كما أنها حفلت بأخـــبار الثقافة والتراث والادب والتاريخ والفنون والمعاهد العلمية المتخصصة

والله الموفق



رؤس الموضوعات المختارة

الاثار

١ ـ احمد رمضان احمد ٠ الكهف والرقيم في التاريخ والاثار ع٢ رجب ١٣٩٨ هـ ـ يونيه ١٩٧٨ م ٠ ص ١١٤ ٠ ١٣٣ ٠

٢ ـ سعاد ماهر محمد ٠ بعض الكتابات التذكارية في العصر ٠ العباسي بمكة المكرمة ع ٢ رجب ١٣٩٨هـ ـ يونيه ١٩٧٨ م ٠ ص٠ص ٤٧ ـ ٦٧

٣ ـ سعيد عبد العزيز الراشد ٠ درب زبيدة في العصر العباسي ، دراسة تاريخية وأثرية ، و (ملخص البحث) ٠ ع ١ ربيع ثان ١٣٩٨ هـ ـ مارس ١٩٧٨ م ٠ ص‌ص٠ ٢٣ ـ ٢٣٢ ٠

٤ ـ الصقعاء مدينة اثرية ٠ ع ٣ شوال ١٣٩٨ هـ ـ

سبتمبر ١٩٧٨ ص‌ص ٠ /٦ ـ ٧٥٠

الاخبار الثقافية

٥ ـ محمد ابو التفوح الخياط ٠ ادب وتراث ٠٠ فكر وفن ٠٠ لغة وتاريخ ع ١ ربيع ثان ١٣٩٨ هـ ـ مارس ١٩٧٨ م ٠ ص‌ص ٢٣٣ ـ ٢٥٥٠

ـ اجتماعات لجنة اعادة كتابة التاريخ العربي ٠

ـ الاستشراق وأثره في الادب العربي ٠

ـ اكتشاف مخطوطات عربية تشير اليها صحيفة التايمز اللندنية ٠

ـ أول رسالة دكتوراه تمنحها الجامعات السعودية ٠

ـ جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية تقيم مؤتمرا لعلماء الجغرافيا المسلمين ٠

ـ جامعة عربية جديدة للبحوث والدراسات العليا ٠

ـ الحروف العربية تغزو مطابع أوروبا الغربية ·
ـ حكومة النمسا تقيم معرضا للفن الاسلامى ·
ـ حول تنقية الفكر الاسلامى من آراء المستشرقين ·
ـ رئيس التحرير يحاضر عن حياة الملك عبد العزيز العسكرية ·
ـ سمو ولى العهد يفتتح مكتبة وجامعة الملك عبد العزيز
ـ علماء الاثار يكتشفون اليمن القديمة ·
ـ الفائزون بجائزة الملك عبد العزيز ·
ـ قضاء نجد أثناء العهد السعودى ·
ـ اللغة العربية احدى اللغات المستعملة بالامم المتحدة
ـ المتحف الوطنى والتراث الشعبى بالرياض ·
ـ مركز عربى لاحياء التراث العربى المعمارى بالمملكة ·
ـ معالى وزير التعليم العالى يفتتح المؤتمر الثانى للنواحى الببليوجية ·
ـ معرض الرياض الدولى للكتاب ·
ـ من فهارس المخطوطات العربية والببليوجرافيات ·
ـ مهرجان ثقافى عن الشاعر العربى أبو الطيب المتنبى ·
ـ المؤتمر الثانى للاعداد الببليوجرافى للكتاب العربى ·
ـ ندوة الدراسات الاعلامية فى العالم العربى ·
ـ الندوة العالمية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ·
ـ وزير التعليم العالى يفتتح ندوة دور المسجد فى المجتمع المعاصر ·

٦ ـ محمد ابو الفتوح الخياط ، أدب وتراث · فكر وفن ·· لغة وتاريخ
ع ٢ رجب ١٣٩٨ هـ ـ يونيو ١٩٧٨ م · ص·ص : ٢٦١ ـ ٢٧٥ ·

ـ استخدام المكتبة الشاملة ·
ـ اصدار كتاب عن ميثاق وانجازات الجامعة العربية ·

ـ تعاون ثقافى افريقى فى مجال التراث والترجمة ونشر اللغة العربية ٠

ـ توصيات ندوة دور المسجد فى المجتمع المعاصر ٠

ـ سمو الامير سلمان بن عبد العزيز يفتتح الندوة الثانية للشعر النبطى ٠

ـ سمو الامير فواز بن عبد العزرز يفتتح معرض جدة الماضى والمستقبل ٠

ـ سمو ولى العهد يفتتح اجتماعات المصرف العربى للتنمية فى افريقيا ٠

ـ العثور فى الاردن على كهف اصحاب الكهف ٠

ـ العيد الاول لمجمع اللغة العربية ٠

ـ الفلسفة والحضارة ٠

ـ المعارف ومسيرة التعليم خلال ربع قرن ٠

ـ معالى وزير التعليم العا لىيفتتح الندوة العالمية للغة العربية ٠

ـ معهد البحوث العربية يقيم مؤتمرا لبحث التنمية العربية ٠

ـ الندوة الثانية لكليات التربية فى العالم العربى ٠

ـ ندوة عالمية عن حياة الشهيد فيصل بن عبد العزيز ٠

ـ اليوبيل الذهبى لاول مدرسة بالمدينة المنورة ٠

٧ ـ محمد ابو الفتوح الخياط ٠ أدب وتراث ٠٠ فكر وفن ٠٠ لغة وتاريخ ٠ ع ٣ شوال ١٣٩٨ سبتمبر ١٩٧٨ م ٠ صص ١٩٩ ـ ٢١١ ٠

ـ اصدارات ادبية وتاريخية لقراء الدارة ٠

ـ الثقافة العربية الافريقية امام تحديات المستقبل ٠

ـ جامعة توتنجن الالمانية تصدر كتابا عن المملكة ٠

ـ سمو الامير سلمان بن عبد العزيز يفتتح أكبر معرض للفنون التشكيلية ٠

ـ سمو النائب الثانى يفتتح مكتبة ومطابع جامعة الامام محمد بن سعود ٠

ـ لجنة دولية للحفاظ على التراث الثقافى الاسلامى ٠

ـ المدن العربية وتراثنا العربى المعمارى ٠
ـ مستشرق ألمانى يحاضر عن تطور اللغة العربية ٠
ـ معجزات القرآن وتطابقها مع العلم الحديث ٠
ـ معجم كبير للغة العربية ٠
ـ مهرجانات تذكارية بمناسبة حلول القرن الخامس عشر الهجرى ٠
ـ المؤتمر الاسلامى لنهاية القرن الرابع عشر ٠
ـ مؤتمر الملك فيصل بمدينة سانت بابارا بكاليفورنيا ٠
ـ موسوعة عربية عن تاريخ الفنون والاثار الاسلامية ٠

٨ ـ محمد ابو الفتوح الخياط ٠ أدب وتراث ٠٠ فكر وفن ٠٠ لغة وتاريخ
ع ٤ ، محرم ١٣٩٩هـ ـ ديسمبر ١٩٧٨ م ٠ ص‌ص : ٣٠١ ـ ٣١٧ ٠

ـ ادارة الاثار بالرياض تصدر حولية الاثار الجديدة ٠
ـ الاعلام من اجل السلام ٠
ـ أول فهرس لمخطوطات دولة البحرين ٠
ـ أول معرض للخط العربى فى قلب الكونغرس ٠
ـ جائزة الدولة لاحسن عمل فنى وأدبى من جمعية الثقافة ٠
ـ جلالة الملك يفتتح المركز الاسلامى الثقافى ببلجيكا ٠
ـ حجاج بيت الله الحرام خلال عام ١٣٩٨ هـ ٠
ـ دراسة ببليوجرافية جديدة للمملكة العربية السعودية ٠
ـ الدورة الثانية عشرة لمجلس اتحاد الجامعات العربية ٠
ـ سمو ولى العهد لوفود حجاج عام ١٣٩٨ هـ ٠
ـ فضل الحضارة الاسلامية على العلم الحديث ٠
ـ فنان ايرانى يسجل بخطوطه أكبر مصحف فى العالم ٠

- كتاب مصور جديد عن الملك عبد العزيز رحمه الله ٠
- اللغة العربية ووسائل الاعلام ٠
- المجلد الخامس عشر من مجلة اللسان العربى ٠
- المؤتمر الاسلامى الجغرافى الاول ٠
- المؤتمر الرابع للتعريب ٠
- الندوة العلمية العالمية الثالثة لمركز دراسات الخليج ٠

الادب الشعبى

٩ ـ عبد الله بن على بن صقيه ٠ لاشبع من لا يخاف الله نكر ـ١ـ٠ ع٣ شوال ١٣٩٨ هـ سبتمبر ١٩٧٨ م ٠ ص‌ص : ١٣٦ ـ ١٣٧ ٠

١٠ـ مطلق حميد العتيبى ٠ صور من الشعر الشعبى٠ ع ٣ شوال ١٣٩٨هـ سبتمبر ١٩٧٨ م ص‌ص ١٣٣ ـ ١٣٥ ٠

١١ـ احمد الحوفى ٠ شاعرية العرب وأثر البيئة فيها ٠ ع٤ ،محرم١٣٩٩هـ ديسمبر ١٩٧٨م ٠ ص‌ص ـ٢٠٠ ـ ٢٠٩ ٠

١٢ـ ظافر القاسمى ٠ البشرى فى مرايا الجرح والتعديل فى التاريخ السياسى ٠ ع٤ ، محرم ١٣٩٩ هـ ـ ديسمبر ١٩٧٨ م ٠ ص‌ص٠ ٣٢٨ ـ ٣٣٦ ٠

١٣ـ عبد الله بن عبد العزيز بن ادريس ٠ معالم الشعر السعودى المعاصر ع ٣ شوال ١٣٩٨ هـ سبتمبر ١٩٧٨ م ٠ ص‌ص ١٥ ـ ٣١ ٠

١٤ـ عمر عثمان خضر ٠ فن القصة فى الحضارة العربية ٠ ع ١ ، ربيع ثانى ١٣٩٨ هـ ـ مارس ١٩٧٨ م ٠ ص‌ص : ٢٥٦ ـ ٢٧٥ ٠

١٥ـ محمد السليمان السديس ٠ الاماكن الجغرافية فى الادب العربى ع٤، محرم ١٣٩٩ هـ ديسمبر ١٩٧٨ م ٠ ص‌ص : ٢٤٣ ـ ٣٠٠ ٠

ـ التاريخ ـ

١٦ـ احمد حسين شرف الدين (معلق) · حول مقالات ذو القرنين بين الخبر القرآني الواقع التاريخي · ع ١ ، ربيع ثانى ١٣٩٨ هـ ـ مارس ١٩٧٨ م ·

١٧ـ عبد الحفيظ عبد الفتاح قارى · اصول التاريخ السعودى ، مقدمة فى المنهج والموقف ع١ ، ربيع ثان ١٣٩٨ هـ ، مارس ١٩٧٨ م · ص‌ص : ١١٠ ـ ١٣٣ ·

١٨ـ عبد الشافى غنيم عبد القادر · شرق الجزيرة العربية كواحدة من المنابت الاصلية للشعوب السامية · ع ٢ رجب ١٣٩٨ هـ ـ يونيه ١٩٧٨ م · ص‌ص : ٦٨ ـ ٨١ ·

١٩ـ عبد الفتاح أبو عليه · وثائق عن تاريخ الدولة السعودية فى عهد الملك عبد العزيز ١٩٠٢ ـ ١٩٥٣ م · ع ١ ، ربيع ثانى ١٣٩٨ هـ ـ مارس ١٩٧٨ م ·· ص·ص ١٤٤ ـ ١٧٣ ·

٢٠ـ عبد الله الصالح العثيمين · نجد منذ القرن العاشر الهجرى حتى ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب · ع ١ ربيع ثان ١٣٩٨ هـ ـ مارس ١٩٧٨ م · ص‌ص : ٢٢ ـ ٢٩ ·

٢١ـ عبد الله الصالح العثيمين · نجد منذ القرن العاشر الهجرى حتى ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٢ · ع ٣ شوال ١٣٩٨ هـ ـ سبتمبر ١٩٧٨ م · ص·ص : ٣٢ · ٤٦ ·

٢٢ـ على محمد عامر · الاوائل · ع·٤ ، محرم ١٣٩٩ هـ ـ ديسمبر ١٩٧٨م · ص ٣١٨ ـ ٣٢٧ ·

التراجـــم

٢٣ـ سامى الصقار · حول مقال نصير الدين الطوسى العالم الرياضى ،

رأى وتعليق ٠ ع٣ شوال ١٣٩٨ هـ ٠ ـ سبتمبر ١٩٧٨ م ٠ ص‌ص ٢٨٠ ـ ٢٨٦ ٠

٢٤ـ عبد الرحمن بن عبد اللطيف ال الشيخ ٠ الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن ع ٤ ، محرم ١٣٩٩ هـ ٠ ـ ديسمبر ١٩٧٨ م ٠ ص‌ص ١٠ ـ ٢٠ ٠

٢٦ـ الشيخ عبد الله العجيرى ١٢٨٥ ـ ١٣٥٢ هـ ع ٢ ، رجب ١٣٩٨ هـ يونيه ١٩٧٨ م ٠ ص‌ص ١٠ ـ ١٥ ٠

٢٧ـ على عبد الله الدفاع ٠ نصير الدين الطوسى ، العالم الرياضى الملقب بالعلامة ٠ ع ١ ، ربيع ثان ١٣٩٨ هـ ـ مارس ١٩٧٨ م ٠ ص‌ص ١٧٤ ـ ١٨٣ ٠

٢٨ـ فيدمان ، ايل هارد ٠ تراجم بعض العلماء للبيهقى ، ترجمة عبدالله ابن عبد عبد الله حجازى ٠ ع ١ ، ربيع ثان ١٣٩٨ هـ ـ مارس ١٩٧٨ م ٠ ص‌ص ٣١٤ ـ ٣٤٢ ٠

٢٩ـ كارتر ، جون ٠ من أنساب القبائل العربية ـ ١ ـ قبيلة جنابة فى عمان ٠ ع ٢ ، رجب ١٣٩٨ هـ ـ يونيه ١٩٧٨ م ـ ٠ ص‌ص ٣٢٠ ٣٢٤ ٠ أصل المقال منشور بالقسم الافرنجى فى نفس العدد ٠

٣٠ـ محمد بن سعد الشويعر ٠ ابن ضويان واثاره ١٢٧٥ ـ ١٣٥٣ هـ ـ ـ ١٨٥٨ ـ ١٩٣٤ م ـ ع ٢ رجب ١٣٩٨ هـ ـ يونيه ١٩٧٨ م ٠ ص‌ص ٨٢ ـ ٩٩ ـ

٣١ـ ابن غنام ، مؤرخ وتاريخ ٠ (من تراثنا) ٠ ع١ ، ربيع ثان ١٣٩٨هـ مارس ١٩٧٨ م ٠ ص‌ص ٣٠ ـ ٤٥ ٠

٣٢ـ مقبل الذكير ٠ ع ٣ شوال ١٣٩٨ هـ ـ سبتمبر ١٩٧٨ م ٠

ص‌ص ٧٦ ـ ٩٩ ٠

٣٣- مقبل الذكير وتاريخه _ ٢ (من تراثنا) ع ٤ ، محرم ١٣٩٩ _ ديسمبر ١٩٧٨ م ٠ ١٢٢ _ ١٣٨ ٠

٣٤- منصور عبد العزيز الرشيد ٠ قضاة نجد اثناء العهد السعودى ٠ ع٢ ، رجب ١٣٩٨ هـ ٠ يونيه ١٩٧٨ م ٠ ص ص ١٦ _ ٣٧ ٠

٣٥- منصور عبد العزيز الرشيد ٠ قضاة نجد اثناء العهد السعودى ٠ع٣ شوال ١٣٩٨ هـ سبتمبر ١٩٧٨ م ٠ ص‌ص ١٠٠ _ ١٣٢ ٠

٣٦- منصور عبد العزيز الرشيد ٠ قضاة نجد أثناء العهد السعودى _ _ ٣ _ ع ٤ ، محرم ١٣٩٩ هـ _ ديسمبر ١٩٧٨ م ٠ ص ٦١ _ ٩٨

٣٧- يحيى بن ابراهيم بن حسين ٠ تعقيب حول الطوسى عالم الرياضيات ع ٤ ، محرم ١٣٩٩ هـ _ ديسمبر ١٩٧٨ م ٠ ص‌ص ٣٤٩ _ ٣٥١ ٠

التربية والتعليم

٣٨- عبد السلام عبد الله عثمان ٠ الفكر التربوى فى المملكة العربيـــة السعودية بين الاصالة والتجديد ٠ ع٢ ، رجب ١٣٩٨ هـ _ يونيه ١٩٧٨ م ٠ ص‌ص ٣١٠ _ ٣١٩ ٠

٣٩- عبد الله بوقس ٠ ملامح عن الثقافة فى المجتمع السعودى ٠ ع ٣ ، شوال ١٣٩٨ هـ _ سبتمبر ١٩٧٨ ٠ ص‌ص ١٤٩ _ ١٥٨ ٠

التنمية الاقتصادية

٤٠- يوسف ابو الحجاج ٠ البترول والتنمية الاقتصادية فى شبه الجزيرة العربية ٠ ع ٣ شوال ١٣٩٨ هـ _ سبتمبر ١٩٧٨ م ٠ ص‌ص ١٥٩ ٠١٩٨

الجغرافيا والرحلات

٤١- أمين محمود عبد الله ٠ واحات الاحساء دراسة الخلفية الجغرافية

للتنمية · ع ٢ ، رجب ١٣٩٨ هـ ــ يونيه ١٩٧٨ م · ص‌ص ٢٢٤ ــ ٢٥٧ ·

٤٢ــ عبد الامير عبد دكسن · عمان فى كتابات جغرافيي القرنين الثالث والرابع للهجرة · ع ٢ رجب ١٣٩٨ هـ يونيه ١٩٧٨ م · ص ١٠٠ ــ ١١٣ ·

٤٣ــ محمد محمود محمدين · دراسات فى الاسماء الجغرافية العربية · ع ٤ محرم ١٣٩٩ هـ ــ ديسمبر ١٩٧٨ م · ص‌ص ٢٢٣ ــ ٢٤٢ ·

٤٤ــ كيف يستفاد من الشعر الجاهلى فى دراسة جغرافية الجزيرة العربية ع١ ربيع ثان ١٣٩٨ هـ ــ مارس ١٩٧٨ م · ص‌ص ٢٠٨ ــ ٢٢٩·

الــــــــدارة

٤٥ــ حسن بن عبد الله آل الشيخ · حديث الى قراء مجلة الدارة · ع ١، ربيع ثان ١٣٩٨ هـ مارس ١٩٧٨ م · ص‌ص ١٠ ــ ١١ ·

٤٦ــ فيصل المبارك · تحية الدارة (شعر) · ع١ ربيع ثان ١٣٩٨ هـ ــ مارس ١٩٧٨ م · ص‌ص ١٩٩ ·

٤٧ــ محمد حسين زيدان · افتتاحية العدد · ع١ ربيع ثان ١٣٩٨ هـ ــ مارس ١٩٧٨ م · ص‌ص ٦ ــ ٧ ·

٤٨ــ افتتاحية العدد · ع٢ رجب ١٣٩٨ هـ ــ يونيه ١٩٧٨ م · ص‌ص ٦ ــ ٩ ·

٤٩ــ افتتاحية العدد · ع٣ ، شوال ١٣٩٨ هـ ــ سبتمبر ١٩٧٨ م · ص‌ص ٦ ــ٧ ·

٥٠ــ افتتاحية العدد · ع٤ ، محرم ١٣٩٩ هـ ــ ديسمبر ١٩٧٨ م · ص‌ص ٧ ــ٩ ·

الدراسات السكانية

٥١ــ عمر الفاروق سيد رجب · الخريطة السكانية للمملكة العربيـــة

السعودية ، التغيرات ٠٠ الخصائص ٠٠ الاتجاهات ٠٠ ع ٢ ، رجب ١٣٩٨ هـ ـ يونيه ١٩٧٨ م ٠ ص ص ١٦٦ ـ ٢٢٣

٥٢ ـ محنش محمد على مغرم ٠ ملاحظات حول مقال الخريطة السكانية فـي المملكة العربية السعودية ٠ ع ٣ ، شوال ١٣٩٨ هـ ـ سبتمبر ١٩٧٨ م ٠ ص‌ص ٢٧٧ ـ ٢٧٩ ٠

٥٣ ـ مدحت محمود صبرى ٠ دراسة ديموجرافية لبعض القرى المختارة بمنطقة القصيم بالمملكة العربية السعودية ٠ ع٣ ، شوال ١٣٩٨ هـ سبتمبر ١٩٧٨ م ٠ ص‌ص ١٣٨ ـ ١٤٨ ٠

الدين الاسلامى

٥٤ ـ ظافر القاسمى ٠ القضاء فى الاسلام ٠ ع١ ربيع ثان ١٣٩٨ هـ ـ مارس ١٩٧٨م ٠ ص‌ص ١٣٤ ـ ١٤٣ ٠

٥٥ ـ عبد الله بن يوسف الشبل ٠ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٠ ع٤ ، محرم ١٣٩٩ هـ ـ ديسمبر ١٩٧٨ م ٠ ص‌ص ٢١ ـ ٣٦ ٠

٥٦ ـ محمد حسين زيدان ٠ طلابنا والحفاظ على الايمان ٠ ع٢ ، رجب ١٣٩٨ هـ ـ يونيه ١٩٧٨ م ٠ ص ٣٨ ـ ٣٩ ٠

٥٧ ـ المؤتمر الاسلامى ، المثال البديل للخلافة ٠ ع١ ، ربيع ثان ١٣٩٨هـ مارس ١٩٧٨ م ٠ ص ص ٢٠٠ ـ ٢٠٧ ٠

٥٨ ـ محمد شوقى الفنجرى ٠ نحو اقتصاد اسلامى (المنهج والمفهوم) ٠ ع١ ربيع ثان ١٣٩٨ هـ ـ مارس ١٩٧٨ م ٠ ص‌ص ١٨٤ ـ ١٩٨٠

٥٩ ـ محمد متولى الشعراوى ٠ رد فضيلته على بعض الاسئلة ٠ ع٢ ، رجب ١٣٩٨ هـ ـ يونيو ١٩٧٨ م ٠ ص ص ٤٠ ـ ٤٦ ٠

٦٠ ـ مناع القطان ٠ سمو الاسلام وعالميته ٠ ع٣ ، شوال ١٣٩٨ هـ ٠ ـ سبتمبر ١٩٧٨ م ٠ ص‌ص ٤٧ ـ ٥٩ ٠

الرسائل العلمية

٦١ــ سعد عبد العزيز الراشد . طريق الحج بين الكوفة ومكة دراسة نقدية لطريق الحج بين الحج والكوفة ومكة ودرب زبيدة مقرونا بدراسة ميدانية . (رسائل علمية) ع ٣ ، شوال ١٣٩٨ هـ ــسبتمبر ١٩٧٨ م . ص‌ص ٢٥٠ ــ ٢٥٤ .

٦٢ــ عبدالعزيز محمد العبد المنعم . نزع ملكية العقار للمنفعة العامة فى ضوء الشريعة الاسلامية . ع٢ رجب ١٣٩٨ هـ . ــ يونيو ١٩٧٨ م . ص‌ص ٢٩٤ ــ ٢٩٧ .

٦٣ــ محمد بن سعد الشويعر . أبو اسحق الحصرى القيروانى فى كتابه زهر الاداب . (رسائل علمية) . ع ١ ، ربيع ثان ١٣٩٨ هـ . ــ مارس ١٩٧٨ م . ص‌ص ٣٠٢ ــ ٣٠٧ .

٦٤ــ مطلق حميد العتيبى . التجديد والتقليد فى الشعر الحجازى المعاصر (رسائل علمية) . ع ٤ ، محرم ١٣٩٩ هـ . ــ ديسمبر ١٩٧٨ م ص‌ص ٣٤٣ ــ ٣٤٨ .

الشعر

٦٥ــ محمد الشيد شريف . جزيرة النور . (شعر) . ع٢ رجب ١٣٩٨هـ يونيه ١٩٧٨ م . ص ص ٢٥٨ ــ ٢٦٠ .

٦٦ــ محمد عطية شبكة . فيصل الشهيد (قصيدة شعر) . ع ٤ ، محرم ١٣٩٩ هـ ــ ديسمبر ١٩٧٨ م . ص‌ص ٣٣٧ ــ ٣٤٢ .

الطباعة ونشر الكتــــب

٦٧ــ احمد محمد الضبيب . حركة احياء التراث بعد توحيد الجزيرة . ع٣ ، شوال ١٣٩٨ هـ . ــ سبتمبر ١٩٧٨ م . ص‌ص ٩ ــ ١٤ .

٦٨ــ محمد عبد الرحمن الشامخ . ظهور الطباعة فى‌بلاد الحرمين الشريفين ع٤ ، محرم ١٣٩٩هـ ديسمبر ١٩٧٨ . ص‌ص ٣٧ ــ ٦٠ .

العلـــــوم

٦٩ـ احمد نبيل أبو خطوة • مشكلة الذهاب الراهنة • ع ٤ ، محرم ١٣٩٩ هـ ـ ديسمبر ١٩٧٨م ص‌ص : ٣٧٣ ـ ٣٨٧ •

٧٠ـ حسن عبد القادر صالح • موارد المياه الجوفية فى حوض النفوذ الرسوبى الكبير بالمملكة العربية السعودية • للدكتور بن حسن عبد القادر صالح وعبد الرحمن صادق الشريف • ع١ ربيع ثان ١٣٩٨ هـ ـ مارس ١٩٧٨ م • ص‌ص : ٤٦ ـ ٧٥ •

٧١ـ عبد الحليم منتصر • الانسان والارض • ع ٤ ، محرم ١٣٩٩ هـ ـ ديسمبر ١٩٧٨ م • ص‌ص : ٢١٠ ٢٢٢ •

٧٢ـ عبد الرحمن زكى • الخيل فى السلم والحرب عند العرب • ع ١ ، ربيع ثان ١٣٩٨هـ ـ مارس ١٩٧٨م • ص‌ص : ٩٤ ـ ١٠٩ •

٧٣ـ عبد العزيز بنعبد الله • الفكر العلمى فى المغرب الاقصى مع المسار الحضارى الحديث (تاريخ الفكر خلال ألف عام) • ع ٤ ، محرم ١٣٩٩ هـ ـ ديسمبر ١٩٧٨ م • ص‌ص ١٦٠ ـ ١٩٩ •

الفنون العسكرية

٧٤ـ محمد جمال الدين محفوظ • الفن الحربى الاسلامى فى غزوة بدر الكبرى • ع٢ رجب ١٣٩٨ هـ يونيه ١٩٧٨م • ص ص : ١٣٤ ـ ١٦٥ •

الكتب عرض ونقد

٧٥ـ السيد احمد مرسى (عارض) • خولة بنت الازور تأليف عبد العزيز الرفاعى • ع٢ رجب ١٣٩٨ هـ يونيه ١٩٧٨ م • ص‌ص • ٣٠٦ ـ ٣٠٩ •

٧٦ـ عبد الرحمن عميرة (عارض) • كتاب قصة الايمان •• بين الفلسفة

والعلوم والقرآن ٠ (عرض الكتب) ٠ ع ٤ ، محرم ١٣٩٩ هـ ــ ديسمبر ١٩٧٨ م ٠ ص‌ص : ٣٥٢ ــ ٣٧٢ ٠

٧٧ــ عبد الستار الحلوجي (عارض)٠ مع الدكتور الضبيب وكتابه أثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب (عرض الكتب) ٠ ع١ ربيع ثان ١٣٩٨هـ ــ مارس ١٩٧٨ م ٠ ص ص : ٢٧٦ ــ ٢٨٣ ٠

٧٨ــ عبد الستار الحلوجي (عارض) ٠ كتاب الاصلاح الاجتماعي فى عهد الملك عبد العزيز تأليف عبد الفتاح أبو علية ٠ ع ١ ، ربيع ثان ١٣٩٨ هـ ــ مارس ١٩٧٨ م ٠ ص‌ص : ٢٨٤ ــ ٣٠١ ٠

٨٠ــ محمد حسن (عارض) ٠ كتاب الدليل الببليوجرافي للانتاج الفكرى العربى فى مجال المكتبات والتوثيق تأليف محمد فتحى عبـــــد الهادى ع٢ ، رجب ١٣٩٨ هـ ــ يونيه ١٩٧٨ م ٠ ص‌ص : ٢٩٨ ــ ٣٠٥ ٠

٨١ــ محمد كمال جمعه (عارض) عرض ونقد لكتاب فيصل فى قمة التاريخ تأليف السيد عبد الحافظ عبد ربه ٠ ع ٣ شوال ١٣٩٨ هـ سبتمبر ١٩٧٨ م ٠ ص‌ص : ٢٢٤ ــ ٢٤٩ ٠

اللغة العربية

٨٢ــ ابراهيم السامرائى ٠ أبنية العربية بين النوادر والغريب ٠ ع ٢ رجب ١٣٩٨ هـ ــ يونيه ١٩٧٨ م ٠ ص‌ص : ٢٧٦ ــ ٢٩٣ ٠

٨٣ــ ابراهيم السمرائى ٠ السلاح فى العربية ٠ ع ٤ ، محرم ١٣٩٩ هـ ديسمبر ١٩٧٨ م ٠ ص : ٩٩ ــ١٢١ ٠

٨٤ــ محمد عبد الغنى سعودى ٠ مكانة اللغة العربية وأثرها فى اللغات الافريقية ع ١ ، ربيع ثان ١٣٩٨ هـ ــ مارس ١٩٧٨ م ٠ ص : ٧٦ ــ ٩٣ ٠

٨٥ـ اسماعيل احمد اسماعيل حافظ ٠٠ أساء مكة فى القرآن الكريم وكتب السيرة والادب والتاريخ والاثار ٠ ع ٤ ، محرم ١٣٩٩ هـ ـ ديسمبر ١٩٧٨ م ٠ ص‌ص : ١٣٩ ـ ١٥٩ ٠

كشاف هجائى باسماء المؤلفين

حرف الالف

حرف الحاء

حرف السين

حرف الظاء

حرف العين

حرف الفاء

حرف الكاف

حرف الميم

حرف الياء

كشاف هجائى بالعنوان

حرف الالف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الواو

ملخص الأبحاث بالانجليزية

Title Index

- A -

- D -

- M -

- N -

- O -

- T -

Auther Index

Hijri century till the appearance of Sheikh Mohamed Bin Abdulwahab. No. 1 , Rabi Thani 1398 - March 1978, pp 5-7.

Holly Cities

9 - Ismail, Ismail Ahmad. Mecca the blessed's names as found in the Holy Quran, traditions, literature, history and archeology(a short history)No. 4, Muharam 1399 - December 1978 , pp 5-8 .

Literature

10 - Al- Hoofy , Ahmed . A summary of the essay entitled poeticalness of the Arabs and the effect of environment on it No. 4, Muharam 1399 - December 1978, pp - 9 - 13

Millitary Arts

11 - Mahfouz, M. Gamal- Eldin . The Islamic military tactics in the great battle of Badr. No. 2, Rajab 1398 - June 1978, pp 5 - 13 .

Printing & Publishing

12 - Al- Shamekh , M. A. The Emergence of Printing houses in Arabia. No. 4, Muharam 1399 - December 1978. pp3-4

Science

13 - Muntasir,Abdul Haleem. Man and Earth. No. 4,Muharam 1399 - December 1978. pp. 14 - 19 .

14 - Zaky, Abdul Rahman. Horses in peace and war. No. 1. Rabi Thani 1398 - March 1978. pp. 32 - 34

ARCHEAOLOGY

1 - El- Rashed, Sa'ad Abdul-Aziz . Al Saqa , an ancient city. No. 3. Shaw'al 1398 - Sept, 1970. pp 8 - 11,

2 - ———. Darb Zubaydah in the Abbasid period ; historical and archeological aspects. No. 1 , Rabi Thani 1398 — March 1978. pp 8 - 31 .

Biographies

3 - Carter, J.R.L. Notes on the Janabat of Oman. No. 2 Rajab 1398 - June 1978 . pp 19 — 43

4 - Eied , Abdul - Amir. Oman (in the writings of the geographers of the third and fourth Hijrcenturies) No. 2, Rajab 1398- June 1978. pp 15 - 18

DEMOGRAPHIC STUDIES

5 - Sabri , H. Medhat . A Demographic study in some selected villages in Kasseem Area Saudi Arabia. No. 3, Shaw'āl 1398 - Sept 1978 . pp 5—7 .

Economics

6 - Abu Al- Hajaj, Yousef. Oil and economic development in the Arabian Peninsula . No. 3, Shaw'al 1398 - Sept 1978. pp 12 - 13 .

7 - El- Fanjari , M.S. Towards an Islamic economy. No. 1, Rabi Thani 1398 - march 1398 - march 1978 . pp 35 - 37 .

History

8 - Al- Uthaimin, Abdullah Salih . NEJD from the tenth

SUBJECT HEADINGS

Archeology

Biographies

Demographic Studies

Economics

History

Holly Cities

Litrature

Military Arts

Printing & Publishing

Science

ADDARAH INDEX

VOL. (4)

afford such an undertaking through their cooperation. moreo-over they have efficient experienced staff the can arso sèléct also some other nighly qualified pesonnel to contribute to the project. I hereby expect their approval of the idea, study it thoroughly, and start putting it into effect according to a fixed schedule .

May Allah realize our aspirations

Riyadh - Mohammad Ahmad Al Solaïman Islamic University of Imam Mohammad Ibn Saud.

Translated by : Sabry Ibrahim

2 - Compiling and enlisting sites in separate tables .

3 - Arraging sites according to alphabetical order .

4 - Writing the names of sites in Arabic beside their latin letters names.

5 - The names must be accentuated in order to avoid ambiguity .

6 - An administrative regions map of the kingdom has to be affixed to the dictionary .

A pattern of the layout of the suggested dictionary.

Name in Arabic	Name in latin letters	Attribute of name	Location
أرطاوية	Artawiyah	City	North ,of Sidair
أبو مخروق	Abou- Makhrouk	Monatain	Middlle of Nejd
الدرعية	Direayah	City	West of Riyadh
المشقر	Mashcar	Valley	West of Majmaa

The Staff entrusted With the preparation of the dictionary

I have previously pointed out that individuals are financially incapable of perfoming such an achievement . Therefore a governmental institution must assume the responsibility of planning and carrying out the project to which an independent budget has to be alloted. I think that institutions like King Abdul Aziz Research Centre , Islamic University of ImamMohammed Ben Saud and the University of Riyadh can

The preparation of this reference shall overcome all extant problems still existing in the field of intellectuals , in mass media and in the education of children as to the ignorance of these sites as well as their difinitin and verification . The preparation of this reference and its availability for the intel-lectual, student, teacher and every specialized researcher , definitely shall contribute to the scientific and information fields in the kingdom . Therefor , this reference is a scinetific dictionary nobody can spare. It shall also be of great help to all governmental directorates and departements in recognizing places and sites that needs reform and development in all social, touristic, religious and educational fields.

The contents of the suggested dictionary

The dictionary shall include all names of geographical and historical sites in all regions and areas of the kingdom comp-rising cities , villages , hijar, land , sea and every physical feature such as the mountain, grotto,lake,insland,sprigos-oases and the famous historical places in whichthe researcher can find his required information.

The dictionary method of preparation

There is no doubt that those specialized in history and geography have their nature opinions concerning the layout of the suggested dictionary and the ideal methods required for its perfect design. The following points could be valuble for preparation of the dictionary : —

1 - Investigating the geographical, historical sites and veri-fying them .

A draft plan for preparing a geogrophical and historical

Studies dictionary for the Kingdom of Saudi Arabia .
by Mohammad Ahmad Al- Sulaïman

Looking into the cultural field among students and intellectuals in the Kingdom of Saudi Arabia, we find that most of them are in dire need of an accurate, correct and comprehensive reference to locate and define names of the geographical and historical sites in the Kingdom. Up to now nobody among those interested in historical and geographical studies edited a comprehensive lexicon or dictionary that locate the numerous and different sites throughourt the regions of the kingdom . The compilation of sites names , their indexing and verification are an inevitable duty to those competent in this field . It is clear that there is a difficulty in the definition , enumeration, verification then indexing , printing and distribution , only from the financial point of view . The project requires funds that are beyond the reach of any individual . Such work necessitates a lot of personnel and long time to help achieve the task . It also underscores the necessity of full time staff free of other obligations . As they must be ready to make many trips to various cities, villages , hijar and desert places in the kingdom . The task requires such as books,meetings, frequenting public libraries inside and outside the kingdom .

Entrusting a governmental institution such as KingAbdul Aziz Research Centre or Imam Mohammad Ben Saud Islamic University with such a task is for sure a short cut to its realization and success .

Also they may treat a number of interrelated subjects like social sciences or arts .. etc.

Translated by : Saìd Abd al- Azìz

The first surveys all branches of human knowledge, then introduces them in a standard order , each main subject with its divisions and sub-divisions. Due consideration is given to the interrelationships between divisions ofa subject on the one hand and between the main subjectand other big headings on the other. This same system ls also divided into two main categories the first of which is caud universal systems and is represented by the following world systems of classification:

1 - Dewey Decimal Classification by M. Dewey

2 - Expansive Decimal Classification by Cutter

3 - The Library of Congress Classification

4 - Subject Classification by James Brown

5 - Bibliographic Classification by Hernry E. Bliss .

The other category of plans is called analytico - synthetic. and is represented by Colon Classication' of the Indian scholar Ranganathan.

A third category stands in between the other two - Universal Decimal classification - and uses both Dewey Universal Decimal Classification and " Analytico - synthetic ..' to particularize a certain subject.

As for specialized classification systems they are intended to cover one branch of knowledge like Islam, education, engineering, managment or electronics.

library materials belonging to Ashur Banibal (7th century B.C.) were classified into six main subjects : history, law, sciences, magic, religions, and myths It is wellknown that Calimahus , the chief of Alexandria ancient library in the 3rd Century B.C. , had his library classified into 120 headings and some of them arranged chronologically .

In the Middle Ages monasteries had their books kept in safes and classified by subject - within each subject books were arranged according to their size. Those libraries tollowed the simplest classification possible when they separated oooks of the faithful (believers in God) from those of the unbelievers .

Islamic libraries in the Middle Ages were- acquainted with classification . Examples were libraries of the Fatemite Caliph caliph Al- Hakim Bi: Amr Allah in cairo of the Omayyad "al- Mustanser" at Cordoba, and of "Adid al- Dáwlà al- Buwayhi, in Shïraz . When lbn Sina came to the library of Bukhara he found; its books classified .

But all these classifications were particular to individual libraries and not applicable to all. It was not until recent-times when the great and diverse flood of books necessitated the adoption of a standard plan for classification .

Modern Classification Systems

There are two kinds : general and specialized systems .

Plato divided knowledge into concrete and rational . The concrete includes physical sciences and the rational comprises mathematics and religions. Aristotle classified sciences inlo theoretical , practical and creative (poetry) .

In the Islamic era moslem thinkers had their own theories in classifying knowledge. At the top of the list come intellectuals like al- kindi, al Farabi, al- khwarazmi, Ibn- siná . Ikhwan al- safá and Ibn khalldun . Al- Kindi classified knowledge into religious and pholosophic , whrereas Ibn- Sina divided it into theoretical and practical. Ikhwan al- Safá arranged sciences into mathematical, physical, psychological and religious. Ibn khaldun classified knowledge into traditional and rational. The first included Arabic and Islamic sciences - transmitted from one generation to another - and the latter comprised all other sciences not peculiar to one particular nation or country.

Centries passed before these Islamic theories were succeeded by the ideas of Francis Bacon which related all human knowledge, to three human faculties : memory , fancy and reason . Bacon took history as product of the memory, poetry an outcome of francy and philosophy a result of reason.

As for ancient classification of books it began with the emergence of libraries. In his book , The Story of Civilization Durant mentions that in the 3 rd thousand years B.C. earthen slates were kept in jars and shelved filling a big number of libraries in Babylonian palaces and government headquarters

Clark maintains in his . The Care of Books" that the

of branches of knowledge, which is for from being true . Physics and chemistry, for example, may appear as two individual sciences whereas their interrelation ships justify their study as one subject at schools

2) Book contents do not always agree with theoretical divisions of knowledge.A book may deal with various subjects though it must be shelved in one place and take one classification number. Here a question arises : where should we put a book on Saudi - American relations ? should we shelve it among others about Saudi Arabia or among books obout U.S.A. , or with books on international relatios ? The same as regards a comprehensive book on Suez Canal,Should a classifier put it among materials on Egypt , or on navigation or on geography, or on economy or among boóks on interna-tinal law ? .

The answer to all these questions must be determined by one guiding principle : to put the book in the place most proper for the reader's use ,

Why do we classify :

Classification or book arangements, then, is a necessity to facilitate use, save research effort and time and help make a balance between library groups of material. Thus a shortage in one branch can be detected and filled up.

Classification throughout history

The idea of classifying knowledge is for back in history.

Sometimes we may find it necessary to isolate some items from their mother groups of materials. periodicals, atlases, slides , records and films are usually separated from books because they are kept in a different way .Children books are usually separated from adult books . The same applies to manuscripts and rare materials these items, whenever sougth for will be missed by the reader in their normal places .

Literature , as well, needs particular arrangement. Literary books are not classified by subject like praise, satire, or lamentation, but according to literary from like poetry fition and drama. . Under each literary from headings are arrânged chronologically. within each age literary materials are lasthy classified by author. by author.

Though this kind of classification is the best for literary books we can't taks it for granted . A research - worker in Arabic literature of the Abbasid period, for examplt, will find himself obliged to collect his materials from scattered places according to their classification number witin the literary forms that contain them. This, constitutes the basic problem a classifier. He has to differentiate betwne various approaches to a subject and choose the arrangement most convenient for library use . The poin of conclusion here is that classification by subject in difficult to be applied comprehensively.

However, this does not represent the only shortcoming in subject classification. Two other negative aspects are :

1) Classification by subject may indicate the separability

A summary of the Essay entitled

Book classification in the past and to - day .

by Dr. Abd al- Sattar al- Halwagi

Classification means to assign things or ideas to classes wherein joint qualities and characteristics exït. This applîes to all aspects of our life. For example , clothes of a family are kept in a place separate from thtat or foodstüffs, Also in a store are arranged categorically to be easily accessible to both seller and buyer.

Similarly , a library has to arrange or classify its ácquired materials to provide easy access to them . These materials can be classified on physical basis i. e. separating periodïcals from books and the latter from audio-visual accuisition. Books alone can be sub-divided according to size, colour , language, auther or date of publication but to classify by subject has become the worldwide practice for the simpl reason that books are read for what they contain regardless of their physical or colour features or even the author's name .

This fact finds support in education systems all over the world. The rapid and astronomic growth of human know ledge necessitates the devotion to a particular branch of science. Likewise book classification is no more than to specify book subjects, to arrange them in a logical sequence that reflects their interrelationships, and to adopt this kind of arrangement in book shelving and card arrangement in the cotaloguse.

However , subject classification is not altogether faultless.

long conflict and mistrut between them left its mark and was ready to come to the surface soon opportuniy arises. This came only eigth years later when The First world war broke out .The Turks were not slow to take the side of the Germans and soon marched their forces through Sinai against Britain in Egypt.

passed through them and, therefore, needed them for thé protection and rest of the pilgrims, and since they no longer need them, the ports should be handed over to the Sultan, their rightful owner . It was not until 1887, and after a lengthly counter-claims, that the Turkswere able to repossess the por of al-Wajh . But that was not to be the end of the conflict over the legality of possessing the rest of the ports and Sinai. The Turks continued to press their claims for repossessing them, but the British government was not willing to oblige. By 1892 , however , the Turks were able, by peaceful means, to obtauin the other three ports and only the conflict over Sinai was left unresolved. In 1903, a new factor appeared in the horizon and helped to stir the Turkish-British relattions once more. This was the Turkish intention of extending the railway line into Medina. Such a line would come through Sinai , a land which both had conflicting claims. In the opinion of the British government, the line was to be built only for strategical reasons, namely to threaten their communications to India and to encroach on Egypt. The conflict over the area came to its most serious point in 1906 when the Turks occupied al- Arish by force. The British government sent an ultimatum to Sultan Abdul Hamid, demanding the withdrawal of the Turks from the place within ten days. They moved their Mediterranean fleet to the arèa and things seemed to be moving to a real war between the two contriès. The Sultan, awar of his limitations , and the fact that his new allies, the Germans, were not ready to go to war against Britain, had to bow to the British demands and withdrew his force from the place. The two sides were able to reach a final agreement over the boundary problems in Sinai bu the

strip of northern Hijaz which extends from al- Wajh to Sinai. The Turks did not pay much attention to the area at the time and seemed to be content with what they had obtained. Another reason for leaving it under Egyptian control was perhaps their awareness of the Egyptian need of the ports lying in the area, such as Aqaba, Dhiba, Muwailh and al- wâjh, for their pilgrims who pass there every year. The Egyptians were left free to administer and garrison these places until the late seventies of the 19th century. The opening of the Suez Canal in 1869 cast a naw light on the whole area and the Turks were not slow to recognize the new development. They tried to fasten their grip over their possessions on the one hand and to expand their authority over new places on the other. The status of the ports of northern Hijaz, however, was not to be raised until 1884. By 1882, Britain had become the real master of Egypt and the Turks were alarmed at its presence . They feared that Britain migt soon inherit the Egyptian possessions, including those of northern Hijaz and therefare become in a position to threaten the Holy places of Islam which Sultan Abdul Hamid (1876 - 1908) perhaps values more than Istanbul itself for the prestigious position they command in the eyes of Muslims all over the world.

In 1884, the Turks found a pretext to demand the withdrawal of the Egyptians from those places. This was when the the vali of the Hijaz, Osman Nori Pasha, sent a telegram to his government telling them that the Egyptians were trying to strenghen their position in al- Wajh, the southernmost of those ports, He remarked in a telegram which he sent to the grand- vizier that the Egyptians were premitted to administer those places at a time when their pilgrimage caravans

"The Turko- Egyptain conflict over the right of possessing the ports of nothern Hijaz and Sinai and the British interference : A study based mainly on the British and Turkish archives" .

It is a well-known fact that Muhammad Ali pasha, the viceroy Egypt, was called upon by Sultan Mahmud II (1807-1839) to drive the Saudiswho occuppiedthe Hijaz in 1803 -05- out of the province. Mahmud, when he asked Muhammad Ali to undertake this taskwas hoping that the latter would hand it over to him as soon as he occupies itMuhammad Ali , an ambitious and capable governor, was planning otherwise; he was dreaming of establishing an empire at the expense of his suzerain the sultan; It is no wonder therefore that he kept the Hijaz under his rule when the Saudis withdrew from there between 1812 and 1815. He was not satisfied with what he had obtained in the Arabian peninsula, so he moved his men under his son Ibrahim Pasha into Syria. He met the armies of the Sultan in Syria in more than one battle and emerged victorious. His success in Syria led him to pursue the Turks in their own territories, and when it became almost certain that he might succeed in capturing Istanbul, the Ottoman capital, and thus put an end to the Ottoman Empire, the great powers of the west , especially Britain and Austria, interfered. The Pasha was warned that he would be deprived of all his prossessions , including Egypt, unless he consented to hand over all the territories which he had conquered from the Ottomans. After a lengthy bargaining and nearly getting engaged in awar with the powers, Muhammad Ali bowed to his enemies' demands. He withdrew from all Turkish territories they were in Anatolia, Syria or in Arabia but the narrow

ADDARAH

Notice :

— All Correspondence should be directed to the Editor in- Chief
P. O. Box 2945 — Riyadh

— Articles are arranged technically, regardless of the writers' **prestige.**

— This English section contains summaries of some of the essays written in Arabic.

— **Price :**

a) In Saudi Arabia :
2 Riyals a copy.
15 Riyals per annum.

b) In Arab Countries :
The equivalent of 50 S. piastres a copy.
The equivalent of 15 riyals per annum.

c) Non Arab Countries
$1 a copy.
$6 per annum.

ADDARAH

QUARTERLY JOURNAL

by

King Abdul Aziz Research Centre
Concerned with

the Intelletual and Historical Heritage
of the Kingdom and the Islamic World.

FIFTH YEAR RABI AL SANI 1399

NO : 1 MARCH 1979

RIYADH P.O.B. 2945
KINGDOM OF SAUDI ARABIA TEL: 38646

مطابع دار الهلال للأوفست
الرياض : تلفون ٢٨٥٦٨

ADDARAH

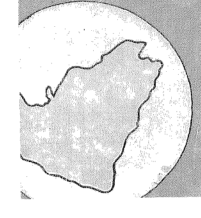


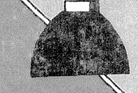
QUARTERLY JOURNAL by KING ABDUL AZIZ RESEARCH CENTRE

VOLUME 5 NO. (1) 1399 A. H. / 1979 A. D.

IN THIS ISSUE

- Book classification in the past and to - day
- "The Turko- Egyptain conflict over the right of possessingthe ports of nothern Hijaz and Sinai
- ADDARAH INDEX







مجلة ربع سنوية تصدر عن دارة الملك عبد العزيز
العدد الثاني السنة الخامسة محرم ١٤٠٠هـ – ديسمبر ١٩٧٩م



اطلب هدية العدد



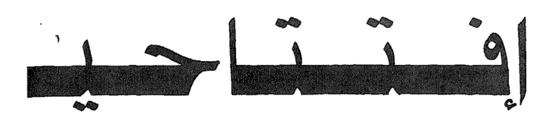
مجلـة ربع سـنوية تصـدر عن دارة الملـك عبد العـزيز
تعنـى بتراث وفكـر المملكـة والجـزيرة العربيـة
والعـالم العربي والاسـلامي مماله صـلة بالجزيرة العربيـة

العدد الثاني للسنة الخامسة
محرم ١٤٠٠هـ - ديسمبر ١٩٧٩م

الريـاض	ص.ب ٢٩٤٥
المملكة العربيـة السعودية	تلفون ٣٨٦٤٦

● قيمة العدد في الداخل ريالان والاشتراك السنوي خمسة عشر ريالا وفي البلاد العربية ما يعادل خمسين قرشا سعوديا للعدد أو ما يعادل خمسة عشر ريالا للسنة . في جمهورية مصر العربية خمسة وعشرون قرشا . في خارج البلاد العربية دولار للعدد الواحد وستة دولارات للسنة .

ترسل الاشتراكات باسم أمين عام الدارة أما المقالات والبحوث فترسل باسم رئيس التحرير الرياض ص.ب ٢٩٤٥ ترتيب المواضيع داخل العدد يخضع لأسباب فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب . آراء الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة .



جغرفونا كل يوم هكذا . . هذا مطلب إنساني سار به الإنسان من فجر التاريخ ويسير بـــه إلى دهر التاريخ . . .

لمـــاذا ؟ ؟ . . لأن الجغرافيا كعلم . . كمعرفة كثقافة سارت مع الإنسان حين بدأ يعرف ما حوله ، ما هو فيه — ما هو له . . ما هو عليه .

فمعرفة الغابة والطريق الموصل إلى الكوخ والنهر والنهير والوادي والشجرة والإنبات وعوارض الطبيعة كلها كانت من معرفة الإنسان تعرف عليها حتى إذا عرفها شق طريق الحضارة فهذه المعرفة أعني بها الجغرفة يسميها العرب تقويم البلدان ولا أتحاشى أن أسميها من مقومات الإنسان .

واحتفال المجلة « الدارة » بأن تحتضن بحوث المؤتمر التي أعدها علماء الجغرافيا فزودونا بها في أول مؤتمر دعت إليه جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

ـــة العـــدد

بحوث

لرئيس التحرير

تحتفل بها المجلة — تواكب مسيرة الاحتفال بهذا العلم بلقاء مبارك كمؤتمر عقد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وهذا الاحتفال يعطينا صورة عناية الدولة بهذه المؤتمرات والندوات لا كمظهر من مظاهر التفوق إنما لتصنع به التفوق فقد كان هذا العلم قبل سنوات طويلة أيام كنا نعيش في فرقة أمارات . وإقطاعيات ، وقرى تباعد الاتصال بها كأنما الكلمة الكريمة في الآية الكريمة (وقد رنا فيها السير) قد تباعدنا عنها فحين تم لهذا الكيان الكبير أن يكون الوحدة تحت راية التوحيد ، وتكونت الدولة حذفت من كل ما تصنع .

أن تبقى نوازع القرية وفواصل القبيلة ، فإذا بنا نسمي الأشياء بمسمياتها فلا ننفر من كلمة الجغرافيا حتى أني بدأت اشتق منها جغرفوا وجغرفنا ونجغرف والجغرفة بدل أن كنا بهذا النفور نسمي العلم (الجغرافيا) بتقويم البلدان .

هكذا اتضحت معطيات المعنى الكريم للدولة المتفوقة وللجامعة الناهضة وللمجتمع الواعي يحتفل بالخير ويعمل للإصلاح لايسأل عن المصدر (فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها) .

ولا أدري هل أزعم أن علم الجغرافيا كان كبير الخطوة أم هو قليلها حين توزع إلى علوم شتى فالجغرافيا الطبيعية والاقتصادية والسياسية والسكانية والفلكية كان هذا تقسيمها في الأول يضمها كتاب واحد فإذا بنا اليوم نراها باختصاصات شتى في موسوعات شتى .

فالجغرافيا الطبيعية ـ أصبح منها علم طبقات الأرض (الجيولوجيا)ـ علم مستقل ، والظواهر على سطح الأرض علم مستقل (الجيومورفولوجيا) ، ورسم الخرائط علم مستقل (طبوغرافيا) ، والاستراتيجية العسكرية علم مستقل تعني به أكاديميات الحرب ، والجغرافيا الإقتصادية علم مستقل عن الإنتاج والتوزيع باسم النشاط الاقتصادي ، والجغرافيا الزراعية أصبحت علماً مستقلاً ، وجغرافية الصناعة . . علم مستقل ، والنظرة إلى السماء (الجغرافيا الفلكيـــة) علم مستقل ـ فالفلك قد يكون فيما مضى من الحضارة العربية قد بلغ المستوى الأعلى والقرآن الكريم قد علمنا البروج ومسيرة الشمس والليل والنهار والقمر ثم علمنا المصير لهذا كله . . تكوير الشمس ـ انشقاق السماء انفطارها . . كدرة النجوم . . اشتعال البحر . .

انتثار الجبال كالعهن المنقوش ــ كل هذا قد احتواه علم الجغرافيا فإذا هو في ظواهر الفلك علم مستقل .

والأنهار منابعها ــ مصباتها ــ مجراها ــ ومعها الوديان قد تكون داخلة في علم الزراعة . . متداخلة في علم الاقتصاد غير خارجة عن طبقات الأرض . . فكم هو جميل وحافل هذا العلم . . الجغرافيا .

لقد عرف الإنسان كل ذلك . . فمازاد اليوم إلا التفصيل ووضع كل قسم مستقلا على حدة .

كما ينبغي ألاننسى جغرفة الأماكن والبلدان التي احتفل بها الجغرافي العربي كياقوت والهمذاني وابن بليهد في صحيح الآثار . إن ياقوت في كتابه قد أعطانا الكثير والكثير من أسماء المدن وما إليها ، والهمذاني في صفة جزيرة العرب أعطانا الكثير ، وابن بليهد كما قلنا أكثر من مره جغرف الجزيرة العربية من المعلقات السبع ومن إليهم كأنما الشاعر العربي جغرف أرضا ، فجاء الوعي يصنع موسوعة من هذه الجغرفة الشعرية . .

ويعجبني تسمية تأبط شرا الشاعر الجاهلي حين يسمى الشمس (أم النجوم) أليس هذا العربي الأعرابي كان مجغرفا !

وعجيبة أخرى يستأهل بها المجد الإنسان قبل الأقمار الصناعية .

لقد رسم المجغرف الأول الخرائط التي بين أيدينا فحين صعد الإنسان إلى الفضاء ورأي الكرة الأرضية بما لديه من

وسائل التكنولوجيا لم يغير هذا الإنسان الذي صعد إلى الفضاء ، ولا تلك الآلات أي صورة من هذه الخرائط التي رسمت قبل صعوده للفضاء .

فما أعطونا من معلومات تبين لنا أن قارة أفريقيا ليست هذه الكتلة ، ولا أمريكا الجنوبية ، ولم يعطونا أي فكرة مغايرة لما هي عليه قارة آسيا وأوروبا وأمريكا الشمالية .

فأي مجد لمن رسم الخريطة بالتتبع والاستقراء .

فإذا هي لا تختلف عن رؤية العين بالآلات الدقيقة . . هكذا أحتفل بالجغرافة أنشر بعض البحوث عنها في مجلة الدارة في عدد خاص مشاركة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في مسيرتها العلمية ، اعترافا بفضلها ومعوناتها .

ولا يفوتني الكلمة الحامدة لما نجده الآن من هذه الخرائط العربية ، فقد تعلمنا الجغرافيا على خرائط باللغة التركية . . نجد فيها . . كلمة وادي الحمض باسم وادي الحمد ، ونجد فيها فيها كما هو مشهور على الألسنة الآن الربع الخالي أي جزء من أربعة بينما هي الرَّبْعُ الخالي أي المكان الخالي .

والحمد لله . . . أسأله التوفيق

محمد حسين زيدان


الإمام
الحازمي
ومؤلفه
الأماكن
لعلامة الجزيرة : الأستاذ حمد الجاسر

تمهيـــد :

تتنوع الدراسات الجغرافية ، وتتسع وتتطور بتطور الحياة في هذا العالم ، وبمؤثراتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية منذ أقدم عصور تدوين تلك الدراسات إلى يومنا هذا .

باستثناء نوع من تلك الدراسات لم يُكْتَب له أن يعيش سوى بضعة قرون كانَ حياً نامياً في خلال ثلاثة قرون منها ، ثم فقد ذلك النُّمُوّ وإن لم يفقد الحياة .

وهذا النوع من الدراسات هو النوع الإسلامي البحت ، المتعلق بمعرفة المواضع التي تُعين معرفتها على فهم القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، وما ورد في آثار الصحابة ومن بعدهم مما له صلة بهذا النوع .

لقد ذكر الله سبحانه أُمَماً أهلكها ، وسمي مواضع من بلادها كَالْحِجْرِ والأحقاف والرّس والأيكة .

وذكر أمكنةَ شعائر الحج كالصَّفَا والمروةِ وعرفات .

وأشار إلى مواقع لها صلة بتاريخ الإسلام : (ولقد نصركم الله بِبَدْرٍ وأنتم أذِلَّةٌ) . (ويَوْمَ حُنَيْنٍ إذْ أعجبتكم كثرتكم فلم تُغْنِ عنكم شيئا) .

ثم جاءت أحاديث المصطفى — عليه الصلاة والسلام — بأسماء مواضع ، كحديث قِلالِ هَجَرٍ . وبتحديد مواقيت الحج والعمرة المكانية ، وأمكنة حدود الحرمين الشريفين .

وهناك مواضع الغزوات النبوية ، ومواقع السَّرَايا وأمكنة الفتوحات الإسلامية في عهد الصحابة فمن بعدهم .

ومن هذا القبيل ما ورد في الشعر الجاهلي وأشعار الإسلاميين ومُخَضْرَمي الدَّوْلَتَين من أسماء المواضع ، إذْ فَهْمُ النصوص الشرعية متوقف على فهم اللغة العربية وتلك الأشعار هي مادة اللغة ، وفهمها لايتم إلا بمعرفة تلك المواضع معرفة تامة .

إذ (مالاَ يَتِمُّ الواجبُ إلاَّ بِهِ فهو واجبُ) .

ومن هنا اتَّجَهَ علماء المسلمين أولَ ما اتجهوا — للدراسات الجغرافية لتحقيق تلك الغاية أوَّلاً — ولاِطِّلاَعِ الإنسان على سعةِ ملكوت الله وعِظَمِ مخلوقاته ، للعظة والعبرة .

ولهذا فإنَّ أَعْظَمَ معجم جغرافيٍ عربيٍ بين أيدينا الآن ، هو « معجم البلدان » ألفه ياقوت على ما ذكر في مقدمته : إن من أول البواعث لجمعه أنه سئل عن حُبَاشة اسم موضع جاء في الحديث النبوي وهو سوق من أسواق العرب فقال : أرى أنه حُبَاشة[1] بضم الحاء قياسا على أصل هذه اللفظة في اللغة ، فانْبَرَى له رجل من المُحَدِّثين وقال : إنما هو حَبَاشَة بالفتح وصمم على ذلك قال : فأرَدْتُ قطع الاحتجاج بالنقل ، إذْ لا لا مُعَوَّلَ في مثل هذا على اشتقاق ولا عقل . ثم ذكر أنه ظفر بما يؤيد قوله بعد زمن ، ورأى افتقار العالم إلى كتاب في هذا الشأن ، فألف « معجم البلدان » .

ثم يلي « معجم البلدان » في القدر — فيما وصل إلينا من المؤلفات في هذا الشأن « معجم ما استعجم » لأبي عُبَيد البكريّ الأندلسيّ ، فقد قال

في مقدمته : (هذا كتاب ذكرت فيه — إن شاء الله — جملة ما ورد في الحديث والأخبار والتواريخ والأشعار من المنازل والديار) إلى آخر ما ذكر .
فقد بدأ بالحديث كما ترى وجاء صاحبنا الإمام الحازمي فقال في مقدمة كتابه الذي خصصنا له هذا الحديث[٢] (وبعد : فهذا كتاب أذكر فيه ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة المنسوب إليها نفر من الرواة ، والمواضع المذكورة في مغازي رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وسراياه وقطائعه ، ومغازي أصحابه والولاة بعدهم ، مُرتَّباً على حروف المعجم ، وربما أشير إلى ذكر بعض البقاع المأثورة في أيام العرب ووقائعها من غير استقصاءٍ لذلك وأسْبَابٍ لِعُرُوبه عن غرض الْحَدِيثِيِّ وإنما أذكر منها ما له مَدْخَلٌ في الأَخبار أو اتصال بالأمكنة المأثورة في الحديث ، ليكون أبعدَ من الخبط ، وأقربَ إلى الضبط ، مشيراً إلى ذكر استشهاد إما من الشعر وإما من ذكر إمام ينسب إلى الموضع) . انتهى .

وقبل هؤلاء نحا الهمذاني صاحب كتاب « صفة جزيرة العرب » بتأليف كتابه هذا منحي أعم وأشملَ ، ولكنه لا يخرج عن الموضوع فقال[٣] : (ليكون من نظر في هذا الكتاب كأنه مكان ذِي الْقَرْنَيْنِ مَسَّاحِ الأَرض ، وتَميم الدَّارِيِّ جَوَّابِ عامرِها ، وخِرِّيت سامرها ليعرف وسيع أَرْضِ ربه ، وكثرة خلقه ، وسعة رزقه ، لا إلهَ إلاَّ هو العزيز الحكيم) .

هذا الجانب من الدراسات الجغرافية التي اتجه إليها علماء المسلمين ، فوضعوا أُسُسَ بنائها ، ورسموا الطريقَ لمواصلة السير فيها لبلوغ ما قصدوه من غايات واضحة ، لم يكتب له النُّمُوّ ، كما نما غيره من أنواع العلوم الإسلامية الأخرى .

وهذا يرجع إلى أن جزيرة العرب وهي موطن تلك الدراسات — انعزلت عن العالم منذ انتقال الخلافة الإسلامية منها إلى دمشق ثم إلى بغداد ، فبقيت مهملَةً من جميع النواحي ، فعادت الحياة فيها إلى طبيعتها قبل الإسلام ، وهي الحياة القَبَليَّةُ المعروفة ، وكان من أثرها انتشارُ الفوضى وعدمُ استتباب الأمن ، فصعب الاستقرار فيها لمواصلة تلك الدراسات ، وضعفت عناية علمائها وشعرائها بها ، ووجدوا في حواضر الخلافة من الاطمئنان ورغد العيش ما حملهم على الاستقرار فيها .

وليس الأمر كذلك بالنسبة لِقُطْرَي الحجاز واليَمَن ، فالحج — وهو أحد أركان الإسلام — من مستلزماته إرساء قواعد الأمن لبلوغ المدينتين الكريمتين ، ولهذا عنيت الدولة بذلك ، فكانت الحياة في الحجاز على جانب من الأمن والاستقرار ، وكان علماء الأقطار الإسلامية يتخذون من الحج وسيلة للاتصال بعلماء الحرمين الشريفين ، للاستزادة من علمهم ؛ لصلتهم بمشاعر الحج ، ولمعرفتهم بالآثار النبوية في المدينة الطاهرة ، فكانت هذه الآثار مما هو في المدينة أو بقربها موضعَ عناية أولئك العلماء في مختلف العصور .

أما اليَمَنُ فهو بلاد حضارة وعلم وحكْمٍ على جانب من الاستقرار ولهذا ازدهرت فيه المعرفة ، في الوقت الذي كان الجهل مُخَيِّماً على أقطار الجزيرة الأخرى .

والآن — بعد أن وهب الله بلادنا من الأمن والاستقرار والرخاء ما تغبطنا به كل أمم العالم بدون استثناء ، وبعد أن تعددت (الجامعات) وتنوعت الدراسة بتنوع (الكليات) . ألا يحق لكل مَعْنيٍّ بالدراسات الجغرافية التوجهُ برجاءٍ إلى هذه الكلية في هذه الجامعة الإسلامية بأن

تخصص فرعاً من فروعها للدراسات الجغرافية الإسلامية وحدها ، إذ هذا الفرع من الدراسات مما يجب على علماء المسلمين أن يولوه حقه من العناية ؟ !

وقل لي بربك : كيف أستطيع أن أفهم ما قَصّ الله في القرآن الكريم من أخبار عادٍ وثَمُودَ وأصحاب مَدْيَنَ وأنا عندما أتناول أقرب ما لديّ من المراجع وأَحْدَثَها أَجِدُ فيه من الاضطراب في تحديد مواقع تلك الأمم ما يكون سبباً لضعاف الفهم والمعرفة في الشك في تلك الأمم نفسها — والعياذ بالله — مع أن هذا المرجع قد أُقِرَّ من قبل (مجلس أعلى للشئون الإسلامية) بعد دراسة لجان من (جهابذة العلماء وفطاحل الباحثين والمفكرين) ليترجم إلى اللغات الأخرى[٤] .

حقا إنّ القرآن الكريم قَصّ أنباء تلك الأمم للعبرة وهي تحصل بدون معرفة المواضع أو الأوقات ، ولكن أليس من الواجب صيانة كل ما له صلة بالقرآن الكريم من وسائل التشكيك التي تثير الظنون السيئة ؟ !

ولنتناول أحد كتب سيرة المصطفى — عليه الصلاة والسلام — أو أحد كتب الحديث[٥] — لنعرف مواقع الغزوات أو السرايا التي حدثت بعيدةً عن المدينة إننا سَنُصْدَم — أولَ ما نصدم — بالاختلاف في ضبط اسم الموضع الذي وقعت فيه الغزوة أو السَّرِيةُ ، فضلاً عن تحديد الموقع تحديداً يُمَكِّنُ من معرفته بسهولة .

وهذا لا يراد به التقليل من قيمة تلك المؤلفات ، أو الانتقاصُ من قدر مؤلفيها ، فمؤلفوها من العلماء قاموا بواجبهم خير قيام وأخلصوا في عملهم ، وبذلوا جهدهم ، فاستحقوا من الله الثواب والأجْر ، ومن كل مسلم الدعاء والشكر .

وقد بقي واجب علمائنا في هذا العصر ، للسير على نهج سلفهم الصالح ، ومواصلة ما بدأوا به من العمل النافع .

ولنستعرض جوانب من حياة إمام من أئمة الحديث ، ممن عنوا بهذه الناحية من الدراسات الجغرافية .

الحازمي : ترجمته ومؤلفاته :

لقد كان من أثر عناية علماء المسلمين بالسنة النبوية الكريمة ، أن تصدى كثير منهم للتأليف في علوم أخرى لها صلة بها ، كاللغة ، والأنساب ومعرفة الأماكن ، وغيرها من العلوم .

وكان لعلماء أصفهان وهمذان وما يجاورهما من بلاد فارس في القرون الثلاثة الرابع وما بعده عناية بالحديث النبوي ، تكاد تفوق عناية غيرهم من علماء الأقطار الإسلامية الأخرى .

ومن علماء همذان – (بالميم المفتوحة والذّال المعجمة) – الحافظ الإمام أبو بكر محمد ابن موسى بن عثمان بن حازم الحازميّ ، الهمذاني .

ولد سنة ٥٤٨ – بقرب همذان ، ونشأ بها وتلقى العلم على علمائها ، ثم انتقل إلى بغداد ، فاستوطنها ورحل إلى الشام والحجاز وفارس ، وغيرها من البلاد في طلب العلم ، حتى بَرَّزَ فيه ، وبز أقرانه ، وألف المؤلفات في علم الحديث .

وصفه تلميذه ابن الدُّبَيْثِيِّ في كتابه « ذيل تاريخ بغداد » قائلا : – صار من أحفظ الناس للحديث وأعرفهم بعلومه ومعرفة الأسانيد والاطلاع على حال الرواة ، وتمييز الصحيح والسقيم ، وفهم المتون وفقهها ودخولها في أبواب الأحكام ، وتعلقها بالحلال والحرام ، مَعَ زهدٍ كان يأخذ

به نفسه . وتعبد . ورياضة ، واشتغال بذكر وقراءة ،وحسن طلب للعلم ، ودوام عمل . وقال عنه ابن نقطة البغدادي الحنبلي : « كان عالماً فاضلا ثقة إماما . . لو مُدَّ له من العمر ما عَشَرَهُ أحدُ من أهل عصره » .

وقال ابن خَلِّكَان في ترجمته : « أحد الحفاظ المتقنين وعباد الله الصالحين ، غلب عليه الحديث . وبرع فيه ، واشتهر به ، وصنف فيه وفي غيره كتبا مفيدة » .

وترجمه ابنُ العماد الحنبليُّ في « شذرات الذهب » فقال : كان فقيها حافظاً زاهدا ، وَرِعاً ، متقشِّفا ، حافظا للمتون والأسانيد ، غلب عليه علم الحديث وصنف فيه تصانيفه المشهورة » .

ونقل السُّبْكيُّ في « طبقات الشافعية » أن الحازمي « قدم بغداد عند بلوغه ، فاستوطنها ، وتفقه على مذهب الشافعي ، وتميز وفهم ، وصار من أحفظ الناس للحديث وأسانيده ورجاله ، مع زهد وتعبد ، ورياضة وذكر .

إن الحازمي — باتفاق المؤرخين الذين ترجموه ، يُعَدُّ من أئمة علماء الإسلام ، ومن حفاظ الحديث النبوي الشريف . ومؤلفاته فيه وفي علومه تشهد له بطول الباع وسعة الاطلاع .

ولن نطيل بذكر ترجمته . أو الإشارة إلى من ترجمه من المؤرخين ، فقل أن يَخْلُوَ مؤلَّفُ أرَّخَ حياة علماء عصر الحازميّ من ترجمته .

وقد توفي ليلة الإثنين الثامن والعشرين من جمادي الأولى سنة أربع وثمانين وخمسمائة — في بغداد عن ست وثلاثين سنة ، ونقل ابن العماد عن الأسنويِّ قوله : ولا نعلم أحداً ممن ترجمنا له توفي أصغَرَ سِناً منه ، وتقدم قول الحافظ ابن نقطة : (لو مد له في العمر ما عشره أحد من أهل عصره) يعني ما بلغوا معشاره .

مؤلفات الحازمي :

وقد ألف الحازمي مؤلفات تتصل بالحديث وعلومه ، وصل إلينا أكثرها ، ومنها : —

١ — « الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار » قال عنه ابن العماد الحنبلي : لم يُصَنَّف في فنه مثله — وقد طبع الكتاب في الهند وفي الشام وفي مصر (٦) .

٢ — شروط الأئمة الخمسة — أي أئمة الحديث — وقد طبع أيضاً .

٣ — « عُجَالة المبتدي ، وفَضالة المنتهي » : في النسب ، قال في مقدمته : (ومن أصول الحديث معرفة الأنساب ، وأهمها معرفة أنساب العرب ، فإنها تنتسب إلى القبائل ، وهي تفانَت ، وطريق إدراك معرفتها النقل ، وأما العجم فإنها لاتكاد تنتسب إلى أب قديم إلا نادراً ، وأكثر انتسابها إلى الأمكنة والصنائع . أما الأمكنة فأكثرها مشهورة مدركة بالأخبار المتواترة . غير مفتقرة إلى تَجَشُّمِ بَحْثٍ وتكلُّفِ سيرٍ ، إلا أمكنة يسيرة تحتاج إلى استكشاف إما لبُعدها عن حوزة الإسلام ، وإما لخمول ذكرها نحو القرى والجبال والأودية ، وهذه وإن كانت مفتقرة إلى البحث عنها لخفائها فلا تلحق القبائل في غموضها ، فإنها ربما لا تكون مشهورة في غير صُقْعها ، وهي معروفة في أصقاعها ، وأما القبائل فإنها مفتقرة إلى البحث التام ، فإن أكثرها أودت ، ومن بقي من نسلها تعذر عليه التمييز بين آبائه فضلا عن آباء غيره لقلة اكتراثه بضبط أنسابه ، فرب رجل يزعم أنه عَدَوِيٌّ ، فلو قيل : من أيِّ عَدِيٍّ لا ستصعب عليه علم ذلك ، وأما الصنائع فهي مشهورة شائعة ، لاشتراكها بين العرب والعجم .

وقد ألف جماعةُ من الإخباريين تواليفَ جمة في هذا العلم وأطنبوا فيها ، وذكروا ما يلزم الْحَدِيْثِيَّ معرفته وما لا يلزمه ، ولو تتبّع كتبهم لفات وقته ، والوقت عزيز ، فجمعت في هذا الكتاب ـ بعد ذكر مقدمة لابد منها في معرفة اصطلاح النساب ـ الأنسابَ المتداولةَ بين أهل الحديث ، ورتبتها على حروف المعجم ، وربما أذكر من كل قبيلة نسباً متصلا ، أو رجلا أو رجلين ، تنبيها للمبتدي ، ولم اذكر من الاختلاف و الاشتقاق إلا اليسير) .

وقد حقق هذا الكتاب الزميل الكريم الأستاذ عبد الله كنون عضو (مجمع اللغة العربية) في القاهرة ، ونشره (المجمع) .

٤ ـ « كتاب الفيصل » في الأنساب أيضاً ولكن من ناحية أخرى ، قال في مقدمته : (أما بعد : فقد شرحت في كتابي هذا الأنساب المشكلة التي تتشابه في الخط ، وتتفق في الشكل والنقط ، ويدخلها التحريف ويقع فيها التصحيف ، مما يعرض في الانتساب إلى القبائل كالتَّيميّ ، والتَّيمي الأول ينسب إلى تَيْم قريش ، والثاني ينسب إلى تَيْم الرّباب . والانتماء إلى الأماكن كالطبريّ ، والطبري الأول ينسب إلى طَبَرسْتَان ، والثاني ينسب إلى طَبَرِيَّة واسط ، والاعتزاء إلى الصنايع كالْبَرَّاء ، والبَرَّاء الأول قيل له الْبَرَّا لأنه كان حاداً ، والثاني قيل له البراء لأنه كان يَبْري النَّبل . والاشتهار بالألقاب كالأصم ، والأصم الأول لقب جماعة كان بهم صمم ، والثاني لقب من التصامُم . أو كان مركبا من جنسين نحو الْجُنَدِيّ ، الأول ينسب إلى القبيلة ، والثاني ينسب إلى المكان إلى غير ذلك ، على ما سيأتي تفصيله في أبوابه ، مرتبا على حروف المعجم .

ومن هذا الكتاب مجلد في (دار الكتب الظاهرية) من مخطوطات أول القرن السابع الهجري ، وقد اطلع عليه ياقوت الحموي فكتب في

طرته : (كتب منه ياقوت الحموي) وقد كتب في بعض حواشيه اعتراضات على المؤلف واستدراكات ، وعن هذه النسخة نقل ما نقل في كتابه « معجم البلدان » من هذا الكتاب .

وذلك المجلد ينتهي أثناء حرف الدال – الداري والدارى) – الورقة الـ ١٤٧ : وآخره : (وقال أحمد بن الفضل الباطرقاني : عبد الله بن كثير الداري ، قاريء أهل مكة ، الذين تمسكوا بقراءته وقلدوه القراءة ، وكان عطارا ، وكان يعظ الناس ويقصّ . توفي بمكة في أيام هشام بن عبد الملك سنة عشرين ومائة وكان رجلا فصيحاً . ونسبه ابن حزم إلى الدّارِيّ : وقال : لأنه كان عطارا[7]). وقال أبو حاتم السجستاني : كان بمكة بعد التابعين عبد الله بن كثير ، من الأبناء ، أبناء فارس بصنعاء ، وهم الذين بعثهم كسرى إلى اليمن ، وكانوا في السفن حين طردوا الحبشة من اليمن . وأقاموا بها . قلت : ويحتمل أن يكون منسوبا إلى الجهتين ، القبيلة وبيع العطر .

وأبو الحسن أحمد موسى بن القاسم بن الصلب بن الحارث بن مالك بن سعد بن . . إلى هنا ينتهي الجزء ناقصاً .

ويقع في ١٤٧ ورقة ٢٩٤ صفحة ، في الصفحة ١٩ سطراً مكتوبا بقلم النسخي الواضح ، وبعض الحروف مهملة من الأعجام وفي الورقات الثلاث الأخيرة ترقيع أذهب أطراف السطور ، ورقمه في فهرس الظاهرية (٥٣٠ حديث) .

٥ – « المؤتلف والمختلف » تتمة الإكمال لابن ماكولا ، ذكر الحازمي نفسه هذا الكتاب من مؤلفاته في كتابه « الأماكن » الذي سيأتي الحديث عنه فقال في مادة (خوار وحوار) الخ : (أما الأول بضم الخاء وتخفيف الواو

وآخره راء : خوَار الرّيّ ، ناحية منها ، ينسب إليها أبو يحيى زكريا بن مسعود الأشقر الخواريّ ، حدث عن علي بن حرب الموصلي وجماعة ذكرناهم في المؤتلف والمختلف) وقال في (طَرْق) من كتاب الأماكن : (وأما الثاني بعد الطاء راء ساكنة وآخره قاف : من قرى أصفهان ، قرب نَطَنْزةَ ، ينسب إليها جماعة من الرواة حدثنا من أهلها نفر ، ذكرناهم في المؤتلف والمختلف) .

وقال في (باب لُبْنَانَ ولُبْنانِ ولنْبَان) من كتاب الأماكن : (أما الأول بضم اللام بعدها باء ساكنة وبين النونين ألف ، فجبل بالشام . كان يسكنه الصالحون ، من الجبال المشهورة . وأما الثاني فمثل الأول غير أن النون الأخيرة مكسورة ، تثنية لُبْنٍ : جبلان قرب مكة [٨] ، الأعلى والأسفل ، وأما الثالث بعد اللام المضمومة نون ساكنة ، ثم باء تحتها نقطة قوية كبيرة بأصبهان ، منها أبو الحسن اللنباني ، راوية كتب أبي بكر بن أبي الدنيا ، وجماعة سواهم ، ذكرناهم في « تتمة الأكمال » في المؤتلف والمختلف) .

ويفهم من كلام السبكي — فيما نقله عن ابن النجار — أنّ المؤتلف والمختلف في أسماء البلدان ، إلا أن الحازمي نفسه ذكر أنه تتمة لكتاب « الأكمال » وكتاب « الأكمال » لا يختص بالبلدان بل يشمل الأعلام المشتبهة والنسبة إلى القبائل ، وإلى المواضع ، وإلى غيرها .

وقد ذكر الأستاذ المحقق عبد الله كنون في مقدمة كتاب « عجالة المبتدي » أن من كتاب « المؤتلف والمختلف » نسخة مخطوطة في مكتبة (ستراسبورج) وأخرى بمكتبة (لالاى) باستنبول .

وأقول : يتبين مماجاء في كتاب «تاريخ الأدب الجغرافي العربي»[٩١]

أن ذلك الكتاب الذي في مكتبة (ستراسبورج) يبحث في : (ما اتفق لفظه واختلف مسماه في الأمكنة المنسوب إليها نفر من الرواة ، والمواضع التي ذكرت في مغازي رسول الله) . ولهذا هو كتاب « الأماكن » الذي هو في مكتبة (لالاى) وهو غير كتاب المؤتلف الذي هو تتمة لكتاب «الأكمال » .

٦ – كتاب « الأماكن » : سنتوسع في القول عن هذا الكتاب ، إذ هو موضوع البحث . والحازمي وإن قصد بهذا الكتاب ضبط أسماء المواضع التي لها ذكر في مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم ومغازي أصحابه والولاة بعدهم ، أو الأمكنة التي نسب إليها بعض رواة الحديث ، إلا أنه أورد أسماء مواضع كثيرة في البادية وغيرها لا تدخل تحت ماذكر .

ويظهر أن المؤلف مات قبل إكمال كتابه هذا وقبل أن يضع له اسما ، ولهذا اختلفت عناوينه في المخطوطات التي اطلعت عليها فقد ورد في مخطوطتي (نوبنجن) في ألمانيا و (ستراسبورج) بعنوان : (كتاب فيه ما اتفق لفظه واختلف مسماه من الأمكنة) وقد عولت على أقدم النسخ التي وصلت إلى وهي مخطوطة مكتبة (لا له لى) في (اصطنبول) وتاريخ كتابتها ٦٢٠ ولعلها هي التي اطلع عليها ياقوت ، لاتفاق ما ينقل عن الحازمي بما فيها ، ولو ورد محرفا .

بين الحازمي ونصر الإسكندري :

لعل أبْرَزَ عمل الحازمي في كتاب « الأماكن » يتجلّى بالضبط اللغوي للأمكنة المتشابهة في الخط فهو يقول مثلا : (كتاب الهمزة باب أُبلّةَ وأَيْلَةَ وأَثْلَةَ) : أما الأول بضم الهمز والباء المعجمة بواحدة

وتشديد اللام فالبلد المعروف قرب البصرة في جانبها البحريّ وهو أقدم من البصرة ، قال الأصمعي : هو اسم نبطي . وينسب إليه نفر من رواة الحديث منهم شيبان ابن فَروخ الأبْلِيّ .

وأما الثاني بفتح الهمزة وسكون الياء المعجمة باثنين من تحتها وتخفيف اللام ، فهي بلدة بحرية أيضاً ، وقيل هي آخر الحجاز وأول الشام . وينسب إليها جماعة من المتقدمين ، نحو يونس ابن زيد الأيليّ وعقيل ابن خالد وغيرهما .

وأما الثالث على وزن ما قبله ، غير بدل الياء ثاءً مثلثة : موضع حجازيٌّ من ناحية المدينة ، قال قيس بن الخَطيم :

بل ليت أهلي وأهل أثلة في   دارٍ قَريب من حيث نختلف

وهو يتفق مع كتاب نصر (١٠) في هذا ، وقد يتفق معه في كثير من الأبواب بحيث يتطابق ما في الكتابين تطابقاً تاماً فكتاب نصر قد أورد ما سقناه عن كتاب الحازمي بهذا النص : (باب أَثْلَةَ وأيلة والأبلَّة :

أما أثلة بفتح الهمزة وثاء مثلثة ساكنة فموضع حجازيٌّ من ديار كنانة فيما أحسب . وأما أيلة مثله ، إلا أنه بياء تحتها نقطتان ، فالبلد المعروف بالشام على ساحل البحر .

قال ابن حبيب : أَيْلَةُ شعبة من رَضْوَى ، جبل ينبع . وقيل : أيلة آخر الحجاز ، وأول الشام . وأما الأبلَّة بضم الهمزة والباء الموحدة ، وتشديد اللام فهي أبلة البصرة ، قال الأصمعي : أصل هذا الاسم بالنبطية وكانت قبل الاسلام .

وقال غيره : الأبلة كانت تسمى بالنبطية بامرأة كانت تسكنها ، يقال

لها (هوب) خمارة فماتت ، فقال قوم من النبط : (ليكا) أي ليست . فغلطت الفرس فقالوا : (هوب لت) فعربتها العرب فقالوا : الأبلة) .

هذا قول نصر ، وذاك قول الحازمي[11] .

وكتاب نصر كان معروفا في عصر الحازمي ، بل قد اختصره شيخ الحازمي أبو موسى المديني – كما ذكر ياقوت في مقدمة « معجم البلدان » . ولعل الحازمي اطلع على هذا المختصر أو على كتاب نصر فاتخذه أساساً لكتابه ، ولكنه أراد أن ينسب الأقوال التي فيه لأصحابها ، ويورد أدلة شعرية . غير أنه فاته ذلك في أبواب كثيرة ، وخاصة في آخر الكتاب .

وإذا أردنا أن نقارن بين الكتابين من حيث المادة فإنه يتبين لنا :

١ – كتاب نصر يقع في ٣١٠ صفحات في الصفحة ١٥ سطراً متوسط كلمات السطر ١٣ كلمة ، وعلى هذا تقارب كلماته ٦٠٠٠٠ كلمة .

٢ – أما كتاب الحازمي فيقع من ٣٩٤ صفحة في الصفحة ٢١ سطراً في السطر ٨ كلمات فيقارب المجموع ٨٢٠٠٠ كلمة .

وقد تتبعت كتاب « الأمكنة والمياه والجبال والآثار ونحوها » تأليف نصر الإسكندري لأعرف مصادره ، ولأقارن بين من نقل عنه من العلماء ، ومن نقل عنه الحازمي فلم أعثر في كتابة عصره إلا على أسماء خمسة كتب هي كتاب « الجمَل » في مادة (بضاعة) وكتاب « الجمهرة » لابن دريد في (عِثْوَد) و « كتاب عبد القيس » في (سدير) و « كتاب محارب ابن خصفة » في (خورم) و « كتاب بني كنانة » في (عنان) ولا أعرف لمن هذه الكتب الثلاثة .

ورأيته نقل عن ابن قتيبة من « كتاب المشكل » في (رؤوس الشياطين

والجواليقي في (نهروان) وابن حزم في (كداء) والأصمعي في (البحرين) وابن الأعرابي في (تَيْتَد) وأبو محمد الأسود الغندجاني في (ذو قرد) وأورد هذه المادة في حرف الألف سهوا فيما يظهر .

ومع أنه لم يورد اسم الأصمعي وهؤلاء الذين ذكرتهم سوى مرة واحدة فقد اطلع على كتاب « جزيرة العرب »[١٢] للأصمعي وأكثر النقل منه ولم يشر إلى ذلك .

كما اطلع على بعض شروح ابن السكيت لأشعار بعض المتقدمين ، فأكثر النقل أيضاً ، ولم يذكر ذلك ولم يذكره كما فعل مع غيره من المتقدمين .

ويبدو أن الحازمي يعني بناحيتين يَهْملهما نصر هما ذكر المنسوبين إلى المواضع وإيراد الشواهد ، من شعر وغيره .

وناحية ثالثة يمتاز بها كتاب الحازمي هي إيراد نصوص كثيرة عن المتقدمين من شواهد شعرية وأحاديث وأخبار وغيرها منسوبة إلى أصحابها .

وهو ينقل عن أئمة اللغة وعن غيرهم من العلماء المتقدمين فنجده نقل عن أبي الأشعث الكندي راوي كتاب عَرام بن الأصبغ السلميّ المسمى « أسماء جبال تهامة » وهو مطبوع .

فقد نقل عن أبي الأشعث قرابة ستين مرة ، صرح باسمه في ٥٣ موضعاً منها . وها هي أسماء المواضع التي نقل فيها من كتاب عوام رواية أبي الأشعث الكندي : آره — أبلى — ثافل — بان — البحير — بقعاء برثم — حربة — الجار — الحشا — خيف — ساية — السد — السراة — الشراة

شفيفة — شمس — شرع — شوران — الصارى — الصحن — صفينة — الصعنبية — ظهران — عير — عوال — العيص — الغار — غران — غزال — فلاج — القفا — قوران — القيا — قنَّة الحجر — الفقير — قدس — قرقد ذات القرنين — القعر — كلَّية — لحف — لقف — مَرّ — مرّان — هرشا مطار— معونة— مغار — هكران — التجير— النجل —وَبِعان — وَرِقان — الهدار — الهدبية — هرمة — ينبع — يَلَنْيَل .

ونقل عن الأزهري صاحب كتاب « التهذيب » ولم يسَمّ الكتاب فيما يقرب من ٥٠ موضعا .

ونقل عن السكري في شرح شعر هذيل في ٣٧ موضعا .

وعن ابن حبيب . في ١٤ موضعا وعن أبي عبيدة ، ونص على كتابه « مقاتل الفرسان » .

ونقل عن أبي عبيدة أيضاً بواسطة الزبير ابن بكار عن آبار مكة .

نقل عن أبي عبيدة في ٣٨ موضعاً .

أما مؤلفو السيرة النبوية فقد صرح الحازمي ، بأنه اطلع على سيرة ابن اسحاق بخط أبي الحسن محمد بن العباس بن الفرات ، ووصفه بأنه صحيح الخط . محكم الضبط ، نقل عن السيرة هذه في ٢٧ موضعا .

وعن الواقدي صاحب « المغازي » في ٢٠ موضعاً .

وعن محمد بن سعد كاتب الواقدي في موضع واحد .

وعن مغازي موسى بن عقبة وقد اطلع عليها بخط أبي نعيم الحافظ

نقل عنها في ٤ مواضع كما نقل عن الزهري محمد بن شهاب في ٥ مواضع ، أحدها بواسطة موسى بن عقبة .

وعن الزبير بن بكار ، نقل تسعة نقول .

وهو ينقل عن آخرين من علماء اللغة مثل : ثعلب ، والأخفش والجوهري وابن دريد ، والنضر ابن شميل ، والمبرد ، وأبي أحمد العسكري كما ينقل عن السيرافي ، وابن الأنباري .

وعن المحدثين مثل البخاري ، وابن حزم وابن مَندة ، والخطابي ، والخطيب ، وأبي الفضل بن ناصر ، والدار قطني وغيرهم . وينقل عن شيخه أبي موسى محمد بن عمر المديني ، الحافظ الأصفهاني المتوفي سنة ٥٨١هـ وعن غيره ويسمى الكتب والعلماء الذين ينقل من أقوالهم .

ويأتي بشواهد شعرية من شعر هذيل ، ومن شعر كثير وغيره مما لا يتسع المجال لإيراده .

والحازمي على سعة اطلاعه كثير التحري ، فهو يقول مثلا :

(باب فَردة : أما الأول بفتح الفاء وسكون الراء جبل في ديار طَيٍّ يقال له : فردة الشموس .

وماء لجوم في ديار طَيٍّ .

قال أبو عبيدة : لما قفل زيد الخيل من عند رسول الله (ص) ومن معه فتنكبوا في أرضهم وأخذوا به على ناحية من طريق طيىء حتى انتهوا إلى فردة ، وهو ماء من مياه جرم فأخذته الحمى فمكث ثلاثا ثم مات وقال قبل موته :

أَمُطَّلِعٌ صبحَى المشارق غدوة   وأترك في بيت بفردة منجد ؟ !

كذا ذكره جماعة أهل اللغة ، ووجدت بخط ابن الفرات مقيداً في غير موضع : قردة بالقاف .

وقال الواقدي : ذو القردة من أرض نجد ، وقال ابن اسحاق : وسرية زيد بن حارثة ، الذي بعثه رسول الله (ص) فيها حين أصابت عير قريش فيها أبو سفيان بن حرب على الفردة ، ماء من مياه نجـــد ، كذا ضبطه ابن الفرات بفتح الفاء وكسر الراء .

وقال غير ابن اسحاق : هو موضع بين المدينة والشام .

قال موسى بن عقبة : وغزوة زيد بن حارثة (١٣) ، بثنية القردة ، كذا ضبطه أبو نعيم بالقاف ، وهذا الباب فيه نظر ، وإلى الآن لم يتحقق لي فيه شيء) .

ونقل ياقوت هذا الكلام غير منسوب للحازمي .

وبالإجمال فإن الحازمي رحمه الله ، يتفق في كتابه مع نصر اتفاقا يكاد يكون حرفيا ، مما يحمل على الجزم بأنه اطلع على كتاب نصر غير أن كتاب الحازمي يمتاز على كتاب نصر بأن قسما كبيراً من المواضع أورد الحازمي تحديدها نقلا عن علماء ذكر أسماءهم واستشهد بأشعار كثيرة ، واطلع على كتب كثيرة لا نجد لها في كتاب نصر رحمه الله ذكرا (١٤) .

ونعيد القول بأنه ربما أخذ كتاب نصر فأراد أن ينسب ما فيه من أقوال إلى أصحابها ، ولكنه لم يتمكن من ذلك إلا في معظم الكتاب لأننا نجد آخره خالياً من الشواهد ومن نسبة الأقوال إلا ما ندر .

بين الحازمي وياقوت الحموي :

ونجد ياقوتا كعادته في كثير مما ينقل ، ينقل عن الحازمي فيصرح باسمه آونة ويهمل الاسم كثيراً .

وهو في مقدمة كتابه يقول بأنه اطلع على مختصر كتاب لأبي موسى المديني الأصفهاني ، شيخ الحازمي ، ولكنه في أثناء الكتاب يصرح كثيراً بأنه ينقل من كتاب نصر نفسه ، وفي بعض المرات ينقل — ولا يصرح — نصوصاً كثيرة نجدها في كتاب نصر وقد يكون اطلع أولا على المختصر ، وبعد أن شرع في تأليف « المعجم » وجدأصل كتاب نصر .

وياقوت كثير النقد لكلام الحازمي لما جاء في كتابه « البلدان » وفي كتابه « الفيصل » الذي اطلع ياقوت على القطعة الموجودة منه في دار الكتب الظاهرية في دمشق ، كما سبق أن أوضحنا ذلك . أما موقفه من كتاب « الأماكن» فلا يقف عند حد نقد مواضع منه بل يرمى الحازمي بالاختلاس وادعاء ما ليس له . قال في مقدمة « معجم البلدان » وأبو بكر محمد ابن موسى الحازمي له كتاب ما ائتلف واختلف من أسمائها ثم وقفني صديقنا الحافظ الإمام أبو عبد الله محمد بن محمود ابن النجار ، جزاه الله خيراً ، على مختصر اختصره الحافظ أبو موسى محمد بن عمر الأصفهاني . من كتاب ألفه أبو الفتح نصر بن عبد الرحمن الاسكندري النحوي ، فيما ائتلف ، واختلف من أسماء البقاع ، فوجدته تأليف رجل ضابط قد أنفد في تحصيله عمراً وأحسن فيه عينا وأثراً ، ووجدت الحازمي ، رحمه الله ، قد اختلسه وادعاه ، واستجهل الرواة فرواه ، ولقد كنت عند وقوفي على

كتابه أرفع قدره من علمه ، وأرى أن مرماه يقصر عن سَهْمه ، إلى أن كشف الله عن خبيئته ، وتمخّض المحض عن زبدته ، فأما أنا فكل ما نقلته من كتاب نصر فقد نسبته إليه وأحلته عليه ، ولم أضع نصيبه ولا أخملت ذكره وتعبه ، والله يثيبه ويرحمه . انتهى .

وقد قسا ياقوت بكلامه هذا على الحازمي ، كما سنشير إلى ذلك .

ومن نقده للحازمي قوله في معجم البلدان : (السرير قال الحازمي : السرير وادي قرب جبل يقال له الغريف ، فيه عين يقال لها الغريفة ، وهذا خطأ من الحازمي ، فإن اسم الوادي الذي قرب جبل يقال له الغريف فيه عين يقال لها الغريفة ، التسرير أوله التاء المثناة من فوقها ، ذكر هنا ليحذر ولئلا يظن أننا أخللنا به وقد ذكر التسرير في موضعه) .

وكلام ياقوت هنا حق ولكن ما أكثر ما نقل صحيحاً عنه ولم يشر إلى ذلك .

ولقد استفاد ياقوت من كتاب الحازمي فنقل عنه كثيراً مصرحا باسمه في مواضع ، وغير مصرح في مواضع أخرى .

وقد صحح بعض أوهامه كما جاء في مادة (زخ) حيث قال ياقوت : (قال محمد بن موسى . (ز خ) بالزاى والخاء بلاد خراسان ينسب إليها الرواة وهذا سهو منه إنما هو (رخ) بالراء المهملة والخاء المنقوطة) . انتهى .

ويظهر أن النسخة التي اطلع عليها ياقوت هي النسخة الموجودة في مكتبة (لا لا لى) في السليمانية في أسطنبول .

والغريب أن ياقوتا رحمه الله ، يدفعه تحامله على الحازمي ، إلى أن يخطئه فيما سبقه إلى القول به نصر الأسكندري ، وفيما قد لايكون أخطأ فيه ، ومن ذلك ما أورده في معجم البلدان من قول . (وذات القن أكمة على القلب جبل من جبال أجا عند ذى الجليل – واد – كذا قال الحازمي وفيه نظر ، لأن ذا الجليل عند مكة ، وقال أنه أكمة بأجا ، وبين أجا وبينه أيام ولعل أجا غلط وسهو ، وأنشد للكميت بن ثعلبة جد الكسيت ابن معروف ثم أورد بيتين من الشعر .

وأقـــول :

١ – ما نقده ياقوت هو نص كلام نصر .

٢ – معروف أن الجليل هو النمام ، والأودية التي تنبت الثمام كثيرة وما المانع من أن يكون عند أجا واد بهذا الاسم ؟ .

٣ – الاسم الواحد قد يطلق على عدة أمكنة ، وياقوت له كتاب مطبوع معروف في هذا الموضوع هو « المشترك وضعاً المفترق صقعا » .

٤ – ياقوت نفسه ذكر أن الجليل واد بقرب أجا بعد ما ذكر الجليل الذي قال إنه بقرب مكة .

٥ – البيتان لم يورد هما الحازمي ومنطوق عبارة ياقوت تدل على أنه هو الذي أنشدهما .

ولا أطيل بإيراد شواهد من نقد ياقوت لكتاب « الفيصل » وهو وإن لم يخل من تحامل ، ففيه حقّ . ولا يؤثر هذا في مقام إمام جليل .

ومن ذا الذي تُرْضيَ سجاياه كلها كفى الْمَرْءُ نُبْلاً أَنْ تعَدّ معايبه

الهوامش

(١) أنظر كتاب « في سراة غامد وزهران » ص ٢٦ لتدرك قربيهما من أبيدة (بيدة) .

(٢) مخطوطة (لا له لى) الورقة الثانية .

(٣) صفحة ٥٥ طبع (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

(٤) أنظر مجلة « العرب » : ج ٨ ص ٧٥ (سنة ١٣٩٣هـ) .

(٥) أنظر غزوة (العشيرة) في « صحيح البخاري » .

(٦) وقرأته على شيخنا الشيخ أحمد المغربي في الحرم المكي الشريف سنة ١٣٤٩هـ .

(٧) كان المسك يرد إلى بلاد العرب بطريق ميناء (دارين) في جزيرة (تاروت) قرب القطيف فنسب المسك إليها فقيل « الداري » نسبة إلى دارين .

(٨) لا يزالان معروفين ، يطلان على الشرائع ، في جهة مكة المكرمة وهناك يفتحون اللام .

(٩) ١ / ٣٢٣ .

(١٠) هو نصر بن عبد الرحمن الفزاري الاسكندري ، أنظر عنه وعن كتابه « العرب » : ٦ / ٦٧٣ .

(١١) وفات نصر والحازمي (أبلة) من أودية حرة خيبر المعروفة ، ذكره الهجري .

(١٢) جل نصوص هذا الكتاب في كتاب « بلاد العرب » للغدة الأصبهاني من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

(١٣) فردة التي بلغتها سرية زيد بن حارثة بالفاء والتي مات فيها زيد الخيل وهي الواردة في شعر لبيد ، ولا تزال معروفة – أنظر لتحديد موقعها كتاب « شمال المملكة » رسم فردة – وهو أحد أقسام « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » .

(١٤) ولكتاب نصر ميزة على كتاب الحازمي فهو في آخر كل حرف من حروف الهجاء يسرد أسماء كثيرة من المواضع المبدوءة بذلك الحرف ويحدد مواقعها . وهذا ما لا نجده في كتاب الحازمي .

جغرافيو القرن الرابع الهجرى

الخريطة الدينية والمذهبية

لغربى آسيا الاسلامية

للدكتور حامد غنيم أبو سعيد
الأستاذ بكلية العلوم الاجتماعية بالرياض

١ ـ مقدمـــة :

خلف لنا القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) عدداً من العلماء المسلمين الذين ألفوا كتبا في علم الجغرافيا ومن أكثرهم تأثيراً وقيمة ثلاثة وهم ، وتبعاً للترتيب الزمني الاصطخري وابن حوقل والمقدسي .

وأول الثلاثة أسمه أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري المعروف أيضاً بالكرخي . وهو أصلا من مدينة اصطخر بإيران الوسطى ، ومعروف عنه أنه كان كثير السفر والترحال لمشاهدة البلاد والكتابة عنها ؛ سافر إلى جزيرة العرب وبلاد الشام ، كما زار إيران وبلاد ماوراء النهر وغيرها ؛ أي أنه زار معظم البلدان التي نحاول رسم خريطتها الدينية والمذهبية في هذه الصفحات .

ويذهب بعض الباحثين إلى القول بأن الاصطخرى أنهى المسودة الأولى لكتابه الذي يحمل عنوان « المسالك والممالك » حوالي سنة ٣١٨ – ٣٢١هـ (٩٣٠ – ٩٣٣م) ثم عمل مسودة ثانية لنفس الكتاب حوالي سنة ٣٤٠هـ (٩٥٠م)[١].

وثاني الثلاثة هو محمد بن على الموصلي الحوقلي البغدادي . أصله من مدينة نصيبين بإقليم الجزيرة ، وهو كمعاصره الاصطخرى كان شغوفا بالسفر وزيارة الأقاليم الإسلامية ، وقد بدأ ابن حوقل سلسلة رحلاته من مدينة بغداد في سنة ٣٣١هـ (٩٤٣م) متخذاً من التجارة مهنة له ، في حين أنه كان ، كما يرى بعض الباحثين ، من بين الداعين أو المروجين للأفكار والتعاليم الفاطمية .

زار ابن حوقل في أسفاره الكثير من بلدان العالم الإسلامي في آسيا وإفريقيا ، وهو من هذه الزاوية يشترك مع الاصطخرى في أنه زار قسماً كبيراً من البلدان التي نعمل على رسم خريطتها الدينية والمذهبية في هذه الدراسة .

وكتاب ابن حوقل يحمل نفس عنوان كتاب الاصطخرى ، أي المسالك والممالك ، كما يحمل أيضاً عنوان « كتاب صورة الأرض[٢] ، وهذا الكتاب يعتبر في بعض أقسامه إفادة مباشرة لابن حوقل من الاصطخرى الذي تقابل معه في سنة ٣٤٠هـ (٩٥١ – ٩٥٢م) وفي أقسام أخرى تتضح بقوة أصالة ابن حوقل العلمية ، وإضافاته البالغة الأهمية .

ويذكر عن ابن حوقل أنه رفع المسودة الأولى لكتابه المذكور إلى سيف الدولة الحمداني الذي توفي في سنة ٣٥٦هـ (٩٦٧م) وأنه أيضاً عمل مسودة ثانية للكتاب ذاته حوالي سنة ٣٦٧هـ (٩٧٧م) .

أما ثالث الثلاثة فهو المقدسي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البنّاء الشامي المقدسي البشّاري . مولده بمدينة بيت المقدس في سنة ٣٣٥هـ (٩٤٦ — ٩٤٧م) وظل على قيد الحياة حتّى أواخر القرن الرابع .

والمقدسي ، مثله في ذلك مثل رفيقيه السابقين الاصطخرى وابن حوقل زار بلدان العالم الإسلامي في زمنه وذلك باستثناء الأندلس والسند . وفي سن الأربعين ، ونتيجة لمشاهداته والمعلومات التي جمعها من رحلاته الواسعة ، وضع مؤلفه « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، وذلك في مسودتين ، الأولى في سنة ٣٧٥هـ (٩٨٥م) والثانية في سنة ٣٧٨هـ (٩٨٨ — ٩٨٩م) وقد قدم المقدسي المسودة الأولى للسامانيين ، حكام خراسان وما وراء النهر ، أما الثانية فإنه قدمها للفاطميين ، أصحاب مصر وإفريقية .

والمقدسي شغوف بالتجديد والإبداع ، وقد برزت هذه الخاصة في اختياره لعنوان كتابه « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » الذي يختلف عن العنوان الذي اختاره كل من رفيقيه لكتابه . ليس هذا فحسب بل إن خاصة الإبداع العلمي لدى المقدسي قد فرضت نفسها بشكل قوي ورائع في كثير من صفحات كتابه ، ففي الوقت الذي يستطيع الباحث فيه أن يقول عن كتاب ابن حوقل : إنه نسخة أو طبعة عالمية من كتاب الاصطخرى ، مع إضافات وزيادات فإنه يجد كتاب المقدسي مختلفاً بشكل جوهري عن الكتابين السابقين ، ليس لمنهجه المتميز فقط ولكن أيضاً لا نفراده بمعلومات وإضافات ؟ يلتفت إليها رفيقاه ، ولعل خاصة الإبداع العلمي هذه والتي تميز بها المقدسي هي التي جعلته في نظر بعض

الدراسين أكثر الجغرافيين العرب أصالة ، أو أكبر جغرافي عرفته البشرية قاطبة[٣] .

ولا يفوتني في هذه المناسبة أن أشير إلى علماء آخرين ينتمون إلى القرن الرابع الهجري ، ولهم مؤلفات في نفس الميدان ، ولكنها ، ومن الزاوية التي أعالجها هنا ، لاترقى إلى مستوى مؤلفات الثلاثة السابقين ، ومن هؤلاء ابن الفقيه في مؤلفه « مختصر كتاب البلدان » والهمداني في كتابه « صفة جزيرة العرب » والمسعودي في مؤلفيه « التنبيه والإشراف » « ومروج الذهب »[٤] .

★ ★ ★

وإحدى الحقائق أن المؤلفات التي خلفها جغرافيو القرن الرابع الهجري تقدم لنا الكثير من المعلومات التي تنتمي إلى علم التاريخ أكثر من انتمائها إلى علم الجغرافيا ، ويستطيع الدارس بالتحليل والمقارنة أن يستخرج من هذه المؤلفات ، ومن زاوية التاريخ ، العديد من الدراسات سياسية واقتصادية وإجتماعية ودينية ومذهبية وغير ذلك .

وسنحاول هنا أن نقدم واحدة من هذه الدراسات ، وهي عبارة عن محاولة لرسم خريطة دينية ومذهبية ، وسنحصر عرضنا لهذه الخريطة في دائرة البلدان التي تشكل القسم الغربي من آسيا الإسلامية ، ومعروف أن العالم الإسلامي في قارة آسيا آنذاك كان يمتد من الشواطيء الشرقية للبحرين الأحمر والأبيض في الغرب ويمتد حتى يشمل السند وبلاد ما وراء النهر في الشرق ، ومن المحيط الهندي في جزئه الذي يطلق عليه بحر العرب في الجنوب إلى الأقسام الجنوبية من بحر قزوين في الشمال .

وهذه منطقة شاسعة تضم العديد من الأقاليم ، ولذا فإننا سنكتفي بالقسم الغربي منها ، وهو ذلك ، الذي يضم الأقاليم التي تشكل أقصى الغرب من العالم الإسلامي في آسيا . وهذا القسم من الجنوب إلى الشمال يتكون من ، شبه الجزيرة العربية فبلاد الشام ، ثم الجزيرة الفراتية .

وفي دائرة تحديد الإطار العام للخريطة التي نحاول تقديمها هنا نقول : إن مؤلفات الجغرافيين المسلمين في القرن الرابع الهجري ، وخاصة الاصطخرى وابن حوقل والمقدسي ، تعالج العالم الإسلامي فقط ، وهي لا تخرج وراء الحدود إلا في القليل النادر ، وفي حالة وجود أقليات إسلامية هنا أو هناك ، وهذا يعني أن الخريطة التي سنقدمها من خلال هذه المؤلفات تعتبر خريطة للعالم الإسلامي في الجزء الغربي من آسيا الإسلامية وذلك في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) .

هذا من حيث الإطار العام ، أما في داخل هذا الإطار فإنه كانت توجد أقليات دينية ؛ نصرانية ويهودية وصابئة ، متناثرة هنا وهناك في داخل بعض الأقاليم في غربي آسيا الإسلامية ، كما أن المسلمين ، وفي مختلف أنحاء آسيا الإسلامية ، لم يكونوا جميعاً من أتباع مذهب واحد من المذاهب الإسلامية المختلفة ، وعلى هذه الجماعات المذهبية وتلك الأقليات الدينية سيقوم عملنا في رسم هذه الخريطة لرسم بعض زوايا تاريخنا الإسلامي في القرن الرابع الهجري

كما أود أن يكون واضحا أن غايتنا في تقديم هذه الخريطة هو تحديد المناطق التي كانت توجد بها الأقليات الدينية ، مع التعرف بقدر الإمكان على شكل توزيع الجماعات المذهبية . وهذا مع الابتعاد عن الخوض

في الأفكار والمباديء التي تقوم عليها هذه المذاهب ، وذلك الأمر في منتهى البساطة ، هو أن مثل هذه الجوانب تخرج بالدراسة عن دائرة التاريخ إلى ميادين أخرى بعيدة عن اهتمامنا المباشر .

٢ ـ ديار العرب :

بدأ الاصطخرى في عرض كتابه بالحديث عن ديار العرب ، وتبعه في ذلك كل من ابن حوقل والمقدسي . وواضح من المؤلفات الثلاثة أن ديار العرب التي هي جزيرة العرب قد قدمت على بقية أقاليم العالم الإسلامي لمكانتها الدينية المتميزة ، ويكفي أنه من ديار العرب انتشر الإسلام في مختلف النواحي والبلدان في الشرق والغرب ، وفي الشمال والجنوب [٥] .

وقد خص الاصطخرى مدينة مكة والأماكن الأخرى المرتبطة بمناسك الحج بتفصيل دقيق يكاد يشعر القاريء من خلاله أنه انتقل بنفسه إلى هذه الأماكن ، وعلى نهج الاصطخرى في ذلك سار كل من ابن حوقل والمقدسي [٦] .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن الاصطخرى في عرضه للمناطق المختلفة في الجزيرة العربية يشير إلى خمس مناطق في كل منها جماعة مذهبية ؛ المنطقة لأولى هي البحرين ويقول عنها [٧] : « ومدينتها هجر . . . . وهي ديار القرامطة » وثانية المناطق تقع في الشمال الغربي من الجزيرة العربية ، بالقرب من جبل رضوى في ناحية ينبع ، وبهذه المنطقة كانت توجد ديار الحسنيين الشيعة ، وعدد بيوتهم ، وهي من الشعر ، حوالي سبعمائة بيت [٨] .

والمنطقتان الثالثة والرابعة تقعان ببلاد اليمن . ويحدثنا عن واحدة منهما وهي عبارة عن جبل المذيخرة فيقول[9] . « وهو منيع لا يسلك إلا من طريق واحد حتّى تغلب القرمطي الذي كان خرج باليمن يعرف بمحمد بن الفضل » . ويعرفنا بالمنطقة الأخرى فيقول[10] « وبلاد الإباضية بقرب خيوان ، وهي أعمر بلاد تملك النواحي مخاليف ومزارع ، وأغزرها مياها » .

أما المنطقة الخامسة والأخيرة فهي عمان ، ويقول عنها صاحبنا[11] « وكان الغالب عليها الشراة إلى أن وقع بينهم وبين طائفة من بني سامة ابن لؤى ، وهم من كبراء تلك النواحي حروب ، فخرج منهم رجل يعرف بمحمد بن القاسم السامي إلى المعتضد فاستنجده ، فبعث معه بابن ثور ففتح عمان للمعتضد . وأقام بها الخطبة له ، وانحاز الشراة إلى ناحية لهم تعرف بنزوة ، وإلى يومنا هذا بها إمامهم وبقية مالهم وجماعتهم » .

وجلي مما سبق أن ما ذكره الإصطخرى عن الشراة في عمان يتميز بشيء من التفصيل إذا ما قورن بإشاراته السريعة إلى قرامطة البحرين وغيرهم من الجماعات المذهبية الأخرى في الجزيرة العربية .

ونلجأ إلى الهمداني ، ابن اليمن ومعاصر الاصطخرى ، فنجده يقدم لنا إضافة لها أهميتها . ولكنه في نفس الوقت يغفل الإشارة إلى الجماعات التي تحدث عنها الاصطخرى ، وإضافة الهمداني تتركز على منطقة اليمامة بقلب الجزيرة العربية ، وذلك حين يتحدث عن مدينة الخضرمة والقرى والنواحي التابعة لها حيث أقام فيها الأخيضر بن يوسف العلوي دولته[12] .

ويشترك المسعودي مع الاصطخرى في الحديث عن التطورات التاريخية التي وقعت في عمان في سنة ٢٨٠هـ والتي ترتب عليها انهيار دولة الخوارج هناك لتحل محلها السيطرة العباسية ، وأن الرجل الذي كان يتولى زعامة الخوارج آنذاك هو الصلت بن مالك[١٣] .

ونستمر مع المسعودي فنجده يقدم لنا بعض المعلومات التي تعمق معرفتنا بقرامطة البحرين ، فهذا الجغرافي المؤرخ يذكر أنه بعيد سنة ٢٨٧هـ نجح القرامطة في السيطرة على مدينة هجر ، عاصمة البحرين[١٤] .

والمسعودي فيما سبق يتميز بتقديم بعض الإضافات التوضيحية لتعريفنا باسم زعيم الخوارج وبالتاريخ الذي استولى فيه القرامطة على مدينة هجر ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إنه يقدم إضافة لها أهميتها في إطار الموازنة بينه وبين معاصريه الاصطخرى والهمداني ، وتتمثل هذه الإضافة في حديثه عن الزعيم العلوي يحي بن الحسين الحسنى الرسي والجهود التي قام بها حتى نجح في تأسيس دولة له مركزها مدينة صعدة باليمن ، وقد توفي هذا الزعيم العلوي في سنة ٢٧٨هـ وخلفه في الحكم ابنه ، وهكذا تأسست في صعدة إمارة شيعية وراثية[١٥] .

★ ★ ★

وننتقل إلى ابن حوقل فنجده يقدم لنا إسهاما كبيراً في المساعدة على رسم هذه الخريطة . وتفوز منطقة البحرين من ابن حوقل بالعديد من التفصيلات في أكثر من زاوية منها نطاق الجغرافي لنفوذ القرامطة حيث يقول عنه[١٦] : « وأما البحرين ومدنها وهي هجر والأحساء والقطيف والعقير . . . والخرج وأوال (فهي ديار القرامطة)[١٧] .

ويعنينا من هذا النص تحديد اسم أوال ، وهي الجزيرة الأم في الخليج العربي في المنطقة المواجهة للبر الذي كان يحمل آنذاك اسم البحرين[١٨] ، كما يعنينا أيضاً ذكر اسم الخرج كواحدة من مدن البحرين أو المدن الخاضعة للقرامطة . وعلى افتراض أن الخرج التي تحدث عنها ابن حوقل كانت في منطقة الخرج التي نعرفها حديثاً والتي تبعد عن مدينة الرياض حوالي خمسين ميلاً إلى الجنوب[١٩] — أقول : على هذا الافتراض فإن ذلك يعني أن منطقة نفوذ القرامطة في بعض الفترات الأولى من القرن الرابع الهجري كانت تمتد من جزيرة أوال في الشرق إلى مدينة الخرج في الغرب .

وبالنسبة للشمال والجنوب فإن ابن حوقل يعرفنا بأن نفوذ القرامطة شمل في بعض الفترات إقليم عمان في الجنوب ، وأن بعض البارزين من رجالهم كانوا يقيمون بصفة دائمة بالكوفة وعلى مقربة من مدينة البصرة في الشمال[٢٠] .

وفوق ذلك فإن ابن حوقل يسجل حقائق أخرى عن جزيرة أوال ، منها أن الجزيرة كانت إلى حدما موطناً خاصاً لنسل أبي سعيد الحسن بن بهرام ، مؤسس دولة القرامطة ، ولنسل ابنه سليمان ، وأن نسل أبي سعيد لظهره يصل عددهم إلى حوالي الأربعمائة مابين رجل وامرأة[٢١] ، وأن هذه الجماعة من القرامطة كانوا يتميزون بين الآخرين بإطلاق صفة المؤمنين عليهم ، وذلك بالإضافة إلى امتيازات أخرى[٢٢] .

وإلى جانب تحديد نطاق النفوذ الفعلي للقرامطة في بعض فترات القرن الرابع الهجري ، وهو ما أشرنا إليه سلفا ، يبين ابن حوقل أن القرامطة كان لهم أيضاً نفوذهم الأدبي الذي يفوق في مجاله نطاق نفوذهم الفعلي من الناحية الجغرافية ، ويتمثل ذلك في الضريبة التي كانت تؤدي إليهم

من بادية البصرة وبادية الكوفة وطريق مكة ، كما يتمثل أيضاً في المراسلات التي تمت بينهم وبين بني حمدان ، والتي ترتب عليها أن بايع الحمدانيون القرامطة ، وأخذت عليهم العهود بموالاتهم[٢١] .

والمعلومات التي قدمها ابن حوقل فيما يتصل بالحمدانيين لها قيمتها الكبرى إذ أنها تحدد طبيعة العلاقات بين الجانبين على الأقل في بعض المراحل بل وتكاد توصي بأن نجاح الحمدانيين في تأسيس دولتهم في حلب والموصل كان إلى حدما نتيجة للتبعية أو الموالاة التي أعلنوها للقرامطة .

وماعدا حديث ابن حوقل عن القرامطة في البحرين فإن المعلومات التي يقدمها عن الجماعات المذهبية الأخرى في الجزيرة العربية تكاد تكون نسخة أخرى لتلك التي أمدنا بها الاصطخرى ، وخاصة فيما يتصل بالحسنيين وديارهم بالقرب من جبل رضوى[٢٤] ، وأيضاً عمان والتطورات التي واجهت الشراة بها[٢٥] .

أما بالنسبة لجبل المذغيرة باليمن فإن ابن حوقل يضيف إلى ما قدمه الاصطخرى بعض المعلومات التي لها أهميتها ، وذلك حيث يقول[٢٦] : « والمذغيرة جبل كان يسكنه الجعفري . . . يسكنه الخوارج وهو دار هجرة لهم ، ومات به عبد الله بن وهب الراسبي وعبد الله بن إباض ، وكانت المذغيرة قديماً لأسعد بن أبي يعفر ثم غلب عليها محمد بن العقل الراعي الأصل لأهل المغرب » .

ومن هذا النص تتبين لنا قيمة جبل المذغيرة بالنسبة للإباضية من الخوارج ، فقد كان دار هجرة لهم ، وبه مات اثنان من أبرز زعمائهم ، كما يتبين لنا من النص شيء من التطورات التاريخية التي تتابعت على المذغيرة ابتداء من الربع الأخير من القرن الرابع الهجري . ومعروف من

الناحية التاريخية أن ابن الفضل قد انهارت دولته في العقد الأول من القرن الرابع[٢٧] ، وهذا يعني أن مذهب الخوارج ظهر هناك بعد ابن الفضل ، وكان لايزال ظاهراً حتى وقت ابن حوقل .

ويتميز الاصطخرى على ابن حوقل في أنه تحدث عن مخلاف خيوان ، إلى الجنوب من صعدة ، حيث كانت توجد على مقربة منه بلاد الإباضية ، في حين يتميز ابن حوقل على الاصطخرى في أنه تحدث عن بني الأخيضر ودولتهم في اليمامة ، وابن حوقل في هذا يشترك مع الهمداني ، ولكنه يزيد عليه حينما يعرفنا أن من كان باليمامة من ربيعة ومضر ، ونتيجة لسيطرة الاخيضر عليها ، قد رحلوا عنها واستقروا في مصر على مقربة من أسوان[٢٨] .

وطبيعي أن المعلومات التي أمدنا بها ابن حوقل قد عمقت معرفتنا بالتوزيع الجغرافي للجماعات المذهبية في الجزيرة العربية ، وذلك من ناحية التفصيلات التي ألقت المزيد من الضوء على ما تحدث عنه كل من الاصطخرى والهمداني والمسعودي .

★ ★ ★

ويأتي الدور على المقدسي ، وللحقيقة فإن هذا الجغرافي له إضافاته العلمية القيمة ، وإن هذه الإضافات كان لها أثرها الكبير في إثراء معرفتنا بالعناصر المكونة للخريطة المذهبية في الجزيرة العربية إبان القرن الرابع وهو القرن الذي شهد حياة المقدسي .

وينفرد المقدسي عن السابقين بالإشارة إلى وجود جماعة يهودية في ناحية قرح بوادي القرى . ويقول المقدسي عن هذه الناحية[٢٩] : « بلد

شامي مصري عراقي حجازي » وبالنسبة لليهود أيضاً يقول الهمداني[٣٠] : « وبخيبر قوم من يهود وموال وخليطي من العرب » .

ويتفق المقدسي مع من سبقوه في الإشارة إلى وجود الشراة في عمان والقرامطة في البحرين ، وذلك بدون تفصيل كذلك الذي قدمه الاصطخري وابن حوقل عن الشراة في عمان ، أو كذلك الذي أمدنا به الأخير عن قرامطة البحرين[٣١] . وبالإضافة إلى ذلك فإن المقدسي يعمق معرفتنا بالناحية التي كان يسود فيهـــا الشيعة من بني الحسين ومن بني جعفر في ينبع وما جاورها[٣٢] .

وفي إطار توزيع الجماعات المذهبية في بلاد اليمن يلقى المقدسي الضوء على بعض الحقائق التي لم نعثر على مثلها لدى سابقيه ، وذلك بالنسبة لحضرموت التي يقول عن أهلها[٣٣] : « لهم في العلم والخير رغبة إلا أنهم شراة » .

وهكذا يتبين لنا أن المقدسي ، وهو الذي أمضى باليمن سنة كاملة[٣٤] كانت معرفته بأحوال هذه البلاد أكثر دقة وشمولا من معرفة السابقين لها ، على الأقل من الزاوية التي نعالجها هنا .

ولعل أهم ما ينفرد به المقدسي أنه قدم مسحاً عاماً به معلومات هامة تكاد تكون كافية لرسم أبعاد الخريطة المذهبية في شبه الجزيرة العربية ، وذلك في قوله[٣٥] : « ومذاهبهم بمكة وتهامة وصنعاء وفرج سنة ، وسواد صنعاء ونواحيها مع سواد عمان شراة غالية ، وبقية الحجاز وأهل الرأي بعمان وهجر وصعدة شيعة ، وشيعة عمان وصعدة وأهل السروات وسواحل الحرمين معتزلة إلا عمان ، والغالب على صنعاء وصعدة أصحاب أبي حنيفة والجوامع بأيديهم ، وبالمعافر مذهب ابن المنذر ، وفي نواحي نجد

اليمن مذهب سفيان ، والأذان بتهامة ومكة يرجّع ، وإذا تدبّرت العمل على مذهب مالك ، ويكبر بزبيد في العيدين على قول ابن مسعود . . . والعمل بهجر على مذهب القرامطة ، وبعمان داودية لهم مجلس » .

ليس هذا فحسب ، بل إن شغف المقدسي بالتفصيل وحبه لتقديم المزيد والجديد من المعلومات يحمله أحيانا على إبراز مدى تأثير الاختلافات المذهبية على العلاقات بين الجماعات المختلفة مذهبياً في المدينة الواحدة ، ومن هذا المستوى قوله[٣٦] : « يقع بين الخياطين وهم شيعة والجزارين وهم سنة بمكة ؛ عصبيات وحروب . . . وبين السنة والشيعة بينبع . . . وبين الجزارين والأعراب باليمامة ، وقد بلغ من أمرهم أن اقتسموا الجامع ، ويقولون للغريب : كن من أينا شئت وإلا فاخرج » .

★ ★ ★

ويلاحظ على هذه الناحية الدينية أنه لم يكن يوجد بديار العرب دين آخر سوى الدين الإسلامي ، أما ما أورده المقدسي عن وجود جماعة يهودية في شمال وادي القرى فيلاحظ أن هذه المنطقة كانت منطقة حدود أو « بلد شامي مصري عراقي حجازي » كما ذكر هذا الجغرافي . وما قيل عن شمال وادي القرى يمكن أن يقال نظيره عن خيبر التى ذكر الهمداني عنها أنه كان يوجد بها جماعة من يهود .

ومن الناحية المذهبية يلاحظ أنه كان يوجد بالجزيرة العربية العديد من الاتجاهات المذهبية ، فقهية وكلامية وسياسية ، وأن اتجاهات مذهبية معينة قد نجح أنصارها في إقامة كيانات سياسية خاصة بهم ، وذلك مثل الخوارج أو الشراة في عمان ، والقرامطة في البحرين ، وبني الأخيضر العلويين في اليمامة ، ويحي بن الحسين الرسى في صعدة .

وحقيقة هامة أخرى يمكن أن نستخرجها من المعلومات السابقة تلك هي وجود خطين متلازمين في جنوب شبه الجزيرة العربية ، أحدهما للخوارج والآخر للشيعة ، والخطان يمتدان في جنوب شبه الجزيرة من الشرق حيث عمان إلى صنعاء والمذغيرة وجنوان من بلاد اليمن . ولكن يبدو أن خط الخوارج كان أكثر قوة وظهورا من خط الشيعة .

وفي منطقة أخرى من مناطق الجزيرة ، تلك هي المنطقة التي تمتد من البحرين في الشرق إلى اليمامة في قلب الجزيرة العربية ، كان يوجد نظامان سياسيان ينتميان إلى المذهب الشيعي ، وهذا إذا نظرنا إلى الجذور التاريخية للقرامطة وارتباطهم بالمذهب الإسماعيلي الذي تبلور فيما يعرف بالدولة العبيدية [٣٧] .

وحقيقة أخرى يمكن أن نستدل عليها من خلال المعلومات السابقة ، وهي أن جغرافيي القرن الرابع الهجري ، وخاصة الاصطخري وابن حوقل والمقدسي ، لم يتحدث أي منهم عن المذاهب من حيث هي مذاهب تقوم على خصائص فكرة معينة ، بل اكتفوا بالإشارة إليها من خلال الاسم العام ، أي حتى بدون محاولة لتحديد الفرع الذي يشيرون إليه ، وهذا أمر طبيعي لأن الكتب التي وضعوها مؤلفات جغرافية بالدرجة الأولى ، والتفاتهم إلى النواحي التاريخية يتم في مستوى عام ومجمل بعيد عن التفصيل والتحديد .

٣ — بلاد الشام :

وإلى الشمال من جزيرة العرب مع انحراف ناحية الغرب ، وبمحاذاة الشاطيء الشرقي للبحر المتوسط تقع بلاد الشام ، وهي في القرن الرابع الهجري

تعني ما يعرف في هذه الأيام بكل من فلسطين وشرق الأردن وسوريا ولبنان وبعض النواحي التي غدت جزءاً من الجمهورية التركية .

ونبدأ مع الاصطخري فنجده ومن زاوية الأقليات الدينية ، يشير إلى وجود أقلية يهودية في المدينة الصغيرة أيلة عند نهاية خليج العقبة (٣٨) .

وتتميز بلاد الشام ، أو منطقة فلسطين بصفة خاصة بأنه كان يوجد بإحدى مدنها ، وهي مدينة نابلس ، الموطن الوحيد للسامرة ، وهي جماعة يهودية خاصة ؛ يقول الاصطخري عن هذه المدينة (٣٩) : « وليس للسامرة مكان من الأرض إلا بها » .

وإلى جانب اليهودية أشار الاصطخرى إلى وجود أقليات نصرانية في كل من بيت لحم ومدينة حمص (٤٠) .

وكما هو جلي فان المعلومات التي قدمها الاصطخري عن الأقليات الدينية في بلاد الشام فقيرة إلى درجة كبيرة ، وفوق هذا فإن الاصطخري لم يشر من قريب أو من بعيد إلى وجود جماعات مذهبية في هذه المنطقة أو تلك ، وسيتضح من خلال الصفحات التالية أنه ليس صحيحاً أن نتهم المقدسي بالقصور ، بل هو في ذلك يعرض الواقع الذي كان عليه الإسلام في القرن الرابع الهجري .

ونلتفت إلى المسعودي ، معاصر الاصطخري ، فنجده يخطو بنا خطوة كبيرة وهامة في تعريفنا بالأقليات الدينية ومواطنها في بلاد الشام وذلك في كتابه « التنبيه والإشراف » . ويتحدث المسعودي في هذا الكتاب عن وجود أقليات نصرانية في كل من حمص وأنطاكية ، بل إن المسعودي له فيما يتصل بالأقليات الدينية إضافة علمية هامة ، وذلك حيث يذكر

عن مدينة أنطاكية أنها كانت مقراً أو كرسيا لواحدة من البطريركيات الخمس التي تقوم عليها الديانة النصرانية(٤١) .

وإلى جانب ذلك ينفرد المسعودي بالحديث عن وجود جماعة نصرانية متميزة في بلاد الشام تنسب إلى مارون . أحد أبناء مدينة حماه ، وإليه تنسب المارونية من النصارى في زمن المسعودي والذين كانت توجد جمهرتهم في جبل لبنان وسنبر وحمص وأعمالهما كحماه وشيزر ومعرة النعمان(٤٢) .

وللحقيقة نقول : إن الإضافة العلمية التي قدمها المسعودي هنا تعتبر إضافة بالغة الأهمية ، وذلك لعدم عثورنا لدى جغرافيي القرن الرابع الآخرين على شيء من المعلومات يتصل بتحديد مكانة أنطاكية في الديانة النصرانية ، أو يشير إلى المارونيين ومواطن تواجدهم في بلاد الشام .



ونطالع ابن حوقل فنجد لديه بعض المعلومات التي تساعدنا في بعض النواحي التي لم يلتفت إليها أي من الاصطخري أو المسعودي ، ويضاف إلى ذلك بعض المعلومات التي تؤكد أو تعمق ما سبق أن أشار إليه هذان الجغرافيان .

ففي دائرة الأقليات الدينية يتفق ابن حوقل مع الاصطخري في الإشارة إلى أن مدينة نابلس بفلسطين هي موطن السامرية ، وبهذا الصدد يقول(٤٣) « ويزعم أهل بيت المقدس أن ليس بمكان من الأرض سامري إلا منها أصله » .

ومن الواضح أن نص الاصطخري له دلالة تختلف عن دلالة نص ابن حوقل ؛ فنص الأول يفيد أن السامرة لا وجود لهم إلا في مدينة

نابلس ، على حين أن نص ابن حوقل يفيد بوضوح أن مدينة نابلس هي الموطن الأصلي للسامرية الذين ربما يكونون قد رحلوا عنها واستقروا في مواطن أخرى .

ويبدو أن الاصطخري قد خانه التعبير ، ذلك لأن المسعودي يتحدث بقدر لا بأس به من التفصيل عن السامرة أو الأسامرة ، ويحدد ما يفترقون فيه عن بقية اليهود ، وهو عدم اعترافهم بنبوة داود عليه السلام ، وفي تحديد مواطن الأسامرة يقول المسعودي[٤٤] : « والأسامرة في وقتنا هذا ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ببلاد فلسطين والأردن ، وفي قرى متفرقة مثل القرية المعروفة بعارا . وهي بين الرملة وطبرية ، وغيرها من القرى إلى مدينة نابلس ، وأكثرهم في هذه المدينة ، أعني نابلس ولهم جبل يقال له طوريك ، وللأسامرة عليه صلوات في أوقاتها » .

ومهما يكن من أمر . فإنه من الإضافات التي تحسب لابن حوقل قوله بالنسبة للسامرة : « وبالرملة منهم نحو خمسمائة مجزى[٤٥] » وهذه المحاولة لتحديد العدد التقريبي لمن كانوا موجودين بمدينة الرملة من السامرية تفتح أمامنا الطريق لتخيل مدى الكثافة التي كان يتمتع بها أبناء هذه الجماعة في مدينة نابلس التي كانت مركزهم الرئيسي .

ويتفق ابن حوقل مع الاصطخري في الإشارة إلى وجود جماعات نصرانية في كل من بيت لحم ومدينة حمص ، وينضم إلى هذين الجغرافيين ثالث هو ابن الفقيه وذلك بالنسبة للمدينة الأخيرة[٤٦] .

ومن إضافات ابن حوقل أيضاً إشارته إلى أن سكان مدينة ملطية كانوا من الأرمن[٤٧] ، ومعروف عن الأرمن أنهم نصارى يعاقبة ، ويشترك

المسعودي مع ابن حوقل في توضيح هذه الجزئية . وذلك في قوله[٤٨] : « وصاحبهم (أي الأرمن) اليوم بناحية حلب ببلاد قنسرين والعواصم ، وكرسي اليعاقبة رسمه أن يكون بمدينة أنطاكية ، وكذلك لهم كرسي في مصر » .

وبالنسبة لمدينة ملطية أيضاً ، وفي إطار الإضافات التي قدمها ابن حوقل نقول : « إن هذا الجغرافي قد أشار إلى أن ملطية كانت أول مدينة انتزعها البيزنطيون من العالم الإسلامي ، وذلك في سنة تسع عشرة وثلاثمائة[٤٩] .

ويتفق الجغرافيان ، الاصطخرى وابن حوقل ، في عدم الإشارة إلى الجماعات النصرانية التي كانت موجودة في مدن أخرى بفلسطين ، وخاصة بيت المقدس . ولعل ذلك يعود إلى أن وجود هذه الجماعة كان من الظهور بحيث لم يكن ، ومن وجهة نظرهما ، في حاجة إلى توضيح أو بيان .

ولعل أهم ما أسهم به ابن حوقل هو حديثه ، الواعي والمفصل عن المدن والنواحي في خط الحدود أو الثغور الشامية ، والمراد بها المنطقة الفاصلة بين الامبراطورية البيزنطية وبلاد الشام الإسلامية . وحديث ابن حوقل عن هذه المنطقة له أهميته البالغة لأنه زارها ومكث فيها فترة كافية من الزمن ، وهذا يعني أنه لمس عن كثب عملية التغيير في موازين القوى بين المسلمين والبيزنطيين ، وهي العملية التي كانت تجرى بشكل متتابع على مدى معظم سنوات القرن الرابع الهجري . وقد أثرت هذه العملية تأثيراً جوهرياً في كل مدن الحدود ، وذلك من الناحيتين السياسية والدينية .

ففي الناحية السياسية انحسرت السيادة الإسلامية ليحل محلها النفوذ البيزنطي ، ومن الناحية الدينية فإن المد البيزنطي قد ترتب عليه

بالضرورة تفريغ مدن الحدود من أغلبيتها الإسلامية ، وفي الوقت ذاته فيها تزايدت العناصر النصرانية .

وهذا يمكن استنتاجه بسهولة من حديث ابن حوقل عن منطقة الحدود سواء في ذلك تلك المنطقة المصاقبة لشاطيء البحر المتوسط من مدينة أنطاكية في الجنوب إلى طرسوس في الشمال ، والمنطقة الأخرى الممتدة من[٥٠] البحر إلى مدينة بالس على الشاطيء الغربي لنهر الفرات .

وقبل ابن حوقل تحدث المسعودي عن زاوية أخرى من زوايا موازين القوى بين المسلمين والبيزنطيين ، تلك هي عملية الفداء ، أو تبادل الأسرى التي كانت تتم بين الجانبين كل عدة سنوات ، وأول فداء حدث في القرن الرابع هو الفداء التاسع الذي حدث في سنة ٣٠٥هـ ، وآخر فداء شهده المسعودي هو الفداء الثاني عشر الذي حدث في سنة ٣٣٥هـ[٥١] ، ويقول عنه المسعودي[٥٢] : « وفضل للروم على المسلمين قرض مائتان وثلاثون لكثرة من كان في أيديهم » .

والعبارة الأخيرة في نص المسعودي تعطينا مؤشرا عن الاتجاه العام لموازين القوى بين الجانبين ، وأن هذا الاتجاه كان يتحرك في صالح البيزنطيين وللباحث أن يربط بين عبارة المسعودي هنا وما سبق أن ذكره ابن حوقل عن مدينة ملطية وأنها كانت أول المدن الإسلامية سقوطا في أيدي البيزنطيين وأن سقوطها حدث في سنة ٣١٩هـ .

★ ★ ★

وكما هي عادته فإن المقدسي يمدنا بمزيد من المعلومات التي تساعدنا على إكمال بعض النواحي التي غابت عن المسلمين السابقين ، أو تفيدنا

في إلقاء المزيد من الضوء على بعض الجوانب التي سبق أن أشار إليها هذا أو ذاك بشكل عام وسريع .

فبالنسبة للنصرانية يشير المقدسي إلى وجود جماعات من أتباعها في كل من لد وبيت المقدس وبيت لحم[٥٣] . وإلى جانب هذه الإضافة العامة فإن المقدسي ينفرد بالإشارة إلى الكثافة العددية للنصارى في بيت المقدس التي ينتمي إليها هو نفسه ، وذلك في قوله[٥٤] : « قليلة العلماء كثيرة النصارى » . كما يقول عنها وفي الصفحة نفسها : « لامجلس نظر ولا تدريس ، قد غلب عليها النصارى واليهود ، وخلا المسجد من الجماعات

وفي العبارة السابقة يقدم المقدسي إضافة علمية لها قيمتها ، ذلك أنه يؤكد أن الغلبة في بيت المقدس من الناحية العددية للنصاري واليهود مجتمعين وكونه بدأ بالنصارى يشير إلى أن عددهم كان يفوق عدد اليهود .

ولا تقف إضافات المقدسي عند هذا الحد ، بل إنه وكما هي عادته في نهاية حديثه عن كل إقليم ، يقدم لنا مجموعة من المعلومات لها فائدتها المباشرة في إثراء معرفتنا عن الأقليات الدينية وتوزيع الجماعات المذهبية من ذلك قوله عن إقليم الشام[٥٥] : « قليل العلماء كثير الذمة ولاخطر فيه للمذكورين ، والسامرة فيه من فلسطين إلى طبرية ، ولا تجد فيه مجوسياً ولا صابئا » .

هذا عن الأقليات الدينية ، أما بالنسبة للمسلمين ومذاهبهم في بلاد الشام فإن المقدسي يقول[٥٦] : « مذاهبهم مستقيمة ، أهل جماعة وسنة ، وأهل طبرية ونصف نابلس وقدس وأكثر عمان شيعة ، ولاماء فيه لمعتزلى ، إنما هم في خفية ، وببيت المقدس جماعة من الكرامية لهم خوانق ومجلس ، ولا ترى به مالكيا ولا داوديا ، وللأوزاعية مجلس بجامع دمشق والعدل كان فيه على مذهب أصحاب الحديث . والفقهاء شفعوية ، وأقل

قضية أو بلد ليس فيه حنفي ؛ وربما كانت القضاة منهم . . . والعمل اليوم على مذهب الفاطمي[٥٧] » .

ومن هذا النص يتبين لنا أن المذهب الذي كان سائداً في بلاد الشام في معظم سنوات القرن الرابع الهجري هو مذهب السنة والجماعة ، وإلى جانب ذلك كانت توجد جماعات مذهبية أخرى هنا وهناك ؛ فالشيعة كانوا ظاهرين في المدن الداخلية من فلسطين وأيضاً في عمان ، على حين أن المعتزلة كانوا قلة ولم يكن بإمكانهم الجهر بأفكارهم .

ويبدو من النص أيضاً أنه كان يوجد نوع من التوزيع في الوظائف الدينية بين أتباع المذاهب الفقهية ، فالفقهاء كانوا من أتباع مذهب الإمام الشافعي ، أما القضاة فكانوا من أتباع الإمام أبي حنيفة النعمان .

هذه هي الصورة التي كانت سائدة في بلاد الشام قبل الاستيلاء العبيدي عليها في العقد السابع من القرن الرابع . ثم حدث بعد ذلك أن ساد المذهب الإسماعيلي ، المذهب الذي كانت تدين به الدولة العبيدية .

ويعمق المقدسي معرفتنا بالعناصر المكونة لهذه الدراسة ، وذلك من خلال بعض التفصيلات والمعلومات الجانبية التي يسوقها في ثنايا الحديث عن هذه الأقلية أو تلك . فبالنسبة للنصارى يشير المقدسي إلى بعض الأنشطة العملية التي برزوا فيها أو احتكروها . وذلك في قوله[٥٨] : « وإنما الكتبة به (إقليم الشام) وبمصر نصارى » . ولم يتمف المقدسي عند هذا المستوى التسجيلي . بل إنه قرنه بالتفسير كما ينطق بذلك قوله[٥٩] : « لأنهم اتكلوا على لسانهم فلم يتك[illegible] [illegible]ب » . ومن الممكن قبول التفسير أو التبرير الذي ذكره المقدسي [illegible]اف إليه أن حرفة الكتابة كانت أيضاً أكثر إدراراً للثروة من فن او حرفة [illegible] من السهل على الكثيرين أن يتمكنوا منها بدرجة عالية .

وإلى جانب هذه الزاوية تحدث المقدسي أيضاً عن زاوية أخرى في حياة الأقليات الدينية ، وذلك في قوله(٦٠) : « وأكثر الجهابذة والصباغين والصيارفة والدباغين بهذا الإقليم (الشام) يهود ، وأكثر الأطباء والكتبة نصارى » .

وتمشيا مع ما هو مشهور عن اليهود من قدرة فائقة على تكوين الثروات بطرق مشروعة وغير مشروعة فإنه يمكننا أن نقول : إن معظم ميادين العمل التي أشار إليها المقدسي في نصه السابق كانت من النوع الذي يدر الكثير من الأرباح .

وكانعكاس طبيعي لكثرة النصارى في فلسطين ، أو القسم الجنوبي الغربي من بلاد الشام ، يحدثنا المقدسي عن أعياد النصارى هناك والتي كان المسلمون يعرفونها جيداً ، ويحددون بها فصول السنة ، وذلك مثل عيد الفصح وقت النيروز ، والعنصرة وقت الحر ، والميلاد وقت البرد . وعيد برباره وقت الأمطار . . . والقلندس ، ومن أمثالهم إذا جاء القلندس فتدفأ واحتبس ، وعيد الصليب وقت قطاف العنب ، وعيد لد وقت الزرع (٦١) .

وإلى جانب شهرة هذه الأعياد النصرانية في فلسطين وما تقدمه هذه الشهرة من دلالة على كثرة العناصر النصرانية ، في هذا الإقليم من بلا د الشام يذكر المقدسي أيضاً أن الشهور التي كانت سائدة في بلاد الشام آنذاك هي الشهور الرومية التي هي تشرين الأول والثاني ، كانون الأول والثاني . . . الخ(٦٢) .

★ ★ ★

وهكذا نستطيع أن نقول : إنه من خلال المعلومات التي أمدنا بها جغرافيو القرن الرابع الهجري ، وخاصة المسعودي بالنسبة لأنطاكية

والمارونية في شمال الشام . وابن حوقل بالنسبة لمنطقة الحدود ، والمقدسي بالنسبة النصارى واليهود في فلسطين — أقول : إنه من خلال هذه المعلومات قد اتضحت الأبعاد الأساسية لخريطة بلاد الشام من الناحيتين الدينية والمذهبية .

فمن ناحية الأقليات الدينية تبين لنا أن النصارى كانوا يشكلون أقلية كثير عددها في فلسطين وفي جبل لبنان والمناطق القريبة منه . وأيضاً في أنطاكية وتوابعها .

وإلى جانب النصرانية كانت توجد قليات يهودية في فلسطين ، بل وفي فلسطين أيضاً كانت توجد الجماعة اليهودية الخاصة المعروفة باسم السامرية . وعدا ذلك فإنه لم يكن يوجد في بلاد الشام أقليات من بين الصابئة أو المجوس .

ومن الناحية المذهبية فإن الأغلبية الساحقة في بلاد الشام كانت من بين أهل السنة والجماعة . وإلى جانب هذه الأكثرية كانت توجد جماعات شيعية هنا وهناك .

وفي إطار الموازنة بين شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام فإنه من الممكن أن نقول : إن بلاد الشام كانت تتميز آنذاك بعدم وجود العديد من النظم السياسية المذهبية ، وذلك على عكس ما كان عليه الوضع في شبه الجزيرة العربية ، ولعل ذلك يعود إلى وجود أوعدم وجود أقليات دينية ؛ ففي شبه الجزيرة العربية ، ونظراً لعدم وجود أقليات دينية ، نمت الانقسامات المذهبية بين المسلمين ، وتطورت إلى حد تكوين كيانات سياسية متباينة ومن الطبيعي أن العلاقات بين هذه الكيانات كانت في الأغلب غير ودية .

أما في بلاد الشام ، ونظرا لوجود أقليات دينية لها وزنها وخطرها فقد حافظ المسلمون على وحدتهم وقوتهم ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالابتعاد

عن الانقسامات المذهبية ، وحتى لو حدث انقسام مذهبي فإنه لم يكن يسمح له بأن يتطور ويتجسد في شكل إقامة كيانات سياسية متباينة .

٤ ــ الجزيرة الفراتية :

وإقليم الجزيرة كما يسميه الاصطخرى وابن حوقل ، أو إقليم أقور كما يطلق عليه المقدسي ، يراد به المنطقة التي تقع بين نهري دجلة والفرات ، والتي تضم تاريخياً ما يعرف بديار ربيعة وديار مضر وديار بكر . وهو يشكل امتداد البلاد الشام من الناحية الشمالية الشرقية .

والمواطن الأساسية التي كانت توجد بها أقليات دينية كما يحددها الاصطخرى هي نصيبين والرها وتكريت ، حيث كان يوجد في كل مدينة من هذه المدن الثلاث جماعة نصرانية كثير عددها ؛ فعن أولي هذه المدن الثلاث يقول الاصطخرى[٦٣] : « وبها دير عظيمة وحواليها ديارات وصوامع للنصارى كثيرة » وعن مدينة الرها يقول[٦٤] : « والغالب على أهلها النصارى ، وفيها زيادة على ثلاثمائة دير وصوامع كثيرة ورهابين ولهم بها كنيسة ليس في بلاد الإسلام كنيسة أعظم منها » . ويقول عن مدينة تكريت[٦٥] : « أكثر أهلها نصاري » .

وواضح من هذه النصوص الثلاثة أن النصارى كانوا أكثرية في كل من نصيبين والرها وتكريت ، كما تفيدنا هذه النصوص أيضاً أن المسلمين لم يتعرضوا لكنائس النصارى بشيء من الأذى ، وهذا التسامح الديني وراء الإبقاء على فخامة وروعة كنيسة الرها .

وإلى جانب النصرانية كان يوجد في إقليم الجزيرة أقلية صابئة ، وكان مركز هؤلاء الصابئة هو مدينة حران التي تقع في الشمال الغربي من الأقليم

المذكور ، يقول الاصطخري عن حران : « وحران تليها (أي تلي الرقة) في الكبر ، وهي مدينة الصابئين ، وبها سدنتهم السبعة عشر »[٦٦] .

وما ذكره الاصطخرى عن الأقلية النصرانية في الرها موجود نظيره لدى ابن الفقيه[٦٧] وأيضاً المسعودي . وبالنسبة لمدينة حران والصابئة يحدثنا المسعودي أيضاً[٦٨] ، غير أن حديثه ينصب في المرتبة الأولى على التعريف بالمذهب أكثر من اتجاهه إلى العناصر التي تعني بها في هذه الدراسة .

هذه هي المعلومات التي أمدنا بها الاصطخرى والمسعودي[٦٩] وكذلك ابن الفقيه ، وهي معلومات متطابقة نشعر بعد مراجعتها أننا في حاجة إلى الاستعانة بمصادر أخرى .

★ ★ ★

ونفتش لدى ابن حوقل فنجد لديه من المعلومات ما يخطو بنا خطوة هامة في التعرف على الأقليات الدينية التي كانت موجودة آنذاك في إقليم الجزيرة الفراتية .

وعن النصرانية في كل من نصيبين والرها وتكريت نجد ابن حوقل[٧٠] يكاد يكرر ما سبق أن ذكره الاصطخرى ، وذلك باستثناء المدينة الأخيرة التي يقول عنها[٧١] : « وأكثر أهلها نصارى . . . وهي قديمة أزلية ، وتجمع سائر فرق النصارى ، وبها من البيع والأديرة القديمة التي تقارب عهد عيسى عليه السلام وأيام الحواريين » .

وبالنسبة لمدينة حران والصابئة يقدم ابن حوقل نصاً يوسع دائرة الرؤية حول هذه الجماعة ، وذلك حين يقول عنها[٧٢] : « وهي مدينة الصابئين وبها سدنتهم ، ولهم بها تل [illegible] مصلى الصابئين ، يعظمونه وينسبونه إلى إبراهيم »

وإلى جانب هذه المعلومات التي يمكن أن يقال عنها إنها تكرار لما سبق أن ذكره الاصطخري يجد الباحث أن ابن حوقل قد انفرد بإضافتين علميتين أولاهما تتصل بمدينة تعرف بكفر عزى من ديار ربيعة التي يقول عنها[٧٣] : « يسكنها قوم من الشهارجه نصارى ذووا يسار » . أما الإضافة الثانية فإنها ترتبط بمدينة برقعيد ، بين بلد ونصيبين ، ومن خلال ابن حوقل نعرف عن هذه المدينة أنه كان يسكنها بنو حبيب ، وهم عرب من بني تغلب ارتدوا عن الإسلام واعتنقوا النصرانية بعد سنة ٣٣٠هـ[٧٤] .

هاتان هما إضافتا ابن حوقل ، ومما لاشك فيه أن كلا منهما لهاأثرها في إثراء معلوماتنا عن الأقليات الدينية في الجزيرة الفراتية .

وابن حوقل له فوق ذلك إضافة أخرى لها أهميتها الكبيرة ، وتتمثل هذه الإضافة في حديثه المفصل عن الأوضاع في منطقة الحدود بين المسلمين والإمبراطورية البيزنطية . وهنا أيضاً يوجه ابن حوقل إلى الأسرة الحمدانية انتقادات مريرة وقاسية ، ويحملها المسئولية المطلقة عن كل ماالحق بالمسلمين والإسلام من وهن في منطقة الحدود ، وهو الوهن الذي حدث نتيجة للسياسة الجائرة التي سار عليها الحمدانيون في التعامل مع المسلمين الذين كانوا تحت ولايتهم ، وقد ترتب على هذه السياسة تغلب الروم على كثير من قرى ونواصي الحدود ، بل إن ابن حوقل حمل الحمدانيين مسئولية ارتداد بعض الجماعات في الجزيرة عن الدين الإسلامي واعتناقها للنصرانية ، وتفاني هذه الجماعات في نصرة دينها الجديد على حساب دينها السابق ؛ يقول ابن حوقل عن نصيبين[٧٥] : « ولم تزل على ماذكرته منه أول الإسلام معروفة بكثرة الثمار ورخص الأسعار ، تتضمن بمائة ألف دينار إلى سنة ثلاثين وثلاثمائة فأكب عليها بنو حمدان بضروب الظلم والعدوان ، ودقائق الجور والغشم ، وتجديد كلف لم يعرفوها ورسم نوائب ما عهدوها إلى المطالبة ببيع الضياع والمثقف من العقار حتى حمل ذلك بني حبيب إلى أن خرجوا

بذراريهم وعبيدهم ومواشيهم وخفهم الذي يمكن بمثله النقلة ، ومن ساعدهم من جيرانهم وشاركهم فيما قصدوا به من الغصب لعقارهم في نحو عشرة آلاف فارس على فرس عتيق وسلاح شاك من ورع وجوشن مذهب ومغفر مدبج وسيف يقل شبهه ورمح خطي وآله وعدة لم تزل على بلد الروم مطلة ، يقمع بها شوكتهم ويسبى بها ذراريهم ، ويخربون بالاستطالة حصونهم ويجوسون ديارهم . . . فتنصروا بأجمعهم ، وأوثقوا ملك الروم من أنفسهم بعد أن أحسن لهم النظر في إنزالهم على كرائم الضياع ونفائس الحي والمتاع . . . فعادوا إلى بلد الإسلام على بصيرة بمضاره وعلم بأسباب فساده . . . . فلحق بهم كثير من المتخلفين عنهم وانتمى إليهم من لم يك منهم . فشنوا الغارات على بلاد الإسلام وافتتحوا حصن منصور وحصن زياد ، وساروا إلى كفر تونا ودارا فأتوا عليهما بالسبي والقتل » .

ويستمر ابن حوقل في حديثه المتخم بالأسى والمرارة ، ويبدو أن ابن حوقل كان حريصاً على توجيه نقده القاسي إلى بني حمدان عند ذكر كل قرية أو مدينة تأثرت بالضغط البيزنطي عليها .

وانتقاد ابن حوقل للحمدانيين شهادة على هذه الأسرة ، وهي شهادة بها قدر كبير من الصدق إن لم تكن صادقة تماماً ، وهي إلى جانب ذلك شهادة لها وزنها لأنها جاءت من معاصر عاش في المنطقة مسرح الأحداث فترة من الزمن . واختلط بالمسلمين هناك واستمد معلوماته من مصادرها الأصلية ، ولا يغيب عن الذهن أن ابن حوقل معروف بميوله الشيعية ، وهو في ذلك تجمعه قرابة مذهبية ببني حمدان . ومعروف عنهم أنهم كانوا شيعة ، بل وكانت تجمعهم بقرامطة البحرين علاقات ودية .

ويستطيع الباحث أن يقبل شهادة ابن حوقل على الحمدانيين ، وفي الوقت ذاته يقبل أيضاً ماترده كتب الأدب والتاريخ عنهم وعن نضالهم

ضد البيزنطيين ، ولا يوجد تناقض حقيقي بين الموقعين ، ذلك لأن ما اعتبره ابن حوقل ظلما وسوء معاملة من الحمدانيين لرعيتهم كان على ما يبدو الأسلوب الذي لجأ إليه الحمدانيون لحشد قواهم ضد البيزنطيين ، ومن بين هذه القوى القوة الاقتصادية وفي سبيل الحصول عليها اضطر الحمدانيون أن يسيئوا إلى الكثيرين .

* * *

ويأتي الدور على المقدسي ، وبالنسبة لهذا الجغرافي فإننا لانجد لديه إضافات جوهرية لما سبق أن عرفناه من خلال السابقين ، اللهم إلا إشارته السريعة التي تفيد أن الصابئين كان لهم وجودهم في الرها إلى جانب وجودهم الأساسي في مدينة حران ، وأيضاً إشارته السريعة التي يؤكد من خلالها عدم وجود أقليات مجوسية في هذا الإقليم(٧٦) .

وكما هو منهجه فإن المقدسي يمدنا ببعض المعلومات عن التوزيع المذهبي في إقليل الجزيرة ، ومن هذه المعلومات نعرف أن المذهب الذي كان سائداً هناك هو مذهب السنة والجماعة ، وذلك باستثناء عانة ، وهي مدينة صغيرة على جزيرة في نهر الفرات ، فإنه كان يوجد بها جماعة من المعتزلة أما الشيعة فإنهم كانوا متفرقين في مناطق مختلفة من الإقليم(٧٧) .

ومن زاوية المذاهب الفقهية فإن الأولوية في الجزيرة الفراتية كانت لمذهب الإمام أبي حنيفة ، ويليه مذهب الإمام الشافعي ، كما أنه كان يوجد بها أتباع لمذهب الإمام أحمد بن حنبل .

هذا كل ما يستطيع الباحث أن يستخلصه من المقدسي بخصوص الأقليات الدينية والجماعات المذهبية في الجزيرة الفراتية إبان القرن الرابع الهجري ، وكما هو واضح فإن هذه المعلومات لا ترقى من حيث الكم أو

القيمة إلى مستوى تلك التي سبق أن قدمها هو نفسه عن كل من شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام . ومن الصعب تفسير ما يبدو من تباين في موقف المقدسي وعلى أية حال فإن عزاءنا أن موقف المقدسي بالنسبة للجزيرة الفراتية لم يخلف فراغاً كبيراً ، وذلك بفضل ما قدمه الجغرافيون السابقون من معلومات .

٥ ـ ملاحظات ختامية :

سبق أن قدمنا بعض الملاحظات في نهاية الحديث عن بلاد العرب ، وأيضاً في نهاية الحديث عن بلاد الشام ، وهي ملاحظات خاصة بكل من المنطقتين ، أما هنا فإن الملاحظات التي نقدمها ملاحظات عامة يمكن إجمالها في النقاط التالية .

- المعلومات التي قدمها هؤلاء الجغرافيون تتسم بالموضوعية في البعد عن التعصب ، وهذه الخاصة تضفي على المعلومات التي قدموها قيمة علمية كبيرة وتجعلها موضع الثقة من جانب الباحثين .
- تفتقر المعلومات التي أمدنا بها جغرافيو القرن الرابع الهجري بصفة عامة إلى التحديد التاريخي وأيضاً إلى الخلفية التاريخية ، وهذا ليس عيبا في مؤلفاتهم التي هي مؤلفات جغرافية في المرتبة الأولى ، وذلك باستثناء المسعودي وابن حوقل فقد غلبت نزعة التأريخ لديهما على طبيعة الجغرافي ، في بعض الأحيان .
- لا يوجد شيء من التعارض بين المعلومات التي أمدنا بها هؤلاء الجغرافيون ، بل الموجود هو التكامل بحيث يمكن القول بأن معلوماتهم قد تضافرت وتعاونت في رسم ، أبعاد الخريطة المقدمة في هذه الدراسة .

- في إشارات هؤلاء الجغرافيين إلى الجماعات المذهبية الإسلامية يوجد قدر أكبر من التحديد ، وذلك بالمقارنة إلى المعلومات التي قدموها عن الأقليات الدينية ، وهذا أمر طبيعي لأن معرفة هؤلاء الجغرافيين بالمذاهب الإسلامية ، وهم ينتمون إلى البعض منها ، كانت أكثر إحاطة من معرفتهم بالجماعات المذهبية داخل الأقليات الدينية ، وذلك باستثناء المسعودي الذي كان يعرف الكثير من التفصيلات عن الأقليات الدينية .

- يقوم المقدسي بتقديم النصيب الأكبر للصورة التي كان عليها توزيع الجماعات المذهبية ، أما فيما يتصل بالأقليات الدينية فإن الفضل في تحديد مواطنها موزع بين الاصطخرى والمسعودي وابن حوقل .

- من بين جغرافيي القرن الرابع فإن الاصطخرى له فضل الأسبقية بل ربما ينسب إليه فضل وضع المنهج الذي قدمت على أساسه المعلومات الجغرافية في القرن المذكور ، أما المسعودي وابن حوقل والمقدسي فإن كلا منهم له فضله بالنسبة للإضافات التي قدمها إلى جانب معلومات الاصطخرى .

- الأقليات الدينية في بلاد الشام وفي الجزيرة الفراتية أقليات موروثة ورثتها الدولة الإسلامية عن الأوضاع الدينية السابقة والتي كانت قائمة قبل الفتح الإسلامي وانتشار الإسلام . اللهم إلا في بعض مناطق الحدود فقد تنصرّ البعض هناك تحت ضغوط الإمبراطورية البيزنطية ، وقد استمرت هذه الأقليات موجودة في مواطنها حتى وقتنا الحاضر .

ـ الخريطة المذهبية المعاصرة للمنطقة موضوع الدراسة ترجع جذورها إلى ما قبل القرن الرابع الهجري ، وهذا واضح بالنسبة لكل من اليمن وعمان .

ـ مذهب السنة والجماعة كان المذهب الذي له السيادة في بلاد الشام والجزيرة الفراتية ، وأيضاً في بلاد العرب ، أما المذاهب الأخرى فإن الازدهار الذي حققه بعضها قد ارتبط بالكيانات السياسية التي قامت باسمها ، وقصر أعمار هذه الكيانات دليل على ما يتمتع به مذهب السنة والجماعة من قوة وأصالة .

ـ وأخيراً فإنه من خلال المعلومات السابقة يتبين لنا أن الدين الإسلامي قد تميز بالتسامح ، وأنه قد حافظ على هذه الخاصة ، ويكفي للتدليل على ذلك الإبقاء على الأقليات الدينية وعدم التعرض لامتيازاتها الخاصة أو كنائسها ومعابدها . بل وفتح الباب أمام أبنائها لتكوين الثروات واحتكار الوظائف الهامة .

مصادر البحث

١ ـ **ابن الفقيه** : أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني
مختصر كتاب البلدان (طبعة ليدن سنة ١٣٠٢ هـ) .

٢ ـ **الهمداني** : الحسن بن أحمد بن يعقوب
صفة جزيرة العرب (نشر دار اليمامة بالرياض سنة ١٣٩٤ / ١٩٧٤) .

٣ الاصطخري : أبو اسحاق إبراهيم بن محمد
المسالك والممالك ، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي القاهرة ١٩٦١/١٣/١١ .

٤ — المسعودي : أبوالحسن على بن الحسين
(أ) التنبيه والإشراف (دار التراث — بيرت سنة ١٩٦٨) .
(ب) مروج الذهب (دار الأندلس — بيروت سنة ١٩٧٣)

٥ — ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن على
كتاب صورة الأرض (طبعة دار مكتبة الحياة — بيروت) .

٦ — المقدسي : شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (طبعة ليدن سنة ١٩٠٦)

٧ — ثابت بن سنان :
تاريخ أخبار القرامطة ، تحقيق سهيل ذكار ؛ مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٧١ .

٨ — الحمادي بن محمد بن مالك
كشف أسرار الباطنية ، القاهرة ١٩٣٩ .

٩ — كراتشكوفسكي :
الأدب الجغرافي العربي ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

الهوامش

(١) النسخة التي استخدمت في هذه الدراسة من تحقيق الدكتور محمد جابر الحيني ، مطبوعات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة ١٣٨١هـ (١٩٦١م) .

(٢) النسخة التي استخدمت هنا تحمل العنوان الأخير ، وهي من منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت – لبنان .

(٣) راجع مقدمة المحقق لكتاب الاصطخري ، وما كتبه المستشرق الروسي كراتشكو فسكي في كتابه المترجم إلى العربية تحت عنوان « الأدب الجغرافي العربي » ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم – لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، حـ١ ص ١٩٧ – ٢١١ .

(٤) ابن الفقيه هو أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني ، ألف « كتاب البلدان » من عدة أجزاء في أوائل القرن الرابع الهجري ، وقد اختصر هذا الكتاب في سنة ٤١٣هـ (١٠٢٢م) اختصره علي الشيزري . أنظر كراتشكوفسكي ، المصدر السابق حـ١ ص١٦٤ .

أما الهمداني فهو الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ولد ومات في بلاد اليمن ، وكانت وفاته في سنة ٣٣٤هـ (٩٤٥م) على رأي بعض الباحثين ، أو حوالي منتصف القرن الرابع كما يرى آخرون (راجع الدراسة التي صدر بها حمد الجاسر كتاب صفة جزيرة العرب) تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض سنة ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) أما المسعودي فهو أبو الحسين علي بن الحسين المسعودي ، ولد بمدينة بغداد ، وتوفي في مدينة الفسطاط بمصر في سنة ٣٤٥هـ أو في السنة التالية (٩٥٦م) .

(٥) الاصطخري ص ٢٠ ؛ ابن حوقل ص ٢٧ ؛ المقدسى ص ٦٧ .

(٦) الاصطخري ص ٢١ – ٢٢ ؛ ابن حوقل ص ٣٥ – ٣٧ ؛ المقدسى ص ٧١–٧٤ .

(٧) ص ٢٣ .

(٨) ص ٢٥ .

(٩) ص ٢٦ .

(١٠) نفس الصفحة .

(١١) ص ٢٧ .

(١٢) صفة جزيرة العرب ص ٢٨٢ ، ٣٠٩ .

(١٣) مروج الذهب حـ ٤ ص ١٥٦ .

(١٤) المصدر السابق حـ ٣ ص ١٧٦ – ١٧٧ .

(١٥) المصدر السابق حـ ٤ ص ١٧٧ – ١٧٨ ، ٢١٦ – ٢١٧ .

(١٦) ابن حوقل ص ٣٣ .

(١٧) زيادة مستفادة من ابن حوقل ص ٣٨ .

(١٨) جزيرة أوال حالياً هي جزيرة المنامة وهي كبرى جزر دولة البحرين .

(١٩) للمزيد عن الخرج في القرن الرابع الهجري اقرأ صفة جزيرة العرب ص ٢٨٣ .

(٢٠) ص ٣٤ .

(٢١) ص ٣٣ .

(٢٢) نفس الصفحة السابقة .

(٢٣) ص ٣٥ .

(٢٤) ص ٤٠ .

(٢٥) ص ٤٤ – ٤٥ .

(٢٦) ص ٤٣ .

(٢٧) الحمادي ، كشف أسرار الباطنية ص ٣٣ – ٣٧ .

(٢٨) ابن حوقل ص ٣٨ .

(٢٩) ص ٨٤ .

(٣٠) صفة جزيرة العرب ص ٢٧٣ .

(٣١) ص ٩٣ - ٩٤ .

(٣٢) ص ٨٣ .

(٣٣) ص ٨٧ .

(٣٤) ص ٨٨ .

(٣٥) ص ٩٦ .

(٣٦) ص ١٠٢ .

(٣٧) عن الصلة المذهبية بين القرامطة والعبيديين اقرأ للمقريزي ، اتعاظ الحنفا ، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة حـ١ ص ١٨٩ وما بعدها .

(٣٨) ص ٣١ .

(٣٩) ص ٤٤ .

(٤٠) ص ٤٤ ، ٤٦ .

(٤١) التنبيه والإشراف ص ١٢٦ ، ١٢٨ .

(٤٢) ص ١٣١ .

(٤٣) ص ١٥٩ .

(٤٤) مروج الذهب حـ١ ص ٧٢ .

(٤٥) ص ١٥٩ ومجزي تعني أنهم يدفعون الجزية .

(٤٦) مختصر كتاب البلدان ص ١١٢ .

(٤٧) ص ١٦٦ .

(٤٨) مروج الذهب حـ١ ص ٣٥٩ .

(٤٩) ص ١٦٦ .

(٥٠) ص ١٦٥ — ١٦٩ .

(٥١) التنبيه والإشراف ص ١٦٤ — ١٦٦ .

(٥٢) المصدر السابق ص ١٦٥ .

(٥٣) ص ١٧١ — ١٧٢ ، ١٧٦ .

(٥٤) ص ١٦٧ .

(٥٥) ص ١٧٩ .

(٥٦) ص ١٧٩ — ١٨٠ .

(٥٧) وهو المذهب الشيعي الإسماعيلي ، والفترة التي يتحدث عنها المقدسي هي الثلث الأخير من القرن الرابع الهجري .

(٥٨) ص ١٨٣ .

(٥٩) نفس الصفحة .

(٦٠) نفس الصفحة .

(٦١) ص ١٨٢ — ١٨٣ .

(٦٢) ص ١٨٣ . وللمزيد عن هذه الشهور وأصلها أنظر التنبيه والإشراف ص ١٨٣ .

(٦٣) ص ٥٢ .

(٦٤) ص ٥٤ .

(٦٥) الصفحة السابقة .

(٦٦) الصفحة السابقة .

(٦٧) مختصر كتاب البلدان ص ١٣٤ .

(٦٨) التنبيه والإشراف ص ١٢٤ .

(٦٩) مروج الذهب حـ١ ص ١١٠ ، حـ٢ ص ٢٣٨ ، ٢٤٠ .

(٧٠) ص ٢٠٤ .

(٧١) ص ٢٠٥ .

(٧٢) ص ٢٠٤ .

(٧٣) ص ١٩٦ .

(٧٤) ص ١٩١ – ١٩٢ ، ١٩٩ .

(٧٥) ص ١٩١ – ١٩٢ .

(٧٦) أحسن التقاسيم ص ١٤٢ .

(٧٧) الصفحة السابقة .

نظريات حول التحض

النموذج اللاحضري – الحضري

تركزت الدراسات الاجتماعية ، والأنثروبولوجية ، والتاريخية ، والجغرافية حول موضوع الاختلاف ما بين الريف والحضر ولكن الطرق والوسائل والنتائج تختلف كثيراً من فرع من العلوم إلى آخر ومن وقت إلى آخر . العلماء الاجتماعيون والسياسيون والاقتصاديون أجمعوا على أن هناك اختلافا بين الريف والحضر من المفكرين الاجتماعيين الأوائل أمثال ابن خلدون وبيترو إلى الكتاب في عصرنا الحالي أمثال Sorokin و Zimmerman أكد هؤلاء هذه الاختلافات[1] . ولكن من الداعي إلى الغرابة هو أن القطبين الحضري والريفي عولجا في حالتين متطرفتين . المقالة المعروفة عن التحضر في المجتمع الغربي كتبت بواسطة Wirth (١٩٣٨) ، ومن ناحية أخرى ومن وجهة نظر أنثروبولوجية عالج Redfield (١٩٤١) القطب الآخر (الريفي) في مجتمع غير غربي[2] .

كانت مقالة Wirth تعالج بصفة خاصة مسألة التحضر في

...ر والتحضّر

د. عبدالعزيز عبداللطيف آل الشيخ
قسم الجغرافيا بجامعة الرياض

المدن الغربية على أساس متغيرات ثلاثة ، العدد ، الكثافة ، ودرجة التمايز . . . »[٣] انتقدت هذه المقاييس بالنسبة لمدن غير غربية . ذكرت ابو لغد في دراستها لمدينة القاهرة (١٩٦١) أن هذه المتغيرات لا يمكن أن تطبق على مدينة مثل مدينة القاهرة[٤] .

صحيح أن هناك فرقا بين المدينة والقرية في البلدان النامية إلا أننا نجد في المدن نفسها مظاهر غير حضرية جنباً إلى جنب مع المظاهر الحضرية[٥] .

ومن ناحية أخرى سبب عمل Redfield (المركز على الريف) جدلاً طويلاً . هذا النموذج Model عن حضارة العشائر Folkculture يعتبر المقابل لنموذج الحضرية . انتقد Lewis (١٩٥١) نموذج Redfield من نقطتين أساسيتين . الأولى أن هذا النموذج يركز بالدرجة الأساسية على المدينة كمصدر للتغير الحضاري :

The Folk-Urban conceptualization of social change focuses attention primarily on the city as the source of change, to the exclusion or neglect of other factors of an internal or external nature.[٦]

أما نقطة الانتقاد الثانية فهي أن Redfield (في دراسته الحتمية في المكسيك عن المجتمع الريفي) استعمل أحكاما شخصية أدت به إلى أن ينظر إلى الناحية الأخلاقية للمجتمع الريفي الذي درسه من زاوية خاطئة [٧] .

وانتقد McGee (١٩٦٤) النموذج اللاحضري – الحضري بشكل عام من ثلاث نواح هامة :

١ – انتقد النموذج على أساس الازدواجية ذاتها فالمظاهر اللاحضرية قد توجد في منطقة حضرية بسبب عامل الهجرة .

٢ – فشل النموذج في أن يطابق الواقع .

٣ – من الممكن أن توجه الانتقادات إلى كلا جانبي النموذج الريفي والحضري [٨] .

وفيما يخص مدن الشرق الأوسط مثل ذلك النموذج الذي يقول بنوع واحد من الأنماط لا يمكن قبوله ، وهذا يرجع إلى أن أمثال تلك المدن تحتوي على الأنماط الريفية والحضرية معا . تذكر أبولغد (بناء على إحصائية ١٩٤٧) بأن أكثر من ثلث سكان مدينة القاهرة مولودون خارجها [٩] . وحتى عشر سنوات بعد ذلك بين إحصاء عام ١٩٥٧ أن ٣٧ في المائة من سكان مدينة القاهرة مولودون خارجها [١٠] .

وحسب إحصاء تم في بغداد ما بين عامي ١٩٥٦ و ١٩٥٧ وجد أن ٥٧ في المائة من المجيبين يذكرون أنهم ولدوا خارج مدينة بغداد . [١١] الشخصية الريفية لبعض أجزاء مدن الشرق الأوسط ظاهرة شائعة . وتقع هذه الأجزاء حول أطراف المدينة . تتصف أطراف المنطقة الحضرية لمدينة القاهرة بطريقة عيش ريفية [١٢] . وفي النواحي الشرقية والغربية من مدينة دمشق هناك نسبة عالية من السكان الذين يشتغلون في مهن غير

حضرية . وهذه الظاهرة تعكس الشخصية الريفية لهذه المناطق [١٣] . تأتي الأنماط الريفية في المناطق الحضرية نتيجة لمد الحدود الإدارية لتشمل القرى المجاورة . ولكن المناطق الحضرية نفسها تحتوي على مهاجرين والذين يمكن اعتبارهم ريفيين من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية [١٤] .

فشل النموذج اللاحضري – الحضري في تفسير كثير من النواحي في مدن العالم النامي في جنوب وجنوب شرق آسيا وفي أفريقيا . وكذلك في الشرق الأوسط . هذا الفشل أدى إلى محاولات لتكوين نماذج لا على أساس حضارة واحدة وإنما ضمن حضارات مختلفة On cross-cultural basis وعمل Sjoberg (١٩٦٠) يعتبر أحسن مثال على هذا النوع من المحاولات (شكل ١) .

نظرية المدينة ما قبل الصناعة

عمل Sjoberg هو عبارة عن محاولة لبناء نموذج لتفسير الظاهرة الحضرية بغض النظر عن أية حضارة معينة [١٥] . تقترح نظرية المدينة ماقبل الصناعة .Preindustrial City الفكرة القائلة بأن جميع المدن ما قبل الثورة الصناعية في القرنين الماضيين تشترك في خاصيات معينة . وفي الصفحات الأولى من كتابه يقول Sjoberg .

"in their structure, or form, preindustrial cities — whether in medievel Europe, traditional China, India, or elsewhere — resemble one another closely and in turn differ markedly, from modern industrial-urban centers [١٦]

من العبارات السابقة عرف Sjoberg نوعين من الحضرية : « ماقبل الصناعة » و « الصناعية » واستعمل الأخير كمقياس يقارن به النوع الأول .

وعلى أساس تصنيف وظيفي يرى أن كافة المجتمعات من الممكن تصنيفها في إحدى الطبقات الثلاثة : اللاحضري وماقبل الصناعة ، ثم الصناعي . توجد المدن (حسب نظريته) فقط في المجتمعين الأخيرين . استعمل Sjoberg التكنولوجيا ليكون المتغير الرئيسي المستقل وهو يعرف هذا المتغير ليشمل ؛: موارد الطاقة ، الأدوات والمعرفه المرتبطة باستعمال الأدوات ومصادر الطاقة لأغراض الإنتاج والخدمات ، والفرق بين التكنولوجيا الصناعية وما قبل الصناعة يتركز في نوع الطاقة المستعملة : المجتمعات الصناعية تستعمل الطاقة ذات المصدر اللاحي Inanimate energy ، بينما تعتمد مجتمعات ما قبل الصناعة على الطاقة التي مصدرها حيواني أو بشري an'mate energy كما أن شوبرج استخدم الكتابة كمتغير ليفرق به بين المجتمعات ما قبل الصناعة ومجتمعات العشائر : مجتمعات ما قبل الصناعة كانت تعرف الكتابة . بينما تلك التي انعدمت فيها الكتابة اعتبرها مجتمعات عشائرية بغض النظر عن نوع المركز العمراني أو المستوى التكنولوجي الذي وصلوا إليه .

أما صفات المدينة ما قبل الصناعة فهي :

١ — من ناحية الحجم هي مدينة صغيرة وتمثل تنوعات سلالية ethnic diversity أكثر من المناطق الريفية المحيطة بها ونسبة الوفيات فيها أعلى من المناطق الريفية .

٢ — الموقع تحدده الناحية الطبيعية للمنطقة والتكنولوجيا والتنظيم الاجتماعي .

٣ — وظيفة المدينة ما قبل الصناعة مرتبطة بموقعها وهي بالدرجة الأولى سياسية واقتصادية واجتماعية ولا توجد مدينة تقوم بوظيفة واحدة وبارزة .

٤ ـ نمط المدينة ما قبل الصناعة (أو التركيب الداخلي لها) يشمل : وجود الأسوار التي تحيط بالمدينة لغرض الحماية . وداخل هذه الأسوار يعيش السكان بالقرب من بعضهم البعض ولكنهم متميزون مكانيا فالأكثر دخلا يسكنون بالقرب من مركز المدينة أما الأقل دخلا أو الفقراء فيسكنون في المناطق البعيدة عن المركز .

تلك بعض الأنماط المكانية (أو الأيكيولوجية) لمدينة ما قبل الصناعة كما وصفت بواسطة شوبرج والتي من الممكن مقارنتها بصفات المدينة الصناعية حسب نموذج ويرث .انتقد نموذج المدينة ما قبل الصناعة من نقطتين رئيسيتين : تجاهله للاختلافات الحضارية بالنسبة للزمان والمكان . كما أن معظم الأمثلة التي تطرق لها جاءت من المدن الإسلامية مثل مكة . القاهرة ، فاس . بخارى ولاهاس (في الصين) . من ضمن منتقدي شوبرج الرئيسيين Wheatley الذي يقول :

" Because of his (Sjoberg's) abstractions are derived from evidence selected either arbitrarily or fortuitously according to itsavailability, they are under suspicion of being little more than generalizations..." (١٧)

كذلك فشل شوبرج في إعطاء أمثلة عن المدن التي كانت تقوم بدور الربط بين الحضارات المختلفة . أمثال تلك المدن ازدهرت ضمن مجتمعات ما قبل الصناعة (١٨) . كما أنه لم يعالج بشيء من الجدية مدن أفريقيا جنوب الصحراء ، ومدن جنوب شرق آسيا . وأمريكا اللاتينية أو مدن الحضارات القديمة مثل المدن الرومانية (١٩) . والذين لا يتفقون معه يرون إيجاد نموذج آخر والذي قد يناسب معظم مدن العالم الثالث وذلك هو نموذج المدينة المستعمرة Colonial City .

ومن الجدير بالملاحظة أن شوبرج حاول في بحث آخر أن يغير من بعض أفكاره وذلك بتقديم نوع جديد من المظهر الحضري وهو المدينة المتصنعة Industrializing City » وتلك هي مرحلة انتقالية من ماقبل الصناعية إلى الصناعية » From preindustrial to industrial (٢٠)

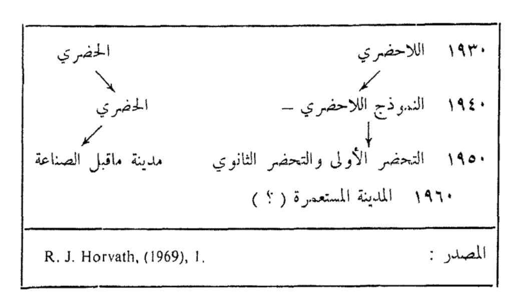
نموذج المدينة المستعمرة

كثير من المدن الآسيوية والأفريقية ومدن أمريكا اللاتينية وجدت نتيجة للتجربة الاستعمارية التي مرت بها كثير من دول العالم الثالث . من أحسن الأمثلة على هذه المدن التي وجدت بواسطة قوى خارجية وليست نتيجة لتطور اقتصادي داخلي ما يذكره Ginsburg عن المدينة العظمى The Great City (٢١) .

وفكرة نموذج المدينة الاستعمارية The Colonial City » هو أن المدينة التي وجدت في القرن العشرين سواء في جنوب شرق آسيا أو في أفريقيا وقبل الاستقلال تشتمل على عدد من الصفات المتشابهة والتي تبرر إطلاق مصطلح المدينة الاستعمارية عليها(٢٢) . ولكن استخدام هذا النموذج الأخير وتطبيقه على مدن الشرق الأوسط وشمال أفريقيا يكون مشكلة . وهنا من الممكن القول بأن خليطا من نموذجي المدينة ما قبل الصناعة والمدينة المستعمرة من الجائز أن يناسب أحوال تلك المدن(٢٣) .

وينتج من ذلك أن هناك ثلاثة نماذج للقطب الحضري : ما قبل الصناعة والصناعية والاستعمارية شكل (٢) إلا أن هذه النماذج كغيرها لا يمكن القول بأنها استطاعت أن تشرح الأنماط الحضرية للمدن غير الغربية وذلك يرجع إلى أن تلك النماذج اقتصرت على وصف تكوين تلك المدن وتجاهلت المتغيرات السلوكية داخل تلك المدن(٢٤) .

شكل (١)



شكل (٢)

المتغير المستقل	نوع المجتمع	المدينة كنظام
التكنولوجيا	العشائري	لايوجد
التكنولوجيا	ما قبل الصناعة	مدينة ما قبل الصناعة
التكنولوجيا	الصناعي	المدينة الصناعية
السيطرة	الاستعماري	المدينة المستعمرة

المصدر : R. J. Horvath, (1969), 9.

الهوامش

1. See : M. Alam, "Ibn Khaldun's Concept of the Origin, Growth, and Decay of Cities," *Islamic Culture*, 34, (1960), 90-106; G. Botero, "The Greatness of Cities," in *The Reason of the State and the Greatness of Cities*, Trans. by R. Peterson, 1956. See also : P. Sorokin and C. Zimmerman, *Principles of Rural-Urban Sociology*, New York, 1929.

2. L. Wirth, "Urbanism As A Way of Life," *The American Journal of Sociology*, 44, (July, 1938), 1-24. R. Redfield, *The Folk Culture of Yucatan*, Chicago : The University of Chicago Press, 1941.

3. L. Wirth, (1938), 18.

4. J. Abu-Lughod, " Migrant Adjustment to City Life : The Egyp tian Case," *The American Journal of Sociology*, 67, (July, 1961), 22-32.

5. J. Abu-Lughod, "Varieties of Urban Experience : Contrast, Coexistence and Coalescence in Cairo," in *Middle Eastern Cities*, Ed. by I. M. Lapidus, (Berkeley, University of California Press, 1969), 159-187.

6. O. Lewis, *Life in A Mexico Village : Tepoztila Re-Studied, Urbana* : University of Illinois Press, 1951, 432.

7. *Ibid.*, 435.

8. T. G. McGee, "The Rural-Urban Continnum Debate, the Preindustrial City and Rural-Urban Migration," *Pacific Viewpoints*, 5, (1964), 159-179.

9. J. Abu-Lughod, (1961), 23.

(١٠) الجمهورية العربية المتحدة ، مصلحة الإحصاء والتعداد ، التعداد العام للسكان القاهرة : مطابع الأميرية ، ١٩٦٢م ، (مجلد ١ جزء ٢٣) ، ص ٢٥٧ .

11. D. G. Philips, "Rural-To-Urban Migration in Iraq," *Economic Development and Cultural Change*, 7, (July, 1959), 413.

12. J. Abu-Loghod, (1969), 159.

(١٣) س. خير ، مدينة دمشق : دراسة في جغرافية المدن ، دمشق ، ١٩٦٩م ، ص٢٦٩ .

14. I. H. Abdel-Rahman, "Relations Between Urban and National Planning," in *The New Metropolis in the Arab World*, Ed. by M. Berger, (New Delhi : Allied Publishers, 1963), 206.

15. G. Sjoberg, *The Preindustrial City, Past and Present*, Glencoe, Ill. : The Free Press, 1960.

16. *Ibid.*, 4, 5.

17. P. Wheatley, "What the Greatness of the City Was Said To Be," *Pacific Viewpoints*, 4, (1963), 163-188.

18. T. G. McGee, (1964), 171.

19. R. J. Horvath, *In Search of A Theory of Urbanization : Notes on the Colonial City*, (East Lansing, Michigan : Department of Geography and African Studies Center, Michigan State University, 1969,) 3.

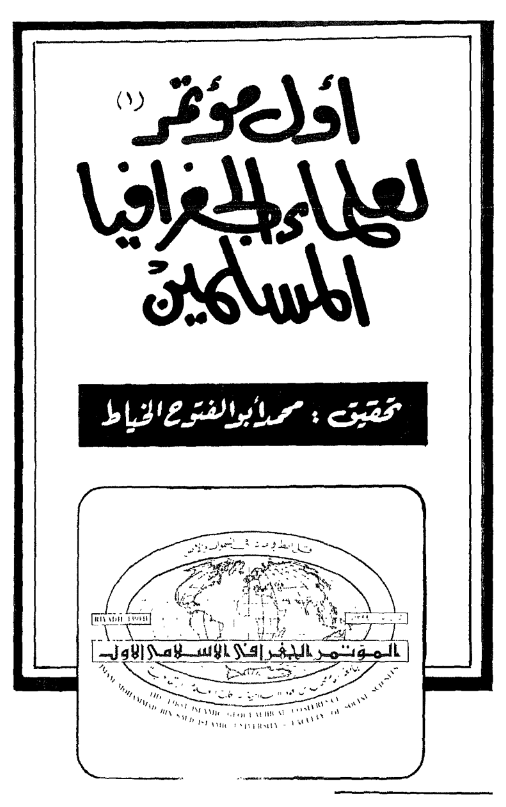
20. G. Sjoberg, "Cities in Developing and in Industrial Societies : A Cross -Cultural Analysis," in *The Study of Urbanization.*, Eds. by P. M. Hauser and L. F. Schnore, (New York : John Wiley and Sons, Inc., 1965), 220-228.

21. N. S. Ginsburg, "The Great City in Southeast Asia," *The American Journal of Socioélogy*, 60, (March, 1955), 455-464.

22. R. J. Horvath, (1969), 14.

23. J. Abu-Lughod, "Tale of Two Cities : The Origins of Modern Cairo," *Comparativety Studies in Societyand History*,7, (July, 1965), 427-457.

24. A. A. Al Sheikh, *Residential Mobility in Riyadh : A Study in Intra-urban Migration*, Doctoral Dissertation, (University of Wisconsin, Madison, 1977), 14.



(١) ترجع فكرة عقد هذا المؤتمر للأستاذ الدكتور محمد [illegible] نائب رئيس جامعة القاهرة أثناء تواجد سعادته بالرياض كأستاذ زائر [illegible] الإمام محمد ابن سعود الإسلامية .

في غرة شهر ربيع الثاني عام ١٣٩٦هـ — صدرت الموافقة السامية بشأن طلب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عقد مؤتمر عام بمقر الجامعة بالرياض باسم « جغرافية الإسلام والمسلمين » .

ومنذ هذا التاريخ قامت الجامعة بالدعوة لعقد المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول بمدينة الرياض خلال الفترة من ٢٢ — ١٣٩٩/٢/٢٨هـ لإبراز جهود علماء الجغرافيا المسلمين لخدمة هذا العلم ، ومساهماتهم المستمرة لتطوير الفكر الجغرافي الإسلامي . ، وشكلت لهذا الغرض لجنة تحضيرية تتولى الإعداد للمؤتمر برئاسة فضيلة الشيخ محمد بن عبد الله عرفه عميد كلية العلوم الاجتماعية وعضوية عدد من أعضاء هيئة التدريس بالجامعة .

وبدأت هذه اللجنة اجتماعاتها اعتباراً من يوم الأحد ١٣٩٦/٦/١٥هـ وعلى مدى ثلاث سنوات متتالية بلغ عدد إجتماعاتها اثنين وخمسين اجتماعاً ، وقد حضر أغلب هذه الاجتماعات معالي مدير الجامعة الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وسعادة وكيل الجامعة الدكتور محمد عبد الله العجلان ، وسعادة الأمين العام للجامعة الشيخ عبد الله يوسف الشبل .

وأمكن للجنة التحضيرية بفضل الله ثم جهود أعضائها وحرصهم على أن يجيء التنظيم والإعداد لهذا المؤتمر بصورة طيبة فيها الخير لأمتنا الإسلامية وديننا الإسلامي الحنيف .

وتركزت أهداف المؤتمر فيما يلي :

١ ــ إيجاد رابطة بين علماء المسلمين من الجغرافيين من مختلف أقطار العالم الإسلامي مبنية على التعارف فيما بينهم .

٢ ــ توجيه الجغرافيا توجيهاً إسلامياً .

٣ ــ الاهتمام بدراسة واقع العالم الإسلامي المعاصر .

٤ ــ إلقاء الضوء على ظروف الأقليات المسلمة في العالم .

٥ ــ بحث التكامل الإقتصادي في العالم الإسلامي .

٦ ــ الاهتمام بالدراسة السكانية والعمرانية للعالم الإسلامي .

٧ ــ الاهتمام بالتراث الجغرافي الإسلامي .

٨ ــ إلقاء الضوء على الجانب التربوي الذي يدعم الإيمان بالله أولاً ويقوي إحساس المسلمين بالوحدة ثانياً . . وذلك في مجال الدراسات الجغرافية مناهجها والقيام بتدريسها .

٩ ــ التعرف على مسار انتشار الإسلام في العالم .

١٠ ــ الإهتمام بإبراز الجوانب الهامة في المشكلات السياسة لبعض مناطق العالم الإسلامي مثل مشكلة فلسطين ومشكلة كشمير ومشكلة إرترية ومشكلة الفلبين ومشكلة فطاني وغيرها من المشكلات .

وأمكن للجنة التحضيرية في إطار التنسيق الكامل أن تشكل اللجان الفنية التالية :

(أ) لجنة التراث الجغرافي :

وتتناول مناهج البحث لدى الجغرافيين المسلمين وجهودهم في رسم الخرائط وأثر الرحالة المسلمين في إثراء المعرفة والكشوف الجغرافية وأثر الجغرافيه الإسلامية في الثقافة الجغرافية العالمية وكذلك الكشف عن المخطوطات الجغرافية الإسلامية التي لم تحقق بعد .

(ب) لجنة الجغرافيا الاقتصادية للعالم الإسلامي :

وتتناول الثروات الزراعة والرعوية والمعدنية في العالم الإسلامي وكل مجالات النشاط الاقتصادي من صناعة وتجارة وطاقة وإمكانيات التكامل الاقتصادي في مجال إنتاج الغذاء في العالم الإسلامي .

(ح) لجنة الجغرافية السكانية والعمران :

وتتناول حركات السكان وتكاملهم وجغرافية المدن وتنمية الريف في العالم الإسلامي .

(د) لجنة جغرافية انتشار الإسلام :

وتتناول مسائل انتشار الإسلام والأقليات الإسلامية وتوزيعها ومستقبلها .

(ه) لجنة الجغرافيا السياسيه :

وتتناول بحث مشاكل فلسطين وكشمير وإرترية والفلبين وكذلك أثر الجغرافية في تعضيد دعوة التضامن الإسلامي .

(و) اللجنة التربوية الجغرافية :

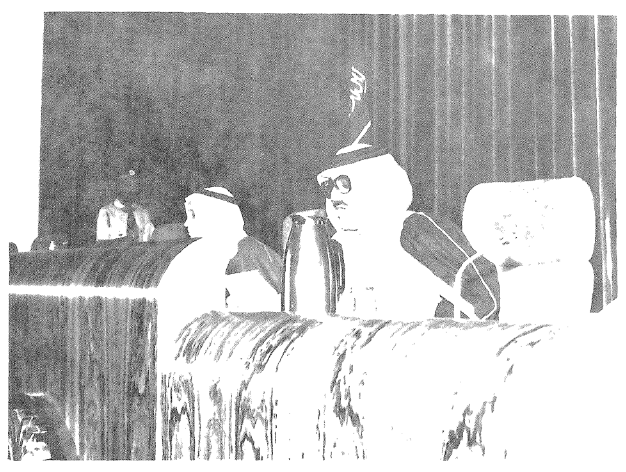
وتتناول توجيه الجغرافية لترسيخ الإيمان بالله وتوجيه الجغرافية لدعم فكرة وحدة العالم الإسلامي .

إلى جانب تشكيل اللجان الفنية قررت اللجنة التحضيرية إقامة معرض للكتاب الجغرافي الإسلامي وآخر للخرائط التاريخية والمعاصرة .

كما تم تشكيل لجان تنظيمية لدفع عجلة العمل نحو تحقيق غاياتها المرجوة في إطار من التكامل والتنسيق بما يتفق وأهمية هذا اللقاء العلمي المبارك بإذن الله .

وبدأت اللجنة التحضيرية في الدعوة لكثير من علماء الجغرافيا المسلمين والباحثين في أكثر من خمس وعشرين دولة إلى جانب الجامعات السعودية والجمعيات الجغرافية داخل وخارج المملكة وعدد من المجلات العلمية مثل مجلة الدارة ، ومجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، وصاحب تلك الجهود التنظيمية والتمنية للمؤتمر جهود علمية أخرى مثل إصدار كتاب عن جغرافية العالم الإسلامي » يتناول التعريف بالمسلمين وأمصارهم وعددهم ٥٥ قطراً إلى جانب الأقليات الإسلامية .

كما أمكن للجنة إعداد مجموعة من الخرائط التاريخية لدول العالم الإسلامي ومجموعة أخرى تمثل النشاط الجغرافي للمسلمين القدامى مثل الإدريس وابن حوقل والمسعودي والخوارزمي والمقدسي والبكري ، وأيضاً خرائط الرحالة المسلمين وخرائط السكان والخرائط الطبيعية وخرائط للنشاط الإقتصادي وخرائط المملكة العربية السعودية والتي بلغت أكثر من ثلاثين خريطة تمثل مختلف معالم النشاط الاقتصادي .



صاحب السمو الملكي الأمير سطام بن عبد العزيز نائب أمير منطقة الرياض
يفتتح أولي جلسات المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول

وفي الاجتماع الأخير للجنة التحضيرية (١٣٩٩/٢/١٦هـ) برئاسة صاحب المعالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي مدير الجامعة تم وضع اللمسات الأخيرة للمؤتمر واستكمال الإجراءات التنظيمية ، ووضع برنامج المؤتمر وتحديد الصورة الإعلامية التي يجب أن يكون عليها إنعقاد أول مؤتمر لعلماء الجغرافيا المسلمين بالمملكة العربية السعودية .

وفي مساء يوم السبت ٢٢ صفر ١٣٩٩هـ – الموافق ٢٠ يناير ١٩٧٩م – افتتح صاحب السمو الملكي الأمير سطام بن عبد العز ز نائب أمير منطقة

الرياض نيابة عن صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء أولى جلسات المؤتمر بقاعة الملك فيصل للمؤتمرات بمدينة الرياض حيث ألقى سموه الكريم كلمة بهذه المناسبة رحب فيها بعقد هذا المؤتمر بالمملكة وفي رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية مؤكداً سموه أن عقد هذا المؤتمر — امتداد لاهتمامات حكومة صاحب الجلالة الملك خالد بن عبد العزيز المعظم — بالفكر الإسلامي وتراثه المجيد ، ودعوة علماء المسلمين في كل تخصص لدراسة قضايا علومهم وبيان فضل علمائنا وحضارتناالإسلامية .

وقال سموه : لقد دأبت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية التي تبنت هذا المؤتمر ودعت إلى عقده . . على طرح الكثير من القضايا العلمية عبر هذه التجمعات المفيدة لبحثها ودراستها من قبل زعماء الفكر الإسلامي للخروج بنتائج إيجابية تسهم في إعلاء كلمة المسلمين ورفع مستواهم العلمي وإيضاح رأيهم للعالم في تلك القضايا وهي أعمال جليلة تستحق الشكر والتقدير .

ثم تحدث صاحب المعالي الشيخ عبد الوهاب عبد الواسع وزير الحج والأوقاف ووزير التعليم العالي بالنيابة ، فأوضح معاليه للمؤتمرين أن رسالة مملكتنا الغالية منذ أرسى دعائمها مؤسسها جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله تقوم على جمع الشمل وتوحيد الكلمة ورفع شأو رسالة الإسلام ، وأضاف معاليه أن قيادتنا الرشيدة بقيادة صاحب الجلالة الملك المعظم خالد بن عبد العزيز تنطلق من هذا المفهوم لتعمقه وتجسده من أجل الوصول إلى أمجاد الإسلام في جميع مجالات الحياة .

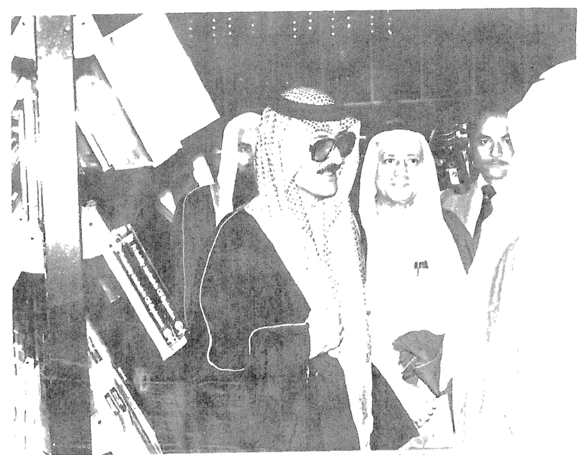
ومن هذا المنطلق دعت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية إلى عقد هذا المؤتمر بالرياض .

وأكد معاليه أن الجامعات الإسلامية تعتبر في مقدمة من يجب أن يرعى المسئوليه العلميه وأن تكون السباقه والرائدة في كل العلوم .

ثم تحدث معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي مدير الجامعة ـ فرحب بأعضاء المؤتمر مؤكداً لهم أن المملكة العربية السعودية ـ بقيادة المليك المفدى خالد بن عبد العزيز المعظم وسمو ولي عهده الأمين ـ حريصة على ما ينفع المسلمين ، وهي تؤمن أن في لقاء علماء المسلمين وتدارسهم لمشكلاتهم خير طريق لحل المشكلات مما ينهض بأمر الإسلام ، ويعيد لها وحدتها وتضامنها بحيث تعود كما كانت قائدة للبشرية نحو الخير والرفاهية ، وبحيث يتحقق فيها قوله الله تبارك وتعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

ثم ألقى فضيلة الشيخ محمد بن عبد الله عرفه أمين عام المؤتمر كلمة استعرض فيها جهود الجامعة في سبيل عقد هذا المؤتمر وأهمية علم الجغرافيا عند المسلمين ، وأهم أهداف المؤتمر ومختلف الجهود التي بذلت وعلى مدى ثلاث سنوات كاملة للتحضير لهذا المؤتمر .

وعلى مدى خمسة أيام متتالية تابعت لجان المؤتمر جلساتها والتي بلغت سبعا وعشرين جلسة تناولت كل لجنة البحوث المدرجة ضمن خطة عملها بحثا ودراسة تفصيليه للوصول من خلالها لقرارات هامة تعد منطلقاً جديداً لعلماء الجغرافيا المسلمين في سبيل النهوض بعلم الجغرافيا وأهميته في شتى مجالات المعرفة ووضعها في خدمة الإسلام والمسلمين في كل مكان ـ كما تعد أيضاً منطلقاً علمياً من واقع الإيمان بالصلة الوثيقة بين الدين والعلم



صاحب السمو الملكي الأمير سطام بن عبد العزيز في افتتاح معرض الكتاب الجغرافي الاسلامي

والحاجة الماسة لإحياء التراث الجغرافي لوصل حاضر الأمة الإسلامية بماضيها ودراسة أحوال المسلمين اليوم .

وقد بلغ عدد بحوث المؤتمر أكثر من مائة وخمسين بحثاوكنـا نتمنى أن تتاح الفرصة لمجلة الدارة أن تنشر أكثرها إيمانامنها بأهميتها .

وفي مساء يوم الخميس السابع والعشرين من شهر صفر ١٣٩٩ﻫ أمكن للمؤتمر بفضل الله أن يصدر مجموعة من التوصيات والقرارات الهامة التالية : —

أولا : التوصيات العامة :

يوصي المؤتمر بما يلي :

١ ــ أن تعني الجامعات الإسلامية ــ ولا سيما جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالدراسة الجغرافية التي تخدم القرآن الكريم والسنة المطهرة وتعين المسلم على فهمها والاستجابة لما ورد فيهما .

٢ ــ أن يتوالى عقد المؤتمرات الجغرافية الإسلامية بصورة دورية لما لمسه المؤتمرون من ثمرات هذا المؤتمر . ويمكن أن يفرد أحد المؤتمرات بدراسة مشكلات موضوعية أو مكانية بعينها نظراً لأهميتها وتحقيقاً للتعمق الذي تستلزمه دراستها ومن ذلك مشكلات الأقليات المسلمة ــ .

٣ ــ أن يعني الجغرافيون المسلمون بإعداد الدراسات الجغرافية عن بلدانهم وذلك لكونهم أقرب من غيرهم إلى مصادر المعلومات الخاصة بها .

٤ ــ أن تقوم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بإنشاء مركز لبحوث العالم الإسلامي المعاصر يعني في نطاق نشاطه بوجه خاص بالدراسات الجغرافية وفي مقدمتها دراسة الأقليات المسلمة ويضطلع بالتخطيط لهذه البحوث ، ويشرف على القيام بها في البلدان الإسلامية ومناطق تجميع الأقليات المسلمة . مع متابعة آخر التطورات العلمية في مجالات البحث الجغرافي ووضعها في خدمة القضايا الإسلامية .

ويزود هذا المركز بمكتبة متخصصة كما يضم وحدة لتجميع المعلومات عن مختلف بلدان العالم الإسلامي المعاصر والأقليات المسلمة فيه .

٥ ـ أن يتابع الجغرافيون المسلمون الدراسة المعززة بالخرائط والرسوم عن المملكة العربية السعودية من مختلف النواحي الجغرافية باعتبارها مشرق رسالة الإسلام . وبجهودها الرائدة في العمل لهذه الرسالة . ونصرة قضايا المسلمين وتحقيق تضامنهم في أنحاء العالم الإسلامي من جهة . وفي العمل الجاد للتنمية الاقتصادية والاجتماعية داخل المملكة من جهة أخرى على أن تتضمن الدراسات الجغرافية المرجوة عن المملكة تحقيق المواقع التي كانت قائمة في شبه الجزيرة مما ورد ذكره في القرآن الكريم والسيرة النبوية المطهرة أو ورد ذكره في أمهات كتب التاريخ والأدب وتمثيلها في مصورات مضبوطة الأعلام.

ويحي المؤتمر الجهود الدائبة التي يبذلها علماء المملكة للتعريف الجغرافي بها .

٦ ـ أن يوجه مزيد من الاهتمام إلى الدراسة الجغرافية للحج من مختلف جوانبها حتى يستفاد منها في تيسير أداء الفريضة للأعداد الضخمة المتزايدة من الحجاج عاماً بعد عام وتسهم من ناحيتها في حل مشكلات مثل المواصلات والمياه والإسكان في المشاعر المقدسة وما حولها . ويدعو المؤتمرون إلى التعاون مع المراكز القائمة لبحوث الحج وتعضيدها كما يحثون على الإفادة من هذا اللقاء العالمي السنوي في تدعيم التضامن الإسلامي والتشاور لأجل تحقيق منافع المسلمين .

٧ ــ أن تتضافر جهود الجغرافيين المسلمين لإصدار موسوعة جغرافية للعالم الإسلامي مزودة بأطلس جغرافي . وإصدار أطلس آخر للتاريخ الإسلامي .

٨ ــ أن تتضافر الجهود على تعريب المصطلحات الجغرافية وتوحيدها ووضع معجم لها .

٩ ــ أن يعني بترجمة الدراسات الجغرافية الأصلية من لغات الشعوب الإسلامية وغيرها إلى اللغة العربية وترجمة أمثال هذه الدراسات المكتوبة بالعربية وغيرها من لغات الشعوب الإسلامية إلى اللغات الأخرى .

١٠ ــ أن يوجه الإهتمام إلى الدراسات الجغرافية الإسلامية في البحوث التي تقدم لنيل الدرجات العلمية العليا في أقسام الجغرافيا بجامعات العالم الإسلامية .

١١ ــ أن تكوّن أمانة دائمة للمؤتمر الجغرافي الإسلامي مقرها جامعة الإمام وتتولى تنسيق جهود الجغرافيين المسلمين في مختلف نشاطاتهم وتحقيق كثير من الأهداف السابقة وغيرها ولا سيما :

(أ) متابعة تنفيذ التوصيات الصادرة عن هذا المؤتمر ونشر أبحاثه والإعداد للمؤتمر التالي .

(ب) إصدار مجلة دورية تعني بنشر البحوث الجغرافية التي تحقق أهداف المؤتمر .

(ج) متابعة التغييرات السكانية والاقتصادية والسياسية في بلدان العالم الإسلامي ونشرها في تقويم دوري .

(د) التخطيط لمشروعات البحوث في مختلف المجالات الجغرافية التي تخدم أهداف المؤتمر . والمعاونة على نشر الدراسات المتميزة في هذا المجال .

(هـ) دعم العلاقات العلمية مع الهيئات الإسلامية والجمعيات والاتحادات الجغرافية .

(و) حث الدول الإسلامية على تقديم العون للجغرافيين المسلمين في أبحاثهم وبخاصة في مجال تزويدهم بالمعلومات اللازمة .

ثانياً : في مجال التراث الجغرافي الإسلامي :

يوصي المؤتمر بما يلي :

١ ـ العمل على حصر التراث الجغرافي الإسلامي وتجميعه والنهوض بنشره نشراً علمياً محققاً ، وإجراء الدراسات حول هذا التراث والذين خلفوه من أعلام الجغرافيين المسلمين .

٢ ـ نشر المصورات الجغرافية التي خلفها الجغرافيون المسلمون بعد تحقيقها ، وتمثيل المعلومات الواردة في التراث الجغرافي الإسلامي وكتب التاريخ في مصورات جغرافية .

٣ ـ تنشيط حركة الترجمة عن التراث الجغرافي الإسلامي فيما بين لغات الشعوب الإسلامية ونقل ماكتب عن التراث الجغرافي

الإسلامي في اللغات الأخرى مع الاهتمام بالرد على المستشرقين وغيرهم من الباحثين في مفترياتهم ضد الإسلام في مجال الجغرافيا .

٤ — الإفادة من المصطلحات التي وردت في التراث الجغرافي الإسلامي بعد توحيدها ومقابلتها بالمصطلحات المعاصرة ، مستفيدين في ذلك بما أخرجته المجامع العلمية والعمل على إشاعة هذه المصطلحات .

٥ — توجيه جهود الجغرافيين المسلمين للمحافظة على تسمية المعالم الجغرافية في البلدان الإسلامية كما يعرفها المسلمون وإعداد الدراسات الخاصة بالأسماء الأصلية لمواجهة محاولات الأعداء لطمس هذه الأسماء واستبدال أسماء دخلية بها وتعزيز جهود الدول الإسلامية المشاركة في المؤتمر العالمي لتنشيط الأسماء الجغرافية في سبيل تحقيق هذا الهدف .

ثالثاً : في مجال انتشار الإسلام :

يوصى المؤتمر بما يلي :

١ — تعميق الدراسات المتعلقة بسبل انتشار الإسلام وذلك من أجل الاسترشاد بهذه الدراسات في توجيه الدعوة إلى الله .

٢ — اهتمام الجغرافيين المسلمين بدراسة واقع الأقليات المسلمة في البلدان التي يعيشون فيها حتى يتوفر للجهات المختصة في الدول الإسلامية ما يعينها على بذل مساعيها لدى الدول

التي تعيش فيها هذه الأقليات لأجل تحسين أحوالهم وضمان حقوقهم وحرياتهم .

٣ — حث الجامعات الإسلامية ولاسيما جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على التوسع في تقديم المنح الدراسية لأبناء المسلمين ولاسيما أبناء الأقليات الإسلامية .

٤ — دعوة الجهات المختصة في حكومات الدول الإسلامية لمعاونة هذه الأقليات بمختلف الوسائل للحفاظ على عقيدتهم والنهوض بمستواهم الاجتماعي والثقافي ومن ذلك تيسير فتح المدارس والمراكز الثقافية التي تعني بتعليم الإسلام واللغة العربية للصغار والكبار في هذه الأقليات إلى جانب التدريب المهني في المجالات الممكنة وإقامة مكتبات عامة للمسلمين في المساجد وغيرها تزود بوسائل نشر الثقافة الإسلامية من كتب ومجلات وأشرطة ونحوها ، على أن تراعى ملاءمتها للمسلمين في تلك البلاد .

٥ — توجيه أبناء الأقليات المسلمة في كل دولة إلى توثيق الروابط فيما بينهم ومع غيرهم من أبناء الأقليات المسلمة الأخرى ومع البلدان الإسلامية وذلك بتبادل الزيارات وإقامة الجمعيات والاتحادات وتنظيم المؤتمرات ومعاونة أبناء هذه الأقليات على تحقيق ذلك وتشجيعهم على أداء فريضة الحج والالتقاء مع إخوانهم المسلمين في هذا المؤتمر التعبدي الجامع الذي دعا الله المسلمين إليه « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات » .

رابعاً : في مجال الجغرافيا الاقتصادية :

١ – يوصي المؤتمر بتوجيه العناية نحو الدراسات والبحوث الجغرافية المتصلة بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية في البلاد الإسلامية ، وما يتصل بها من مشكلات مثل مشكلة الغذاء ومشكلة التصحر ومشكلة الموارد المائية ومشكلة الهجرة من الريف إلى المدن ، وذلك من أجل أن يسهم علم الجغرافيا في تحقيق الرخاء والرفاهية للشعوب الإسلامية .

٢ – يوصي المؤتمر بإجراء التجارب للإفادة من مياه البحار في ري الأراضي الجافة في العالم الإسلامي مما يسهم في زيادة رقعة المساحات المزروعة .

٣ – يؤكد المؤتمر تكامل العالم الإسلامي اقتصاديا ، ويدعو إلى التكافل الاقتصادي بين بلدان المسلمين ، كما يدعو إلى « **إقامة سوق إسلامية مشتركة** » يضع العلماء المسلمون أسسها العلمية وقواعدها العملية .

خامساً : في مجال جغرافية السكان والعمران :

يوصي المؤتمر بما يلي :

١ – الاهتمام بالثروة البشرية الإسلامية عدداً ونوعا وتنميتها وتأهيلها لكي تصبح أداة إنتاج وتعمير وقوة إسلامية تحمل رسالة الإسلام .

٢ ــ دراسة القوى العاملة في العالم الإسلامي لتحقيق التعاون بين بلدانه في الإفادة منها .

٣ ــ تحقيق التوازن بين تجمعات السكان في المدن والقرى والبادية في إطار تخطيط إقليمي داخل الدول الإسلامية . وتوفير الرعاية لسكان البادية .

٤ ــ توجيه الجغرافيين المسلمين نحو العناية بدراسة الخصائص المميزة للمدينة الإسلامية . وذلك لتزويد المخططين بما يمكنهم من الحفاظ على القيم الإسلامية والطابع الإسلامي في المخططات الحديثة .

٥ ــ التنبه إلى خطورة هجرة ذوى الإمكانات العلمية المتميزة من أرض الإسلام . وتوظيف كفاياتهم لدى غير المسلمين لما يؤدي إليه ذلك من تأخر النهضة التي يؤمل فيها المسلمون ويجدون في العمل لها .

سادساً ــ في مجال الجغرافيا السياسية :

١ - يؤكد المؤتمر الأهمية البالغة للقضية الفلسطينية بالنسبة للمسلمين جميعاً في أنحاء العالم ويدعو الجغرافيين المسلمين والجامعات في العالم الإسلامي إلى العناية بالدراسات المتخصصة التي تتعلق بفلسطين وحق شعبها في أرضه وتبرز الطابع العربي الإسلامي الأصيل لشعبها ومعالمها الجغرافية ودحض المحاولات الصهيونية التي تستهدف تغيير هذا الطابع وفرض طابع دخيل على هذه المعالم .

٢ – يؤكد المؤتمر أهمية قضية الشعب الارتيري ، وقضية المسلمين في الفلبين وغيرهما من قضايا المسلمين ويوصى الجغرافيين المسلمين بالعمل على دراستهما دراسة علمية تبرز حق هذين الشعبين وغيرهما في أراضيهم ، كما يؤكد المؤتمر ضرورة وحدة القوى الإسلامية في هذه الشعوب .

سابعاً – في مجال تعليم الجغرافيا :

يوصي المؤتمر بما يأتي :

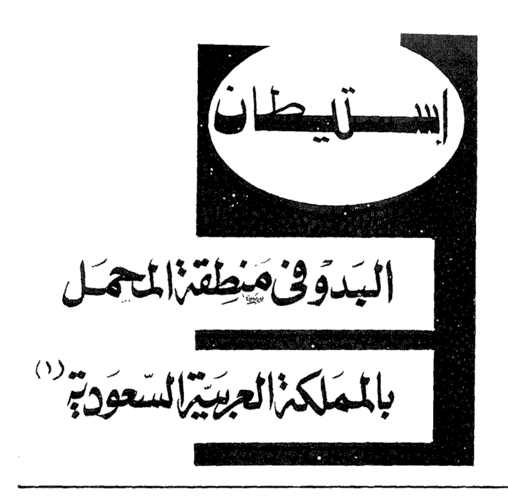
١ – الإفادة من تعليم الحقائق الجغرافية عن طريق المدرس والمنهج والكتاب في تدعيم عقيدة الإيمان بالله ، بحيث تعرض آيات الله المحكمة في الكون على الدارسين بما يوضح دلالتها على الخالق القدير الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، ووضع للكون سننا ونواميس مطردة لاتجد لها تبديلا أو تحويلا ، كما توجه أنظار الدارسين إلى أشارات القرآن المحكمة إلى بعض الحقائق الجغرافية القاطعة مع الحرص على التأكيد بأن نهج القرآن في عرض هذه الحقائق يتلاءم مع عناية الكتاب الكريم في هداية الناس أجمعين ، وتقرير العقيدة الصحيحة في الإيمان بالله . . وهذا يتميز تماماً عن نهج أي كتاب علمي متخصص .

٢ – أن يستهدف تعليم الجغرافيا تقرير الانتماء إلى الأمة الإسلامية وتأكيد وحدتها في نفوس أبناء المسلمين ، ولتحقيق هذا الهدف يوصى المؤتمر بأن تدرّس جغرافية العالم الإسلامي

ضمن خطة الدراسة في مختلف مراحل التعليم مع الحرص على إعطاء قضايا البلدان الإسلامية وفي مقدمتها قضية فلسطين نصيبها في مقررات الدراسة الجغرافية بما يؤكد الحفاظ على شخصيتها الأصلية إزاء المحاولات الدائبة لطمسها وأن يراعى ذلك في المصورات التعليمية رسماً وتسمية بحيث تحظر الدول الإسلامية تداول الخرائط المخالفة .



وهكذا وكما تعودنا من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تتتابع مسيرة اللقاءات العلمية المباركة بإذن الله وفي رحابها مؤكدة أن هذا المؤتمر– وكما عبر عن ذلك معالي مدير الجامعة – إنجاز له قيمته وأثره إن شاء الله في مجال تحقيق الجامعة لرسالتها .



د. أحمد عبد الرحمن الشامخ
رئيس قسم الجغرافيا بجامعة الرياض

تحاول هذه الدراسة أن تلقي بعض الضوء على استيطان البدو في منطقة المحمل التي تقع في وسط المملكة العربية السعودية وعلى بعد ١٥٠ كيلومتراً شمال مدينة الرياض . وقد جاء هذا البحث نتيجة لعمل ميداني تم في منطقة المحمل في عامي ١٩٧٨م و ١٩٧٩م . ولقد قام الباحث بتقصي أحوال « الهجر » وذلك بواسطة الأسئلة الموجهة إلى أمرائها وشيوخها . كما حصل على معلومات إضافية عن طريق الملاحظات الميدانية المباشرة .

---

(١) هذه خلاصة بالعربية للبحث والأصل منشور ضمن القسم الأنجليزي بنفس العدد .

تكرن الاستقرار البشري في منطقة المحمل من مجموعة من القرى « التقليدية » التي شكلت جميع مظاهر السكن في المنطقة منذ مئات السنين . ومن أقدم تلك القرى ثادق عاصمة الاقليم والبير والرغبه . ونشأت بجوار هذه القرى القديمة مستوطنات بدوية جديدة خلال القرن العشرين . وقد تأسست أول هجرة في عام ١٩١٥م أما آخر هجرة من هذا النوع فقد أنشئت عام ١٩٢٩م . وأسمينا هذا النوع من الهجر « الهجر القديمة » وهي عبارة عن « مستوطنات بدوية شجعت الحكومة قيامها في الريف » . وقد نشأ خمس من هذه الهجر القديمة في منطقة المحمل . وتأسس هناك بعد ذلك هجرتان في عامي ١٩٥٨م و ١٩٧٣م . وهي من « الهجر الحديثة » والتي كانت عبارة عن « مستوطنات بدوية تلقائية نشأت في الريف . ولم نجد في المحمل ذلك النوع من مستوطنات « الحلل » التي توجد عادة حول المدن لأن هذه المنطقة لا تحتوي على مدن كبيرة .

ونتيجة للبحث الميداني اتضح أن استيطان البدو في منطقة المحمل ينطبق إلى حد كبير على أنموذج الاستيطان في الأقاليم الأخرى في المملكة العربية السعودية من حيث عملية الاستيطان واختيار المكان وامتلاكه وكذلك التشابه القوي في بنية (تركيب) الهجر ووظائفها . ومع ذلك فقد وجدنا بعض الفروق بين استيطان البدو في المحمل واستيطانهم في المناطق الأخرى . ويعزى ذلك إلى الطبيعة الذاتية للهجر المختلفة وإلى ما تتصف به منطقة المحمل من سمات خاصة من حيث موقعها ومواردها الطبيعية .

ولا تخلو مستوطنات البادية في المحمل من بعض المشكلات . فبعض هذه الهجر لا تصلح مواقعها للزراعة أو النمو الاقتصادي . وقد تم اختيار هذه المواقع لأنها كانت آباراً قديمة للبادية أو لأنها كانت

حولها مراعي للأغنام والابل . ولكن أخطر المشكلات التي تهدد تلك الهجر هي نقص المياه سواء كانت للشرب أو الزراعة . فكثير من الهجر ينقصها المـــاء العذب مما يضطر السكان إلى جلب المياه من القرى الأخرى . ويتوفر في هذه الهجر قليل من الخدمات العامة مثل المدارس والكهرباء ولكنها تعتمد في شؤونها الأخرى على مدينة الرياض التي ترتبط بها بطريقين معبدين .

وقد ازداد عدد سكان منطقة المحمل وعدد مستوطناتها بحوالي الربع وذلك نتيجة لاستيطان البادية فيها . وكما هو معروف فإن البداوه في المملكة وفي غيرها من الدول في تناقص دائم . وسيستمر ذلك النقصان في المستقبل . وبالرغم من ازدياد نزوح سكان الريف إلى المدن فإن عدد سكان الهجر في هذه المنطقة ثابت أو في نمـــو دائم لأن أبناء البادية يفدون إليها باستمرار للاستيطان فيها .

الجغرافيا النباتية

للمملكة العربية السعودية

للدكتور سيد فرج خليفة
أستاذ علم تصنيف النبات المشارك
مركز العلوم والرياضيات بالرياض

مقدمـــة :

علم الجغرافية النباتية هو ذلك الفرع من العلوم الذي يعني بدراسة أصل العلاقات بين نباتات الماضي والحاضر ، وتعود دراسة هذه العلاقات إلى التنقيب وإلى شرح توزيع النباتات في العالم . ولا يمت علم النبات الجغرافي بصلة إلى النباتيين فحسب وإنما يرتبط به أيضاً علماء الحيوان وعلم طبقات الأرض .

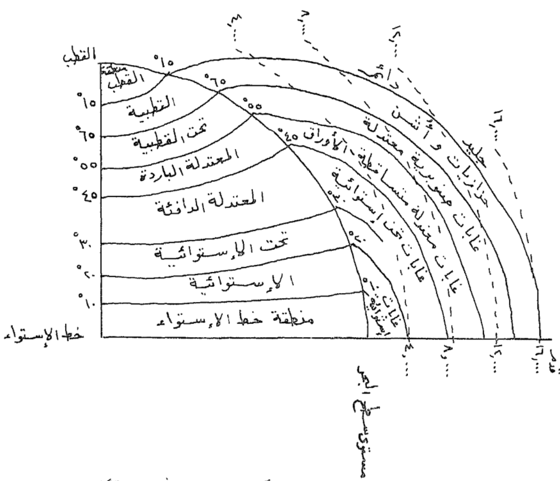
ويمكننا أن نصف الكساء الخضري الطبيعي لأي جزء من هذا العالم على أنه أحد أنواع ثلاثة أساسية وهي : الغابات أو الحشائش أو الصحاري ، وهناك بالطبع عدة أنواع تقع تحت كل قسم من الأقسام السابقة . كما أن هناك مناطق تكون وسطا في طبيعتها بين نوعين أو أكثر من الأنواع السابقة . ويمكننا أن نقول بوجه عام إن الأشجار هي الأنواع الرئيسية من النباتات الموجودة في الغابات ، بينما تميز النجيليات كساء الحشائش ، أما الصحاري فإنها تعتبر تلك المناطق التي تكون فيها حياة النبات أو النبت محدوداً . وتحتوي الغابات على طاقات مادية لا بأس بها ، ولكنها تزال في أغلب البلدان المتحضرة حيث يمكن استغلال مساحاتها كمناطق سكنية أو صناعية أو يمكن زراعة هذه المناطق بمحاصيل اقتصادية منتظمة تغطي حاجة السكان . وتعتبر مناطق الحشائش أكثر تناسباً مع حاجة الإنسان فهي يمكن أن تمده بالمناطق السكنية أو الصناعية أو الزراعية كما يمكن استغلالها كمناطق مثالية للرعي ؛ وتعتبر هذه المناطق أيضاً أكثر ملائمة — من حيث المناخ — لمعيشة الإنسان . والصحاري هي أقل المناطق نفعاً من حيث استغلالها مسكنيا أو صناعياً لظروفها المناخية الغير ملائمة للإنسان كما أنها للسبب ذاته لا يمكن الاعتداد عليها كمناطق زراعية — غير أن هذه الصحاري تشكل في بعض الأحوال مصادر هامة من مصادر الثروة عندما تكون غنية بالزيوت الطبيعية أو المعادن .

وتعتبر العوامل المناخية هي الأسس التي تتحكم في تنظيم توزيع الأنواع المختلفة النباتية ومن ثم فإن الصحاري توجد حينما تكون الأحوال المناخية متطرفة في الحرارة والبرودة ، وحيث تكون الرطوبة منعدمة تقريباً على الأقل في فصول بذاتها . أما الغابات فإنها توجد حيث يكون هطول

الأمطار ونسبة الرطوبة مرتفعين . وتوجد الحشائش في المناطق التي تتميز بالمناخ المعتدل نسبياً حيث تكون كمية الأمطار كافية وليست زائدة وتكون درجة الحرارة معتدلة .

أهمية الجغرافية النباتية :

يمثل التوزيع الجغرافي للنباتات ناحية اقتصادية هامة للإنسان . ومثال ذلك ما يمكن استنباطه من توزيع نباتات الغلال التي تشكل الجانب الأساسي من غذاء الإنسان . حيث اتضح أن المناطق التي تميزت على مر



رسم تخطيطي يوضح توزيع الكساء الخضري في العالم تبعًا لخطوط العرض والارتفاع (بتصرف عن هيربرتسون في كتابة الفسيوغرافيا)

العصور بوجود حضارات متقدمة كانت ذات المناطق الملائمة لنمو نباتات الغلال ، وإذا نظرنا لهذه النباتات من حيث أهميتها للإنسان فإنه يمكن ترتيبها على النحو التالي :

القمح ـ الشعير ـ الحنطة ـ الشوفان ـ الأرز ـ الذرة .

وباختصار فإن الأنواع الأربعة الأولى تعتبر محاصيل مناطق معتدلة والاثنين الآخرين من نباتات المناطق الاسنوائية . وهذا يوضح أن هذه المناطق هي المواطن الأصلية لهذه المحاصيل . وقد بينت الدراسات التي أجريت في هذا الصدد أن الموطن الأصلي للقمح ربما ينتمي إلى منطقة ما في غرب أو وسط آسيا . والشعير والشوفان في مناطق شمالية من آسيا وموطن الحنطة في أجزاء أقصى شمالا . أما الأرز فموطنه المناطق الاستوائية من شرق آسيا ويعتقد أن الذرة تعتبر من محاصيل العالم الجديد حيث يكون موطنها منطقة ما من أواسط أمريكا .

ومن هذا يتضح أن علم الجغرافية النباتية يرتبط ارتباطا وثيقاً بحضارة الإنسان . وهذا العلم لايلقي الضوء على بعض الأسئلة الحالية المتعقلة بشئون الإنسان فحسب وإنما يجيب أيضاً على بعض الأسئلة الخاصة بهذا الموضوع في الأزمنة الماضية .

ويعتبر علم الجغرافية النباتية في ارتباط كبير بعلم البيئة النباتية والأخير يعني بالطريقة التي تتفاعل بها النباتات المختلفة في معيشتها ولظروف وأحوال المناطق التي تعيش فيها .

وبتعبير آخر فإن علم الجغرافية النباتية يرتبط بالعلاقات البيئية للنباتات وهي ناحية فسيولوجية ، كما يرتبط بتوزيع العوامل الخارجية وهي ناحية جغرافية .

تقسيم الأرض إلى مناطق جغرافية نباتية

تقسم الأرض بوجه عام من حيث المناطق الجغرافية النباتية إلى ثلاث مناطق تبعاً لخطوط العرض وهي : القطبية والمعتدلة والاستوائية . وقد قام العالم هانس سنة ١٩٢٠م (Hansen, 1920) بوضع تقسيم أكثر دقة من الناحية العلمية وهي :

١ ـ منطقة خط الاستواء وهي التي تقع بين صفر ـ ١٥ درجة درجة على جانبي خط الاستواء .

٢ ـ المنطقة الاستوائية وهي التي تقع بين ١٥ ـ ٢٣,٥ درجة على جانبي خط الاستواء .

٣ ـ المنطقة تحت الاستوائية وهي التي تقع بين ٢٣,٥ ـ ٣٤ درجة على جانبي خط الاستواء .

٤ ـ المنطقة المعتدلة الدافئة وهي التي تقع بين ٣٤ ـ ٤٥ درجة على جانبي خط الاستواء .

٥ ـ المنطقة المعتدلة الباردة وهي التي تقع بين ٤٥ ـ ٥٨ درجة على جانبي خط الاستواء .

٦ ـ المنطقة تحت القطبية وهي تقع بين ٥٨ ـ ٦٦.٦ درجة على جانبي خط الاستواء .

٧ ـ المنطقة القطبية وهي التي تقع بين ٦٦,٦ ـ ٧٢ درجة على جانبي خط الاستواء .

٨ ـ منطقة القطبين وهي التي تقع بين ٧٢ ـ ٩٠ درجة على جانبي خط الاستواء .

وعلى أي حال فقد وجد أن التقسيم الذي يعتمد على خطوط العرض لا يتفق تماماً مع توزيع النباتات في هذا العالم حيث أن هذا التقسيم لم يأخذ في الاعتبار عامل الارتفاع عن سطح البحر وهذا العامل يؤثر كثيراً على توزيع النباتات فكلما ارتفعنا إلى أعلى كلما تغيرت أنواع النباتات نتيجة لاختلاف الظروف المناخية . وإذا كان هذا الارتفاع كبيراً بقدر كاف فإنه يمكن أن تكون الظروف مماثلة تماماً للظروف القطبية حتى وإن كان هذا المكان المرتفع يقع على خط الاستواء . ومن الأمثلة الواضحة لذلك ما يمكن ملاحظته على الجبال الشاهقة التي تقع في المناطق الاستوائية حيث تنمو النباتات الاستوائية الحقيقية (نخيل البلح ـ الموز) على السفوح وحتى ارتفاع ٦٠٠م . وفي المناطق العليا تنمو النباتات المميزة للمناطق تحت الاستوائية وعلى ذلك عند ارتفاعات أعلى نباتات المناطق المعتدلة الدافئة التي تتمثل بالأشجار دائمة الخضرة . ويلي ذلك إلى أعلى منطقة أشجار متساقطة الأوراق وهي منطقة مماثلة للمناطق المعتدلة . وبعد ذلك تظهر منطقة أشجار مخروطية ثم منطقة الأشجار الألبية وأخيراً منطقة من الأعشاب الألبية التي تمثل المناطق القطبية وفوق ذلك تظهر منطقة جرداء مغطاة بالجليد تمثل منطقة القطب .

وهناك اعتراض آخر على تقسيم العالم إلى مناطق جغرافية نباتية تبعاً لخطوط العرض نشأ عن إغفال هذا التقسيم للتيارات الدافئة للخلجان . فمثل هذه التيارات جعلت فلورا الجزر البريطانية مماثلة إلى حد بعيد لفلورا المناطق الجنوبية الدافئة .

تقسيم رونالدجود (Ronald Good) :

يعتبر التقسيم الذي وضعه العالم رونالد جود عام ١٩٤٧م للمناطق الجغرافية النباتية في العالم هو أكثر أنواع التقسيم المتداولة حيث استطاع أن يتغلب على الكثير من الاعتراضات التي كانت تواجه التقسيمات القديمة .

وتبعاً لتقسيم رونالدجود توجد في العالم ست ممالك جغرافية نباتية (Phytogeographical Kingdoms) تنقسم بدورها إلى سبع وثلاثين مديرية نباتية محدودة المعالم على خريطة العالم (Phytogeographical provinces) . وهذه المديريات النباتية من الممكن أن تنقسم إلى عدد من المناطق الجغرافية النباتية (Phytogeographical regions) .

الكساء الخضري للمملكة العربية السعودية كجزء من الكساء الخضري للعالم :

إذا ألقينا نظرة على خريطة العالم التي تشتمل على المناطق الجغرافية النباتية المختلفة فأننا نلاحظ أن شبه الجزيرة العربية تقع في نطاق المديرية التاسعة من تقسيم رونالدجود باستثناء اليمن وما يجاور باب المندب من الجنوب الغربي . والمديرية النباتية التاسعة المذكورة آنفا هي ما يشير إليها رونالدجود باسم منطقة صحراء شمال أفريقيا والهند (North African Indian Desert) وقد قام بتقسيمها إلى تحت مديريتين كما يلي :

تحت المديرية ٩ (ا) الصحاري العربية (Sahara Arabia) : وتشمل الصحراء الكبرى وشبه الجزيرة العربية فيما عدا اليمن وما يجاور باب المندب من الجنوب الغربي .



مناطق الجغرافيا النباتية بالمملكة العربية السعودية

تحت المديرية ٩ (ب) وتشتمل على ميزوبوتاميا ـ جنوب إيران ـ غرب باكستان .

أما اليمن وما يجاور باب المندب من الجنوب العربي فتتبع المديرية

الحادية عشرة في تقسيم رونالدجود والتي أسماها منطقة مرتفعات شمال شرقي أفريقيا وأراضي الاستبس (North-East African high land and Steppe Region).

وتتميز المديرية التاسعة – والتي تتضمن المملكة العربية السعودية – بكمياتها المحدودة من الأمطار التي تكون غالباً أقل من عشرين بوصة سنوياً . بينما تتميز المديرية الحادية عشرة – والتي تتضمن اليمن وما يجاور باب المندب من الجنوب الغربي – بمعدلها الأعلى من الأمطار الذي يتراوح عادة من ٢٠ إلى ٦٠ بوصة سنوياً .

المناطق الجغرافية النباتية للمملكة العربية السعودية :

تنقسم المملكة العربية السعودية بدورها إلى المناطق الجغرافية النباتية التالية :

١ – منطقة جبال الحجاز :

وتشتمل على :

(أ) شمال جبال الحجاز :

تمتد هذه المنطقة من الجزء الغربي للمملكة العربية السعودية وهو الجزء الممتد على طول ساحل البحر الأحمر ابتداء من خط عرض جدة شمالا حتى حدود الأردن

(ب) جنوب جبال الحجاز :

ويمثلها الجزء الجنوبي المنطقة الغربية وهو الذي يمتد على طول ساحل البحر الأحمر ابتداء من خط عرض جدة جنوباً حتى حدود اليمن .

٢ ــ المنطقة الشمالية :

وهذه المنطقة تشمل مناطق تبوك ــ الجوف ــ سكاكة .

٣ ــ منطقة النفود :

وتتضمن صحراء النفود العظمى ومنطقتي الدهناء والقصيم .

٤ ــ المنطقة الوسطى (نجد) :

وتنقسم بدورها إلى :

(أ) نجد الغربية .

(ب) نجد الشرقية .

٥ ــ المنطقة الشرقية :

وتشمل المساحة المحصورة بين صحراء الدهناء والخليج العربي .

٦ ــ منطقة الربع الخالي :

وتمثل معظم الأجزاء الجنوبية والشرقية للمملكة العربية السعودية

٧ ــ المنطقة الجنوبية :

وهي التي تقع بين شرق جنوب الحجاز وتمتد إلى جنوب نجد وشمال اليمن وتشتمل على مناطق أبها وبيشة ونجران .

خاتمـــة :

إن كل منطقة من المناطق الجغرافية النباتية المذكورة آنفا لها كثير من المميزات المناخية والتربية وتختلف فيما بينها في كل من هذه العوامل المتباينة . وتبعاً لذلك فإن الفلورا الخاصة بكل منطقة قد تختلف كثيراً أو قليلاً عن فلورا المناطق الاخرى .

وسوف نحاول بإذن الله ــ التعرض للعوامل البيئية وأشكال الحياة النباتية وفلورا كل منطقة من المناطق . وسوف نتناولها بالشرح والتفصيل في موضوع قادم إن شاء الله .

المراجـــع

* ماكليان واقمبرى كوك (١٩٥٠)
مرجع في علم النبات النظري . لونجمان ــ لندن .

* رونالدجود (١٩٧٤)
الجغرافية النباتية للنباتات الزهرية ــ الطبعة الرابعة ــ لونجمان لندن .

* هنسن (١٩٢٠) :
الجغرافية النباتية للنباتات الزهرية ــ ليبزج .

* مجاهد وحمودة (١٩٧٤) :
فلورا المملكة العربية السعودية . مطبوعات جامعة الرياض .



جغرافية المملكة العرب

لايعزب عن بال كل متعلم في الجزيرة العربية مدى الإهمال الذي يلف معظم أقاليمها . . والإبهام الذي يضرب أطنابه على تاريخها وآثارها وثقافتها من شعر وأساطير وقصص وأمثال وأناشيد وغيرها من الضروب « الفلكلورية » المنطوقة وغير المنطوقة ، وتطور لهجاتها ، وقدر صلة تلك اللهجات باللغة العربية الفصحى .

السعودية "مدينة بريدة"

للدكتور محمد السليمان السديس
أستاذ مساعد – جامعة الملك عبد العزيز
مكة المكرمة

إن المواطن يتطلع برغبة وشغف شديدين إلى معرفة الكثير عن كل مدينة وبلدة في هذه الجزيرة . . وتحدوه أشواق لمعرفة تاريخها . . من أول من بناها وكيف ؟ وما اسمها القديم ؟ وما سبب تسميتها ؟؟ وما مدى وثاقة صلتها بالتاريخ العربي والإسلامي ؟ وماذا خلّفت لنا أجيالها المتتالية من ثمرات تجاربها من ثقافة أو أدب أو فن أو علم أو عبرة تاريخية ؟

إن الحظ قد يُنْجِدُ هذا الباحث المتسائل فيَجمَعُه بمن يعرّفه على بعض ما جهل ، ولكن في أغلب الأحيان تبقى علامات الاستفهام عالقةً بذهنه لا تحظى بجواب .

ولو كان الغموض منحصراً فيما عفّاه الزمن ومحت ذكراه البيض والسود ، وأوغل في أعماق الزمن لما كان للاستغراب مكان ، ولقنع المرء بما يتيسر له الوصول إليه ، وما يمكن انتشاله من براثن الدهر ومتون صفحات كتب التراث ، لكنّ ما يشدَهُ له الانسان ويأسى له معاً أن أحوالا وشئوناً حديثة الوقوع وذات مساس وثيق بمدن وأقاليم الجزيرة طواها النسيان أو كاده لقلة التفات الناس إليها وإيفاء ما هي قمينة به من اهتمام وما يليق بها من عناية .

على أن تباشير الفجر بدأت تلوح للعيان ، فصرف بعض الأدباء اهتمامهم إلى هذا الجانب وبدأت أقسام الجغرافيا في جامعاتنا تعي واجبها نحوه . . واختار بعض الباحثين مناطق معينة جعلوها مواضيع لبحوثهم العلمية في الجامعات أو ألفوا عنها كتبا وكتبوا بحوثا ومقالات .

وما كانت منطقة القصيم بِدعاً من الأقاليم المذكورة فإن ما قلناه ينطبق عليها تماماً . . إنّ الجهل يقف حائلاً منيعاً بيننا وبين الكثير مما نود معرفته عنها وعن مدنها وقراها وجبالها ، وعلى الرغم مما كتبه عنها

بعض المؤرخين والجغرافيين كابن بشر وابن غنّام وابن عيسى وابن بسام ومقبل الذكير وابن بليهد رحمهم الله وما كتبه ويكتبه الشيخ محمد العبودي الذي ملأ مكانا خالياً واسعاً بكتاباته المحققة المدققة .

وقد أدلى أيضاً الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الشريف بدلوه وألف كتابا عن منطقة عنيزة بعنوان (منطقة عنيزة . . دراسة إقليمية) حوى الكثير من المعلومات النافعة التي جاءت في أوانها .

كما كتب بحثاً ذا عشرين صفحة عن مدينة بريدة (في مجلة الدارة ، العدد الأول ، السنة الخامسة ، ربيع الثاني ١٣٩٩ هـ - مارس ١٩٧٩ م ص ٢٥٢ - ٢٧٢) بعنوان « دراسات في جغرافية المملكة العربية السعودية - مدينة بريدة » ومثلما أن الدكتور الشريف طرق موضوعا بكراً أو شبه بكر لما ألف كتابه عن منطقة عنيزة فإنّه ببحثه هذا أيضاً تناول موضوعاً فتيّاً ، وسلك درباً غير مأثور كثيرا ، فأفاد القاريء وأمتعه ، وأدّى حقّاً عليه هو حق على كل عربي نحو بقعة من هذه الجزيرة الأم التي انطلق منها الأجداد فنشروا الإسلام في أماكن قصيّة . . ووطدوا القدم العربية في بقاع نازحة الغور كان الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان . . وصنعوا لنا أمجادا عظيمة ياليتنا نتخذ منها مشاعل هادية مشعّة نستضيء بنورها ، ولا نكتفي بترديد القول ترديداً أباه مملاً عما صنع أقدمونا فتلهينا صنائعهم عن صنع أي شيء كما ألهت التغلبيين عن المكارم قصيدةُ شاعرِهم ابنِ كلثوم .

استهل الدكتور الشريف بحثه بتعريف موجز لبريدة الحالية ومكانها على الخريطة في المملكة والتركيب الاجتماعي لقاطنيها .

وبعد أن أدخل القاريء إلى الموضوع تقهقر ليحدثه عن تاريخ بريدة منذ العصر الجاهلي ، ثم عن موقعها الجغرافي . . ثم انتقل إلى الحديث عن سكانها والظروف التي ساعدت على ازدياد عددهم ، والتغيير الذي طرأ على شكل المدينة ودُورها وأسواقها ، والتطور الحضاري الذي زحف إليها وبعد ذلك قارن بين بريدة في الماضي وبريدة الحديثة ، ونفذ إلى أهم ميدان تتميز به بريدة خاصة والقصيم عامة ، أعني الزراعة والثروة المائية فروى قصة اكتشاف مياه بريدة الباطنية العميقة عام ١٩٥٤م ، وأشار إلى عمليات الحفر التي تتابعت منذ ذلك الحين وضياع كميات من المياه سدى لعدم استيعابها مما خلق مشكلة تملّح التربة . ثم تحدث عن وضع بريدة الإداري وتجاوز ذلك إلى الحديث عن عنيزة !

ولم يغفل الكاتب عن الإلمام ولو سريعاً بالتعليم ولكنه قصر اهتمامه على التعليم الحكومي ولم يعِر الكتاتيب التي كان يزخر بها الجامع الكبير في بريدة في الماضي القريب ما تستحقه من التفات .. مع أن بمقدرة أي مهتم بالتعليم الرسمي العثور على كل ما يريده من معلومات بأيسر السبل . . أما الذي يتطلع إليه المرء بشغف فهو النمط القديم من التعليم في الجوامع والمساجد وطرقه ومجالات اهتماماته وأماكن انعقاد الكتاتيب ، وأسماء العلماء الذين كانوا يقومون بالتدريس ، وبعض أسماء الطلبة الذين تعلموا بتلك الطريقة وما آل بهم الأمر فيما بعد !

ثم وجه الأستاذ الدكتور الشريف اهتمامه إلى المواصلات التي تربط بريدة بما حولها بل وبالمناطق النائية عنها ، من برية وجوية . . ومرة أخرى وجد الباحث الطريق ميسّرا جداً فسلكه . . إنّ أيّ فلاح في القصيم وكثيرين من البدو خارجه لا يجدون — صعوبة تذكر في معرفة الطرق التي تربط بريدة والقصيم حالياً بالمناطق الأخرى . إن ما تجهله الغالبية وتعلمه قلة قليلة

هو المسالك التي كان ينتهجها الجَمّالون من (العقيلات) وغيرهم دالفين إلى بريدة تحمل قوافلهم الأقمشة والملابس والقهوة والتوابل من العراق والشام وخارجين منها بالقمح والتمور . . إن الكتابة عن تلك المسالك غير ميسرة . . والمصادر نزرة . . والاطلاع عليها دونه خرط القتاد . . لكن القارىء يجد فيها ضالته ، أما غيرها فما عليه إلا أن يذهب إلى المنطقة ويستفسر عما يريد تعليما كان أو صحة أو مواصلات من الدائرة الحكومية ذات الشأن .

وقبل أن يختم الدكتور عبد الرحمن الشريف بحثه يشير إلى ما سماه تسمية موفقة « بعض الإرهاصات الصناعية » ويخص بالذكر « مشاريع الراشد » و « مشروع الألبان للمشيقح » . . . وما قلناه عن موضوع المواصلات ينطبق بحذافيره على هذا .

ومع ذلك ففي البحث تسجيل نافع لأحوال بريدة الحديثة يستمتع بها المهتم بالمنطقة وبهذا النوع من الدراسة ، ولاشك أن جدوى هذا البحث وأمثاله تزداد مع مرور الزمان وتقادم العهد على المعلومات التي يحتويها .

وبعد هذا الحديث العام نقف مع الأستاذ الكاتب وبحثه وقفة أطول قليلا آملين أن لا تكون أكثر إملالا .

أسلوب البحث

يبدو لي أننا لا نجور كثيراً في تقديرنا للبحث إذا وصفنا أسلوبه بأنه غير أدبيّ وأقل جزالة مما ينبغي لبحث في موضوع إنساني ينشر في مجلة علمية أكاديمية . . وكثير من عباراته وجمله قد تكون لائقة إذا تُحدِّث

بها شفهيا في مجلس أو (ديوانية) . لكنها ضعيفة وواهنة لا يقنع بها القاريء المتعلم . . وبعضها مهلهل وفكرته غير جليّة فمثلا في ص ٢٥٦ س ٢٠ و ٢١ يقول الأستاذ الباحث : (وتتصل عبر وادي الرمة جنوباً بعنيزة فوشم العارض فالعارض كما كانت غرباً صعدا في مجرى وادي الرمة بالمدينة وما يليها) فمن (كما كانت) إلى نهاية الجملة المعنى غير واضح . ولعل اللبس يخفّ بإضافة (تتصل) بعد (كما كانت) .

وفي س ١٩ و ٢٠ من الصفحة عينها قال (وتتصل ، أي بريدة ، بحائل وبعدد كبير من قرى المنطقة شمالا بغرب) وأعيد نحو ذلك في ص ٢٦٩ س ١٣ فورد (جنوباً بشرق وجنوبا بغرب) ! صحيح أن المعنى مفهوم لكن العبارتين ركيكتان والأولى تقوية صياغتهما بأن يستبدل بالأولى مثل (وتتصل بحائل وبعدد كبير من قرى المنطقة الواقعة في الشمال الغربي) أو (الواقعة في شمال غربيها) وبالثانية (إلى الجنوب الشرقي والجنوب الغربي) .

وفي ص ٢٥٩ س ٢ و ٣ و ٤ قال الأستاذ الباحث : (. . ومحافظتهم على تقاليدهم الاجتماعية السابقة أكثر من أي مدينة كبيرة أخرى والتي من ضمنها وجود الأسرة . .) .

ألا توافقني أن هذا التركيب غير محكم ؟ وأنه لابد من إعادة بنائه على هذا النحو (ومحافظةُ سكانها – أي بريدة أشدُّ من محافظةِ سكان أي مدينة كبيرة أخرى على تقاليدهم الاجتماعية السابقة والتي من ضمنها وجود الأسرة . . . .) .

وفي ص ٢٦٠ س ١٧ جاء (خلق مشاكل بتلك المدن من طبيعة وحجم

غير معهودين) ليتك استبدلت بهذا أن تقول (خلق مشاكل في تلك المدن ذات طبيعة وحجم غير معهودين) .

وفي ص ٢٥٨ س ٢ ورد (ولا تقلّ ولا بحال من الأحوال) الواو و « لا » بعد (ولا تقلّ) طفيليتان غير مرحب بهما فلو أخْرِجتا لقويت الجملة وصحت .

وفي س ١٤ من الصفحة نفسها ورد (إلى كونها أصبحت) هذا تعبير فيه ثِقَل وركاكة لتتالي فعلين للكينونة . وبديله (إلى أن أصبحت) .

وفي ص ٢٦١ س ٥ و ٦ ورد (هذا بالإضافة إلى جانب وظائف البلدية) . وإيراد عبارتين بمعنى واحد لا مسوِّغ له وعيبه أبين من أن يتطلب أي تعليق .

وأعيدَ ذكر لفظ (العامّ) في الأسطر ٥ و ٦ و ٧ من الصفحة نفسها بصيغة المذكر في س ٥ وبصيغة المؤنث في س ٦ و ٧ .

وفي ص ٢٥٥ جاءت (ماعدا) في س ١٩ و ٢١ .

وليأذن لي الكاتب الكريم أن أذكِّره بما أعرف أنه يعلمه حق العلم وهو أن إعادة اللفظ نفسه في جمل متقاربة من الأمور المعيبة في الكتابة الجيدة .

وفي ص ٢٦٣ س ١١ ورد (وزاد في المنطقة وتَنَوعٌ) . ما الذي زاد ؟ وما الذي تَنَوَّعَ ؟ لعلك تعني الإنتاج الزراعي ! ؟ إذن قل ذلك !

وفي س ١٤ قال الدكتور الشريف (كمختلف أنواع الخضروات والفواكه) الكاف هنا للتمثيل فكان ينبغي ذكر مثال واحد معين أو مثالين

بعينهما كأن تقول (كالبطاطس والعنب) . أما هذا التمثيل المبهم فهو وعدمه سيان إذ تكفي عنه عبارة (المنتجات الزراعية الجديدة) السابقة له مباشرة .

وفي ص ٢٦٤ س ٢١ قال الدكتور الشريف (وهذا يجعل منطقة بريدة وحدها تملك نحو ٢٠٪ من مساحة الأراضي) . . ، خير من هذا أن تقول (وهذا يعني أن ٢٠٪ من مساحة الأراضي يقع في بريدة) لأن استعمال (تملك) في مثل هذا السياق غير جيد وقد كثر استعمالها حديثاً تأثراً بلفظ الملكية في اللغات الأوربية .

وفي ص ٢٥٣ س ٣ ورد (على بعد ٥٠٣ كم شرق شمال شرق المدينة المنورة) ما معنى هذا الكلام ؟ .

وفي ص ٢٦٧ س ١٠ وردت هذه الجملة (وكانت تضم هذه المدارس . . .) ويجب هنا تأخير الفعل المضارع بحيث يقع بعد (المدارس) أو تقديم (هذه المدارس) على (كانت تضم) .

س ٢٠ ورد (مع أقل نسبة من الضرر) وصحته (بأقل نسبة . . .) .

س ٢٧ ورد (وضعت دراسات بتصريف مياه المطر . .) الصحيح (لتصريف مياه المطر . .) .

أمور لغوية ونحوية

جاء في ص ٢٥٣ س ٥ (عرفت بريدة كمورد . .) وفي ص ٢٥٦ س ١٧ (عرفت كمحطة في طريق حجاج العراق) . الكاف تكون لمعان

عدة : التشبيه كما في (أنت كالسراج) أو التعليل كما في قوله تعالى : (واذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون) ، والاستعلاء كما في (كونوا كما أنتم) . والمبادرة كما في (احضرْ كما تعلم) . والتوكيد كما في قوله تعالى (ليس كمثله شيء) .

أما الكاف هنا فهي ترجمة لكلمة (as) في الإنجليزية ويحسن تجنّب استعمالها .

وفي ص ٢٥٥ س ٨ ورد (الاحتلال التّركي المصري عليها) وصحة العبارة (احتلال الأتراك والمصريين إياها) .

س ١٢ ورد (حينما اتّبعتْ للدولة السعودية) صحة الفعل هنا أن يكون بصيغة الثلاثي المجرد فَعِلَ كَفَرِحَ فتكون العبارة (تبعت الدولة السعودية) أو (للدولة السعودية) .

س ٢٤ ورد (الذي اطلعت به) ولعل المراد (اضطلعت به) .

وفي ص ٢٥٦ س ٣ ورد (صعافيك) وصحتها (صعافيق) وتلفظ القاف هنا كلفظ الدال الزاي مجتمعين ساكنتين (دْزْ) على عادة النجديين في لفظهاً بعض القافات .

س ١٨ استعملت كلمة (المزفلته) وكذلك في ص ٢٦٠ س ١١ وفي ص ٢٦٧ س ١٩ وفي ص ٢٦٩ س ١ ، وفي الحالة الأولى وضعت بين قوسين ومن عادة بعض الكتاب عمل ذلك إذا قصدوا استعمال لفظة بذاتها بسبب في نفس الكاتب كأن يريد ذكرها ذاتَها لأدائها مدلولاً لا يعبرّ عنه غيرها ، أو لأن الذاكرة لم تسعفه ببديلة لها . . لكن في الحالات الثلاث

الأخيرة لم تُحَطْ بأي أقواس . . . إن للمرء مندوحة واسعة عنها باستعمال لفظ (المعبدة) الجيد المألوف .

وفي ص ٢٥٧ س ٢٣ و ٢٤ ورد (ويُعتبرَ هذا الرقم كبير جداً) والصواب نصب (كبير) فهي مفعول ثان لـ (يُعتبَر) والمفعول الأول هو اسم الأشارة الذي صار نائباً للفاعل .

وفي ص ٢٦١ س ٤ آثر الباحث الفاضل استعمال لفظة (التليفونات) الأجنبية الأصل والمستعملة في لغة الحديث مع أن لفظة (الهواتف) السائرة الآن تغنينا عنها في لغة الكتابة .

س ٨ استعمل لفظة (الأوتوماتيكية) المجلوب والمتداول في لغة الحديث ، وترك لفظ (الآلية) الأصيل .. وأعاد ذلك في ص ٢٧٠ س١١ .

س ١٨ و ١٩ ورد (بأشجار الأثل المزروعة في الرمال) والأصحّ (المغروسة في الرمال) .

س ٢٤ ورد (١٥٤ موظف) . ونصب (موظف) محتّم ، فهي تمييز .

س ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ ذكرت (ريال) أربع مرات هكذا خطأ ، والصواب (ريالا) فهي منصوبة لأنها تمييز .

وفي ص ٢٦٩ س ١ ورد (ست طرق مزفلتة اثنتان منها محليتان) إلى هنا والجملة صحيحة . لكن ورد بعد ذلك (وأربعة منها تتجاوز حدود أقليم القصيم والصواب (أربع منها) .

والطرق جمع طريق تذكر وتؤنث[1] . . لكن لابد من اختيار أمر واحد والاستمرار عليه في الجملة الواحدة .

س ١٠ من الصفحة نفسها وفي ص ٢٧٠ س ٢ ورد (مليدة) وصحتها (مليدا) كما تسمى في التصميم .

س ٧ (من صفحة ٢٧٠) ورد (مشترك) وصحتها (مشتركاً) فهي تمييز .

أخطاء في المفردات : نذكر منها فيما يلي عشرة فقط :

في ص ٢٥٣ س ١٧ ورد (بن أعسر) وصحته (بن أعصر)[2] .

وفي ص ٢٥٦ س٢٦ ورد (مراكزا) وصحتها إفرادُها .

وفي ص ٢٥٧ س٢ ورد (البكرية) وصحتها (البكيرية) .

س ١٨ ورد (لا تتجاوز عدد سكانها) ولا يخفى أن الفعل هنا واجب التذكير .

س ٢١ ورد (مدينة متوسط الحجم) وصحة العبارة لاتخْفَى .

وفي ص ٢٦٠ س ١٨ ورد (أماكنياتهم) والمراد (إمكانياتهم) .

س ١٧ ورد (طبيعية) والمراد (طبيعة) .

وفي ص ٢٦١ س ٩ ورد (القصم) والمراد (القسم) .

وفي ص ٢٧٠ س ٧ت٨ ورد (بها سبعة خطوط . . . يربط اثنتان منها) ولا يحتاج القاريء إلى لفت نظر إلى موقع الخطأ هنا .

س ٢٤ ورد (تتسع) وصحتها (تسع) .

ومن المؤكد أن بعض هذه الأخطاء مما اقترفته المطبعة ولا يد للباحث فيه ، فلا تثريب بسببها عليه ، و (لا تزر وازرة وزر أخرى) .

وإذا انصرفنا عن هـــذه الجوانب إلى ما هو أهم كثيراً ، أعني المعلومات ومدى دقتها فإنّا نجد كثيراً منها ثمرة بحثٍ جادٍّ وتقصٍّ أمين ، لكنّنا نصادف أيضاً شيئا من عدم الدقة وعدم تمحيص المادة والتثبت منها قبل نشرها ، فقد أرخى الباحث أصابعة لقلمه ليسجل أشياء دون اعتماد على مصادر يبني عليها أحكامه ووصفه . . أو هو لم يكلف نفسه عناء ذكر تلك المصادر للقارىء ، وما في ذلك من عناء . وذكر المصادر أمر لابد منه لا للالتزام بالأمانة العلمية فحسب ولكن ليضفى على بحثه قيمة علمية لا إخاله نالها لوضعه الذي هو عليه الآن . . من ذلك :

(ا) تحريفات في أسماء الرجال :

في ص ٢٥٣ س ٢١ وفي ص ٢٥٥ س ١ و ٣ ورد (الدريني) هكذا بدال وراء فياء فنون ثم ياء النسبة ، وهذا خطأ ، وصحة الاسم (الدريبي) ما قبل ياء النسبة باء موحدة تحتية لاياء[٣] ، وآل الدريبي أسرة بل أسر معروفة في القصيم .

وفي ص ٢٥٥ أيضاً س ٤ ورد (حجلان) و (آل حجلان) هكذا ، وصحتهما بصيغة التصغير : (حجيلان) و (آل حجيلان) كما هو معروف وأنظر إن شئت صحيح الأخبار لابن بليهد ج ١ ط ٢ ص ١٥٤ .

(ب) الدقة العلمية في إيراد المعلومات :

١ – ذكر (وشم العارض) ص ٢٥٦ س ٢٠ ولم يشر إلى المصدر المعتمد عليه في هذه التسمية كما في بعض التسميات الأخرى ، سواء أكان شخصا أو أشخاصا موثوقا بهم ، أو مصدراً مكتوبا وبعض الذين قرأوا هذا البحث الممتع مثلي لم يسبق أن طرقت أسماعهم إضافة الوشم إلى العارض . . والشائع المعروف هو تجريده من الإضافة وتعريفه بأل . . فلو ذكرت مصدرك أيها الباحث الكريم لأسكتّنا وأفدتنا في أن واحد . ثم إن كانت التسمية هذه أصيلةً . فإنّ هذا يوحي بأن القصد التمييزُ بين هذا الوشم ووشم آخر ، فما ذلك الوشم ؟

٢ – في ص ٢٦٣ س ٢٣ ورد قول الأستاذ الباحث (وقد وصفت بريدة منذ عهد بعيد في الأدب القديم « بأنها مدينة كثيرة النخيل والبساتين » وكانت حدائق النخيل تحيط بها من معظم جهاتها) .

من الذي وصف بريدة في عهد بعيد في الأدب القديم بكثرة نخيلها وبساتينها ؟ ليتك استشهدت بنص أو نصين من ذلك الوصف لتكسب العبارة وزنا هي بماسّ الحاجة إليه . ثم أي عهد بعيد تعني ؟ وأي أدب قديم ؟ لو مثّلت لزال الإبهام من حديثك .ثم أنك في عبارتك هذه عمدت إلى جملة فوضعتها بين علامات تنصيص مما أوحى بأنها مرويّةٌ نصّاً . . لكن لاأثر لأي إشارة لمصدرها . إن البحث العلميّ الجادّ كبحثك لابد فيه

من نسبة النصوص إلى أصحابها مهما كانت موجزة ، والاعتماد على مصادر معتبرة وذكرها في متن البحث أو في حاشيته . أمّا سرد الأوصاف المبهمة والعبارات التي يعوزها التحديد فمن شأنه أن يُفقد البحثَ نصيباً غير ضئيل من قيمته ، ويحجب عنه الهدف الذي من أجله كتب .

٣ ــ وردَ في ص ٢٦٤ س ١٤ و ١٥ (غير أنه يتهيّأ لنا أنها تضمّ كل منطقة الأسياح ، وبعض المساحات من منطقة الرس كالبكيرية ومن منطقة عنيزة كالمذنب ، ومنطقة النوارة كعيون الجوى).

من قال أن البكيرية مساحة من منطقة الرس ؟ وأنّ النوّارة من منطقة عيون الجوا ؟ هذا يا دكتور عبد الرحمن إطلاق للقول دون تثبّت منه . إنّ المصدر الذي تشير إليه هنا هو مقال لك أنت في مجلة الخفجي ؟ وأظنك الخفجي ؟ وأظنك تعذرني إذا زعمت أن ذلك غيرُ كافٍ ! إن الفوّارة ، لا البكيرية ، هي الواقعة قرب الرسّ ، لا قربَ عيون الجوا ، كما قلتَ .

٤ ــ في ص ٢٦٧ س ٢٤ قال الدكتور الشريف : « وقد تم إنشاء الطرق المعبدة في هذه المنطقة خلال الستينات والسبعينات من القرن العشرين فكانت في مواقع الطرق السابقة أو محاذية لها » . اسمح لي يا دكتور عبد الرحمن أن أسألك غيرَ مُلحِف عن مصدر هذه المعلومة ، ومن أين لي ولك بالخبر اليقين عن أنّ الطريق القصيمية الحالية المعبدة « في مواقع الطرق القديمة أو محاذية لها » . ألا توافقني رغم ما قلتَه أن من غير الهيّن معرفة ذلك ما لم تُعِنّا حفريات أثرية أو أدلة مكتوبة أو روايات

شفهية متواترة ؟ . فهل اعتمدتَ على واحدة من هذه الثلاث ؟ ستجيب بالنفي . وعندها أستأذنك بأن أقْسُوَ عليك هذه المرة وأصارحك بأن كلامك هذا مرتجل غير مبنيٍّ على أساسٍ علمي .

وماذا تقصد بعبارة (أو محاذية لها) الموغلة في الإبهام ؟ إن كان القصد التخلص فقد تفي بشيء منه ، وإن كان القصد إيضاح الحقيقة عن وضع الطرق فإنها لا تغني من الحق شيئاً .

٥ ــ ذكر الباحث الفاضل أن بريدة عرفت في صدر الإسلام باسم (عكيرسة) ــ أنظر ص ٢٥٣ س ١٦ ــ وعبارته توحي بأن ياقوتا ذكر ذلك والحق أن الأمر بخلاف ذلك . . والجزء الذي أورده الأستاذ الباحث من تعريف ياقوت بعد ذلك لم يرد فيه ذكر لعكيرسة .. وإذا رجعنا إلىالنص كاملا في معجم البلدان فإنّا لا نجد فيه ذكرا لها(٤) .

٦ ــ قال الأستاذ الباحث في ص ٢٥٣ نفسها س ٢١ « إن الذي اكتشف ماء بريدة من جديد هو راشد الدريني . . » وقد بيّنّا أن صحة آخر الاسم الدّرَيبي بالباء . وقد اقتبس الكاتب هذه المعلومة من ابن بليهد كما أشار هو إلى ذلك . لكن الحقيقة أن ابن بليهد لم يذكر الاسم الأول للدريبي فلا نعلم من أين جاء به الكاتب . وسواء أكان هذا صحيحاً أو غير ذلك فمن غير الصواب أن يشير إلى ابن بليهد مع تصرفه بما اقتبس حتى وإن أضاف إليه شيئاً صحيحاً إلا إذا بيّن إضافته .

٧ ــ قال الدكتور الشريف في مقدمة موضوعه ص ٢٥٣ س ٧ وما بعده « ينحدر سكان بريدة من قبائل شتّى اشتهروا في الماضي

بتجارة الإبل ، وقد تطورت تجارتهم فيما بعد فشملت مختلف أنواع السلع قديمها وحديثها . . » .

وهذا القول لاغبار عليه . . . بل هو « **معرفة شائعة** » كما يعبر الإنجليز تعلمها العامة بل والخاصة . ومع ذلك فما أن قرأته حتى أحسست أنه شبيه شبها كبيراً بقوله ابن بليهد « وسكان بريدة ليسوا من قبيلة واحدة ، هم من قبائل شتى ، ولكن كلمتهم مجتمعة ، يتجرون الإبل ، وفي السنين الأخيرة اتجروا في جميع أنواع التجارة . . . »[٥] . ولم يشر الكاتب إلى أنه يستشهد بكلام ابن بليهد . . وأدع المقارنة والاستنتاج للقاريء دون تعليق .

وقبل أن اختم حديثي عن هذا الموضوع أحب أن نتأمل سوياً ما ذكره ياقوت عن بريدة . . إنّا نجده يذكر أم ولد جعدة ابن غنى بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان ، وأن اسمها **ضبينة بنت سعد بن غامد من الأزد**[٦] ، ولنتأمل أكثر (بنت سعد بن غامد من الأزد) ألا يشككنا ذلك في أن المقصود بريدة القصيم ؟ أليس محتملا أن تكون بريدة أخرى في المرتفعات الجنوبية الغربية من الجزيرة والتي شملها قديماً لفظ اليمن حيث غار عليها الأزديون .

الهوامش

(١) أنظر مثلا « مختار الصحاح » لمحمد بن أبي بكر الرازي ، ط١ ، بيروت ،١٩٧٦م ص ٣٩١ .

(٢) أنظر « ياقوت – معجم البلدن » مادة « بريدة » .

(٣) أنظر محمد بن عبد الله بن بليهد ، « صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار » ، ١ ، ط ٢ ، ١٣٩٢ هـ ، ص ١٥٤ .

(٤) هذا هو نص ما جاء في معجم البلدان : « مادة بريدة » « بريدة تصغير بردة : ماء لبني ضبينة وهم ولد جعدة بن غني بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان عبس وسعد أمهما ضبينة بفتح الضاد وكسر الباء ، بنت سعد بن غامد من الأزد ، غلبت عليهم ، ويوم بريدة من أيامهم » ! !

(٥) لمحمد بن عبد الله بن بليهد ، « صحيح الأخبار » ، ١ ، ص ١٥٥

(٦) ياقوت « معجم البلدان » ، مادة « بريدة » .



قبل أن نشرع في الإشادة بمجهودات الجغرافيين المسلمين في رسم الخرائط وتوضيح أعمالهم الرائدة أستسمح حضراتكم ، في كلمة تمهيدية ، أتطفل بها على علمكم الواسع ، في استعراض بعض أدوار تطور علم الجغرافيا لدى الأمم السالفة ، فإن العلوم هي جهود مشتركة ، أسهمت فيها الأمم النابهة ، ذات المدنية والحضارة ، والرقي الفكري ، ومنهم — إن لم تكن أمهم — الأمة الإسلامية ، وجهود الجغرافيين المسلمين في رسم الخرائط الإقليمية والعالمية ، أشهر من أن تحتاج إلى إشادة ،

مسلمون في رسم الخرائط

للأستاذ محمد بن أحمد العقيلي

فقد أنجبت الأمة الإسلامية شخصيات أضاءت دنيا العلم ، وآفاق الفكر ، وأنارت بمجهوداتها الخيرة مجاهل الأرض ، وآفاق الكون .

أنجبت رجالا وإن كانوا قد غابوا بأجسادهم ، عن هذه الدنيا الفانية ، فإنهم ما برحوا مادة إلهام ، ومثار إيحاء لدنيا العلم ، وإرثا غنيا لأمتهم ، فهم معين من الخير ، وفيض من التراث الإنساني الخالد .

إن الإسلام قدم للبشرية — بعد الهداية للدين القويم — ضياء خالداً من العلوم التي شاركت في التقدم الحضاري والرقي الإنساني ، وتنوير الإنسان بما يقله ويحيط به في هذا الكوكب الأرضي .

إن الأعمال تختلف من حيث المنفعة ، والرؤيا الصحيحة ، والإبداع المبتكر ، وإسعاد البشر وعمارة الكون ، والتقدم الحضاري .

فالأمم تعتد بمن أنجبت ، من قادة ومصلحين ومبتكرين ، ومخترعين وجغرافيين ، ومؤرخين ، وأدباء وشعراء فهم مشاعل أضاءت دنيا الفكر ، وأسهموا في تقدم المعرفة والفنون .

إن الإنسان ينتشر — بقدرة الله — فيمن حوله بتأثير أعماله الخيرة وعلومه النافعة ، وأفكاره النيرة ، منهم من ينتشر على مستوى أمته ، ومنهم من هو على مستوى العالم بأسره ، ومن الأخيرين علماء الجغرافيا المسلمون الذين تأثر بهم الغرب في نهضته الحديثة وغيرهم من علماء المسلمين كابن الهيثم ، وابن سينا ، وابن رشد ، وغيرهم .

إن العلماء المسلمين ومنهم الجغرافيون أعطوا من ذاتهم أكبر نصيب للعلوم ومنها الجغرافيا ، فقد أقبلوا أولاً على الترجمة ، فلما نضجت معارفهم ، قاموا بالدراسة الميدانية والتطبيق العملي ، والتمحيص والتدقيق العلمي .

ثم صنعوا الاصطرلابات العربية ومختلف الآلات الفلكية والأرضية للمسح ومقاسات الارتفاع ، والمزاول ، والساعات والزوايا ، والمساطر ، وغيرها .

وانبرى فريق منهم للرحلات العلمية في البر ، والبحر ، لتطبيق مادرسوه على الطبيعة ، واكتشافات المجاهل وقياسات الدرجات والظل في البلاد ودراسة أحوال الشعوب وعاداتها وتقاليدها ، ودياناتها ، وحيواناتها ونباتاتها ، ومعادنها ، ولم يقفوا عند الجغرافيا الوصفية ، أو الفلكية ، بل تجاوزوها إلى الجغرافيا الطبيعية فقطعوا في سبيل غاياتهم النبيلة ، المفاوز ، وجابوا القفار ، واجتازوا الموانع ، وامتطوا لجج البحار ، وركبوا غوارب الأمواج ، ومخاضات الأنهار ، غير حافلين بالمخاطر ، رغبة في تطبيق ما عرفوه .وتسجيل ما لم يصل إلى علم من سبقهم مسطرين ملاحظاتهم على الأوائل مصححين أغلاط من سبقهم ، ورسم الخرائط على ضوء ذلك . في وقت كان الغرب في دياجر الجهالة وهمجية التوحش ، ولم يبق في أوربا بأسرها شيء من شعاع المعرفة اللهم إلا ما يتناقله رجال الكهنوت خفية .

ليس في طاقتي الإحاطة ، ولا في مقدرتي الشمول بمجهود الجغرافيين المسلمين في رسم الخرائط ، وما حققوه من تقدم في علم الجغرافيا ، وأنا سأشرح بمحاولتي المبسطة التي أسميها محاضرة ، بقدر جهدي القاصر ؛ في هذا المؤتمر الحافل الذي دعت إليه جامعة (الإمام محمد بن سعود) والذي يعد الأول من نوعه في جزيرتنا العربية — على ما أعلم — وتشتمل هذه الكلمة على :

١ — الجغرافيا قبل اليونان .
٢ — اليونان والجغرافيا .
٣ — الرومان والجغرافيا .
٤ — العرب والجغرافيا .
٥ — جهود الجغرافيين المسلمين في رسم الخرائط .

المعلومات الجغرافية قبل اليونان

يظهر – وإن كان لا يوجد الدليل – أن الفينقيين هم أول من وضع أو أسهم ولو بوضع الخطوط الأولى في علم الجغرافيا ، يهتدي إلى ذلك من معرفة رحلاتهم البحرية ، ونشاطهم التجاري .

فالفينيقيون هم من عرفوا بترويضهم للبحار في أسفار موسمية وركوبهم أثباج الأمواج ، ومسحهم الشواطيء جيئة وذهابا ، واقتحموا الصعاب . واتخذوا من البحر الأبيض مجالا حيوياً ، وقبله من الخليج العربي ، والبحر الأحمر ، قبل انتقالهم من الخليج إلى لبنان ، وتسميتهم مدن مهجرهم الجديد بأسماء مدنهم في الخليج ، كما (صور) و (الجبيل) وغيرهما . منذ ما يقارب خمسة وثلاثين قرنا .

كانت مدينة صور عاصمتهم وقاعدة تجارتهم ، يصلون إليها بمحاصيل أقطار العالم ، ومنتوجات الدنيا ومن صور توزع على الأسواق تجاريا ، وتتداول اقتصاديا ، بين الهند وشمال أفريقيا ، وبين بلاد العرب السعيدة موطن البخور والطيوب إلي بلاد اليونان شمالا .

ومن فوائد تلك الرحلات ، ومن نتائج مغامرتهم الجريئة ، وأسفارهم التجارية الناجحة ، استفادوا علميا باختباراتهم وتجاربهم ، واقتصاديا بتبادل المنتوجات وجلب السلع والعروض ، فأصبحوا دهاقين التجارة ، وسادة البحار . فنمت معلوماتهم بخطوط المواصلات البحرية والمسالك العالمية ، وأحوال الأمم – المعروفة – آنذاك – ومعرفة المدن ، والمسافات بين البلدان ، وأنسب الفصول للأسفار ، ومواسم هبوب الرياح واتجاهاتها والاستدلال بمعرفة النجوم وغير ذلك . فأتقنوا فن الملاحة ، مما مكنهم

من معرفة عالم عصرهم ، ودنيا عهدهم ، والسيطرة على التجارة حتّى ، حطمهم الرومان وتفردوا بالسيطرة – كما هو معروف . ولا يبعد أن يكون للبابليين والأشوريين والحيثيين مع ما وصلوا إليه من شأو حضاري بعض المعلومات الجغرافية ، وإن كان شأنها أقل بكثير من المعلومات الفينيقية ، والتي يقال إن بعضها وصل إلى اليونان .

اليونان والجغرافيا

بعد نحو ما يقارب ألف سنة من عهد النبي موسي عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم ، أهل العهد اليوناني ، الذي عاش فيه شاعر اليونان الكبير (هومير) الذي نظم معلوماته الجغرافية في ملحمته المشهورة (الإلياذة) .

ظل اليونان على تلك المعلومات الضحلة ، حتّى ظهور مؤرخهم هيرودت في سنة ٤٨٤ ق .م وبعد استكمال دراسته قام برحلاته – المعروفة إلى ممالك عصره ، فزار ضمن ما زاره من البلاد (مصر) وسجل معلوماته عن البلاد التي زارها ومنها مصر ، التي أفاد عنها بمعلومات جيدة .

واليونان هم بدورهم – أيضاً – جعلوا من البحر الأبيض نقطة ارتكاز ومجالا حيويا لنشاطهم التجاري والسياسي ، وامتد نشاطهم الملاحي إلى البحر الأحمر لتجارة البخور وغيره .

ومما وصل إليهم بالرواية حتّى عن الفينيقين ، ومن أخبار روادهم الأوائل ، ومما جاء في الإلياذة تكونت معلوماتهم الأولية التي كانت أساساً للدراسة الجغرافيا .

حملة الإسكندر لفتح العالم

في سنة ٣٣٤ ق . م تقدم الإسكندر بحملته المشهورة ، وكان بصحبته رجال من العلماء والمؤرخين والجغرافيين وغيرهم فاشتغل كل منهم في دائرة اختصاصه .

ومن حصيلة جهودهم منذ خروجهم إلى أن وصلوا الهند ، ومن المعلومات التي جمعها المختصون في أساطيله تجمعت حقائق ومعلومات عن البلاد التي شملتها فتوحاته .

وكان لخلفائه وبالأخص البطالسة ، شغف علمي دفعهم إلى العناية بجمع المعلومات للجغرافية عن شواطيء البحر الأحمر والحبشة ، أضيفت إلى معلوماتهم السابقة ومعلومات رجال حملة الاسكندر .

من كل تلك المعلومات المتفرقة قام (اراتستين اليث ناني) المتوفي سنة ١٩٦ ق.م في عصر البطالسة بتأليف كتاب سجل فيه كل ما وصل إلى علمه وعما يروي عن الفينيقيين وعن الرواد الأوائل وما سجله (هيرودت) ، وما جاء عن معلومات علماء حملة الإسكندر وغيرهم .

وجاء بعده الرحالة « استرابون » والجغرافي (بلينيوس) وسجلا ما وصل إلى علم كل منهما . وقد كتب البقاء لكتاب الرحالة (استرابون) إلى هذا التاريخ .

وفي أواسط القرن الثاني ألف بطليموس كتابه الخالد (جغرافيا) أو (الجغرافيا) فحدد المدن وغيرها بالحسابات الفلكية ، والطرق الرياضية ، ورسم الخرائط المتقنة على خطوط الطول والعرض .

الرومان والجغرافيا

من المعروف ما بلغ إليه سلطان روما واتساع إمبراطوريتها ، وما شملته في ثلاث القارات ، وما يتطلب ذلك من معلومات جغرافية ، بمعرفة مناطقها ، ومدنها ، ومسافاتها ، والطرق المؤدية إليها ، وطبيعة كل منطقة وموقعها ، الأمر الذي استدعى من الدولة الاهتمام بالمعلومات الجغرافية ، والتشجيع على جمعها ، والأخذ بيد المؤلفين .

وكان أكثر معلومات الرومان مستقاة من التجارة وقوافلها ، أو مراكبها ، فمعلوماتهم بالطرق التجارية الرئيسية والأكثر أهمية – بالنسبة إليها – تجاريا وحربياً ، والأمم التي حولها ، والشعوب الأكثر ارتباطا ومصالح تجارية بها ، معلومات صحيحة في الغالب .

إن ترامي أقطار الإمبراطورية وتنوعات محاصيلها ، ووفرة إنتاجاتها جعلتها تقرب من الاكتفاء الذاتي ، إلا ما ندر ، لذلك فكانت لا تستورد من الخارج إلا وسائل الترف أو المواد الكمالية ، ومنها العنبر ، الذي كانت له سوق نافقة ، فيجلب إليها من شواطيء البلطيك ، ويرسل إلى مناطق البحر المتوسط ، في طريق تقطع نهر الخدانوب ، ومنه تدور حول مرتفعات الآلب (الشرقية) ، فالبحر الادرياتي . فتوفرت لديها معلومات عن أوربا مستقاة من تجار تلك المادة . ووفرة المال وبذخ أشراف روما يتطلب الحصول على الأحجار الكريمة ، والطيوب ، والعاج ، والبخور ، والمنسوجات الرفيعة ، وهي مواد ومنتوجات مصدرها الهند وعدد من البلاد العربية ، وبعد ذلك الحرير والورق من منتوجات الصين .

وروما تتقاضى رسوما جمركية على كل تلك السلع تعد من مواردها الرئيسية ، وذلك يستدعي حراسة الحدود ، براً وبحراً ، فضلا عما يقتضيه موقفها العالمي كإمبرطورية ، كل ذلك يستوجب سواء في الدوائر الرسمية أم من الباحثين ما يلقي التشجيع ، وإنما مع كل ذلك يغلب عليه الطابع الاقتصادي والسياسي أكثر منه الطابع العلمي .

لما سبق حرصوا على معرفة طريق الهند عبر المحيط الأطلنتي ، متحاشين بقدر المستطاع الابتعاد عن الساحل خشية القراصنة ، وقد يقول قائل — إن طريق المحيط إلى الهند لم يكتشفها إلا (فاسكودى جاما) ، سنة ١٤٩٨م بإرشاد الربان العربي ابن ماجد ، فنقول له إن المعارف الجغرافية اليونانية والرومانية ، قد أسدل عليها الجهل الأوربي حجبا كثيفة فتوارت في ظلام النسيان ومهامه الإهمال ، ولم تعد تلك المعارف إلى أوربا ثانية إلا بفضل المسلمين فترجمها الأوربيون من العربية بعد أن أتموا تحصيلهم العلمي في طليطله ، وقرطبة وغيرها .

لقد كان السفر من (عدن) إلى الهند للأساطيل التجارية الرومانية يستغرق مدة ثلاث سنوات ذهاباً وإياباً وشغف أغنياء وأشراف روما بمنتوجات الهند من المنسوجات المفضضة والمذهبة والعطور والأحجار الكريمة واللؤلؤ ، والافاوية — وبالأخص (الفلفل) وما يدره من الأرباح الجزيلة تغري بتحمل تلك المشاق . فظلوا على تلك الحال ، حتى تمكن بحار جريء يسمى (هيبالوس) بذكائه الخارق من اكتشاف موسم هبوب الرياح الموسمية التي تدفع مركبه إلى الهند ، والعكس ، فكان ذلك اكتشافا له أهميته القصوى بالنسبة إلى عصره بحيث اختصر المدة إلى اثنى عشر شهرا ذهاباً وايابا . فازدهرت التجارة بين الهند وروما .

وبذلك استطاع رائد علم الجغرافيا (بطلميوس) في عهد الإمبراطور (هدريان) أن يحصل على معلومات جديدة ومفيدة عن الهند والبلاد التي وراءها .

وأتى بعد ذلك اهتمام الرومان بالتجارة مع الصين عبر آسيا الصغرى وجبال التركستان الذي كان المحتكر الوحيد لإنتاج الحرير من نسيج دودة القــز .

ومن عهد الإمبراطور (يوليوس قيصر) أصبح الحرير مادة الحصول على الأرباح الطائلة والمال الوفير لايدرها أي شيء آخر في أوروبا بأسرها .

فسار الاتجار مع الصين إلى القرن السادس وبعدها تمكن الرومان من إغراء بعض المجازفين بجلب دودة القز إلى القسطنطينية ، وبذلك تمكنوا من تصنيعه ، وهكذا كانت التجارة وسيلة الرومان للمعلومات الجغرافية .

الجغرافيا عند العرب

الشعر بالنسبة إلى العرب أولاً ، والمسلمين ثانياً ، هو المادة الأولى لعلم الجغرافيا أو بالأصح علم تقويم البلدان .

لقد تضمن الشعر الكثير من أسماء الأماكن والمعالم والروضات ، والمنتجعات والمراعي ، والجبال . والأودية والغدران والبلدان وموارد المياه .

كان العربي يسجل مشاعره في شعر رفيع وبيان مشرق ، مهاد طفولته ومراتع صباه ومواضع لهوه ولعبه . ومسارح إنعامه ومواقع غزواتهوميادين

معاركه . في شعر ينبض بالأحساسيس ويشع بدفع العواطف ، ويجيش بأسمى المشاعر .

وفي شعر الأعشى الشاعر الجوال ، الذي كان يجوب أنحاء الجزيرة من مشارف حضرموت ، إلى أقاصي الشام ما يعرفه حضراتكم .

وفي المعلقات السبع ، أو العشر – على رأي البعض – مادة غنية بما يسمى بالجغرافيا الوصفية ، فهذا امرؤ القيس يقول في مستهل معلقته .

قفا نبك من ذكر حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فذكر ثلاثة مواضع وهي (سقط اللوى) – الدخول – حومل) في بيت واحد .

إلى أن يقول :

أصاح ترى برقا أريك وميضه   كلمع اليدين في حبي مكلل

قعدت وأصحابي له بين (ضارج)   وبين (العذيب) بعدما متأمل

على قطن بالشيم أيمن صوبه   وأيسره على (الستار) و (يذبل)

فأضحى يسح الماء حول (كتيفه)   يكب على الأذقاق دوح (الكنهبل)

ومر على (القنان) من نفيانه   فأنزل منه العصم من كل منزل

و (تيماء) لم يترك بها جدع نخلة   ولا أطما إلا مشيدا بجندل

فقد ذكر في ستة الأبيات أسماء (ضارح و (العذيب) وجبال (قطن – الستار – يذبل وموضعي كتيفه – القنان – و (تيماء) .

وهذا (زهير بن أبي سلمى) يقول في معلقته :

تبصر خليلي هــل ترى من ضعائن ... تحملن بالعلياء من فوق « جرثم »

جعلنا القنان عن يمين وحزنـــه ... وكم بالقنان من محــل ومحرم

ووركن بـ (السوبان) ثم جزعنه ... عليهن دل النــاعــم المتنعــم

بكرن بــكورا واستحرن بسحره ... فهن ووادي (الرس) كاليد للفم

وعنترة العبسي يحدد لنا محلة محبوبته (عبلة) ومنتجع قومه فيقول :

وتحل (عبلة) بـ (الجواء) وأهلنا ... بالحزن فـ (الصمان) فـ (المتلثم

وجاء دور الأسواق العربية ، من دومة الجندل – في شمال مملكتنا إلى (عثر) في جنوبها ، إلى أسواق جنوب جزيرتنا العربية ، فاقتضت الرحلات والنشاط التجاري في مواسم معروفة ، من التجار والمتسوقين ، ثم قوافل التجارة بين الشرق والغرب ، وهي تقطع الجزيرة من مواطن البخور والطيوب إلى فارس وأقاصي الشام وآسيا الصغرى ، وفي البحر تجتاز التجارة العربية إلى الحبشة ، وأيضاً إلى الهند ، وكانت بعض القوافل تبلغ إلى ثلاثة الآف جمل .

وكان للحج قدسيته في الجاهلية ، عند العرب ، فيحج إليه من أنحاء الجزيرة ، كل ذلك أسهم في معارف العرب الجغرافية عن جزيرتهم وما حولها .

وجاء الإسلام بنوره الساطع وهديه التمويم ، وفرقانه المبين الذي لا لايأتيه الباطل ، جاء لهداية العالمين ، وقص سبحانه وتعالى أحوال الأمم

الماضية والحضارة البائدة ، والمدن المندثرة والباقية ، مما فيه ذكرى وعبرة وعظة ، فاستنارت البصائر واتسعت المدارك .

وكانت لغزوات النبي صلى الله عليه وسلم ، وسراياه الريادة الأولى لتعرف المسلمين على معلومات جديدة بالنسبة لما سبق ، فمن هجرة إلى الحبشة إلى غزوات في شرق الجزيرة وشمالها ، ثم إلى جنوبها ، وكان لا يطرقها أحد « منهم فضلا عن أن تغزى ، — إلا بدليل أو صحيب » .

وهذا الرسول صلى الله عليه وسلم عندما هاجر إلى المدينة استصحب معه دليلا ، وجاء دور البعوث ، والوفود فسلكت السبل وتسهلت الطرق ، التي كان قل من يسلكها .

وكانت السنة العاشرة للهجرة (عام الوفود) فأقبلت وفود العرب من أرجاء جزيرتهم إلى المدينة من كل صقع وصوب ، معلنة إسلامها ، فاتسعت آفاق المعرفة وترسخت المعارف ، فإن الرحلات على الركاب والخيل مع الحل والترحال تتيح للمسافر المشاهدة والمعاينة .

والخلفاء الراشدون رضي الله عنهم — كما تروى سيرهم — لايبعثون بعثا ، أو يرسلون جيشا إلا بعد أن يسألوا عن الطريق التي سوف يسلكونها والبلاد التي ستغزى[1] .

وجاء دور الفتوح ، في عهد الخليفة الأول ، فاستنفر أبناء الجزيرة العربية ، أقبل مجاهدوها من جميع الأقطار إلى مركز التجمع في عاصمة الإسلام ، فسيرهم صوب العراق والشام ، وهي أقطار كان لايصلها إلا التجار أو الممتاز في أعداد محدودة ، مشتغلين بما وصلوا لأجله ، ليس إلا .

أما هذه الجموع والحشود ، من جيوش المسلمين الذين همهم الأول إعلاء كلمة الله ثم معرفة البلاد التي يفتحونها أولا ويستوطنونها ثانياً ، فيقتضيهم الحال كفاتحين ترسيخ المعرفة بأرضها وجبالها وسهولها ، وأنهارها ووديانها ودروبها ، وبيئتها وطبائع أهلها .

ودخل الناس من أهل البلاد المفتوحة في دين الإسلام ، وأقبلوا لأداء فريضة الحج أو الاتصال بعاصمة الإسلام لشتى الأغراض ، واحتاجت الخلافة لتأمين طرق المواصلات ولإرسال الإمدادات والمؤن واستقبال الخراج واتصالات البريد ، فتجمعت المعلومات الجغرافية من جراء ذلك ، من أخبار الغزاة ، ورواية الأخباريين والقصاص وغيرهم ، ومن علم الأمم التي شملهم الفتح ، فأصبحت معارف المسلمين تتعدى محيط جزيرتهم إلى العراق ، وفارس ، والشام ، ومصر ، فليبيا ، والمغرب ، وما انتهى عهد الخلفاء الراشدين إلا وهناك معلومات جغرافية عن تلك الأقطار التي فتحت في كل من آسيا ، وأفريقيا ، وحصل اختلاطهم بأهل البلاد بالمصاهرة والحلف ، والمحاورة ، والمشاركة ، وهم أمم ذات حضارات وثقافات ومفاهيم وتصورات حضارية ، من فرس ، وروم ، وقبط وسريان ، وبحكم الاختلاط والاحتكاك تفهم العرب ما لديهم ، ومنها المعلومات الجغرافية ، التي هم في أهم الحاجة إليها في تطلعاتهم المستقبلة ، وحاضرهم المتفتح لتطور سير الحياة في الإدارة والقيادة والسياسة والسيادة ، واتصلت بالرواة والإخباريين والقصاص « فرووها بدورهم — مؤخراً — للمؤلفين ، فسجلوها كحقائق بدون تحقيق أو تحري أو تمحيص ، وأضيفت إليها مادة جديدة هي فضائل البلدان ، كفضائل اليمن ، وما أورده ابن عبدالحكم في كتاب (فتوح مصر) .

لم يمض قرن على سطوع شمس الإسلام حتى خفق علمه المظفر على أغلب أقطار آسيا وأفريقيا وقسم من أوربا .

بطبيعة الحال فإن إدارة تلك الإمبراطورية المترامية الأطراف ، الشاسعة المساحة ، المختلفة الأجناس تتطلب المعرفة العلمية ومنها المعلومات الجغرافية ، الوصفية في المرحلة الأولى ، والفلكية في المرحلة اللاحقة .

لقد استولت الفيالق الإسلامية على العراق وما يليه من بلاد فارس ، واجتاحت سوريا سنة ١٦ — ٦٣٨ ، وبلاد ما بين النهرين سنة ٦٤٠ — تقريباً واستولت بعدها على ما تبقى من بلاد فارس . . وأرمينية ، وكردستان ، وأذربيجان وما وراء النهر ، هذا في المشرق .

أما بالنسبة إلى المغرب ، فقد فتحت مصر سنة ٢٠ — ٦٤٣ ، وسارت لفتح ليبيا — بعد ذلك — ولم يتوقف القائد التابعي الجليل عقبة ابن نافع إلا على شواطىء المحيط الأطلسي .

وفي سنة ٥٤ — ٧٦٢ استأنفت الجيوش الإسلامية نشاطها الحربي حتى أشرفت على سور الصين ومن الناحية الأخرى ، اجتاحت مقاطعة السند — بعد ذلك بفترة — على يد القائد البطل محمد بن القاسم الثقفي .

أما في الميدان الغربي فقد تطلعت الجيوش الإسلامية إلى ما وراء البحر الأبيض المتوسط ، فغزا القائد البطل طارق بن زياد الأندلس ، وبعد أن وطد دعائم هذا الفتح العظيم ، تقدمت الفيالق الإسلامية حتى توقفت على نهري الرون والسون ، وشعرت أوربا بما ينتظرها بعد ذلك ، فالتقت تحت قيادة « اشارل مرتل » ودارت معركة بوتيه سنة ١١٩هـ .

ومن الناحية الأخرى تراجعت الجيوش الإسلامية من تحت أسوار القسطنطينية ، فكان من جراء ذلك انحسار المد الإسلامي عن أوربا من الشرق ومن الغرب ، ولو أراد الله سبحانه وتعالى غير ما قدر لكان الآن تسمع أصوات الأذان في أجواء أوربا بأسرها .

إن علم الجغرافيا بدأ لدى اليونان شعراً في إلياذة هوميروس ، كما بدأ لدى العرب أولا ثم لدى المسلمين ثانياً ، بدأ شعراً يزخر بالعواطف ويجيش بالمشاعر ، وفي بعض ما أوردناه من الشعر الجاهلي ما يغني عن الإعادة .

أما في الشعر الإسلامي فهذه نماذج غنية بالجغرافيا الوصفية لا في الجزيرة العربية فقط بل في البلاد التي فتحت : قال كعب بن الأشقر الأزدي :

تلبسوا لقراع الحرب بزتهـــا	فأصبحوا من وراء الجسر قد عبروا
ساروا بألـــوية للمجد قـــدرفعت	وتحتهن ليوث في الوغى وقـــــر
حتى إذا خلفوا (الأهواز) واجتمعوا	بـ (رامهرمز) وافاهم بها الخبر
حتى اجتمعنا بـ (سابور الجنود) قد	شب لنـــا ولهـــم نـــار لها شرر
عبوا جنودهم بالسفح إذ نزلوا	بـ (كازرون) فما عزوا ولا ظفروا
بـ (دشت بارين) يوم الشعب إذ لحقت	أسد بسفك دماء الناس قد زأروا
لما زواهم إلى (كرمان) وانصدعوا	وقد تقاربت الآجال والقـــدر
تأتي علينا حزازات النفوس فمـــا	نبقي عليهم ، ولايبقون إن قدروا

ورغبة في الاختصار ، فإن في شعر (كثير) الذي هو من أغنى الشعر بذكر الأماكن ، وشعر (ذى الرمة) و (الشماخ) و (شبيب بن البرصاء) و (عدى بن الرقاع) و (كعب بن الاشقر) . ما يغنى .

ومن شعر الرجز ، قصيدة أحمد بن عيسى الرداعي وهي من أهم الأراجيز التي وصفت طريق الحج ، والتي عدد فيها المراحل من أقاصي اليمن إلى مكة المكرمة ، ويكفي في الإشادة بهذه الأرجوزة أن جميع الباحثين عن موقع سوق (عكاظ التاريخي) استرشدوا بها ، واستناروا بما ورد فيها إذ يقول :

يا هند لو أبصرت عن عيـــان   قلائصا يوضعن مـــن (جلـــدان)

و « جلدان موضع معروف باسمه إلى هذا التاريخ

إلى أن يقول :

إذا انتحى القوم على الخوص العنق   عن ذات (أصداء) سنامى (الفتق)
العيد هيات العياهيم السحق   وقد طوت (حنطوة) الخرق الآمق
حيث بريد الصخر عن غرب الطرق   أقول للبارق وهنا إذ بـــــرق . .
لو أمض البرق اليماني المـــؤتلق   أبصر (نعمان) إذا شق الأفـــق

★ ★ ★

فقلت لمـــــا ثـــاب لي احتفاظي   والقلب فيـــه شـــبه الشـــواظ
سل الهوى عن قلبك المغتـــاظ   والعيس تطـــوى الأرض بالمظاظ
مشفقة من زاجـــر كظـــــاظ   مسهلة للخبت من (عكـــــاظ)

★ ★ ★

فانجـــردت بالـــرفـــق العصائب   عيديـــة مفعمـــة المناكـــــب

تاركة (قـــران) لـ (المناقب) بحيث خط الميـــل كف الكاتب
و (شربا) في جنح الليل واقب بكل محض حسن الضرائـــب

ويقول الهمداني في شرح ثلاثة الأبيـــات الأخيرة و (قران) و (شرب) مكانان من أرض عكاظ ، وهذه المواضع من الجرداء ـ الصحراء وشرق جميع هذه المواضع جبل (حضن) من المحجة على يوم وكسر ، : ويسير الناس من (قران) وشرب ذات اليسار ، فيصعدون رأس السرة ، وتسمى (المناقب) وينزلون على (قرن) وهو ميقات أهل نجد .

ولأستاذنا الشيخ حمد الجاسر رسالة قيمة تعد أفضل تحقيق كتب عن موقع عكاظ التاريخي وخارطة للموقع وما حوله .

ويجيء — بعد الشعر — كمادة لعلم الجغرافيا الوصفية الرواة والأخباريون والقصاص ، كمصدر ثر لتفسير الشعر .

لقد تغيرت المفاهيم ـ في القرن الثاني وأول القرن الثالث ـ لما طرأ من الحضارة في الإسلام فأصبح مواليد الحواضر ليسوا في مستوى العربي الذي يعيش في البادية ، في رعي أغنامه ، ضاربا في أجواز الفلاة في طلب الكلأ يمارس الغارة والرعي ، على علم وبصيرة بأرضه وما حولها لما تقتضيه ضرورة الانتقال ، والحل والترحال ، وهو على معرفة بمسالكها ودروبها ، وأعلامها ومجاهلها ، وموارد المياه ومواطن الرعي ، فقد يضل الطريق ، أو تعمى عليه السبيل ، فيسترشد بالبيت من الشعر ويستنير بمضمونه ، إلى معرفة ما حوله من جبل شامخ ، أو صحراء منداحة ، أو كثبان منهالة . أو غدير رقراق .

فجاء الرواة الذين ضربوا في أجواز الصحراء ، وطرقوا مضارب العرب ، لطلب رواية الشعر وتلقي الفصحى من أفواه الصرحاء ليقوموا بدور الشرح والتفسير .

ومن أشهر الرواة والأخباريين الذين تجمعت لديهم روافد الرواية والأخبار وقاموا بدور التأليف في مادة تقويم البلدان ـ الجغرافيا الوصفية .

١ ـ أبو سعيد عبد الملك الأصمعي ـ وكتابه من مصادر معجم البلدان لياقوت .

٢ ـ أبو المنذر هشام بن محمد الكلبي ـ صاحب كتاب تقويم البلدان وقد أشار إليه ياقوت .

٣ ـ أبو عبيد السكوني .

٤ ـ أبو محمد الحسن بن أحمد صاحب كتاب جزيرة العرب .

٥ ـ أبو الأشعث الكندي صاحب رسالة جبال تهامة .

٦ ـ أبو محمد الغندجاني صاحب كتاب مياه العرب .

٧ ـ أبو سعيد السيرافي .

٨ ـ محمد بن إدريس أبي حفصة في كتابه مناهل العرب .

٩ ـ محمد بن موسى الحازمي .

١٠ ـ أبو الفتح الأسكندري .

هذا على سبيل الاختصار ليس إلا .

إن معلومات الأمم تبدأ بالشعر وتليه الرواية ثم يأتي دور تسجيل المعلومات وتدقيقها وتمحيصها ثم التحقيق والتسجيل الأولى ، وأخيراً دور الدراســـة العلمية والتطبيق العملي الذي يليه دور الإبداع والابتكار وهكذا بدأ علم الجغرافيا لدى المسلمين بالشعر فالرواية وتطور بحكم ما يقتضيه التطور إلى علم الجغرافيا الفلكية .

جهود الجغرافيين المسلمين

الجغرافيون المسلمون منحوا العالم أسنى العطاء وأجزل المكاسب العلمية وأفرزت معارفهم ضياء خالداً ، وعلما نافعا ، وخرائط رائدة ، ظلت نحو أربعمائة سنة ، هي القبس المشع ، والنور الهاديء ، والمصدر الثر لعلماء الغرب .

بدأت الترجمة في العهد الأموي — على نطاق محدود وجهود فردية — ورسمت بعض الخرائط الأولية وأن كانت لم تصل إلينا ، وهذا ابن الفقيه الهمذاني يذكر في كتابه (البلدان) ص ٢٨٣ أنه رسمت للحجاج بن يوسف الثقفي خريطة لبلاد الديلم ، ومن البديهي أنه لو لم يسبق إلى علم الحجاج مثل ذلك لما أمر به .

وترجم ابن المقفع المولود سنة ١٠٦هـ أي قبل زوال الدولة الأموية بست وعشرين سنة ، كتاب كليلة ودمنة من لغته الفارسية . كما ترجم من اليونانية كتاب تحليل القياس لأرسطو .

وقامت الدولة العباسية سنة ١٣٢ — ٧٥٠ وبعد موت مؤسسها أبي العباسي السفاح خلفه أخوه أبو جعفر المنصور . الذي أمر برسم خريطة

لقنوات البصرة ، كما أورد ذلك البلاذرى ص ٣٧١ في كتابه فتوح البلدان .

أفلا يكون — وامبراطوريته المترامية الأطراف وهي أهم عليه من قنوات البصرة — قد أمر برسم خريطة أو خرائط لها .

وفي عهده بدأت الترجمة على المستوى الرسمي ، فقد بعث رسله إلى الهند وفارس والروم ، في طلب الحصول على كتب علوم الأوائل ، فوصله كتاب (السند هند) فأمر رائد علم الهيئة والجغرافيا في عهده محمد ابن إبراهيم الفزاري بنقله إلى العربية .

ولم يقف نشاط الفزاري عند الترجمة ، بل ألف كتابا في الفلك استنار به العرب ، وقد يكون هو أول كتاب في الفلك بالعربية لمؤلف مسلم

ولم نجد فيما لدينا من المصادر تاريخ مولده ، وإنما نستنتج من تاريخ ابتداء قيامه بترجمة الكتاب المذكور في سنة ١٥٦ — ٧٧١ أنه قام به وهو في كمال نضوجه العلمي — أي في سن ٤٥ سنة ، — فإذا صدق استنتاجنا ، فيكون مولده سنة إحدى عشرة ومائة ، في العهـــد الأموي فأظله العهد العباسي وعمره واحد وعشرون عاما أي أنه ولد ونشأ وتعلم وحفظ بعض اللغات في العهد الأموي .

إن الفزاري مفخرة إسلامية ، وحسبه تنويها وإشادة قول الوزير يحيى ابن خالد بن برمك : أربعة لم يدرك مثلهم :

١ — الخليل بن أحمد الفراهيدي .

٢ ــ محمد بن إبراهيم الفزاري .

٣ ــ الإمام أبو حنيفة .

٤ ــ ابن المقفع .

ومن مؤلفات هذا النابغة المسلم الكتب الآتية :

١ ــ كتاب الزيج[٢] .

٢ ــ كتاب المقياس للزوال .

٣ ــ كتاب الاصطرلاب المسطح .

٤ ــ أرجوزة في علم النجوم .

وقد أورد المؤرخ والجغرافي المسعودي فقرة من كتاب الزيج في كتابه مروج الذهب تضمنت وصفاً للعالم المعروف آنذاك .

ثم أمر أبو جعفر المنصور بترجمة كتب بطلميوس التي وصلت إليه ، وهي الترجمة الأولى ، وقد مرت ترجمة علوم الأوائل بأكثر من دور .

لقد أقبل المسلمون في الدور الأول على الترجمة وهم مدفوعون برغم رغبة التطلع العارم ، ونهم العقل الراغب في التفوق . فترجموا في عجلة الألفاظ وأبقو المصطلحات العلمية والمسميات الفنية بألفاظها الأعجمية مثل :

١ ــ الهميولي أو الهيولي (المادة الأولى) .

٢ ــ الجغرافيا علم تقويم البلدان .

٣ ــ الايتماطيقي (علم الحساب) .

٤ ــ الاسطرقوميا (علم النجوم) .

وغير ذلك :

أما في الأدوار التالية ، وهو دور المراجعة والتّروي والتدقيق والتمحيص ، فكانت التّرجمة في ترو واناة والتعريب الصحيح الجاد ووضع أسماء عربية لتلك المصطلحات الأعجمية فاختّرعوا لبعضها أسماء عربية بطريق المجاز ، أو الاشتقاق ، أو المصدر الصناعي ، فقالوا :

المادة الأولى	الماهيـــة	الكيفية	
والجوهر الفرد	الشعوبية	الكمية	الكروية
العرض	الطائفية	الثقل	
الجزء	المذهبية	الحركة	

كما أضافوا لا النافية فقالوا : اللاإدارية ، اللانهائية ، وغير ذلك ، بل ألفوا كتبا مستقلة للتعريف بالمصطلحات العلمية مثل كتاب (مفاتيح العلوم) .

إن العلماء المسلمين قاموا بدورهم البناء في تقدم الحضارة والعلوم وطوعوا لغتهم ، فاستوعبت حضارة من تقدمها ، ومدنية من سبقها ، فأغنوها بمفردات لم تكن معروفة في موطنها ، من جذورها الأصلية فأوجدوا الأسماء لكل المصطلحات الفنية والكلمات الحضارية .

من المعلوم أن العناية بالتّرجمة لعلوم الأوائل بلغت غاية عنفوانها ، وأوج نشاطها في عهد الخليفة المأمون ، منشيء دار الحكمة ، أول مؤسس أكاديمية في الإسلام .

إن الخليفة المأمون ملك من طراز فريد ، سعد – بحق – التفوق العلمي ، والنبوغ الفكري في ظل ملكه وهو الذي أمر بإجراء أول تجربة على الطبيعة وتطبيق عملي لدورة الأرض ، عندما اطلع في بعض المصادر أنها أربعة وعشرون وألف ميل . فأمر بني موسى بن شاكر بأن يقوموا بالتجربة ، فساروا إلى صحراء سنجار . وكانت التجربة المعروفة تاريخياً ، وحققوا مساحة الدرجة الواحدة ستة وستين ميلا وثلثي الميل .

ومن المعروف أن الأرض مقسمة إلى ثلاثمائة وستين درجة ($66\frac{2}{3}\times$ ٣٦٠) ٣٤٠٠٠ وفي عهد المأمون رسمت أول خريطة . أو خرائط على مستوى العالم وعرفت بالخرائط المأمونية ، ولا غرو فدولة الإسلام في عهد المأمون هي أكبر دولة في عهدها ولها شبه سلطانها العالمي بالنسبة إلى غيرها .

لقد سبق في جغرافية بطلميوس مصور للعالم في عصره ، كما يشير ياقوت في معجم البلدان أنه رسمت لازدشير من الملوك الساميين خرائط للعالم ، وروى أحمد الطوسي أنه رسمت كذلك (قباذ) وإنما ريادة الجغرافيين المسلمين تفوق كل ما سبقها .

لم تكن تلك الجهود الجغرافية في عهد المأمون إلا بداية رائدة لما بعدها ، ومن رجالها محمد بن موسى الخوارزمي صاحب كتاب صور الأرض وغيره مثل أبي جعفر الخازن الذي يشير صاحب الفهرست أنه أول واضع لهذا النوع من المصورات الجغرافية .

وجاء العالم الجغرافي الشهير أبو عبد الله محمد بن جابر البتاني المولود سنة خمس وثلاثين ومائتين وهو صاحب كتاب الزيج الصابي المشتمل على :

١ ــ خرائط لـ ٩٤ بلدا .

٢ ــ جداول لأطوال وأعراض الأرض .

٣ ــ الأرصاد التي قام بها .

٩ ــ الآلات المستعملة في زمانه للرصد .

لقد بنى أرصاده على ما قام به بنفسه في مدينتي (الرقة) في العراق و (أنطاكيا) في سوريا ، وحققها على كتاب الزيج الممتحن لأحمد بن عبد عبد الله الحاسب من فلكي وجغرافي عصر المأمون ، وعلى كتاب بطلميوس من الترجمة السريانية .

ومن أعماله المهمة ــ أيضاً ــ الأرصاد التي قام بها ابتداء من سنة ٢٦٧ ــ ٣٧٠ لقياس ارتفاع الشمس في الظهيرة عند المنقلبين الصيفي والشتوي وقد وجد قمة الزاوية ٣٥ ، ٢٣ ، ويقول الدكتور (إمام إبراهيم أحمد : أثبتت الحسابات الحديثة أن القيمة الصحيحة لا تختلف إلا بمقدار دقيقة . هذا مع ما في آلات الرصد القديمة من بدائية وقصور عن الآلات الحديثة المتطورة .

لقد تعدت شهرة البتاني العالم الإسلامي إلى الغرب فهو يعد لديهم في الدرجة الأولى في علم الفلك وقد أشاد به غير واحد منهم .

١ ــ نوه به (كاروجوى) في كتابه (تأريخ الرياضيات) .

٢ ــ عده (لا لاند) من عشرين فلكيا شهروا في العالم .

٣ ــ نعته (سارتون بأعظم فلكي زمانه ومن أعظم علماء المسلمين في فنــه .

إن جهود الجغرافيين المسلمين في القرنين الثالث والرابع – التاسع والعاشر الميلادي هي الغرة الشامخة والصفحة اللامعة في سجل تأريخ الجغرافية .

لقد عاصر البتاني عالما من أبرز الجغرافيين المسلمين صاحب مدرسة رائدة لها تأثيرها في طريقة رسم الخرائط في عصرها ، وما بعد عصرها ، هو أحمد بن سهم المعروف بأبي زيد البلخي ، صاحب كتاب (صور الأقاليم) المشتمل على خرائطه المشهورة المشتملة على :

١ – مصورات – وخرائط – للعالم .

٢ – مصورات وخرائط للجزيرة العربية .

٣ – مصورات وخرائط للخليج العربي .

٤ – مصورات وخرائط لبحر الروم – البحر الأبيض المتوسط .

٥ – مصورات وخرائط للمغرب .

٦ – مصورات وخرائط لمصر .

٧ – مصورات وخرائط للشام – سوريا .

٨ – مصورات وأربع عشرة خريطة أخرى لأقطار من أواسط العالم الإسلامي وشرقه .

وقد أطلق المستشرق مللر (K. Miller) في كتابه (Meppre Afabicoe) اسم أطلس الإسلام على تلك الخرائط .

وتلاه عبيد الله بن خرداذبه المتوفي سنة ٣٠٠هـ العالم الجغرافي (الجنتلمان) الذي جمع بين نشاط العالم وظرافة النديم ، فقد كان من ندماء الخليفة المعتمد العباسي وألف له كتبا في الغناء والموسيقى ، والمنادمة ، والشراب ، والطعـــام ، ولكن شاءت الأقدار ألا يكون إلا جغرافيا من من الطراز الأول ، فضاعت جميع تلك المؤلفات ما عدا كتابه الخالد في الجغرافيا الموسوم بـ (المسالك والممالك) ، وهو وإن كان عربي المنشأ واللغة فهو بحكم أصله الفارسي يتقن الفارسية ، ويجيد اليونانية ، نستدل على ذلك من قوله :

في مقدمة كتابه (المسالك والممالك) : لقد وجدت بطلميوس قد أبان الحدود ، وأوضح الحجة ، في وصفها بلغته الأعجمية ، فنقلتها إلى اللغة الفصيحة لتقف عليها .

وكتابه المسالك الموجود والمطبوع هو مختصر لأصل كتابه الكبير الجليل ، الزين بالخرائط الملونة التي هي من التراث الخالد .

فهو يقول في مقدمة الكتاب : لقد عملت كتابي هذا بصفة أشكال الأرض ، ومقدار طولها والعرض ، ومحل البلدان والعامر منها في جميع بلاد الإسلام ، بتفصيل مدنها ، وتقسيم ما انفرد بالأعمال المجموعة إليها .

لقد جعلت لكل قطعة أفردتها تصويراً وشكلا ، يحكى موضع تلك الأقاليم ، ثم ذكر ما يحيط بها من الأماكن والبقاع ، وما في أضعافها من المدن والأصقاع ، ومالها من القوانين والارتفاع — الخراج .

وكتابه عرف في الغرب ، وعني به غير واحد من المستشرقين ، وأول من نشره منهم المستشرق (أبار رييه ده متيار) وترجمة (دي غوى) .

إن المسلم ليشعر بالفخر والاعتزاز . وهو يجول بناظريه في مآثر الجغرافيين المسلمين . الذين بريق أسمائهم يخطف الأبصار ضياء وآثارهم العلمية تهز الأعطاف نشوة .

ومن هؤلاء الأعلام ثلاثة عاشوا في القرن الرابع وهم :

١ ــ الاصطخري .

٢ ــ ابن حوقل .

٣ ــ سهراب .

فالأول هو إبراهيم بن محمد الاصطخري . صاحب كتاب (المسالك والممالك) في الجغرافيا المشتمل على الخرائط المعروفة . قام برحلاته إلى بعض أجزاء الجزيرة العربية ومصر والشام والعراق . وفارس وما حولها .

التقى بزميله العالم الجغرافي أبي القاسم محمد بن حوقل سنة ٣٩٠ ــ ٩٥١ ببغداد وعرض عليه خرائطه لمراجعتها .

كما أن المقدسي ــ وهو من أتباع مدرسة البلخي ــ ذكر أنه استعان بعدد من الخرائط في رسم خرائط كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) ومنها خرائط الاصطخرى . ثم أشاد بها قائلا : إنها (تدنو من الحقيقة وتستحق التعويل عليها . وأن كان فيها خلط وخطأ) .

وشهادة ابن حوقل والمقدسي نفى لتهمة المستشرق (دى غوى) بأن خرائط الاصطخرى ليست إلا نسخة من خرائط أبي زيد البلخي .

ويشرح لنا منهجه في مقدمة الكتاب بقوله :

١ — إنه أورد في كتابه أقاليم الأرض وقصده منها مدن الإسلام ، ولم يقصد الأقاليم السبعة التي قسم الأرض إليها من تقدم قبله ومن في عصره .

٢ — جعل لكل قطعة — جهة — مفردة مصورا يحكي وضع ذلك الأقليم .

٣ — إن الغرض من تأليف كتابه وخرائطه ، هو تصوير تلك الأقاليم التي لم يذكرها أحد « قبله » وأعتقد أن في قوله ما يجافي الحقيقة فقد سبقه البلخي وغيره .

٤ — إنه اتخذ لجميع الأرض التي يشتمل عليها البحر المحيط خارطة مصورة — إذا نظر إليها الناظر علم مكان ذلك الإقليم .

ومصور الاصطخرى للعالم مأخوذ عن المخطوط العربي الموجود بمبرة (فارتر) بـ (ليدن) تحت رقم ١٧٠٢ والمخطوط نسخ سنة ٥٨٩ — ١١٩٣ .

أما محمد بن حوقل ضريع الاصطخرى فهو أشهر من أن يعرف ، وهو من أهل (نصيبين وكان مع علمه وفضله يشتغل بأعمال التجارة ، وصل بغداد للمرة الأولى ، ثم رحل عنها في رحلة تجمع بين اشتغاله بالعلم وتكسبه من التجارة ، جال خلالها العالم الإسلامي من مشرقه إلى مغربه .

وكأنه عاد إلى بغداد للمرة الثانية بعد رحلته الطويلة ، والتقى بالاصطخرى فيها وذلك في ٣٩٠هـ — كما سبقت الإشارة إلى ذلك —

وعرض عليه الاصطخرى خرائطه لتصحيحها ومراجعتها ، وهذا يدل على ما لابن حوقل من المكانة العلمية ، ويظهر أنه بعد تلك الرحلة ألف كتابه المعروف (المسالك والممالك) المشتمل على الخرائط المشهورة ويظهر أن اسم (المسالك والممالك) قد استهوى غير واحد من علماء الجغرافيا ، فسمى الكثير منهم مؤلفاتهم بهذا الاسم ومنهم .

١ ــ أبو العباس جعفر بن أحمد المروزي المتوفي ــ سنة ٣٦٨ ــ ٨٨٧ ويرى البعض أنه أقدم كتاب سمي بهذا الاسم ، والبعض يرجح أن كتاب ابن خرداذ به أقدم منه .

٢ ــ عبيد الله بن خرداذبه وكتابه بالاسم نفسه .

٣ ــ احمد بن محمد السرخسي وكتابه موسوم بالاسم نفسه .

٤ ــ الوزير أبو عبد الله الجيهاني وكتابه موسوم بالاسم نفسه وهذا الكتاب في حكم المفقود .

٥ ــ إبراهيم بن محمد الاصطخري وكتابه موسوم بالاسم نفسه .

٦ ــ محمد بن حوقل وكتابه موسوم بالاسم نفسه .

٧ ــ المهلبي وكتابه موسوم بالاسم نفسه لم يبق منه حسب علمي إلا مقتطفات في معجم البلدان وفي تقويم البلدان لأبي الفدا .

٨ ــ محمد بن يوسف الوراق موسوم بالاسم نفسه المتوفي سنة ٣٩٠ ــ ٩٧٣ .

٩ ــ البكري أبو عبيد موسوم بالاسم نفسه

١٠ ــ أبو محمد الحسن الهمداني بالاسم نفسه ذكر ذلك (القفطي) كما ذكره (الصفدي) .

١١ ــ أبو عبد الله الإدريسي موسوم بالاسم نفسه ولم يبق من هذا الكتاب إلا مختصر في مكتبة أوغلى باستنبول واسمه الكامل (روض الأنس ونزهة النفس في المسالك والممالك) .

وقد يكون هناك كتب غيرها سميت بهذا الاسم ولم تصل إلى علمي . ويذكر أن في المسالك والممالك لابن حوقل معلومات ذات قيمة وبالأخص عن أفريقيا والأندلس ، وواضحة في خرائطه المتقنة .

ومن أبرز جغرافيي القرن الرابع أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني صاحب كتاب صفة جزيرة العرب وغيره وكتاب صفة جزيرة العرب يعد من أهم ما ألف عن الجزيرة العربية ، وكل باحث في القديم أو الحديث محتاج إلى هذا الكتاب القيم ، فقد مسح مسحا جغرافيا واجتماعيا الجزيرة العربية ، وجاب أكثرها بنفسه .

ويقول عنه المستشرق (اغناطيوس كرانشكوفسكي) : لم يكن الهمداني جغرافيا فحسب بل خبيرا كبيرا بأنساب العرب ، وتاريخ الجزيرة خاصة أثارها القديمة ، ومما يدعو إلى الدهشة حقا أنه استطاع فك رموز الكتابة القديمة العربية في جنوب الجزيرة .

وفي منتصف القرن الرابع عاش الجغرافي الفلكي المعروف باسم (سهراب) صاحب كتاب (صور الأقاليم ويظهر من اسمه أنه مسلم من

أهل فارس ، وقد طبع كتابه (BA.H.DMSIK) والكتاب من حيث معلوماته الجغرافية الإسلامية يشتمل على فوائد ذات قيمة علمية ، ومن حيث تبويبه وترتيبه فقد سار على طريقة كتاب وخرائط الخوارزمي ، واهتمام ذلك المستشرق به وطبعه يعطي فكرة عن قيمة الكتاب الجغرافية .

ولم يقف النشاط على العلماء المتفرغين ، بل شارك فيه وزير عالم من وزراء الدولة السامية مع تبعته بمهام الوزارة وشئون الدولة ، هو الوزير أبو عبد الله الجيهاني ، فألف كتابه ــ الذي سبقت الإشارة إليه باسم (المسالك والممالك) ورسم خرائطه بعد ما قسم الأرض إلى عشرين جزءاً ، وجعل كتابه شرحا وتبيانا لتلك الخرائط ، المصورة لأشكال الأرض بل ولمواقع النجوم بالنسبة إلى البلدان ، وهــذا الكتاب مصدر مهم لكثير من المؤلفين ومنهم المقدسي . الذي يخالف من قال بتقسيم الأرض إلى عشرين جزءاً ويقول بل جعل العالم سبعة أقاليم ، وجعل لكل إقليم كوكبا .

ومن عظماء الجغرافيين المسلمين أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي عاش في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي ، وشد ما يعجبني فيه مع مجهوده العلمي الجغرافي الكبير التزامه ــ كمسلم ــ بالخلق الإسلامي الرفيع ، فهو بعد أن يوضح لنا منهجه في رحلته الطويلة وجمعه المعلومات واتصالاته بالناس في كل إقليم دخله وبلد وصلها دارسا منقبا مسجلا محصيا بما لم يسبقه أحد « قبله يقول : مع ذوق الهواء ، ووزن الماء . . . وترك المعصية ولزوم النصح للمسلمين ، والمراقبة لله والخشية منه ، بعدما رغبت النفس في الأجر وخوفتها من الإثم . . إلخ .

وقد جال وجاب البلاد الاسلامية وجزيرة العرب ، وأورد عنها معلومات مفيدة ، وبالأخص عن جنوبها وكعادته في التقصي ، يورد المذاهب السائدة والعملات المتداولة ، والموازين والمكاييل واللباس .

كما يفيدنا عن المكتبات العامة والخاصة في بعض مدن الإسلام ، والخرائط الموجودة بها مثل :

١ ــ مكتبة الصاحب بن عباد ومن محتوياتها كتاب أبي زيد البلخي بأشكال الأرض وصورها .

٢ ــ مكتبة عضد الدولة بنيسابور محتوياتها كتاب أبي زيد البلخي بأشكال الأرض وغيره .

٣ ــ وغير ذلك .

ويورد في كتابه دراسة عن الجغرافيا الفلكية ، ويشير إلى المصادر التي استعان بها ، وإن كان يتحامل وينتقد أكثرها .

كما يشير إلى مصادره من الخرائط التي استعان بها في رسم خرائطه فيقول وأما الاشكال التي مثلناها فقد بذلنا فيها جهدنا حتى صحت بعد تأمل عدة من الصور منها .

١ ــ صورة ــ خارطة ــ وجدتها بخزانة ملك المشرق على كاغدة مصورة مثال مربع .

٢ ــ صورة ــ خارطة ــ على كراسة عند أبي القاسم الأنماطي بنيسابور مربعة أيضاً .

٣ ــ صورة ــ خارطة ــ لإبراهيم الفارسي .

٤ ــ صورة ــ خارطة ــ لشيخ بـ (سرخس) .

كما يورد إشارة في مقدمته يفهم منها أنه انتهى من كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم سنة ٣٧٥هـ .

ويفيدنا أنه قسم الأرض إلى أربعة عشر إقليما ، وأنه اقتصر على ممالك الإسلام ، وأفرد أقاليم العرب عن أقاليم العجم وفصل كل أقليم بمصور خارطة توضح أمصاره ، وقصباته ، ومدنه ، وخطط إليها الطرق كما رسم خرائطه بالألوان على الوجه الآتي :

١ ــ الطرق باللون الأحمر .

٢ ــ البحار باللون الأخضر .

٣ ــ الأنهار باللون الأزرق .

٤ ــ الرمال باللون الذهبي .

٥ ــ الجبال باللون الأغبر .

وبلغ ماقطعه في رحلته بحراً ألفي فرسخ، وأنه دار على الجزيرة العربية من القلزم إلى عبادان .

والمقدسي من كبار مشاهير الجغرافيين الفلكيين الذين عرفهم الغرب وأشاد بأعمالهم .

١ ــ عده المستشرق (اشبرنجر) أعظم الجغرافيين في كل العصور .

٢ ــ قال سبرنغر (Sprenger) لم يتجول سائح « في البلاد كما تجول المقدسي ، ولم يحسن ترتيب عمله أحد مثله .

٣ ــ وقال المستشرق (ميستر Clld Meister) امتاز المقدسي على سائر علماء البلدان بكثرة ملاحظاته وسعة اطلاعه .

ومن عظماء الجغرافيين المسلمين في القرن الرابع أبو الريحان البيروني المولود سنة ٣٦٣ ــ ٩٧٣ صاحب كتب (التفهيم) المشتمل في مخطوطاته الخمسة ، مصورا ــ خارطة ــ مستديرة لمواضع البحــار . و (القانون المسعود والذي وإن كان من كتب الفلك ، فإنه يحتوي على بعض المعلومات الجغرافية القيمة ، وكتابه) الآثار الباقية الذي أورد به بعض الطرق الهندسية لمساقط مصورات السماء والأرض .

لقد قضى البيروني عمره في الرحلات العلمية حتّى نعت في وطنه بالغريب ، وبعد مضي سبع وثلاثين سنة في الأسفار عاد إلى وطنه ، ثم استأنف السير في ركب الملك المسعود إلى الهند .

وكان يتقن اللغات الآتية :

١ ــ العربيــة .

٢ ــ الخوارزميــة .

٣ ــ الفارسية .

٤ ــ الهنديــة .

٥ – السريانيـــة .

٦ – اليونانيـــة .

فالبيروني مفخرة من مفاخر علماء المسلمين .

وعلى بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الفلكي والجغرافي المعروف صاحب كتاب الزيج الحاكمي المشتمل على أربعة مجلدات ، صحح به أغلاط من سبقه من مصنفي الأزياج ، وقد ذكر في زيجه خطوط الطول والعرض وفق الأقاليم السبعة .

ويقول صاحب (حضارة العرب) : وضع بن يونس في القاهرة الزيج الحاكمي ، فأنسى كل زيج قبله في العالم حتى عني به فلكيو الصين فذكره أحدهم المدعو (كوشيو كينغ سو) ١٢٨٠م .

وترجم أستاذ العربية في كليه فرنسا المسيو (كوسان (سنة ١٨٠٤) بعض فصول الزيج الحاكمي إلى الفرنسية . ولابن يونس عدد من المؤلفات القيمة غير كتابة الزيج الحاكمي .

ومن مشاهير الجغرافيين المسلمين أبو عبد الله الإدريسي المتوفي سنة ٥٦٠هـ ١١٦٦م ولد في مدينة سبتة وتلقى تعليمه في جامعة قرطبة بالأندلس وكان خدن أسفار وجولب آفاق ، حتى استقر في بلاد ملك صقلية روجر الثاني ، وهناك تفرغ لعمله الكبير المشتمل على واحد وسبعين مصورا ، ونقش خريطته المستديرة على دائرة من الفضة ، وألف كتابه المشهور نزهة

المشتاق ليكون بمثابة الشرح والتوضيح لخرائطه الرائدة (التي ظلت مرجع جغرافيي الغرب زهاء ثلاثمائة سنة) التي قضى مدة طائلة في إعدادها ، وهي أول خريطة للعالم قريبة من أصول علم الجغرافيا وتخطيطها الفني بالنسبة إلى عصره .

ومن الجهود المبرورة والآثار العلمية المشهورة في علم الجغرافيا كتاب (ابن سعيد بن موسى بن عبد الملك بن محمد بن سعيد الأندلسي المولود سنة ٦١٠هـ – ١٢١٤م في قلعة يحصب قرب غرناطة ، المسمى (جغرافيا الأقاليم السابعة) وهو من طراز كتاب الإدريسي مقسم إلى سبعة أقاليم ، وكل إقليم إلى عشرة أجزاء ، ووضح خطوط الطول والعرض مما يضفي على الكتاب أهمية كبيرة ، وبه تفصيلات عن جنوب الجزيرة العربية ومدنها وقواعدها ، وكذا حقائق جديدة بالنسبة إلى عصره عن أفريقيا استفادها من رحلة بن فاطمة الذي جاب شواطيء فريقيا وغير ذلك ، ويوجد من الكتاب جزء في مكتبة باريس تحت رقم٢٢٣٤ ، وفي المتحف البريطاني القسم الشرقي تحت رقم ١٥٢٤ .

وذكر الزركلي في الأعلام جـ٥ ص ١٧٩ في ترجمته ، مؤلفاته منها في الجغرافيا .

١ – وصف الكون .

٢ – بساط الأرض .

وكلاهما مخطوط .

ويأتي كتاب عجائب المخلوقات للقزويني المتوفي سنة ٦٨٢هـ — ١٢٨٣م ضمن المجهودات الجغرافية الكبيرة وإن كان به حقائق جغرافية رمصور للعالم فإنه يصنف في قسم الجغرافيا الطبيعية ، أو التاريخ الطبيعي .

لقد أورد في هذا الكتاب معلومات قيمة لأرقى ما وصل إليه العلم في عصره ، بل ومنها ما يتجاوز عصره إلى وقتنا الحاضر .

تكلم عن السماء ، ووصف الكواكب والنجوم ، والشهب ، والأبراج وحركاتها ، ومداراتها ، وما يترتب على ذلك من فصول السنة ، والشهور والأيام ، والأنواء ، والعواصف .

ووصف الأرض وما عليها ، ونشوءها وتكوينها ، وطبيعتها ، والغلاف الهوائي والتخلل الجوي ، وما ينتج عنه ، واليابس من الأرض . والمغمور بماء البحر ، وما يحيط بها من البحار ، واختلاف آراء الأقدمين ومن بعدهم في كرويتها ، ودورانها وتكلم عن الجاذبية وعن الحيوان ، والجماد ، والمعادن ، والتوالد ، والزلزال ، الأنهار ، والأمطار ، والرعد ، والبرق والظواهر الطبيعية ، وأقاليم الأرض ، وخواص البلاد ، وتأثير البلاد في السكان والحيوان ، وفي النبات والحيوان ، وحاجة الإنسان الاجتماعية إلى إحداث المدن والقرى ،

وخرائطه أقرب إلى الإقليمية منها إلى الخرائط العالمية ، وفي ما أورده عن ديار العرب معلومات شبه مفصلة . ولا تخلو من الدقة أحيانا ، وبعض الأساطير .

وجاء أبو الفداء بكتابه القيم تقويم البلدان والمحتوي على جداول الطول والعرض ، وأضاف معلومات عن غير الممالك الإسلامية ، وقسم العالم إلى ثمانية وعشرين إقليما .

ولقد عرف الغرب كتابه القيم لأول مرة عن طريق المستشرفين (جوليوس) Goilvs و (ريسكه) Reiske والكتاب مطبوع متداول .

وأبو الفداء هو أمير حماه من الأسرة الأيوبية . ولد سنة ٦٧٢هـ — ١٢٧٣م وتوفي سنة ٧٣٢هـ — ١٣٣١م بمدينة حماه بسوريا . . ولا ننسى كتاب معجم البلدان الذي جمع بين الجغرافيا الوصفية والفلكية فهو أضخم وأوفى كتاب .

وتلاه (ابن الوردي) بكتابه المعروف (خريدة العجائب والغرائب) في تقويم البلدان — الجغرافيا — وبه مصور للعالم .

وقد ترجم بعض المستشرقين جملا منه ، . . وتوفي ابن الوردي سنة ٨٦١ هـ — ١٤٥٧م ، ومن بعد ذلك التاريخ ركد نشاط التأليف الجغرافي في العالم العربي ، وإن كان استأنف بعض نشاطه في فارس وتركياالمسلمتين .

إن جهود الجغرافيين المسلمين أعظم من أن تحيط بها محاضرة ، وإنصافا للحقيقة نورد في ختام هذه المحاضرة بعض ما قاله المنصفون من علماء الغرب .

قال غستاف لوبون في كتابه حضارة العرب تحت عنوان (التقدم الذي حققه العرب في الجغرافيا) .

(كان من نتائج ريادة العرب ومعارفهم الفلكية ، أن اتفق لعلم الجغرافيا تقدم مهم . ولا غرو فالعرب الذين اتخذوا في البداية علماء اليونان . ولا سيما بطليموس أدلاء لهم في علم الجغرافيا ، لم يلبثوا أن فاقوا أساتذتهم فيه على حسب عادتهم) .

كانت مواقع المدن الكثيرة التي عينها بطليموس تعيينا جغرافيا غير مطابقة للحقيقة تماما ، وبلغ مقدار غلطه في تعيين البحر المتوسط وحده أربعمائة فرسخ) .

(ويكفي أن نقابل بين الأمكنة التي عينها الأغارقة والأمكنة التي عينها العرب ليظهر لنا مقدار التقدم الذي تم على يد العرب . فهذه المقابلة تدل على أن مقدار العرض الذي حققه العرب يقرب من الصحة بما لا يزيد على بضع دقائق ، وأن الخطأ لدى الأغارقة فيه بلغ درجات كثيرة) .

(وكان تعيين الطول صعبا على العرب وذلك لما يعوزهم في ذلك الحين من مقياس الزمن (كروتومتر) ومن تقاويم مضبوطة للقمر . ومغالطهم أظهر من ذلك وإن لم تزد على درجتين إلا نادراً ، أي وإن كانت دون غلط الأغارقة بمراحل) .

(حقا أن أغاليط اليونان كانت في تعيين الطول فاحشة في بعض الأحيان ، ومنها غلط بطليموس . الذي اتخذ الإسكندرية مبدأ للطول في طول طنجة نحو ١٨ درجة فجعله ثلاثاً وخمسين درجة وثلاثين دقيقة بدلا من خمس وثلاثين درجة وإحدى وأربعين دقيقة) .

ومنها أن جعل بطليموس في تقويمه طول المحور الكبير للبحر المتوسط الممتد من طنجة إلى طرابلس الشام تسع عشرة درجة زيادة عن

الحقيقة ، أي ما يعادل أربعمائة فرسخ تقريباً ، مع أن غلط العرب فيه أقل من درجة واحدة) .

وكتب العرب التي انتهيت إليها في علم الجغرافيا مهمة للغاية . وكانت أساساً لدراسة هذا العلم في أوربا قرونا كثيرة) .

وخريطة الإدريسي التي اشتملت على منابع النيل والبحيرات الاستوائية الكبيرة لم يكتشفها الأروبيون إلا في العصر الحاضر . تثبت أن معارف العرب في جغرافية أفريقيا أعظم مما ظن زمنا طويلا) .

(ويحتاج إحصاء أهم جغرافيي العرب وما ألفوا من كتب إلى بيان طويل ، فقد ذكر أبو الفداء وحده أسماء ستين عالما جغرافيا من الذين ظهروا قبله) .

(والعرب هم الذين نشروا كتبا جغرافية قامت مقام الكتب التي ألفت قبلها ، فاقتصرت أمم الغرب على استنساخها قرونا كثيرة) . انتهى .

ويقول صاحب دائرة معارف (لاروس) : (إذا أراد القاريء أن يجد عجيبة من العجائب الجغرافية فلا يبحثن عنها في أوربا التي صارت آنذاك بربرية ، ولكن فليبحث عند العرب . كان الخلفاء كلما أمعنوا في الفتوح أمروا برسم الأرض التي يفتحونها .

ولوأردنا إيراد الشواهد لطال المقال والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مصادر البحث

عدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	المسالك والممالك	ابن خرداذبة
٢	أحسن التقاسيم	المقدسي
٣	الآثار الباقية	أبو الريحان البيروني
٤	البلدان	ابن الفقيه الهمذاني
٥	صفة جزيرة العرب	الحسن بن أحمد الهمداني
٦	معجم البلدان	ياقوت الحموي
٧	تأريخ العرب قبل الإسلام	جواد على
٨	تراث العالم	جواد على
٩	المنجـــد	لويس معلوف
١٠	ضحى الإسلام	أحمد أمين
١١	تأريخ التمدن الإسلامي	جرجى زيدان
١٢	دائرة معارف وجدى	فريد وجدي
١٣	دائرة المعارف الإسلامية	فريد وجدي
١٤	الفهرست لابن النديم	ابن النديم
١٥	مروج الذهب	المسعودي
١٦	الأعـــلام	خير الدين الزركلي
١٧	مفاتيح العلوم	الخوارزمي
١٨	اكتشاف جزيرة العرب	ترجمة قدري قلعجي

عدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١٩	تأريخ العالم	ترجمة قسم الترجمة بوزارة التربية بمصر
٢٠	فتوح البلدان	البلاذرى
٢١	حضارة العرب	جستاف لوبون
٢٢	تأريخ الشعوب الإسلامية	بركلمان
٢٣	مجلة الفيصل	بركلمان
٢٣	مجلة الفيصل	بركلمان
٢٤	أوراق خاصة من جمع صاحب المحاضرة	
٢٥	وفيات الأعيان	ابن خلكان
٢٦	تاريخ الطبري	الطبري

الهوامش

(١) كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص ، صف لى مصر فأجابه : مصر – يا أمير المؤمنين – نزبة غبراء وشجرة خضراء طولها شهر ، وعرضها عشر ، يخط وسطها نهر مبارك الروحات ميمون الغدوات ، يجري بالزيادة والنقصان كجريان الشمس والقمر ، له آوان تظهر به عيون الأرض وينابيعها ، حمي إذا أصلح عجاجه وتعظمت أمواجه لم يكن وصول أهل القري إلي بعضها إلا في خفاف القوارب ، وصغار المراكب ، فاذا تكاملت زيادته انكفأ علي عقبيه كأول ما بدأ في شدته ، وطمي في حدته ، عند ذلك يخرج القوم ليحرثوا بطون الأرض ، ويرجون الثمر من الرب .

وعندما أراد عمرو بن العاص غزو البحر ، استأذن عمر ، فكتب إليه صف البحر ، فكتب إليه يا أمير المؤمنين : البحر خلق كبير يركبه خلق صغير ، فراكبه دود على عود ، إن هاج أزاغ العقول ، وإن ركد أمض القلوب داخله مفقود ، وخارجه مولود .

(٢) الزيج اسم يطلق علي الجداول الفلكية والجداول الجغرافية الخاصة بخطوط الطول والعرض .

نظرات في الأطلس التاريخي

للشيخ : عبد الله بن خميس

تأليف الدكتور إبراهيم جمعه بتكليف من معالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ وزير التعليم العالي رئيس مجلس إدارة دارة الملك عبد العزيز وقد كتب مقدمته . . وهو من مطبوعات الدارة . . طبع دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني . . الطبعة الأولى في ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) ويقع في حوالي (٢٥٠) بالقطع الكبير وعلى ورق فاخر صقيل مزوداً بالرسوم والمصورات الجغرافية والبيانات والفهارس والإحصاءات والملاحق مصوراً عن خط نسخي جميل يسر القاريء ويستهوي المتتبع .

وهو عمل — ولا شك — جليل يبرز فيه جهد مؤلفه ويتجلى ذوقه وأسلوبه الشيق . . وعرض التاريخ بمثل هذا العمل أناقة في الإخراج وسلاسة في الأسلوب وجمالا في العرض يغري القاريء ويرفع من قيمة الأثر ، وهي طريقة نحمدها للدارة ونستزيدها منها .

وإذا كان النقص يتأتى على سائر البشر ، ولا يخلو منه أي أثر مهما حشد صاحبه له من طاقات ، وتعمل في إبرازه ، وتحري الصواب في مادته . . فكذلكم هذا الأثر وقفت منه في نظراتي العجلى على هنات هينات لا تنقص من قيمته ، ولا تغض من تمكن مؤلفه . . وقد قدمه لي رجل كريم طالباً إبداء وجهة نظري حوله ، وما عسى أن يكون فيه من مأخذ .

وإني راصد لها هنا علها تستدرك في طبعة قادمة ككل أثر ينقد ، ويستدرك عليه ما يستدرك .

في مجال المـــادة التاريخية

١ — في صفحة (٣٠) سطر (١٤) قال المؤلف في سنة ١١٧٨هـ خرج ابن دواس في ركاب عبد العزيز بن محمد يغزو معه جهة الشمال . أ هـ

والواقع أن الذي خرج مع عبد العزيز بن دهام بن دواس لا ابن دواس نفسه ، وذلك في غزوة (جراب) الأولى .. (أنظر ابن بشر) .

٢ — في حديث المؤلف عن حروب (محمد على) أثناء عهد (عبد الله بن سعود) بالدرعية ، لم يورد هزيمة (طوسون) في (وادي

الصفراء) قرب المدينة ، وكانت هزيمة كبيرة . . وقد أوردها في الملحق صفحة (٨) ، وكان المفروض أن تورد في مكانها من الكتاب ، وقد ذكر ما قبلها وما بعدها في مكانهما منه .

٣ — في صفحة (٩٣) سطر (١٣) ، قال المؤلف : ولم يوف عام (١٢٣٦هـ) حتى قدم من مصر (تركي بن عبد الله) ليقود حركة تحرير البلاد . . . الخ .

والواقع أن تركي بن عبد الله لم يقبض عليه ولم يحمل إلى مصر ، بل حينما قضى الأمر في الدرعية فر بنفسه ، وعندما سنحت له الفرصة عاد وأجرى مغامراته الأولى مع ابن معمر ، وأسس إمارته بالرياض .

٤ — في صفحة (١١٢) لم يورد المؤلف الكيفية التي بها انتقل الحكم من (خالد بن سعود) وأعوانه إلى (عبد الله بن ثنيان) .

٥ — وجاء في صفحة (١٢٨) ما يفيد أن الإمام (عبد الرحمن آل فيصل) قد تهيأ لقتال (ابن رشيد) بعد وقعة (المليدا) ، واستيلاء ابن رشيد على (القصيم) . . . الخ .

والواقع غير هذا . . فالإمام عبد الرحمن قد تهيأ لمساعدة أهل القصيم قبل وقوع معركة المليدا . . أما بعد أن جرت الوقعة واستولى ابن رشد على القصيم ، فقد جاء أن رشيدا زحف على العارض وباغت الإمام عبد الرحمن على (حريملاء) ، فانهزم واستولى ابن رشيد على الرياض .

وقد جاء في عبارة المؤلف هنا ارتباك في سرد الحوادث ، مما يدل على اهتزاز في تصوره . . فلم تأت الحوادث مرتبطة

٦ - وفي صفحة (١٣٤) سطر (١٢) ذكر المؤلف أن أمير الرياض حينما هاجمها الملك عبد العزيز المرة الأولى سنة (١٣١٨هـ) عام (العريف) عجلان بن محمد . . والواقع أن أميرها آنذاك (عبد الرحمن بن ضبعان) لا (عجلان بن محمد) .

٧ - وفي صفحة (١٣٦) سطر (١٠) قال إن الملك عبد العزيز حينما جاء لفتح الرياض سنة (١٣١٩هـ) ، أناخ في مكان من (وادي حنيفة) ، يبعد عن الرياض ساعتين .

والواقع أن المكان الذي أناخ فيه ليس بوادي حنيفة ، وإنما في (دارة) من جبل (أبي غارب) شرق الرياض ، قريباً منها . . بينما وادي حنيفة غربها . . وهذه الدارة تقع شمال غرب مصنع الأسمنت الآن قريباً منه .

٨ - وفي صفحة (١٣٩) سطر (٨) قال المؤلف : . . . وبان خصمه لائذ بـ (حائر سبيع) في (الخرج) .

والواقع أن (حائر سبيع) ليس في (الخرج) ، وإنما هو جنوب الرياض (، يبعد عنها (٣٥) كيلا بـ (وادي حنيفة) .

٩ - وفي صفحة (١٤٢) قال المؤلف : . . . بقيادة (حسين بن جراد) وإلى (السر) .

همش المؤلف على هذه العبارة بقوله (السر) : (نفود السر) . . ظانا أن (السر) هو (النفود) ، وما تنبه للمضاف والمضاف إليه ، وأن (السر) منطقة قائمة بذاتها

ذات بلدان ومزارع . . و (ابن جراد) وسريته قتلهما الملك عبد العزيز في بلدة (الفيضة) قلب السر لا في النفود .

١٠ – وفي صفحة (١٥٢) سطر (٧) قال المؤلف عن الهزازنة : إنهم قرابة بعيدة (لآل سعود) .

همش على ذلك ، وقال : (آل هزان) أو الهزازنة بطن من بطون (عنزة) ، ومن ثم قرابتهم لآل سعود .

والواقع أن هذه ليست هي القرابة (لآل سعود) ، وإنما هم خؤولة لبعض (بني سعود بن فيصل) . . أما القرابة من جهة (عنزة) ففيها نظر .

١١ – وفي صفحة (١٦٢) سطر (١٦) قال المؤلف : وفي ربيع الأول سنة (١٣٣٣هـ) سار الجيشان إلى (القصيم) ، يطلب كل منهما الآخر حتى تلاقيا على ماء يقال له : (جراب) إلخ .

والواقع أن (جرابا) ليس من (القصيم) ، بل هو من مياه (مجزل) شمال (الأرطاوية) وشرق (الزلفى) ، ولم يكن (القصيم) قصد الجميع .

١٢ – وفي صفحة (١٦٨) سطر (٢) قال المؤلف : وحجته أن جبل (حضن) – (حرة حضن) – يكون الحد الفاصل . . إلخ .

فالمؤلف فسر جبل (حضن) بالحرة . . والواقع أنه ليس (حرة) ، وإنما هو جبل مشهور في (عالية نجد) ، قال الشاعر :

بضربة نو. قديما زلزلت حضنـــا
لقيل كان قديمـــا ههنـــا جبل

١٣ ــ وفي صفحة (١٧٢) سطر (٨) قال المؤلف : سارع (محمد محمد بن طلال) فشغله ، وكان قوى الشكيمة شجاعاً رشيداً إلخ .

يقصد (ابن طلال) ؟ ! .

١٤ ــ كرر المؤلف ذكر عمارة الدولة السعودية للحرم النبوي الشريف ، ولم يذكر عمارة المسجد الحرام أبداً . . مع أنها أعظم وأضخم ، ولا أعلم ما هو السبب في ذلك ؟ .

١٥ ــ قال المؤلف في صفحة (٢٠٦) سطر (١٣) : وعبقرية المهندس المصري ، وشجاعة بواسل العاشر من رمضان بما ابتكروه ومارسوه من وسائل الحرب الحديثة على عبور قناة السويس وتحطيم خط بارليف ودحر قوى العدو الإسرائيلي في سيناء ، وتحقيق أكبر نصر عرفه تاريخ الحروب في العصر الحديث .

هكـــذا ؟ !

١٦ ــ أورد المؤلف عدة ملاحق لهذا الأطلس عن :

(أ) الكتابة العربيـــة .

ب) أسواق الجاهليـــة .

(ج) العلاقات السعودية العمانية .

(د) الدولة العثمانية ومحمد على ومحاولة استرداد الحجاز .

(هـ) رسالة موجهة من الإمام (تركي بن عبد الله) لأهل (نجد)

ولم أعرف السبب لإيراد هذه الملاحق على تباين أغراضها وبعد بعضها عن جو هذا الأطلس .

وحينما سرد أسواق العرب في جزيرتهم لم يورد سوق اليمامة ، وقد وضع هذا الأطلس عنها . . فيكون سوقها أحق بالتقديم ، ولكنه لم يذكره ! ؟

أخطاء في النسب

١ - في صفحة (١٦) سطر (١٣) قال المؤلف عن قبيلتي (طسم وجديس) إنهما عدنانيتان .

ولا أدري أي مصدر عول عليه المؤلف في ذلك . . فالمعروف أن قبيلتي (طسم وجديس) من العرب البائدة ، يرجعهما بعض المؤرخين إلى (ثمود) . وبعضهم يرجعهما إلى (عاد) ، وبعضهم يفصِّل في ذلك . . غير أن أحدا لم يخرجهما من العرب البائدة ، ماعدا (الهمداني) فإنه أورد قولا ينسبهما إلى (قحطان بن عابر) .

وعلى هذا فليس ثمة ما ينص على أنهما من (عدنان) .

٢ ـ في صفحة (١٢) سطر (١٦) قال عن نسب (آل سعود) : وتكاد تجمع المصادر العربية على أن نسب (آل سعود) يرتد إلى (مانع المريدي) . . وعلق على هذا قائلا : (مانع بن ربيعة المريدي) من قبيلة (عنزة بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ابن معد بن عدنان) .

قلت : وليس ثمة مرجع موثوق يلحق (مانعا المريدي) بـ (عنزة) . . بل المعروف أنه من (المردة) من (بني حنيفة) ، لحق بابن عمه (ابن درع) بوادي (حنيفة) فأقطعه (المليبيد) و (غصبة) وما بينهما من وادي (حنيفة) ، وهذه المنطقة منه هي (الدرعية) نسبة إلى الدرع أصلا أو نقلا من درعيتهم في (القطيف) التي هي تنسب إليهم . . وهذا القول هو الأرجح عند مؤرخي (نجد) المعتبرين .

٣ ـ وفي صفحة (٢٦) كرر المؤلف ذكر (بني عائذ بن سعيد) فذكرهم بالدال المهملة (عائد) . . مع أن الصواب ما ذكرنا (عائذ) بتخفيف الهمزة والذال ، وقال عن (آل حتاحت) : (حتايت) . . مع أن الصواب ما ذكرنا بتكرير الحاء المهملة .

آيـــات قرآنية

١ ـ أورد المؤلف في صفحة (٣٠) سطر (١٨) الآية الكريمة : (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) . . ثم قال : وقوله عز وجل : (إن يمسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس) الآية .

ففصله بين الآيتين بقوله : (وقوله عز وجل) يفيد أن كلا من الآيتين لا علاقة لها بالأخرى في السياق القرآني ، مع أن الآية الثانية تكملة للأولى ، وتأتي بعدها مباشرة . (سورة آل عمـــران) .

٢ — وفي صفحة (٤٤) سطر (١٢) أورد المؤلف الآية الكريمة هكـــذا :

(عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم مودة) .

وصحة الآية : (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة) . . بإثبات كلمة (منهم) . (سورة الممتحنة) .

وفيما يلي أخطاء في أسماء الأعلام :

صفحة	سطر	خطــأ	صواب
١١	١٢	الحَسَيّان	الحِسْيـــان
١٤	٢	غـصَبَــه	غصيبـــة
١٦	١٩	ناصري خسرو	ناصر خسرو
٢٠	١٥	ناصري خسرو	ناصر خسرو
٢٣	١٠	الإحساء	الأحساء
٢٢	١٧	حريملا (تكررت)	حريمـــلاء

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٦	١٢	العوينات	العرينـات
٣٠	٣	دَهّام (تكررت)	دِهَـام
٣١	٤	فيصل بن سهيل	فيصل بن شهيل
٣١	١	شقـرا	شقـراء
٣٣	٢٠	ثرمدا ومرات	ثرمـداء ومراة
٣٤	١١	أثيثيـة	أثيفيـة
٣٨	٥	حويل الودّعين	حويل الوداعيْن
٣٨	٥	وانضم إليه أهل الدواسر	وانضم إليه الدواسر
٤٥	١٥	الشقيف	الشقيـق
٥٥	١٣	حمـوّد الدربي	حمود الدربي
٧٧	١٢	لوادي نجد	بوادي نجـد
٨٢	٤	محمد بن بنيّان	محمد بن بَنَيّان
٨٦	١٠	المقيصبي	المغيصيبي
٨٦	١٣	شعيب صفـا	شعيب صفار
٨٩	٥	بأب الظهـيرة	باب الظهْـرة
٩٠	٥	قرى عمران	قَرَي عمـران
٩٤	١٦	بني مفيـد	بني مغيـد
٩٨	١٠	آل تامـر	آل شـامر

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٠٣	١٩	رمحيــة	الرمحيــة
١١٨	١١	نحو الشُعَرا	نحو الشَّعْــرَا
١٢٢	١٣	الحــويرة	الحويـــرة
١٣٩	١٤	وادي سلى	وادي السلى
١٤٧	٧	نأهش الذويبي	ناهس الدويبي
١٥٠	٧	نازلا عند ماء فهد	نازلا عند ماء فيد
١٨٦	٦	رأس التنورة	رأس تنــورة
٢ ملحق	١٦	أقناء العرب	أفناء العرب
٤٢	١٧	قريــة دام	قريــة اللدام
١٥	٢	طعبس	طعيس

أما المصورات (الخرائط . . فقد وقع بها أخطاء من حيث تحديد أعلامها ، ومن حيث التحريف في مسمياتها مما يقتضي دراسة دقيقة وممعنة وقد أهملها من خطوط الطول والعرض .

أخطــاء لغويــة

كان بوسعنا أن نلتمس للمؤلف الكريم عذراً عن أخطاء لغوية وقعت في هذا الأطلس ، لو أن المطبعة تولت تنفيذ حروفه . . أما وأنه خط المؤلف بيده صور تصويرا فإنه لا مجال للعذر .


دارة الملك عبد العزيز
KING ABDUL AZIZ RESEARCH CENTRE
١٣٩٢
1972

الأطلس التاريخي للدولة السعودية

وضع مادته التاريخية وخطط رسومه وأشكاله وخرائطه

الدكتور ابراهيم جمعة

بتكليف من معالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ وزير التعليم العالي
ورئيس مجلس إدارة دارة الملك عبد العزيز

مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ١١

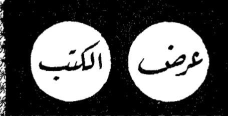
جدول ببعض الأخطاء :

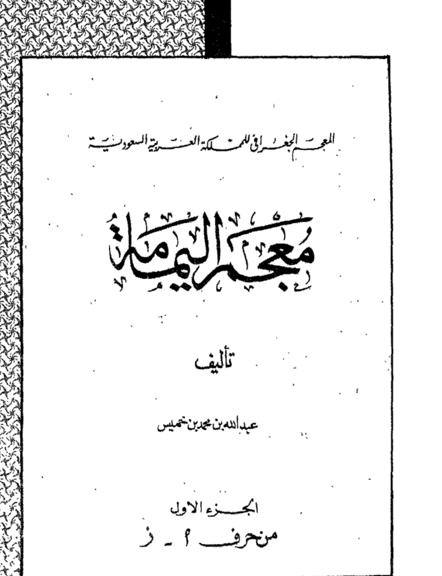
صفحة	سطر	خطـأ	صواب
٨	٥	نضوجا (تكرر)	نضجـــا
١٨	١٨	هوذه بن علي السيحيمي التي كانت له	هوذة بن علي السحيمي كانت له
٥٥	١١	لان حمـــود الدربي أحمالا ثقيلة وتبعـــات جسام	لأن حمـــودا الدربي أحمالا ثقيلة وتبعـــات جسام

صفحة	سطر	خطـأ	صواب
٨٦	٩	وأخويه فهد وإبراهيم	وأخويه فهدا وإبراهيم
٩٨	١٦	حفز ذلك الامام تركي	حفز ذلك الإمام تركيا
٩٩	١٧	وحسب الامام تركي	وحسب الإمام تركيا
١١٣	١٤	أنه لا يستطع	أنه لا يستطيع
١١٥	١	وجعل ابنه سعود (تكرر)	وجعل ابنه سعودا
١٣٨	١٧	ارنبة محجرة	أرنب مجحرة
١٨٤	١٣	انشاء سبع مطابع ثلاثة في مكة وثلاثة في جدة .. الخ .	إنشاء سبع مطابع ثلاث في مكة وثلاث في جدة .. الخ .
٢٠٤	٢٠	وحكام واحد وثلاثون دولة	وحكام واحدة وثلاثين دولة

هذه نظرة عجلى في هذا الأطلس المفيد ، نرجو من مؤلفه ومن (دارة الملك عبد العزيز) الموقرة التي عهدت بتأليفه إلى دكتورنا الكريم إبراهيم جمعة ، وقامت بنشره . . أن تتذكر هذه الملاحظات عند إعادة نشره ، مع مراجعته مراجعة دقيقة مستقصية ، ليسلم هذا الأثر الجليل من المغامز والهنـــات .

والله المـــــوفق ،،،،





عرض الأستاذ / محمد مصطفى شهاب

أولاً : الكتاب من الناحية الشكلية :

يقع الكتاب في ٥٣٧ صفحة من الحجم المتوسط في ورق أبيض مصقول وطباعته أنيقة ودقيقة ، وهذا القدر من الصفحات يمثل المادة العلمية وقد قسمت كل صفحة إلى جدولين رأسيا بينهما مسافة صغيرة بيضاء ، ثم تستغرق الفهارس سدسه الأخير أي ١٢٣ صفحه قسمها المؤلف إلى فهارس متعددة ، فهرس للموضوعات العامة ، وفهرس للقبائل ، وفهرس للأعلام ، وفهرس للأماكن وفهرس للغزوات والوقعات ، وفهرس للمصطلحات الجغرافية ، وفهرس للمراجع والمصادر .

وبهذا التنظيم والتحديد يسهل المؤلف على طلاب المعرفة أن يعثروا عليها من كتابة في سهولة ويسر ، وبأسفل كل صفحة هامش يشتمل على المراجع وهو عمل يدل على الأمانة والثقة والدقة .

ثانياً : الكتاب من حيث المضمون :

(أ) في أول الكتاب صورة ملونة لصاحب السمو الملكي الأمير سلطان ابن عبد العزيز صاحب الفضل في إظهار هذا الكتاب إلى حيز الضوء فقد تمت طباعته على نفقة سموه ولهذا كانت صورة سموه داخلة في مضمون الكتاب لاشكله .

(ب) وفي الصفحة التالية قصيدة للأستاذ المؤلف بعنوان (سلطان الندي) كتبها تكريماً لصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز وتنويها بمواقفه النبيلة ومن بينها تبرعه بالإنفاق على هذا الكتاب حتى

تناولته أيدي القراء ، ومعاني القصيدة وخيالها جديدان ، وقد ظهر فيها بوضوح عشق المؤلف وطنه (الجزيرة العربية) مرتع صباه ، وجنة أمله وهواه ، فصارت الجزيرة في هذه القصيدة عروسا مجلوة تختال بقوامها المياس ، وسيمة الطلعة . باسمة المحيا ، عربية الملامح ، يفوح من أنفاسها عبير الخزامى .

وقد أحسن الشاعر حيث ألبسها الحجاب وثوب الحشمة وذلك بلغته الرصينة ، وكلماته الفصيحة ، وعباراته القوية ، فلم تكن سافرة ولامبتذلة ولا متفرنجه ، وبذلك ارتقت القصيدة إلى فرائد عنتره وامرئ القيس والنابغة .

(جـ) مقدمة الكتاب :

تناول المؤلف في هذه المقدمة نصيب الجزيرة العربية من جهود المؤلفين فذكر أن الحواضر العربية وهي (البصرة) و (الكوفة) و (بغداد) و (دمشق) و (القاهرة) أخذت نصيب الأسد من أقلام المؤلفين والمؤرخين والعلماء ، وقد أهملت الجزيرة العربية بعد أن نزح علماؤها وقراؤها مع حملات الفتوحات الإسلامية وتوزعوا بين أطراف الدولة الإسلامية المترامية الأطراف وقد حظيت منطقة الحجاز بشيء من الكتابات والتدوين لأنها مهبط الوحي وفيها بيت الله الحرام الذي يؤمه المسلمون من جميع بقاع المعمورة .

وأما باقي مناطق الجزيرة العربية فأكثر ما دون عنها اعتمد على أخبار الرواة من البادية الذين يفدون إلى حاضرة الخلافة طلباً للأعطيات والهبات أو التماسا لرفع الظلم عنهم وردع المعتدين ، أو تسويقاً لمنتجاتهم من البادية ثم يعودون إليها وقد حملوا معهم بضائع الحاضرة من متاع الحياة ،

وهذه المصادر لايعتد بها عند المؤرخين والباحثين لأن مجالات الشك فيها كثيرة حيث أنها تخضع لعاطفة الراوي من غضب أورضا أو فرح أو حزن وتخضع لميوله القبلية فأخباره قد تزيد وتنقص وقد تكون منافية للواقع في بعض الأحيان .

ولو سلمنا جدلا بأن هذا المروي صحيح كله لكان شيئا تافها إذا قيس بضخامة الجزيرة العربية وصراعاتها وأحداثها وحروبها وقصصها وشعرائها وسمارهـــا .

ورغم أن الشعر هو ديوان العرب كما يقولون فهو ليس بمنأي عن الشك وما كتب منه لا يمثل إلا النذر اليسير مما قاله شعراء كثيرون فطروا على قول الشعر بطبيعتهم .

ومادمنا بصدد الحديث عن (معجم اليمامة) فإن ماكتب عنها مع قلته فيه مجال للشك ، وليس معنى هذا أننا نغمط المؤلفين السابقين حقوقهم أو نقلل من جهدهم فقد بذلوا طاقتهم حسب ما أتيح لهم من إمكانيات .

والواقع أن (ياقوتا الحموي) في معجمه عن اليمامة كان أخذاً من كتاب ألفه عالم من أبناء اليمامة وهو (محمد بن إدريس بن أبي حفصه) من أسرة (آل حفصه) وهي من الأسر اليمامية المشهورة وقد ضاع كتاب أبي حصنة الذي أخذ منه ياقوت ، ورغم هذا فإن ما نقله ياقوت ليس كافيا في الدلالة على معالم اليمامة وعلمائها ، أضف إلى ذلك أن كثرة مانقل في هذا النذر اليسير عن اليمامة قد ضاعت معالمه واندثرت وتناولت الألسنة بعضه بالتحريف .

وليس هذا الكلام وقفاً على معجم (ياقوت) بل يشمل كذلك

ماكتبه (الهمداني) و (البكري) و (الأصمعي) و (الأصفهاني) و (الزمخشري) من حيث قلة المكتوب ولاندثار أكثر المعالم وتعرضها لكثير من التحريف والتصحيف .

وإذا كان هذا الحال من التأليف لايرضى في الماضي فإننا في عصرنا الحاضر أكثر رفضا له وأشد إنكارا حيث هيأ الله للملكة من أسباب النهضة والحضارة والرقي والنماء الثقافي مالم يتيهأ لغيرها من الدول النامية فلم يعد من المعقول أن نرضي بما كنا نقرأه عن بعض المعالم كقولهم (جبل في جزيرة العرب) أو (رمل في الدهناء) أو (ماء في نجد) بهذه التعبيرات المائعة التي لا توضح الحدود ولا تصف المعالم وصفا دقيقاً ، فقد أصبحت المملكة العربية السعودية معلما من معالم الرقي والتنمية الثقافية والحضارية السريعة المتصاعدة ففيها اليوم ست جامعات ومجلس أعلى للعلوم والفنون والآداب ، ومجالس متخصصة في الدين والعلوم والجغرافيا والفنون والمراصد . . إلخ وبها مدارس تعد بالآلاف تهتم بالتعليم العام والخاص للبنين والبنات ، والرئاسة العامة لرعاية الشباب التي تهتم بتربية الشباب رياضياً وثقافياً وإجتماعياً . وتتبعها مكاتب رئيسية وفرعية في جميع مناطق المملكة . وأندية تعمر المدن والقرى وتتبعها أيضاً الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون والجمعية العربية السعودية للفنون الشعبية ، والأندية الأدبية ومراكز للهوايات العلمية وبها دارة الملك عبد العزيز التي تعني بإحياء التراث العربي والإسلام وتشجع المؤلفين والباحثين وخير دليل على ذلك مجلة الدارة

لم يعد مقبولاً ونحن نمثل الطفرة الحضارية والثقافية في عالم اليوم ولدينا من وسائل الاتصال والمواصلات والتكنولوجيا الحديثة ما يمكننا من معرفة موقع قدم على قمة جبل أو بين رمال الدهناء والربع الخالي — لم يعد

مقبولا أن نسلم بما قاله السابقون في تحديد المعالم ولم يكن لديهم من الإمكانيات مالدينا .

وهنا يقرر الأستاذ المؤلف الجهد المشكور الذي قام به علامة الجيل (الأستاذ حمد الجاسر) في هذا الميدان ولا أجد كلمة أوفى وأدق من قوله (لقد شعر — اول من شعر — بعهدة هذا الأمر ، وأنه دين على ابن الجزيرة العربية لامفر من أدائه ولا مناص له من الاضطلاع به . شعر به أفراد قلة من أبناء هذا الجيل منهم (محمد بن بلهيد) و (عبد القدوس الأنصاري) ثم على رأس من أسهم في هذا المجال . حامل عبئه ، ورائده وقابس جذوته (الأستاذ حمد الجاسر) صاحب النفس الطويل فيه ، ومعلم من جاء بعده ، جعل من نفسه رهناله ، ومن وقته وقفاً عليه ، فألف فيه وحقق ، ونقد ودقق ، وجعل من مجلته المتخصصة سفرا ينطق به ، وموسوعة تفصح عنه ومعلما يفزع إليه) .

وقد رشح علامة الجيل وصاحب فكرة (معجم البلاد السعودية) الأستاذ حمد الجاسر — مؤلف هذا المعجم (الأستاذ عبد الله بن خميس) للقيام بعمل معجم اليمامة لثقته به ، وأنه كفء لهذا العمل الكبير ، لما يمتاز به من دقة وصبر وطول أناة وسعة اطلاع ، ونقد ووزن لما يقرأ ولإلمامه بالفكر التراثي ، وقد صادف هذا الترشيح هوى في نفس المؤلف وعاطفته الجامحة في حب الوطن وخدمة العلم وطلاب المعرفة .

(د) اليمـــامـــة :

كانت تسمى (جَوّاً) وتسمى (العَروض) وتسمى (القريّة) وبعد أن أشتهرت بها (الزرقاء) بنت سهم بن طسم ذات الحمامة أو اليمامة سميت بها

وسبب تسميتها اليمامة أنه مربها سرب حمام خاطف فأتبعته نظرها — وكان يضرب بها المثل في حدة البصر — وعدّته واحدة واحدة فأحصته تسعاً وتسعين حمامة ، ولما جاؤوا « الثمد » الذي ورده الحمام عدوه فوجدوه كما زعمت فقال فيها النابغة :

واحكم كحكم فتاة الحمى إذ نظرتْ ... إلى حمام شراع وارد الثمـد
فعـددوه فـألفوه كمـا زعمت ... تسعا وتسعين لم تنقص ولم تـزد

(هـ) حدود اليمامة :

تمثل مساحة اليمامة زاوية منفرجة قاعدتها ملتقى (الدهناء) بالربع الخالي جنوباً تحت (الأفلاج) وخلف (البياض) ويمتد أحد ضلعيها (الربع الخالي) ذاهباً غرباً ، والضلع الآخر (الدهناء) ذاهبة شمالاً ، وزاوية أخرى قاعدتها رمل (السّياريّات) ممايلي (الأمْغَر) عند طرف جبل (مُجزّل) من الشمال ويمتد أحد ضلعيها (الدهناء) مجنبة حتى قاعدة الزاوية الأولى والضلع الآخر (رمل الثُّوَيْرات) يمتد مغرباً حتى أطراف القصيم .

هذه حدود (اليمامة) من الشرق والشمال والجنوب ، أما حدودها من الغرب فمختلف فيها والمرجح لدينا أن حدودها الغربية (عِرْض باهلة) وهو ضمن مساحة اليمامة .

(و) وصفها الطبيعي :

جبل طويق هو عمودها الفقري وهيكلها الرئيسي يسمى (اليمامة) ويمتد هذا الجبل من منطقة (الزُّلفى) شمالا إلى (الربع الخالي) جنوباً وفيه فجاج وسبل للماره ومنافذ للسيول ، وثنايا وعتبات .

وأشهر أودية (طويق) التي تنحدر من الغرب إلى الشرق هي ٤٥ واديا نذكر منها على سبيل المثال فقط مَرَخ . المِشْقَر . جُوَى . وادي المياه ، وادي الفقي (سدَيْر) . أراط . العَتْك . . إلخ .

(ز) سلسلة جبال ملاصقة لجبل طويق أو قريبة منه وهي من الشمال كالآتي :

١ ـــ سلسلة جبال (مجَزَّل) وأشهر أوديته تسعة أودية منها (جراب) إيراب (والأرطاويَّه) .

٢ ـــ سلسلة جبال (العَرَمه (ومن أشهر أوديته ستة عشر واديا منها : (وادي العَصَل) (وادي الشَّوْكي) (وادي العَتْك) . . إلخ .

٣ ـــ سلسلة جبل (الجبَيْل) (خِنْزير) ، وتنحدر منها مغربة منها (الفهَّادي) و (الحصان) وبهذا الجبل مغارة (هيت) المشهوره .

٤ ـــ وسلسلة رابعة تبدأ شمال (بَنْبَان) حيث جبل (خُزَام) وبها تسعة أودية تصب شرقاً منها وادي (بنبان) و (وادي العقله) . . إلخ وبها ٦ أودية تصب مغربة ومجنبة منها (وادي البطحاء) ـــ الوِثْر سابقاً ـــ و (الرَّمامين) . . . إلخ .

(ح) مصطلحات يطلقها أهل اليمامة على تكوينات أرضهم وطبيعة منطقتهم :

وقد تناول المؤلف في هذا الموضوع ما يزيد عن ٧٠ مصطلحاً نذكر منها على سبيل المثال :

١ ــ الجبال المتطامنه يسمونها (حزوما) واحدها حَزْم أو حَزْن .

٢ ــ الجبال القائمة الصخرية المنفصلة عن بعضها يسمونها (هضابا)

٣ ــ والجبال يجللها الرمل يسمونها (برْقانا) واحدها (أبْرق) .

٤ ــ والحزون المتداخلة يسمونها (حُشَّه) وجمعها (حُشَش) .

٥ ــ والحزن الممتد يسمونه (سِنَافا (وجمعه (سِنْفان) .

(ط) أقاليم منطقة اليمامة :

١ ــ (العارض) وقاعدته (الرياض) العاصمة .

٢ ــ (الخرج) وقاعدته (السيحْ) .

٣ ــ (الفرع) وبها إمارة (الحوْطه) .

٤ ــ (الأفْلاج) وقاعدته (لَيْلى) .

٥ ــ (السُّلَيِّل) أحد أقاليم الجنوب .

٦ ــ (وادي الدواسر) وقاعدته (الخماسين) .

٧ ــ (أقليم الشّعيب) وقاعدته (حرَ يملاء) .

٨ ــ (المِحْمل) وقاعدته (ثادق) .

٩ ــ أقليم (سدَير) وقاعدته (المجمعة) .

١٠ ــ أقليم (الزُّلفى) وقاعدته (الزُّلفى) .

١١ ــ أقليم (الوشم) وقاعدته (شقراء) .

العروض — العارض — العيرض

العَروض : يذكر المؤلف أنه حسب أقوال المؤرخين لانجد حدوداً طبيعية واضحة تفصل تقسيما تهم التي اصطلحوا عليها وتبين حدود (نجد) من اليمامة ، واليمامة من (العروض) ثم يقول — أثناء عرضه لأقوال المؤرخين — وقد تغير مدلول هذه المسميات بمرور الزمن واتسع أخيراً مدلول (نجد) ولم تعد اليمامة تذكر إلا كمدلول تاريخي ، وانطمس اسم العروض كليا وطفت التقسيمات الأخيرة وهي : المنطقة الشرقية والمنطقة الغربية والمنطقة الوسطى . . إلخ .

العارض : اختلف المؤرخون قديماً في تحديده وكثرت أقوالهم وقد ذكرها المؤلف ثم يقول وأماما اصطلح عليه أخيراً وحتى ما قبل قرنين من الزمان فهو يطلق على جزء من اليمامة — طويق — وهو ما بين (منطقة الشعيب) إلى منطقة (الخَرجْ) إلى (الرياض) وملحقاتها .

العرض : وقد ذكر المؤلف أقوالا لبعض المؤرخين وفي النهاية قال « وهذا العرض — وادي حنيفة — يبدأ من (الأحَيْسي —) شمال غرب (العيينه) حيث يتسع الوادي هنالك عند رحبة (الهُدَيْرات) — الهدّار قديماً — وتنداح أدويته وشعابه منحدرة من قمة (جبل اليمامة) — طويق — ويأخذ في الانحدار منتظماً والقرى والمزارع حتى يصب في (الخرج) ثم (الشّهباءِ) .

يقرر الأستاذ المؤلف أن اليمامة كانت في الأزمنة القديمة جنة فيحاء تموج سهولها بالحدائق ذات الثمار والعبير ، وتموج بالزراعة ذات الغلات ، وبها كثير من العيون والأنهار الجارية كأنها سهل من سهول أوروبا .

ثم أورد ما قاله ابن الفقيه في هذا الموضوع : « يقول أهل اليمامة غلبنا أهل الأرض شرقها وغربها بخمس خصال وهي ليس أحسن في الدنيا ألوانا من نسائنا ، ولا أطيب طعاما من حنطتنا ، ولا أشد حلاوة من تمرنا ، ولا أطيب مضغة من لحمنا ، ولا أعذب من مائنا ، فأما قولهم في نسائهم فإنهن دريّات الألوان كما قال ذو الرمة .

كأنها فضة قـــد مسّها ذهب

وأما حنطتهم فتسمى بيضاء اليمامة وكانت تحمل إلى الخلفاء ، وأما تمرهم فكان من شهرته أنه ينادي على التمر بين المسجدين : تمريمامى . تمريمامى فيباع كل تمر ليس من جنسه بسعر اليمامى بمجرد أن يدعى أنه يمامي .

(ى) سكان اليمامة :

يرى بعض المؤرخين أن أول من سكن اليمامة من العرب البائدة قبيلة هِزّان (الوسطى) ثم شاركهم (طسم وجديس) ثم ضعفت (هِزّان) فصار النفوذ لطسم وجديس وكان ذلك في القرن السادس قبل الميلاد ، ثم قامت بينهما معارك فضعفوا . ثم سكنت اليمامة قبيلة (عَنَزَةَ بن أسد) ولما ضعفت زاحمهم على اليمامة (بنو حنيفة) وعاصر حنيفة من سكان

اليمامة أشهر بطون (تميم) وقد سكنوا شمال اليمامة (الوشم) و (سدير) و (الزلفى) .

وأما قاعدة (هزَّان) الذين عاصروهم فكانت (المجازة) ومنازلهم (العلاة) علَيَّة و (وادي نَعَام) و (وادي برَيْك) و (وادي برْك) .

وأما منطقة الأفلاج من اليمامة فكان يسكنها (بنو جعدة) و (بنو قشَيْر) و (بنو كَعْبٍ) وكل هذه القبائل (عامرية عدنانية) . . . . ثم يقول المؤلف وبالجمله فكل القبائل الّتي تسكن اليمامة عدنانية ماعدا (جَرْم) القضاعية . . . . إلخ .

– **والقاعدة الثانية** : (حَجْر – الرياض الآن – وبها بنو الدُّوْل من حنيفة وهم ذووا عدد وعدة .

– **والقاعدة الثالثة** : (عَتَمْرباء) وبها (بنو عدى بن حنيفة) . . إلخ

ثم يذكر الأستاذ المؤلف موقف اليمَامة من الإسلام ثم ردّتها بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام والجيوش الّتي وجهها إليها أبو بكر الصديق إلخ

– وفي العصر الأموي كان (على بن المهاجِر) واليا عليها من قبل الخليفة الأموي (الوليد بن يزيد) .

– وفي عصر بني العباس صار النفوذ على اليمامة لـ (المهير بن سلمى الحنفي) بعد أن قضى على قوة (على بن المهاجِر) .

– ثم شملها الضعف الذي شمل الخلافة العباسية فضعفت وكثرت فيها الفتن والحروب .

– وفي سنة ٢٥٣هـ تقريباً استولى بنو الأخضر على اليمامة ، وجعلوا (من الخضارم في الخرج) قاعدة لملكهم وقوى نفوذهم في كافة أنحاء المملكة وقد كانوا مجحفين وظالمين وحملوا حملة شعواء على النظام القبلي لأنه سبب المآس والحروب والفتن فهاجرت بعض القبائل إلى مصر والسودان والشام وشمال أفريقيا والعراق وقد نشروا المذهب الزيدي في عصرهم . . .

– ثم يذكر الأستاذ المؤلف أن القول الراجح هو أن دويلتهم دالت على يد (القرامطة) وبعد ذلك انتقلت السلطة إلى شرق الجزيرة العربية (الإحساء) ومدن (الخط) ثم ضاعت أخبار اليمامة لعدة قرون حتّى زارها في القرن الثامن الرحالة (ابن بطوطة) سنة ٧٣٢هـ .

– وفي منتصف القرن التاسع وفد (مانع المريدي) من المردة من بني حفصة على ابن عمه (ابن درع) صاحب (حَجْر) و(الجزعة) فاقطعه (المـلَيْبِد) و (غَصيبه) وبينهما الدرعية . وقوى نفوذ الأسرة المريدية ، ونشأ جدها سعود فكان فجراً جديداً لحكم جديد يقوم على العقيدة وبفضله عم الخير وازدادت البلاد قوة ومنعة ووحدة .

(ك) سوق اليمامة :

في (حجر اليمامة) من ابتداء العاشر من المحرم إلى نهاية الشهر كانت سوق اليمامة رائجة بالشعر والخطابة والمفاخرة والتهاجي والمنتجات الزراعية والبيع والشراء كما كان يتم مثل ذلك في سوق (عكاظ) و (المربد) وكان جرير من الشعراء المشهورين في هـــذه السوق وفي غيرها ، ثم يذكر المؤلف شعراً قاله جرير ارتجالاً وهو في السوق حينما بلغه موت الأخطل .

(م) من أعلام اليمامة :

لقد أنجبت اليمامة كثيراً من الأعلام والعلماء والقادة ممن كان لهم أثر كبير في إنمـــاء الحركة الفكرية في الإسلام والفقه :

ــ وذكر المؤلف من أعلامها في الشجاعة والسيادة والأدب ١٤ عالماً نذكر منهم على سبيل المثال (ثمامة بن أثال) و (مجاعة بن مرارة) و (هوذة بن علي) . . . إلخ .

ــ وذكر من أعلامها في الشعّر ١٦ شاعراً نذكر منهم على سبيل المثال (جريرا) و (الفرزدق) و (ذا الرمة) و (مروان بن أبي حفصة) و (العباس بن الأحنف) . . . إلخ .

ــ وذكر من علمائها وأدبائها ٢٤ عالما وأديبا نذكر منهم على سبيل المثال (ابن بسَّام) و (ابن ماجد) و (الشيخ محمد بن عبد الوهاب) .

وبذلك نستطيع أن نقول إن اليمامة بلاد الخصب والنماء دينا وغلة وأدباً وعلماً .

المعجم من ا ــ ز

لقد تناول الأستاذ المؤلف المعالم الجغرافية الّتي تقع تحت كل مادة من مواد المعجم من الألف إلى الزاى وسأذكر المعالم الّتي ذكرها المؤلف تحت حرف الألف ليدل ذلك على مدى الاستيعاب والدقة .

ثم أتناول بالشرح والتفصيل – في ضوء ما ذكره المؤلف – بعض المعالم .

وإن عملي هذا أشبه ما يكون بفاتح الشهية الذي يقدم قبيل المائدة الحافلة بأشهى الطعام وأطيبه فلا مفر لمن أراد الغذاء الفكري والثقافي من أن يقرأ الكتاب من الصفحة الأولى إلى الصفحة الأخيرة ففيه تاريخ وأدب وجغرافيا ومجتمع بعاداته وتقاليده وحربه وسلمه وزعمائه وقضاته وفقهائه وعلمائه وأدبائه وشعرائه الشعبيين .

معجم حرف (الألف)

١ – الأبَاتر	٢ – الأبَارق	٣ – الأبْتَرَ
٤ – أبْترِهْ	٥ – أبْرَق ابن مبْردْ	
٦ – أبْرقَ الرَّوْحان	٧ – أبْرقَ ساره	٨ – أبْرقَ الشَّيْبان
٩ – أبْرَق عبدالرزاق	١٠ – ابْرق عَرْهان	١١ – أبْرق معْلث
١٢ – أبْرقيّه	١٣ – إبْط وأبَاط	١٤ – الأبَكّين
١٥ – أبو أرْطي	١٦ – أبْوَاب	١٧ – أبوُجفان
١٨ – الأبَيْطح	١٩ – أُثال	٢٠ – الأثْلَه
٢١ – أثَيْفيَه	٢٢ – أُثَيْلاَن	٢٣ – الأجْرَعَين
٢٤ – إجْلَه	٢٥ – أجْويَه	٢٦ – الأجَيْفر
٢٧ – الأحْسَاء	٢٨ – الأحْفار	٢٩ – الأحْمرَ
٣٠ – الأحْور	٣١ – الأحَيْرش	٣٢ – الأحيس
٣٣ – الأخْضَر	٣٤ – الأدْبَر	٣٥ – أدَمى

٣٦ ــ أديراب ٣٧ ــ الأدَيْغم ٣٨ ــ إرّاب
٣٩ ــ أُراط ٤٠ ــ الأزاكه ٤١ ــ الأرْطاوى
٤٢ ــ الأرْطاويَّه ٤٣ ــ الأرْطَاوية الجنونيه
٤٤ ــ أُرُك ٤٥ ــ الأرْمَض ٤٦ ــ الأرْنَق
٤٧ ــ الأزْوَرَان ٤٨ ــ أُزَيْهِر ٤٩ ــ الإسْحمان
٥٠ ــ أَسْلام ٥١ ــ أَسْلَم ٥٢ ــ أَسْنمه
٥٣ ــ أُسَيْل ٥٤ ــ أُسَيْله ٥٥ ــ أُسَيْلة الأفلاج
٥٦ ــ الأشَاءة ٥٧ ــ الأشْقَر ٥٨ ــ أشْقَرمراغه
٥٩ ــ أشْمس ٦٠ ــ أُشَيّ ٦١ ــ أُشَيْقِر
٦٢ ــ الأشَيْمان ٦٣ ــ إصَاد ٦٤ ــ إصَبَع
٦٥ ــ الأصْوَف ٦٦ ــ الأصَيْهِب ٦٧ ــ إضَمْ
٦٨ ــ أطَام ٦٩ ــ إطَان ٧٠ ــ أطْلُحاء
٧١ ــ الأطْهار ٧٢ ــ أطْواء ٧٣ ــ الأطْوى
٧٤ ــ الأطيَّاء ٧٥ ــ أطيط ٧٦ ــ الأعارف
٧٧ ــ الأعْراض ٧٨ ــ الأعزَلان ٧٩ ــ أعْشَاش
٨٠ ــ الأعَيْفِر ٨١ ــ أُعَيْوح ٨٢ ــ أفَاحيص
٨٣ ــ الأفَاكِل ٨٤ ــ أفْرَع ٨٥ ــ الأقْعَس
٨٦ ــ الأفْلاج ٨٧ ــ الأفيْلق ٨٨ ــ الأفيهَاب
٨٩ ــ أكْبَاد ٩٠ ــ اكْمَه ٩١ ــ أم الجَمَاجِم
٩٢ ــ أم الجِمال ٩٣ ــ أم أرْطىَ السَّمْحان
٩٤ ــ أم أرْطى الشماليه ٩٥ ــ الأمْغَر ٩٦ ــ الأمْلَحان

٩٧ ــ أمْهار	٩٨ ــ الأمَيْحِز	٩٩ ــ أنْجلَ
١٠٠ ــ أنوف طويْق	١٠١ ــ آوان	١٠٢ ــ أوْتاد
١٠٣ ــ أوْد	١٠٤ ــ الأوْداء	١٠٥ ــ أوْرالى
١٠٦ ــ أوْرل	١٠٧ ــ الأوْسَط	١٠٨ ــ أوْل
١٠٩ ــ الأيْسَنْ		

★ ★ ★

أثيْفيّه

ملحوظة : قد اخترتها من المعالم التي أتناولها بالتفصيل لأنها تشتمل على وقائع وحروب وهي ميزة هذه الفترة من الحياة في الجزيرة العربية ، وإلى جانب ذلك فيها ما يدل على عزة النفس والإباء وعلى مكانة الشعر الشعبي بين القوم .

قال الأستاذ المؤلف أُثَيْفِيّه : بضم أوله وفتح ثانيه وياء ساكنه وفاء مكسوره وياء خفيفة وهاء تصغير أُثْفِيّه واحدة الأثافي وهي ماينصب عليها القدر . قرية معروفه بالوشم تقع بين (ثَرْمَدَاء) و (القرائن) يقطع أسفل واديها طريق الحجاز . . .

ثم يقول الأستاذ المؤلف : وكانت أُثَيفيه تؤدي الإتاوة لثرمداء بلدة العنقري فإذا نحر أهل أُثَيفيه جزورا فأن أطيب لحمها حق للعنقري بدون مقابل فهو يبعث مملوكه ويحمله إلى ثرمداء .

وكان الشاعر الشعبي حميدان الشويعر من سكان بلدة (القَصَب) وقد قامت بينه وبين قوم بها عداوة انتهت بضرب ابنه (مانع) حتى عابت يده ، وأصبحت كمغرفة الطعام ، وذات يوم جاءت أمرأة من البادية إلى

(العَصَب) تسأل عن مِغرفه لتبتاعها فقابلت حميدان الشويعر وسألته فقال لها : إن لدى (مانع) الشويعر – يقصد ابنه – مغرفة يريد بيعها فذهبت المرأة تسأل عن مانع حتّى وجدته وسألته فعرف أنّ والده هو الذي دلها عليه وأنه يقصد يده فصرفها وثارت فيه الحميَّة والحماسة واستنكف أن ينام على وتر فعمد إلى من ضربه فقتله ورحل هو ووالده والتجأوا إلى (أثيفيه) طالبين الحماية فكان لهم ما أرادوا ، وظل حميدان وأسرته في أُثَيْفيه يزرع أرضاً منحت إياه اسمها (ملَيْح) ولكن لم يطب له وهو الشاعر الثوري أن يرى أهل (أُثَيْفيه) مستضعفين للعنقري زعيم (ثَرْمداء) فحرَّك فيهم النخوه بقوله :

احْزُبوا واضربوا دون حدْب الجريد
واذكروا قول حاتم وَلاَشي وَرَاءه

موتكم بالبواتر لكم كبرجاه
وموتكم بالتوجُّع عليكم زَرَاه

من ذبيح دون ماله وحاله
ومن حيا بالسعادة فله كبر جَاه

الحريب انحره قبل يقبل عليك
وإن تنيته يزُورك بدارك تَراه

معالق مْخلبه والطمع بك يصير
اضْربه غارة لين تقلع قَذاه

وهكذا لم يزل بهم حتّى غضبوا لأنفسهم فردوا مملوك العنقري على دابته لحما مكان اللحم المنتظر فثارت الحرب بين (ثَرْمَدَاء) و (أُثَيْفيه) وكان النصر للأخير .

بُرقَة أنْقَد

وقد اخترتها لأن فيها نظراً .

قال الأستاذ المؤلف أنْقَدَ على هيئة اسم التفضيل . (قال ياقوت برقة أنقد : الأنقد والأنقذ بالدال والذال ، القنفذ . ومنه بات بليلة أنقد إذا بات ساهراً) .

وقال الحفصى : أنقد : جبل باليمامة ، وأنشد للأعشى :

أن الغـواني لا يواصلْن امـرأً
فقـد الشبابَ وقـد يصلْن الأمـردا

ياليت شعرى هـل أعـودن ثانيـاً
مثـلي زمين هَنَبـا ببرقة أنْقَـد

هَنَا : بمعنى أنا وزعم أبو عبيدة أنه أراد برقة القنفذ الذي يدرج فكنى عنه للقافيه إذ كان معناهما واحداً، والقنفذ لاينام الليل بل يرعى . . ا هـ (وفي هذا الشعر إقواء) .

ملحوظـات

أولاً : إن هذه اللقطات التي قدمتها عن الكتاب كصيحة عابر في صحراء الربع الخالي .

ثانياً : إن الأستاذ المؤلف استعمل « كَيْلاً » تمييزا للمسافات بدلا من (كيلومتر) مع أن (المعجم الوسيط) الذي أخرجه مجمع اللغة العربية

وهو يضم نخبة ممتازة من علماء اللغة يمثلون دول الوطن العربي كله – قد أجاز استعمال كلمة (كيلو متر) تمييزاً للمسافات حيث جاء في الصفحة رقم ٨١٤ من الجزء الثاني (الكيلو كلمة إذا أفردت دلت على الألف وتضاف إلى المتر والجرام فتعني ألفا منهما فيقال : كيلو متر . وكيلو جرام اه .

وعلاوة على ذلك فإن التمييز للمسافات في المعاجم العربية هو الفرسخ أو الميل .

ثالثاً : إنه جاء في ثنايا الحديث عن (برقة أنقد) بيتان من الشعر قالهما الأعشي :

أن الغواني لا يواصلن امرأ
فقد الشباب وقد يصلْن الأمردا

ياليت شعرى هل أعودنّ ثانياً
مثلى زمين هنا ببرقة أنقد

وقد جاء في التعليق على هذين البيتين ما نصه (وفي هذا الشعر الإقواء) وأعتقد أن البيتين ليس فيهما أقواء لأن (أَنْقَدَ) على وزن (أَفْعَلَ) صار علما على هذا المكان فهو ممنوع من الصرف للعلميه ووزن الفعل فيكون مجرورا بالفتحة نيابة عن الكسرة مالم يضف أو يعرف بأل ، وهنا في البيتين وقعت (أَنَقَدَ) مضافا إليه فتبقى ممنوعة من الصرف أي تكون مجرورة بالفتحة نيابة عن الكسرة وبذلك لايكون في البيتين إقواء ، وأظن أن اللبس جاء من عدم وجود ألف بعد دال (أَنْقَد) ويكفي إشباع فتحة

الدال مراعاة لحركة الروي وأيضاء جاءت (برْقَةَ) في (ببرقةَ أنقد) في البيتين السابقين مجرور بالفتحة نيابة عن الكسرة والأصول أن تكون مجرور بالكسرة لأنها مضافة إلى أنقد فأصبحت مصروفه أي مجرورة بالكسرة وبذلك يكون الضبط الصحيح (ببُرقةِ أنْقَدَ) .

والأعشى شاعر من فطاحل الشعراء الجاهليين .

وقد جاء في معجم (لسان العرب) في مادة (نَقَدَ (والأنْقَدَ) (بالدال) والأنقذ (بالذال) القنفذ والسلحفاه قال الشاعر :

فبات يقاسي ليلَ أنْقَدَ دائبا
ويحدر بالقفِّ اختلاف العجاهن

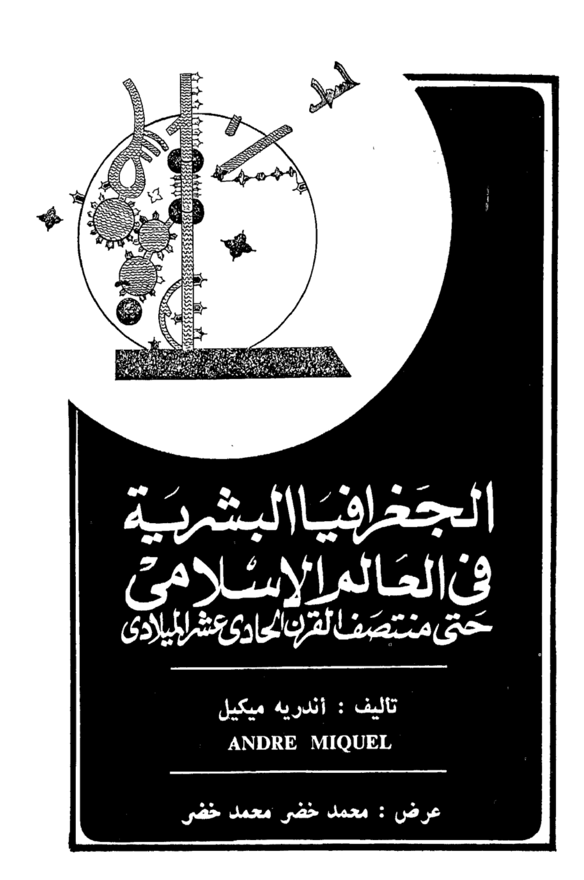
وهو معرفة كما قيل للأسد أسامة ومن أمثالهم (بات فلان بليلة أنْقَدَ) إذا بات ساهراً وذلك أن القنفذ يسري ليله أجمع لاينام الليل كله . ويقال (أسْرَى من أنْقَدَ) .

رابعاً : إن الكتاب تنقصه الخرائط ومادام معجماً جغرافيا فمن الضروري أن يزود بالخرائط .

خامساً : نأمل — القراء وأنا — أن يكمل الأستاذ المؤلف رسالته لنرى اليمامة من رأسها حتى ذيلها ، وبلغة المعاجم من الألف إلى الياء .

وبالله التوفيق ،،،،

محمد مصطفى شهاب



الجغرافيا البشرية
في العالم الإسلامي
حتى منتصف القرن الحادي عشر الميلادي
تأليف : أندريه ميكيل
ANDRE MIQUEL
عرض : محمد خضر محمد خضر

مؤلف هذا الكتاب هو المستشرق الفرنسي « أندريه ميكيل » الذي كان أستاذا بمدرسة الدراسات العليا بجامعة السوربون Ecole pratique des hautes Etudes ثم انتقـــل إلى التدريس بمعهد الدراسات الإسلامية بجامعة السوربون ويعمل حالياً أستاذاً بالكوليج دى فرانس Colleqe de France

وقد تخصص في دراسة العلوم الجغرافية عند العرب والمسلمين ولايزال يلقي محاضراته حول هذا الموضوع وما يتصل به من موضوعات الحضارة الإسلامية

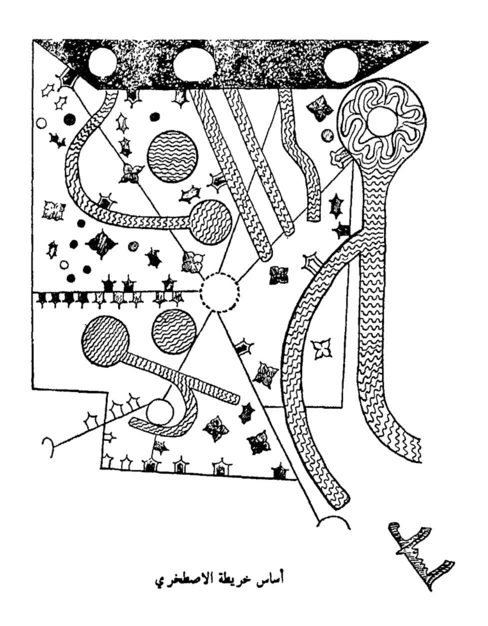
وقد نشر الكتاب لدى الناشر موتون Mouton في عام ١٩٧٥م في جزأين :

١ ــ الجزء الأول ويقع في ٤٢٦ ص من القطع الكبير .

٢ ــ الجزء الثاني ويقع في ٧٠٥ ص من القطع الكبير .

ويتبين لنا للوهلة الأولى وبالنظر إلى ضخامة هذا الكتاب مدى الجهد الذي أنفقه المؤلف في تأليفه ولسنا ندعي أننا سنستطيع تلخيصه أو حتّى الإشارة بصورة مفصلة إلى الموضوعات التي يضمها في هذه العجالة التي يضيق مجالها عن هذا الأمر وإنما هي محاولة لجذب انتباه المتخصصين في علم الجغرافيا إلى أهمية هذا الكتاب وعلى الأخص الذين يعنون بدراسة فروع الحضارة الإسلامية .

والسبب الذي دعا مؤلفه إلى تقسيم كتابه إلى جزأين هو أنه حاول في كل جزء أن يعالج موضوعا قائماً بذاته ففي الجزء الأول ركز اهتمامه



أساس خريطة الاصطخري

على الجغرافيين العرب أنفسهم وعلى مؤلفاتهم ومصادرها وكان العنوان الفرعي لهذا الجزء هو

الجغرافيا والجغرافيا البشرية في الأدب العربي حتى سنة ١٠٥٠م .

أما في الجزء الثاني فقد حاول أن يجمع موضوعات شاملة في الجغرافيا ويبين وجهة نظر الجغرافيين العرب تجاه هذه الموضوعات مثل نظرتهم إلى الشرق الأقصى وأفريقيا السوداء وأوربا الشرقية إلى غير ذلك .

وقد بين المؤلف في مقدمة كتابه السبب الذي دعاه إلى اختيار اسم الجغرافية البشرية كعنوان له . ذلك أن الجغرافيه البشرية في كتابه تعني أنه سوف يدرس نصوصاً ذات طابع جغرافي ولكن الإنسان يحتل فيها مكان الصدارة .

أما السبب الذي دعاه إلى اختيار عام١٠٥٠م كموعد للوقوف بدراسته عند هذا التاريخ فيرجع حسب قوله إلى أن هذا العام يمثل نقطة تحول حاسمة في تاريخ الإسلام حيث تغلب العنصر التركي أو الطوراني على مقدرات الأمة الإسلامية من الناحية السياسية كما بدأت تظهر فيه عودة الغرب إلى البعث إلى جانب عوامل ثقافية واقتصادية أخرى .

ورأى علم الجغرافيا قد تأثر بهذا التحول .

وقد بدأ المؤلف كتابه بإثبات أسماء الجغرافيين الذين درس كتبهم ورتبهم ترتيباً زمنياً حسب تاريخ وفاتهم وعدّد في هذا المجال اثنين وتسعين مؤلفا وكتابا أورد عن كل مؤلف منهم نبذة قصيرة كما أورد تعريفا بكل كتاب من الكتب المجهولة المؤلف التي رجع إليها .

ويعتبر هذا الثبت البيليوجرافي من أوفى ما كتب في علم الجغرافيا عند المسلمين ولا غنى لأي باحث في ذلك العلم من الرجوع إليه خصوصاً وأنه إلى جانب من ذكرهم من المؤلفين والجغرافيين المعروفين فقد ذكر عدداً من الجغرافيين الذين ضاعت كتبهم ولم تعرف إلا عن طريق النقل بواسطة المتأخرين .

كما أورد أمام كل مؤلف المراجع التي يمكن الرجوع إليها للحصول على مزيد من المعرفة عنه .

وقد عقد المؤلف في أول كتابه فصلا عن مصادر علم الجغرافيا عند العرب عدد فيه الفروع العلمية التي استقى منها الجغرافيون العرب معرفتهم .

منها علم التضاريس الأرضية وعلم الكائنات الحية والعلوم الإغريقية والعلوم الأخلاقية والعلوم السياسية والعلوم التقليدية كعلم اللغة والعلوم الدينية والتاريخ .

وفي الفصل الثاني من الكتاب تعرض المؤلف للاتجاهات الحاسمة التي شكلت علم الجغرافيا في القرنيين الثالث والرابع الهجري وصلة الجغرافيا بالأدب . وتعرض على الأخص للدور الذي لعبه كل من الجاحظ وابن قتيبه في تشكيل علم الجغرافيا .

فالنسبة للجاحظ بين أهمية مؤلفاته الثلاثة وهي :

(أ) كتاب التربيع والتدوير .

(ب) كتاب الحيوان .

(ح) كتاب الأمصار وعجائب البلدان .

في تشكيل الخطوط الرئيسية لعلم الجغرافيا أما بالنسبة لابن قتيبه فقد تعرض لدراسة كتابه أدب الكاتب وأوجد الصلة بين هذا الكتاب وبين علم الجغرافيا .

أما في الفصل الثالث فقد تعرض المؤلف للاهتمامات الفنية لدى الجغرافيين العرب مثل رسم صورة الأرض ووضع خريطة لها كما تعرض

للأدب الإداري – أي المتعلق بشئون إدارة الدولة . وتطور هذا الأدب والصلة بينه وبين علم الجغرافيا .

كما تعرض في هذا الفصل للبحوث التجارية .

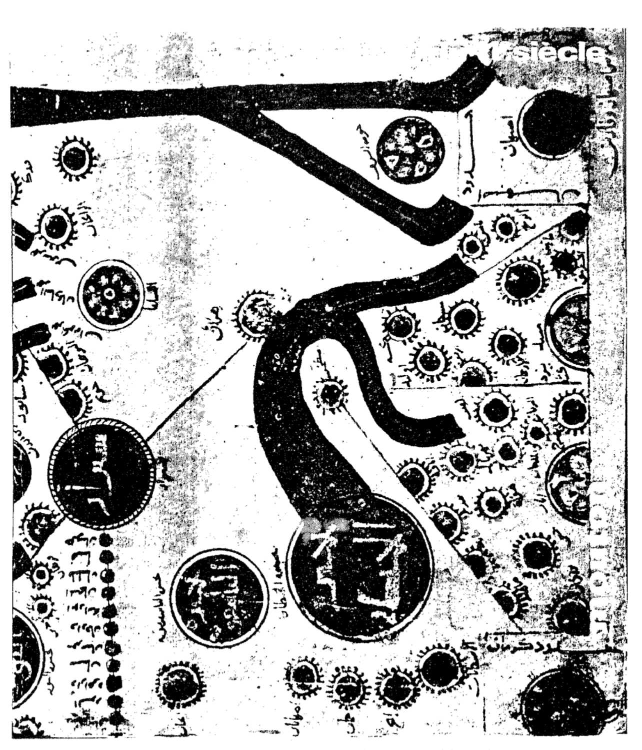
وبدأ بتعريف صورة الأرض وماهيتها لدى الجغرافيين ثم ثنى بدراسة مدرسة الكندي وتطور صورة الأرض لديه ومن بعده لدى السرخسي وابن سيرابيون والبلخي وذكر بداية الجغرافيا الإدارية وأول من ألف فيها وهو ابن خرداذبه والجيحاني الذي تلاه ثم انتقل إلى دراسة قدامة بين جعفر واليعقوبي وقد تعرض خلال دراسته هذه إلى الجغرافيا الإدارية التي تخدم أغراض الحاكم خصوصاً ما يتعلق منها بجمع الخراج ودراسة وضع الثغور .

كما أعطى في هذا الفصل فكرة عن الكتب التي ألفت عن الأسعار مثل الكتاب الذي ألفه ماشاء الله اليهودي (٧٧٠ – ٨٢٠م) في زمن المأمون وسماه كتاب الأسعار .

وأشار بعد ذلك إلى كتاب التبصر بالتجارة الذي ألفه الجاحظ .

أما الفصل الرابع من الجزء الأول فقد خصصه المؤلف لدراسة الأشخاص الذي قاموا بالرحلات وتعرض خلال ذلك للطرق التجارية في المحيط الهندي وأشار إلى كتاب مجهول المؤلف بعنوان أخبار الصين والهند وقد ألف هذا الكتاب في سنة ٢٣٧هـ / ٨٥١م .

وذكر بعد ذلك الطريق المؤدية إلى الشمال والتي قام ابن فضلان



La Geographie Humaina du Monde
Musulman Jnsqu'au milieu du 11ᵉ Siecle
Des Oorigines à 1050.

بالرحلة فيها ثم انتقل إلى ذكر الرحلتين اللتين قام بهما أبو دلف مسعر على نفس الطريق .

وانتقل بعدها إلى وصف الطريق إلى الشمال الغربي المؤدية إلى أوروبا وأفريقية .

أما الفصل الخامس من الجزء الأول فقد خصصه المؤلف لدراسة ابن الفقيه صاحب كتاب البلدان .

ووصف السمات العامة لهذا الكتاب ثم استقصى المصادر التي اخذ عنها والموضوعات التي تناولها وخلص إلى أن دراسة علم البلدان هي دراسة قائمة بذاتها لها خصائصها المميزة .

واعتبر أن دراسة كتاب ابن الفقيه هي دراسة لوجهة نظر الأدب تجاه علم الجغرافيا .

أما الفصل السادس فقد خصصه للجغرافيين من مؤلفي الموسوعات والمؤرخين وغيرهم .

وأول من قام بدراسة في هذا الفصل هو ابن رسته صاحب الأعلاق النفسية ثم انتقل بعده إلى المسعودي الذي اعتبره « إمام » الموسوعات الجغرافيه في كتابه مروج الذهب والتنبيه والأشراف وانتقل بعد ذلك إلى دراسة المقدسي وكتابه « البدء والتاريخ » .

ثم انتقل إلى دراسة مؤلفات إخوان الصفا الجغرافية وبعدها تعرض للخوارزمي والبيروني وما اسهما به في علم الجغرافيا .

وخصص المؤلف الفصل السابع للقواميس الجغرافية وأول ما بدأ به كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني . ثم تعرض لمن كتبوا عن أفريقية والأندلس وذكر الرازي صاحب كتاب صفة قرطبة وأبا عبيد البكري صاحب كتاب معجم ما استعجم .

أما في الفصل الثامن فقد تعرض لدراسة أدب المسالك والممالك بصفة مفصلة باعتبار أن هذا الأدب هو جوهر دراسة الجغرافيا البشرية أي دراسة الأرض والإنسان . فقد بدأ بتحديد معنى دراسة المسالك والممالك وأنها وإن كانت دراسة تقليدية إلا أنها اكتسبت صورة جديدة وأنها في الحقيقة دراسة للجغرافيا البشرية . ودراسة للجغرافيا كما يراها شاهد العيان .

وبدأ يعدد مؤلفي المسالك والممالك وأولهم اليعقوبي وانتقل بعدها إلى الاصطخري ثم إلى ابن حوقل وذكر واحداً من الجغرافيين أهمل ذكره ولم يعرف كثيراً وهو المهلبي الذي ألف كتابا اسمه المسالك والممالك باسم الخليفة العزيز بالله الفاطمي وقد عرف هذا الكتاب باسم كتاب العزيز .

وتعرض بعد ذلك للمقدّسي والزمن الذي عاش فيه واعتبر أن كتاب أحسن التقاسيم هو ذروة ما ألف في أدب المسالك والممالك .

أما الفصل التاسع وهو الفصل الأخير في الجزء الأول فقد وضع له عنوانا هو « الجغرافيا في محيطها » درس فيه الصلة بين الجغرافيا والتجارة أي الجغرافيا في معناها الاقتصادي ثم الصلة بينهما وبين السياسة أي الجغرافيا السياسية وكذلك الصلة بينها وبين الدين والاجتماع .

وقد أنهى الجزء الأول بعدد من الملاحق منها :

الملحق الأول الذي خصصه لدراسة مقارنة يبين كتاب الاصطخري وابن حوقل وهي مقابلة ممتعة وضع فيها النصوص المتشابهة بجانب بعضها على نهرين متقابلين بحيث يتمكن القاريء من إيجاد أوجه الشبه والاختلاف بين النصين ثم وضع ملحقا ثانياً يختص بالتقاويم درس فيه كتاب « تقويم قرطبة » الذي ترجمه إلى الفرنسية المستشرق « ميللا » .

أما الملحق الثالث فقد خصصه لدراسة الأدب الجغرافي الفارسي .

أما الجزء الثاني من الكتاب فقد قصد فيه إلى دراسة كيفية كتابة الجغرافيين العرب عن العالم .

بدأه بفصل تحت عنوان : الأرض الموحدة خصصه لدراسة تصور الجغرافيين العرب للأرض ككل لا يتجزأ .

ثم خصص الفصل الثاني لدراسة الأرض كما يتصورها العرب مقسمة .

أما الفصل الثالث فقد خصصه لدراسة الجغرافيين العرب للشرق الأقصى والخرائط التي رسموها لآسيا ودراساتهم للصين والهند وما فيها من حيوان ونبات وإنسان .

أما الفصل الرابع من الجزء الثاني فقد خصصه لدراسة نظرة الجغرافيين العرب لأفريقيا السوداء .

والفصل الخامس لدراسة نظرتهم إلى مناطق آسيا الصغرى وعلى الأخص دراسة العناصر التركية المختلفة وعاداتها وتقاليدها .

أما الفصل السادس فقد خصصه لدراسة نظرة الجغرافيين العرب إلى أوروبا الشرقية .

والفصل السابع خصصه لدراسة نظرة الجغرافيين العرب إلى أوروبا الغربية .

والفصل الثامن دراسة عن نظرة الجغرافيين العرب للإمبراطورية البيزنطية .

والفصل التاسع دراسة عن نظرتهم إلى البلدان الأسطورية .

والفصل العاشر لدراسة الجاليات الإسلامية في العالم .

ثم أنتهى كتابه بفصل بعنوان العالم الإسلامي على الأرض وعلى الجملة فالكتاب يعتبر موسوعة شاملة لدراسة علم الجغرافيا عند المسلمين ولا يشابهه فيما نعلم أي كتاب آخر صدر عن نفس الموضوع .

وربما كان من الخير لو تضافرت جهود جهة علمية على ترجمته وإخراجه باللغة العربية لتعم فائدته .



نشرنا هذا الموضوع تقديرا للجهـد الذي بذله الكاتب في إعداده ، وإشادة بموقفة في مؤتمر الملك فيصل ، ولعـل المجلة تريد أن يكون موضوعا يقبل المناقشة لعله يمـد المجلة ببحوث عدة في هذا الموضوع — فالمجلة كناشر من خطتها ألا تحرم باحثا سعوديا من نشر بحثه ، وألا تحرم هي من مناقشة هذا البحث .

المجلة

(هذا البحث قدمه المؤلف باللغة الإنجليزية في « مؤتمر الملك فيصل » الذي عقد في مدينة سانتا باربارا في ولاية كاليفورنيا الأمريكية من ١١ إلى ١٣ مايو ١٩٧٨م . والبحث مبني على رسالة الدكتوراه للمؤلف ، وقد سبق للدارة أن أشارت لهذا المؤتمر

"The Muslim World and Its Efforts in Pan-Islamism" (Ph. D. dissertation, University of Southern California, 1978

وسيظهر هذا البحث مع غيره من البحوث التي قدمت في المؤتمر في كتابين ، أحدهما باللغة العربية والآخر باللغة الإنجليزية)



لم يكن هناك عمل من بين كل منجزات الملك فيصل رحمه الله ، سواء كانت تلك المنجزات في الشئون الدولية أو الداخلية ، عملا أو منجزا أقرب إلى قلبه وأعز عليه من منجزاته في التضامن الإسلامي . تلك المنجزات التي تقف كسد شامخ بين جميع أعماله الخالدة . وليس هناك أي شك في أن الملك فيصل هو الزعيم المسلم الوحيد الذي وضع أسس التضامن الإسلامي الحديث وشكل من العالم الإسلامي المعاصر كتلة سياسية لها وزنها في الأمور الدولية .

ويرجع اهتمام الملك فيصل بالتضامن الإسلامي إلى عوامل كثيرة أهمها تربيته الدينية وخلفيات عائلته . فكشاب ذكي ومكافح استطاع فيصل أن يحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب بمجرد بلوغه السن العاشرة من عمره ، ودرس الشريعة الإسلامية السمحاء وتفقه فيها على يد جده الشيخ عبد الله ابن عبد اللطيف آل الشيخ المنحدر من سلالة المصلح الديني الكبير الشيخ محمد بن عبد الوهاب . وبالإضافة إلى ذلك فإن فيصل قضي وقتاً كبيراً من شبابه في مكة المكرمة – المدينة المتعددة الأجناس – حيث لاحظ التطبيق العملي لنظرية الإخاء الإسلامي بين الشعوب . كما أن والده الملك عبد العزيز رحمه الله مؤسس الدولة السعودية الحديثة ، أسس « مؤتمر العالم الإسلامي » بمكة المكرمة في عام ١٩٢٦م . وكذلك أخاه الأكبر الملك سعود رحمه الله أسس في مكة المكرمة مؤتمرا إسلاميا آخر في عام ١٩٥٤م بالتعاون مع رؤساء جمهوريتي مصر وباكستان .

ونجاح الملك فيصل في دعوة التضامن الإسلامي يعود كذلك إلى مركز بلده المرموق في العالمين العربي والإسلامي . فالمملكة العربية السعودية كما هو معروف هي الأرض التي ولد فيها العرب والإسلام وهي تحتوي على مكة

المكرمة والمدينة المنورة أقدس مدينتين في العالم الإسلامي . وعلاوة على ذلك فإن المملكة العربية السعودية هي الدولة الإسلامية الوحيدة في العصر الحديث التي احتفظت بالقرآن الكريم والشريعة الإسلامية الغراء كدستور رسمي للدولة . وعلمها القومي الذي يحمل شعار الإسلام الأول « لا اله لا الله محمد رسول الله » يشير إلى مركزها كالممثل الأول للإسلام بين دول العالم . ومن ناحية أخرى فإن المملكة العربية السعودية هي الدولة الإسلامية التي انبثقت من أرضها الدعوة الدينية الوهابية والتي تعتبر أول دعوة إسلامية إصلاحية في العصر الحديث . ففي حوالي منتصف القرن الثامن عشر الميلادي اطلق الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد (جد الملك فيصل من ناحية والدته) بمساعدة العائلة الحاكمة السعودية (أجداد الملك فيصل من ناحية والده) أطلق دعوة إسلامية إصلاحية تدعوا إلى الرجوع إلى الدين الإسلامي الصحيح والتخلص من عبادة رجال الدين والتبرك بقبورهم . ومازال تأثير هذه الدعوة ظاهراً إلى اليوم في المملكة العربية السعودية . وبالرغم من أن الدعوة « السلفية » لا تعتبر دعوة قومية ، إلا أنها كانت أول تأكيد في العصر الحديث بزعامة العرب في شئون كل المسلمين[١] . وإلى هذه الدعوة وتأثيرها الفكري والثقافي يعود الفضل مباشراً أو غير مباشرا في إنشاء أغلب حركات الإسلام الإصلاحية الحديثة كحركة جمال الدين الأفغاني في التضامن الإسلامي والحركة السنوسيه في ليبيا والحركة البابيه في إيران[٢] .

وبالإضافة إلى هذه المميزات الدينية الكبيرة فإن المملكة العربية السعودية تملك اليوم أكبر احتياطي معروف للزيت في العالم ، وهي الدولة الأولى في الإنتاج في منظمة « أوبيك » العالمية حيث أنها تنتج حوالي ٣٠٪ من إنتاج هذه المنظمة . وهذا الثراء الهائل من الزيت جعل من المملكة العربية السعودية إحدى القوى المالية الكبيرة في العالم المعاصر .

وبالتالي فإن الملك فيصل رحمه الله كان يملك تحت يديه مصادر فلسفية دينية ومالية جبارة لدعم التضامن الإسلامي . فكحاكم لأرض النبي محمد عليه الصلاة والسلام وكحام للحرمين الشريفين فإن الملك فيصل لم يكن يشعر بمسئولية خاصة في توطيد التعاون بين جميع الدول الإسلامية فحسب ، بل كان ينظر إلى « التضامن الإسلامي » كوسيلة لشحذ جهود العالم الإسلامي الكبير خلف النضال العربي ضد إسرائيل . وإضافة إلى ذلك فإن الملك فيصل كان ينظر إلى الدين الإسلامي الحنيف كمضاد فعال وقوي في محاربة الاشتراكية الثورية والأفكار الراد كاليه والتطرف العربي الزائد . وهذا الإدراك العميق بمركز بلده الفريد في العالمين العربي والإسلامي جعل الإسلام وتدعيم الإسلام اهتمامه الأول سواء كان ذلك في الشئون الخارجية أو الداخلية . وتلك النزعة الدينية القوية جعلت الملك فيصل من أكبر معارضي الشيوعية في العالم ، الأمر الذي ازداد تأكيداً بإدراكه لخطورة الشيوعية العالمية على ثروة بلده العظيمة من تجارة الزيت .

ودعوة الملك فيصل إلى التضامن الإسلامي في الستينات حققت نجاحاً سياسياً باهراً وأقنعت الدول الإسلامية لأول مرة في تأريخهم الحديث بالتعاون سوياً وتوطيد جهودهم لأهداف مشتركة وإلى تعزيز مركزهم ككتلة سياسية في منظمة الأمم المتحدة والمنظمات الدولية الأخرى . ولقد استطاعت حركة الملك فيصل في التضامن الإسلامي كذلك إلى خلق منظمات دولية إسلامية كثيرة لتعزيز التعاون بين دول العالم الإسلامي . وهذه المنظمات تشمل « رابطة العالم الإسلامي » بمكة المكرمة و « منظمة المؤتمر الإسلامي » في جدة مع منظماتها المتخصصة « كوكالة الأنباء الإسلامية العالمية » و « البنك الإسلامي للتنمية » و « منظمة الإذاعات الإسلامية » . ونتيجة إلى جهود الملك فيصل الجبارة في دعم هذه المنظمات الإسلامية سياسياً ومادياً

ومعنوياً نمت فكرة « التضامن الإسلامي » من مفهوم سياسي ضعيف حتى أصبحت أكثر المفاهيم الأيدولوجية تطوراً في العالم الإسلامي المعاصر[٣] .

التضامن الإسلامي قبل الملك فيصل :

السؤال الذي يطرح نفسه الآن :

ما هو التضامن الإسلامي ومن بدأه ؟ التضامن الإسلامي يشمل نواحي دينية ونواحي سياسية . فمن الناحية الدينية يعني التضامن الإسلامي التأكيد بتطبيق القرآن الكريم والشريعة الإسلامية في تسيير كل شئون الحياة لكل مسلم وإدارة شئون الدولة الإسلامية . وبالتالي فإن التضامن الإسلامي من وجهة الدينية يعارض فصل الدين عن الدولة وتطبيق القوانين العلمانية في تسيير أمور الدولة الإسلامية . أما من الناحية السياسية فإن التضامن الإسلامي يعني التأكيد من جديد بوحدة العالم الإسلامي السياسية ، ومن ثم فإن الهدف الأول هنا هو توطيد العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بين الدول الإسلامية حتى يتحقق الاتحاد السياسي المنشود بين كل دول العالم الإسلامي[٤] .

بدأت حركة التضامن الإسلامي في الشطر الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي عندما كان العالم الإسلامي يعاني من التأخر الفكري والانحطاط الثقافي والإجتماعي ، والتفكك السياسي الذي نتج عن ظهور القوميات في العالم الإسلامي وبداية الاستعمار الأوربي للأراضي العربية والإسلامية التي كانت تحت الحكم السياسي للدولة العثمانية ، آخر إمبراطورية إسلامية . ولهذا أطلقت حركة التضامن الإسلامي جهودها لإنقاذ العالم الإسلامي من الانهيار والتمزق . وكانت هذه الجهود ممثلة في حركتين . فبينما كانت

الحركة الأولى تجمع بين النواحي السياسية والدينية كانت الحركة الثانية سياسية بحتة .

حركتا جمال الدين الأفغاني والخليفة العثماني عبد الحميد الثاني :

مؤسس وناشر حركة التضامن الإسلامي هو المصلح الكبير جمال الدين الأفغاني (١٨٣٩ – ١٨٩٧م) والذي كانت تشمل حركته أهدافاً سياسية ودينية معاً . فمن الناحية الدينية كانت حركة جمال الدين الأفغاني للتضامن الإسلامي تحث جميع المسلمين على الاعتصام بالدين الإسلامي الحنيف وتجديد الولاء لمبادئه الكريمة ، وتحث كذلك على تطوير وتحديث التعليم في المجتمع الإسلامي وتحسين المستوى الفكري والثقافي للعالم الإسلامي . أما من الناحية السياسية فإن جمال الدين الأفغاني نادى بالتضامن بين جميع أجزاء العالم الإسلامي كله بما فيها الأقطار التي لم تكن تحت الدولة العثمانية . وحث كذلك جميع المسلمين على المقاومة السياسية والعسكرية ضد الاستعمار الغربي للأراضي الإسلامية . وبالرغم من أن جمال الدين الأفغاني لم يوفق في ندائه بتوحيد العالم الإسلامي سياسياً إلا أن حملاته السياسية والدينية التي أدت به إلى زيارات عديدة لأجزاء متفرقة في العـــالم الإسلامي قد ساعدت على تحريك الشعور القومي لدي المسلمين وأدت إلى ظهور أحمد عرابي في مصر وإلى الثورة الفارسية . وتأثير جمال الدين الأفغاني وحركته في التضامن الإسلامي كان واضحاً على أغلب الحركات الإسلامية الإصلاحية اللاحقة التي جمعت بين التخطيطات السياسية والدينية في برامجها كحركة الإخوان المسلمين في مصر [٥] .

أما حركة التضامن الإسلامي الثانية في القرن التاسع عشر الميلادي فقد بدأها وقاد لواءها الخليفة العثماني السلطان عبد الحميد الثاني – الذي حكم من ١٨٧٦م إلى ١٩٠٨م – كرد على الحركات الأوروبية الوحدوية في عصره كحركة « التضامن الألماني » وحركة « التضامن السلافي » . وكان هدف السلطان عبد الحميد الثاني من حركته في التضامن الإسلامي هو شحذ جهود جميع المسلمين في كل أنحاء العالم لدعم الدولة العثمانية المتفككه ولمساندتها بالأحلاف السياسية الإسلامية التي كانت تحتاجها لمجابهة الهجمات السياسية والعسكرية من قبل الدول الاستعمارية الأوروبية كبريطانيا وفرنسا[٦] إلا أن السلطان عبد الحميد الثاني استخدم « التضامن الإسلامي » كسلاح سياسي لمحاربة القومية العربية الناشئة في ذلك الوقت . ولهذا فإن حركته للتضامن الإسلامي أخفقت في تحقيق أهدافها ليس فقط لأسباب القوة العسكرية الأوروبية المتفرقة بل لأنه كذلك استغل حركة التضامن الإسلامي وجعلها وسيلة للحصول على أغراض تركية عسكرية وسياسية بحتة[٧] .

وفي عام ١٩٠٨م واجهت حركة التضامن الإسلامي نكسة كبيرة حينما قام انقلاب عسكري ضد السلطان عبد الحميد الثاني كانت نتائجه فصل الدين عن الدولة وتعزيز القومية التركية على حساب التقاليد والتراث الإسلامي . واستمر هذا النظام الجديد للحكم في أسطنبول بقمع حركة القومية العربية بأشد مما كان عليه السلطان عبد الحميد الثاني نفسه . ولم يكن الغرض من وراء هذا القمع لتحقيق أهداف التضامن الإسلامي العام كما كان متطلباً ، بل كان لخدمة المصالح التركية القومية فقط .

وبالإضافة إلى هذه النكسات التي واجهت حركة التضامن الإسلامي

فإن أحلام مؤيدي هذه الحركة تحطمت على صخرة الواقع الدولي الجديد التي بزغت خلال الحرب العالمية الأولى . ففي عام ١٩١٤م نادي الخليفة العثماني ــ الذي كان بجانب المانيا خلال تلك الحرب ــ نادي جميع المسلمين في كل أنحاء العالم بما فيهم العرب بالتساند معه في شن حرب جهاد ضد الكفرة الروس والإنجليز والفرنسيين . إلا أن هذا النداء من الحاكم العثماني ذهب أدراج الرياح ولم يجد من يؤيده من مسلمي آسيا وأفريقيا بل إن العرب في الواقع ساندوا الجيوش البريطانية المسيحية ضد تركيا المسلمة . وكان ذلك سعياً وراء استقلالهم السياسي من الحكم التركي الإرهابي وكذلك لو عود بريطانيا لهم بالاستقلال بعد الحرب .

وآخر هذه النكسات التي تتالت على حركة التضامن الإسلامي والتي كانت بمثابة ضربة الموت للحركة جاءت بعد الحرب العالمية الأولى ، تلك الحرب التي انتهت ليس فقط بتدمير آخر إمبراطورية إسلامية بل بسقوط العالم العربي تحت وطأة الاستعمار الغربي . ففي عام ١٩٢٤م قام الزعيم الثوري التركي « مصطفى كمال أتاتورك » بإلغاء منصب « الخلافة الإسلامية » رسمياً . وبإلغاء منصب الخلافة دمر مصطفى كمال القواعد الأساسية الأيديولوجية لفكرة التضامن الإسلامي . وبالرغم من أن العالم الإسلامي ناشد مصطفي كمال بأن ينصب نفسه خليفة لجميع المسلمين إلا أنه رفض المنصب وأعلن أن « الخلافة الإسلامية » قد تدهورت وأصبحت لاتتفق مع مطالب العصر الجديدة . وأضاف أن الدول الإسلامية يجب عليها أولاً أن تستقل من سيطرة الاستعمار الأوربي وبعدها يمكن للعالم الإسلامي أن يكون منظمة سياسية إسلامية عالمية تجمع كل دول العالم الإسلامي ويكون رئيسها بمثابة خليفة لجميع المسلمين (٨) .

وكان رد فعل العالم الإسلامي لإلغاء مصطفى كمال منصب الخلافة الإسلامية أن تجمع في القاهرة في شهر مايو ١٩٢٦م عدد كبير من كبار رجال الدين من جميع أنحاء العالم الإسلامي في مؤتمر سمي « مؤتمر الخلافة » لدراسة ما يمكن عمله لإنقاذ الخلافة الإسلامية من الاندثار . بيد أن هذا المؤتمر الذي استمر سبعة أيام فشل في الوصول إلى حل حين أعلن أن الخلافة الإسلامية لا يمكن إحياؤها في ذلك الوقت بسبب الظروف الصعبة التي يمر بها العالم الإسلامي من فوضى وتفكك سياسي واستعمار أوربي يتناهش أطرافه(٩) .

وبإلغاء منصب الخلافة الإسلامية وفصل الدين عن الدولة في تركيا وتطور القومية العربية االمنغمسة في نفسها تغير مفهوم التضامن الإسلامي تغيراً جذرياً ليس فقط من الوجهة السياسية فحسب بل كذلك من الوجة الفلسفية . فبعد انهيار الدولة العثمانية كانت الفوضى والتفكك يعمان العالم الإسلامي حيث أن معظم أجزائه كانت تحت الاستعمار والنفوذ الغربي ، وكانت كل دولة إسلامية منغمسة في مشاكلها الداخلية حيث أن الشغل الشاغل لكل دولة إسلامية كان هو القيام بحركة وطنية سياسية وعسكرية للحصول على الاستقلال من السيطرة الأجنبية . وهذا الانغماس في محاربة الاستعمار الذي اصطحبه بروز وتطور حركة قومية في كل بلد إسلامي جعل « التضامن الإسلامي » وفكرته بعيد المنال وعسيرا .

وبالتالي فإن جميع المحاولات لإحياء حركة التضامن الإسلامي أو التعبير بطريقة أو بأخرى عن وحدة العالم الإسلامي سواء على المستوى السياسي أو على المستويات الأخرى لم ينلها غير الفشل . وأصبحت وحدة العالم الإسلامي حلما يراود البعض . وهكذا فإن فكرة التضامن الإسلامي

بقيت في الذهون تعبر عن الإحساس بالتماسك بين دول العالم الإسلامي بدل أن تكون هي التماسك نفسه أو أي تعبير سياسي أو مؤسسي عنه . وباختصار فان حركة الوحدة الإسلامية خسرت المعركة أمام ظهور القوميات التي اجتازت كل أجزاء العالم الإسلامي في ذلك الوقت .

مؤتمر العالم الإسلامي :

بعد انيهار الإمبراطورية العثمانية انتعشت حركة التضامن الإسلامي مرة أخرى ، ولكنها كانت حركة مشتتة وأظهرت أملاً ضعيفاً في تحقيق قوة أو تنظيم سياسى موحد واسع . إذ اهتمت الحركة بصورة عامة بالإحياء الدينى والثقافي للمجتمع الإسلامي . وأستمرت مساعيها من أجل إظهار وحدة المسلمين على المستوى الشعبي عن تشكيل « مؤتمر العالم الإسلامي » ، وهو تشكيل غير حكومي .

وقد تأسس مؤتمر العالم الإسلامي على يد الملك عبد العزيز آل سعود بمكة المكرمة حين عقد أول مؤتمر إسلامي عالمي في يونيو – يوليو ١٩٢٦م وكان غرض الملك عبد العزيز من عقد هذا المؤتمر رعاية مصالح حجاج بيت الله الحرام واستشارة العالم الإسلامي في الوصول إلى أفضل الطرق لحماية الأماكن المقدسة في الحجاز . ومنذ تأسيس « مؤتمر العالم الإسلامي » – الذي اتخذ مقره الدائم في كراتشي منذ فبراير ١٩٤٩م – وحتى سبتمبر ١٩٦٧م عقدت سبعة مؤتمرات[١٠] في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي لمناقشة قضايا مختلفة لا تتعلق بالوحدة السياسية . فكل مؤتمر كان يعقد بصورة مستقلة ولا يحضره أي ممثل رسمي فيما عدا الدولة المضيفة

وحيت أن مؤتمر العالم الإسلامي كان تشكيلاً غير حكومي ، لم يكتب

له أن يلعب دوراً فعالاً في تطوير حركة التضامن الإسلامي إلا أنه ظل حتى دعوة الملك فيصل للتضامن الإسلامي ، التعبير الوحيد عن تلك الحركة . وقد باءت جميع المحاولات لرفعه إلى المستوى الحكومي أو إبداله بمنظمة أكثر نشاطاً ، باءت بالفشل .

ففي الخمسينات عندما حصلت معظم الدول الإسلامية على استقلالها من قوى الاستعمار الأوربي ، حاولت باكستان تشكيل كتلة سياسية من الدول الإسلامية ، ولكنها لم تنجح حتى في عقد مؤتمر حكومي . وفي عام ١٩٥٤م استضافت باكستان مؤتمرا اقتصاديا إسلاميا دوليا ، ولكن لم ينتج عن المؤتمر أي تشكيل دائم أو بديل . كما قامت باكستان كذلك في ديسمبر ١٩٥٧م – يناير ١٩٥٨م باستضافة مؤتمر إسلامي دولي ثان . ولكنه ايضاً لم يحقق نتائج مثمرة بسبب التنافس بين الدول الإسلامية المشتركة خاصة بين سوريا ومصر واللتان حاولتا منع باكستان من جني أية منفعة سياسية من وراء المؤتمر (١١) .

وقد ساد الاعتقاد لفترة في الخمسينات أن « مؤتمر العالم الإسلامي » يمكن استبداله بتنظيم عملي آخر ، ولكن هذا الأمل لم يدم طويلاً . ففي خلال فترة الحج بمكة المكرمة في عام ١٩٥٤م ، قام الملك سعود بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية والرئيس المصري جمال عبد الناصر والحاكم العام لباكستان محمد غلام ، قاموا بتنظيم مؤتمر إسلامي حكومي يكون مركزه القاهرة ، وتولى أنور السادات ، الرئيس المصري الحالي منصب الأمين العام . وقد أعد المؤتمر ليكون هيئة غير سياسية ، تعقد جلستها السنوية في مكة المكرمة خلال فترة الحج (١٢) غير أن الخلافات السياسية بين المملكة العربية السعودية ومصر ، والمحاولات الواضحة التي قامت بها مصر

وباكستان للسيطرة على سياسات المؤتمر واستغلاله لتحقيق أهداف وطنية ، إلى جانب تنافسهما على الزعامة الفكرية للعالم الإسلامي ، لم يتمكن المؤتمر من تحقيق أي تقدم وتوقف نشاطه عندما انسحبت كل من المملكة العربية السعودية وباكستان منه . إلا أن المؤتمر استمر قائماً في القاهرة لسنوات قليلة بعد ذلك .

طريق الملك فيصل إلى التضامن الإسلامي :

إن إخلاص الملك فيصل للتضامن الإسلامي له جذور في الصراع من أجل وحدة العرب والتنافس المصري السعودي على زعامة العالم العربي . فقد عكست التيارات السياسية العربية خلال أواخر الخمسينات وفي الستينات الثورة الأيديولوجية التي كان يجتازها العالم العربي بين القوى الرادكالية والاشتراكية الثورية من جهة والقوى المحافظة والإسلامية من جهة أخرى . واتسم هذا الصراع العربي بصورة خاصة بالحرب النفسية والدعاية السياسية بين الكتلتين ، ومما تجدر ملاحظته بالنسبة للتطور التاريخي لحركة الملك فيصل للتضامن الإسلامي مرحلتان لهذا الصراع العربي الداخلي : « الحرب العربيةالباردة » التي أسفرت عن تأسيس « رابطة العالم الإسلامي » في مكة المكرمة و « الحرب العربية الساخنة » التي أنتجت دعوة الملك فيصل للتضامن الإسلامي .

المرحلة الأولى : الحرب العربية الباردة :

بعد تأميم قناة السويس في عام ١٩٥٦م والعدوان الثلاثي على مصر ،

أصبح جمال عبد الناصر بطل القومية العربية بلا منازع . وفي أقل من عام ونصف بعد أزمة السويس إتّحدت مصر وسوريا وشكلتا الجمهورية العربية المتحدة تحت زعامة عبد الناصر . وبتأسيس الجمهورية العربية المتحدة ، اكتسبت فكرة القومية العربية والاشتراكية الثورية لحركة الوحدة العربية دلالة جديدة . وتوقع القوميون العرب الثوريون أن تثور الشعوب العربية الأخرى ضد قادتها وتطالب بالانضمام إلى الجمهورية العربية المتحدة . وسرعان ما انغمرت لبنان في حرب أهلية دامية بين مؤيدين ومناهضين للجمهورية العربية المتحدة .

وقد أسرع الإمام أحمد ، إمام اليمن ، بضم دولته إلى الجمهورية العربية المتحدة لتشكيل اتحاد دعي « الدول العربية المتحدة . كما أن المملكتين الهاشميتين ، العراق والأردن ، شكلتا اتحادا بينهما ، إلا أن هذا الاتحاد انتهى بعد فترة قصيرة عندما قامت مجموعة من الضباط برئاسة عبد الكريم قاسم بإطاحة النظام الملكي في بغداد . واتضح بعد ذلك أن عبد الكريم قاسم كانت له خططه الخاصة ورفض الانضمام إلى الجمهورية العربية المتحدة .

وبينما قررت الأنظمة العربية الأخرى حماية نفسها بتشكيل اتحادات ، سعت المملكة العربية السعودية إلى فضّ الوحدة بين مصر وسوريا .

وفي سبتمبر ١٩٦١م قامت مجموعة من الضباط في الجيش السوري والّتي كانت مستاءة من التخطيطات الاشتراكية الّتي قام بها عبد الناصر ، قامت بفض الوحدة مع مصر .

رابطة العالم الإسلامي :

تنازل الملك سعود لأخيه الأصغر الأمير فيصل ولي العهد ليصبح نائب رئيس مجلس الوزراء في مارس ١٩٦٢ وفي نهاية ذلك العام تولى فيصل السلطة الكاملة على الحكومة حتى نوفمبر ١٩٦٤م عندما نودي به ملكاً على البلاد بدلاً عن سعود الذي اضطر في النهاية إلى التنازل عن العرش .

ولمناهضة الاشتراكية الثورية والراديكالية ، كان على الملك فيصل الاتجاه إلى الإسلام كأيديولوجية معارضة . ففي مايو ١٩٦٢ م دعت حكومة المملكة العربية السعودية مؤتمراً إسلامياً دولياً في مكة المكرمة لإيجاد طرق للدفاع عن الدين الإسلامي الحنيف ولمحاربة العلمانية والراديكالية في العالمين العربي والإسلامي . وقد حضر المؤتمر كبار المسئولين المسلمين والشخصيات المعروفة من جميع أنحاء العالم الإسلامي . وكانتقاد للقومية العربية الراديكالية ، صرح المؤتمر أن أولئك الذين يتنكرون للإسلام ويشوهون مبادئه الكريمة تحت ستار القومية إنما هم في الواقع ألد أعداء العرب الذين اختلط مجدهم بمجد الإسلام العظيم(١٣) . وبعد أربعة أيام من المداولات ، شكل المؤتمر منظمة إسلامية عالمية دعيت « رابطة العالم الإسلامي » ، ويكون مقرها الدائم في مكة المكرمة .

ورابطة العالم الإسلامي ليست منظمة حكومية أو سياسية ، بل إنها منظمة دينية تهدف من بين ما تهدف إلى نشر القيم والتعاليم الإسلامية الكريمة والقضاء على جميع الأيديولوجيات والعادات التي تتعارض مع الدين الإسلامي وبالرغم من أن رابطة العالم الإسلامي تمتعت بالدعم المادي والمعنوي للملك فيصل رحمه الله ، إلا أنها ظلت مستقلة عن الحكومة السعودية

كمنظمة دينية غير طائفيه أو حزبية ، وتعتمد في جميع قراراتها على مجلسها التأسيسي الذي يتكون من خمسين عضواً من رجال الدين المسلمين العرب وغير العرب والذين يمثلون الحركات الإسلامية في بلادهم[١٤] .

وبالرغم من أن رابطة العالم الإسلامي قد شُكلت كمنظمة دينية ، إلا أنها اهتمت دائماً وأبداً بمسائل المسلمين السياسية مثل المشكلة الفلسطينية ومسلمي الفلبين ، والقبارصة الأتراك وكشمير وإريتريا ، ودعت جميع الدول الإسلامية إلى دعم حقوقهم في تقرير مصيرهم . وإضافة إلى ذلك ، أخذت رابطة العالم الإسلامي على عاتقها مهمة تنسيق مساعي المنظمات الإسلامية في العالم . حيث أنه من وقت لآخر تدعو رابطة العالم الإسلامي إلى عقد مؤتمر عام لتلك المنظمات لمناقشة الإجراءات اللازمة المختلفة للدفاع عن الدعاية للإسلام وحماية العالم الإسلامي من الأيديولوجيات الراديكالية الدخيلة . وقد كان المؤتمر الثاني لهذه المنظمات الإسلامية ، الذي افتتحه الملك فيصل في مقر رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة في عام ١٩٧٤م ، كان من أكبر التجمعات الإسلامية في العصر الحديث . فلقد حضر المؤتمر ١٤٠ منظمة ومؤسسة إسلامية من جميع أنحاء العالم . ولمضاعفة الجهود واجتناب التكرار ، أنشأ المؤتمر هيئة دائمة داخل أمانة الرابطة دعيت «لجنة التنسيق العليا للمنظمات الإسلامية العالمية» والتي تألفت من ثلاثة ممثلين من آسيا وثلاثة من أفريقيا وواحد من كل من أوربا وأمريكا الشمالية وأمريكا اللاتينية واستراليا وواحد من كل منظمة[١٥] .

وباستخدام تسهيلات رابطة العالم الإسلامي ، اعتاد الملك فيصل أن يلقي خطاباً سنوياً في مكة المكرمة خلال فترة الحج للدعوة إلى نصرة العقيدة الإسلامية السمحاء وتجديد الولاء لها وتحذير العرب والمسلمين من

الأيديولوجيات الدخيلة على العالم الإسلامي . وفي إحدى هذه المناسبات صرح الملك فيصل للوفود الإسلامية الحاضرة « إخواني ، لا أود أن أتكلم بالتفصيل عن التيارات المختلفة والأفكار الهدامة التي حلت بالإسلام والمسلمين هذه الأيام ، أو عن بعض المبادىء التي تتعارض مع تعاليم رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم . والذي يزيد الموقف خطورة أننا نجد بيننا مسلمين يتبنون هذه المبادىء ويحاولون نشرها واستخدامها للسيطرة على الشعوب الإسلامية »(١٦) . .

وبدعم الملك فيصل ، أصبحت رابطة العالم الإسلامي من أكثر المنظمات الإسلامية نشاطاً وفعالية ، وأصبح لها فروع في جميع أنحاء العالم . وقد حققت مكانة دولية كعضو في الهيئات الغير حكومية في منظمة الأمم المتحدة وأصبحت مصدر قوة وإلهام للمسلمين في كل مكان عن طريق بعثاتها ودعمها المالي للقضايا الإسلامية والمراكز الإسلامية حول العالم ، والندوات الدولية السنوية في مكة المكرمة خلال فترة الحج ، والمنشورات والدوريات المختلفة التي تصدر باللغتين العربية والإنجليزية(١٧) .

ولكن رابطة العالم الإسلامي قد عالجت مجالاً واحداً فقط من مجالات التضامن الإسلامي وهو الحرب ضد العلمانية والاشتراكية والراديكالية . أما المجال الآخر للتضامن الإسلامي — وهو تعزيز الوحدة السياسية بين الدول الإسلامية وتشكيل منظمة سياسية إسلامية عالمية — فقد ترك لمساعي الملك فيصل الأخرى ، والتي نبعت أيضاً من التيارات العربية السياسية .

المرحلة الثانية : الحروب العربية الساخنة :

لم يمض وقت طويل على تأسيس رابطة العالم الإسلامي حتى ظهرت أزمة عربية أخرى . ففي سبتمبر ١٩٦٢م توفي الإمام أحمد ، إمام اليمن ، وخلفه ابنه الإمام محمد البدر . وبعد أسبوع قامت مجموعة من ضباط الجيش اليمني بقيادة عبد الله السلال بالسيطرة على الحكومة واستولت على محطة الإذاعة في صنعاء وأعلنت أن الإمام الجديد قد أعدم .واعترفت مصر وجميع الدول العربية الأخرى ، ماعدا المملكة العربية السعودية والأردن ، بالنظام الجديد في اليمن . ولكن ، وبعد ذلك بفترة قصيرة اتضح أن الأمام البدر لم يعدم ، ولكنه كان يعمل بنشاط على تنظيم الدعم القبلي للإعداد بانقلاب مضاد .

وقد شهد عام١٩٦٣م انتصارا حيث استولى حزب البعث على السلطة في كل من العراق وسوريا ، الأمر الذي أثار التكهنات حول قيام جمهورية عربية متحدة أكبر من سابقتها . ونتيجة لذلك ، شعرت المملكة العربية السعودية والأردن بأنهما مهددتان ومحاطتان بأنظمة ثورية .

وكانت محادثات الوحدة العربية الجديدة في القاهرة غير حاسمة لأنه بالرغم من أن عبد الناصر رحب بالإطاحة بعبد الكريم قاسم و« الانفصاليين » في سوريا ، إلا أنه لم يكن راغباً في العمل مع البعثيين [١٨] .

وبالرغم من أنه كانت هناك محاولات عربية ودولية عديدة للتوصل إلى حل للصراع في اليمن ، إلا أن جميعها باءت بالفشل . ففي أوائل عام ١٩٦٤م عقد اجتماع القمة العربي الأول في القاهرة لبحث طرق لمنع إسرائيل من تحويل مجرى نهر الأردن . وانتهزت المملكة العربية السعودية هذه

الفرصة لاقتراح حل عربي للصراع في اليمن وصيغة لانسحاب القوات المصرية منها . ولكن المؤتمر فشل في إيجاد حل لأزمة اليمن . وفي مؤتمر القمة العربي الثاني الذي عقد في الإسكندرية في أواخر العام ذاته ، نجح الملك فيصل في الحصول على موافقة عبد الناصر على جمع الملكيين والجمهوريين اليمنيين في مدينة أركويت بالسودان . ولكن مؤتمر أركويت فشل أيضاً في إيجاد تسوية . ومع ذلك استمر الملك فيصل رحمه الله في مساعيه لإيجاد حل للنزاع على أرض اليمن .

ففي أغسطس ١٩٦٥م ، استضاف فيصل عبد الناصر في جدة واتفق الرئيسان على صيغة جديدة لإنهاء الحرب الأهلية اليمنية . وكنتيجة لاتفاقية جدة ، تقابل الجمهوريون والملكيون اليمنيون مرة أخرى ولكن في مدينة حرف باليمن . بيدأن مؤتمر حرض ، كغيره من المبادرات السابقة للسلام ، لم يسفر عن شيء . فقد كانت هناك خلافات عميقة لا يمكن حلها بين الملكيين والجمهوريين أنفسهم . وبالإضافة إلى ذلك ، كانت اليمن تمثل مسرح النفوذ في العالم العربي بين القوى الثورية بقيادة الرئيس عبد الناصر والقوى المحافظة بقيادة الملك فيصل(١٩) .

دعوة الملك فيصل للتضامن الإسلامي :

إن استياء الملك فيصل من عدم قدرته على إيجاد حل لمشكلة اليمن ، إلى جانب ارتفاع مد النفوذ السوفيتي والراديكالية في العالم العربي ، دفعاه إلى تبني استراتيجية مضادة على شكل دعوة للتضامن الإسلامي . وقد أدرك الملك فيصل أن رابطة العالم الإسلامي ، بالرغم من نجاحها الكبير في مجال الإصلاح الإسلامي ، لم تكن إلا مجرد منظمة دينية وإن عليه إكمال دائرة التضامن الإسلامي بالسعي للحصول على التعاون الحكومي بين الدول

الإسلاميه ، ليس فقط لجمع الشعوب الإسلامية معاً للمصلحة المشتركة ، بل وللحد من انتشار الراديكاليه في العالمين العربي والإسلامي .

وقد أخذت مبادرة الملك فيصل للتضامن الإسلامي شكل خطاب سياسي أشار فيه إلى استراتيجيته الجديدة . ففي المؤتمر الإسلامي الدولي الذي عقد في مكة المكرمة في مقر رابطة العالم الإسلامي بعد حج ١٩٦٥م ، صرح الملك فيصل للوفود الحاضرة : « إخواني ، في هذا اليوم الفضيل والذي نأمل أن يكون بمشيئة الله وقدرته بداية عصر جديد لإحياء العالم الإسلامي أود أن أناقش سياسة المملكة العربية السعودية . نحن يد واحدة مع إخواننا المسلمين في جميع أنحاء العالم . ونحاول كل جهدنا أن نوحدهم ونجمعهم سوياً ونخلصهم من جميع العقبات التي تقف في طريق وحدتهم . ونحن نساند الدعوة إلى عقد مؤتمر قمة إسلامي[٢٠] لكي تستطيع كل الدول الإسلامية أن تفحص وتناقش جميع الأمور التي تعود بالخير على الأمة الإسلامية »[٢١] .

ولتأكيد أهمية دعوته للتضامن الإسلامي ، بدأ الملك فيصل سلسلة من الزيارات للدول الإسلامية حيث ناشد بالوحدة الإسلامية . ففي الفترة الواقعة بين ديسمبر ١٩٦٥م وسبتمبر ١٩٦٦م ، قام الملك فيصل بزيارة تسع دول مسلمة في كل من آسيا وأفريقيا لتعزيز التحالف الإسلامي . وبالرغم من أن الملك فيصل أعرب عن عزمه على ضم الأنظمة العربية الثورية مثل مصر وسوريا والعراق والجزائر في التكتل الإسلامي المنشود ، إلا أن زياراته اقتصرت على الدول الإسلامية المحافظة . فباستثناء مالي وغينيا ، اجمعت الدول الإسلامية التي زارها الملك فيصل ، بشكل أو بآخر ، على رفض الراديكالية .

وقد بدأ الفيصل بزيارة امتدت أسبوعاً واحداً لإيران ، وبعد شهر قضى أسبوعاً آخراً مع حسين في الأردن ، ثم زار السودان والباكستان وتركيا والمغرب وغينيا ومالي وتونس[٢٢] وخلال زيارته للباكستان ، تحدث فيصل عن الإسلام كرابطة موحدة لجميع المسلمين ودعا للتعاون بين الدول الإسلامية لمواجهة التحدي الذي فرضته الأيديولوجيات الراديكالية الدخيلة : « . . . فإننا في هذه اللحظات يافخامة الرئيس التي يتعرض الإسلام فيها إلى كثير من الهزات وكثير من التيارات التي تتجاذب المسلمين يمينا وشمالا وغربا وشرقا لأحوج ما نكون إلى الارتباط والتعاون والتكاتف في مواجهة كل المشاكل أو الصعوبات التي تعترض طريقنا كأمة مسلمة توحد الله وتؤمن بالشريعة الإسلامية وتؤمن بمحمد صلوات الله وسلامه عليه »[٢٣] .

وقد قوبلت دعوة الملك فيصل للتضامن الإسلامي بالترحيب في جميع الدول التي زارها ، حيث أنه أعتبر ممثلاً للإسلام وخادماً للحرمين الشريفين . وحتى قبل نهاية جولة الملك فيصل ، أظهرت دعوته بعض النتائج الإيجابية . فلقد كانت الصومال أول دولة إسلامية تتبع دعوته بالرغم من أنه لم يزرها . ففي أغسطس ١٩٦٦م قام الرئيس الصومالي آدن عبد الله عثمان بزيارة الملك فيصل في الرياض وكرر دعوته السابقة لعقد مؤتمر قمة إسلامي والتي سانده الملك فيصل فيها . ولكن ، حيث أن الزعماء المسلمين الآخرين لم يتبعوا دعوة الفيصل وعثمان ، لم يتم تحقيق أي شيء في مجال التضامن السياسي الإسلامي . وقد حصلت دعوة الملك فيصل للتضامن الإسلامي على دعم أكبر بعد عامين عندما قام شاه إيران محمد رضا بهلوي بزيارة رسمية للمملكة العربية السعودية[٢٤] ولكن لم يكن هناك أي تجاوب مباشر من بقية العالم الإسلامي لنداء الملك فيصل وشاه إيران للتضامن الإسلامي

وبالرغم من أن ثلاثة قادة مسلمين آخرين وهم الملك الحسن الثاني ملك المغرب والملك حسين عاهل الأردن والرئيس أيوب خان رئيس الباكستان قد أيديوا دعوة الملك فيصل للتضامن الإسلامي ، إلا أنه لم يجد جديد على الأمر بعد .

أما بعض الدول الثورية فقد رأت في دعوة الملك فيصل للتضامن الإسلامي تهديداً للقومية العربية ومحاولة لتشكيل حلف دفاعي إقليمي — كحلف بغداد المركزي القديم وسياسة الرئيس دوايت إيزنهاور في المنطقة العربية — لتنظيم الشرق الأوسط في حلف موال للغرب .

وفي رد الملك فيصل على خطاب الرئيس أيوب خان الترحيبي في مطار كراتشي في إبريل ١٩٦٦م ، انتهز الفيصل الفرصة لتبرئة نفسه ودعوته للتضامن الإسلامي حين قال « لقد وصفنا ، ويؤسفني أن أقول إننا وصفنا ، من بعض من ينتمون إلى الاسلام بأننا نحاول إيجاد أحلاف أو ارتباطات أو علاقات مع غير المسلمين أو مع الدول التي هي ليست ذات ارتباط وثيق بنا ، ماعدا الارتباطات الدولية المعروفة . فإنني أؤكد في هذا الموقف أننا لانستهدف في ما نسعى إليه أي غرض أو مطمع سوى غرض واحد وهو نصرة الإسلام ونصرة دين الله والتقاء المسلمين وتفاهمهم به وتعاونهم فيما بينهم وفيما يصلح لدينهم ودنياهم »[٢٥] .

ومن ناحية أخرى ، اتهمت سوريا الملك فيصل بالرجعية وأن دعوته للتضامن الإسلامي غير مخلصة ، بل أعدت كحملة مضادة على القوميين العرب من أجل تحقيق أهداف شخصية بحتة . ولمواجهة التحالف الإسلامي الذي دعا إليه الملك فيصل ، دعت سوريا لعقد مؤتمر طارىء في دمشق تحضره الدول العربية الثورية . ولكن حيث أن هذه الدعوة كانت تمثل

محاولة من إحدى المحاولات السورية العديدة لسلب زعامة المعسكر الثوري العربي من مصر . لم يتحقق قيام المؤتمر[٢٦] . ولقد دافع الملك فيصل عن نفسه ضد هذه الاتهامات التي وجهتها إليه سوريا خلال زيارته لتركيا في أغسطس ١٩٦٦م عندما قال « فإذا كان لسوء الحظ أننا في دعوتنا لإخواننا المسلمين أن يتقاربوا وأن يتفاهموا وأن يتعانوا ، قد أساء البعض فهم هذا المقصود فإنني أؤكد في هذه المناسبة أننا لانقصد من وراء ذلك مكاسب شخصية ولا مطامع ولاغايات ، وإنما كل مانريده أن تكون هناك راوبط أخوية متينه بين الشعوب الإسلامية ليتفاهموا في ما بينهم ويتعانوا في مابينهم ويحلوا مشاكلهم في ما بينهم ويبنوا مستقبلهم على أساس راسخ متين »[٢٧] .

ولقد شرح الملك فيصل موقفه عدة مرات بأنه لم يعمل على تشكيل حلف أو حملة مضادة للقومية العربية ، مصرحاً في مناسبات كثيرة أنه لا يعارض الوحدة العربية بل في الواقع يعتبرها خطوة أولى وضرورية نحو الوحدة الإسلامية الكبرى . وحيث أن العروبة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالدين الإسلامي ، وأن القومية العربية ليست إلاظاهرة قومية إسلامية[٣٨] . فقد دعم وأكد الملك فيصل العناصر الدينية والتقليدية للعروبة ، وعارض بشدة العناصر الراديكالية والعلمانية والثورية للحركة العربية والتي كانت تديرها أنظمة الحكم اليسارية في العالم العربي . كما أعلن الملك فيصل حركة التضامن الإسلامي ، وعرف مفهومه للتضامن الإسلامي بأنه امتداد لاجتماعات القمة العربية لبقية العالم الإسلامي .

ولم يكتف الملك فيصل بالدفاع عن دعوته بقوله «... فحينما ندعوا إلى تقارب المسلمين وإلى تضامن المسلمين وإلى تعاون المسلمين لانستهدف من

وراء ذلك نوايا سيئة تجاه الغير ، أو أن نكون مصدر خطر وعدوان أو اضطراب بالنسبة للآخرين ، وإننا نعتقد بأن المسلمين إذا حققوا مبدأ الإخاء والتعاون والتقدم فإن نفع ذلك سوف لا ينحصر في المسلمين فقط ولكنه سيمتد كذلك إلى غيرهم من الأمم »[٢٩] ، بل أخذ موقفاً هجومياً عندما قال « . . . الذي نستغربه ، ولا يمكن أن يهضم ، أن تكون هناك بعض العناصر المسلمة ، أو التي تدعي أنها مسلمة ، حرباً عليكم أو علينا وأن تقف في سبيل نشر الإسلام وفي سبيل تحكيم كتاب الله وسنة رسوله وأن تساعد على دخول بعض المذاهب أو بعض العقائد أو على نشر بعض الاتجاهات التي تتعارض مع الدين الإسلامي والشريعة الإسلامية في ربوع إسلامية وأحياء إسلامية . هذا هو المستغرب ، وأما محاربة أعداء الإسلام فنحن مستعدون للتصدي لها والوقوف في وجهها والكفاح ، وكما كافحنا سابقاً سنكافح اليوم وما بعد اليوم »[٣٠] .

وبالإضافة إلى أعدائه المحليين — الراديكالين العرب — فإن الملك فيصل قد واجه في دعوته إلى التضامن الإسلامي ثلاثة أعداء أجانب وهم : الصيهونية والشيوعية والاستعمار . وأظهر الملك فيصل أن هؤلاء الأعداء الثلاثة أهم ألدأعداء العالمين العربي والإسلامي ، وأكد أهمية المسؤلية والقيادة العربيتين بالنسبة لدعوة التضامن الإسلامي ضدهم . ففي خلال زيارته للسودان في مارس ١٩٦٦م ، قال الملك فيصل « ولن نجهل القوى التي تعارض ما نقدم به اليوم إذ هي قوى استعمارية وقوى يهودية وصيهونية وقوى شيوعية . أما القوى الاستعمارية فهي تكافح الدعوة اللإسلام لأنها تعلم أن الإسلام دين الإخاء ، دين السلام ، دين المحبة ، دين المساواة ، دين الحرية ، وهي في مطامعها الاستعمارية تريد أن تتغلب على الشعوب وأن

تحكمها بشتى الطرق . أما القوى الصهيونية فهي تعلم أن تضامن المسلمين فيما بينهم يحول بين الصهيونية العالمية ومطامعها الشريرة في بلاد الإسلام بلاد العرب بلاد الأنبياء ، أولى القبلتين . . . أما القوى الشيوعية فهي تناهض هذه الدعوة لأن هذه الدعوة تقوض أركان الإلحاد وأركان ما بني عليه المذهب الشيوعي من إنكار لله سبحانه وتعالى والحط من قيمة البشر كبشر وبإنسانية الإنسان وكذلك فهي تخشى أن تصل هذه الدعوة إلى مناطق بسطت الشيوعية نفوذها عليها وهي مناطق إسلامية صرفة ولكن الشيوعية حجبت بين هذه المناطق وبين أخواتها في المعمورة وتريد أن تكتم أنفاسهم لئلا يصل إليها صوت الحق »[٣١] .

وهكذا نجد أن الملك فيصل طرح ثلاثة أوجه رئيسية لنظريته في التضامن الإسلامي . فالوجه الأول هو رسالة تبشيرية إسلامية ذات ميزة خاصة والتي عرّفها الملك فيصل بأنها مسؤليتنا الخاصة منذ الصغر نابعة من الإيمان الذي كرسنا حياتنا من أجله . والوجه الثاني هو تحديد سياسة تؤمن التعليل الضروري لمحاربة الشيوعية ومعارضة الاشتراكية والثورية . والوجه الثالث هو وضع اسس لخلق منظمة سياسية إسلامية عالمية والتي من شأنها كما قال الملك فيصل ، أن تبني التعاون الإسلامي الذي يكسب العرب ٦٠٠ مليون مسلم ، والتي ستدخل أيضاً قوة سياسية جديدة في الصراع العربي ضد إسرائيل[٣٢] .

وباختصار فإن التضامن الإسلامي الذي كان يدعو إليه الملك فيصل رحمه الله كانت له ثلاثة أهداف دولية كبرى : التعاون فيما بين حكومات الدول الإسلامية ، والقضاء على النفوذ السوفيتي والراديكالية في العالم العربي وتعبئة بقية العالم الإسلامي إلى جانب الصراع العربي ضد إسرائيل .

وقبل حرب يونيو ١٩٦٧ م كانت الدول العربية في حالة من الفوضى والتشتت يصعب معها تصور نصر عربي على إسرائيل . فعندما اندلعت الحرب ، استولى الجيش الإسرائيلي بسهولة ليس فقط على مرتفعات الجولان السورية وشبه جزيرة سيناء المصرية ، بل كذلك على ما تبقى من فلسطين بما فيها بيت المقدس . وبعد ثلاثة شهور من النكسة ، اجتمع الزعماء العرب في الخرطوم لتقييم موقفهم .

وحقق المؤتمر تعاونا عربيا شاملا لمواجهة آثار النكسة .

وباحتلال إسرائيل للقدس العربية المقدسة وغيرها من المناطق الأخرى ، اتخذت دعوة الملك فيصل للتضامن الإسلامي دلالة جديدة وأهمية قصوى . وأصر الفيصل ، الذي تأثر كثيراً للاحتلال الإسرائيلي للقدس الشريف ، على أن القدس غير قابلة للتفاوض مع إسرائيل في اية تسوية سلمية . وصرح في عدة مناسبات أن أكبر أمنياته هو أن يعيش ليرى القدس العربية حرة من القيود الصهيونية وأن يبلغه الله سبحانه وتعالى الفرصة للصلاة في المسجد الأقصى . ولذلك بدأ الملك فيصل في تجميع الدول الإسلامية وراء القضية العربية الأولى ، وعرض الملك فيصل المشكلة الفلسطينية على العالم الإسلامي كقضية إسلامية ، ودعا الدول الإسلامية لدعم العرب في تحرير القدس من السيطرة الإسرائيلية . وفي إحدى خطبه المشهودة والمليئة بالعواطف والتي ألقاها في مكة المكرمة أمام الوفود الإسلامية التي قدمت للحج ، قال الملك فيصل رحمه الله : « إن القدس الشريفة تناديكم يا إخواني . إنها تطلب منكم أن تساعدوها ، وتتضرع إليكم بأن تنقذوها من مأساتها ومحنتها . ماذا ننتظر وإلى متى سوف ننتظر بينما مقدساتنا الدينية وممتلكاتنا الطاهرة تدنس في أقبح صورة ما الذي ممسكنا

هل نحن خائفون من الموت ؟ وهل هناك طريقة للموت أفضل وأكثر شرفاً من الموت في سبيل النضال من أجل إعلاء مشيئة الله ؟ إن جميع المسلمين يجب عليهم أن يغضبوا وأن يهبوا كرجل واحد ، ناسين كل المسائل الثانوية من قوميات وأحلاف . إن هذا نداء الإسلام ، نداء للجهاد في سبيل الله وفي سبيل ديننا ومعتقداتنا والدفاع عن مقدساتنا الدينية وممتلكاتنا الطاهرة . إنني أدعو الله سبحانه وتعالى بأنه عندما يأتي وقتي للموت أن أموت شهيداً في سبيل الله »[٣٣] .

جهود الملك فيصل تجني ثمـــارها :

لقد كان لحريق المسجد الأقصى في أغسطس ١٩٦٩ م تحت الاحتلال الإسرائيلي أثر كبير في تعزيز دعوة الملك فيصل للتضامن الإسلامي . فقد أثار هذا الحريق ، الذي دمر جزءاً من المسجد ، القبلة الأولى في الإسلام ومسجد الصخرة التي صعد منها النبي محمد عليه الصلاة والسلام إلى السماء ، أثار استياء العالم الإسلامي بكامله . وبينما اكتفى الزعماء المسلمون الآخرون بإدانة إسرائيل لهذه الحادثة ، انزعج الملك فيصل للغاية ولم يكتف بالدعوة إلى عقد مؤتمر قمة إسلامي للنظر في الوضع وتعبئة القوات المسلحة السعودية ضد إسرائيل ، بل دعا جميع المسلمين للجهاد ضد إسرائيل . وبعد ذلك بشهر ، حقق الملك فيصل نصراً دبلوماسياً كبيراً عندما تم عقد أول اجتماع قمة إسلامي في التاريخ في مدينة الرباط بدعوة من الملك الحسن الثاني ملك المغرب استجابة لنداء الملك فيصل[٣٤] ونظراً للدلالة الرمزية والمعنوية الكبرى للقدس في أنظار العالم الإسلامي ، شعر المسلمون وحتى بعض معارضي الملك فيصل للتضامن الإسلامي ، بضرورة حضور المؤتمر .

وبالرغم من أن اجتماع القمة في الرباط قاطعته كل من سوريا والعراق ، فقد حضره عدد كبير من الدول الإسلامية (٢٥ دولة) أما الدول العربية المتطرفة التي حضرت المؤتمر ، فقد حاولت فرض وجهات نظرها السياسية على المؤتمر ومنع الملك فيصل من تحقيق أي نصر سياسي من الاجتماع . وبالرغم من أن الدول العربية المتطرفة قد أثارت ثلاثة مواضيع كادت تفسد المؤتمر إلا أن حذق الملك فيصل ونفوذه الشخصي مع بقية القادة المسلمين أنقذا الوضع سريعاً .

ولقد كان أول هذه المواضيع هو السماح لمنظمة التحرير الفلسطينية بالاشتراك في المؤتمر . فبينما أصرت الدول العربية المتطرفة على اشتراكها ، عارضت كل من تركيا وإيران ذلك . وكحل وسط ، دعيت منظمة التحرير الفلسطينية لحضور المؤتمر كمراقب . وأثيرت القضية الثانية حول جدول الأعمال . فقد كان الملك فيصل ، وتؤيده في ذلك معظم الدول المحافظة والمعتدلة ، يفضل أن يكون جدول الأعمال مقتصراً على مناقشة حريق المسجد الأقصى والوضع المستقبلي للقــدس . إلا أن الدول العربية المتطرفة أصرت على إقحام مسألة الاحتلال الإسرائيلي للمناطق العربية كلها وكذلك مستقبل اللاجئين الفلسطينين . ونتيجة لإقناع الفيصل ، وافق المؤتمر على مناقشة مشكلة الشرق الأوسط بأكملها .

وبينما انتهت القضيتان الأولتان لصالح الدول العربية المتطرفة ، رُفضت القضية الثالثة — وهي طلبهم بإشراك الهند في مؤتمر القمة نظراً لموقفها الموالي للعرب والمناهض للإمبريالية — من قبل الباكستان على أساس أن الهند ليست دولة ذات أغلبية مسلمة . كما أن القرار الذي أقرته الدول العربية المتطرفة ، والذي يدعو جميع الدول الإسلامية بقطع علاقاتها مع

إسرائيل ، قد اعترضت عليه تركيا وإيران وبعض الدول الأفريقية التي كانت لها علاقة مع إسرائيل [٣٥] .

وبالرغم من المواقف المتناقضة بين الدول المتطرفة والدول المحافظة جاء البلاغ المشترك لمؤتمر القمة مرضياً للغاية للملك فيصل . فقد أدان البلاغ المشترك العمل الإجرامي ضد المسجد الأقصى ، ودعا إلى إعادة القدس للسلطة العربية ، وطالب بإعادة جميع الأراضي التي احتلتها إسرائيل إلى حدود ما قبل حرب عام ١٩٦٧م ، وأعلن عن دعم الدول الإسلامية للشعب الفلسطيني ، وأكد حاجة الدول الإسلامية إلى تعزيز التعاون بينها في جميع المجالات — مما أعطى دعماً مذهلاً لدعوة الملك فيصل للتضامن الإسلامي [٣٦] وقد منحت قمة الرباط الإسلامية الزعماء المسلمين المحافظين بصورة عامة ، والملك فيصل بصورة خاصة ، فرصة لتوسعة نفوذهم السياسي في المنطقة على حساب الزعماء العرب المتطرفين .

وكانت الخطوة التالية للملك فيصل هي عقد أول مؤتمر لوزراء خارجية الدول الإسلامية في جدة في مارس ١٩٧٠ م . وافتتح الملك فيصل هذا المؤتمر بخطاب طويل حول المشكلة الفلسطينية وحقوق المسلمين في القدس وناشد وزراء الخارجية المجتمعين بخلق برامج بناءة وفعالة لتأسيس التضامن الإسلامي . ومن بين ما قال الملك فيصل في هذا الخطاب « أحب أن ألفت انتباهكم إلى الحقيقة بأن أعين العالم متجة إلى اجتماعكم هذا . إن إخواننا المسلمين في جميع أنحاء العالم وأصدقاءهم ينتظرون منكم قرارات تبهج قلوبهم وتهدئ بالهم . إنهم يأملون أن القرارات التي تتبنوها اليوم وأن الأعمال التي تتخذونها سوف تكون ، بمشيئة الله ، ذات منافع للجميع والتي ستحقق آمال الجميع . وفي نفس الوقت فإن أعداء الإسلام ينظرون

إلى هذا المؤتمر بخوف وقلق . إنهم يريدون أن يفسدوا كل ما أنتم في سبيله ويصفونكم بأنكم فاشلين وغير متفقين . وإنني أدعو الله العلي القدير أن يحبط خبثهم ويدمر آمالهم »[٣٧] .

ولإعطاء مؤتمر وزراء الخارجية هذا أثراً أكبر فعالية ولتأكيد زعامة بلده على حركة التضامن الإسلامية ، استحوذ الملك فيصل على قرار من وزراء الخارجية بتأسيس منظمة إسلامية سياسية عالمية ودائمة تكون أمانتها العامة في جدة . وقد وجدت الدول العربية المتطرفة ، التي عارضت هذه الفكرة ، وجدت نفسها مغلوبة أمام الأغلبية الساحقة إذ تخوفت الدول العربية المتطرفة من أن تعمل المنظمة الإسلامية الجديدة على منافسة الجامعة العربية ، وأن تضم في عضويتها دولاً محافظة موالية للغرب البعض منها لهم علاقة بإسرائيل . إلا أنه ، وبالرغم من معارضة الدول العربية المتطرفة ، وافق المؤتمر على عقد اجتماع مرة كل عام على مستوى وزراء الخارجية لتعزيز التعاون بين الدول الإسلامية وإقامة قواعد تأسيسية للتضامن الإسلامي وعلاوة على ذلك ، أدان المؤتمر إسرائيل لتعصبها ورفضها الإذعان لقرارات الأمم المتحدة التي تدعو بانسحابها من الأراضي العربية وندد المؤتمر كذلك بالصهيونية كحركة عنصرية عدوانية توسعية ، وأعلن أن يوم ٢١ أغسطس من كل عام (ذكرى حريق المسجد الأقصى) ليكون يوم التضامن مع الشعب الفلسطيني[٣٨] ومن وجهة نظر الملك فيصل ، فإن مؤتمر جدة قد حقق هدفه بوضع أسس أول تعاون حكومي بين الدول الإسلامية . وبذلك تحقق أول هدف إسلامي – دولي للملك فيصل أخيراً .

وبنهاية أول مؤتمر إسلامي لوزراء الخارجية ، اكتسبت حركة الملك فيصل للتضامن الإسلامي قبولاً واسعاً ووجدت دافعاً لها . واستضافت

الباكستان المؤتمر الثاني لوزراء خارجية الدول الإسلامية في كراتشي في ديسمبر ١٩٧٠م ، وأورد الرئيس يحيي خان في خطابه الافتتاحي دفاعه عن دعوة الملك للتضامن الإسلامي ضد منتقديها العرب الراديكاليين . وصرح يحيي خان بأن التضامن الإسلامي ليس تحالفاً جديداً أو تكتلاً جديداً ، وإنما هو محاولة جديدة من جانب الدول الإسلامية لتحديد مجالات التعاون البناء بينها[٣٩] ولإعطاء المنظمة المنشأة حديثاً هدفاً وهوية خاصين بها ، عيّن وزراء الخارجية المجتمعون السيد تنكو عبد الرحمن بوترا ، رئيس وزراء ماليزيا السابق ، كأول أمين عام للمنظمة ، وطلبوا منه أن يضع مسودة ميثاق المنظمة . واقترح مؤتمر كراتشي كذلك تأسيس بنك إسلامي دولي للتجارة والتنمية ، ووكالة أنباء إسلامية عالمية ، ومراكز ثقافية إسلامية في جميع أنحاء العالم[٤٠] .

وانسجاماً مع تلك القرارات ، استضافت إيران المؤتمر حول وكالة الأنباء الإسلامية العالمية في إبريل ١٩٧١ م ، وعقدت المغرب مؤتمراً حول إنشاء المراكز الإسلامية الثقافية حول العالم في يونيو ١٩٧١م ، وكفلت المملكة العربية السعودية مؤتمراً حول مسودة ميثاق المنظمة في يونيو ١٩٧١م ، كما أن مصر استضافت مؤتمراً حول إنشاء البنك الإسلامي الدولي للتنمية والتعمير في فبراير ١٩٧٢م[٤١] .

فالرئيس أنور السادات ، باعتباره مسلماً مخلصاً واهتم سابقاً بالتضامن الإسلامي عندما كان أميناً عاماً للمؤتمر الإسلامي في القاهرة ، بدأ في التحرك نحو الفيصل وتقدير استراتيجيته في الحصول على دعم العالم الإسلامي للتضحية العربية ضد إسرائيل . إلى جانب أن السادات أصبح متضجراً من الروس وبدأ في التحرك بعيداً عن نفوذهم ، وفي

صيف ١٩٧٢ م قام بطرد معظم خبرائهم العسكريين من مصر . وعلاوة على هذا التغيير في مسرح الأحداث السياسية المصرية ، أصبح حافظ الأسد رئيساً لسوريا في أواخر عام ١٩٧٠م وعمل على تعديل الاتجاهات السياسية المتطرفة في سوريا . ونجا الرئيس السوداني جعفر النميري من محاولة انقلاب شيوعية فاشلة في ١٩٧١م ، وسرعان ما خفف من تطرف بلاده السياسي . وأصبح الرئيس الليبي معمر القذافي بالرغم من تطرفه – مؤيداً قوياً للتضامن الإسلامي . وبذلك قل عدد الدول العربية الراديكالية المعارضة لحركة التضامن الإسلامي إلى دولتين فقط وهما الجزائر والعراق . وقد قررت الأخيرة الاستمرار في مقاطعتها للمؤتمرات الإسلامية وهو قرار رحب به الملك فيصل دون شك ، الذي لم يرغب في أن يكون هناك صوت آخر منشق في المؤتمرات .

ولم يسر الملك فيصل كما سر لرؤيـــة تضاؤل النفوذ السوفيتي والراديكاليه العرب ، لأن هذا يعني تحقيق هدفه الثاني الدولي للتضامن الإسلامي . ولذلك عندما افتتح الملك فيصل رحمه الله المؤتمر الإسلامي الثالث لوزراء خارجية الدول الإسلامية في جدة في فبراير ١٩٧٢م ، والذي اشتركت فيه ٣٠ دولة إسلامية بما فيها سوريا التي تشترك لأول مرة – إدرك أن الطريق مفتوح أمامه لتقوية حركة التضامن الإسلامي . وكان هدف الفيصل الرئيسي هو تبني الموافقة على ميثاق المنظمة المقترح . وبالرغم من التحفظات التي أبدتها كل من لبنان وتركيا وأندونيسيا – التي واجهت مشكلة التوافق بين الطبيعية العلمانية لدولهم والروح الإسلامية ، وبررت عدم قدرتها على الالتزام الكامل للميثاق – إلا أن بقية الوفود تبنت الميثاق وفي نهاية العام تم التصديق عليه بأغلبية الدول الأعضاء . ولكن بينما

استمرت لبنان وأندونيسيا في الاشتراك في المؤتمرات الإسلامية التالية دون توقيع الميثاق ، صادقت تركيا عليه في مايو ١٩٧٦م عندما استضافت المؤتمر الإسلامي السابع لوزراء الخارجية في اسطنبول للحصول على دعم العالم الإسلامي لجاليتها الإسلامية في قبرص (٤٢) .

واستناداً إلى الميثاق المصادق عليه ، أصبح اسم المنظمة « منظمة المؤتمر الإسلامي » ، وهدفها المعلن عنه رسمياً هو تعزيز التعاون والتضامن الإسلامي في جميع المجالات . وتقرر أن تقسم المنظمة إلى ثلاث هيئات :

١ ـ مؤتمر الملك والرؤساء للدول الإسلامية والذي يعتبر السلطة العليا للمنظمة ، وتعقد جلساته عندما تدعو إليها حاجة العالم الإسلامي .

٢ ـ مؤتمر وزراء الخارجية ، وتعقد جلساته سنوياً ويتمتع بسلطة تعيين الأمين العام للمنظمة .

٣ ـ الأمانة العامة ، والتي تضم الهيئات والوكالات التي قد يتم تأسيسها بإشراف منظمة المؤتمر الإسلامي (٤٣) .

وبالإضافة إلى تبني ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامي ، صادق مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية الثالث على إنشاء « وكالة الأنباء الإسلامية الدولية » كأول وكالة متخصصة للمنظمة . وبينما رغبت كل من إيران والصومال أن يكون مركز وكالة الأنباء الإسلامية في بلدها ، ثم في النهاية الاتفاق على أن يكون مقر الوكالة في جدة تقديراً لجهود الملك فيصل من أجل التضامن الإسلامي ، واعترافاً بالأهمية الرمزية للمملكة العربية السعودية في العالم الإسلامي (٤٤) .

وفي هذه المرة ، وانطلاقاً من مسيرته الدبلوماسية ، لم يقصر المؤتمر اهتمامه على القضية العربية ضد إسرائيل فقط ، بل وسع اهتمامه ليشمل القضايا الأخرى التي تهم العالم الإسلامي ككل . وأدان المؤتمر ، في لهجة أقوى من ذي قبل ، تهويد القدس ، وأعرب عن التضامن التام مع الصراع الأفريقي ضد الاستعمار والعنصرية في أفريقيا الجنوبية . وأبدى كذلك تأييده لوحدة الأراضي الباكستانية ضد الغزو الهندي في عام ١٩٧١م لباكستان الشرقية . وحذر وزراء خارجية الدول الإسلامية الهند من أن عدم التزامها بقرارات الأمم المتحدة فيما يتعلق بالوضع في شبه القارة الهندية سيؤثر على علاقاتها مع الدول الإسلامية[٤٥] .

ولإدراكه مدى ما أحرزته حركة التضامن الإسلامي من نجاح ، ولرغبته في توسيعها أكثر فأكثر لإنجاز هدفه الدولي الثالث والأخير ، قام الملك فيصل بحملة دبلوماسية واسعة في أفريقيا لتعرية إسرائيل ولكسب الدعم للحقوق العربية في فلسطين والقدس.. ففي نوفمبر ١٩٧٢م ، قام الملك فيصل بجولة رسمية لخمس دول أفريقية لتعزيز قضية التضامن الإسلامي وعزل إسرائيل في القارة السوداء . وبدأ الفيصل زيارته لأوغندا ، التي قطعت علاقاتها بإسرائيل قبل ذلك بعام ، ثم واصل جولته إلى تشاد وموريتانيا والسنغال والنيجر . وأسفرت الجولة عن قرار تشاد بقطع علاقاتها مع إسرائيل[٤٦] .

ولقد اتضحت حقيقة دعوة الملك فيصل للتضامن الإسلامي التي قبلها العرب المتطرفون كاستراتيجية عملية وأن مسيرتها الدبلوماسية اتسعت لتشمل القضايا المتعلقة بالعالم الإسلامي ككل وليست القضية العربية — الإسرائيلية فحسب ، اتضح ذلك عندما دعا الرئيس الليبي المتطرف معمر

القذافي إلى النظر في مشكلة المسلمين الفلبيين في المؤتمر الإسلامي الرابع لوزراء الخارجية الذي عقد في بنغازي في مارس ١٩٧٣م . وقد طالب مؤتمر بنغازي الإسلامي أن تعمل الحكومة الفليبينية على حماية الأقلية المسلمة هناك ضد القمع وانتهاك حقوقهم الإنسانية والشرعية . ولتعزيز هذا الطلب ، أرسل المؤتمر وفداً مكوناً من وزراء خارجية كل من ليبيا والمملكة العربية السعودية والسنغال والصومال إلى الفلبين للتفاهم مع حكومتها حول حماية المسلمين هناك وإعطائهم حقوقهم السياسية . وإضافة لذلك ، دعا المؤتمر الحكومة الهندية إلى اطلاق سراح جميع أسرى الحرب الباكستانيين على الفور وأعرب عن تأييده لشعب اريتريا في نضاله من أجل تقرير المصير ، وندد بالاستعمار البرتغالي في أفريقيا . كما اعترف المؤتمر بمنظمة التحرير الفلسطينية كالممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، وأسس « صندوق فلسطين » لدعم النضال الفلسطيني ضد إسرائيل . وقرر المؤتمر الرابع لوزراء الخارجية كذلك إنشاء صندوق الجهاد لمساعدة حركات التحرير الإسلامية حول العالم وتمويل المراكز والجمعيات الإسلامية في العالم ، وتأمين المساعدة للمسلمين المحتاجين في العالم أجمع . واستجابة للدعوة السابقة لإنشاء مراكز إسلامية ثقافية ، قرر المؤتمر فتح مراكز جديدة في أفريقيا ودعا لعقد مؤتمر دولي للمراكز الثقافية الإسلامية في أوربا ، والذي قدم إليه الملك فيصل ١٠٠٠٠ جنيه استرليني لتغطية نفقاته[٤٧]

مؤتمر القمة الإسلامي الثاني وما بعده :

إن الدعم المادي الذي قدمه الملك فيصل رحمه الله لمصر ، وعلاقاته الوثيقة مع السادات قبل حرب أوكتوبر ١٩٧٣م ، تعتبر نقطة تحول في التاريخ العربي . فإنجازات العرب في حرب رمضان ، بالرغم من

محدودياتها ، وحظر النفط العربي ، والزياده الحاده في أسعاره في العالم قد خلقت نوعاً من الوحدة والثقة لم يسبق لها مثيل بين الدول العربية . وكذلك إدراك العالم للقوة السياسية والمالية للدول الإسلامية المنتجة للنفط[٤٨] قد أثار الانتباه للعالم الإسلامي ، وأرغمت بقية العالم على الاعتراف به كقوة سياسية كبرى . وأصبحت بعض الدول الصناعية مثل اليابان وفرنسا ، التي كان لها في السابق موقف محايد من الصراع العربي — الإسرائيلي ، بعد شعورها بخطورة حظر النفط العربي ، أصبحت مؤيدة للعرب بصورة علنية وإضافة لذلك ، فقد أسفر تزايد عدد الدول المؤيدة للقضية العربية عن عزل إسرائيل دبلوماسياً . فمعظم الدول الأفريقية التي كانت لها علاقات دبلوماسية مع إسرائيل ، أقدمت على قطعها خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣م ، أما الدول التي لم تقم بذلك أثناء الحرب ، فقد قطعت علاقاتها بإسرائيل بعد الحرب[٤٩] . وبذلك تحقق هدف الملك فيصل الدولي الثالث والأخير من حركة للتضامن الإسلامي .

ونتيجة لهذا التحول في ميزان القوى الدولي في الشرق الأوسط لصالح الدول العربية ، دعا الملك فيصل — وكان يشاركه في هذه الدعوة السيد تنكو عبد الرحمن بوترا الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي — دعا إلى عقد مؤتمر قمة إسلامي[٥٠] لتقييم التطورات الجديدة في الشرق الأوسط ومضامنهاالعالمية . وقد كان هناك تطور إيجابي آخر له دلالة واضحة على عقد مؤتمر القمة الإسلامي الثاني وهو الاتجاه المتزايد نحو الوفاق في العالم الإسلامي . فبينما حسنت مصر علاقاتها مع المملكة العربية السعودية قبل حرب رمضان ، قررت العراق إنهاء صراع الحدود مع إيران واستأنفت علاقاتها الدبلوماسية التي قطعتها معها في عام ١٩٧٠م . كما قرر الرئيس معمر القذافي زيارة الملك فيصل والرئيس السادات لإنهاء الخلافات التي

نشبت بينه وبينهم حول حرب رمضان واستراتيجيتها . وبالإضافة إلى ذلك قررت المملكة العربية السعودية وجمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية إعادة العلاقات الطبيعية بينهما ، وأعيدت العلاقات الدبلوماسية بين سوريا والأردن التي قطعت خلال الحرب الفلسطينية – الأردنية في عام ١٩٧٠م ، وأصلح الرئيس التونسي الحبيب بورقيبه علاقته مع الملك حسين عاهل الأردن . وقررت الباكستان الاعتراف باستقلال بنغلاديش . وانتهزت الباكستان الفرصة لعقد مؤتمر القمة الإسلامي الثاني كوسيلة لاستعاده كرامتها واحترامها القومي الذي تأثر بانفصال باكستان الشرقية ، وكذلك لإمالة ميزان القوى الدبلوماسية في شبه القارة الهندية من صالح نيودلهي لصالح إسلام أباد ، وكذلك لخلق التباعد بين الهند وبنغلاديش[٥١] .

وقد تم مؤتمر القمة الإسلامي الثاني ، الذي كان من أكبر التجمعات الإسلامية وأشدها تأثيراً في العصر الحديث ، في لاهور في فبراير ١٩٧٤م . وكان هدف مؤتمر القمة الأول هو الإعراب عن تضامن المسلمين في جميع أنحاء العالم مع العرب ضد إسرائيل . واتضحت حقيقة أن العالم الإسلامي أصبح – بفضل حركة الملك فيصل للتضامن الإسلامي وسياسته النفطية – موضع اهتمام العالم ، اتضحت من الرسائل الودية الكثيرة التي انهالت من جميع أنحاء العالم . فقد رحبت كل من بلجيكا وبريطانيا وكمبوديا وكندا وسيلان والصين الشيوعية وكوريا الشمالية وتوجو وألمانيا الغربية وزامبيا والأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة ، باجتماع القمة الإسلامي وأعربوا عن آمالهم بنجاحه ومساهمته في تحقيق السلام العالمي . ولانعقاد هذه القمة في ظروف حسنة ، لم يقتصر عدد المشتركين فيها على الدول المدعوة الثلاثين ، بل ضم ثمانية أعضاء جدد في منظمة المؤتمر الإسلامي . فقد تم قبول بنغلاديش والكاميرون والجابون وجامبيا وغينيا بيساو وأوغندا وفولتا العليا

كأعضاء دائمين . وبعد أن أصبحت العراق وحدها خارج حركة التضامن الإسلامي ، اضطرت لحضور القمة ولأول مرة . وإضافة لذلك أصبحت منظمة التحرير الفلسطينية تتمتع بعضوية كاملة داخل المنظمة بعد أن كانت في منزلة مراقب ، ومنح رئيسها السيد ياسر عرفات منزلة رئيس دولة . وحقيقة أن في هذه المرة لم تحدث أية مقاطعة وأن الأغلبية العظمى من الدول المشتركة في القمة مُثلت على مستوى رؤساء دولها ، أظهرت النجاح السياسي الهائل الذي حققه الملك فيصل في دعوته للتضامن الإسلامي .

وأسفر مؤتمر القمة الإسلامي الثاني عن قرار بالإجماع حول النزاع في الشرق الأوسط . إذ وعد القادة المسلمون بالتحرك في جميع المجالات ضد إسرائيل ، ودعوا للإنسحاب الإسرائيلى الفورى وبغير شروط من جميع الأراضي العربية المحتلة . وهاجموا الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من دول العالم الغربي لدعمها إسرائيل ، وعارضوا تدويل القدس وطالبوا بإعادتها إلى السيادة العربية ، ودعوا جميع الدول الإسلامية لدعم منظمة التحرير الفلسطينية بكل الوسائل الممكنة[٥٣] وللإعراب عن تضامن المسلمين إلى جانب العرب صرح رئيس الدولة الباكستاني ذو الفقار على بوتو أن « جيوش الباكستان هي جيـــوش الإسلام . . . وأننا سندخل القدس كأخوه في السلاح »[٥٢] .

وبالإضافة إلى القرار حول مشكلة الشرق الأوسط ، شكل مؤتمر القمة في لاهور لجنة اقتصادية تتألف من خبراء من خمس دول من الدول الأعضاء الغنية بالبترول (بما فيهم المملكة العربية السعودية) وثلاثة أعضاء آخرين لبحث طرق إزالة الأعباء الاقتصادية عن الدول الأعضاء الفقيرة ، والتي تفاهقم وضعها الاقتصادي سوءاً بسبب الزيادة الجديدة في أسعار الزيت

العالمية . كما أنشأ المؤتمر أيضاً داخل الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي صندوق التضامن الإسلامي ، والذي تم تمويله برأسمال مبدئي قدره ٢٦ مليون دولار أمريكي(٥٤) — ساهم فيه الملك فيصل لوحده بـ ١٠٫٢ مليون مليون دولار(٥٥) — لتمويل المشاريع المختلفة في العالم الإسلامي . ولإدراكهم بمدى القوة الاقتصادية التي اكتسبوها مجدداً ، أعلن القادة المسلمون طلبهم بوضع نظام اقتصادي دولي جديد لتحديد شروط التجارة بين الدول المتقدمة والدول النامية ، وإنهاء استغلال الدول المتقدمة للدول النامية ولإبراز صورة الدول الإسلامية ككتلة سياسية واحدة في المنظمات العالمية ، أقر مؤتمر القمة بأن على الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي أن تتبنى موقفاً مشتركاً حول القضايا الدولية في منظمة الأمم المتحدة والمنظمات العالمية الأخرى(٥٦) .

ولقد برهن هذا القرار الذي يقضي بتوحيد سياسات الدول الإسلامية في المنظمات الدولية ، والذي أعيد تأكيده في المؤتمر الإسلامي الخامس لوزراء الخارجية في كوالالمبور في يونيو ١٩٧٤م — برهن على أنه حجر الأساس لإستراتيجية الفيصل في التضامن الإسلامي حول تعبئة بقية العالم الإسلامي خلف الصراع العربي الدبلوماسي ضد إسرائيل على الساحة الدولية . ففي الجلسة التاسعة والعشرين للجمعية العمومية للأمم المتحدة في عام ١٩٧٤م ، فرضت الدول العربية ثلاثة قرارات هامة حول مشكلة الشرق الأوسط ، وهو أمر لم يكن من الممكن إنجازه دون تصويت بقية الدول الإسلامية . وتضمنت تلك القرارات الثلاثة : دعوة منظمة التحرير الفلسطينية للإشتراك في مناقشات منظمة الأمم المتحدة حول المسألة الفلسطينية ومنح منظمة التحرير الفلسطينية وضع مراقب في الجمعية العمومية للأمم المتحدة ، وتأكيد حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره(٥٧) وكذلك في

نفس العام في باريس ، أصدرت الدول العربية ، بدعم الدول الإسلامية ، قرارين من اليونسكو ينصان على إدانة إسرائيل ومنع المساعدة عنها ، وحرمانها من العضوية الكاملة في منظمة اليونسكو[٥٨] وخلال الجلسة الثلاثين للجمعية العمومية للأمم المتحدة في عام ١٩٧٥م ، تمكنت الدول الإسلامية جمعاء مرة أخرى من إصدار قرار يدين الصهيونية كشكل من أشكال التفرقة العنصرية[٥٩] . وفي عام ١٩٧٦م ، أصدرت الدول الإسلامية قراراً من الجمعية العمومية إلى اقامة وطن فلسطيني في قطاع غزة والضفة الغربية اللتين تحتلهما إسرائيل[٦٠] ، وقرارين في جلسة نيروبي لليونسكو يدين الانتهاكات الثقافية والتعليمية لإسرائيل في الأراضي العربية المحتلة ، وعمليات إسرائيل لنبش الآثار في القدس[٦١] . وهكذا استطاعت أخيراً سياسة الفيصل الإسلامية أن تعطي الكفاح العربي ضد إسرائيل شرعية دولية .

وبعد أن حققت الجبهة السياسية لحركة الفيصل في التضامن الإسلامي تقدماً هائلاً ، وجه الملك فيصل رحمه الله اهتمامه للمجالات الاقتصادية لحركته بإصراره على إنشاء بنك إسلامي ، وقدم لذلك المبلغ المتطلب لبناء المكاتب اللازمة[٦٢] . وكنتيجة لذلك ، استضافت حكومة المملكة العربية السعودية في جدة في أغسطس ١٩٧٤م مؤتمر وزراء مالية الدول الإسلامية والذي تم فيه تأسيس « البنك الإسلامي للتنمية » بصورة رسمية . وأصبح البنك الإسلامي الهيئة الثانية المتخصصة لمنظمة المؤتمر الإسلامي ، وأصبح مركزه في جده ، وبدأ برأسمال قدره ٢ بليون دينار إسلامي[٦٣] .

ولكن للأسف فإنه لم يمض وقت طويل على جني ثمار حركة التضامن الإسلامي ، حتى مات الملك فيصل رحمه الله في مارس ١٩٧٥م . وغني عن القول ، فلقد اهتز العالم الإسلامي لهذا الخبر . وقام الملك خالد ، الذي

تولى السلطة بعد وفاة الملك فيصل ، بافتتاح مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامي السادس في جده في يوليو ١٩٧٥م وصرح بأن المملكة العربية السعودية ستواصل نضالها من أجل التضامن الإسلامي الذي بدأه الفيصل .ومن جملة ماقاله الملك خالد المفدى وهو يخاطب وزراء الخارجية المجتمعين « إن خير تكريم لذكراه أن نعقد النية ونوطد العزم على المضي قدماً في انجاز ما دعا إليه طيب الله ثراه من تضامن واتحاد المسلمين وتحقيق أسباب العزة للأمة الإسلامية ، وفي مقدمة ذلك تحقيق أمنيته الكبرى في أن نصلي في المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وقد عادت القدس عربية حرة خالصة لوجه الله والدين ، بإذن الله »(٦٤) .

واستجابة لدعوة الملك خالد لإحياء ذكرى الملك فيصل رحمه الله كان الهدف الأساسي من المؤتمر هو تأكيد أن القدس جزء لايتجزأ من العالم الإسلامي وإن على إسرائيل أن تخلي سلطتها عنها . وشكل وزراء الخارجية المجتمعون لجنة دائمة سميت « لجنة القدس » وتتألف من تسع دول أعضاء ، بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية ، والأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي ، للقيام بحملة دبلوماسية عالمية واسعة لتأكيد حقوق المسلمين في القدس . وبالإضافة إلى ذلك ، دعا المؤتمر لطرد إسرائيل من منظمة الأمم المتحدة والهيئات الدولية الأخرى لخرقهاميثاق الأمم المتحده برفضها المتواصل الإذعان لقرارات الأمم المتحدة والناصة بانسحابها من الأراضي العربية المحتلة(٦٥) .

وعند انعقاد مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامي السادس ، الذي حضرته

نيجريا لأول مرة ، ارتفع عدد الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي إلى ٤٣ دولة ، مما جعل المنظمة إحدى المنظمات السياسية الكبرى في العالم[٦٦] وبعد يومين من انتهاء هذا المؤتمر ، اجتمع ممثلو الدول الإسلامية في جدة لإنشاء الوكالة المتخصصة الثالثة التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي وهي منظمة الإذاعات الإسلامية ، والتي أقر أن تكون جدة مقرها الدائم . وكان من بين أهدافها المعلنة نشر الوعي عن المباديء السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي يرتكز عليها التضامن الإسلامي[٦٧] وبذلك أصبحت مدينة جدة عاصمة حركة الفيصل للتضامن الإسلامي ، إذ أنها لا تقتصر على استضافة منظمة المؤتمر الإسلامي فحسب ، بل ووكالاتها الثلاث المتخصصة .

ملخص وخاتمة :

إن التضامن الإسلامي ، الذي بدأه في القرن التاسع عشر الميلادي كل من جمال الدين الأفغاني والخليفة العثماني السلطان عبد الحميد الثاني كحركة سياسية لتوحيد العالم الإسلامي المتفكك ، والذي كان يرمز له في النصف الأول من هذا القرن بمؤتمر العالم الإسلامي في كراتشي ، أعيد إحياؤه في الستينات على يد الملك فيصل كحركة فعالة . وقد أرغمت الأوضاع السياسية في العالم العربي في أواخر الخمسينات وفي الستينات ، التي تميزت بالدعاية السياسية والحرب النفسية التي قامت بها الأنظمة الراديكالية ضد المحافظه ، أرغمت الملك فيصل رحمه الله على شن حملة للتضامن الإسلامي كاستراتيجية مضادة للأفكار الراديكالية الدخيلة .

وخلال المرحلة الأولى من هذا النزاع العربي قامت المملكة العربية السعودية بتأسيس « رابطة العالم الإسلامي » ، وهي مؤسسة دينية مستقلة مركزها مكة المكرمة ، وتهدف إلى الدفاع عن القيم الإسلامية وإبعاد جميع الأيديولوجيات الراديكالية عن العالم الإسلامي . وخلال المرحلة الثانية للتنافس العربي ، والتي أسفرت عن التورط السعودي في الحرب الأهلية اليمنية ، بدأ الملك فيصل دعوته للتحالف الإسلامي وسيما ظهرت رابطة العالم الإسلامي ، من جراء التنافس بين الدول العربية ولد التضامن السياسي الإسلامي نتيجة للصراع العربي الإسرائيلي ، مما يعكس تردد الدول الإسلامية التورط في التنافس بىن الدول العربية وبعضها البعض . وكان لإحراق المسجد الأقصى في ١٩٦٩م تحت الاحتلال الإسرائيلي للقدس أكبر الأثر في تعزيز دعوة الملك فيصل للتضامن الإسلامي ، وأسفر عن عقد أول مؤتمر قمة إسلامي في التاريخ والذي عقد في الرباط استجابة لدعوة الفيصل .

وكانت الخطوة التالية للملك فيصل هو عقد أول مؤتمر إسلامي لوزراء الخارجية في بلاده ، الذي حصل فيه على موافقة الدول الإسلامية على تأسيس أول منظمة إسلامية سياسية حكومية في تاريخ العالم الإسلامي وهي منظمة المؤتمر الإسلامي والتي أصبح مقرها الدائم جدة . وتحت رعاية الملك فيصل رحمه الله ، نشطت منظمة المؤتمر الإسلامي في تعزيز سياسات واتجاهات الدول الإسلامية وتركيز الجهود لجعل حركة التضامن الإسلامي ذات أسس عملية بإنشاء ثلاث منظمات متخصصة مستقلة وتقع مراكزها جميعاً في جدة . وأولى تلك المنظمات هي وكالة الأنباء الإسلامية

الدولية . والثانية بنك التنمية الإسلامي ، والثالثة منظمة الإذاعات الإسلامية وبسبب دعم الملك فيصل المادي والسياسي المتواصل لتلك المنظمات ورابطة العالم الإسلامي ، والتي تعتبر أهم وأضخم تنظيم في تاريخ العالم الإسلامي . تحولت حركة التضامن الإسلامي من حركة ضعيفة حتى أصبحت اليوم أكثر الحركات نشاطاً في العالم الإسلامي الحديث .

كما أن حركة الملك للتضامن الإسلامي لم تعمل فقط على جمع الدول الإسلامية معاً لأول مرة في تاريخهم الحديث للعمل سياسياً[٦٨] واقتصادياً لأهداف بناءة مشتركة ولتوطيد سياساتهم واتجاهاتهم في منظمة الأمم المتحدة والمنظمات الدولية الأخرى ، بل ساعدت أيضاً على تقليص النفوذ السوفيتي والراديكالية في الشرق الأوسط . كما نجحت حركة الملك ، لأول مرة منذ إنشاء إسرائيل في عام ١٩٤٨م ، في تعبئة بقية العالم الإسلامي وراء الصراع الدبلوماسي العربي ضد تلك الدولة ، وكسب الشرعية الدولية للقضية الفلسطينية .

ومن المناقضات أن الملك فيصل الذي اتهمته الدول العربية المتطرفة بخيانة القضية العربية ، قد ساهم من أجل النضال العربي أكثر بكثير من أي زعيم عربي راديكالي أو محافظ .

ومما لاشك فيه أن موت الملك فيصل المفاجيء في عام ١٩٧٥م كان خسارة كبيرة لحركة التضامن الإسلامي . لأنه لم يكن المحرك والمدعم فقط لهذه الحركة . بل كان القائد الروحي للعالم الإسلامي الذي كان ينظر إليه كممثل للإسلام وراع لمقدساته .

وبالرغم من أن حركة الملك فيصل للتضامن الإسلامي ناشئة وأمامها طريق طويل قبل أن تحقق هدفها النهائي بالالتحام السياسي والاقتصادي للعالم الإسلامي ، إلا أنها تعتبر دليلاً مادياً قوياً لمقدرة الملك فيصل السياسية لتحقيق الأهداف الدولية . وحتى الدول العربية المتطرفة ، التي عارضت بشدة حركته للتضامن الإسلامي ، بدأت الواحدة تلو الأخرى اتباع نهج الملك فيصل وتقدير فعالية حركته ووزنها الاستراتيجي في مواجهة إسرائيل .

وقد ظهر وجه استراتيجي آخر لحركة التضامن الإسلامي في دبلوماسية الملك فيصل النفطية . إذ لا يمكن الاستهانة بالقوة السياسية والاقتصادية للدول الإسلامية ، التي تعتمد على نفوذها في مجال الطاقة العالمية . إذ أن دول العالم الإسلامي مجتمعة لاتنتج فقط ٥١ ٪ من الإنتاج العالمي الحالي للنفط الخام ، وتتحكم في ثلثي احتياطي النفط العالمي المثبت ، بل إنها تسيطر على ٥٨٪ من احتياطي الغاز الطبيعي للعالم غير الشيوعي[٦٩] .

وبفضل مساعي الملك فيصل لتحقيق التضامن الإسلامي ، بدأ العالم الإسلامي في الظهور مرة أخرى كقوة سياسية لها وزنها في الأمور الدولية . وتمكن العرب ، كمجموعة موحدة داخل تلك القوة ، من تأكيد زعامتهم التاريخية للعالم الإسلامي . إن العالم الإسلامي اليوم بدأ يشفى تدريجياً من مرحلة الانقسامات السياسية عندما كان يخضع المسلمون كرهاً للحكم والسيطرة الغربيتين . هذا هو تراث الفيصل ومساهمته في تضامن العالم الإسلامي .

الهوامش

(١) H. A. R. Gibb, *Mohammedanism : An Historical Survey*, 2nd ed. (New York : Oxford University Press, 1971), p. 115.

(٢) Hazem Zaki Nuseibeh, *The Ideas of Arab Nationalism*. (Ithaca, N.Y. : Cornell University Press, 1956), p. 41.

(٣) Kai Bird, "Faisal's Legacy: Religious Politics and the New Generation," *Worldview* 18, No. 9 (1975), 13.

(٤) Morroe Berger, *The Arab World Today* (New York: Doubleday, 1964), p. 317.

مما تجدر به الإشارة هنا أن الدين الإسلامي ليس دين محدود كمفهوم الدين في الغرب . بل أن الإسلام في الواقع هو دين وطريقة حياه لامة واحدة ، وهو كذلك نظام سياسي إجتماعي يجمع بين الدين والدولة . وبالتالي فإن « القومية » و «العلمانية » تعتبر ان خرقاً لتعاليم الإسلام .

(٥) Gibb, *Mohammedanism*, p. 120.

(٦) Bernard Lewis, „The Return of Islam," *Commentary* 61, No. 1 (1976) : 45.

(٧) T. Cuyler Young, "Pan-Islamism in the Modern World: Solidarity and Conflict Among Muslim Countries," in *Islam and International Relations*, ed. J. Harris Proctor (New York) : Frederick A. Praeger, 1965, pp. 194-95.

(٨) *World Muslim Gazetteer*, 1975, 2nd ed. (Karachi: Umma Publishing House, 1975), p. 846.

(٩) See Arnold J. Toynbee, "The Caliphate Congress (Mu tamaru l-Khalifah) Held in Cairo on the 13th-19th May, 1926," in Arnold

J. Toynbee, "The Islamic World Since the Peace Settlement," *Survey of International Affairs* 1, 1925 (London : Royal Institute of International Affairs, 1927), 81-91.

(١٠) For the first congress see Arnold J. Toynbee, "The Proclamation of Sultan ,Abdu'l-Aziz B. Sa'ud as King of the Hijaz and the Islamic Congress at Mecca (1926)," in ibid., pp. 309-19; for the second see H. A. R. Gibb, "The Islamic Congress at Jerusalem in December, 1931, " *Survey of International Affairs* (London : Royal Institute of International Affairs, 1934), pp. 99-109; for the third see *The Islamic Review* 37, No. 5 (1949) : 32-33; for the fourth ees "World Muslim Congress," *The Islamic Review* 39, No. 6 (1951): 24-36; for the fifth see A. B. A. Halem, "The Baghdad World Muslim Conference," *Pakistan Horizon* 15, No. 3 (1962) : 169-76; for the sixth see In 'amullah Khan, "The Mo'tamar Al-Alam Al-Islami : A Brief Description of Its Sixth Conference Held at Mogadishu," *The Islamic Review* 53, No. 6 (1965) : 27-29; and for the seventh see *World Muslim Gazetteer*, p. 389.

(١١) Young, "Pan-Islamism," pp. 198-99.

(١٢) See Mahmud Brelvi, "The Islamic Congress (Al-Mo'tamar Al-Islami), Cairo : A Brief Survey of Its Work," *The Islamic Review* 43, No. 10 (1955): 13. For the Congress Charter see "The Proposed

Annual Islamic Congress at Mecca : The Text of Its Draft Charter," *The Islamic Review* 42, No. 11 (1954) : 26-27.

Islam Against Nationalism," *The Economist* (London) 203 (June 2, (١٣) 1962): 903.

World Muslim League, *Rabetat Al-Alam Al-Islami : An Introduc-* (١٤) *tion* (Mecca : World Muslim League, n.d.), p. 2.

See Khurschid Ahmed, "Mecca Conference of World Muslim (١٥) Organizations : Seeking Unity at the Grass-roots," *Impact International Fortnightly* (London) 4, No. 9 (1974) : 8. Also, "Resolutions and Recommendations of the World Conference of Islamic Organizations," *Impact International Fortnightly* (London) 4, No. 10 (1974) : 8-9. For the first of such conferences see "First Conference of World Islamic Organizations Held at Mecca," *The Islamic Review and Arab Affairs* 56, Nos. 11-12 (1968) : 28-30.

World Muslim League, *Rabetat*, p. 6. (١٦)

هذه العبارات المكتبسة للملك فيصل ترجمها المؤلف من اللغة الأنجليزية

(١٧) نفس المرجع صص ١٣ — ٢٠

(١٨) لدراسة وافية وتحليل كامل عن فشل محادثات القاهرة للوحدة في عام ١٩٦٣م ، راجع .
Malcolm H. Kerr, *The Arab Cold War: Gamal 'Abd Al-Nasir and His Rivals*, 1958-1970, 3rd ed. (New York : Oxford University Press, 1971), pp.44-76.

(١٩) لدراسة وافية عن مشكلة اليمن ، أنظر .
Edgar O'Ballance, *The War in the Yemen* (Hamden, Conn.: Archon Books, 1971).

(٢٠) في خلال الإجتماع السادس لمؤتمر العالم الإسلامي الذي عقد في مقديوشو في ديسمبر ١٩٦٤ – يناير ١٩٦٥م ، دعا الرئيس الصومالي آدن عبد الله عثمان إلى عقد مؤتمر قمة إسلامي ، أنظر
In'amullah Khan, "Thoughts on a Muslim Summit Conference," *The Islamic Review* 54, No. 4 (1966) : 3-4.

(٢١) World Muslim League, *Rabetat*, p. 7.
هذه العبارات المقتبسة للملك فيصل ترجمها المؤلف من اللغة الأنجليزية .

(٢٢) لزيارات الملك فيصل وخطبه أثناء جولاته للدعوة للتضامن الإسلامي ، راجع :
المملكة العربية السعودية : وزارة الأعلام .
« فيصل يتكلم » جده ، ١٣٨٧هـ ، صص ٧٢ – ١١٢ .

(٢٣) نفس المرجع ، ص ٥٢ .

(٢٤) Robert R. Sullvan, "Saudi Arabia in International Politics," *The Review of Politics* 32, No. 4 (1970) : 440.

(٢٥) « فيصل يتكلم » صص ٥٣ – ٥٤ .

(٢٦) Sullivan, "Saudi Arabia," p. 440.

(٢٧) « فيصل يتكلم » صص ٧٢ – ٧٣ .

(٢٨) Willard A. Beling, "Arabism: An Ecological Variable in the Politics of the Middle East," in *The Middle East*, ed. Beling, p. 34.

(٢٩) « فيصل يتكلم » ص ٧٦ .

(٣٠) نفس المرجع ، ص ١٥٧ .

(٣١) نفس المرجع ، صص ٤٨ — ٥٠ .

(٣٢) Hisham Sharabi, *Palestine and Israel : Thelethal Dilemma* (New York : Western Publishing Co., 1969), pp. 98-99.

(٣٣) "King Faysal of Sa'udi Arabia Calls the Muslims to *Jihad* to Save Palestine and the Holy Places on the Occasion of the Hajj (1388 A.H.)/28th February, 1969", *The Islamic Review and Arab Affairs* 57, No. 2 (1969) : 4.

هذه العبارات المقتبسة للملك فيصل ترجمها المؤلف من اللغة الأنجليزية .

(٣٤) لتحليل شامل ودراسة وافية عن مؤتمر القمة الإسلامي الأول ، أنظر المرجعين الآتيين .

"La conference islamique au sommet," *Margreb Etudes et Documents* 36 (novembre-decembre 1969): 28-34, and Shameem Akhtar, "The Rabat Summit Conference," *Pakistan Horizon* 22, No. 4 (1969) : 336-40.

(٣٥) هذه الدول الأفريقية هي : تشاد ، غينيا ، مالي ، النيجر ، والسنغال .

(٣٦) الامانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي « مجموعة قرارات وبيانات مؤتمرات منظمة المؤتمر الإسلامي من الرباط إلى كوالالمبور » ، جده ، صص ١١ — ١٤ .

(٣٧) "Historic Speech by King Faysal of Sa'udi Arabia," *The Islamic Review a,dn Arab Affairs* 58, No. 3 (1970) : 4.

هذه العبارات المقتبسة للملك فيصل ترجمها المؤلف من اللغة الأنجليزية .

(٣٨) الأمانة العامة « قرارات وبيانات » ، صص ١٧ — ٢٠ .

(٣٩) "Five Aims of the Conference," The *Islamic Review and Arab Affairs* 58, No. 12 (1970) : 8.

(٤٠) الأمانة العامة « قرارات وبيانات » ، ص‌ص ٢٢ — ٢٨ .

(٤١) "Islamic Conference : From Talk to Take-Off," *Imapct International Fortnightly* (London) 1, No. 22 (1972) : 5.

(٤٢) الأمانة العامة لمنظمة اؤتمر الإسلامي « البيان المشترك لمؤتمر وزراء الخارجية الإسلامي السابع المنعقد في اسطنبول ، الجمهورية التركية ، من ١٣ — ١٦ جمادي الأول١٣٩٦هـ (١٢ — ١٥ مايو ١٩٧٦م) » جده ، ص ٤ .

(٤٣) الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي « ميثاق المؤتمر الإسلامي » جده ، ص‌ص ٢—٨ .

(٤٤) الأمانة العامة « قرارات وبيانات » ، ص ٣٧ .

(٤٥) نفس المرجع ، ص ٤٣ — ٥٨ .

(٤٦) راجع مروه الصائغ « زيارة الملك فيصل لافريقيا » ، بيروت .

(٤٧) الأمانة العامة « قرارات وبيانات » ، ص ض ٦٢ — ٨٢ .

(٤٨) من بين الثلاثة عشر دولة التي تكون عضوية منظمة « أوبيك » معالمية ، يوجد إحدى

عشرة دولة إسلامية ، وهم : المملكة العربية السعودية ، الجزائر ، جابون ، اندونيسيا ، إيران ، العراق ، الكويت ، ليبيا ، نيجيريا ، قطر ، والأمارات العربية المتحدة ، أما الدولتين الآخرتين فهما فنزويلا والايكوادور .

(٤٩) خمسة عشرة دولة أفريقية قطعت علاقاتها مع إسرائيل . منها عشر دول إسلامية ، وهم : الكمرون امبراطوية أفريقيا الوسطى ، أثيوبيا ، جابون ، جامبيا ، نيجريا ، السنغال ، سيراليون ، تانزانيا ، وفولتا العليا . والخمس الدول الاخرى هم : غينيا الاستوائية ، غانا ، كينيا ، ملاقاسى ، وزامبيا . أنظر جريدة أم القرى ، مكة المكرمة ، أكتوبر ١٩ و ٢٦ و ٢ نوفمبر ١٩٧٣م .

(٥٠) لد اسة تحليلية جيدة عن مؤتمر القمة الإسلامي الثاني ، راجع .

Mehrunnisa Ali, "The Second Islamic Summit Conference, 1974," *Pakistan Horizon* 27, No. 1 (1974) : 29-49.

(٥١) الأمانة العامة « قرارات وبيانات » ، ص ص ٩٥ – ١٠٠ .

(٥٢) Vijay Saroop, "The Islamic Summit,". *The World Today* 30, No. 4 (1974) : 139.

(٥٣) "Speaking with a United Muslim Voice," *Far Eastern Economic Review* 83, No. 9 (1974) : 12.

(٥٤) M. G. G. Pillai, "Razak: The Peace-Maker," *Far Easrten Economic Review* 85, No. 26 (1974) : 13.

(٥٥) "The Kuala Lumpur Conference," *Journal of the Musluim World League, Mecca* 1, No. 10 (1974): 53.

(٥٦) الأمانة العامة « قرارات وبيانات » ، ص ص ٩٣ – ٩٤ .

(٥٧) Mehrunnisa Ali, "The Third World and Some Political Problems in the UN General Assembly," *Pakistan Horizon* 28, No. 1 (1975) : 35-49.

(٥٨) نفس المرجع ، ص ٣٦ .

(٥٩) "United Nations," 1976 *Britannica Book of the Year* (Chicago : Encyclopaedia Britannica, 1976), p. 689.

(٦٠) "U. N. Assembly Backs Palaestinian State," *Los Angeles Times*, November 65, 1976, Part I, p. 8.

(٦١) "UNESCO Ends Controversial Nairobi Session," *Los Angeles Times*, December 1, 1976, Part I, p. 26.

(٦٢) "Preparatory Committee Approves Islamic Bank Charter," *Impact International Fortnightly* (London) 4, No. 11 (1974) : 10.

(٦٣) البنك الإسلامي للتنمية « البنك الإسلامي للتنمية : اتفاقية التأسيس » ، جده ، ١٣٩٤هـ ، ص ٧ . الوحدة الحسابية للدينار الإسلامي تساوي وحدة من حقوق السحب الخاصة لصندوق النقد الدولي .

(٦٤) الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي « البيان المشترك لوزراء الخارجية الإسلامي السادس المنعقد في جده من ٣-٦ رجب ١٣٩٥هـ (١٢-١٥ يوليو ١٩٧٥م) » جده ، ص٣ .

(٦٥) الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي « القرارات السياسية التي صدق عليها مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية السادس ، ٣ - ٦ رجب ١٣٩٥هـ (١٢ -١٥ يوليو ١٩٧٥م) » ، جدة ، ص ص ٥ - ٢١ .

(٦٦) حضر المؤتمر كل الدول الإسلامية ما عدا ستة دول يشكل المسلمون فيها الأغلبية وهم : بينن (سابقاً داهومي) أمبراطورية أفريقيا الوسطى ، أثيوبيا ، ساحل العاج ، تنزانيا ، وثوجد .

(٦٧) Secrétariat GéGéral de l'Organization de la Conférence Islamique, "Project de réglement de l'Organization des Radiodiffusions des États Islamiques" (unpublished report, Jeddah, 1975), p. 2.

(٦٨) ولزيادة توطيد العلاقات السياسية بين الدول الإسلامية ، فقد شكلت – في مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامي الثامن والذي انعقد في طرابلس ، ليبيا في مايو ١٩٧٧م –هيئة دائمة داخل منظمة المؤتمر الإسلامي لحل النزاع بين الدول الاسلامية بوسائل دبلوماسية أنظر :

("The World," *Los Angeles Times*, May 23, 1977, Part I, p. 2.)

(٦٩) قدرت هذه النسب المئويه بواسطة المؤلف من :

"Worldwide Oil and Gas at a Glance," *Oil and Gas Journal* 74, No. 52 (1976): 104-5.



« العلاقة بين حجم المنطقة التعليمية والخدمات الإدارية
الي تقدمها للمدارس في المملكة العربية السعودية » .

عرض موجز للرسالة المقدمة من الدكتور حمد إبراهم السلوم مدير عام التعليم بالمنطقة الوسطى إلى كلية الدراسات العليا بجامعة أوكلاهوما بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٤م الموافق ١٣٩٤ هـ للحصول على درجة الدكتوراه :

وقد قررّت لجنة المناقشة المشكلة من الدكاترة شيمان . ج . ستورت ، جيرالد . د . كيد ، روبرت . ف . بنز ، ودكتور باركر منحه درجة الدكتوراه في الإدارة التعليمية .

ويسر الدارة أن تنشر هذا العرض الموجز للرسالة .

في مجال دراسة هذا الموضوع حاول الباحث أن يحدد ما إذا كانت هناك علاقة بين حجم المناطق التعليمية الثلاث والعشرين الموجودة في المملكة العربية السعودية على أساس قياس هذا الحجم باتساع الرقعة ، وعدد المدارس وعدد المدرسين وعدد الطلاب ، وبين الخدمات الإدارية والإشرافية التي تقدمها إدارات التعليم ومكاتب الإشراف بهذه المناطق لمدارسها مسترشداً بالسلطات الإدارية والصلاحيات الممنوحة لها ، والأوضاع المالية والإجراءات المتبعة فيها ، والمؤهلات التعليمية لمدير التعليم والمشرفين التربويين العاملين معه ، وحالة الطرق ونظام المواصلات كوسائل لقياس هذه الخدمات الإدارية والإشرافية .

ولمّا كانت المملكة العربية السعودية تشغل أربعة أخماس الجزيرة العربية وتقدّر مساحتها بحوالي (٨٦٥٠٠٠٠) ميلا مربعا فمن الطبيعي أن تتباين المناطق التعليمية على امتداد هذه المساحة الشاسعة ، وقد حاول الباحث أن يوضح الخصائص المميزة لكل منطقة تعليمية من حيث موقع إدارة التعليم والظروف الطبوغرافية والمناخية وعدد السكان ودرجة التماسك الاجتماعي بينهم .

وقد قام الباحث بتصميم هذه الداراسة وتنفيذها لإحساسه بعدم كفاية نظام المناطق التعليمية الحالي . . وبناء على رغبته في الإسهام في تحسين الخدمات التعليمية في وطنه وقد شملت هذه الدراسة خمسة فصول هي :

الفصل الأول : بالمدخل إلى الدراسة .

الفصل الثاني : استعراض البحوث والوثائق ذات العلاقة .

الفصل الثالث : الخطة الّتي سار عليها البحث .

الفصل الرابع : عرض وتحليل البيانات .

الفصل الخامس : النتائج والاستبيان والتوصيات .

ولقد وقع اختيار الباحث لتحقيق صحّة هذه الفروض على منهج المسح الاجتماعي كمنهج له من المرونة ما يمكّنه من استخدام أكثر من وسيلة من وسائل البحث ، كما يعطي في النهاية صورة كاملة للموقف،والاستبيان هو الأداة الرئيسية المستخدمة في هذا البحث ، وإن كان ذلك لم يمنع الباحث من الرجوع إلى بعض الوثائق والسجلات ذات العلاقة وإجراء بعض المقابلات الشخصية .

ولقد شملت العينة المستخدمة في هذا البحث والتي بلغ عددها (٧٠٠) فردا القطاعات التالية :

١ – مديرى المناطق التعليمية الثلاث والعشرين .

٢ – (٧٧) مشرفاً يمثلون (٥٠٪) من جملة المشرفين التربويين في المملكة

٣ – (٦٠٠) مديرا في المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية ، تمثل (٢٧,٥٪) من جملة مديري المدارس بالمملكة بطريقة عشوائية .

وقد قام الباحث بجمع البيانات بالبريد الرسمي ، كما قام بجولة حول المملكة بهدف مشاهدة رجال الإدارة التعليمية ، ومقابلة بعض مديري التعليم وبعض المشرفين ومدراء المدارس في مواقعهم لمتابعة الاستبيانات ، وتم تفريغ البيانات وترجمتها وعرضها وتحليلها ، ووصل الباحِث إلى مجموعة من النتائج .

أشارت النتائج الأساسية إلى وجود علاقة بين أحجام المناطق التعليمية الحالية بالمملكة والخدمات الإدارية والإشرافية التي يجري تقديمها للمدارس ، فكلما كان حجم المنطقة صغيراً كلما كانت درجة ونطاق الخدمات الإدارية والإشرافية التي تقدمها إدارة التعليم إلى مدارسها أكبر ، وكلمّا كان حجم المنطقة كبيراً كلمّا قلّت درجة ونطاق الخدمات الإدارية والإشرافية .

هذا علاوة على بعض النتائج الأخرى ، ومنها أن متوسط المسافة بين وزارة المعارف وإدارات التعليم ٩٠٠ كيلو متّرا ، ومتوسط المسافة بين إدارة التعليم والمدرسة ٢٥٠ كيلو متّرا ، ممّا تواجه معه الإدارات صعوبة كبيرة في تقديم الخدمات للمدارس ، كما أن متوسط عدد سكـــان المنطقة التعليمية (١٤٠٠٠٠) نسمة ، ومتوسط عدد سكان المدن التي تقع بها إدارات التعليم (٥٠٠٠) نسمة .

ومن الاستنتاجات المستندة إلى نتائج الدراسة وجود نقص في الصلاحيات الممنوحة لإدارات التعليم والمدارس ، سيّما في رسم السياسة التعليمية ، وكذا نقص واضح في مجال التدريب على الشئون التعليمية كما تطرق البحث إلى العوامل التي تساعد على زيادة فاعلية الإدارات التعليمية ، وأنه يمكن التغلب على مشكلات عديدة إذا تم توفير أجهزة الاتصال الحديثة ، وتحسين الطرق العامة .

وقد انتهى الباحث في رسالته إلى ثلاثة موضوعات هي التوصيات العامة ، والخطة المقترحة لإعادة أحجام المناطق التعليمية والدراسات الإضافية المطلوبة .

التوصيات العامّة :

وقد تناولت التوصيات العامة إعادة دراسة المناطق التعليمية من حيث أهدافها وهيكلها ووظيفتها وخدماتها وتمويلها وحجمها وموقع إدارة التعليم بالنسبة للمدارس وموقف مكاتب الإشراف ، وإشراك العاملين في المدارس والإدارات والمجتمع المحلي في رسم سياسة التعليم ، وإدخال التحسينات المستمرة على الأوضاع القائمة ، واستقلال المناطق التعليمية من الناحية المالية ، والعمل من خلال الهيكل التنظيمي المقترح لها ، والاهتمام باختيار مدير التعليم وتوفير الحوافز المالية للعاملين في مجال التعليم ، والاهتمام بالمباني والأدوات والتجهيزات والمكتبات المدرسية والمصادقة على القوانين واللوائح المنظمة للعملية التعليمية من قبل السلطات التشريعية .

الخطة المقترحة لإعادة تنظيم أحجام المناطق التعليمية :

وتهدف الخطة إلى توفير الفرص المتكافئة لكل طفل بصرف النظر عن مكان معيشته بالمملكة ، وكذلك ينبغي إعادة تنظيم المناطق التعليمية ، بحيث يكون

حجمها مناسباً لإمكان توفير الخدمات اللازمة للمدارس في ضوء الكثافة السكانية وطبيعة السكان والظروف الجغرافية ، وحالة الطرق ووسائل النقل والمواصلات والخصائص الاجتماعية والحضارية بالمملكة . وقد اقترح الباحث نموذجا لحجم المنطقة التعليمية على أساسه يمكن تقسيم المملكة إلى ٥٧ منطقة تعليمية ، قام الباحث بتحديد الحدود التقريبية لكل منها .

دراسات إضافية مطلوبة :

أوصى الباحث بإجراء مزيد من الدراسة عن العلاقة بين حجم المنطقة التعليمية من جهة ، والخدمات التعليمية المقدمة للمدارس والروح المعنوية لمدير التعليم وموظفيه ودرجة الرقابة المركزية التي تمارسها إدارة التعليم في تعاملها مع المدارس التابعة لها من جهة أخرى .

ولما كان الاتجاه الحالي هو تقسيم المملكة إلى مقاطعات إدارية على أساس من تقارب العوامل الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية فقد رأت وزارة المعارف مسايرة لهذا التنظيم الإداري أن يكون بكل مقاطعة مديرية عامة للتعليم ، وكلفت الباحث مع إدارة التنظيم والإدارة بالوزارة بإعداد دراسة في هذا المجال ، فأعد مشروعاً لتنظيم هذه المديريات بالمملكة ، موضحاً أهدافها ومهامها ونطاقها ومسئوليتها .

ويرى الباحث أن تقسيم هذه المقاطعات إلى مناطق تعليمية تديرها إدارات تعليمية تختلف في تنظيمها الإداري واختصاصاتها ومسئولياتها وسلطاتها باختلاف حجم المنطقة وتكون تابعة للمديريات العامة ، يمكن للتعليم في المناطق الرئيسية أن يجمع بين الاتجاه الرامي إلى تقسيم المملكة إلى مقاطعات ، وما جاء في رسالة الباحث من الحاجة إلى إعادة تنظيم المناطق تبعاً للاحتياجات التعليمية .

الدارة



في دورته الثالثة المنعقدة بمكة المكرمة خلال الفترة من
١٦ - ٢١ ربيع ثان سنة ١٣٩٨هـ الموافق ٢٥ - ٣٠ مارس سنة ١٩٧٨م

يسر مجلة الدارة أن تنشر فيما يلي نص القرارات والتوصيات التي صدرت عن المجلس الأعلى العالمي للمساجد في دورته الثالثة وهي :

أولاً : تحكيم الشريعة الإسلامية :

١ ـ قرر المجلس إعادة الكتابة لدعوة الحكومات الإسلامية جميعها للحكم بما أنزل الله واعتبار القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة دستورها فيما تأخذ وفيما تدع حتّى يفيء المجتمع في ديار الإسلام من جديد إلى شريعة الله يستظل بظلها ويتقي بها ما يهب على شابه من سموم الفساد وتستعيد الأمة الإسلامية قوتها ومجدها ويحيا الناس جميعاً حياة كريمة في ظل عدالة وأمن وسلام الإسلام .

٢ ـ كما يناشد المجلس الحكومات الإسلامية التي سبقت لها التجربة في وضع الدساتير الإسلامية بتزويد الرابطة بكافة مالديها من قوانين تشريعية إسلامية لتقوم الرابطة بدورها بمد يد العون إلى الدول التي تحتاج إلى المساعدة في وضع الدستور الإسلامي .

٣ ـ كما يري المجلس مطالبة الأعضاء بتزويد الأمانة العامة بأسماء العلماء الذين يستطيعون الإسهام في وضع الدستور الإسلامي لإرسالهم إلى الدول الإسلامية التي تطلب المساعدة في وضع دستورها الإسلامي .

ثانياً : المسجد الأقصى وفلسطين :

١ ـ يرى المجلس أن العدوان الإسرائيلي الأخير على جنوب لبنان يكشف الأبعاد الحقيقية للمخطط الصهيوني الرامي إلى التوسع المستمر على حساب الأقطار الإسلامية المجاورة وملاحقة الشعب الفلسطيني المجاهد في كل مكان يتواجد فيه مما يحتم على الدول

الإسلامية وخصوصاً دول المواجهة أن تجمع أمرها وتحشد كل طاقاتها لمواجهة هذا الخط بكل عزم وتصميم .

وعلى الدول الإسلامية كلها أن تنسق جهودها وتدفع بكل ما يمكنها من موارد لدعم الصمود الإسلامي ضد هذا الخطر الذي يهدد الدين والأرض والمقدسات .

٢ ــ يوصي المجلس الأمانة العامة للرابطة بالعمل على القيام بحملة إعلامية مكثفة عن قضية استعادة المسجد الأقصى المبارك والمسجد الإبراهيمي والمقدسات الإسلامية ويستعان في ذلك بأشرطة العرض والتسجيلات ووسائل الإعلام المختلفة وعقد مسابقات لوضع كتب ونشرات بمختلف لغات العالم الإسلامي وتوزيعها على نطاق واسع في البلاد الإسلامية وفي سائر أنحاء العالم .

٣ ــ يوصي المجلس وزارات التربية والتعليم في البلاد الإسلامية بإدخال موضوع فلسطين والمسجد لأقصى المبارك في مادتي التاريخ والجغرافيا في مناهج التعليم ويطلب من الأمانة العامة للمجلس الأعلى العالمي للمساجد والمؤتمر الإسلامي لبيت المقدس في عمان إمدادها بالنصوص لمناسبة لهاتين المادتين .

٤ ــ قرر المجلس تعمير وترميم المسجد الأقصى المبارك بإنشاء المؤسسات العلمية الإسلامية اللازمة بالتعاون مع مديرية الأوقاف بالقدس .

٥ ــ يوصي لمجلس الدول الإسلامية بدعم الدعوة والوعظ والإرشاد في المناطق المحتلة وتزويدها بالوعاظ الأكفاء والدعاة المؤمنين

وكافة الوسائل الضرورية التي تعينها على جمع المسلمين على المباديء الإسلامية والتعلق بمقدساتهم وأرضهم والدفاع عنها . كما يوصي الأمانة العامة بالإسهام في هذا الشأن .

٦ - يؤيد المجلس القرارات الصادرة من مؤتمرات وزراء الخارجية الإسلامية بدعم صندوق القدس ومناشدة الدول الإسلامية والمؤسسات الشعبية والأفراد أن تدفع بسخاء لهذا الصندوق حتى يستطيع أن يقوم بالواجب المنوط به .

ثالثاً : المساجد والمؤسسات الإسلامية في لبنان :

١ - يوصي المجلس بتشكيل لجنة من أعضاء المجلس التأسيسي للرابطة كوفد منها للسفر إلى لبنان لدراسة الوضع على الطبيعة وتقدير المبالغ اللازمة للقيام بإصلاحات مادمرته الحرب الأهلية من المساجد والأوقاف ووضع ميزانية لذلك تنفذ على عدة سنوات وتوزع حسب أنصبة الدول الأعضاء في الرابطة .

٢ - يترك المجلس اختيار أعضاء تلك اللجنة المذكورة إلى رأي المجلس التأسيسي للرابطة .

٣ - الكتابة إلى وزراء الأوقاف في الدول الإسلامية لحث حكوماتهم على تقديم التبرع والدعم للمسلمين في لبنان لبناء مساجدهم وعقاراتهم التي تهدمت حتى تكون كلمة الله هي العليا ويكون الدعم عن طريق دار الإفتاء في لبنان ليصرف في الوجوه التي جمع من أجلها .

رابعاً : الدعوة وإعداد الدعاة :

(أ) أما ما يتصل بإعداد الدعاة :

١ ـ قرر المجلس إنشاء معهد إسلامي في مكة المكرمة يتبع الأمانة العامة للرابطة لتخريج الأئمة والخطباء يقبل فيه الراغبون في الدراسة من جميع الدول والأقليات الإسلامية بشروط ومكافآت ومناهج يعدها المجلس لهذه الدراسة على أن يكون فيه شعبة لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها تحدد مدتها من قبل المجلس . وعلى الأمانة العامة أن تضع مشروع هذا المعهد المقترح .

٢ ـ قرر المجلس أن تنتقي رابطة العالم الإسلامي عدداً من أبناء المسلمين لتعليم اللغة العربية وشئون الدعوة ويدرسون على منح في جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة .

٣ ـ قرر المجلس أن تستمر الأمانة في إقامة الدورات التدريبية في جميع القارات على حسب قدرتها تدريجياً لما في ذلك من الفائدة العظيمة العاجلة .

٤ ـ قرر المجلس التنسيق بين أجهزة الدعوة في مصر والسعودية وغيرهما من البلاد التي تقوم بالدعوة حتى لا يحدث تكدس للدعاة في بعض البلاد وفراغ في البعض الآخر .

٥ ـ قرر المجلس الاستمرار في إرسال المبعوثين ودعاة الإسلام إلى كل مكان يتيسر فيه القيام بالدعوة من أجل نشر الإسلام .

٦ ــ قرر المجلس العمل على توفير الوعاظ والمرشدين والأئمة للمساجد التي ما زالت تفتقر إلى وجود مثل هؤلاء الوعاظ والأئمة لإرشاد المسلمين إلى أمور دينهم .

(ب) وأما ما يتصل بشأن التعليم والإعلام :

١ ــ قرر المجلس توصية وزراء التربية والتعليم في الدول الإسلامية والقائمين على المؤسسات التعليمية الأهلية وهيئات التعليم لدى الأقليات بمراعاة منهج التربية الإسلامية في كل مجالات التربية والتعليم وفي جميع مراحلها . كما يرى ضرورة الالتزام بقرارات وتوصيات المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي المنعقد بمكة المكرمة عام ١٣٩٧هـ .

٢ ــ كما قرر المجلس توصية وزراء الإعلام في جميع الدول الإسلامية بمراعاة الالتزام بالشرع في الإذاعات المرئية والمسموعة وفيما يحرر في الصحف والكتب وتنقيتها من الانحلال والأفكار التي تتنافى مع القيم والمباديء الإسلامية .

٣ ــ كما يوصي المجلس بتوجيه نظر وزراء الإعلام في العالم الإسلامي إلى عدم تمكين الشيوعيين والصهيونيين والقاديانيين وأصحاب المذاهب الضالة والسلوك غير الإسلامي من العمل في هذه الأجهزة التوجيهية الخطيرة .

(جـ) توحيد مادة التربية الإسلامية في المدارس :

١ ــ قرر المجلس الأعلى العالمي للمساجد في دورته الثالثة أن تعمل

الحكومات الإسلامية على توحيد مناهج الدين الإسلامي في مدارسها الابتدائية والمتوسطة والثانوية حتى يخرج الجيل القادم من أبناء المسلمين وقد تعلموا المبادىء الأساسية لدينهم الحنيف . وتكونت لديهم الأسس الدينية المشتركة لتقرب بينهم وتجعل منهم نواة صالحة للمجتمع الإسلامي السليم .

وتنفيذاً لذلك يوصي المجلس بما يلي ـ:

١ ـ أن تشكل الأمانة العامة للمجلس لجنة من أصحاب السماحة والفضيلة العلماء لوضع أسس المنهج المقترح ، على أن يتم ذلك في أقرب وقت ممكن حتى يتسنى تقـديمه إلى الحكومات الإسلامية والتوصية بالعمل به .

٢ ـ أن يتخذ معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الخطوات المناسبة لعرض هذه التوصية على مجلس وزراء خارجية الدول الإسلامية في إحدى دوراته المقبلة لتقديمه إلى الحكومات الإسلامية المشتركة في ذلك المؤتمر .

٣ ـ تقوم الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي بإبلاغ الجماعات والمنظمات والهيئات الإسلامية في العالم بذلك المنهج وحثها على الالتزام به واتباعه في تعليم الدين لأجيالهم الناشئة .

٤ ـ تأكيد توصيات المجلس في دوراته السابقة بمنع الاختلاط في مختلف مراحل التعليم ثم التنبيه مجدداً إلى خطر الأسلوب المتبع الآن في بعض الدول الإسلامية التي تسمح للمدرسين من

الرجال بالتدريس في مدارس البنات كما تسمح للنساء بالتدريس في مدارس البنين .

٥ – يوصي المجلس بتوجيه نظر الحكومات الإسلامية والجهات المشرفة على التعليم بوجه خاص أن يراعي عند اختيار المدرسين من غير المسلمين الذين تقتضي الضرورة الاستعانة بهم أن يكونوا من المتصفين بحسن السيرة والذين يؤمن جانبهم نسبياً في عدم التأثير على الشباب المسلم في عقيدته وسلوكه .

٦ – وفيما يتصل بمدارس التنصير التي اخذت تنتشر في بلاد العالم الإسلامي يوصي المجلس بضرورة توجيه أنظار الحكومات الإسلامية إلى هذا الخطر لصد هذا التيار المعادي للإسلام .

(د) توعية الحجاج في ديارهم :

اطلع المجلس على خطاب معالي وزير الحج والأوقاف السعودي معالي الشيخ عبد الوهاب عبد الواسع المتعلق بتوصية الحكومات الإسلامية بتوعية حجاجها بمناسك الحج وآدابه وضرورة الالتزام بالأحكام الشرعية ومنها العناية بالنظافة والتزام الهدوء واتباع النظام والمحافظة على الزي الشرعي للمرأة .

وقد أوصى المجلس بالاستجابة لهذا الإرشاد والتوجيه والعمل على تنفيذه بوساطة العلماء وخطباء المساجد وأئمتها وأجهزة الإعلام المختلفة .

كما أوصى المجلس وزارة الحج والأوقاف السعودية بالتوسع في

استعمال الفيلم الخاص بالحج على أن يكون بالأحجام المناسبة ليتسنى عرضه على أكبر عدد ممكن .

(هـ) البنوك الإسلامية :

يوصى المجلس جميع وزراء الاقتصاد في الدول الإسلامية بإنشاء البنوك الإسلامية ومساعدتها والمساهمة فيها للراغبين لتقوم هذه البنوك بخدمة المسلمين وأن تكون معاملاتها على منهج الشريعة الإسلامية .

خامساً : القاديانية والمذاهب الهدامة :

١ – يؤيد المجلس ما قررته إدارة البحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد بشأن هذه الطائفة الضالة .

٢ – ويوصي المجلس جميع الدول الإسلامية بنشر الفتوى الصادرة عن المجلس التأسيسي للرابطة بخروج هذه الطائفة عن الدين الإسلامي لإيمانهم بنبوة ميرزا غلام احمد المتضمن عدم الإيمان بأن محمدا صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين . . في جميع أنحاء العالم عن طريق كل وسائل الإعلام المتنوعة ، ومنعهم من إقامة مراكز أو نواد أو مؤسسات لهم في البلاد الإسلامية .

٣ – يوصي المجلس الحكومات الإسلامية بالامتناع عن توظيف أي قادياني في بلادها وإنهاء عقد كل من يثبت أنه قادياني .

سادساً : الشئون الإسلامية بين الأقليات :

(أ) المسلمون في الاتحاد السوفيتي والدول الشيوعية :

قرر المجلس توصية جميع الجامعات الإسلامية في المملكة العربية السعودية وفي سائر الدول الإسلامية بإعطاء منح دراسية لأبناء المسلمين في الاتحاد السوفيتي على أن تتولى الأمانة العامة للرابطة تنسيق هذه المنح وتنفيذها .

(ب) المسلمون في أمريكا وكندا :

١ ــ اطلع المجلس على ماقدمه سعادة الأمين العام المساعد للرابطة الشيخ محمد صفوت السقا أمين حول موضوع تجهيز الأموات ودفنهم في أمريكا وذلك خلال الندوة المنعقدة في ولاية ديترويت بأمريكا وقد قرر المجلس ما يأتي :

(أ) أن تقوم الأمانة العامة بإصدار رسائل في موضوع تجهيز وتكفين الموتى والصلاة عليهم ودفنهم بصورة موجزة مفيدة وتترجم إلى اللغة الإنجليزية ويعجل إرسالها إلى المسلمين في الأمريكتين وحيث تكون الحاجة إليها .

(ب) أن تسعى الأمانة إلى طلب مساعدة مالية من الحكومات وذوى المقدرة لشراء قطعة أرض لتكون مقبرة لأموات المسلمين في أمريكا . كما تطالب الأمانة الحكومة الأمريكية بالسماح للمسلمين هناك بإقامة هذه المقابر أسوة بغيرهم من الجاليات .

٢ ــ أن يعمل على إيجاد مساجد في كل منطقة من الولايات المتحدة وكندا حيث يكثر فيها المسلمون ويفتقرون إلى وجود مسجد لأداء شعائرهم الدينية فيه .

٣ ــ إيجاد مكتبات إسلامية تحتوي على الكتب الدينية كي تكون مرجعا للمسلمين بالإضافة إلى تزويدهم بمعرفة أصول ومباديء الشريعة السمحاء وتكون هذه المكتبات ملحقة بالمساجد ، لأن المساجد تعتبر معاهد علمية لتهذيب وتثقيف المسلمين ونشر مباديء الشريعة الإسلامية .

٤ ــ العمل على توفير الوعاظ والمرشدين والأئمة للمساجد التي مازالت تفتقر إلى وجود مثل هؤلاء الوعاظ والأئمة لإرشاد المسلمين إلى أمور دينهم .

٥ ــ كما قرر المجلس مطالبة الدول التي توجد بها أقليات إسلامية بمراعاة حقوق المسلمين ومشاعرهم الدينية وعدم التعرض لأماكن عبادتهم ومساجدهم .

٦ ــ يقرر المجلس مطالبة الإخوة المسلمين في الدول الغير إسلامية بنبذ الخلافات فيما بينهم ودعوتهم إلى الاتحاد والتعاون حتى يكونوا صفا واحداً كالبنيان المرصوص وحتى لا تتزعزع أركانهم ويضعف شأنهم .

سابعاً : قضية الفلبين :

درس المجلس الأعلى العالمي للمساجد قضية مسلمي الفلبين واضطهاد حكومة الرئيس ماركوس لهم وعدم التزامها بما تم الاتفاق عليه في مؤتمر ليبيا الذي تم تحت إشراف منظمة المؤتمر الإسلامي ورأى المجلس تأكيد القرارات السابقة ومن ذلك :

١ ــ تكليف منظمة المؤتمر الإسلامي بجدة بالاتصال بحكومة الرئيس ماركوس لحثها على تنفيذ كافة بنود الاتفاقية التي تمت بينها وبين المسلمين الفلبينيين في ليبيا نصا وروحا .

٢ ــ مطالبة الدول الإسلامية بالضغط على حكومة الفلبين لإجبارها على الوفاء بعهودها من غير مراوغة أو مماطلة حتى يتحقق للمسلمين في الفلبين الحكم الذاتي حماية لهم وتحقيقاً لحريتهم وتمكينا لدين الإسلام في تلك الدولة .

ثامناً : توحيد أنماط بناء المساجد على طراز إسلامي والتنسيق بين مهام وزارات الأوقاف :

١ ــ قرر المجلس أن تقوم الأمانة العامة بمهمة التنسيق بين مهام وزراء الأوقاف والهيئات والجمعيات والمنظمات الإسلامية في العالم الإسلامي بحيث يوحد بين أنشطتهم بقدر الإمكان في أسلوب الدعوة والدعاة وطرز بناء المساجد ودعوتهم لتحقيق التكامل بينهم ضمن خطة مرسومة محددة على أساس إحصائي دقيق يضعه المجلس بحيث توضع المساعدات في مكانها . كما

تدعوهم إلى طبع المصحف الشريف والكتب الإسلامية المناسبة وتوزيعها على الأئمة لتعزيز الدعوة والعمل على نشرها .

٢ ــ كما قرر المجلس تكليف الأمانة العامة بتقديم لائحة في الدورة القادمة توضح طريقة تقديم المساعدة لمشروعات بناء المساجد والشروط الواجب توافرها في مشروعات البناء .

٣ ــ أما بشأن وضع كتاب في التفسير فيرى المجلس الاكتفاء بالتفسير المسمى (المنتخب في تفسير القرآن الكريم) الصادر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في القاهرة وذلك بعد مراجعته والاطمئنان على سلامته من الأخطاء في العقيدة وغيرها .

٤ ــ ويرى المجلس أن تقوم الأمانة العامة بمشروع لحصر المساجد الكبرى في كل قطر إسلامي وتسجيلها في دليل خاص مع بعض البيانات التفصيلية عن كل مسجد للاستعانة بذلك كدليل للمساجد يساعد المسلمين على الاهتداء إليها والتعرف عليها .

تاسعاً : إنشاء مكتبة للمخطوطات الإسلامية :

يوصي المجلس الأمانة العامة بالعمل على إنشاء مكتبة إسلامية تضم المخطوطات الإسلامية التي تحفظ تراثنا وتخدم نهضتنا الحديثة والاستعانة في سبيل ذلك بكل الطرق والأساليب العلمية وتقديم الدعم اللازم لإنجاز هذا المشروع مع البدء بالأهم فالمهم .

عاشراً : نظام المجالس المحلية للمساجد :

لقد اطلع المجلس الأعلى العالمي للمساجد على النظامين المقدمين من الأمانة العامة بشأن المجالس المحلية والإقليمية للمساجد وذلك بناء على ما أوصى به المجلس في دورته السابقة وكذلك على التعديل المقدم من لجنة النظام المنبثقة عن المجلس وبعد الدراسة والمناقشة أوصى المجلس بترك هذا الموضوع للأمانة العامة للمجلس للتصرف فيه بما تراه مناسباً للمصلحة .

أحد عشر : تمويل المساجد والدعوة الإسلامية :

يرى المجلس ضرورة الدعم المالي المنظم لنشاط الدعوة الإسلامية وتعمير المساجد وإنشاء المؤسسات الإسلامية في كل بلد إسلامي ، وأمام هذه الضرورة لابد من إيجاد موارد ثابتة لهذا النشاط على الأسس الآتية :

١ — حث الدول العربية والإسلامية الغنية على تخصيص جزء من المساعدات المالية التي تقدمها للدول الفقيرة للإنفاق منها على النشاط الإسلامي .

٢ — تشجيع تقديم قروض بدون فوائد لتعمير أراضي الأوقاف الإسلامية وإقامة مشروعات تنمية للإنفاق منها على الدعوة الإسلامية وتعمير المساجد .

وتدارس المجلس المذكرة والتقرير المقدمين من الأمانة العامة للمساجد ونظراً إلى أن الرسالة المنوطة بالمجلس الأعلى العالمي للمساجد رسالة لها أهميتها الكبرى ، لذا يرى المجلس أن تقوم أمانته العامة بالاتصال بسفراء

الدول الإسلامية في جدة لتطلب من حكوماتها دعم صندوق التمويل المركزي للمساجد ، وكذلك الاتصال ببنك دبي الإسلامي وبيت التمويل الكويتي بدعم ميزانية المجلس الأعلى العالمي للمساجد من أموال التبرعات التي تؤخذ من المساهمين وصندوق التضامن الإسلامي ووزارات الأوقاف في الدول الإسلامية .

ثاني عشر : تقديم الشكر :

قرر المجلس بالإجماع شكر الأمانة العامة للمجلس الأعلى العالمي للمساجد وجهازها على جهودهم في تنفيذ توصيات المجلس الأعلى العالمي للمساجد في دورته الثانية وذلك لما لمسه أعضاء المجلس من حرص على متابعة قراراته وتنفيذها على الرغم من ضعف الإمكانيات وقلة الأيدي العاملة .

وبهذه المناسبة لاينسى المجلس أن يكرر شكره للأمانة العامة للرابطة وأجهزتها التي تعاونت مع جهاز المساجد في الوصول بنتائج العمل إلى هذا المستوى الطيب سائلين الله أن يوفق الجميع لما فيه الخير .

كما قرر المجلس توجيه الشكر لجلالة الملك خالد بن عبد العزيز المعظم ولولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز وللحكومة السعودية السنية على ماتقدمه من رعاية واهتمام للمجلس الأعلى العالمي للمساجد مما ساعد المجلس على القيام بمهامه الجسيمة في سبيل الدعوة الإسلامية .

كما قرر المجلس توجيه الشكر لجامعة الملك عبد العزيز ووزارة

الحج والأوقاف السعودية على تعاونهما مع الأمانة العامة للمجلس ودورهما البارز في سبيل إخراج المركز الدائم لتدريب الأئمة والدعاة والخطباء إلى حيز الوجود والتطبيق العلمي .

كما قرر المجلس توجيه الشكر لجميع من أسهم بجهوده أو أسهم ماديا للمجلس خاصة فضيلة الشيخ عبد الله الأنصاري وسعادة الشيخ إبراهيم الهاجري مساهمته المادية الكبيرة التي أعانوا بها المجلس على تنفيذ مهامه . كما يشكر المجلس صاحب السمو الشيخ محمد بن سلطان القاسمي على تبرعه الكريم للمجلس .

ويشكر المجلس سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رئيس المجلس على تبرعه السنوي الكريم إسهاما من سماحته في تمويل المساجد .

الله نسأل أن يوفقنا جميعاً لما فيه خير الإسلام وعزة المسلمين . . .

ثالث عشر : موعد عقد الدورة القادمة :

قرر المجلس الأعلى العالمي للمساجد أن تعقد دورته القادمة في موعد الدورة السابقة خلال الفترة من ١٦ إلى ١٣٩٩/٤/٢١هـ ان


البيبليوغرافيا



الآثار في المملكة

هذه قائمة ببليوجرافية عن الآثار في المملكة العربية السعودية رصدت فيها ما استطعت أن أحصره من مواد ذات صلة بهذا الموضوع ، سواء أكانت في شكل كتب أم مقالات نشرت في بعض الدوريات . وتضم القائمة موادا ذات صلة مباشرة بقضية الآثار ، وأخرى تعد من الأعمال المساعدة التى يحتاج اليها الدارس في هذا المجال مثل الكتب المتعلقة بالمدينتين المقدستين مكة

العربية السعودية ببليوجرافيا

اعداد : يحيى محمود ساعاتي
عمادة شؤون المكتبات جامعة الرياض

والمدينة ، كما أن هناك مقالات ذات صبغة صحفية (الاستطلاعات) ذكرناها لما تحويه من صور لآثار قد لا توجد في غيرها .

وقصرنا الببليوجرافيا على المواد العربية ، على أمل أن نتمكن في المستقبل من حصر المواد الأجنبية .

وقد رتبت الببليوجرافيا هجائيا حسب الاسم الأخير للكاتب أو المؤلف .

١ – «الآثار في المنطقة الشرقية» **العرب ١٢** (جماد ثاني ١٣٩٨هـ) صص ٨٠٤ – ٨٣٦ .

٢ – « الاستكشاف الأثـري للمملكة العربية السعودية ١٩٧٦ م تقـرير مبدئي من برنامج المسح الشامل إعدادروبرت آدمز وآخرين» **أطلال ، حولية الآثار العربيـة السعودية** ع ١ (١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) صص ٢١ – ٢٥ .

٣ – **الأصفهاني ، الحسن بن عبد الله .**

بلاد العرب تأليف الحسن بن عبدالله الأصفهاني تحقيق صالح العلي وحمد الجاسر . الرياض ، دار اليمامـة للبحث والترجمة والنشر ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م . ٥٢٧ ص (نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب – ٧) .

٤ – **الألمعي ، يحيى إبراهيم .**

رحلات في عسير ، نصوص وانطباعات ، ووصـف ومشاهدات . جدة ، دار الأصفهاني ، ١٣٩٢هـ . الجزء الأول ١٨٥ ص .

٥ – **الهى ، رانا احسان .**

«الحجر بها بيوت لا قبور » **المنهل س ٣٧ مج ٣٢** (ربيع الثاني ١٣٩١هـ) صص ٤٢٨ – ٤٣٠ .

٦ – **الأنصاري ، عبد الرحمن الطيب .**

« أضواء على دولة كنـدة من خلال آثار ونقوش قرية الفو » **الدارة ع ٣ س ٣** ([illegible] ١٣٩٧هـ) صص ٩٨ – ١٠٩ .

٧ – **الأنصاري ، عبد الرحمن الطيب .**

« كتابات من الأب » **مجلة**

كلية الآداب ج ١ س ١
(١٣٩٠هـ) صص ١١٣ –
١٢٤ .

٨ – **الأنصاري ، عبد الرحمن الطيب .**
« كتابات من قرية الفاو »
مجلة كلية الآداب ج ٣ س ٣ (١٣٩٣هـ/١٣٩٤هـ)
صص ٢٧ – ٧٠ .

٩ – **الأنصاري ، عبد الرحمن الطيب .**
« لمحات من بعض المدن القديمة في شمالي غربي الجزيرة العربية » **الدارة ع ١ س ١** (ربيع أول ١٣٩٥هـ) صص ٧٦ –
٧٩ .

١٠ – **الأنصاري ، عبد القدوس.**
آثار المدينة المنورة . المدينة المنورة ، المكتبة العلمية ،
١٣٧٨هـ .
٢٠٧ ص .

١١ – **الأنصاري ، عبدالقدوس .**
«استكشاف أطلال مدينة الفاو الأثرية » **المنهل س٣٩ مج ٣٤** (ربيع الثاني – جماد الأولى ١٣٩٣ هـ)
صص ٢٢٠ – ٢٢٧ .

١٢ – **الأنصاري ، عبدالقدوس .**
« بين الأطم والحصن »
المنهل س ٣٨ مج ٣٤
(شعبان ١٣٩٣هـ) صص
٥٧٠ – ٥٧١ .

١٣ – **الأنصاري ، عبدالقدوس .**
بين التاريخ والآثار .
بيروت ٣٧٤ ص ١٩٦٩م .

١٤ – **الأنصاري ، عبدالقدوس .**
« بيوت مدائن صالح »
قافلة الزيت ع ٨ مج ١٣
(شعبان ١٣٨٥هـ) صص
٢ – ٥ .

١٥ – **الأنصاري ، عبدالقدوس .**
تاريخ العين العزيزية ولمحات

عن مصادر المياه في المملكة العربية السعودية . جدة ، إدارة العين العزيزية ، ١٣٨٩هـ .
٤٧١ ص .

١٦ ــ الأنصاري ، عبدالقدوس .
تاريخ مدينة جدة . جدة ، دار الأصفهاني ، ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م .
٦٨٠ ص .

١٧ ــ الأنصاري ، عبدالقدوس .
« توسعات المسجدين الشريفين بالمدينة المنورة »
قافلة الزيت ع ٧ مج ١٧ (رجب ١٣٨٩هـ) ص‌ص ٧ ــ ١٢ .

١٨ ــ الأنصاري ، عبدالقدوس .
« جدة : شجر الرمان »
الفيصل ع ١٨ (ذوالحجة ١٣٩٨هـ) ص‌ص ٣٩ــ ٥٧ .

١٩ ــ الأنصاري ، عبدالقدوس .
« جولة في جبل عار
المنهل س ٢ مج ٢ (محرم ١٣٥٦هـ) ص‌ص

٢٠ ــ الأنصاري ، عبدالقدوس .
رحلة بني سليم . جدة ، مجلة المنهل ، ١٩٧٠م . (عدد خاص من المنهل س ٣٦ ، مج ٣١) ص‌ص ٩٩٥ ــ ١٠٦٧ .

٢١ ــ الأنصاري ، عبدالقدوس .
رحلتان من جدة إلى أطلال الجار «ميناء المدينة القديم» جدة ، مجلة المنهل ، ١٩٧١م (عدد خاص من المنهل س٣٧ ، مج٣٢) ص‌ص ٤٤٥ ــ ٤٩٥ .

٢٢ ــ الأنصاري ، عبدالقدوس .
رحلة الرياض . جدة ، مجلة المنهل ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧ . (عدد خاص من

مجلة المنهل شعبان١٣٨٧هـ) ص‌ص ٨٣٨ — ٩٨٤ .

٢٣ — الأنصاري ، عبدالقدوس .
« رئيس التحرير يكتشف أثرا تاريخيا » . **المنهل س ٢٨ ، مج ٢٣** (ذو الحجة ١٣٨٢هـ) ص‌ص ٧٤٠ — ٧٤٣ .

٢٤ — الأنصاري ،عبدالقدوس .
« سد عاصم وقصره » **المنهل س ٣٢ مج ٢٨** (محرم ١٣٨٨هـ) ص‌ص ١١٥ — ١٢٠ .

٢٥ — الأنصاري ، عبدالقدوس .
« السدود القديمة في هذه البلاد » **المنهل س ٣٧ مج ٣٢** (ربيع الأول ١٣٩١هـ ص‌ص ٢٤١ — ٢٤٣ .

٢٦ — الأنصاري ، عبدالقدوس .
« سوق عكاظ من البداية إلى النهاية » **قافلة الزيت ع ١٠ مج ٣١** (شوال ١٣٨٥هـ) ص‌ص ٢ — ٣

٢٧ — الأنصاري ، عبدالقدوس .
« الصويدرة بلدة تولد في وادي الآثار القفر » **قافلة الزيت ع ١١ مج ١٦** (ذو القعدة ١٣٨٨هـ) ص‌ص ٧ — ١١ .

٢٨ — الأنصاري ، عبدالقدوس .
طريق الهجرة النبوية .جدة مطابع الروضة ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م .
٢١٢ص .

٢٩ — الأنصاري ، عبدالقدوس .
« لمحات عن الآثار في المملكة العربية السعودية » **المنهل س ٣٠ مج ٢٥** (ربيع الثاني ١٣٨٤هـ) ص‌ص ٢١٥ — ٢١٨ .

٣٠ — الأنصاري ، عبدالقدوس .
« المدينة المنورة : تاريخها

وآثارهـــا » **قافلة الزيت**
ع ١٤ مج ١٠ (ربيع الثاني
١٣٨١هـ) ص ص ٣ — ٤ .

٣١ — البتنوني ، محمد لبيب .

الرحلة الحجازية . الطبعة
الثانية . القاهرة المطبعة
الجمالية ، ١٣٢٩هـ .
٣٣٤ ص .

٣٢ — البرزنجي ، جعفر إسماعيل

**نزهة الناظرين في مسجد
سيد الأولين والآخرين**. مكة
المكرمة ، المطبعة ، الميرية
١٣٠٣هـ .
١١٩ ص .

٣٣ — البكري ، صلاح .

« الآثار في الشمال الغربي
من المملكة العربية السعودية
قافلة الزيت ع ١ مج ١٤
(محرم ١٣٨٦) ص ص
١٩ — ٢٠ .

٣٤ — البكري ، صلاح .

« مدائن صالح » **المنهل**
س ٣٧ مج ٣٢ (رجب
١٣٩١هـ) ٧٣٥ — ٧٣٩ .

٣٥ — البلادي ، عاتق بن غيث .

معجم معالم الحجاز .
الطائف ، نادي الطائف
الأدبي ، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م
الجزء الأول (أ — ب) .
٢٧٩ ص .

٣٦ — بلنت ، آن .

رحلة إلى بلاد نجد تأليف
آن بلنت ترجمة محمد أنعم
غالب . الرياض ، دار
اليمامة للبحث والترجمة
والنشر ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م
٣٠٠ ص (نصوص وأبحاث
جغرافيــة وتاريخية عن
جزيرة العرب — ٥) .

٣٧ — ابن بليهد ، محمد .

« اكتشاف موضع عكاظ
بعد اندراسه في أوائل القرن
الثاني عشر » **المنهل** س ١٠ ،
مج ١٠ (ذو القعدة والحجة

١٣٦٩هـ) ص ص ٣٢٦ – ٣٣٤ .

٣٨ – ابن بليهد ، محمد بن عبدالله .

صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار . تأليف محمد بن عبد الله ابن بليهد تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .الطبعة الثانية . الرياض ، عبدالله ابن محمد بن بليهد ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .
٥ ج في ٢ مج .

٣٩ – بيرين ، جاكلين .

اكتشاف جزيرة العرب : خمسة قرون من المغامرة والعلم تعريب قدري قلعجي بيروت ، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٣م .

٤٠ – **التعرف على النمط العمراني في المملكة العربية السعودية.** تأليف محمد سعيد مصلي وفريد أمين شاكر وعمر عبد الله عمر منديلي . الرياض . مصلي – شاكر منديلي ١٩٧٧م .
٥٧ ص .

٤١ – التكريتي ، بهجت كامل .

« الطائف رافد من روافد الثقافة العربية والإسلامية» **الفيصل . ع ٤ ، س ١** (شوال ١٣٩٧هـ / سبتمبر ١٩٧٧م) ص ص ٣٥ – ٥٢ .

٤٢ – جابر ، حمزة محمد .

«بلدة العلا» **المنهل س٣٤ ، مج ٢٩** (شوال ١٣٨٨ هـ) ١٣٨٥ / ١٣٩٦ .

٤٣ – الجاسر ، حمد .

« بزاخة وقعتها وموقعها » **العرب ٧** (صفر ١٣٩٣هـ) ص ص ٥٦١ – ٥٧٠ .

٤٤ – الجاسر ، حمد .

بلاد ينبع ، لمحات تاريخية

وجغرافية ، وانطباعات خاصة . الرياض ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ؟ .

٢٣٩ص (نصوص وأبحاث جغرافيـــة وتاريخية عن جزيرة العرب — ٣) .

٤٥ — الجاسر ، حمد .

« ثاج إحدى المدن الأثرية » العرب ١٣ (جمادي ثان ١٣٩٩هـ) ص ص ١٢٨ — ١٤٣ .

٤٦ — الجاسر ، حمد .

« حرة بني سليم ، غير حرة النار » العرب ١١ (رجب ١٣٨٦هـ) ص ص ٨٨ — ٩٠ .

٤٧ — الجاسر ، حمد .

« حول الجار والشعيبة » العرب ٤ (جمادي الاخرة ١٣٩٠) ص ص ١١٧٠ — ١١٧٢ .

٤٨ — الجاسر ، حمد .

« خرافة : قبة اليهودية » العرب ١٠ (رمضـــان وشوال ١٣٩٥هـ) ص ص ٢٧٨ — ٢٨٥ .

٤٩ — الجاسر ، حمد .

سوق عكاظ . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٠م ملحق بكتاب موقع عكاظ لعبد الوهاب عزام ، ص ص ٤٣ — ٧٢ .

٥٠ — الجاسر ، حمد .

« الربذة : تحديد موقعها » العرب ١٠ (رجب وشعبان ١٣٩٥هـ) ص ص ١ — ٤ .

٥١ — الجاسر ، حمد .

« رحلة إلى بلاد العـــلا » العرب ١٢ (رمضان وشوال ١٣٩٧هـ) ص ص ١٦١ — ١٨٥ .

٥٢ ــ الجاسر ، حمد .

« الرس في القرآن الكريم وآراء الباحثين حوله » **العرب ٥** (رجب ١٣٩٠هـ) ص‌ص ١ ــ ١٢ .

٥٣ ــ الجاسر ، حمد .

« صيانة الآثار التاريخية» **العرب ٧** (شعبان١٣٩٢هـ) ص‌ص ٨١ ــ ٨٢ .

٥٤ ــ الجاسر ، حمد .

« على أطلال الاجداد : ضرورة الاعتناء بالمواضع الأثرية » **المنهل س ٣ ، مج٣** (ذو الحجة ١٣٥٧هـ) ص‌ص ٩ ــ ١٤ .

٥٥ ــ الجاسر ، حمد .

« العناية بالآثار التاريخية » **العرب ٢** (محرم١٣٨٨هـ) ص‌ص ٥٧٧ ــ ٥٧٩ .

٥٦ ــ الجاسر ، حمد .

« في التاريخ : جدة » **أم القرى ١٠١٨** (١٩٦٣هـ) ص ٣ ، **أم القرى ١٠٢٠** (١٣٦٣هـ) ص ٤ .

٥٧ ــ الجاسر ، حمد .

« في التاريخ : عكاظ » **أم القرى ١٠٢٤**(١٣٦٣هـ) ص ٣ .

٥٨ ــ الجاسر ، حمد .

في سراة غامد وزهران ، نصوص ، مشاهدات وانطباعات الرياض ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م ٩٥ص (نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب ــ ١٤) .

٥٩ ــ الجاسر ، حمد .

في شمال غرب الجزيرة : نصوص ، مشاهدات وانطباعات الرياض ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ٦٧٥ ص ١٩٧٠ م

(نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب — ١٢) .

٦٠ — **الجاسر ، حمد .**

«ليس الحجر مدائن صالح» **العرب ١٣** (رجب شعبان ١٣٩٨هـ) ص ص ٣ — ١٣ .

٦١ — **الجاسر ، حمد .**

مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ . الرياض ، دار اليمامة ١٩٦٦م .

(نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب — ١٢) .

٦٢ — **الجاسر ، حمد .**

« المعادن القديمة في بلاد العرب » **العرب ٢** (ربيع الأول ١٣٨٨هـ) ص ص ٧٩٨ — ٨٤٦ ، (ربيع الثاني ١٣٨٨هـ) ص ص ٩٠٧ — ٩٢٦ ، (جمادي الأولى ١٣٨٨هـ) ص ص ٩٧٨— ١٠٠١ ، (جمادى الآخرة ١٣٨٨) ص ص ١٠٩١ — ١١٠٥ .

٦٣ — **الجاسر ، حمد .**

المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية : شمال المملكة ، أمارات : حايل والجوف وتبوك وعرعر والقريات . الرياض ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م القسم الأول (أ — ح) . ٤٧٩ص (نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب — ١٩) .

٦٤ — **الجاسر ، حمد .**

« من آثار مكة المكرمة ؛ أين الحجون ؟ وأين كداء؟» **العرب ٢** (ربيع الثاني ١٣٨٨هـ) ص ص ٨٦٥ — ٨٧٥ .

٦٥ ـ الجاسر ، حمد .

« مواضع في شمال الجزيرة» العرب ١١ (ذو القعدة والحجة ١٣٩٦هـ) ص ص ٣٦٤ ـ ٤٠٣ .

٦٦ ـ جامعة الرياض ، جمعية التاريخ والآثار .

محاضرات في التاريخ والآثار ١٣٨٨ ـ ١٣٨٩ . الرياض ، جامعة الرياض ١١٨ ص ١٣٨٩ هـ .

٦٧ ـ جامعة الرياض ـ كلية الآداب .

دليل المعرض الثاني لآثار منطقة الفاو . الرياض ، جامعة الرياض ، ١٣٩٧هـ ٤٠ ص .

٦٨ ـ جامعة الرياض ـ كلية الآداب .

الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ، مصادر تاريخ الجزيرة (خلاصة الأبحاث) الرياض جامعة الرياض ، ١٣٩٧هـ . ٩٥ ، ١٢٠ ص .

٦٩ ـ الجهني ، مسعد سعد .

«الآثار في منطقة العيص» . المنهل س ٣٤ مج ٢٩ (ربيع الأول ١٣٨٨هـ) ص ص ٤٤٥ ـ ٤٤٦ .

٧٠ ـ الجهني . مسعد سعد .

« منطقة العيص والآثار فيها» المنهل س ٣٤ ، مج ٢٩ (شعبان ١٣٨٨هـ) ص ص ١١٠٧ ـ ١١١٧ .

٧١ ـ الحازمي ، منصور إبراهيم

« وادي ألاب : تقرير أولي » مجلة كلية الآداب ج٢ س١ (١٣٩٠هـ) ص ص ٩٩ ـ ١١٢ .

٧٢ ـ حافظ ، عبد السلام هاشم

المدينة المنورة في التاريخ .

القاهرة ، دار الجهاد ،
١٩٦٢م .
٢٢٣ ص .

٧٣ – **حافظ ، عثمان .**

« مآثر المدينة » **قافلة الزيت ع ٢ مج ١٣** (صفر ١٣٨٥هـ) ص ص ٢ –٦ .

٧٤ – **حافظ ، علي .**

فصول من تاريخ المدينة المنورة . جدة ، شركة المدينة للطباعة والنشر ، ؟ .
٤٠٨ ص .

٧٥ – **الحافظ ، محمد .**

« تحقيق حرم المدينة المنورة وتحديده ». **المنهل س٢٩ مج ٢٤** (جمادي الثانية ١٣٨٣هـ) ص ص ٣٣٠ – ٣٣٧ ، ٣٦٦ .

٧٦ – **حسن ، حكمت .**

« أساليب البناء القديم في المملكة العربية السعودية » **قافلة الزيت ع ١ مج ١٨** (محرم ١٣٩٠) ص ص ٤٣ – ٤٩ .

٧٧ – **حسن ، حكمت .**

« المتاحف في جامعة الرياض » **قافلة الزيت ع ٥ مج ١٨** (جمادي الأولى ١٣٩٠هـ) ص ص ١١ – ١٨ .

٧٨ – **حماد ، خيري .**

عبد الله فيلبي قطعة من تاريخ العرب الحديث .
بيروت ، المكتب التجاري
١٩٦١م .
٣٥٠ ص .

٧٩ – **الخربوطلي ، علي حسني .**

الكعبة على مر العصور .
القاهرة ، دار المعارف
١٩٦٧م .
١٢٤ ص .

٨٠ – **الخطراوي ، محمد العيد .**

« المدينة المنورة مهاجر

الرسول ومدفنه ومبعثه » .
الفيصل ع ٦ س ١ (ذو الحجة ١٣٩٧هـ) ص ص ٣٧ — ٥٧ .

٨١ — **ابن خميس ، عبد الله .**

« الدرعية . . التاريخ . . والمجد (مدينة وتاريخ) »
الفيصل ع ١٠ س ١ (ربيع الثاني ١٣٩٨هـ) ص ص ٣٥ — ٥٠ .

٨٢ — **ابن خميس ، عبد الله .**

« الدرعية ، معالم وأطلال »
الدارة ع ١ س ١ (ربيع أول ١٣٩٥هـ) ص ص ١٨ — ٢٣ .

٨٣ — **ابن خميس ، عبد الله .**

المجاز بين اليمامة والحجاز .
الرياض ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .
٤٤٤ ص (نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب — ١٣) .

٨٤ — **ابن خميس ، عبد الله .**

معجم اليمامة (المعجم الجغرافي للملكة العربية السعودية) الرياض ، مطبعة الفرزدق ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
الجزء الأول من حرف أ — ز .
٦٦١ ص .

٨٥ — **الخياري ، أحمد ياسين .**

« تاريخ مساجد المدينة المنورة قديماً وحديثاً »
المنهل س ٢٤ ، مج ٢٢ (ذو القعدة ١٣٧٩هـ) ص ص ٦٢٢ ٦٢٤ (محرم وصفر ١٣٨٠هـ) ص ص ٦٩ — ٧١ .

٨٦ — **الديب ، محمد محمود .**

« نشأة المدينة المنورة وقيام المساجد فيها » **المنهل س ٤١**

مج ٣٥ (ربيع الثاني وجمادى الأولى ١٣٩٥هـ) ص‌ص ٣٦٠ — ٣٦٤ . س ٤١ مج ٣٦ (شعبان ١٣٩٥هـ) ص‌ص ٥٦٩ — ٥٧٢ .

٨٧ — **الراشد ، سعد عبد العزيز .**
« درب زبيدة في العصر العباسي : دراسة تاريخية أثرية » . **الدارة ع ١ ، س ٤** (ربيع ثاني ١٣٩٨هـ/ مارس ١٩٧٨م) ص‌ص ٢٣٠ — ٢٣٢ .

٨٨ — **الراشد ، سعد عبدالعزيز .**
« شخصيات إسلامية أسهمت في عمارة طريق الحج من الكوفة إلى مكة » **مجلة كلية الآداب جـ٥ س٥** (١٩٧٧م . ١٩٧٨م) ص‌ص ٧٩ — ٩٨ .

٨٩ — **الراشد ، سعد عبد العزيز .**
« الصقعاء : **مدينة أثرية** **الدارة ع ٣ س ٤** ...

١٣٩٨هـ) ص‌ص ٦٠ — ٧٥ .

٩٠ — « الرائد أول صحيفة تدخل دار الآثار بجدة » تحقيق صحفي كتبه وأعده محمد حسين زيدان وعبد الله عبد الرحمن جفرى . **الرائد ع ١٦٣ س٤** (٦ ذوالحجة ١٣٨٢هـ) ص ٩ .

٩١ — **رستم ، عثمان رفقي .**
النقوش والآثار في صخور الحجاز تأليف عثمان رفقي رستم تعريب أحمد شطا . مكة المكرمة . مجلة المنهل ، ١٣٧٠هـ ، ١ — ١٦ .

٩٢ — **رفعت ، إبراهيم .**
مرآة الحرمين في الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية . القاهرة ، دار الكتب ، ١٩٢٥م .

٩٣ – الرومي ، محمد بن خضر الحنفي .

كتاب التحفة اللطيفة في عمارة المسجد النبوي وسور المدينة الشريفة . الرياض دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م

ص ص ٨٥ – ١٩٢ ضمن رسائل في تاريخ المدينة قدم لها وأشرف على طبعها حمد الجاسر .

(نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب – ١٦) .

٩٤ – الزركلي ، خير الدين .

ما رأيت وما سمعت . القاهرة ، المطبعة العربية ١٣٤٢هـ / ١٩٢٣م .

١٩٠ ص .

٩٥ – الزواوي ، عبد الله بن محمد صالح .

بغية الراغبين وقرة عين أهل البلد الأمين فيما يتعلق بعين الجوهرة السيدة زبيدة أم المؤمنين . القاهرة ، المطبعة الخيرية ، ١٣٣٠هـ .

٤٨ ص .

٩٦ – السباعي ، أحمد .

« بركة ماجل » **المنهل س ١٤ مج ١٤** (ذو الحجة ١٣٧٣هـ) ص ص ٦٥٣ – ٦٥٤ .

٩٧ – باسلامة ، حسين عبدالله .

تاريخ عمارة المسجد الحرام تأليف عبد الله حسين باسلامة تحقيق عمر عبد الجبار . القاهرة ، دار مصر للطباعة ، ١٩٦٤م .

٣١٢ ص .

٩٨ – باسلامة ، حسين عبد الله .

تاريخ عمارة المسجد الحرام. جدة ، المطبعة الشرقية . ١٣٥٤هـ .

٣٢٠ ص .

٩٩ — باسلامة ، حسين عبدالله .

تاريخ الكعبة المعظمة . عمارتها وكسوتها وسدنتها
تأليف حسين عبد الله باسلامة
تحقيق عمر عبد الجبار
القاهرة ، دار مصر للطباعة
١٩٦٤م .

١٠٠ — باسلامة ، حسين عبدالله .

تاريخ الكعبة المعظمة . جدة
المطبعة الشرقية ، ١٣٥٤هـ.
٤٠١ ص .

١٠١ — السمهودي ، على بن عبدالله

الوفا بما يجب لحضرة المصطفى .
الرياض ، دار اليمامة للبحث
والترجمة والنشر ، ١٣٩٢هـ/
١٩٧٢م . ص ص ٩٥ —
١٧٩ (ضمن رسائل في
تاريخ المدينة قدم لها
وأشرف على طبعها حمد
الجاسر) .
(نصوص وأبحاث جغرافية
وتاريخية عن جزيزة العرب
— ١٦) .

١٠٢ — السنوسي ، عبد الوهاب .

« مدينة جازان في التاريخ »
المنهل س ٢٩ مج ٢٤
(صفر ١٣٨٣هـ) ص ص
١٠٤ — ١٠٥ .

١٠٣ — شباط ، عبد الله أحمد .

« هذه آثارنا تدل علينا :
بمناسبة تشكيل لجنة لدراسة
المناطق الأثرية » **الرائد**
ع**١٧٣** (٢٤ صفر ١٣٨٣)
ص ٤ ، ع **١٧٤** (١ ربيع
أول ١٣٨٣هـ) ص ٥ .

١٠٤ — صادق ، محمد .

نبذة في اكتشاف طريق الأرض الحجازية من الوجه وينبع البحر إلى المدينة المنورة وبيان خريطتها العسكرية . القاهرة ، مطبعة
عموم أركان حرب بديوان

الجهـــادية ، ١٢٩٤هـ .
٢٨ ص .

١٠٥ ـ شرف الدين ، أحمدحسين

« النقوش الإسلامية بدرب زبيدة » **أطلال ، حولية الآثار العربية السعودية ع ١** (١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م)
ص ص ٧٣ — ٧٤ .

١٠٦ ـ صالح ، عبد العزيز .

« مواطن الحضارات القديمة في شبه الجزيرة العربية حتى أواخر القرن الخامس الميلادي **الجامعة (جامعة الرياض) ع ٧ ، س ٧** (١٣٨٣ هـ / ١٣٨٤هـ) ص ص ١ — ٤١ .

١٠٧ ـ الطويل ، السيد رزق .

« عنيزة في التاريخ » **المنهل س ٢٩ مج ٢٤** (ذو الحجة ١٣٨٣ هـ) ص ص ٨٢٩ / ٨٣٢ .

١٠٨ ـ الطويل ، السيد رزق .

« جدة بين ماضيها وحاضرها **المنهل س ٢٤ مج ٢٠** (ذو الحجة ١٣٧٩هـ)
ص ص ٦٧١ — ٦٧٦ .

١٠٩ ـ ابن ظهيرة القرشي ، جار الله جمال الدين محمد بن محمد .

الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف . القاهرة ، عيسى البابي الحلبي ، ١٩٣٨م .
٤٢٤ ص .

١١٠ ـ العامر ، على المحمد .

« تبوك » **المنهل س٣٧ مج٣٢** (ربيع الثاني ١٣٩١هـ
ص ص ٣٧٨ — ٣٨٢ .

١١١ ـ العباسي ، أحمد بن عبد الحميد .

عمدة الأخبار في مدينـــة المختار تأليف أحمد بن

عبدالحميد العباسي تحقيق محمد الطيب الأنصاري ، المدينـــة المنورة ، أسعد طربزوني ، ؟ .
٤٠٢ ص .

١١٢ – عبد الدائم ، على عبدالله .

« قرية جبلة وآثارها » **المنهل س ٣٧ مج ٣٢** (جماد الثانية ١٣٩١هـ) ص‌ص ٥٩٠ – ٦٠٤ .

١١٣ – عبد القادر ، عبدالشافي غنيم

« شرقي الجزيرة العربية كواحدة من المنابت الأصلية للشعوب السامية » **الدارة .** ع **٢** ، س **٤** (رجب ١٣٩٨هـ – يونيه ١٩٧٨م) ص‌ص ٦٨ – ٨١ .

١١٤ – آل عبد القادر ، محمد بن عبد الله الانصاري .

تاريخ الأحساء المسمى تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد . الرياض ، مطابع الرياض ، ١٩٦٠م.
٢ ج .

١١٥ – العبيدي ، حمد محمد .

« تحقيق الأثر التاريخي بالقرب من قرية القرينة » **المنهل س ٢٣ مج ١٩** (ربيع الأول ١٣٧٨هـ) ص‌ص ١٦٧ – ١٦٨ .

١١٦ – العجيمي ، حسن بن علي .

إهداء اللطائف من أخبار الطائف تأليف حسن بن على العجيمي تحقيق يحي محمود ساعاتي . الرياض مطابع الجزيرة . ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م . ١١٠ ص .

١١٧ – العدوي . عبد الفتاح .

مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية (رحلة في كتاب) **الفيصل ع ٩ .** س **١** (ربيـــع الأول

١٣٩٨هـ) صص ٨٣ — ٩٠ .

١١٨ — عزام ، عبد الوهاب .

موقع عكاظ . القاهرة ، دار المعارف ١٩٥٠ م ٧٢ ص .

١١٩ — عطرجي ، عبد العزيز .

الآثار والسياحة الإسلامية . عطرجي . ١٣٨٨هـ العدد ١٣ .

١٢٠ — عطية الله ، أحمد .

« عمارة والمدينة ومانصيب عبد الرحمن كتخدا منها **المنهل س ٤٣ مج ٣٨** » (رجب وشعبان ١٣٩٧هـ) صص ١١٦٦—١١٧٠ .

١٢١ — العقيلي ، محمد بن أحمد عيسى .

« جازان العليا في عهد لأمير المهادي بن محمد القطبي »

المنهل س ٣٠ مج ٢٥ (ربيع الثاني ١٣٨٤هـ) صص ٣٣٦ — ٢٤١ .

١٢٢ — على ، أحمد .

الريازة والآثار في المملكة العربية السعودية (ملخص الفصل الثامن من كتاب المملكة العربية السعـــودية لتوتشل) ترجمة وتلخيص أحمد على **المنهل س ١١ مج ١١** (ربيع الأول ١٣٧٠هـ) صص ١١٩ — ١٢٥ .

١٢٣ — على ، أحمد .

«مدينة بائدة وبحيرة ماء على قمة جبل» **المنهل س ٩ مج ٩** (ذو القعدة والحجة ١٣٦٨هـ) ص ص ٥١٥— ٥١٩ **س ١٠ مج ١٠** (محرم ١٣٦٩) صص ١٤ — ١٩ .

١٢٤ – على ، أحمد .

« معلومات تاريخيةوآثرية عن الأحساء » ترجمــة وتلخيص أحمد على . **المنهل س ٨ ، مج ٨** (ذو القعدة والحجــة ١٣٦٧هـ) ص‌ص ٤٧٥ – ٤٨٢ ، س ٩ مج ٩ (محرم ١٣٦٨هـ) ص‌ص ١٨ – ٢٨ . عن المجلة الجغرافية الاميريكية .

١٢٥ – عماد ، عصام .

«الأحساء أوالواحةالمزدوجة» **قافلة الزيت ع ٧ مج ١٦** (رجب ١٣٨٨هـ) ص‌ص ٢٥ – ٣٤ .

١٢٦ – العمري ، صالح .

« رحلة وادي القرى : آثاره – مدينة ذي المرة الإسلامية وصف المروة التعريف بها » . **المنهل س ٣٩ مج ٣٤** (محرم وصفر ١٣٩٣هـ) ص‌ص ٦٥ – ٧٠ .

١٢٧ – العياشي ، إبراهيم على .

« علم الآثار : أثارقديمة تكتشف في المدينةالمنورة » **المنهل س ٣٤ مج ٢٩** (ربيع الأول ١٣٨٨هـ) ص‌ص ٤٤٠ – ٤٤٤ .

١٢٨ – الفاسي ، تقي الدين محمد ابن أحمد .

شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام . مكة المكرمة ، مكتبة النهضة الحديثة ، ١٩٥٦م .

١٢٩ – فالين ، جورج أوغست .

صور من شمالي جزيرة العرب في منتصف القرن التاسع عشر ترجمة سمير سليم شلبي . بيروت ، مطبعة شرفان ، ١٩٧١م . ٢٨٣ ص .

١٣٠ ــ فخري ، أحمد .

بين أثار العالم العربي .
القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٨م .
١٤٧ ص .

١٣١ ــ فيدال ، ف . س .

« العثور على ضريح من عهد الجاهلية في المنطقة الشرقية » . **المنهل س١٧ مج ١٧** (شعبان ١٣٧٥) ص‌ص ٥٤٦ ــ ٥٠٣ .

١٣٢ ــ الفيروز ابادي ،مجد الدين محمد بن يعقوب .

المغانم المطابة في معالم طابة تأليف مجد الدين محمد ابن يعقوب الفيروز أبادي. الرياض ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٦٩هـ .

٦٢٣ص (نصوص‌وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب ــ ١١) .

١٣٣ ــ فيلبي ، عبد الله (سانت جون) .

أرض الأنبياء : مدائن صالح تأليف عبد اللهفيلبي ترجمة عمر الديراوى . بيروت ، المكتبة الأهلية ١٩٦٢م .
٣٥١ ص .

١٣٤ ــ القطبي ، عبد الكريم بن محب الدين .

أعلام الأعلام ببناءالمسجد الحرام تأليف عبد الكريم القطبي تحقيق أحمد محمد جمال وعبد العزيزالرفاعي مكة المكرمة . مكتبةالثقافة ١٩٥٠م .

١٣٥ ــ كبريت‌المدني ، محمد بن عبد الله .

رحلة الشتاء والصيفتأليف محمد كبريت المدني‌تحقيق محمد سعيد الطنطاوي . الطبعة الثانية . بيروت .

المكتبة الإسلامية ، ١٣٨٥هـ
٣٦٢ ص .

١٣٦ – الكردي ، محمد طاهر .

كتاب التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم . مكة المكرمة : مكتبة النهضة الحديثة ، ١٣٨٥هـ .
٤ ج .

١٣٧ – الكردي ، محمد طاهر .

« تحقيق أثري عن موضع دار الندوة » **المنهل س ١٠ مج ١٠** (ذو القعدةوالحجة ١٣٦٩هـ) ص‌ص ٣٧١– ٣٧٣ .

١٣٨ – الكردي ، محمد طاهر .

« الرخامة الخضراء التي تحت ميزاب الكعبة المشرفة » **المنهل س ١١ ، مج ١١** (صفر ١٣٧٠) ص‌ص ٦٦ – ٦٨ .

١٣٩ – الكشوف الأثرية الجديدة .

ساعة مع كتاب

مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية للدكتور عبد الله المصري » **المجلة العربية ع ٤** (١٩ جمادي الأولى ١٩ جمادىالآخرة ١٣٩٧هـ) ص‌ص ٢٨ – ٣٤ .

١٤٠ – كنودستاد ، جيمس .

« مشروع درب زبيدة ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .تقرير مبدئي عن الرحلة الأولى لمسح درب زبيدة » **أطلال حوليـــة الآثار العربيـــة السعودية** . ع ١ (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧ م) ص‌ص ٤٧ – ٧٢ .

١٤١ – كورنوال ، ب .

« الآثار في المنطقةالشرقية » **العرب ١٢** (جمادى ثان

١٣٩٨هـ) ص‌ص ٨٠٤ —
٨٣٦ .

١٤٢ — لجنة فنية لترميم آثار مدينة الدرعية (أدب وتراث ، وفكر وفن ، لغة وتاريخ) **الدارة ع ٢ ، س٢** (رجب ١٣٩٦هـ) ص‌ص ٢٢٨ — ٢٣٠ .

١٤٣ — الماجد ، عبد الله .

« الأفلاج في المصادر العربية القديمة » **الدارة ع ٢ س١** (جمادى الثانية ١٣٩٥هـ) ص‌ص ٢١٤ — ٢٢٠ .

١٤٤ — المالكي ، عبد الرزاق صالح الحجر .

« رحلة إلى اضم » **المنهل س ٣٨ مج ٣٣** (رمضان ١٣٩٢هـ) ص‌ص ٩٨٥ — ٩٨٧ .

١٤٥ — ماندفيل ، جيمس .

« ثاج من الناحية الأثرية التاريخية » **العرب٢** (محرم ١٣٨٨هـ) ص‌ص ٦٢٩ — ٦٤٧ .

١٤٦ — محمد ، سعاد ماهر .

« بعض الكتابات التذكارية في العصر العباسي بمكة المكرمـــة » **الدارة . ع٢ س ٤** (رجب ١٣٩٨ هـ / يونية ١٩٧٨م) ص‌ص ٤٧ — ٦٧ .

١٤٧ — مدني ، عبيد .

« أطوام المدينة المنورة » **مجلة كلية الآداب ج ٣ س ٣** (١٣٩٣/١٣٩٤هـ) ص‌ص ٢١٣ — ٢٢٦ .

١٤٨ — مرداد ، عبد الحميد .

مدائن صالح أروع البلدان السياحية في المملكة العربية السعودية ، القاهرة ، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٧٠م. ٤١٦ ص .

١٤٩ — مصري ، عبدالله حسن .

« أثار شرق الجزيرةالعربية ودورها في نشأة حضارة سومر » **الدارة ع ١ س٢** (ربيع أول ١٣٩٦ ه) ص‌ص ٦٦ — ٧٥ .

١٥٠ — مصري ، عبد الله عمر .

« مقدمة عن آثار الاستيطان البشري بالمملكة العربيــة السعودية » **أطلال ، حولية الآثار العربية السعوديةع ١** (١٣٩٧ه / ١٩٧٧م) ص‌ص ٩ — ٢٠ .

١٥١ — المراغي ، أبو بكر زين الدين بن الحسين .

تحقيــق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة تأليف أبي بكر زين الدين بن الحسين المراغي تحقيــق محمد عبدالجوادالاصمعي . المدينة المنورة ، المكتبة العلمية ، ١٩٥٥ م .
٢٧٦ ص .

١٥٢ — المطري ، محمد بن أحمد بن خلف .

التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة تأليف محمد بن أحمد بن خلف المطري تحقيق محمد بن عبد المحسن الخيال . المدينة المنورة ، أسعد طرابزوني ، ١٩٦٨م .
٨٥ ص .

١٥٣ — المطلق ، محمد إبراهيم .

« آثار في الاثلة جنوب الرس » **المنهل س ٣٠ ، مج ٢٥** (ذو الحجــة ١٣٨٤ه) ص‌ص ٥٨٨ .

١٥٤ — مفتاح ، إبراهيم عبدالله .

« فرسان : جزائر اللؤلؤ (مدينةوتاريخ) » **الفيصل ع ٢٠** (صفر ١٣٩٩ ه / يناير ١٩٧٩م) .
ص‌ص ٣٥ — ٥٠ .

١٥٥ ـ « مكة المكرمة : مركز الأرض » **الفيصل** . ع ١ س ١ (رجب ١٣٩٧ هـ ـ يونية ١٩٧٧م) ص‌ص ٣٥ ـ ٥٢ .

١٥٦ ـ ملحس ، رشدي صالح .

معجم البلدان العربية . قسم الحجاز ونجد وملحقاته بحث المعادن . مكة المكرمة ، مطبعة أم القرى ، ١٩٤٩م . ١٥٤ ص .

١٥٧ ـ ملحس ، رشدي صالح .

« اليمامة : بحث أثري تاريخي » **المنهل س ٩ ، مج ٩** (ذو القعدة ذو الحجة ١٣٦٧هـ) ص‌ص ٤٤٦ ـ ٤٥٢ .

١٥٨ ـ « مناظر أثرية » **المنهل س ٢٢ مج ١٨** (ربيع الأول ١٣٧٧ هـ) ص١٧٨

١٥٩ ـ « مناظر أثرية » **المنهل س ٢٢ مج ١٨** (محرم ١٣٧٧هـ) ص ٢٦ .

١٦٠ ـ موسل ، ألويس .

شمال الحجاز . تأليف أ . موسل ترجمة عبد المحسن الحسيني . الاسكندرية مطابع رمسيس ، ١٩٥٢م ١٨٧ ص .

١٦١ ـ ابن موسى ، علي .

وصف المدينة المنورة في سنة ١٣٠٣هـ سنة ١٨٨٥م الرياض ، دار اليمـــامة اليمامة للبحث والترجمة والنشر ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ص‌ص ٣ ـ ٨١ (ضمن رسائل في تاريخ المدينة قدم لها وأشرف على طبعها حمد الجاسر) .
(نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب ـ ١٦) .

١٦٢ – نادى الطائف الأدبي – الطائف .

سوق عكاظ في التاريخ والآدب . الطائف ، نادي الطائف الأدبي (١٣٩٥ هـ ١٩٧٥م) ٨٠ ص .

١٦٣ – نبيل ، مصطفى .

« البحث عن مواقع التاريخ تحت رمال الجزيرة العربية استطلاع بقــلم مصطفى نبيل تصوير عبد الناصر شقرة . العربي . ع ٢٣٤ **العربي ، ع ٢٣٤** (جمادي الاولى ١٣٩٨هـ / مايو (أيار) ١٩٧٨م) ص ص ٦٨ – ٨٥ .

١٦٤ – نصر الله ، سليمان .

« العلا ، غادة بين الأطلال» **قافلة الزيت ع ٤ مج ١١** (ربيع الثاني ١٣٩١هـ) ص ص ٢٥ – ٣٤ .

١٦٥ – نصر الله ، سليمان .

« نجران فيحاء الجنوب » **قافلة الزيت ع ١٠ مج ١٩** (شوال ١٣٩١هـ) ص ص ٧ – ٢٠ .

١٦٦ – نصر الله ، سليمان .

« الوجه . . الحسن » **قافلة الزيت ع ٩ مج ١٨** (رمضان ١٣٩٠هـ) ص ص ٢٥ – ٣٦ .

١٦٧ – نصر الله ، سليمان .

« ينبع . . الخير » **قافلة الزيت ع ١ مج١٩** (محرم ١٣٩١هـ) ص ص١٣ – ٢٠

١٦٨ – نقشبندي ، عبد الحق .

« تاريخنا القريب : مأساة المدينة صفحات مطوية » **المنهل س ٢٩ مج ٢٤** (محرم ١٣٨٣هـ) ص ص ١٥ – ١٨ (صفـــر ١٣٨٣هـ) ص ص ٧٩ – ٨١ ، ١٠٣ ص .

١٦٩ ـ النقشبندي ، عبد الحق .

« حلقة هامة من تاريخنا القريب » **المنهل س ٢٨ مج ٢٣** (جمادي الأولي ١٣٨٢هـ) ص‌ص ٣٣٩ ـ ٣٤٢ .

١٧٠ ـ الهمداني ، أبو محمد الحسن ابن أحمد

كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء تأليف أبي محمد الحسن ابن أحمد الهمداني تحقيق كريستوفور طول. أبسالا ، ١٩٦٨م .

٣٩١ ص .

١٧١ ـ الهمداني ، أبو محمد الحسن ابن أحمد .

صفحة جزيرة العرب تحقيق محمد بن على الاكوع الرياض ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٩٧٤م .

٥٨٣ص (نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب ـ ١٧) .

١٧٢ ـ هيكل ، محمد حسين .

في منزل الوحي . الطبعة الثانية . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ؟

٧٠٧ ص .

١٧٣ ـ الوشمي ، صالح سليمان

« الجون والجواء » **المنهل س ٢٣ مج ٢٠** (شعبان ١٣٧٨هـ) ص‌ص ٣٥٥ ـ ٣٥٨ .

١٧٤ ـ الوشمي ، صالح سليمان .

« السدود القديمة في منطقة القصيم » **المنهل ٣٧ مج ٣٢** (رجب ١٣٩١هـ) ٦٩٧ ـ ٧٠٠ .

رسالة إلى القارئ

لعل القاريء العزيز كان ينتظر صدور هذا العدد الخاص بأول مؤتمر لعلمـــاء الجغرافيا المسلمين « الذي دعت إليه وتبنته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية » ، في شهر رجب الماضي ، وفي الزمن القريب من انعقاد المؤتمر ، ولكن أسبابا أخرت طبعه ، وحين انتهت هذه الأسباب استطعنا بقرار من مجلس الإدارة أن نطلب من المطابع الأهلية للأوفست بصورة خاصة طبعه لديها لأهمية وجود الطبع لديها ، وحرصاً على حسن التعامل منها معنا استجابت لذلك — فنشكر لها هذا التعاون ، ونشكر القاريء على صبره . . .
أما الشكر الأجزل فهو لجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية التي لم تؤاخذنا عن التأخير ، فإذا هي في تكريمها المعلم والمعرفة جـــديرة ألا تكون في خسر حين تواصت بالحق والصبر .

رئيس التحرير

محمد حسين زيدان

ملخص الأبحاث
بالانجليزية

References :

1. Mclean R. C. and W. R. Ivimery - Cook (1950). Text Book of Theoretical Botany. Longmans Green and Co., London.

2. Ronald Good (1974). The Geography of the Flowering Plants. Fourth Ed. Longmans Group Limited, London.

3. Hansen, A. (1920). Die Pflanzendecke der Erde. Leipzig.

4. Migahid, A. M. and M. A. Hammouda (1974). Flora of Saudi Arabia. Riyad University Publication.

2. **Northern region (N),** including Tabuk, Al Jawf and Sakakah areas.

3. **Nefud region (NF),** including the great northern Nefud area, Dahna area and Al-Qasim area .

4. **Najd region :**

   a. **Western Najd (NGw).**

   b. **Eastern Najd (NGe).**

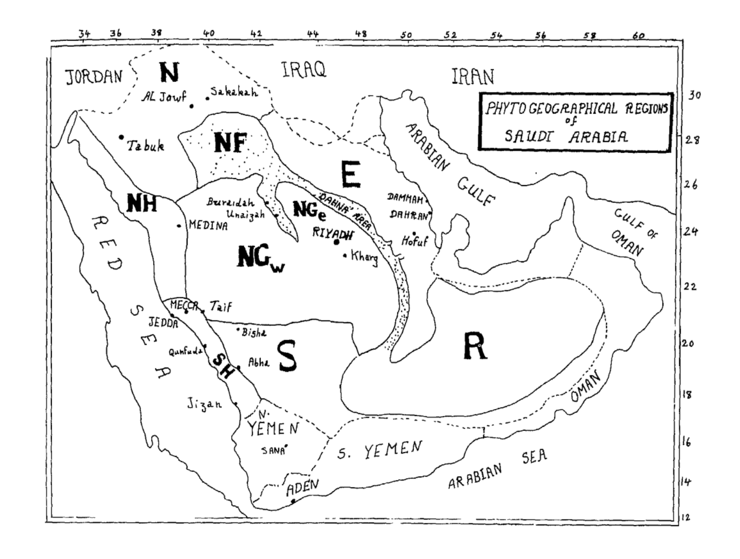
5. **Eastern region (E),** between Dahna and the Arabian Gulf.

6. **Al Rub' Al Khali region (R),** representing most of the southern and eastern parts of Saudi Arabia.

7. **Southern region (S),** lying to the east of south Hijaz, to the south of Najd and to the north of Yemen. It includes Abha, Bisha and Nagran areas.

Each of the previously mentioned regions is characterized by certain climatic and edaphic conditions. Consequently, the flora of each region may vary either slightly or distinctly from the flora of the other regions.

However, the ecological conditions and the floras of each region to be discussed in details need many other pages.



1. Hijas region :

a. **North Hijas (NH)**, representing the western part of Saudi Arabia that extends alongside the Red Sea Coast north of Jedda.

b. **South Hijas (SH)**, representing the southern part of the western region extending south of Jeddah till Yemen boundaries.

The Vegetation of Saudi Arabia as a Part of the Vegetation of the World :

A glimpse at the map of florestic regions of the world shows that the Arabian Peninsula including Saudi Arabia is located within the region number 9 of Good's classification with the exception of Yemen and South Arabia. Good referred to this region as the : North African — Indian Desert Region and divided it into two subregions as follows :

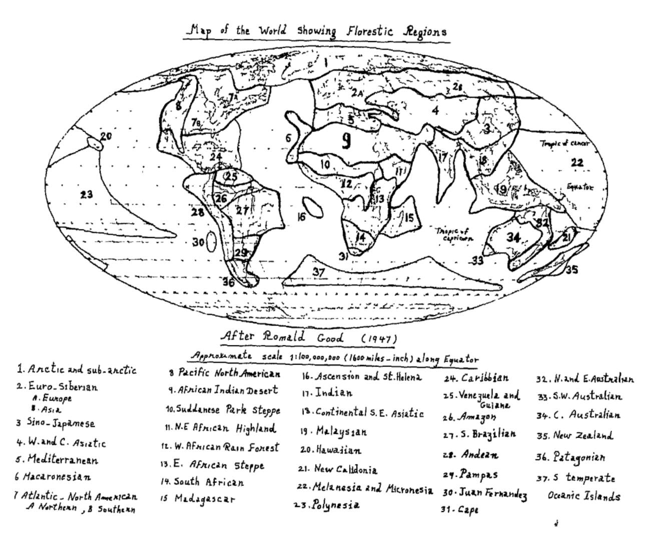
9-a — Sahara — Arabia (Except South).

9-b — Mesopotamia — South Persia — West Pakistan. It is of certain interest that Yemen and South Arabia were included in the phytogeographical province number 11 in Good's classification which is called the : North-east African Highland and Steppe Region.

The North African — Indian Desert Region, within which the majority of Saudi Arabia is located, is characterized by limited amount of Rains usually less than 20 inches per year. The Region number 11 to which Yemen and South Arabia are related has a higher annual rainfall ranging from 20 to 60 inches.

The Phytogeographical Regions of Saudi Arabia :

Saudi Arabia by its turn is subdivided into the following phytogeographical regions :



According to Good's classification the world is divided into 6 phytogeographical kingdoms which are further subdivided into 37 provinces. These provinces can be demonstrated on the map of the world presented herein.

However, this classification was found to be not in agreement with the distribution of plants in the world because it did not consider the elevation of the land from sea level. Vertical rise has its effects on changes of botanical vegetation. As one ascends a mountain, the plant life changes due to differences in climatic conditions and if rise is sufficient, a condition characteristic of polar latitudes is reached, even if on the equator. A clear example is shown by tropical mountains where at the lowest levels between sea and 600 metres, truly equatorial vegetation characterised by palms and bananas is found, above this is a zone of subtropical types; above them another warm temperate zone of evergreen trees; next a zone of deciduous trees such as are familiar in temperate regions; then a zone of coniferous trees; a zone of alpine shrubs, and finally a zone of alpine herbs. Above this there is no sppreciable vegetation. Another contradiction concerning the zonation of phytogeographical regions of the world according to latitude is that it did not also take into consideration the warm currents of Gulfs. Such currents made the flora of British Islands similar, to wide extent, to the flora of Southern warm countries.

Floristic Classification of Ronald Good :

The classification of Ronald Good (1947) is generally looked-for as the most common classification which counteracted the different contradictions that have faced the old classifications.

logical; whereas the latter is geographical. Expressed in another way, the difference is that between vegetation and flora.

The Division of the Earth into Major Zonations :

The major zonation of the plant life of the world in present is into 3-latitudinal zones : polar, temperate and tropical. Hansen (1920) gave a more scientific classification which is :

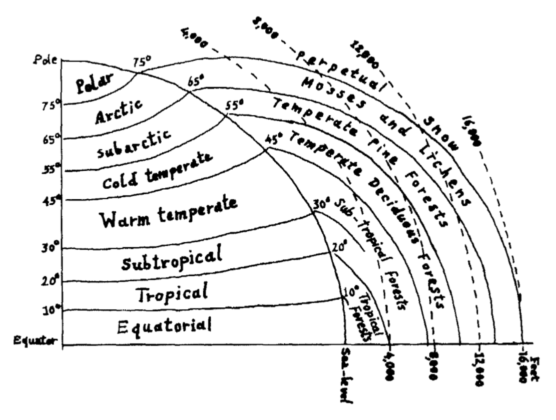
1. Equatorial zone — 0.0 — 15.0 degrees on eitherside of the equator.
2. Tropical zone — 15.0 — 23.5 degrees on eitherside of the equator.
3. Subtropical zone — 23.5 — 34.0 degrees on eitherside of the equator.
4. Warm temperate zone — 34.0 — 45.0 degrees on eitherside of the equator.
5. Cold temperate zone — 45.0 — 58.0 degrees on eitherside of the equator.
6. Subarctic zone — 58.0 — 66.6 degrees on either side of the equator.
7. Arctic zone — 66.6 — 72.0 degrees on either side of the equator.
8. Polar zone — 72.0 — 90.0 degrees on either side of the equator.

The Significance of Plant Geography :

The geographical distribution of plants is economically of important kind to man. An example can be preesnted by cereals which consist the main human food. The grains having an importance greater than that of others are wheat, barley, rye, oats, rice and maize. Broadly speaking, the first four are crops of temperate regions but the last two are of tropical countries. Thus, these are their present cultivation zones but in general, wheat probably had its original home somewhere in western or central Asia, barley and oats in rather more northerly parts of the same region, and rye somewhere more to the north. Rice comes from the tropic regions of eastern Asia and maize probably from somewhere in central America though there is more than one opinion about this.

Studies on the distribution of earlier human civilisations indicated that they have much the same natural distribution as the chief grain crops. This indicates that plant geography is a subject which is so intimately connected with human affairs. It can throw light not only on many present-day questions but also on many relating to the past.

Plant geography is most connected with plant ecology concerned with the way in which plants are mutually related to one another and to the conditions of their habitat. Plant geography, on the other hand, is concerned primarily with the correlation between plants and the distribution of external conditions. The former is physio-



Diagrammatic representation of the vegetation of latitude and altitude of the world (*Adopted from Herbertson's Physiography, Edward Arnold & Co.*).

The climatic conditions are the main factors controlling the distribution of the previously mentioned types of plant vegetation. Briefly, deserts are found where the prevalent conditions are excessive heat or cold, usually accompanied by lack of moisture, at least at some seasons. Forests are, on the other hand, found where precipitation is high. Grasslands reflects medium climate values where there is sufficient but not excess rain and mild temperature. This climate is considered to be also the best for mankind.

THE PLANT GEOGRAPHY OF SAUDI ARABIA

By Dr. SAYED FARAG KHALIFA

Introduction:

Plant geography is the branch of botany dealing with spatial relationships of plants in present and past. This leads to study and explain the plant distribution in the world. Plant geography is not only related to botanists but is also related to zoologists and geologists.

The natural vegetation of any part of the world can generally be described as belonging to one or other of three main types : forests, grasslands, and deserts. There are, of course many sorts of each division and considerable areas where intermediate condition prevail. In the forests the plants are mainly trees, in the grasslands, they are mainly grasses ; while deserts may be considered as areas where the total plant life and cover are scanty and limited. Forests in total contain large potential supplies but they are mostly removed and destroyed in modern societies. Their removal provides with space for expansion and the opportunity for an economic form of agriculture which supplies man every year with growing needs. Grasslands, on the other hand, meet the primary requirements of man since they provide space and areas of cultivation. Deserts are of less value for agriculture or supplementation with space, but in many cases they are rich with natural oil and/or minerals.

Mihmal do not depart significantly from the pattern observed in other districts

On the other hand, there are some differences between Bedouin settlement in the Mihmal and other areas. Some of these differences are due to the innate characteristics of Bedouin settlements, while other differences are caused by the Mihmal's resources and location.

In many parts of Saudi Arabia, Bedouins settle near urban centres in their own neighborhoods or camps. The author termed th3ese as Hilal (singular hillah).[5] No hilal were observed in the Mihmal simply because there are no large towns in the area. It was also noted that members of five tribes have settled in the area in the twentieth century. This is a large number of tribes for such a small area. This might be attributed to the fact that the Mihmal lies on the boundaries of two of the tribes : Utayba and Qahtan.

Agriculture in the hijar of the area is not important compared to other regions like the Qasim. The primary factor for the limitation of agriculture in the Mihmal is its modest water resources. The study area is dominated by the city of Riyadh and this explains the meager functions and services of its settlements. Riyadh provides the district with most of its needs including employment.

---

5. *Ibid.*, p. 219.

Conclusion

Bedouin settlement in the Mihmal increased the number of settlements and population of the area by almost one-fourth. Nomadism in Saudi Arabia, as elsewhere, is on the decline and most likely will continue to do so in the future. There is immigration from the hijar and other rural regions to urban centres. It is observed, however, that the population of the hijar is stable or increasing because nomadic Bedouins constantly settle in these villages.

Many of the hijar face some problems as settlements. Some settlementss' sites are not suitable for agriculture and growth. These marginal sites were chosen for settlement because they were tribal wells or had grazing resources. Little thought was given to farming at the initial stage of settlement.

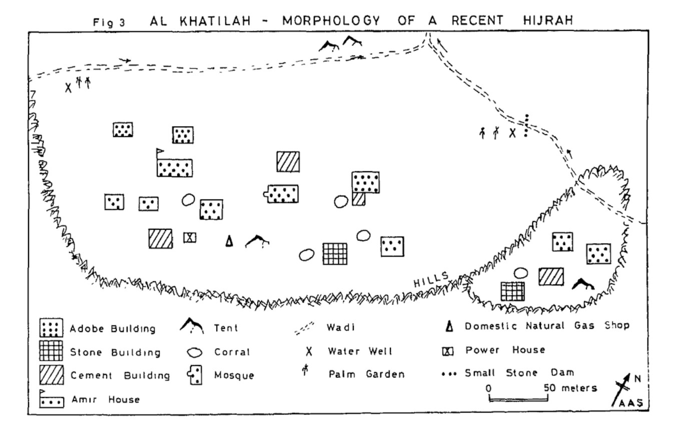
The most serious problem, however, is the shortage of water for domestic use and agriculture. Most of the hijar in the district do not have adequate potable water. The settlers are obliged to transport water from other places. In larger villages, the government makes such arrangement at its own expense.

Bedouin settlement in the Mihmal generally fits the model of Bedouin settlement in other parts of the country. The Early Hijar and the Recent Hijar were established at the same periods as in other regions. The processes of nomadic sedentarization, site selection and acquisition are similar. The hijar's structure and functions in the

in the area. Ruwaygheb also boasts a school and a clinic. while Al Khatilah lacks such facilities. Both villages are deficient in trade and service functions.

The Recent Hijar usually exhibit a more ncmadic character compared to the Early Hijar. This is manifested by the presence of some tents within these communities, for example. Some settlers either did not hvae enough time or adequate funds to build houses. The Recent Hijar are also more dispersed in structure because they are younger in age and smaller in population than the Early Hijar. The typical house type is still the abode house. Numerous houses however, are built of concrete, cement bricks and stone (Figure 3).

Fig 3 AL KHATILAH - MORPHOLOGY OF A RECENT HIJRAH



Recent Hijar

The Recent Hijar are Bedouin settlements which were established after 1930 and are "sportanous Bedouin settlements in rural areas."[4] Bedouins created these villages primarily for economic factors and their desire for redentarization. There are hundreds of such settlements throughout Saudi Arabia.

There are two Recent Hijar in the Mihmal area. Ruwaygheb was established about 1958 and Al Khatilah was settled in 1973. Settlers in both places came directly from nomadism. Ruwaygheb is located in a narrow gap in the Urma Escarpment (Figure 2). The settlement site was chosen for the presence of a fresh water well, otherwise the site is small and not conducive to growth. Expansion of the village is proceeding rapidly in an adjoining site about 500 meters to the west. The population of both villages is from the Suhul tribe. In addition, Al LKhatilah has some residents from YUtayba and Rashayda tribes.

It appears that most settlers engage in semi-normadism in both villages. Agriculture is limited to two tiny palm gardens in each village because water is scarse. A large part of the population is supported by remittances from relatives working outside the settlements.

Although the hijrah of Ruwaygheb is of little economic significance, a paved road connects it to the main highway, thirtysix kilometers to the west. This road serves not only the village but also many nomadic Bedouins

4. *Ibid.*, p. 169.

The duration of this outing is also limited to about two months in the cool season.

All the hijar have electricity and schools. Al Hisi has a police station because it is located on a highway. Ar Ruwaydah is the largest Bedouin hijrah in the area and is composed of two parts. The southern part is larger and older than the northern part and is occupied by the Suhul tribe. The northern part is settled by the Utayba tribe. A small wadi separates the two sections of the community. The village has electrictiy, schools for boys and girls, post office and clinic. Three of the Early Hijar in the Mihmal are located on a paved road, and the other two are only about eight kilometers away from a paved road.

Bedouin settlements are similar to traditional villages in structure and house types. The typical house type is the mud brick (abode), and the villages are generally compact. Bedouin villages, however, are more dispersed and the houses are simpler. This reflects the former nomads' desire for open space and also the more recent origin of their settlement.

In recent years, modern houses made of concrete and cement blocks have spread in rural areas. A major factor in this growth has been the government massive financing of private housing projects. The state owned Real Estate Development Bank grants interest-free loans of up to 300,000 Saudi Riyals for construction of a new house. This resulted in a spectacular housing boom that is literally changing the landscape of the country.

Semi-normads were defined by the author as "those Bedouins who spend most of the year in the settlement but take livestock (mostly sheep) and go to the desert during the winter grazing season. There, they stay an average of three months."[3] The settlers also work in government employment such as in schools and police. Some residents of Al Hisi work in highway oriented services because the village is located on a major road. The village has a gas station, tire repair shop, cafe and a grocery. Many of the residents are supported by remittances from relatives in cities. In Ar Ruwaydah (Suhul) and Ar Ruwaydah (Itban), however, agriculture is important and many are engaged in such activity. The reasons for the importance of agriculture here are the favorable water and soil condition.

Agriculture is important in two Bedouin villages. This proves that Bedouin settlers like to farm their land if the circumstances are right. Even some residents of Bedouin villages lacking agriculture expressed interest in farming. Agriculture is perceived by many former nomads as an attractive and viable alternative to nomadism.

Semi-nomadism is important for the settlers. About one third of the population take their animals to the desert during the grazing season. This is limited to a radious of about twenty kilometers from the settlement.

---

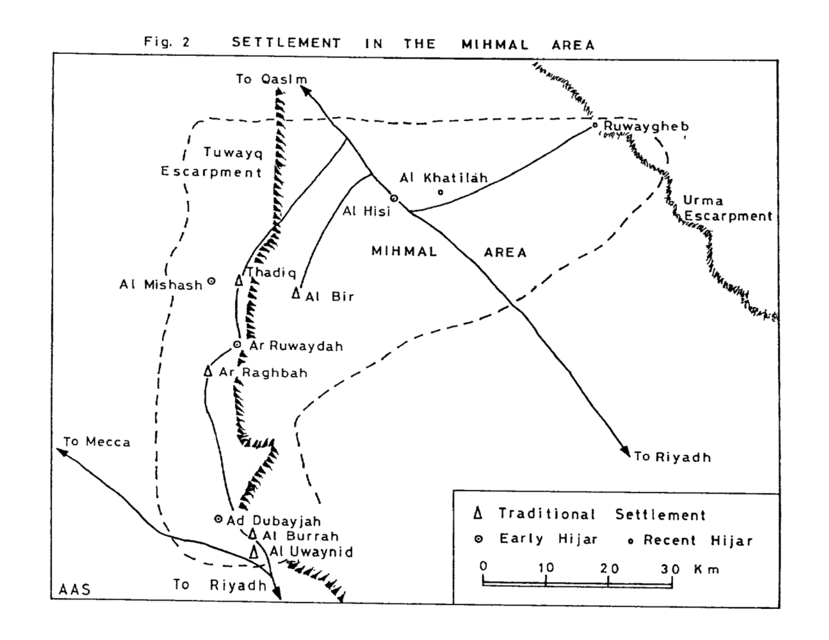
3. *Ibid.*, p. 138..

All the Early Hijar in the Mihmal were established by Bedouins who came directly from Nomadism. The only exception is the village of Ar Ruwaydah (Itban) where residents came from Al Ghutghut, a major Utayba tribe settlement some 100 kilometers to the southwest. There is a surprisingly varied tribal origin of the settlers. Five tribes are represented : Suhul, Subay, Utayba, Qahtan and Rashayda. The predominant tribe in the area, however, is the Suhul tribe which comprises the majority of residents in three of the five Early Hijar. The Subay tribe has a majority in Al Hisi village. The Utayba tribe is dominant in Ar Ruwaydah (Itban). The remaining two tribes are represented in small numbers.

Site selection for settlement was carried out by the settlers themselves with the amir (headman) playing the leading role. Water and grazing resources were the most important factors for selecting a settlement site. The settlers acquired the land by government grants. Bédouin villages received land grants of varying sizes but the mean equalled about 100 square kilometers. The original settlers came in large numbers often of several clans. Consequently, these villages were built rapidly.

The people's occupations vary with settlement. In Al Hisi, Al Mishash and Dubayjah, agriculture is not important and the population is engaged in semi-nomadism.

Fig. 2 SETTLEMENT IN THE MIHMAL AREA



settlements as the "Early Hijar", and found them to be "induced Bedouin settlement in rural areas."(2)

They resulted from King Abdul Aziz Ibn Sauds, founder of Saudi Arabia, plan of sedentarizing the nomads in permanent villages. This was accomplished when the nomads joined the Ikhwan religious reform movement. Hundred of Bedouin settlements were established in various parts of the country. A total of five Bedouin settlements of the Early Hijar type were identified in the study area. They were established between 1915 and 1929. This conforms to the same period as the rest of the country, where establishment of the Early Hijar began in 1912 and ceased about 1930 (Figure 2).

---

2. Ahmed A. Shamekh, *Spatial Patterns of Bedouin Settlement in Al-Qasim Region, Saudi Arabia*. Lexington, University of Kentucky, 1975, p. 100.

from the Dawasir tribe. Descendents of the Dawasir tribe are the majority in most of the old villages. Descendents of the Subay tribe predominate in Ar Raghbah. Therefore, these old villages (traditional settlements) were established by nomads or former nomads. The same phenomena accrued in most parts of Saudi Arabia. Thus, there is a strong link between old settlements and more recent Bedouin settlements (Hijar).

Bedouin Settlements in the Mihmal

Field research indicated that Bedouin settlement in the area occurred in two different periods. Some Bedouin settlements (Hijar) were established. in the twentieth century and are called "Early Hijar".[1] Other Bedouin Bedouin settlements were built in a latter date and are labled "Recent Hijar,".

Early Hijar

Bedouin settlement in the area began early in this century when Al Hisi was established in 1915. The earliest Bedouin settlement of this type in Saudi Arabia was built in 1912. In another study, this writer termed these Bedouin

---

1. The term *hijar* (Plural) means Bedouin settlements, while the term *hijrah* (singular) means a single Bedouin settlement. In Arabic *hijrah* also means migration.

Table (1)

Population in the Emirate or Thadiq

Settlement	Number of Villages	Population			
		Sedentary	*Nomads*	*Percent-age of nomads*	*Total popula-tion*
Thadiq	15	3503	450	11.38	3953
Duqlah	2	56	57	50.40	113
As Sufurrat	1	500	0	0	500
Ar Raghbah	8	593	438	42.48	1031
Al Bir	2	390	0	0	390
Total	28	5042	945	15.78	5987

Source : *Population Census*, 1974.

*Calculated by the author.

The Mihmal district is not famous for its extensive agriculture and settlement. Adequate underground water is found only along major wadis and it fluctuates according to rainfall. Settlement did flourish, however, on a modest scale for hundreds of years. Thadiq, for example, was founded three hundred years ago by migrants from Al Bir, a nearby village. Most of the residents are descendents

The Mihmal is a rural area with small size villages. According to the Census of Population of 1974, there were a total of 28 settlements with a total population of 5987. The average population per settlement was only 131 persons if we exclude Thadiq (Table 1). The largest settlement is Thadiq with a population of 2449. It serves as the administrative seat of the area and has governor (amir), municipality, court, police, schools, clinic, post office and telegraph and a passport office. The trade and service functions in Thadiq are limited to few grocery, bakery, clothing, repair and other service shops. Thadiq lacks more extensive functions because it lies within the trade zone of Riyadh. The city of Riyadh is located within a driving distance of about 150 kilometers and is reached via two praved roads. Therefore, the Mihmal district depends on Riyadh for trade, services and employment to a large extent. It is estimated that as much as 70 percent of the area's population have migrated to Riyadh.

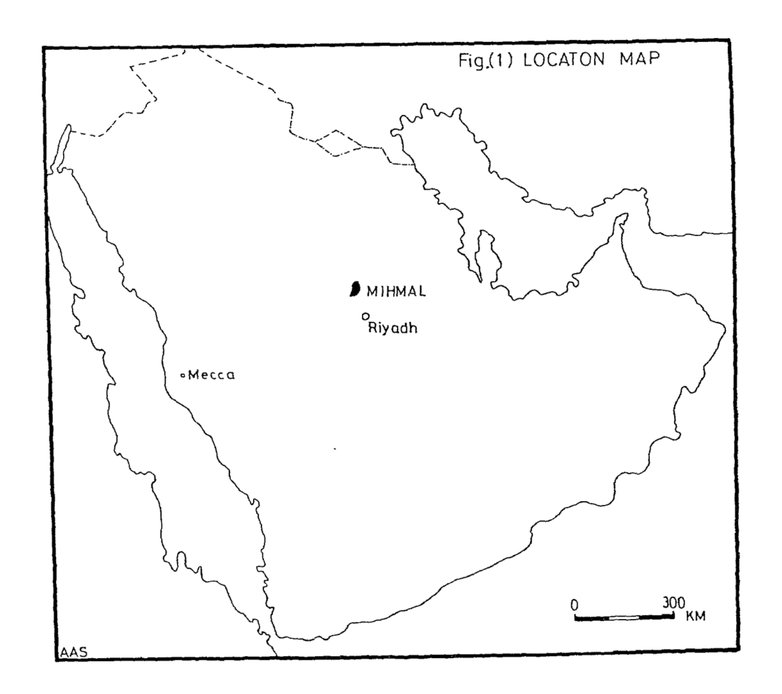


Fig.(1) LOCATON MAP

settlement in the country. There ares ome differences, however, between Bedouin settlement in the Mihmal and other areas. Some of these differences are due to the innate characteristics of Bedouin settlements, while other differences are caused by the Mihmal's resources and location.

This paper attempts to throw some light on the nature and scope of Bedouin settlement in the Mihmal district of central Saudi Arabia. The geographic knowledge about the topic and the area are very limited. This study is the result of field work in the area in 1978 and 1979. Field interviews were conducted with village headmen and elders about their settlements. Data was also gathered by means of direct field observations.

The Study Area :

The Mihmal district is one of the dozen districts that comprise the Najd,[1] or central Saudi Arabia. It is located about 150 kilometers north of the capital city of Riyadh (Figure 1). The Mihmal is not very large in size and roughly equalls 4000 square kilometers. It is bounded by Wadi Huraymala in the South and Wadi Al Atak in the north. The Tuwayq Escarpment borders the area in the west and the Urma Escarpment is located in the eastern edge of the area. The most prominant physical feature of the Mihmal is the Tuwayq Escarpment. From the Tuwayq several Wadis descend east and west and that is where we find most settlements.

ABSTRACT

BEDOUIN SETTLEMENT IN THE MIHMAL AREA OF SAUDI ARABIA

By

AHMED A. SHAMEKH, Ph. D.,

Chairman, Department of Geography,

University of Riyadh.

Riyadh, Saudi Arabia.

ABSTRACT

The Mihmal area, central Saudi Arabia, has several agricultural villages which represented the entire settlement pattern for hundreds of years. These old villages were augmented by few settlements of nomadic (Bedouin) origin early in this century. The earliest Bedouin settlement was established about 1915 (Early Hijar). There are five such settlements in the study area. There are two Bedouin settlements which were built in 1958 and 1973 (Recent Hijar). The area lacks any urban center and, thus, no Hilal were created, *i.e.*, Bedouin settlement in urban centres.

Field research indicated that Bedouin settlement in the Mihmal district generally fits the model of Bedouin

ADDARAH

Notice :

— All Correspondence should be directed to the Editor in- Chief
P. O. Box 2945 — Riyadh

— Articles are arranged technically, regardless of the writers' **prestige.**

— This English section contains summaries of some of the essays written in Arabic.

— **Price :**

a) In Saudi Arabia :
2 Riyals a copy.
15 Riyals per annum.

b) In Arab Countries :
The equivalent of 50 S. piastres a copy.
The equivalent of 15 riyals per annum.

c) Non Arab Countries
$1 a copy.
$6 per annum.

ADDARAH

QUARTERLY JOURNAL

by

King Abdul Aziz Research Centre
Concerned with

the Intelletual and Historical Heritage
of the Kingdom and the Islamic World.

FIFTH YEAR
NO : 2

MUHARAM 1400
DECEMBER 1979

RIYADH
KINGDOM OF SAUDI ARABIA

P.O.B. 2945
TEL: 38646

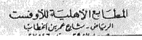
المطابع الاهلية للأوفست ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية
NATIONAL OFFSET PRINTING PRESS RIYADH S A

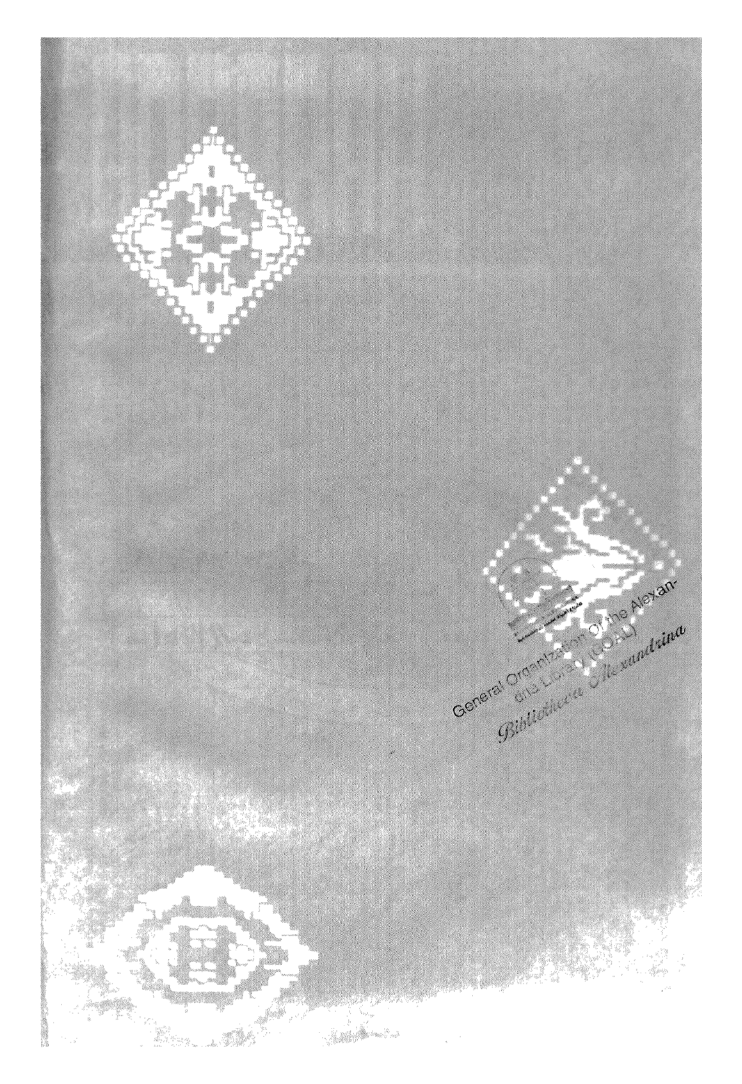


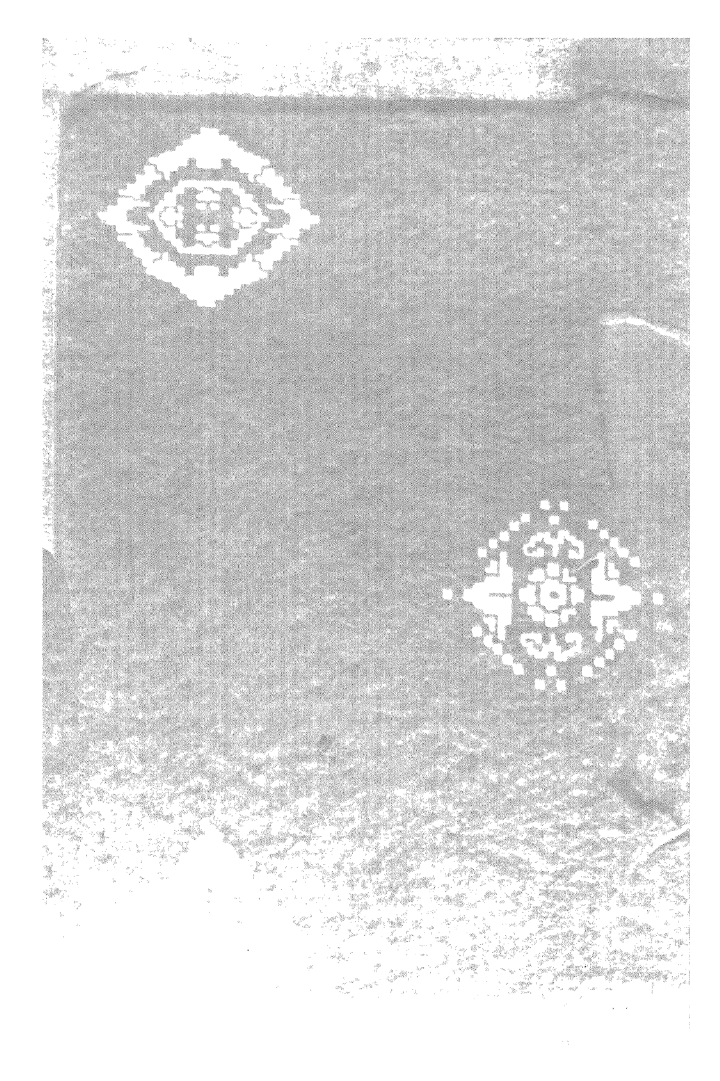


QUARTERLY JOURNAL by KING ABDUL AZIZ RESEARCH CENTRE
VOLUME 2 (5) 1400 A.H./1979 A.D.










Bibliotheca Alexandrina
0530584